

الذخيرة في عجاسن أهل الجبيرة

تأليف

أبي الحسن علي بن بسام الشنتريني (٥٤٢)

القسم الرابع - المجلد الأول

تحقيق
الدكتور إحسان عباس

دار الثقافة

للطباعة والنشر والتوزيع

بيروت - لبنان

الطبعة الاولى

١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م

الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة

٤

مقدمة المحقق

جعل ابن بسام هذا القسم الرابع من الذخيرة - وهو آخر الأقسام - في جزئين واضحين دون أن يصرح بذلك ، يتناول الجزء الأول منهما الشعراء الطارئين على الأندلس من المشرق والقيروان وصقلية ، ويشمل الثاني ثلاثة عشر شاعراً من شعراء المشرق والقيروان ، تخيرهم تحكماً ، وقد أحس هو بذلك عندما ترجم لابن قاضي ميلا من شعراء « الأنموذج » دون رفاقه ممن ضمهم ذلك الكتاب فقال : « ولعل بعض من يتصفح كتابي هذا يقول إن شعراء الأنموذج مائة شاعر وشاعرة وأكثرهم كان في المائة الخامسة من الهجرة... أفلا ذكرهم عن آخرهم ؟ وماله اقتصر على بعضهم دون سائرهم ؟ » وهاد يعتذر عن ذلك بما قاله في المقدمة وهو أنه احتذى فعل أبي منصور الثعالبي ، في البيعة ، مع أن من يدقق في الأمر يجد أن أبا منصور لم يفعل كما فعل ابن بسام ، وإنما وجد بين يديه قطعة من شعر الأندلسيين فأدرجها في كتابه ، وهو لا يدرك تفاوت الزمن بين أصحابها .

ولقد راعيت في نشر هذا القسم تلك التجزئة الطبيعية ، ففي هذا الجزء تراجع الطارئين وفي الجزء التالي ترد تراجم المشاركة المقيمين ، رغم أن الجزئين قد يجمعان لصغر حجمهما في مجلد واحد ، ولما كانا متباعدين في المادة وجدت من المفيد صنع فهرس مستقلة لكل منهما على خلاف ما صنعته في الأقسام الثلاثة السابقة .

وقد اعترضني في تحقيق القسم الرابع هذا صعوبة لم أجد لها حلاً ، أوقفني بين المضي في العمل أو التوقف عنه ، وذلك أنني لم أجد منه سوى مخطوطة

واحدة هي نسخة الخزائن العامة بالرباط رقم ١٣٥٠ ؛ ومادة هذا القسم فيها تقع بين الصفحة ٣٠ والصفحة ١٩٤ ؛ وفضلاً عن ما يمثلها انفرادها من صعوبة في العمل فإنها ليست حسنة الضبط أبداً ، كما أن الترقيم فيها رغم تسلسله وعدم انقطاعه غير صحيح لأنه قد سقط منها ورقة ضاع بسقوطها آخر ترجمة جلال الدولة وأول ترجمة ابن أبي الشخاء ، أقول « ورقة » ، وهذا من حسن الظن ، فربما كان ما سقط يزيد على هذا المقدار . وقد اخترت المضي في التحقيق ، رغبة في أن أجد الذخيرة قد اكتملت وأن أبلغ بما عزمت عليه آخر الشوط ، بعد اليأس من العثور على مخطوطات أخرى من هذا القسم .

وفي سنة ١٩٤٥ قامت لجنة مؤلفة من الأساتذة عبد العزيز محمد الأهواني وعبد القادر القط ومحمد عبده عزام تحت إشراف الدكتور عبد الوهاب عزام بنشر جانب من هذا القسم شمل حتى نهاية ترجمة عبد الكريم ابن فضال القيرواني المعروف بالحلواني (أي حتى ص ٣٠٠ من هذه الطبعة) اعتماداً على هذه النسخة الوحيدة التي لم أجد لدي أيضاً سواها ؛ وفي مقدمة تلك الطبعة إشارة إلى كثرة التحريف والتصحيف في هذه النسخة ، ولكن الجهد الذي بذله المحققون الفضلاء قد أعانني كثيراً في عملي هذا ، وإن كنت قد خالفتهم في بعض القراءات ، واهتديت إلى حل بعض المشكلات على ضوء مصادر لم تكن متيسرة لديهم حينئذ .

ولست أشك في أن هذا العمل لا يحظى لدي بالرضى الكامل ، وعسى أن تسعفنا الأيام بالعثور على نسخ أخرى تعين على مزيد من الضبط والتدقيق ، والله الموفق .

احسان عباس

بيروت في أول يونيه (حزيران) ١٩٧٨

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً

ذِكْرُ الْكِتَابِ الْوُزَرَاءِ ، وَالْأَعْيَانِ الْأَدْبَاءِ وَالشُعْرَاءِ ،
الوَافِدِينَ عَلَى جَزِيرَةِ الْأَنْدَلُسِ ، وَالطَّارِثِينَ عَلَيْهَا ،
مِنْ أَوَّلِ الْمِائَةِ الْخَامِسَةِ مِنَ الْهَجْرَةِ إِلَى وَقْتِنَا هَذَا
الَّذِي هُوَ سَنَةُ الثَّانِيْنِ وَخَمْسَمِائَةٍ ،
وَاجْتِلَابُ مَا بَلَغَنِي مِنْ نَوَادِرِ أَخْبَارِهِمْ ، وَشَوَارِدِ أَشْعَارِهِمْ ،
مَعَ مَا يَتَعَلَّقُ بِهَا ، وَيُذَكَّرُ بِسَبِيلِهَا

قال علي بن بسّام : قد استوفيتُ في ثلاثةِ الأقسامِ ، جُمْلَةً مما انتهى
إليّ من محاسنِ النثرِ والنظامِ ، لمن نشأ بالجزيرةِ من الأعيانِ الأعلامِ ،
من أوّلِ تاريخِ هذا المجموعِ إلى وقتنا . ولنُعْقِبُ ذلكَ بحولِ الله وتأييده
بذكرِ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهَا مِنْ تِلْكَ الْآفَاقِ ، وَطَرَأَ عَلَيْهَا مِنْ شُعْرَاءِ الشَّامِ
وَالْعِiraقِ ، مِمَّنْ تَبَحَّحَبَّحَ ذَرَاهَا ، وَتَسَرَّبَلْ نُعْمَاهَا ، وَنَجَمَ فِي
أَفْلَاقِهَا ، وَخَيَّمَ فِي ظِلَالِ أَمْلَاقِهَا . وَلَمْ آتِ بِهَذِهِ الْفِرْقَةِ مِنْ أَرْبَابِ
هَذَا الْفَنِّ الَّذِي أَنَا فِي إِقَامَةِ أَوْدِهِ ، مُتَعَزِّزاً مِنْ ذِلَّتِهِ ، وَلَا مُسْتَكْتَرِئاً مِنْ
قِلَّتِهِ ، وَلَا لَأَنِّي لَمْ أَجِدْ مِنْ أَعْيَانِ وَزَرَانِنَا وَكِتَابِينَا مَنْ هُوَ أَبْعَدُ غَايَةً ،
وَلَا أَبْهَرُ آيَةً ، وَلَكِنَّهُمْ أَسْنَدُوا إِلَى أَعْلَامِهَا ، وَتَرَدَّدُوا بَيْنَ جَمِيعِهَا
وَجَمَامِهَا ، فَصَارُوا مِنْ أَهْلِهَا بِالْوَفَادَةِ عَلَيْهَا ، وَخَلَعِ أَوْطَانِهِمْ

إليها ؛ مع أن هذه الطائفة لم يَسْمُ إلا بالأندلس ذكرهم ، ولا طارَ
إلا بمدح ملوكنا شعرهم ؛ وكم في شعرائنا ممن عاصرني ولم أسمع
بذكره ، ولا وقع إلي شيء من شعره ، ولعله كان أخلق بأن يُذكر ،
وأحق بأن تُنلى آيائه وتُسطر ، لكن يبلغ المرء جهده ، والإحاطة
لله وحده .

وقد أثبت أيضاً آخر هذا القسم طرفاً من كلام أهل المشرق ، وإن
كانوا لم يطرأوا على هذا الأفق ، حدّو أبي منصور الثعالبي ؛ فإنه ذكر
في يتيمة نقرأ من أهل الأندلس فعارضته أو ناقضته ، والأدب مبدان
يليق به المباح ، ويستحسن فيه الجراح .

فصل في ذكر الأديب اللغوي أبي العلاء صاعد بن الحسن البغدادي^١ ،
وإثبات جملة من نظمه ونثره ، مع ما يتعلق من الأخبار السلطانية بذكره

هو صاعد بن الحسن بن عيسى ، البغدادي تربية^٢ ، والطبري أصلاً ،
والزبعي نسباً ، ينتمي في ربيعة الفرس ، وكان^٣ طالع على آفاق الجزيرة
في أيام المنصور محمد بن أبي عامر نجماً من المشرق غرب ، ولساناً عن

١ ترجمة صاعد في جذوة المقتبس : ٢٣٣ (بغية الملتبس رقم : ٨٥٢٣) والصلة : ٢٣٢

وانباء الرواة : ٢ : ٨٥ ومعجم الأدباء : ١١ : ٢٨١ والمعجب : ٧٥ والوفيات : ٢ : ٤٨٨

وشذرات الذهب : ٣ : ٢٠٦ ونفح الطيب : ٣ : ٧٧ (وصفحات أخرى متفرقة) وروضات

الجنات : ٣٣٣ وبغية الوعاة : ٢٦٧ وللمستشرق بلاشير بحث عنه في مجلة Hesperis

العدد العاشر ١٩٣٠ ص : ٢٨ .

٢ نقل المقرئ بعض هذا في النفح : ٣ : ٩٥ .

العَرَبِ أَغْرَبَ . أَبْدَهُ مَنْ رَأَى وَسَمِعَ ، وَأَذَكَى مَنْ طَارَ وَوَقَعَ .
فَأَرَادَ الْمَنْصُورُ أَنْ يُعْفِيَ بِهِ آثَارَ أَبِي عَلِيٍّ الْبَغْدَادِيِّ الْوَاقِدِ عَلَى بَنِي أُمَيَّةَ
قَبْلَهُ . وَهَزَهُ لَذَلِكَ فَأَلْفَى سَيْفَهُ كَهَاتَمَا . وَسَحَابَهُ جَهَاتَمَا ؛ مِنْ رَجُلٍ
يَتَكَلَّمُ بِمَلَأٍ فِيهِ ، وَلَا يُوثِقُ عَلَى مَا يَنْدَرُهُ وَمَا يَأْتِيهِ .

وَقَدْ أَجْرَى ابْنُ حَيَّانٍ ذِكْرَهُ فَقَالَ : وَلَمَّا دَخَلَ قُطْرُبَةَ دَفَعُوهُ
بِالْجُمْلَةِ عَنِ الْعِلْمِ بِاللُّغَةِ . وَأَبْعَدُوهُ عَنِ الثِّقَةِ فِي عِلْمِهِ وَعَقْلِهِ وَدِينِهِ ،
وَلِذَلِكَ مَا رَضِيَهِ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِهَا أَيْتَامَ دُخُولِهِ إِلَيْهَا ، وَلَا رَأَوْهُ أَهْلًا لِلْأَخْذِ
عَنْهُ وَلَا لِلْإِقْتِدَاءِ بِهِ . وَغَرَّقُوا كِتَابَهُ الْمُرْجَمَ : « الْفُصُوص »^١ . فَهَا هُوَ
إِلَى الْيَوْمِ فِي نَهْرِهِمْ يَتَغَوَّصُ .

وَقَدْ أَتَيْتُ أَنَا بِلُصَحٍّ مِنْ أَعَاجِيْبِهِ ، وَأُورِدْتُ غَرَائِبَ مِنْ أَكَاذِيْبِهِ .
وَتَخَلَّلْتُ أَثْنَاءَ ذَلِكَ جُمْلَةً مِنْ نَظْمِهِ وَنَثَرِهِ . مِمَّا يَشْهَدُ عَلَى ثُبُوتِ
قَدَمِهِ وَشُهْرَةِ تَقَدُّمِهِ .

١ كتاب الفصوص فيما ذكره ابن حيان يحتوي على آداب وأشعار وأخبار (وبالقرويين
نسخة جيدة منه) . وقد قرأه ابن حيان على مؤلفه في داره سنة ٣٩٩ (بدأ صاعد بتأليفه
سنة ٣٨٥ في ربيع الأول واكمله في شهر رمضان من العام نفسه) وعن ابن حيان اتصلت
روايته بابن خنير (فهرسة ابن خنير : ٣١٦) .

فصول من نثره في أوصاف شتى

اتصل أوّل دُخوله الأندلس بالوزير عبد الله بن مسّلمة . فلمّا
نُكِبَ استعطف له الوزير أبا جعفر بن الدّبّ ليشفع له عند الخليفة سلّيمان
وخطبته في ذلك بعدّة رسائل . فكانت رُقّي لم تنفع ، ووسائل لم تنجع [٣١] .

منها فصلٌ يقول فيه : لمّا جمع الله طوائف الفضل عليك . وأذلق
بك الألسن ، وأرهف فيك الخواطر . ورفرف عليك طيرُ الآمال ،
ونقيضت إليك علائقُ الرّحال ، لم أجِدْ لابن مسّلمة حين عضّه
الثقاف ، وضاق به الحناق ، وانقطع به الرّجاء . وكبا به الدّهر . ملجأ
غيرك . فعطفك على واله نبته النّحس من سِنَةِ السّعد ، وأيقظته
الآفات من رقدة الغفلة ، ورشّقتَه سهامُ الزّمان بصُوفِ الامتهان ،
حتى لَقِبَ المنية أمنيّة . وسمّى الموت قوتا . ومن لم يكتب له الدّهر
سجّلا ، ولا عقّد له أمانا . ولا أشهد على نفسه ثِقّة ، فليكن منه
على حدّر . ومن نبوته على يقين الخبر . وليعلم أن اصطناع المعروف
يكافئ المرء في سمّعه وبصره . ويلقاه في طريقه ، ويحوّل بينه وبين
مُحاربه ، ويُجازيه في أهله وولده . ويصحّبه في اغترابه عن بَلَدِهِ .

وفي فصلٍ منها : فحنّانك عليه وعليّ فيه ، واذكرُ تعلّق الآمال
به وتعلّق أمّليه بك . وحاجة الرّؤساء إليه وحاجته إليك . وحشدتُ
لك القول ، والله تعالى خلق الدنيا بحرفين . وإنّ الكلمة لترقأ الدم ،
والرقية لتُخرج الحيّة من مكمنها ، فإن خيبت من طلائيك نثرأ قلتُ
نظاما :

يا أحمد بن سعيد العلم الذي
أخذ العقاب من ابن مسلمة الذي
لم تبق غير حشاشة إن أدركت
بيديك بعد الله فك أساره
فارحم أنين أبي بنات لم يصب
أسف الفراخ على كفيل كاسب
فاجعله في يميني يدك فإنها
ما ذنبه إلا الزمان فإنه
كالمرأة الورهام تنقص غزلها

أوقى فليحدثان عنه ذليل
حكّم القضاء به وغالت غول
خلصت وإن أسلمت فهو قتل
وعليك في استنقاده التعويل
لدموعهن على الخدود مثل
أودى فليس لهن بعد كفيل
سور تحوط المستجير وغيل
رخو اليدين بمن يحب مكلول
والشاة تملأ قعبيها وتحميل

وله من أخرى إلى مجاهد يصف ظهوره على خيران وأسرته
لجماعة من الصقلب :

كتابي وأنا مستطار فرحاً ، ومستوفيز مراحاً ، بالغادي والرائح علي
من البشائر التي تسمع الصم . وتُنطق البكم ، بعدو نجاً بعد ما ظن
أن ليس ناجياً ، وخترواني أقبل في صفاذه عانياً ، صنعاً من الله أسأله
ضارعاً أن يجعله عندك راسياً ، وعليك مخيماً ، فإن الذي آوي إليه من
تطوّلِكَ يَبْدي ولوعاً وبغري بالذراع إليك ، والنزوع نحوك . [ووما

١ كان مجاهد صاحب دانية والجزائر وخيران صاحب المرية (بعيد الفتنة حتى سنة ٤١٩) وقد
كانت تدور بين هذين الفتيين العامريين حروب أعرض عن ذكرها صاحب البيان المغرب
(٣ : ١٦٦) وانظر أعمال الاعلام : ٢١٢ .

٢ الخزواني : الصلف المتكبر .

أَنشدني باليمن أبو الغزور^١ الأعرابي لنفسه وقد حجَّ ابنه فقال يذكر
شوقه إليه :

ألا ليت لي عينان^٢ تطلعان على النأي أحياناً وتنصرفان
فإن كان خيراً سرّني وعرفته وإن كان شراً ظلّتنا تكيفان

• ولما أُنشئ إحدى خرائطك الجزيلة ، وتبادرت التبشير باحتلال المركب ،
كاد الفرح يقضي عليّ ، وينزع التماسك من يدي . ولولا أنني ثبتت
النخيرة^٣ ، ومُحصّد المريعة ، لكنتُ كأمّ أبي مُزبد^٤ إذ بعث إليه
يحيى بن خالد غلاماً ، فقال لها : يا أمّه ! وهب لي يحيى « غ » قالت :
وما « غ » ؟ قال : لا قالت : وما « لا » ؟ قال : [« م »] وطبق
الميم على شفتيه ، فصرّط ، فقال : الحمد لله ، لولا تقطيع الحروف
لخربت . فحضرتني إذأ عند ورود المال ما كتبت به :

أنتك الخريطة^٥ والمركب كما اقترن السعد والكوكب
فقالوا من الواهب المستقل عقائل يعيا بها الحُسب
فقلت فتي أصفري^٥ التجار يروغ به المشرق المغرب

١ كذا هو بالعين المعجمة في الأصل ، والأرجح أنه « الحزور » أو « العزور » - بالعين
المهمله - فهاتان الصورتان تردان في الأعلام .

٢ هذه هي لغة من يقول : « يا ليت عيناها لنا وفاها » .

٣ نخيرة الرجل (بالراء المهمله) : طبيعته .

٤ المشهور مزبد المدني أبو اسحاق صاحب النوادر الحارة (انظر الفتاوى ٤ : ١٣١ وله نوادر

كثيرة في كتب الأدب كالبيان والحيوان والبصائر ومحاضرات الراغب) .

٥ أصفري : من بني الأصفر ، وهم الروم بوجه عام .

يُحْكِكُ^١ أَسِيفَهُ بِالرَّدَى كَمَا حُكَّ بِالْهَافِي^١ الْأَجْرَبُ
فَلَوْلَا شَجَاعَتُهُ مَا نَجَا وَلَكِنَّهُ حَوْلُ^٢ قَلْبٍ
بَصِيرٌ بِتَوْسِيعِ سَبِيلِ الْفِرَارِ إِذَا ضَاقَ بِالْمُرْهَقِ الْمَهْرَبِ

ومنها :

هَتَاكَ أَبَا الْجَيْشِ مَنْ جَيْشُهُ أَسَارَى كَأَنَّهُمْ الرَّبْرَبُ^٣
يَرِقُ^٢ عَلَيْهَا السَّنَانُ الْحَقُودُ وَيَرْحُمُهَا الصَّارِمُ الْمُغْضَبُ
وَهُمْ يَخْضِبُونَ صُدُورَ الْقَنَا وَأَنْمُلُهُمْ بَضَّةً تُخْضِبُ
وَلَمْ أَرَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَارِسًا يَلْقَى^٤ بِهِ الْحَلْتِي وَالْمُلْدَهَبُ
فَإِنْ شِئْتَ أَنْ يَرْكَبُوا يَرْكَبُوا وَإِنْ شِئْتَ أَنْ يَرْكَبُوا يَرْكَبُوا

ينظر هذا بناظر مريب ، إلى قول حبيب^٣ :

قد جاءنا الرِّشَاءُ الَّذِي أَهْدَيْتَهُ خَيْرُ قَا وَلَوْ شِئْنَا لَقُلْنَا الْمَرْكَبُ

ومن أناشيد الثعلبي في معناه^٤ : [٣٢]

وَنِسَاءٌ لِمَطْمَئِنِّ مُقِيمٍ وَرِجَالٌ إِنْ كَانَتْ الْأَسْفَارُ

وقوله « يرق عليها السنان » . . . البيت ، كقول بعض أهل العصر :

لَعَلَّكَ يَوْمًا ذَاكِرِي فِي مَلْمَةِ يَلِينُ بِهَا قَلْبُ الْأَسِيرِ عَلَى الْقَيْدِ

١ الهافى : الذي يطلي الجمال بالقطران .

٢ ص : يروق .

٣ ديوان أبي تمام ١ : ١٤٢ .

٤ التمثيل والمحاضرة : ٢٢٤ .

وأراه قلب قول أبي الطيب^١ :

وغيظ على الأيتام كالنار في الحشا ولكنه غيظ الأسير على القيد

وأرى أبا الطيب لم بعض الإمام ، بقول أبي تمام^٢ :

يتلحظه في جده وهزله لحظ الأسير حلقات كتبه

جملة أخبار نوادر ، جرت له مع المنصور بن أبي عامر

اجتمع^٣ عند المنصور ابن أبي عامر أعيان الأوان كالزبيدي والعاصمي وابن العريف^٤ ومن سواهم : فقال لهم المنصور : هذا الرجل الوافد علينا صاعد يزعم أنه متقدم في هذه الآداب التي أنتم سرّجها الضاحية ، وأهملتها السارية . وأحب أن يمتحن ما عنده . فوجه إليه . ودخل المجلس قد احتفل فخجل ، فرفع المنصور مجلسه وأنسه . وسأله عن أبي سعيد السيرافي ، فزعم أنه لقيته وقرأ عليه كتاب سيبويه . فبادره العاصمي بالسؤال عن مسألة من الكتاب ، فلم يحضره فيها من جواب ،

١ ديوان المتنبي : ٥٤٧ .

٢ ديوان أبي تمام : ٤ : ٥٣٢ .

٣ النفع : ٣ : ٧٧ وفيه بعض إيجاز .

٤ أبو بكر الزبيدي اللغوي المشهور صاحب طبقات النحويين ولحن العامة والاستدراك على العين وغيرها ؛ والعاصمي هو محمد بن عاصم النحوي القرطبي (الجذوة : ٧٤ والصلة : ٤٥٣) وابن العريف هو أبو القاسم الحسين بن الوليد (الجذوة : ١٨٢) .

واعتذرَ أنْ النحوليسَ جُلُّ بضاعته . ولا رأسَ صناعته . فقال له الزبيدي :
 فما تُحسِنُ أيتها الشيخ ؟ قال : حِفْظُ الغريب . قال : فما وَرَنُ أولئكَ ؟
 فضحك صاعد وقال : أمثلي يُسألُ عَنْ هذا ؟ إنما يُسألُ عنه صبيان
 المكتب . قال الزبيدي : فقد سألتناكَ ، ولا تَشْكُ أنكَ تجهلُهُ . فتغيَّرَ
 لونه وقال : « أفعل » . قال الزبيدي : صاحبكم مُمخِرٌ ! قال له
 صاعد : إخالُ الشيخِ صناعتهُ الأبنية ؟ قال له : أجل . قال صاعد :
 وبضاعتي أنا حِفْظُ الأشعار . وروايةُ الأخبار ، وفكُّ المعتمى . وعلمُ
 الموسيقى . قال فناظرَهُ ابنُ العَرِيفِ فظهرَ عليه صاعد ، وجعل لا يَجْري
 في المجلسِ كلمةٌ إلاَّ أنشدَ عليها شعراً شاهداً ، أو أتى بحكايةٍ تُجانِسُها ،
 فازداد المنصورُ عَجَباً . ثم أراه كتابَ النوادرِ لأبي عليٍّ فقال : إذا أراد
 المنصورُ أمليتُ على مُقْبِدي خِدْمَتِهِ وكُتِّبَ دَوْلَتُهُ كتاباً أرفعَ منه
 قَدْرًا . وأجلَ خطراً . [لا] أدخلُ فيه خبراً ممّا أدخلَهُ أبو عليٍّ . فأذنَ
 له المنصورُ في ذلك ، وجلسَ بِجامعِ مدينةِ الزَّاهِرَةِ يُحملي كتابَه المترجمَ
 : « الفصوص » . فلما أَكَلَهُ وتبَّعَهُ أدباءُ الوقتِ ، لم تمرَ فيه كلمةٌ زَعَمُوا
 صِحَّتَها عندهم . ولا خَبِرْتُ نَبْتَ لَدَيْهِمْ . فقالوا للمنصور : رجلٌ
 [مقتدر] على تأليفِ الكذبِ . [. . .] من عيونِ الأدبِ ، يُسندُها إلى شيوخٍ
 لم يَرَهُمْ ولا أخذَ عنهم . حتَّى لانتهم كلّفوا المنصورَ أن يأمُرَ بتفسيرِ
 كاغدٍ أبيضٍ وتغييرِ بهجتهِ ليدُلَّ على القِدَمِ ، ففعل وترجمَ على ظهرِ
 ذلكَ السفرِ بكتابٍ « النكت ١ » تأليفِ أبي الغوثِ الصَّنَعاني . فترامى إليه
 صاعداً حينَ رآه ، وجعل يُقَلِّبُهُ ، وقال : إني واللهِ قرأتهُ بالبلدِ القُلانيِّ

١ الصغير - عند الاندلسيين والمغاربة - تجليد الكتب .

٢ ص : النكت ؛ وأثبت ما في النفع .

على الشيخ أبي فلان ، وهذا خطه . فأخذه المنصور من يده خوفاً أن يفتحه ، وقال له : إن كنت رأيت كما تزعمُ فعلامٌ يحتوي ؟ قال : وأُسيك^١ لقد بعدَ عهدي به ولا أنص منه شيئاً ، ولكنه يحتوي على لغةٍ مثورة لا يشوبها شعرٌ ولا خبر . فقال له المنصور : أبعد الله مثلك ! فما رأيتُ الذي هو أكذبُ منك . وأمرَ بإخراجه وأن يُقذف بكتاب « الفصوص » في النهر ، وفي ذلك يقول بعض شعراء العصر^٢ :

قد غاص في البحر كتابُ الفصوص^٣ وهكذا كلُّ ثَقيلٍ يغوصُ

فجاوبه صاعداً بقوله :

عادَ إلى معدنه إنما تُوجد في قعر البحارِ الفصوص

قال ابن بسام : وما أحسبُ أن أحداً يجترأ على إخراج تصنيف ، وإبداء تأليف ، يضيقُ عنه التعديل ، ويدفع في صدره النقد والتحصيل ، لا سيما وصاعداً علم أن قُرطبة - حسب ما ذكرنا - ميدانُ جِداد ، وبلدُ جِداد وجِداد ؛ ولكنه اشترط غير المشهور ، فلم يظفروا منه بكثير ، وأعانهم هو على نفسه بما كان ينفقُ به من تنجليه وكذبه . ولم يكن عند ابن أبي عامر تحرير ولا بصيرٌ بالنقد مشهور ؛ وإلا فليس يخلو كتاب « الفصوص » المذكور من غريبة مسموعة ، ولا من فائدة راقية بديعة ، ولكنه خبرٌ وجدناه فتقلناه .

١ النفع : وأبيك .

٢ انظر أيضاً ابن خلكان ٢ : ٤٨٩ والمسلك السهل : ٢٥٣

٣ ابن خلكان : عنصره إنما يخرج من .

وأدخل^١ على المنصور يوماً ورْدَةً في غير أَيْامِهَا ، لم تستَـمِ
فتَحَ كِـمَامِهَا ، فقال فيها صاعدٌ على الارتجال :

أَتَتَكَ أبا عامرٍ ورْدَةٌ يَذْكُرُكَ المِسْكُ أنفاسُها
كعدّراء أبصرها مُبْصِرٌ فغطّتْ بأَكمامِها راسُها

فسرَّ بذلك المنصور ، وكان ابنُ العَرِيفِ حاضِراً ، فحسَدَهُ وجرى
إلى مُناقَضَتِهِ . وقال لابنُ أبي عامر : إنَّ هَذَيْنِ البَيْتَيْنِ لغيرِهِ ، [٣٣]
وقد أنشدَنيهما بعضُ البَغْدادِيِّينَ بِمِصْرَ لِنَفْسِهِ ، وهُما عِنْدِي على ظَهِرِ
كِتَابٍ بِخَطِّهِ . فقال لهُ المنصور : أَرِنِيهِ . فخرَجَ ابنُ العَرِيفِ وَرَكِيبٌ
وجعلَ يَحُثُّ حَتَّى أَتَى مَجْلِسَ ابنِ بَدْرٍ ، وكان أَحْسَنَ أَهْلِ
وَقْتِهِ بِدِيَهَةِ^٢ ، فوصَفَ له ما جرى فقال :

عشوتُ إلى قِصرِ عَبَّاسَةٍ وقد جَدَلَّ النَوْمُ حُرَّاسَها
فألْقَيْتُها وَهْيَ في خِدرِها وقد صرَعَ السِّكْرُ أنفاسَها
فقالَتْ : أسارى على هَجْعَةٍ ؟ فقلتُ : بلى ، فرَمَتْ كاسَها
ومدَّتْ يَدَيْها إلى وَرْدَةٍ يُحَاكِ لَكَ الطَّيْبُ أنفاسَها
كعدّراء أبصرها مُبْصِرٌ فغطّتْ بأَكمامِها راسَها
وقالَتْ : خَفِ اللهَ لَا تَفْضَحَنَّ في ابْنَةِ عَمِّكَ عَبَّاسَها
فولَّيْتُ عنها على عِفَّةٍ وما خُنْتُ ناسِي ولا ناسَها

فطارَ لبَنُ العَرِيفِ بها ، وعلَّقَها على ظَهِرِ كِتابٍ بِخَطِّ مِصْرِي^٣ ،

١ الخبر في جذوة المقتبس : ١٨٢ - ١٨٣ ونفع الطيب ٣ : ٧٩ وبدائع البدائع : ٢٩٩

والريمان والريمان ١ : ١٥٤ / أ والثريشي ١ : ١١٨ - ١٢٠ .

٢ بدائع : مشرق .

وورئى وتحيلَ بمداد أشنقر . ودخلَ بها على المنصور ، فلما رآها اشتدَّ غيظاً على صاعِدٍ وقال : غداً أمتحنُه . فإن فضحه الامتحان : لم يبقَ في موضع لي فيه سلطان . فلما أصبحَ وجهه عنه بمجلسٍ حَقْل . وقد أعدَّ طبقاً فيه سقائِفُ من ضرُوبِ النواوير ، وصنعَ على السقائِفِ جوارىَ ياسمين ، وتحتَ السقائِفِ بركةُ ماءٍ حصاها اللؤلؤ . وكان في البركة حَيَّةٌ تسبح . فلما دخلَ صاعِدٌ مثلَ الطبقِ بين يديه ؛ فقال لهُ المنصور : إنَّ هذا يومٌ إمّا أن تسعدَ فيه معننا ، وإمّا بالصد عندنا ؛ لأنّه قد زعمَ ق م أن كلَّ ما تأتي به دعوى ، وقد وقعتُ من ذلك على حقيقة . وهذا طبقٌ ما توهمتُ أنّه مثلُ بينَ يدَيّ ملكٍ قبلي في شكله ، فصيفه بجميع ما فيه . فقال صاعِدٌ بديهةً :

أبا عامرٍ هلْ غيرُ جدواكَ واكِفُ	وهلْ غيرُ من عاداك في الأرض خائفُ
يسوقُ إليك الدهرُ كلَّ عجيبةٍ	وأعجبُ ما يلقاهُ عندكَ واصِفُ
وشائعُ نورٍ صاغها هامِرُ الحَيّا	عليها فمِنْها عبقَرُ ورقارِفُ
ولما تناهى الحسنُ فيها تقابلتُ	عليها بأنواعِ الملاهي الوصائفُ
كمثلِ الظباءِ المستكنةِ كنساً	تظللُها بالياسمينِ السقائِفُ
وأعجبُ منها أنتهنَّ نواظِرُ	إلى بركةٍ ضمتْ إليها الظرائِفُ
حصاها اللآلي ، سابحٌ في عبابِها	من الرقشِ مسمومُ اللعاينِ زاحِفُ ^٢
ترى ما تشاء العينُ في جنباتها	من الوحشِ حتى بينهنَّ السلاحِفُ

فاستغرِبت له يومئذٍ تلك البديهة ، وكتبها المنصور بخطه . وكان إلى

١ كذا في ص ، ولعلها « وضع » كما في النسخ .

٢ ص : راجف .

ناحية سقيفة فيها جارية^١ تجذف^٢ بمجاذف ذهب لم يرها صاعيد .
فقال له المنصور : أجدت إلا أنك لم تصف هذه الجارية . فقال :

وأعجب منها عادة^٣ في سفينة مكلمة^٤ تصبو إليها المهايف^٥
إذا راعها موج من الماء تنقي بسكنائها ما أنذرت^٦ العواصف^٧
مى كانت الحسنة ربان مركب تصرف^٨ في يمنى يديها^٩ المجاذف^{١٠}
فلم تر عيني في البلاد حديقة^{١١} تنقلها في راحتين المناصيف^{١٢}
ولا غرو أن شاق^{١٣} معاليك روضة^{١٤} زهتها أزاهير الربى والزخارف^{١٥}
فأنت امرؤ لو رمت نقل متاليع^{١٦} ورضوى ذررتها من سطاك العواصف^{١٧}
إذا قلت قولاً أو بدت^{١٨} بديهة^{١٩} فكلني لها إنني لمجدك واصف^{٢٠}

. فأمر له المنصور بألف دينار ومائة ثوب . ما بين غلائل وطيقان
وعمام . وأجرى عليه المراتب من ذلك اليوم ثلاثين ديناراً ، وألحق في
ديوان الندماء مع زيادة الله بن مضر الطنبلي وابن العريف وابن التياني^٦
وغيرهم . والحسد موروث ، وقديم لا حديث ، وليس في الحيوان ،
أخبث في ذاته من الإنسان .

١ ص : تقذف .

٢ النفع : المهايف .

٣ بدائع : تصرف في الكفين منها .

٤ النفع : الوصائف .

٥ بدائع : طلبت .

٦ قد مر الحديث عن بني الطنبلي في القسم الأول من الذخيرة : ٣٥٥ . وأما ابن التياني فقد يكون هو
تمام بن غالب أبو غالب المرسي اللغوي (الجفوة : ١٧٢) وأعاد الحميدي ذكر ابن
التياني : (٣٨٠) .

وأذكر بفعلة ابن العريف في صاعدٍ بعض ما مُنيتُ أنا به في خبر
هذا التصنيف مع غير واحدٍ من أهلٍ وقفي ، إذ سردتُ في بعض قصصه
كلام ابن حيانهم ، وكان على ما تقدّم وصفه متكلم أوانهم ، فلما
أعوزني لفظه في بعض ما سُقت ، ولم أجده في كل حديث نسقت ،
رجعتُ إلى نحيزي ، واستمطرتُ غريزي . وماؤها جامد ، ورماؤها
هامد ، كما قال سابق :

أخلقتُ جيدتي وبانٍ شبّابي واستراحتُ عواذلي من عتابي

وأنا يومئذٍ بإشبيلية ، أتصرفُ مضطراً في بعض الأعمال السلطانية .
والكلامُ إذا لم يحككه قلبٌ فارغٌ ، ولم يسبكه لُبٌّ من ظلماء الشغل
بازغ^١ . لم يرق تطريزه^٢ . ولم ينفق إبريزه^٣ . وعلى ذلك لما اندرجتُ
لي فيه كلمات رائفات ، في أوصافٍ مختلفات ، وبلغتُ فيه أمد المراد ،
بألفاظ أعيان ومعانٍ أفراد ، انثال عليّ فيها الكلام . انثيال الغمام ،
قالوا : نعم ما صنّف ابنُ بسّام وأنقن . لو لم يستعين^٤ : وما أحسن
ما قصص^٥ ، لو لم يتلصص . والله درهم [٣٤] فالدماء لا يزيد من القري^٦ .
وذكاء لا تضيء من الدرّي . بل درّ درّ أبي الطيّب من شاعرٍ نطق
بالبدّي ، وجرتي على عتق جدّه الكندي ، فسبق^٧ ، واستولى على الأمد
بقوله إذ صدق^٨ :

أتيتُ بمنطيق العرب الأصيل وكان بقدر ما أحسبتُ قبلي

١ ص : فارغ .

٢ الدماء : البحر ، والقري مجرى الماء في الخوض .

٣ ديوان المتنبي : ٣٣٤ .

٤ الديوان : عاينت .

فعارضته كلاماً كان منه
وليس يصيح في الأوهام شيء
بمترلة النساء من البعول
إذا احتاج النهار إلى دليل

رجع :

وخرج المنصور مع صاعد يوماً إلى رياض الزاهرة ، فمد يده إلى
شيء من الترنجان فعبث به ورماه إليه معرضاً أن يصفه فقال ^١ :

لم أدر قبل ترنجان عيشت بسبه
من طيبه سرق الأترج نكهته
كأنما الحاجب المنصور علمه
من ليس يقعيده من سودد قدم
أن الزمرد قنضبان ^٢ وأوراق
يا قوم حنتي من الأشجار سراق
فعل الجميل فطابت منه أخلاق
ولا تقوم له في سواة ساق

وله في الخيري ^٣ :

بعث إليك من خيرى دارى
توكل بالعزوف عن التصابي
محزومة كأوراق العقيق
وتصطاد الخليج من الطريق

وصاعد القائل ^٤ :

لي من سيرة بني العبد
شهاد المسجد عليه
فإذا جالسته لسم
أس خيل وجليل
أنه العليق النفيس
تدر من منّا الجليل

١ النفع ٣ : ٩٥ والبيان المغرب ٣ : ١٩ والشرطي ١ : ١٢١ .

٢ النفع : أغصان .

٣ النفع ٣ : ٩٧ والشرطي ١ : ١٢١ .

٤ الشرطي ٣ : ٤٣ .

وهذا كقول ابن زُرارة^١ :

لي صديقٌ . غَلِطْتُ ، بل لي مَوْلى
يُتَلَقَّى التَّقَاءَ رُوحٌ بِرُوحٍ
ليسَ في الأرضِ مَنْ يُمَيِّزُ مِنَّا
عاشِقاً في اللقَاءِ من مَعْشُوقٍ

وقال^٢ :

قلتُ له والرقيبُ يُعَجِّلُهُ
فمَدَّ كَفّاً إلى تَرَائِيهِ
مُودِعاً للفراقِ : أين أنا ؟
وقال سِرٌّ وادِعاً فأنت هُنَا

وأُشَدُّ المَنْصُورُ يوماً قَصِيدَةَ أَبِي نُؤَاسٍ « أَجَارَةُ بَيْتِنَا أَبُوكَ غَيُورٌ »
فَعَرَضَ عَلَيْهِ أَنْ يُعَارِضَهُ . فَأَبَى صَاعِدٌ مِنْ ذَلِكَ إِجْلَالاً لِأَبِي نُؤَاسٍ .
فَعَزَمَ عَلَيْهِ المَنْصُورُ فَأَنْشَدَهُ مُتَمَثِّلاً^٣ :

إِنِّي لَمُسْتَحِيٌّ عِلاً
مَنْ لَيْسَ يُدْرِكُ بِالرَّوِيَةِ
كَمَنْ ارْتَجَالَ الْقَوْلَ فِيهِ
كَيْفَ يُدْرِكُ بِالْبَدِيَةِ

فلم ينفعه ذلك عنده . ومكث فيه بقية يومه وليلته . وجاءه من الغد
فأنشده قصيدته التي أولها :

خِدَالُ الْبُرَى ؛ إِنِّي بَكْنٌ بِصَبْرٍ
طَوْتُكُنَّ عَنِّي خُلْسَةً وَقَتِيرُ

[ومنها] :

١ التريشي ٣ : ٤٣ .
٢ النفع ٣ : ٩٧ والتريشي ٥ : ٣٧٨ .

٣ المصدر السابق .

٤ ص : جذال الشرى .

وباتت كما باتت مهاة خميبة
وقد أكلت أشلاؤه فكأنتها^١
كما بغمت^٢ من شجوها أم واحد
لذن غدوة حتى صفت^٣ شمس يومها
تسوف ثراه عن مشق إهابه
كان^٤ أسابي الدماء عتير^٥
لها جؤذر عند الصراة عتير
مقسمة عند القيداح جزور
أتيح لها مثل الزجاج طريس
وفي أبهرينها رنة وزفير
أسابي الدماء عتير^٥

قال ابن بسام : وصاعد^٦ على تنايعه^٦ في الكذب ، ولحاجته بين
الامتهان وسوء الأدب ، قد أخذ بطرف من الترفيق . وخلا بجانب من
لقسم الطريق ، ألا تراه كيف صرح بالياس . عن شق غبار أبي نواس ؟
ولكن ابن أبي عامر حملته على الغرر . وعرضه لسوء الخبر ، ولعله
ذهب إلى قول أبي الطيب^٦ :

بلغت بسيف الدولة النور رتبة^٦ أنرت بها ما بين غرب ومشرق
إذا شاء أن يلكهو بلحية أحمت^٦ أراه غباري ثم قال له : الحق

وذكرت بهذا الخبر ما وُصف عن أبي عبد الله بن شرف ، وذلك أنه
قال يوماً للمأمون بن ذي النون أيام خدمته إيتاه ، واستشفاه صبابة عمره

١ ص : فكأنه .

٢ ص : نعمت .

٣ صفت : مالت ؛ ص : صفت .

٤ أسابي الدماء : طرائقها ؛ والعيرة : أول ما ينتج ، كانت تقدم قرباناً لأصنامهم .

٥ التنايع : التماذي في اللجاجة .

٦ ديوان المتنبي : ٣٣٨ .

في ذراه . وقد أجروا ذكر أبي الطيب . فذهبوا في تأبينه كل مذهب :
 إن رأى المأمون - لا فارق العيزة والعلاء - أن يُشير إلى أي قصيدة شاء .
 من شعر أبي الطيب حتى أعارضه بقصيدة تُنسي اسمه . وتُعفّي رسمه .
 فتناقل ابنُ ذي النون عن جوابه . علماً بضيق جنابه . وإشفاقاً من فضيحته
 وانتشابه . وألح أبو عبد الله حتى أخرج ابنُ ذي النون وأغراه ؛ فقال له :
 دونك قوله : « لعينيك ما يلقي الفؤاد وما لقي » . فخلا بها ابنُ شرف
 أيتاماً فوجد مركبها وعرا . ومريرتها شزرا . ولكنه أبلى عذرا . وأرهق
 نفسه من أمرها عسرا . فما قام ولا قعد . ولا حل ولا عقّد . وسئل
 ابنُ ذي النون بعدُ : أي شيء أقصده إلى تلك القصيدة [٣٥] ؟ فقال : لأن
 أبا الطيب يقول فيها : « بلغت بسيف الدولة النور » وأنشد البيتين . وهذه
 غريبةٌ ولو صدرت عن أبي العباس المأمون . فضلاً عن مُتزعزِع لقبه
 يحيى بن ذي النون . وقيدماً كبا الحمّوح . وذهبت بالباطل الريح ؛ ولم
 يتندم من بنى على أسفه . ولا هلك من عرف قدر نفسه .

وقد حدثت أيضاً أن أبا علي بن رشيح ناجى نفسه بمعارضة أبي
 الطيب في بعض أشعاره . وراطن شيطانه بالدخول في مضماره . فأطال
 الفكرة . وأعمل النظرة بعد النظرة . فاختر من شعره ما لم يَطير ذكره
 ولا لحظ قدره . فأداه جهده . وذهب به نقده . إلى معارضة
 قوله : « أمين ازديارك في الدجى الرقباء »^٢ . فبث عيونته . واستمد
 ملائكته وشياطينه . ولم يدعُ نيةً إلاّ طلعتها . ولا خبيثةً إلاّ أطلعها ،

١ ص : الخط .

٢ ديوان المتنبي : ١١٤ ، وعجز البيت : « إذ حيث أنت من الظلام ضياء » .

ولا رويّةٌ إلاّ اتّسع لها فوسعها : ثم صنع قصيدةً - فيما بلغني - رأى
 أنّها مادةٌ طبعه . ومُنْتَهَى طاقتهِ وسعِهِ : ثم حكّمَ نقدَه . ورضي
 بما عنده ، فرأى أنّ قد قَصُرَتْ يداه ، وقَصَرَ مداه ، وعَلِمَ أنّ
 الإحسانَ كنزٌ لا يوجد بالطلب . ومَيِّدانٌ لا يَسْتَوِي عليه التعصّب .
 وصانَ نفسه عن أن يُحدّثَ عنه بأن تكونَ الهرةُ أحزمَ منه .

وقد ذُكِرَ عن صاعد . أنه افْتُضِحَ في سرقةِ شعيرٍ غير واحد من
 أهلِ تلك الآفاق ، من شعراءِ الشام والعراق ؛ إذ كان وردَ بها وهي
 بغُبارِ السفر ، فاشتهرَ بها في غير ما شعرٍ وخبر . منها قولُه يُصِفُ إبريقاً
 قد ملىءَ منه كأسٌ وبقيتْ في فمِهِ نقطةٌ لم تسقط ¹ :

وقهوةٍ في فمِ الإبريقِ صافيةٍ كدمعٍ مفجوعةٍ بالإلفِ مِعْبَارِ
 كأنَّ إبريقنا والراحُ في فمِهِ طيرٌ تناولَ ياقوتاً بمنقارِ

فكانوا يولعونَ بهذا التشبيه ، كما قاله - زعم - على البديه ، وإنما
 نقلَ لفظُ أبي البركاتِ العلوي ممّا أنشدهُ الشعالي ² :

كأنّما إبريقنا طائرٌ يحملُ ياقوتاً بمنقارِ

أو قولَ أبي الفرجِ البَغْدَادِيِّ من أرجوزةٍ خاطبَ بها الصابي ³ :

كأنّما الحَبِيبَةُ في مِنقارِها حَبَابَةٌ تطفو على عُمُقارِها

١ نفع الطيب ٣ : ٩٦ وبدائع البدائنه : ٣٠٢ .

٢ اليتيمة ٤ : ٤٢٠ .

٣ اليتيمة ١ : ٢٧٠ .

وكان صاعداً مع ما قدَّمته من صفته بديع الجواب حاضره ، طيَّبَ
 المعاشرة . فكيفَ المجالسة . مُمتعاً مُحسناً للسؤال . حاذقاً في استخراج
 الأموال . دخل^١ على المنصور يوم أنس^٢ وقد تقدَّم وانخذ قميصاً من
 رِقاع الخرائط التي وصَّلت إليه فيها^٣ صلاته وليسته تحت ثيابه . فلمَّا
 خلا المجلس ورأى فُرصةً لما أراد . تجرَّد وبقي في القميص المخيط
 من الخرائط . فقال له : ما هذا ؟ قال : هذه رِقاعُ صلاتِ مولانا اتخذتها
 شِعاراً . وبكى ، وأتبع ذلك من الشكر بما استوفاه . فأعجِبَ به المنصور
 وقال له : عندي مزيد .

وحكي عنه^٤ أنه لم يحضُر بعد موت المنصور مجلس أنس لأحدٍ
 ممن وكي بعده ، وادَّعى وجعاً لحق ساقه .

وكان صاعداً كثيراً ما يمدحُ بلادَ المشرق بمجلس المنصور ، ويُباهي
 بأخبارها ، ووصفَ أشربتها وأديارها ، فكتب الوزير أبو مروان عبدُ الملك
 ابنُ شهيد^٥ إلى المنصور في يوم قرَّ بهذه الأبيات :

أما ترى بردَ يومينا هذا صيِّرنا للكُمون أفذاذا
 قد فطرتُ صحةُ الكبودِ به حتى لكادت تعودُ أفلاذا

١ القصة في انباه الرواة ٢ : ٨٦ بليحاز .

٢ ص : فيه .

٣ انباه الرواة ٢ : ٨٧ .

٤ نفع الطيب ٣ : ٢٦٠ وبدائع البدائع : ٣٥٤ .

٥ هو الوزير عبد الملك بن أحمد بن عبد الملك ابن شهيد والد الشاعر أبي عامر وأحد شيوخ
 الوزراء في الدولة العامرية (الجذوة : ٢٦١) .

فادعُ بنا للشمولِ مُصْطَلِباً نُغِيدُ سِيراً إِلَيْكَ إِغْدَاذا
 وادعُ المسمَى بها' وصاحبه تدعُ نَبِيلاً وتَدعُ أستاذَا
 لو مَعْبِداً أو غَرِيضَه لَحَقَا لكانَ عن ذَا وَذاك أَخْداذا
 ولا تُبالِ أبا العلامِ زها بخمرِ قَطْرُبُلٍ وَكَلْواذا
 ما دامَ من أرمِلاطِ مَشْرَبُنَا مَن ٢٠ دَيْرِ عَمّا وَطِيزَناباذا ٢١؟

وكان المنصور قد عزم ذلك اليوم على الانفراد بالعيال، فأمر بإحضار الأصحاب، وأحضر الوزير أبا مروان، وأخذوا في شأنهم، فمرّ لهم يوم من الطيب لم يشهد، والوثة من اللهو لم تعهد، وطما الأمر وسما حتى تصايح القوم وتزافنوا، ودار الدور، ثم انتهى إلى الوزير ابن شهيد، وكان لا يطيق القيام لينقرس، كان يلازمه، فأقامه الوزير أبو عبد الله بن عياش، فارتجل الشيخ أبياتاً جعل يقود بها ويستشد:

١ ص: به؛ والضمير عائد إلى «الشمول» يريد ادع من سمي بهذا الاسم، وهو مفعول اسمه «شمول» كما يتضح من البيت التالي.

٢ النفع: دع.

٣ أرملاط: (Guadimellato)، يتكرر ذكرها في عدة مواطن من البيان المغرب؛ ولم يذكر دير عمى عند ياقوت والبكري والشابثي والروض المعطار. وذكر ياقوت دير همان (ومعناه دير الجماعة) بنواحي حلب، والتسمية مشبهة أيضاً لدير عمى، فإن كان في الاسم تحريف فلهل «دير قى»؛ وطييزناباد: منزلة للهو بين الكوفة والقادسية يتكرر ذكرها في شعر أبي نواس مع قطربل وكلواذى.

٤ التزافن: الرقص.

٥ النفع ٣: ٢٦١ وبدائع البدائه: ٣٥٥ واسم الوزير الذي أنهض ابن شهيد: «أبو عبد الله بن عباس» وانظر القسم الأول: ٢١٠.

هَاكَ شَيْخٌ قَادَهُ عُدَّتُهُ لَكَ^١ قَامَ فِي رَقْصَتِهِ مُسْتَهْلِكَا
 لَمْ يُطِيقْ يَرْقُصُهَا مُسْتَنْبِتَا فَانْتَى يَرْقُصُهَا مُسْنَمِكَا
 عَاقَهُ مِنْ هَزَا مُعْتَدِلَا^٢ نَقَرَسُ^٣ أَنْحَى عَلَيْهِ فَانْتَا
 طَرِبَ اللَّهُوْ وَقَدْ حَقَّ لَهُ^٤ طَرِبَا أَرْمَضَهُ^٥ حَتَّى اشْتَكَى [٣٦]
 مِنْ وَزِيرٍ فِيهِمْ رَقَاصَةً قَامَ سِنَّ طَيْبٍ يُنَاغِي مَلِكَا
 أَنَا لَوْ كُنْتُ كَمَا تَعْرِفُنِي قَمْتُ لِإِجْلَالَا عَلَى رَأْسِي لَكَ
 قَهْقَهَةَ الْإِبْرِيْقُ مِنْ ضَحِكَا وَرَأَى رِعْشَةً رَجُلِي فَبَكَى

وكان أيضاً في أصحاب ابن شهيد رجلٌ بَغْدَادِي يُعْرَفُ بِالْكَكَ ،
 لَهُ نَوَادِرُ تَضْحِكُ ، فَحَضَرَ مَعَهُ فِي بَعْضِ مَجْلِسِ الْأَنْسِ . وَقَدْ أَلَحَّ عَلَيْهِ
 وَجَعُ النَّقَرَسِ فَجَعَلَ يُصَلِّي الصَّلَوَاتِ كُلَّمَا حَانَتْ وَاحِدَةً بَعْدَ أُخْرَى
 جَالِساً ، وَكَانَ عِنْدَهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ أَحَدُ أَصْحَابِ الْمَنْصُورِ مِمَّنْ يَعْرِفُ عَلَيْهِ
 وَيَكْرَهُ لَدَيْهِ . فَلَمَّا حَمَى الْوَطَيْسَ ، وَأَنْسَ الْجَلِيسَ . وَطَابَ الْمَجْلِسُ .
 وَدَارَتِ الْأَكْوَاسُ ، وَنُسِيَّتْ أَوْجَاعُ النَّقَرَسِ . وَقَامَ ذَلِكَ الصَّاحِبُ
 الْجَلِيسُ يَرْقُصُ ، وَدَارَ الدَّوْرُ حَتَّى انْتَهَى إِلَى ابْنِ شَهِيدٍ ، فَقَامَ يَرْقُصُ
 مُعْتَمِداً عَلَى عَادَتِهِ ، فَقَالَ لَهُ الْبَغْدَادِي : اللَّهُ دَرَكُ يَا وَزِيرَ ! تُصَلِّي بِالقَاعَةِ
 وَتَرْقُصُ بالقائمة ! فَطَابَ الْمَجْلِسُ بِهَذَا الْكَلَامِ ، وَتَمَّ حَسَنُهُ أَكْمَلَ تَمَامٍ ،

١ ص : له .

٢ النفع والبدايع : منفرداً .

٣ ص : أمرضه .

٤ النفع والبدايع : قام للسكر .

٥ النفع : بالفكيك .

وخلع ابن شهيد على الكك ، وانتهى الخبر إلى المنصور ، فذهب به كل مذهب الضحك .

وكان ابن أبي عامر كثيراً ما يرتاح إليه ، ويوالي الإحسان عليه ؛ انصرف مرة من غزوة تختلف عنها ابن شهيد لعذره ، فكتب إليه من جملة أبيات^١ :

أنا شيخ والشيخ يهوى الصبايا فبنفسي أفيك كل الرزايا
ورسول الإله أسهم في الفبي لمن لم بحث فيه المطايا

فأجابه ابن أبي عامر :

قد بعثنا بها كشمس النهار في ثلاث من المها أبقار
وامتحننا بعذرة الغيد إن كُنْ ت توخى^٢ بوادر الاعذار
فاتتد واجتهد^٣ فلانك شيخ قد جلا الليل عن بياض النهار^٤
صانك الله من كلالك فيها فمن العار كلفة المسمار

فاقتضهن الشيخ من ليلته ، وكتب إليه بكرة :

١ الخلة ١ : ٢٧٦ والنفع ١ : ٤٠٠ ، ٥٨٥ والبيان المغرب ٢ : ٣٠٠ وتحفة العروس : ٨٤ (عن الذخيرة) .

٢ النفع : ترجمي .

٣ النفع : فاجتهد وابتدر .

٤ الخلة : خفي الليل عن بياض النهار .

قد فَضَّضْنَا خِتَامَ ذَاكَ السَّوَارِ ١
وَصَبَّوْنَا فِي ظِلِّ أَطْيَبِ عَيْشٍ ٢
وَقَضَى الشَّيْخُ مَا قَضَى بِجُسَامٍ
فَاصْطَلَبْنَاهُ فَلَيْسَ يَجْزِيكَ كُفْرًا
وَاصْطَبَغْنَا مِنْ النَّجِيعِ الْجَارِي
وَلَعَيْنَا بِالْذَّرِّ أَوْ بِالذَّرَّارِي
ذِي مَضَاءٍ عَضْبِ الظُّبَا بَتَّارِ
وَاتَّخِذْهُ فَحَلَا عَلَى الْكُفَّارِ

وأهدى له ابن أبي عامر محفة خيزران إذ نفرس ، فقال :

لِللَّهِ نَفْسُكَ فَهِيَ أَزْكَى الْأَنْفُسِ
عُنَيْتُ بِحَالِي كَلَّتْهَا حَتَّى لَقَدْ
فَتَخَيَّرْتُ لِي إِذْ شَكْتُ قَدَمِي الْوَتَى
لَا فِي الْعِتَاقِ وَلَا الشَّوَاحِجِ تَنْتَهِي
إِنْ أَهْمَيْتُ لَمْ تَنْبَعْثْ أَوْ أَجْهَدْتُ
مَحْبُوكَةً مِنْ خَيْزُرَانَ مَائِسٍ
وَيَحْفَتِي فِيهَا إِذَا اسْتَمَطَّيْتُهَا
عَقَدْتُ عَلاهَا بِالْجَوَارِي الْكُنُتْسِ
عُنَيْتُ مَكَارِمَهَا بِعَلَّةِ نِقْرَسٍ
عَلَيَا مَطْيَةِ رِحْلَةٍ لَمْ تُحْبَسِ
نَسَبًا وَلَا هِيَ بِالْأُمُونِ الْعِرْمَسِ
لَمْ تَعْتَذِرْ أَوْ أُحْرِجْتُ لَمْ تُشْمِسِ
لَدُنْ مَهْزَنَةِ كَرِيمِ الْمَغْرَسِ
بِيضُ الْوُجُوهِ هَبَاتُ أَرْوَعِ أَشْوَسِ

وَدَخَلَ صَاعِدٌ يَوْمًا عَلَى الْمَنْصُورِ فَلَمَّا وَصَلَ إِلَيْهِ ، وَجَدَ عَوْدًا بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَقَالَ لَهُ الْمَنْصُورُ : قَدْ تَوَاتَرَ الْخَبْرُ ، وَتَحَدَّثَ عَنْكَ الْبَشَرُ ، أَنْتَ قَدْ رُدَّ فِي عِلْمِ الْمَوْسِمِيِّ ، وَقَدْ أَرَدْتُ غَيْرَ مَرَّةٍ الْإِنْبِسَاطَ مَعَكَ سِرًّا فِي ذَلِكَ . فَشَقَّ الْأَمْرُ عَلَى صَاعِدٍ هُنَاكَ . وَلَمْ يَجِدْ مَنْ مَحِيدٍ عَنْ أَخْذِ الْعُودِ ،

١ هكذا في الأصل والمصادر . وقد تكون قراءته « الصوار » وهو وعاء المسك ، كما قدر ذلك محققو الطبعة المصرية .

٢ النفع : وصبرنا على دفاع وحرب ؛ الحلة : ونعمنا في ظل أنعم ليل .

فتناولته وجسّ أوتاره وسوّى تسويةً أطربت ابن أبي عامر ، ثم اندفع
بُنشده بيّتي مجنون بني عامر :

أبى القلبُ إلّا حبّها عامريّةً لها كُنيّةٌ عمرو وليس لها عمرو
تكادُ يدي تندي إذا ما لمسّتها وينبتُ في أطرافها الورقُ الخضرُ

فغضبَ ابنُ أبي عامرٍ وتسوّر ، لتوهّمه أنه عرّض بحبرٍ ، وقال له :
يا أبا العلاء ، أبا لإخوة عرّضت أم بالأبناء ؟ وهذه إشارة رئيس أنف
من أن يجاوبه ، على مغزى ما خاطبه ، فأخرج الجواب على التذكير ،
همّة إمامٍ غيور .

وذكرت بهذا الحديث ما ذكره بعضُ الرواة عن المعتصم أنّه قال
يوماً للقاضي ابن أبي دواد : أتعلم أن أبا دُلف^٣ من المغنّين الأفراد ، وإن
كان من الشجعان الأنجاد ؟ قال القاضي : فكيف بسماعه ؟ فأحضره المعتصم ،
وخبأ ابن أبي دواد ، وعزم عليه في الغناء . فلما اندفع يُغني هتكت
الستارة ، فخرجَ أبو دُلف وقال : أجبروني أعزّ الله القاضي . قال له
ابن أبي دواد : يا ماجنُ ، هبّهم أجبروك على أن تُغني فمَن أجبرَكَ على
الإحسان ، فقال أبو دُلف : ويربّي منكَ أيّها القاضي معرِفَتكَ بمحاسنِ
الألحانِ وتآلفِ الأوزان ! !

١ ديوان المجنون : ١٣٠ ويورد البيهقي قصيدة أبي الصخر الهذلي (الأمازي : ١ : ١٤٨) وورد

الثاني وحده لأبي الصخر في شعر الهذليين ٢ : ٩٥٧ .

٢ ص : أوراقها .

٣ هو القاسم بن عيسى بن إدريس العجلي ، وانظر من شهرته في الشعر والغناء زهر الآداب :

١٠٦٧ والأغاني ٨ : ٢٤٦ والحكاية فيه ص : ٢٤٩ بالمعنى دون اللفظ .

وكان صاعداً [كثيراً] ما تُستغربُ له الألفاظُ ويُسألُ عنها فيُجيبُ
 عن ذلك أسرعَ جوابٍ . على نحوِ ما يُحكى عن أبي عمر الزاهد . ولولا
 أنه كان كثيرَ المزاح لما [٣٧] حُمِلَ إلّا على الصدق. دَخَلَ^٢ يوماً على المنصور
 وبِيدِهِ كِتَابٌ وردَّ عليه من عاملٍ له اسمه مَسِيدمان^٣ بن يزيد من أهل
 يابرة ، يذكرُ فيه القلبَ والتزبيل^٤ ، وما عندهم من مُعاناةِ الأرضِ قبل
 زرعها^٥ ، فقال له : يا أبا العلاء . وقعَ إليّ من الكتبِ كتابُ القوالبِ
 والزوالبِ لميدمان بن يزيد . قال : نعم رأيتُهُ في نسخةِ أبي بكرٍ بن دُرَيْدٍ
 بخطِّ كأكرُع النملِ : في جوانبها علاماتُ الوُضَاعِ^٦ . فقال له : أما
 تَسْتَحْيِي مِن هَذَا الكَذِبِ ! ! هَذَا كتابُ عاملينا ببلدِ يابرةَ ، يُعَلِّمُ
 بالذي تقدّمَ ذِكْرُهُ من صِفَةِ الأرضِ ، وإنما صنعتُ هذا تَجَرُّبَةً لك :
 فجعلَ يَحْلِفُ أَنَّهُ ما كَذَبَ وأنه أمرٌ وافق .

وقال^٧ له المنصور يوماً : ما الخبشار في اللغة ؟ قال : حَشِيشَةٌ يُعَقَدُ بها
 اللبنُ بباديةِ الأعرابِ . وفي ذلك يقول شاعرهم :

-
- ١ ص : أبو عامر ؛ أبو عمر الزاهد هو محمد بن عبد الواحد اللغوي غلام ثعلب (- ٣٤٥)
 وكان جماعة يكذبونه في أكثر رواياته ، وكان الطلبة يسألونه أسئلة مصنوعة ملفقة كتلك
 التي امتحن بها صاعد (انظر انباء الرواة ٣ : ١٧١ - ١٧٧ وفي الحاشية ذكر لمصادر أخرى) .
 ٢ القصة في الجذوة : ٢٢٤ والنفع ٣ : ٩٨ .
 ٣ الجذوة والنفع : مبرمان .
 ٤ ص : والتزبيل .
 ٥ ص : زراعها .
 ٦ زاد في الجذوة : هكذا ، هكذا .
 ٧ نفع الطيب ٣ : ٨١ .

لقد عَقِدَتُ محبتها بقلبي كما عَقِدَ الحليبُ بجنِّشارِ
وقال له مرةً ١ وقد قُدِّمَ طبقٌ فيه تمرٌ : ما التَّمَرُ كُلُّ في كلامِ العربِ ؟
[فقال] : يُقالُ تَمَرُ كُلَّ الرجلُ تَمَرُكُلًا إذا التَفَّ في كسائه .

وكان مع ذلك عالماً ؛ حَدَّثَ العاصِمِيَّ النَحْوِيُّ قال ٢ : لما سألناه مراراً
عن مَسائِلَ من النَحْوِ بِحُضرةِ المنصورِ فَقَصَّرَ فيها ، قال ابن أبي عامر :
فإنَّه من طَبَقَتِي في النَحْوِ أنا أناظره . ثُمَّ سألنا صاعداً يوماً فقال : ما مَعْنَى
قولِ امرئ القيسِ :

كَأَنَّ دِمَاءَ الهادياتِ بَنَحَرِهِ عَصَاةُ حَنَنَاءِ بِشَيْبِ مَرَجَلٍ

فقلنا هذا واضح ، وإنَّما وصفَ فَرَساً أَشْهَبَ عُنُقَرت عليه الوحشُ
فَتَطَايَرَ دَمُها إلى صَدْرِهِ فجاءَ هَكَذَا . فقال صاعداً : سَبَّحانَ الله ! أَتَسَيِّمُ
قوله قبلَ هذا في صِفَتِهِ :

كَمَيِّتٌ يَنْزِلُ الأَبَدُ عن حالِ مَتْنِهِ كما زَلَّتِ الصَّفْوَاءُ بالْمَتَنَزَّلِ

قال فبُهِتْنَا وكأنا لم نَقْرَأَ البَيْتَ قَطْ : وقد اضْطَرَّرنَا إلى سؤاليه ،
فقال : إنَّما عني أَحَدَ وَجْهَيْنِ : إمَّا أَنَّهُ نَضَّجَ صدرُهُ بالعَرَقِ وعَرَقُ الخيلِ
أَبْيَضُ ، فجاءَ مع الدمِ كَالشَّيْبِ ، وإمَّا أَشْيَاءَ كانتِ العربُ تَصْنَعُها وذلك

١ الجذوة : ٢٢٥ والنفع ٣ : ٨٢ .

٢ الجذوة : ٢٢٥ .

٣ فانت هذه الملاحظة شراح المعلقة ، فقد قال ابن الأنباري (الصنع الطوال : ٩٢) أراد أنه يلحقها فيطعنها فتصيب دماؤها نحره ، وقوله : بشيب مرجل : معناه بشيب قد غسل عنه الحناء فرجل .

أنها كانت تسمُّ باللبنِ الحارِّ في صدرِ الحبلِ فَيَتَمَعَّطُ ذلك الشعرُ ،
ويَنبَتُ كأنَّه شعرٌ أبيضُ ، فأبنا ما عني من أحدِ الوجهين فالوصف مستقيم .

وكان^١ لابن أبي عامرٍ فقيٌّ يُسَمَّى فاتناً أوحدٌ لا نظيرَ له في علمِ كلامِ
العربِ ، وكلِّ ما يتعلقُ بالأدبِ ، فناظرَ صاعداً بين يديه ، فظَهَرَ عليه ،
وبكَّتته حتى أسكته ، فازداد المنصور به عُجباً ، وكان فاتنٌ حسنَ الخطِّ ،
واسعَ المعرفةِ ، فصيحَ اللسانِ ، حاضرَ الجوابِ ، إلى عفافِ طُعْمَةٍ ،
ونزاهةِ نفْسٍ ، وجمالِ صورةٍ . وكان ممن تُباهي الملوك بخدمتهِ ،
وتستريح إلى حلِّمه . وتوفِّي هذا الفقيُّ فاتنٌ سنة اثنتين وأربعمئة ، وبيعت
في تركته قطعةُ دفاترٍ أدبيَّةٍ حسنةِ الضبطِ دلَّت على جودَةِ عنايته . وكان
منقاداً لما نزلَ به من المُثَلَّةِ ، فلم يتخذ النساء ولا كَشَفْنَ له عَوْرَةٍ .

وكان في ذلك الزمانِ بقرطبةَ جُملةٌ من الفتيانِ المجايِبِ ، ممن أخذَ
من الأدبِ بأوفرِ نصيبٍ . ورأيتُ تأليفاً لرجلٍ منهم يدعى بحبيبٍ مُترجماً
: « كتاب الاستظهار والمغالبة على من أنكرَ فضائل الصقالبة » وذكرَ فيه
جُملةٌ من أشعارهم ونوادر أخبارهم . منهم عمارةُ الصَّقْلبي الفقي
الكبير ، والصَّقْلبي ميسور ، ، ونَجْمُ الوصيف ، وغيرهم ممن يشتملُ
عليه ذلك التصنيف ، وشعرُهم خارجٌ من شَرَطِنَا ، وليس مِن جمَعِينَا .

ومن^٢ عجائب الدنيا الغريبةِ الوقوع ، العَجِيبَةِ المسموع ، أن صاعداً
أهدى إلى المنصور يوماً إيتلاً وكتب معه بأبياتٍ يقول فيها :

١ نفع الطيب ٣ : ٨٢ .

٢ الجذوة : ٢٢٦ والنفع ٣ : ٨٢ والأبيات أيضاً في انباء الرواة ٢ : ٨٨ والمعجب : ٨٢

والريحان والريحان ١ : ١٥٤ ب .

يا حِرَزَ كُلِّ مَخْوَفٍ وَأَمَانَ كُلِّ مُشْرَدٍ وَمُعِزَّ كُلِّ مُدْتَلٍ
عَبْدٌ جَذَبَتْ بِضَبْعِهِ وَرَفَعَتْ مِنْ مِقْدَارِهِ^١ أَهْدَى إِلَيْكَ يَابِلَ
سَمِيَّتُهُ غَرْسِيَّةً وَبَعَثَتْهُ فِي حَبْلِهِ لِيُتَاحَ فِيهِ تَفَاؤُلِي

فقضي في سابقِ علمِ الله تعالى وَقَدَرِهِ أَنْ غَرْسِيَّةَ بْنِ شَانَجُهُ مِنْ مُلُوكِ
الرُّومِ ؛ وَهُوَ أَمْنَعُ مِنَ النُّجُومِ . أُسِرَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ بَعَيْنُهُ الَّذِي بَعَثَ فِيهِ صَاعِدٌ^٢
بِالْإِبِلِ وَسَمَّاهُ غَرْسِيَّةً عَلَى التَّفَاؤُلِ بِأَسْرِهِ . وَكَانَ أُسْرُهُ فِي رَبِيعِ الْأَوَّلِ^٣
سَنَةِ خَمْسٍ وَثَمَانِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ . وَهَكَذَا يَكُونُ الْجَدُّ لِلصَّاحِبِ وَالْمُصْحُوبِ .

وَدَخَلَ^٤ يَوْمًا صَاعِدٌ عَلَى الْمَنْصُورِ فِي يَوْمٍ مَطِيرٍ ، وَعَلَيْهِ ثِيَابٌ جَدُّدٌ
وَحُفَّتْ طَرِيٌّ ، فَمَشَى عَلَى حَاشِيَةِ الصَّهْرَبِيجِ لِازْدِحَامٍ مِنْ حَضَرٍ فَزَلِقَ
وَسَقَطَ فِي الْمَاءِ ، فَضَحَكَ الْمَنْصُورُ وَأَمَرَ بِإِخْرَاجِهِ . وَكَادَ الْبَرْدُ يَأْتِي عَلَيْهِ .
فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهِ [٣٨] أَمَرَ بِخَلْعِ ثِيَابِهِ لَهُ ، وَأَدْنَى مَجْلِسَهُ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ : يَا أَبَا
الْعَلَاءِ هَلْ قُلْتَ فِي سَقَطَتِكَ شَيْئًا ؟ فَأَطْرَقَ ثُمَّ قَالَ :

شَيْثَانٍ كَانَا فِي الزَّمَانِ غَرِيبَةً ضَرَطُ ابْنٍ وَهَبٍ ثُمَّ زَلَقَةً^١ صَاعِدٍ
فَاسْتَبْرَدَ مَا أَتَى بِهِ ؛ وَكَانَ الْكَاتِبُ أَبُو مَرْوَانَ الْجَزِيرِيُّ حَاضِرًا ، فَقَالَ
لَهُ : يَا أَبَا الْعَلَاءِ هَلَّا قُلْتَ :

١ المصحب والجلوة : نثلت بضبعه وغرسته في نعمة .

٢ الجلوة : ربيع الآخر .

٣ نفح الطيب ٣ : ٥٩ والمغرب ١ : ٣٢٢ .

٤ النفح : وقعة .

سُرُوري بَعْرُتِكَ المُشرِقَةِ وديمة راحتِكَ المَغْدَقَةِ
ثَنائي نَشْوانٍ حتَّى هَوَيْتُ في لُجَةِ البِيرِكَةِ المُطْبِقَةِ
لَنْ ظَلَّ عَبْدُكَ فيها الغَرِيقَ فِجودُكَ من قَبْلِ ذَا أَعْرَقَهُ

فَقَالَ لَهُ المَنْصُورُ : لَهِ دَرْكُ يَا أبا مَرْوَانَ ، قِيسَنَّاكَ بِأَهْلِ العِراقِ
فَفَضَّلْتَهُمْ فَبِمَنْ تُقَاسُ بَعْدَ ! فَأَنهَضَ الجَزِيرِيُّ لِلشَّرْطَةِ .

وَقَدْ فَرَّقَ^١ حَدَثًا قُ التَّنَظَّرَ بَيْنَ البَدِيهِ والارْتِجالِ ، فَجَعَلُوا الِارْتِجالَ
مَا كَانَ عَلَى طَرِيقِ الانْهَمَارِ والتَدَفُّقِ لَا يَتَوَقَّفُ فِيهِ قَائِلُهُ ، كَالَّذِي وَقَعَ
لِلْفَرَزْدَقِ إِذْ أَمَرَهُ سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ المَلِكِ بِضَرْبِ عُنُقِ أُسَيْرِ رُومِي ،
وَدَسَّ إِلَيْهِ بَعْضُ بَنِي عَبَّاسٍ سَيْفًا كَهَامًا فَنَبَّاحِينَ ضَرَبَ بِهِ ، وَضَحِكَ
سُلَيْمَانُ ، فَقَالَ الْفَرَزْدَقُ^٢ :

فَإِنْ يَكُ سَيْفُ خَانَ أَوْ قَدَرُ أَبِي	لَتَأْخِيزَ نَفْسَ حَيِّسِنُهَا ^٣ غَيْرُ شَاهِدٍ
فَسَيْفُ بَنِي عَبَّاسٍ وَقَدْ ضَرَبُوا بِهِ	نَبَّاحِينَ بِيَدِي وَرَقَاءَ ^٤ عَنْ رَأْسِ خَالِدٍ
كَذَاكَ سَيُوفُ الهِنْدِ تَنْبُو ظُبَاتُهَا	وَيَقْطَعْنَ أَحْيَانًا مَنَاطَ القَلَائِدِ
وَلَوْ شِئْتُ قَطَّ السَّيْفُ مَا بَيْنَ أَنْفِهِ	إِلَى عِلَاقِ دُونَ الشَّرَاسِيفِ جَاسِدٍ

ثُمَّ جَلَسَ وَهُوَ يَقُولُ :

١ متابع للعمدة ١ : ١٨٩ .

٢ انظر إلى جانب العمدة : طبقات ابن سلام : ٤٠٠ والنقائض : ٣٨٤ .

٣ ابن سلام : حنفيها .

٤ هو ورقاء بن زهير بن جذيمة العبسي ، ضرب خالد بن جعفر بن كلاب فلم تؤثر فيه الضربة .

٥ النقائض : ٣٨٣ وابن سلام : ٤٠٢ .

ولا نَقْتُلُ الأسرى ولكن نفكّهم إذا أنقل الأعناق حملُ المغارم.

ومن غريب البديهة خَبَرُ حبيب ، مع الكِندي يَعْقوب ، وقد أنشد أحمد ابن المعتصم^٢ قوله :

إقدامُ عمرو في سماحة خالدٍ في حِلْمٍ أحف في ذكاءٍ لإياس

فقال له الكندي : ما صنعتَ شيئاً فإنَّ الأميرَ أفضلُ ممّن ذكّرت ، وما هؤلاءٍ وقدرهم ؟ فأطرقَ ثم قال :

لا تُنكروا غمّ ربّي له من دُونِهِ مثلاً شرّوداً في الندى والباسِ
فالله قد ضربَ الأقلَ لنوره مثلاً من المِشكاة والنّبراسِ

فتعجّب من بديهيته يومئذٍ لأنّه كان رجلاً مُصنّعاً لا يجبُ أن يكونَ هذا في طبعه . وقد قيل إنَّ الكندي لما خرج حبيب قال : أرى هذا الفتي يموتُ شاباً لأنَّ ذكاءه يُنحِتُ عُمره كما يأكلُ السيفُ الصّقلُ غِمدَه . فكان ذلك كذلك ، ماتَ وقد نيّف على الثلاثين . وكان أبو الطيب كثيرَ البديهة إلا أنَّ شِعْره نازلٌ فيه . وأهلُ الشعرِ في ذلك في سعةٍ من العُذر ، إذ هو كما قال ابن الرومي^٣ :

نارُ الرّويّةِ نارٌ جيّدٌ مُنضِجَةٌ وللبديهةِ نارٌ ذاتُ تلوّيجِ
وقد يُفضّلها قومٌ لسرعتها لكنّها سرعةٌ تمضي مع الرّيحِ

١ العمدة ١ : ١٩٢ وانظر أخبار أبي تمام : ٢٣٠ - ٢٣٢ .

٢ ص : المأمون .

٣ العمدة ١ : ١٩٣ وديوان ابن الرومي : ٥٦٧ وبدائع البداهة : ٩ والشريشي ١ : ١٢٢ .

وقال ابن المعتز^١ :

والقولُ بعدَ الفكرِ يؤمِّنُ زِيغُهُ شَتَّتَانِ بَيْنَ رَوِيَّةٍ - وَبَدِيهِ

ومن الشعراء^٢ مَنْ شعرُهُ فيهما وعندَ الأمنِ والخوفِ سَوَاءٌ ، بمقدارِ
قُدْرَةِ كُلِّ أَحَدٍ ، وَسُكُونِ جَنَاشِهِ ، وَقُوَّةِ غَرِيزَتِهِ ، كَهُدْبَةِ بَنِ
الْحِشْرَمِ ، وَطَرَفَةِ بَنِ الْعَبْدِ ، وَمُرَّةِ بَنِ مَحْكَاكِ السَّعْدِيِّ ، إِذْ يَقُولُ
وقد أمرَ مُضْعَبُ بْنُ الزُّبَيْرِ بِقَتْلِهِ^٣ :

بني أسدٍ إنْ تَقْتُلُونِي تُحَارِبُوا تَمِيمًا إِذَا الْحَرْبُ الْعَوَانِ اشْمَعَلَتْ
ولستُ وإنْ كَانَتْ لِي حَبِيبَةً بِسَبَاكِ عَلَى الدُّنْيَا إِذَا مَا تَوَلَّيْتُ

وكعبندٍ يَغُوثٌ إِذْ أُعْطِيَ فِي نَفْسِهِ لَبْنِي تَمِيمٍ أَلْفَ نَاقَةٍ فَأَبَوْا إِلَّا
قَتْلَهُ ، وَكَانُوا قَدْ شَدُّوا لِسَانَهُ خَوْفًا مِنَ الْهَجَاءِ ، فَعَاهَدَهُمْ فَأَطْلَقُوهُ لِيُنَوِّحَ
عَلَى نَفْسِهِ ، فَقَالَ الْقَصِيدَةُ الَّتِي أَوَّلَهَا^٤ :

أقول وقد شدُّوا لساني بنسعة أمعشرَ تميمٍ أطلقوا عن لساني
فيا راكباً إمّا عَرَضْتَ فبَلِّغْنِي نَدَامَايَ مِمَّنْ تَجْرَانِ أَلَّا تَلَاقِيَا

وتميم بن جَمِيلٍ السَّدُوسِيُّ^٥ وكان قامَ بِشَاطِئِ الْفُرَاتِ ، واجتمعَ

١ العمدة : ١٩٣ وبدائع البديع : ٩

٢ لا يزال متابعاً للعمدة ١ : ١٩٣ .

٣ الكامل ١ : ١٩٩ .

٤ هي المفصلة رقم : ٣٠ وانظر النقائص ١ : ١٧٣ والبيت الذي أورده ليس مطلقاً لها .

٥ مع أن الإشارة إلى الخبر والأبيات قد وردت في العمدة ١ : ١٩٤ - ١٩٥ إلا أن المؤلف

هنا يتابع زهر الآداب : ٨٧٤ .

إليه الأعرابُ وغلطَ أمره ، فظفّر به وحُمِلَ إلى بابِ المعتصم ، فلما
 مثَّلَ بين يديه ، وكان وسيماً جميلاً ، فأحبَّ المعتصم أن يعلمَ أين
 المنظرُ من المخبر ، قال له : تكلمْ ، فقال بعد أن حمِدَ الله ودعا للمعتصم :
 إنَّ الذُّنُوبَ تُخَرِّسُ الألسنةَ ، وتُعمِّي الأفئدةَ ، ولقد عظمتَ الجريرةُ
 وانقطعت الحُجَّةُ وساءَ الظنُّ ، ولم يبقَ إلَّا العفو أو الانتقام ، وأرجو أن
 يكونَ أقربُهُمَا مِنِّي وأسرعهما إليَّ أشبهَهُمَا بك ، وأولاهُما بكرَمِكَ .
 ثم قال وقد كان قدَّم [٣٩] السيف والنِيطعُ لقتله :

أرى الموتَ بين السيفِ والنِيطعِ كامناً	بُلاحيظني مِن حَيْثُما أتلفتُ
وأكبرُ ظني أنَّكَ اليومَ قاتلي	وأني أرى ممّا قضَى اللهُ يُقلتُ
وأني أرى يدلي بعذرٍ وحُجَّةٍ	وسيفُ المنايا بين عَيْنَيْهِ مُصلَّتُ
بِعِزِّ عليٍّ الأوسِ بن تغلبٍ موقِفُ	يُهزُّ عليَّ السيفُ فيه واسكتُ
فما حزّني أني أموتُ ^١ وإنتي	لأعلمُ أنَّ الموتَ شيءٌ موقَّتُ
ولكنَّ خلفي صبيبةٌ قد تَرَكتُهُم	وأكبّادُهُم من حَسرةٍ تفتتُ
كأنِّي أراهم حين أنعى إليهم	وقد خَمَشُوا تلكَ الوجوهَ وصوتوا
فإنَّ عشتَ عاشوا خافِضِينَ ^٢ بنعمةٍ	أزودُ الردى عنهم وإنَّ ميتٌ موتوا
فكم قاتلٍ لا أبعدَ اللهُ دارَهُ	وأخَّرَ جَدُّ لَانٍ يُسرُّ ويَسْمَتُ ^٣

فعفا عنه المعتصمُ ، وأحسنَ إليه وقلَّدهُ عملاً . وعلي بن الجهم الذي
 قال ارتجالاً وقد صُلِبَ عُرْياناً^٣ :

١ زهر الآداب : وما جزى من أن أموت .

٢ زهر الآداب : سالمين .

٣ الممددة ١ : ١٩٥ وديوان علي بن الجهم : ١٧١ (وفيه تخريج المصادر) .

لم يَنْصَبُوا بِالشَّاذِ بِاخٍ عَشِيَّةَ الِ إِثْنَيْنِ مَقْلُولًا وَلَا مَجْهُولًا
نَصَبُوا بِحَمْدِ اللَّهِ مِلَّةَ عِيُونِهِمْ حُسْنًا وَمِلَّةَ قُلُوبِهِمْ تَبْجِيلًا
مَا ضَرَّهُ أَنْ بَزَّ عَنْهُ غِطَاؤُهُ فَالسَّيْفُ أَهْوَلُ مَا يُرَى مَسْلُولا

إلى غير ذلك من غرائب أهل المشرق .

فأما ما جاء في هذا الباب لأهل عصرنا بهذا الأفق ، فكالذي وقع
لأبي عامر بن شهيد القرطبي^١ مع لُحمة من أصحابه ، فإنه حكى أنهم
قالوا له : يا أبا عامر إنك آت بالعجائب ، وجاذب بدوائب الغرائب ،
ولكنك شديد الإعجاب بما يأتي منك لعطف الزهو عند النادرة تتاح
لك ، ولكن نريد أن تصف لنا مجلسنا هذا . وكان الذي طلبوه منه
يَوْمئذٍ زُبْدَةُ التَّعْنِيتِ ، وَمُحَّةَ بَيْضَةِ التَّبَكُّيْتِ ، لأنَّ المعنى الجلف إذا
لم يَطْبُ على النفس ، وتناولته المحسِّنُ أساء فيه ، وكانت هيئة ذلك
المجلس وصِفَتُهُ مما يقتل لَبَرْدَهُ . وهيئةُ لا يَتَمَكَّنُ فيها كلامٌ ولا
يَتَرَكَّبُ عليها معنى : بابٌ غريبٌ مُعَرَّضٌ في المجلس ، ولَبْدٌ أحمرٌ
مبسوطٌ على أرضه ، وصُدُورٌ أخفافهم على حاشيته . وذكر أبوابه وانضمامها
على أرجله فقال :

وفتية كالنجوم حُسْنًا كلُّهُمْ شاعرٌ تَبِيلٌ
مُتَقَدُّ الجانِبَيْنِ ماضٍ كأنه الصَّارِمُ الصَّقِيلُ
راموا انصرافي عن المعالي والغربُ مِن دُونِهَا فليلٌ^٢

١ نقله المقرئ في النفع ٣ : ٢٤٥ وابن ظافر في بدائع البدائع : ٣٠٤ وانظر ديوان ابن

شهيد : ١٢٧ . والشريشي ٤ : ١٧٠ .

٢ النفع والبدائع : والغرب من دونها كليل .

فاشْتَدَّ في إثرها مِسْحٌ^١ كلُّ كثير بها قليل
 في مجلس شابه^٢ التصابي وطارَدَتْ وصفه العقول
 كأنما بابه^٣ أسيرٌ قد عَرَضَتْ وَسْطَهُ نُصُولُ^٤
 يُرَادُ مِنْهُ المقالُ قَسْرًا وهو على ذاك لا يقول
 يَنْظُرُ مِنْ لِبْدِهِ لَدَيْنَا بَحْرُ دَمٍ تَحْتَهُ يَسِيلُ
 كَانَ أَخْفَافَنَا عَلَيْهِ مَرَاكِبٌ مالها دليل
 ضَلَّتْ فَلَمْ تَدْرِ أَيْنَ تَجْرِي فهي على شَطْطِهِ تَقِيلُ

وافْتَقَ^٥ أن خَرَجَ من عندهم فاجْتَازَ بِحَانُوتِ بَعْضِ مَعَارِفِهِ مِنْ
 الطَّرَائِفِيِّينَ^٥ وَبَيْنَ يَدَيْهِ رَامِشَةٌ جَمِيلَةٌ فِي زَنْبِيلٍ مَلَّانَ حَرَشَفًا ، فَجَعَلَ
 يَدَهُ فِي لِحْجَامِ دَابَّةِ ابْنِ شُهَيْدٍ وَقَالَ لَهُ : صَفْ هَذَا أَبَا عَامِرٍ ،
 فَإِنَّ صَاعِدًا رَامَ وَصَفَ ذَلِكَ لِابْنِ أَبِي عَامِرٍ فَلَمْ يَأْتِ بِشَيْءٍ غَيْرِ ذِكْرِ
 الْحَرَشَفِ . فَقَالَ ابْنُ شُهَيْدٍ وَهُوَ عَلَى ظَهْرِ دَابَّتِهِ :

هَلْ أَبْصَرْتَ عَيْنَاكَ يَا خَلِيلِي قَسْنَا فِذَا تَبَاغَ فِي زَنْبِيلِ
 مِنْ حَرَشَفٍ مُعْتَمِدٍ جَلِيلِ ذِي لِبَرٍ تَسْفُدُ جِلْدَ الْفِيلِ
 كَأَنَّهَا أَنْيَابُ بِنْتِ الْغُولِ لَوْ نَخَسْتَ فِي اسْتِ امْرِئٍ ثَقِيلِ
 لَقَفَزَتْهُ نَحْوَ أَرْضِ النِّيلِ لَيْسَتْ تَرَى طَيِّ حَشَا مَنْدِيلِ

١ في البدائع وأصول النفع : فالشد في أمرها فسيح .

٢ البدائع والنفع : زانه .

٣ البدائع والنفع : تعرض من دونه النصول .

٤ بدائع البدائه : ٣٠٤ ونفع الطيب ٣ : ٢٤٦ وديوان ابن شهيد : ١٤٠ .

٥ ص : الطرائقيين ؛ البدائع : الطوافين .

نُقِلُ السَّخِيفِ المَاتِقِ الجُهُولِ وَأَكْلُ قَوْمٍ نَازِحِي^١ العُقُولِ
أَقْسِمُ لَا أَطْعَمْتُهَا أَكْبَلِي وَلَا طَعِمْتُهَا عَلَيَّ شَمُولِ

وكان^٢ يوماً مع جماعةٍ من أهلِ الأدبِ ، بمجلسِ ابنِ ذَكْوَانَ ،
فجِئ^٣ بباكورٍ باقلى ، فقالوا : لا يَنْفِرْدُ بها إِلَّا مَنْ وَصَفَهَا^٤ ، فقال ابنُ
شهيد :

إِنَّ لَأَلَيْكَ أَحَدَتٌ صَلَفًا	فَاتَّخَذَتْ مِنْ زُمُرْدٍ صَدَفًا
تَسْكُنُ ضَرَاتِهَا الْبُحُورَ وَذِي	تَسْكُنُ لِلْحُسْنِ رَوْضَةً أَنْفًا
هَامَتْ بِلُحْفِ الْجِنَانِ فَاتَّخَذَتْ	مِنْ سُنْدُسٍ فِي جِنَانِهَا لُحْفًا
نَثَقِبَهَا ^٥ بِالثُّغُورِ مِنْ لَطْفٍ	حَسْبُكَ مِثْلُ بَيْرٍ مِنْ لَطْفًا
جَازَ ^٦ ابْنَ ذَكْوَانَ فِي مَكَارِمِهِ	حُدُودَ كَعْبٍ وَمَا بِهِ وَصْفًا
قَدَّمَ دُرَّ الرِّيَاضِ مُسْتَخْبِئًا	مِنْهُ لَأَفْرَاسٍ مَدْحِيهِ عِلْفًا
أَكْلُ ظَرِيفٍ وَطُعْمُ ذِي أَدَبٍ	وَالْفُؤْلُ يَهْوَاهُ كُلُّ مَنْ ظَرَفًا
رَخِصَ فِيهِ شَيْخٌ لَهُ قَدَرٌ ^٧	فَكَانَ حَسْبِي مِنَ الْمُنَى وَكَفَى [٤٠]

١ اللفظة غير معجمة في ص ؛ وقد وردت كما أثبتت في البدائع والنفع .

٢ بدائع : ٣٠٣ والنفع ٣ : ٢٤٤ وديوان ابن شهيد : ١٢٧ .

٣ ص : وصفه .

٤ ص : دراتها ، وأثبت ما في البدائع والنفع .

٥ البدائع والنفع : شبهتها ؛ ص : بتقبيها .

٦ ص والبدائع : حاز .

٧ البدائع : حسب .

وخرج سعدان^١ المؤدب من قرطبة إلى الحجاز وشيعة جماعته ،
وكان قد باع دآره وشد جهاز طريقه تحته في خروجه ، فقال فيه يومئذ
مؤمن بن سعيد^٢ :

قد بيعت دآرك فارحل غير محتقِب زاد التقي عن بني الدنيا إلى سقر
لما رأيت أذى الأمطار متصلاً حصنت دآرك في خُرج عن المطر
فلست تخشى علي حيطانها زلاً من وكيف يهدم البنيان منهمر
زودتكَ اللعن مخصوصاً به أبداً لما غدوت بلا زادٍ على سقر
فاغرب إلى حيث لا ماء ولا شجر كما غنيت بلا ماء ولا شجر

وساير^٣ ابن عمار في بعض الأسفار غلامين وسيمين من بني جهور ،
أحدهما أشقر والآخر بعيدار أخضر ، فكان يميلُ بحديثه من ظهير دابته
إلى الذي وصفه منهما حيث قال ارتجالاً :

تعلقتُه جهنوري النجار حللوا اللثى جهنوري الثنايا

١ المشهور بهذا الاسم سعدان بن معاوية القرطبي (- ٣٢٧) وقد رحل حاجاً فوافق دخوله
مكة إتيان القرامطة (سنة ٣١٨) فأصيب بضربة شقت خده وعينه (ابن القرضي ١ : ٢١٤)
ولا يمكن أن يكون هو المقصود هنا لأن مؤمن بن سعيد توفي سنة ٢٦٧ إلا أن يكون
الشعر قد نسب لمؤمن خطأ .

٢ مؤمن بن سعيد (- ٢٦٧) ترجمته في الجذوة : ٣٣٠ والمغرب ١ : ١٣٢ واليتيمة ١ :
٣٧١ وانظر مزيداً من المصادر في دراسة كتبها عنه (تاريخ الأدب الأندلسي - عصر سيادة
قرطبة : ١٧٠ ط / ١٩٧٣) .

٣ وردت القصة والأبيات في الذخيرة (القسم الثاني : ٣٨٩) وبدائع البداهة : ٣٦٩ - ٣٧٠
ونفح الطيب ٣ : ٣٢٥ - ٣٢٦ .

٤ البدائع والنفح والذخيرة : اللئى .

مِنَ النَّفَرِ الْبَيْضِ جُرُومًا الزَّمَانِ رِقَاقَ الْحَوَاشِي كَرَامِ السَّجَايَا
وَلَا غَرَوُ أَنْ تَغْرُبَ الشَّارِقَاتُ وَتَبْقَى مُحَاسِنُهَا بِالْعَشَايَا
وَلَا وَصَلَ إِلَّا جُمَانُ الْحَدِيثِ نُسَاقِطُهُ مِنْ ظُهُورِ الْمَطَايَا
شَنِتُّ الْمَثَلِ لِلزَّعْفَرَانِ وَمِلْتُ إِلَى خُصْرَةٍ فِي التَّفَايَا^٢

قال ابن بسّام^٣ : وكان الأستاذ أبو الوليد بن ضابط^٤ قد بدأ عليه
بالقراءة الوزير أبو محمد بن عبدون وهو غلام ابن ثلاث عشرة سنة ،
وكان ابن ضابط المذكور متكسباً بالشعر . فضجّر يوماً وقال : « الشعْرُ
خُطَّةٌ خَسَفَ » فقال له ابن عبدون :

لِكُلِّ طَالِبٍ عُرْفٌ
لِلشَّيْخِ عَيْبَةٌ عَيْبٌ وَلِلْفَتَى ظَرْفٌ ظَرْفٌ

والبديهة والارتجال في هذه الأشعار الأندلسية وإن لم تلحق بالأشعار
المشرقية ، ولا فيها كبير طائل ، ولا تقرب مما ألصقته إليها من
أشعار الأوائل ، فهي تحوي في هذا المجموع الذي انتحيت ، وطلّقي

١ البدائع : جرد ؛ النفع : أسد .

٢ التفايا من بسائط الأطعمة عند الأندلسيين ، وهي أنواع منها التفايا البيضاء وتحضر من لحم الضأن
القي في قطع صغار ويضاف إليها ملح وفلفل وكزبرة يابسة وقليل من ماء بصل مدقوقة
ومغرفة من الزيت المذّب . . . ويحمل فيها بندق ولوز مقشر مقسوم . فإذا أردتها خضراء
أضفت إليها ماء الكزبرة الرطبة (انظر كتاب الطبخ ٨٥ - ٨٨ ، ١١٨ - ١١٩) .

٣ انظر نفع الطيب ٣ : ٣٩٧ ، ٦٠٩ (وفي الموضع الثاني ذكر أن صانع القسم الأول هو
المتوكل بن الأفطس) وبدائع البدائع : ٨٠ والتكملة : ٤٠٧ .

٤ هو محمد بن علي بن يعيش بن داود سمع من أبي مروان : الطبري وابن سراج سنة ٤٥٤ ،
وسكن بطلوس وقعد فيها لتعليم الآداب واللغات (التكملة : ٤٠٧) .

الذي إليه جريتُ ، ولذلك ما أثبتُ مَذالَها ومَصونها ، وكتبتُ غَشَها وسَمينها ،
والأدبُ طريقُ يسْلُكُها الصَّحيحُ والجَرِبُ ، وسُوقُ يَنْفُتُ فيها الدرُّ
والمخشَلَبُ ، ولأخْرَجَ من جدِّ إلى هَزَلٍ ، وأنتَقِلَ من حَزَنٍ إلى سَهْلٍ .

رجعتُ إلى ما قَطَعْتُ من أخبارِ صاعِدٍ ، وما يَتعلَقُ بها ويذكرُ بسببِها
من الفوائدِ .

إيجاز الخبر عن أسر غَرْسِيَّةَ الذي ذكرُ

قال ابنُ حَيَّانَ : لما قَتَلَ ابنُ أبي عامرٍ سنةَ أربعٍ وثمانينَ عن بلدِ
غَرْسِيَّةَ صاحبَ قَشْتِيلَةٍ ، حشَرَ عدوُّ اللهِ جُمُوعَهُ لَغَزْوِ بلادِ الإسلامِ ،
فاغْتَمَ المنصورُ لذلكِ . فبينما هو يُحاوِلُ بعضَ الأمرِ هنالكِ إذ وردَ عليه
كتابُ قَتَنِدِ الوزيرِ صاحبِ مَدِينَةِ سَالمٍ يذكرُ أَنَّهُ أُسِرَ في نُخْبَةٍ أَهلِ
نَغرِهِ إلى بلدِ غَرْسِيَّةَ فقتلَ وغنِمَ ، ثم انكَمَشَ فتيبَعَهُ غَرْسِيَّةَ في قطعةِ
حَسَنَةٍ من نُخْبَةٍ حُماتِهِ ، فثَبَّتَ اللهُ أَقدامَ الإسلامِ ، وأجَلَّتِ الحربُ على
أَسْرِ غَرْسِيَّةَ جَرِيحاً ، وسِيقَ إلى مَدِينَةِ سَالمٍ ، وأقامَ بيدِ قَتَنِدٍ يعالِجُهُ مِن
جُرْحِهِ فهُلِكَ في يَدِهِ ، وحزَّ رأسَهُ وجعلَهُ في تابوتٍ ، وأنقَذَهُ إلى حَضْرَةِ
قُرْطَبَةٍ ، واختَزِنَ جَسَدَهُ إلى أن دُفِعَ مع رَأْسِهِ إلى وَلَدِهِ شانِجِهِ عندَ عَقْدِ
السَّلَمِ بَعْدَ مُدَّةٍ .

١ قارن بما أورده ليفي بروئسال : تاريخ إسبانيا الإسلامية ٢ : ٢٤٤ .
٢ ذكره الفقيه أبو محمد بن حزم في طوق الحمامة وقال : إنه كان صاحب الثغرا الأعلى أيام المنصور
ابن أبي عامر وكانت ابنته عاتكة على غاية من الجمال ، وقد تزوجها أبو بكر أخو الفقيه .

مقتل أبي مروان الجزيري^١

وكان أبو مروان عبدُ الملكِ الجزيري أحدَ شعراءِ الأندلسِ المجيدين وقتَه
وممن اجتمعَ له بهذا الإقليمِ نوعا البلاغةِ في المتنورِ والمنظومِ . وتقدّمُ
عصره منغني من ذِكره ؛ وفي خبرٍ مقتله طُويل . لكنْ نُلَمِّعُ منه بلمعة ،
بعدَ أنْ تقدّمَ من نوعي كلاميه قطعة .

فمن ذلك أنَّ المنصورَ بن أبي عامرٍ صنَعَ صنيعاً في ذلك الأوان ، لتطهير
ابنه عبدِ الرحمن ، وكان عامَ قحطٍ فارتفعَ السعرُ بقرطبةَ . وبلغَ رُبْعُ
الدَّقِيقِ إلى دينارين ، فجلا الناسُ . فلما كان يومُ ذلك الصنيعِ ، نشأتُ في
السماءِ سحابةٌ عمّتْ الأفقَ ، ثم أتى المطرُ الوابلُ فاستبشر الناسُ وسُرُّ
ابن أبي عامر ، فقال الجزيري بديهةً^٢ :

أما الغمامُ فشاهدٌ لك أنه لا شكَّ صنوكَ بل أخوك الأوثقُ
وافى الصنيعَ فحينَ تمَّ تمامه في النحوِ أنشأ ودقه يتدفَّقُ [٤١]
وأظنه يحكيكَ جوداً إذ رأى في اليومِ بحركَ زاحراً يتفهقُ

ومنها :

١ لعبد الملك بن إدريس الجزيري ترجمة في الجذوة : ٢٦١ (البغية رقم : ١٠٥٨) والمطمح
١٣ والصلة : ٣٥٠ ، وأصاب الكتاب : ١٩٣ والمغرب ١ : ٣٢١ والنفع ٢ : ١١٩
وله أشعار في البيتية ٢ : ١٠٢ وقطعة في تشبيهات ابن الكثاني رقم : ١٥٦ ومقطعات في
البدیع (انظر الفهرست) وانظر الذخيرة ١ : ١٠٣ .
٢ نفع الطيب ١ : ٥٣٠ .

وتوسّطتها بلجةً في قعرها
تنساب من فكتي هزيرٍ إن يكن
صاغوه من ندى وخلّق صفحتي
للباسمين تطلع في عرشه
ونضائد من نرجسٍ وبنفسج
ترنو بسجور عيونها وتكاد من
وعلى يمينك سوسنات أطلعت
نكأتما هي في اختلاف رقومها
في مجلس جمع السرور لأهله
حازت بدولته المغارب عيزة

وعتب^١ عليه المنصور وسجنه في مطبق الزاهرة ، واستعطفه برسائل
وأشعار عدة ، فلم يسمع منه ، ثم صفّح بعد عنه ، فكتب إليه الجزيري :

عجبت من عفو أبي عامر لا بد أن تتبعه منه
كذلك الله إذا ما عفا عن عبده أدخله الجنة

فسر المنصور بذلك ، وصرفه إلى حاله ، وردّ عليه ما كان اعتقل
من ماله .

ومن^٢ شعره أيضاً ، مما اندرج له في أثناء نثره الذي ملّح فيه ، مخاطبته
على السنة أسماء كرائمه بزهور رياضه . من ذلك عن بهار العامرية
قصيدة أولها :

١ نفع الطيب ٤ : ٦٦ ووردا (في ١ : ٤١٩) غير منسوين له . وانظر المغرب ١ : ٣٢١ .

٢ نفع الطيب ١ : ٥٣١ والبديع : ٩٩ والشريشي : ١٠٦ .

حَدَقُ الحِسانُ تُقِيرَ لي وتغارُ وَتَضِلَ في صَفِي النِّهى وتَحَارُ
 طَلَعَتْ على قُضْبِي عيونُ كِثامي مِثْلَ العيونِ تحفها الأشفار
 وأخصُّ شيءَ بي إذا شِبْهتني دُرٌّ تَنْطِقُ سِلَكُها دينار
 أهلى له قُضْبُ الزَّمُردِ ساقه وَحَبَاهُ أنفَسَ عطره العطار
 أنا نَرَجِسُ حقاً بهرتُ عقولهم ببدیعِ تَرَكيبِي فقيلَ بهار

ومِنْ أُخْرَى على لسانِ نرجسِ العامرية^١ :

حَيْثُكَ يا قمرَ العِلا والمجلسِ أَزكى تحيَّتْها عيونُ النرجسِ
 زهراً تُربِكُ بحُسنِها وبلونها زُهرَ النجومِ الجارياتِ الكُنُسِ
 يَمْلِكُنَ أفئدةَ الندامى كلما دارتْ بمجلسهم مَدَارُ الأكُوسِ
 مِلْكُ الهمامِ العامريِّ محمدٍ للمكرُماتِ وللنُهى والأنفُسِ

ومِنْ أُخْرَى عن بَنَفَسِ العامرية^٢ :

إذا تَدافَعَتِ الخصومُ - أَيْدِ اللهُ مولانا المنصورَ - في مذاهبها ،
 وتنافرتْ في مفاخرها ، فإليه^٣ مَفْزَعُها ، وهو المَقْنَعُ في فَصْلِ القَضِيَّةِ
 بينها ، لاستيلائه على المفاخرِ بأسرها ، وعلميه بأسرها وجَهرِها . وقد ذهبَ
 البهارُ والنرجسُ في وصفِ مَحاسِنِهما ، والفخرُ بِمِثابِيهما كلَّ مَذْهَبٍ .
 وما منهما إلاَّ ذو فَضيلةٍ ، غيرَ أنَّ فَضْلِي عليهما أَوْضَحُ من الشمسِ التي

١ نفع الطيب ١ : ٥٣١ والبدیع : ١١٥ - ١١٦ .

٢ نفع الطيب ١ : ٥٣١ والبدیع : ٧٨ - ٧٩ .

٣ بني الأسلوب في البدیع على الخطاب : فإليك ... وأنت .. لا سِيْلَكَ ... الخ .

تعلونا ، وأعذب^١ من الغمام الذي يسقينا . فإن كانا قد تشبَّهنا في شعرهما ببعض ما في العالم من جواهر الأرض ومصابيح السماء ، وهي من الموات الصامت ، فإنني أنشبهه بأحسن ما زين الله به الإنسان وهو الحيوان الناطق^٢ . مع أنني أعطرُ منهما عطرًا ، وأحمدُ خبرًا ، وأكرمُ إمتاعًا شاهدًا وغائبًا ، ويانعا وذابلًا . وكلاهما لا يُمتنعُ إلا ريشما يمنع^٣ . ثم إذا ذبلَ تستكبره الأنوفُ شممه ، وتستدفعُ الأكفُ ضمه ، وأنا أمتعُ رطبًا ويابسًا ، وتدخرني الملوك في خزائنها وسائر الأطباء ، وأصرفُ في منافع الأعضاء^٤ . فإن فخرًا باستقلالهما على ساق هي أقوى من ساق ، فلا غرو أن الوشيَّ ضعيف ، والهواء لطيف ، والمسك خفيف

* وليس المجد يُندرَكُ بالصراع *

وقد أودعتُ — أيد الله مولانا — قوافي الشعر من وصفٍ مشابهي ما أودعاه ، وحضرتُ بنفسي لئلا أغيبَ عن حضرتهما ؛ ففديماً فضِّلَ الحاضر وإن كان مفضولاً ، ولهذا قالوا ألدُّ الطعام ما حضر لوقته ، وأشعرُ الناس من أنت في شعره ؛ فلمولانا أتمُّ الفضل في أن يفصلَ بحُكمه العدل . وأقول :

شَهِدْتُ لِنُورِ الْبَتَفْسَجِ السَّنْ من لَوْنِهِ الْأَحْوَى ومن إِيْناعِهِ

١ البديع : وأعرف .

٢ زاد في البديع : من أدوات خلقه وأنفس ما ركب فيه من مواد حياته .

٣ البديع : وكلاهما لا يمتع إلا ريشما يبدو للعيون ويسلم من الذبول .

٤ تصرف ابن بسام في العبارة هنا ، بحيث ابتعدت كثيراً عما في البديع .

لمشابه الشعر الأثيث أعاره الـ
ولربما جمّد النّجيج من الطلي
فحكاه غير مخالف في لونه
ملك جهلنا قبله سبل الهدى
في سيفه قصّر لطلول نجاده
ذو همّة كالبرق في إسرائيه
تلقي الزمان له مطيعاً سامعاً
قمر المنير الطلق^١ نور شعاعه
في صارم المنصور يوم قراءه
لا في روائحه وطيب طباعه
حتى وضحن بنهجه وشراعه
وتعام ساعده وفسحة باعه
وصريمة كالخين في إيقاعه
وترى الملوك الشّم من أتباعه [٤٢]

قال ابن حيّان : وكان عبدُ الملك بعد أبيه قد فوّض إلى عيسى بن سعيد القطّاع وزيره أمره ، فصار عيسى قيّم الدولة ؛ فحسده رجال العامريّة ، وحملوا طرفة فتى عبد الملك على مناوراته ؛ فسمت نفس طرفة لذلك لفضل همّة كانت له ، وحظ أدب ميّزه عن طبقة . فاستخلص من أعداء عيسى لئمة^٢ ، منهم عبدُ الملك الجزيريّ وأبو العباس بن ذكوان^٣ ، فزبن له التّقدم عليه . وعرفه الجزيريّ ما تهيباً لكافور الأسود مولى محمد بن طنج صاحب مصر من الملّك باسم مولاه تلك المدة الطويلة ، وأنّ محله فوق محلّ ذلك بابيضاض النفس والجِلد ، واكتمال الفضل والمعرفة . فأصغى له طرفة وتدنّبر برأيه ، وحمل مولاه على أن قدّم عبد الملك الجزيريّ إلى خطّة الوزارة . فعارض عيسى في كلّ أمرٍ حتى كاد يسقطه لولا استخذاء^٣ عيسى له . ثم اعتلّ عبدُ الملك

١ البديع : الصلت .

٢ هو أبو العباس أحمد بن عبد الله بن ذكوان ، انظر دراسة لي عنه وعن أسرة بني ذكوان في كتاب دراسات في الأدب الأندلسي ص : ٣٥ - ٨٣ .

٣ ص : استخدام .

المظفر ، فانفردَ طرفهُ بخدمتهِ ، وكثُرَ الإرجافُ بهِ ، فجمعتَ له^١ ابن
الجزيري بغية وسوء رأيه ، وجسّره على أن يضبطَ الأمرَ لنفسه باسم الطفلِ
مولاه . على رسم كافورٍ الذي ذكرناه .

ثم رأى المظفرُ أن يُخرجَ عسكرياً إلى شرقي الأندلسِ لإنفاذ^٢ ما فيه
من الأطعمة . فهشّ فتاهُ طرفهُ لذلك ، وسأل مولاه أن يُخرجَ معه
عيسى الوزيرَ وقد أسرَّ الإيقاعَ بهِ ، فأجابه مولاه لذلك : فأخذَ في التجهّزِ
وأُسرف فيما أتاه ، ولم يُبقَ من وجوه القوّادِ وصنوفِ العُددِ والحلّي
وكرائم النجائبِ عند مولاه إلاّ ما لا قدرَ له حتى صارَ في أبتهةِ الملوك . وأخذ
الوزيرَ عيسى في الخروجِ معه ، فتناقلَ له ، وأحسَّ بالشرِّ في صحبته
ورامَ الانفرادَ بالمظفرِ في ذلك ، فلمْ يُمكنه لضبطِ طرفهَ بابَ مولاه ؛
فألقي عيسى بنفسه إلى مفرّجِ صاحبِ مدينةِ الزاهرةِ ثمةَ المظفرِ واستغاثه
لمحتنه . فوصلَ له رقعةٌ إلى المظفرِ شرحَ فيها مُرادَ طرفه . عند
ذلك أتى [طرفه] من مأمنيه واستعفى الخروجَ جملةً^٣ ، فلمْ يساعفه مولاه .
فتقدّ لطيفتهِ ، والعُجبُ يقوده والحسينُ يسوقه . وخلا وجهُ المظفرِ
لعيسى بعده ، وذكرَ له أشياءَ حنّيقَ بها على طرفه . وتعمّجَلَ المظفرُ
الخروجَ إلى غزواته إثرَ طرفه ، فخرجَ معه وزيره عيسى ، والجزيري
يغالطه في القدحِ في طرفه ، وفي قلبه من عيسى النارُ المتضمرّةُ ، وعيسى
أعلمُ الناسُ بنفاقه ، وأحبّهم في سفلِ دمه . فلما صارَ عبدُ الملكِ إلى
بعضِ الطريقِ دبّرَ عيسى على ابنِ الجزيري أن يَنصرفَ إلى الحضرةِ ليحصلَ

١ ص : فعله .

٢ ص : لانفاق .

٣ ص : معه .

قَبَضَ بَقَايَا الْخَرَاجِ وَالنَّفَقَاتِ ، وَلَمْ يَحْسَبْ بِمَا دُبِّرَ عَلَيْهِ وَعَلَى صَاحِبِيهِ . فَلَمَّا وَصَلَ الْمَظْفَرُ سَرَقُسْطَةَ ، وَطَرَفَةً مُرْتَقِبٌ قَدُومَ مَوْلَاهُ عَلَى مَقَرَّبَةٍ مِنْهَا ، دَخَلَ فِي أَبْهَتِهِ وَتَعَبْتِهِ وَصَارَ إِلَى قَصْرِ مَوْلَاهُ مُدْلًا بِمَنْزِلَتِهِ ، فَعُدَلَ بِهِ عَنْ مَجْلِسِهِ وَلَمْ تَقَعْ عَيْنُ الْمَظْفَرِ عَلَيْهِ ، وَقُبِدَ لَوَقْتِهِ ، وَأُخْرِجَ إِلَى الْجَزَائِرِ الشَّرْقِيَّةِ . فَلَمْ يَكُنْ بَيْنَ دُخُولِهِ سَرَقُسْطَةَ أَمِيرًا وَخُرُوجِهِ عَنْهَا أَسِيرًا إِلَّا سَاعَةٌ . وَاتَّخَذَ النَّاسُ حَدِيثَهُ عَجَبًا . ثُمَّ أُنْفَذَ الْمَظْفَرُ إِلَى الْحَضْرَةِ بِضَمِّ عَبْدِ الْمَلِكِ الْجَزِيرِيِّ إِلَى الْمَطْبَقِ بِالزَّاهِرَةِ . وَكُتِبَ عَيْسَى الْوَزِيرُ إِلَى مُتَرْجِ الْعَامَرِيِّ وَإِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَسْلَمَةَ ، وَكَانَا مِنْ أَعْدَاءِ ابْنِ الْجَزِيرِيِّ ، وَحَرَّضَهُمَا عَلَى إِبَادَتِهِ ؛ فَأَدْخَلَ عَلَيْهِ فِي مُطْبَقِهِ قَوْمٌ مِنْ السُّودَانِ وَخَسَفُوهُ ، وَأَشْبَعَ مَوْتَهُ . وَأُخْرِجَ مَيِّتًا بَعْدَ أَيَّامٍ ، وَأُسْلِمَ إِلَى أَهْلِهِ وَلَا أَثَرَ بِهِ ، وَدُفِنَ فِي شَوَّالِ سَنَةِ أَرْبَعٍ وَتِسْعِينَ . فَصُرعَ مِنْهُ - رَحِمَهُ اللَّهُ - يَوْمَئِذٍ فَارَسُ نَثْرٍ وَنَظَامٍ ، وَمُزَّقَ بِقَتْلِهِ وَشِي الْكَلَامِ . وَكَانَ يُشَبَّهُ فِي ذَكَائِهِ وَأَدْبِهِ مَعَ عَقْرَبِيَّةِ الطَّبَعِ ، وَكَثْرَةِ الضَّرِّ وَقِلَّةِ النِّفَعِ ، مُحَمَّدَ بْنَ الزُّبَيْرِ فِي ذَلِكَ الصَّقْعِ . أَخْبَرَنِي أَبِي خَلْفُ بْنُ حُسَيْنٍ قَالَ : سَأَلْتُ الَّذِي تَوَلَّى قَتْلَ ابْنِ الْجَزِيرِيِّ فِي مَحْبِسِهِ فَجَعَلَ يَصِفُ لِي سُهولةَ مَا عَانَاهُ مِنْهُ لِقَضَافَتِهِ وَضَعْفِ أَسْرِهِ وَيَقُولُ : مَا كَانَ الشَّقِيُّ إِلَّا كَالْفَرُوجِ فِي يَدِي ، دَقَقْتُ رَقَبَتَهُ بِرُكْبَتِي فَمَا زَادَ أَنْ نَفَخَ فِي وَجْهِهِ . فَعَجِبْتُ مِنْ جَهْلِ هَذَا الْأَسْوَدِ .

رجع ما انقطع

وكان صاعدٌ قد طُوبِىَ في أخرياتِ تلكِ الدَّولةِ ، وانتهتْ به الحال ، إلى أن أغرمَ في خبرٍ طويلٍ مائةَ مثقالٍ ، فاستغاثَ عليٌّ بنَ وداعةٍ أحدَ الفُرسانِ الأبطالِ ونُبَّهَاءِ الدَّولةِ - كان - في ذلك الأوان ، وكتب إليه رقعةً قال فيها :

إني على وَهَيٍّ ، وما أخذهُ الدهرُ مني ، وتحتَه من قيدنحي ، لأربأ بالفضلِ أن ينحطَّ إلَّا في مصَّابه ، ويحلَّ رجلَه في غير معانِيه . فلم أحومَ على أحدٍ طيَّرَ رجائي ، ولا رمقتُ بألمي إلَّا من نوَّةِ اللهُ باسميه ، وناسَبَ بين أحواله ، وشابَه بين خياله ؛ فسُبْحانَ من جعلَ سينانَكَ عدلَ لسانِكَ ، وبيانَكَ كفاءَ طيعانِكَ ، فالألسنُ تننادمُ على وصفِكَ ، والقلوبُ تعاقِرُ خمرةَ حبِّكَ ، خبيثةٌ أذاعها اللهُ منك ، وذخيرةٌ أبرزها الدهرُ بك . وما زلتُ في الأيامِ التي تعرفُها منقباً عن محاسنِكَ ، بحثاً لآثارِكَ بالعدوةِ وذواتها ، ومُفارعتِكَ الأهوالِ ، ومُماصعتِكَ الأبطالِ ، عاركاً بجنيبك شوكةَ [٤٣] الأسنةِ ، ومُناجياً أطرافَ الأعنةِ ، فأذكُرُ بك صعاليكَ العربِ وذُوبانها ، وشُعراءَ الفُرسانِ وغيرِهم ، كعنترةَ وزيدَ الخيلِ ، وأنتَ بهمةٍ^٢ السريَّةِ وقرنُ الكتيبةِ ؛ وغارةَ قومك من سُلَيْمٍ على فزارةٍ ونذيرُها يَهْتِفُ : أتيتمُ يا فزارة ! هذه سُلَيْمٌ والموت ! وأنا ابنُ عمِّك من ربيعةٍ ، إذ هي وسُلَيْمٌ أحلافُ ، فالعدنانيةُ تلفتنا ،

١ أبو الحسن السلمي ، علي بن وداعة ، وصف إلى جانب البطولة بالأدب البارِع والشعر الرائع ، انظر الجذوة : ٢٩٧ وترجم له ابن الأبار في الحلة ١ : ٢٨٢ ونقل بعض ما جاء هنا في الذخيرة .

٢ ص : يمين .

والنسبُ يضمُّ شعبنا . وفي البلدِ من وترّني فاستقادَ منه لساني ، وظلمني
فانتصر لي حُماة كلماتي ١ . فأرسلتها فيه شعثاً قباحاً ، موروثةً في الأعقابِ
خالدةً على الأحقاب ، أشردَ من نعمة ، وألزمَ له من طوقِ الحمامة ،
فهو يبغي الغوائل ، ويبثُّ لي الحبائل .

ومن شعره فيه :

أبا حسنٍ ربيعةٌ من سليمٍ	سنانٌ زانٌ عاليةَ الرماحِ
وإني عائذٌ بك من هنات	نَحْتَنَ دَعائمي نَحْتِ القداحِ
فكُرتُ على ابنِ عمِّك وانتشلتهُ	فليس حمى ابنِ عمِّك بالمباحِ
فإنَّ الحارَّ عندك بين جنبي	عُقَابِ الدَّجْنِ كاسيرةِ الجناحِ

ومنها في المدح :

تُصَدُّ الخيلُ باسمك في غديرٍ	على ظمإٍ عن الماءِ القراحِ
تظنُّكَ طالعاً ببني سليمٍ	عليها عندَ مُفْتَضِّحِ الصباحِ
إذا ساورتَ قيرُنَكَ في مَكْرٍ	جعلتَ له ذِرَاعَكَ كالوشاحِ

فما انتفع بعلي بن وداعة . ولا كانت له فيه شفاعاة .

وكان خاطبَ أيضاً هشامَ بنَ الحَكَمِ الخليفةَ في تلافِي حالِهِ ، فما
أصغى له لزُهدِهِ فيه وفي أمثاله . وعوجلَ عليُّ بنُ وداعةٍ وقُتِلَ في خبرٍ

١ ص : كمتي .

٢ ص : وعولج .

طويل ، فانسدَّ بابُ الفهمِ بقرطبة يومئذٍ وطمست العبيدُ العاقبون له رسمه . وأيسَ ذوو الأحسابِ منهم . فتفرقوا شذَر مذر ، ولم يبق بها منهم من له خطَر . وتناصرت خيالاتُ المكروهِ فيما بعدُ على صاعدٍ بارتجاجِ الفتنة . غلاء سِعَر ورخصَ سِعَر ، حتى اختلَّ وعجزَ عن ستر ولده وأهله . وبخل هشامٌ على ذلك كله بتسريحه والإذن له في الانطلاق عن الأندلس فرقاً من خُبثِ لسانه . فخرج مُستخفياً وجاز بشكطِيش على يدِ أبي زيدٍ البكري رئيسها سنة ثلاث وأربعمائة ، فاتصلَ بصاحب صقلية ، وفارقَ البؤسَ وراجعَ النعمة . ثم رجع إلى الأندلس إثرَ غلبة سليمانَ والبرابر على قرطبة مُستخرجاً لمن تخالفَ بها من أهله وولده . وتعرضَ أيضاً لمديحِ سليمانَ فما أنجحَ معه ولا أفلحَ . وقد كان استطرفَ أوّل دولته ، فرثمه رثمان العُلُوق^١ ولم يَقْرِه قرضاً لاستحالاته عن فعل الحميلِ جملة . ثم عجلَ الانكفاءَ إلى صقلية ، ومات بها رحمه الله سنة عشر وأربعمائة .

قوله : « جعلت له ذراعك كالوشاح » أخذه من قول أسر يزيد بن الصّعق^٢ :

١ العلوق : هي التي ترأّم بأنفها وتمنع درتها ، أو هي لا ترأّم الولد جملة ؛ وفي المثل : حاملنا معاملة العلوق ترأّم فتشم ، وقال أفنون التغلبي :

أم كيف يتفع ما تأتي العلوق به رثمان أنف إذا ما ضن بالابن

٢ البيتان لقيس بن زهير العبسي ، انظر حماسة الخالدين ١ : ٩١ ووردا دون نسبة في البيان ٣ : ٢٤٦ والحيوان ٦ : ٤٢٥ وشرح ديوان زهير : ٥٤ ونقد الشعر : ٩١ والثاني في العمدة ١ : ٣٠٢ . وانظر الذخيرة ٣ : ٣٨١

تركتُ الركابَ لأربابها^١ وأكرهتُ نفسي على ابنِ الصَّعْقِ
جعلتُ بَدَيَّ وشاحاً له وبعضُ الفوارس لا يُعْتَنَقُ

ونُعَقِبُ أخبارَ صاعدٍ بمصادرٍ ومواردٍ من أخبارِ ابنِ أبي عامرٍ ،
منسوقةَ الأوائلِ والأواخرِ ، مقيدةَ العيونِ والنوادرِ . ونُلَمِّعُ بشيءٍ
من الأسبابِ التي ذكَّلتُ له الصَّعَابِ ، وأخضعتُ له الرقابَ . وإنما نعتمدُ
من الأخبارِ أشهرَها بُسُوقاً ، وأخصرَها طريقاً ، وأمستَها بالأدبِ رَحِيماً ،
وأشبهَها بغَرَضٍ هذا الكتابُ أرضاً وسماً . وبحسبنا من دولةِ ابنِ أبي عامرٍ
أن ننقلَ نصَّ ابنِ حَيَّانَ : كيف طلعتْ نجومُها ، ومن أين نَشَأَتْ غيومُها ،
ونُتْلِي ذلك كيف مالَ ظِلُّها واضطربَ حبلُها ، إذ أكثرُ ما يقالُ للحاضرِ
من أين طَلَعَ ، وللغابرِ الدابرِ ما صَنَعَ . ونهايةُ المُرادِ . علمُ الكونِ والفسادِ .

تلخيص التعريف بدولة ابن أبي عامر من الأول إلى الآخر^٢

هو أبو عامر^٣ محمدُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ عامرٍ بنِ أبي عامرٍ محمدِ بنِ الوليدِ
ابنِ يزيدِ بنِ عبدِ الملكِ المَعافِرِيِّ . وعبدُ الملكِ جدُّه هو الداخلُ بالأندلسِ
مع طارقٍ مولى موسى بنِ نُصَيْرٍ في أولِ الداخلينِ من المغربِ . وهو في
قومه وسيط .

١ حماسة الخالدين : النهاب لأربابه .

٢ مصادر ترجمته متعددة : نشير منها إلى المعجب وأعمال الأعلام وابن عذاري ونفع الطيب
والجلوة : ٧٣ والحلة : ١ : ٢٦٨ - ٢٧٧ وكتب التاريخ العامة كابن الأثير وابن خلدون... الخ

٣ انظر البيان المغرب ٢ : ٢٥٦ وما بعدها .

ونقلتُ من خطِّ ابنِ حيانَ قال^١ : انتهت خِلافةُ بني مروانَ إلى الحَكَمِ تاسعِ الأئمةِ فيها ، فتنهت في السَّروِ والجلالةِ والكمالِ والأبهةِ ؛ ونظمَ رِوايةَ الأخبارِ وحَمَلَةَ الآثارِ من مناقِبِهِ ما طارَ كلَّ مَطارٍ في جميعِ الأقطارِ ، إلَّا أَنَّهُ - تَغَمَّدَ اللهُ خُطايَاهُ - مع ما وُصِفَ من رِجَاحَتِهِ ، كان ممن استهواه حُبُّ الولدِ وأفرطَ فيه ، وخالفَ الحِزْمَ في توريثِهِ المُلْكَ بَعْدَهُ في سَنَةِ الصَّبَا ، دونَ مَشِيخَةِ الإخوةِ وفِتْيَانِ العَشِيرَةِ [٤٤] وَمَنْ يَكْمُلُ للإمامَةِ بلا عَباةٍ ، فَرُطَ هَوًى ووهلةٌ انتقدَها الناسُ على الحَكَمِ وعدُّوها البِخانيةَ على دَوْلَتِهِ . وقد كان يَعيبُها على ولدِ العباسِ قبلَهُ ، فَأَناها هو مختاراً ولا مردَّ لأمرِ اللهِ . وذلك أَنَّهُ نَقَسَ بِسلطانِهِ على ثلاثةِ رجالٍ من إِخوتِهِ ولدِ الناصرِ : عبدِ العزيزِ شقيقِهِ والأصبَحِ والمَغيرةِ . مع جماعةٍ من ولدِ الخلفاءِ كهولٍ وشَبَّانٍ ، ما فيهِمُ إلَّا مضطربٌ للأمرِ قوياً عليه . فتخطى جماعتَهُم إلى ابنِهِ هشامٍ وهو في الوقتِ طفلٌ ما بَلَغَ الحُلُمَ .

قال ابنِ بسام^٢ : وحُدِّثتُ عن أحمدَ بنِ زيادٍ عن محمدِ بنِ وضَّاحٍ عن رجلٍ يتكلَّمُ في الحِديثِ أَنَّهُ قال : لا يزالُ ملكُ بني أُمَيَّةَ بالأندلسِ في إقبالٍ ودوامٍ ما توارثَهُ الأبناءُ عن الآباءِ ، فإذا انتقلَ إلى الإخوةِ وتوارثوه بينهم فقد أدبَرُ وانصرفَ . فلعلَّ الحَكَمَ بهذا الخبرِ توهمَ ، فجاذبَهُ عن إِخوتِهِ ؛ وإن كان ذَوو اللبِّ والنظرِ ، لا يلتفتونَ إلى مثلِ هذا الخبرِ .

١ نقل المقرئ جانباً منه في نفع الطيب ٣ : ٨٥ .

٢ انظر المصدر السابق ٣ : ٨٦ .

رجع الخبر إلى ابن حبان^١ : وكان جودر^٢ وفائق^٣ فتتيا الحكم قد أخفيا موته ، ودبرا على صرف البيعة إلى أخيه المغيرة ، وكان قال له فائق : إن هذا لا يتم لنا إلا بقتل جعفر المصحفي . فقال له جودر : ونستفتح أمرنا بسفك دم شيخ دولة مولانا ؟ ! قال له : هو والله ما أقول لك . ثم بعثا إلى المصحفي ونعيا إليه الحكم . وعرفاه برأيهما في المغيرة ، فقال لهما المصحفي : وهل أنا إلا تبع لكما وأنتما صاحبا القصر ومدبري الأمر . ولكما الرأي فيما قلتماه ؛ فأخذا في تدبير ما رأياه . وخرج المصحفي وجمع حاشيته وجنده ، ونعى إليهم الحكم وعرفهم مذهب جودر وفائق في المغيرة ، وقال : إن بقينا على ابن مولانا كانت الدولة لنا ، وإن بدلنا استبدل بنا . فقالوا : الرأي رأيك . فبادر المصحفي ببعثه محمد بن [أبي] عامر مع طائفة من الجند وقتله إلى دار المغيرة لقتله . قال ابن أبي عامر : فالفبت المغيرة مطمئناً لا خبر عنه . فنعت إليه أخاه الحكم فجزع . وعرفته جلوس ابنه هشام في الخلافة . فقال : أنا سامع مطيع . فكتبت إلى جعفر بحاله وبالصورة التي ألفيته عليها من السلامة . فراجعني جعفر المصحفي وهو يقول : غررتنا ، اقض عليه وإلا وجهت غيرك من يقتله ! فقتل رحمه الله خنقاً . وكانت علة الحكم الفالسيج ، وكان تقدمه عبد العزيز أخوه بمديدة . وتعطل أخوه الأصبع ببطالة أزالته عنه الرهبة . فذهبت عن جعفر بن عثمان فيهما الحزة^٤ ، وتوفر اهتمامه بعدهما بالمغيرة . وكان في القوم كرمًا ورجلة ، ومن أشير نحوه بالأمر بأسباب باطنة ، فأخذ له أهبتة ؛ فلما قضى الحكم نحبته ليلة

١ قارن بما أورده ابن عذاري ٢ : ٢٦٠ وما بعدها ، وما جاء في النفع .

٢ لعل الصواب : الحرة ، إشارة إلى الغيظ على سبيل المجاز .

الأحد الثالثة من صفر سنة ست وستين . بادر بالمغيرة على الصفة المذكورة .

وافتح المصحفي أمره بعد بإيثار النصف . واطراح الكبير . وكان أول ما أتاه من ذلك صدر تقلده حجاب هشام - وقد رفع فراشه فوق فراش الوزراء أصحابه . وأبدل بالكتان الديباج على سالف العادة - أن قال : إني أستحي من أصحابي أن أتمهد أفضل من فرشهم . مع عجزني عن درك شأوهم . غير أننا نسلّم لأمر المؤمنين اختياره ، فلما يساوي بيننا في فرش كرامته . ولما أقرنا على الأمر الأول ولا كفران لنعمته . فأفرش للجميع . منذ زال فرش الديباج . فرش الكتان ، فجرى عليهم الرسم إلى آخر الزمان . واستحسن فعل جعفر يومئذ وعند من [بعد] غوره . وعول جعفر في سائر أوقات دولته على هذا النوع من السياسة ، فلزم التواضع للناس . وأطلق لهم البشر والآن كنفه ووطأ خلقه . ورأى أنهم بذلك يصلحون له . دون البذل لذات اليد والمواساة في النعمة ، فاستأثر بالأعمال . واحتجج الأموال ولم يسلبهم . وبني المنازل وهدمهم . وشج بالنسب وسخا بهم . وعارضه من محمد بن أبي عامر فتي ماجد أخذ معه بطرفي نقيض : بالبخل جوداً ، وبالاستبداد أنفة . [و] باقتناء الضياع اصطناع الرجال . حتى غلبه عما قليل . وتحركت حال ابن أبي عامر لأول الدولة ، وشارك في التدبير بحق الوزارة ، وتقوى على أمره بنظره في الوكالة وخدمته للسيدة صبح أم هشام . وكانت حاله عند جميع الحرم أرفع الأحوال ، بقديم الاتصال ، وحسن الخدمة . والتصدي لمواقع الإرادة ، وطلاقة اليد في باب الإلطاف والهدية . فأخرجن له أمر الخليفة هشام إلى حاجبه جعفر في الاستعانة به

في التدبير والمشورة له في الأمور ، والاختصاص به على الجمهور . وكان جعفرٌ لمحمدٍ على بعض ما أريد منه ثقةً به وسُكُونًا إلى جهته ، فامتثل ما أمير به في ابن أبي عامر لغفلته ، وتزيد في برّه ، وأشركه في سرّه وجهره . وانهمك^١ [٤٥] ابن أبي عامر في مغالطة جعفر ، وأراه أنه صاحبه الحافظ لخاليه ، وعول جعفر على رأي محمد ، ووصل يده بيده ، واستراح إلى كفايته ، وابن أبي عامر يكثرُ به ويُضرب بين حسدته ، ويناقضه في أكثر ما يعامل به الناس ، ويُجعل^٢ إليهم بالتدليل وقضاء الحوائج ، ويتقدم من المعالي إلى ما يُحجِم جعفر عنه ؛ يستضم الرجال وجعفر يندفعهم ، ويزيدهم وجعفر ينقصهم ، يظن أنه كلّ يحملُه عنه ، فيا لك من جامعٍ لمحمدٍ ومُفارقٍ عن جعفر ! إلى أن هوى نجمه وزال أمره .

وكان أوّل اتصال ابن أبي عامر بالحكم أنّه وُصف له فاستخلف على قضاء كورة ربه . ثم تصرف في وكالة صبح أم هاشم ، فاضطلع بكل ما قلند ، استهوى هذه المرأة بحسن الخدمة - وهي الغالبة على الحكم - فأزلفتها . وولي الشرطة والسكة والموارث ، والسكة يومئذ أعلى الخطط في الإفادة . وقُرِن له بهذا كله القضاء باشيلية . فعلت حاله وعرض جاهه . وعمر بابه في حياة الحكم . وهمته ترتمي به وراء ما يناله من الدنيا أبعد مرمى ، وهو في كل ذلك يغدو إلى باب جعفر ويروح . ويختص به ويتحقق نصيحته . إلى أن أحظاه الجدة وساعده القضاء ، فأسقط جعفرًا . فلمّا انفرد بشأنه وتمكّن من سلطانه ،

١ ص : وانتَهك .

٢ ص : ويستعمل .

تَوَقَّعَ لِنَفْسِهِ وَحَصَّنَ حَالَهُ ، وَرَمَى إِلَى الْغَرَضِ الْأَقْصَى مِنْ ضَبْطِ الْمَلِكِ
وَالْحَجَرِ عَلَيْهِ وَالْإِسْتِبْدَادِ دُونَهُ . وَامْتَثَلَ رَسْمَ الْمُسْتَغْلِبِينَ عَلَى سُلْطَانٍ وَلَكِنَّ
الْعَبَّاسَ بِالْمَشْرِقِ مِنْ أَمْرَاءِ الدَّيْلَمِ فِي عَصَرِهِ ، فَنَالَ بُغْيَتَهُ ، وَهَنَتْ أَمْعِشَتُهُ ،
وَأُورِثَهُ عَقَبَتُهُ بَعْدَهُ ، مِنْ غَيْرِ اقْتِدَارٍ عَلَيْهِ بِجَنْدٍ خَاصٍّ وَلَا صِيَالٍ بَعْشِيرَةٍ ،
وَلَا مُكَائِرَةٍ بِمَالٍ وَلَا عِدَّةٍ ، بَلْ رَمَى الدَّوْلَةَ مِنْ كَيْنَانَتَيْهَا ، وَعَدَا عَلَيْهَا
بِأَعْضَادِهَا ، وَانْتَضَلَّهَا بِمَشَاقِصِهَا ، وَأَنْفَقَ عَلَى ضَبْطِهَا أَمْوَالَهَا وَعُدَدَهَا ،
حَتَّى حَوَّلَهَا إِلَيْهِ ، وَسَبَّكَهَا فِي قَالِبِهِ ، وَسَلَخَ رِجَالَهَا بِرِجَالِهِ ، وَعَفَّتْ
رُسُومُهَا بِمَا أَوْضَحَ مِنْ رُسُومِهِ ، وَأَسْقَطَ رِجَالَ الْحُكْمِ مِنْ سَائِرِ الطَّبَقَاتِ :
الْكِتَابَ وَالْعَمَالَ وَالْقَضَاةَ وَالْحُكَّامَ وَأَصْحَابَ السُّيُوفِ وَالْأَقْلَامِ ، وَمَزَقَهُمْ ،
وَأَقَامَ بِإِزَائِهِمْ مِنْ تَخْرِيجِهِ وَأَصْطِنَاعِهِ رِجَالًا سَدُّوا مَكَانَهُمْ ، وَمَحَا
ذِكْرَهُمْ ، أَعَانُوهُ عَلَى أَمْرِهِ .

وَأَوَّلُ أَعْرُودِ فَضٍّ ابْنُ أَبِي عَامِرٍ مِنَ عُرَى الْمُلِكِ جَمَاعَةُ الصَّقَلْبِ ،
اسْتَخْرَجَ مِنْهُمْ بِأَسْبَابِ الْمُصَادَرَةِ أَمْوَالًا جَمَّةً اسْتَأَثَرَ بِأَكْثَرِهَا ، وَتَتَبَعَ
لِذَلِكَ كُتُبَابَهُمْ وَأَسْبَابَهُمْ وَقَتًا بَعْدَ آخَرٍ ، وَتَقَسَّمَتْهُمْ أَيْدِي الْقَدَرِ نَفِيًّا
وَقَتْلًا ، صَبْرًا وَغَلْبَةً ، سِرًّا وَعِلَانِيَةً ، حَتَّى هَلَكُوا عَنْ آخِرِهِمْ فِي
أَسْرَعِ مُدَّةٍ . وَاخْتَلَفَتْ مَقَاتِلُهُمْ بِحَسَبِ اسْتِيفَائِهِمْ مُدَدَ أَعْمَارِهِمْ ، فَلَمْ
يَبْصَحْ لِي تَارِيخُ ذَلِكَ عَلَى حَقِيقَتِهِ . فَكَانَتْ تِلْكَ الطَّائِفَةُ أَوَّلَ مَنْ ظَهَرَ
إِنْتِقَامُ اللَّهِ تَعَالَى بِابْنِ أَبِي عَامِرٍ مِنْهَا ؛ فَكَانُوا جَبَّارِينَ قَاسِطِينَ فِي بِلَادِهِ ،
مُتَمَرِّدِينَ عَلَى عِبَادِهِ ، فَأَرْسَلَهُ بِقُدْرَتِهِ عَلَى هَذَا النَّمَطِ مِنْ خَلْقِهِ فَأَبَادَهُمْ ،
وَنَجَّى أَهْلَ السَّلَامَةِ مِنْ سَوْرَتِهِ ، وَتِلْكَ عَادَتُهُ تَعَالَى فِي مَنْ نَكَبَ عَنْ
سَبِيلِهِ .

ذكر دفاع ابن أبي عامر العدو صدر الدولة وقيامه بالجهاد
دون الجماعة وتوصله بذلك إلى تدبير الملك

قال ابن حبان^١ : وجاشت النصرانية بموت الحكم . وخرجوا
على أهل الثغور ، فجاء صرّاخهم إلى باب قرطبة فلم يسجدوا عند جعفر
غناء ولا نصره . وكان مما غرّب به لجنه وعظيم أفنيه أن أمر أهل قلعة
رباح بقطع سدّ نهرهم آفة لغمقيه وسوء دجلته . يلتمس بذلك دفاع
العدو عن حوزته ، لم تتسع حيلته لأكثر من ذلك مع وفور جيش السلطان
يومئذ وجُموم أمواله . فكانت من سقطات جعفر المأثورة ، فإنيف
ابن أبي عامر من تلك الدنية . وأشار على جعفر بتجريد الجيش للجهاد .
وخوفه سوء العاقبة في تركه . وأجمع الوزراء على ذلك إلا جماعة
خاموا عنه ، فبادر ابن أبي عامر إليه ووعد من نفسه الاستقلال به على
أن يختار الرجال ، ويجهز لغزوته مائة ألف ميثقال . فنفر بالجيش ودخل
على الثغر الجوفي إلى جليقية . فنازل حصن الحامة من أعمال رُدْمير .
فدخل ربضه وأفشى النكاية وغنم ، وقفل ووصل الحضرة بالسبي
إلى اثنين وخمسين يوماً ، فعظم السرور وخلّص الجند له ، واستهلكوا
في طاعته لما رأوه من كرمه .

حدثني أبي خلف بن حسين قال^٢ : تذاكرنا جُود ابن أبي عامر [٤٦] يوماً .

١ انظر نفح الطيب ٣ : ٨٧ .

٢ يتابع المقرئ النقل في النفح ٣ : ٨٨ .

وبالحضرة محمد بن أفلح غلام الحكم . فقال : عندي من جوده غريبة ،
أنكحتُ بنتي على عهد مولانا الحكم . والحالُ بنا ضيقة . فاضطرتُّ لما
أصلحُ به حالَ الجارية إلى بيعِ لجامٍ محلىً ثَقِيلُ الوزنِ رديءِ العيار ،
وكان عندي لزينتي أيامَ المراكب ، وتقاعدَ فيه التجارُ فانقطع بي أُملي ؛
فوقع في نفسي قَصْدُ ابنِ أبي عامر صاحبِ السكةِ للذائع من كرمه ،
وأعظمُ رغبتِي أن يضربَ لي في السكةِ دراهم ، فقصدته وعرفته رغبتِي ،
فسارعَ بأطلقِ وجهٍ وقال : سِرْ إليَّ بدارِ الضربِ ؛ فجئتُه وأوصلني
إلى نفسه والدراهم المطبوعة بين يديه . وأوماً إليَّ فأخرجتُ اللجامَ وأنا
خائفٌ من صرفه لسقوطِ عياره . فوالله ما نظرَ إليه ولا عايرَه . وراطلني
والله باللجامِ بحدائده وسيوره . فأخذتُ ما لم يَدُرْ في وِهمي أنِّي أظفرُ
بمثله . وعظمَ ابنُ أبي عامرٍ في عيني ، وقُمتُ عنه وحيجرتي ملآن ولا
أصدَقُ بما حصَلتُ عليه ؛ فجهزتُ بنتي وفضلَ لي شيءٌ يكفيني ؛ وقلَّ
مولاي الحكمُ في عيني وأحببتُ ابنَ أبي عامرٍ ، حتى لو دعاني إلى معصيةِ
الحكم - وهو مالِكُ رِقَتِي وإمامي - لما قعدتُ عنه .

مظاهرة غالب مولى الناصر لمحمد بن أبي عامر
ومظاهرتَه على المصحفي إلى أن أسقطه ومات في سجنه

قال ابن حبان^٢ : وكان بين المصحفي وغالب صاحبِ مدينةِ سالمِ .

١ ص : جل ؛ وأثبت ما في النسخ .

٢ قارن بما في النسخ ٣ : ٨٨ .

شيخ الموالي وفارس الأندلس غير مدافع أشد ما كان بين اثنين من
العداوة والتقاطع . فأهم المصحفي شأنه . وناظر الوزراء في ما بدا من
ثاقليه في الذب عن الثغر . فأشاروا باستصلاحه . وبادر بذلك ابن
أبي عامر لما أراده من مظاهرتيه . فلم يزل يقوم بشأنيه ويخدمه داخل
الدار من قبل الحرم كعادته حتى تم على إرادته . وخرج الإذن أن
يُنْهَضَ غالب إلى ثنى الوزارة ويُدبّر جيش الثغر ، وابن أبي عامر
جيش الحضرة . ثم خرج ابن أبي عامر إلى غزاته الثانية ، واجتمع به
وتعاقدا على الإيقاع بجعفر . وقفل ابن أبي عامر غانماً ، وبعد صيته .
فخرج أمر الخليفة هشام بصرف المصحفي عن المدينة ، وكانت في يده
يومئذ ، فخلف عليها ابنه . فخرج ابن أبي عامر نحو كرسيها في ذلك اليوم
والخيل عليه . ولا خبر عند جعفر . وإن ابنه باللس مجلسها في
أبتهته ، حتى صعد ابن أبي عامر نحوه ، فوّل ولد المصحفي الدبر ناكصاً
على عقبيه ، وأتبع بدابته ، وعاد إلى داره . وملك محمد بن أبي عامر
الباب بولايته الشرطة ، وأخذ على جعفر وجوه الحيلة ، وخلاه وليس
بيده من الأمر إلا أقله . وكان ذلك - زعموا - بتدبير غالب معه عند اجتماعهما
بالثغر ، وقال له : سيطر لك ذكر بهذا الفتح ويشغل السرور أهله عن
الحوص فيما تحدّثه من قيصة ، فلما أن تخرج عن الدار حتى يُعزل
جعفر عن المدينة وتقلدّها ، ويزول أمره على الباب والدار ويتم عليه
التدبير حتى يُزال عن الحجابة . ففعل ذلك وضبط المدينة ضبطاً أنسى
به أهل الحضرة من سلف قبل من الكفاة أولى السياسة .

١ كذا ولعل صوابه « مثنى » كما هو الشائع عند الأندلسيين .

وانهمكَّ ابنُ أبي عامر في صحبةِ غالب ؛ ففطنَ جعفرٌ لتدبيرِ ابنِ
أبي عامر عليه بعدُ من وهلتهِ ، فكاتبَ غالباً يستصلحه وخطبَ أسماءَ بنته
لابنه عثمان ، فأجابهُ غالبُ لذلك . وكادت تَمَّ مصاهرته له . وبلغ ابنُ
أبي عامر فقامت قيامتهُ ، وكاتبَ غالباً يخوفُهُ الحيلةَ ويهيجُ منه الحقدَ .
وألقى عليه أهلَ الدار وكاتبوه فصرفوا غالباً ، ورجعَ إلى محمد بن أبي
عامر وأنكحَ ابنته أسماءَ منه ، وتمَّ العقدُ له في محرمِ سنةِ سبعٍ وستين ، وأدخل
السلطانُ تلكَ الإبنةَ إلى قصرِهِ وجهزَهَا إلى محمد بن أبي عامر من قبَلِهِ ؛
فظهَرَ كلَّ الظهور ، واستوثقَ له التدبير ، وصار عنده جعفرٌ لا شيء ،
إلاَّ أنه غالطه زمنه إلى أن أحكمَ أسبابَ صَرْفِهِ . واستقدَّمَ السلطانُ غالباً
وقلدَهُ خُطَّةَ الحِجَابَةِ مُشْتَرِكاً مع جعفر . ودخل ابنُ أبي عامر بأسماءَ
بنته ليلةَ نِروزِ العامِ المؤرَّخ ، وكانت أعظمَ ليلةٍ عُرِسَ بالأندلس . ولجعفر
في ذلك رسالةٌ إلى السلطانِ حَسَنَةً في بابها تملقُ فيها وتصنع ، وهو قد
أيقنَ بالنكبةِ ؛ وكفَّ عن اعتراضِ ابنِ أبي عامر في شيء من التدبير .
وابنُ أبي عامر يُداهنه ولا يكشفه ، وجعفر يشكُّ في أمرهِ ، قد استولى
عليه الإدبارُ والحيرةُ ، فلم يصحَّ له رأيٌ ولا رويةٌ ؛ وانقبضَ الناسُ عنه ،
وانثالوا على ابنِ أبي عامر ، إلى أن صار يغدو [٤٧] إلى قصرِ قُرْطبةَ ويروحُ
وحدهَ وليس في يده من الحِجَابَةِ سوى اسمها ، وابنُ أبي عامر قائمٌ
بشروطها ، ينصبُ الحَبَائِلَ لسقوطِ جعفر ، والأقدارُ السماويةُ تنجدهُ .
وكانت لله عندَ جعفر في إثارِهِ هشاماً بخلافته ، واتَّباعه شهوةَ نفسه وحظَّ
دنياه ، وتسرعهُ إلى قتلِ المغيرةِ لأوَّلِ وهلةٍ دونَ قِصاصِ جريرةٍ
استدركتهُ دونَ إملاء ، فسلطَ عليه من كانَ قدَرًا أَنَّهُ يتسلطُ على الناسِ
باسمِهِ .

ولما اتفقت على جعفر هذه الأسباب ، جدّ المقدارُ به وسخِطَ السلطانُ عليه وعلى ولده وأنسابه وعلى أخيه هشامٍ وسائر طبقته ، وطولبوا بالأموال وأخذوا برفع حساب تصرفوا فيه لأول الزمان . وأخذهم ابنُ أبي عامر بالخروج عنها ، وتوصل بذلك إلى استئصال أموالهم وانتهاك حرمتهم وأبشارهم ، واجتثاث أصولهم . وكان هشام ابن أخي جعفر قد بلغ من حسادته لابن أبي عامر أن سَرَقَ له في غزاته الثالثة في طريقه رؤوساً للنصارى كانت تُساقُ للحضرة ، فنَفَسَ فيها وأمر غلمانَه فصبّوها في النهر ، فقامت قيامةُ ابن أبي عامر لذلك ، وكاشف آل عثمان من ذلك اليوم ، وتجرّد لإبادتهم فاستبلغ في مكروه هشام وعاجله بالقتل في المطبق قبل عمته جعفر ، فلما [قتل] استقصى ابن عامر مال جعفر حتى باع داره بالرصافة ، وكانت من أعظم قصور قرطبة . واستمرت النكبة عليه سنين ، مرة يُحبَسُ ومرة يُخلَى ويُقرُّ بالحضرة وتارة يسيّر عنها ، ولا يُراح في الحالتين من المطالبة والأذى . إذا سَتِمَ ابن أبي عامر إعناته وكنّله إلى غالب صهره فيتولى كِبَرَه ، ويضعفُ عذابه . والأخبار عنهما في ذلك كثيرة . فلما بانَ عجزُ جعفر وضعفه أقرَّ في المطبق بالزهراء إلى أن وافاه^٢ هنالك حِمَامُه وأسلمَ مَيِّتاً إلى أهله ؛ وما ترك الناسُ بعدُ أن عَدُّوه في قتل ابن أبي عامر ، وزعموا أنه دسَّ له شربة سمٍ قضت عليه . والله أعلم .

أخبرني محمد بن إسماعيل كاتب ابن أبي عامر قال^٣ : سِرتُ مع محمد ابن مسلمة ثقة ابن أبي عامر إلى الزهراء لتُسَلِّمَ جسد جعفر بن عثمان

٢ ص : وفاه .

١ النفع : ولا يراح له .

٣ يستمر النص في نفع الطيب ٣ : ٩٠ . وقارن صياغة ابن خاقان لهذا الخبر في المطمح : ٦

إلى أهله وننظر^١ إلى عَيْشِهِ . وسرنا إلى منزله وما غطى جسده إلا كِسَاءٌ خَلَقَ لِبَعْضِ الْبَوَابِينَ الْقَاهِ عَلَى سَرِيرِهِ . ودعا له محمد بن مسلمة بغاسلٍ يَغْسِلُهُ عَلَى فَرْدٍ بَابٍ اخْتَلَعَ مِنْ نَاحِيَةِ الدَّارِ . وخرجنا بنعشه وواريناه ، وما جَسَرَ أَحَدٌ شَهْوَدَهُ مَعَنَا سِوَى إِمَامٍ مَسْجِدِهِ الْمُسْتَدْعَى لِلصَّلَاةِ عَلَيْهِ وَمَنْ حَضَرَهُ مِنْ وَلَدِهِ . فَعَجِبْتُ مِنْ عُذْوَانِ الزَّمَانِ بَعْدَ تَصْرِيفِهِ لَهُ ، وَإِنْ لِي بِالْإِعْتِبَارِ بِشَأْنِهِ فِي الْحَالَتَيْنِ مَعَ قُرْبِ الْمَدَّةِ لِمَوْعِظَةٍ : وَقَفْتُ لَهُ فِي طَرِيقِهِ مِنْ دَارِهِ وَقْتَ عَلَيَّةِ الْحَكَمِ . وَقَدْ تَنَاهَى أَمْرُهُ فِي الْجَلَالَةِ أَرْوَمُ أَنْ أَتَاوَلْتَهُ قِصَّةً . فَوَاللَّهِ مَا تَمَكَّنْتُ مِنَ الدُّنْوِ إِلَيْهِ لِكثَافَةِ مَوَكِبِهِ ، وَأَخَذَ النَّاسُ الطَّرِيقَ عَلَيْهِ مُسْلِمِينَ وَسَائِلِينَ ، فَانْتَنَيْتُ حَسِيرًا مَبْهُوثًا . فَلَمْ تَطُلِ الْمَدَّةُ حَتَّى سَلَبَهُ ابْنُ أَبِي عَامِرٍ حَالَهُ وَقَبْضَ عَلَيْهِ ، وَجَعَلَ يَحْمِلُهُ فِي الْغَزَوَاتِ مَعَهُ . وَسَرَتْ فِي صَحْبَةِ ابْنِ أَبِي عَامِرٍ فَاتَّفَقَ لِي أَنْ نَزَلْتُ فِي بَعْضِ الْمَنَازِلِ بِجَلَسِيَّةٍ إِلَى جَنْبِ خِيَابَتِهِ . وَفِي لَيْلَةٍ نَهَى ابْنُ أَبِي عَامِرٍ عَنِ وَقُودِ النَّارِ لِيَخْفَى عَلَى الْعَدُوِّ مَكَانَهُ . فَرَأَيْتُ وَاللَّهِ عِثْمَانَ بْنَ جَعْفَرٍ يَسْقِي أَبَاهُ جَعْفَرَ دَقِيقًا قَدْ خَلَطَهُ بِالْمَاءِ يُقِيمُ أَوْدَهُ . وَالشَّيْخُ يَحْسُوهُ وَيَحْرَصُ عَلَيْهِ ، ضَعْفَ حَالٍ وَعُدْمَ زَادٍ ؛ فَلَا أُنْسَى تِلْكَ الْمَوْعِظَةَ . وَمَا يَغْتَرُّ بِالْأَيَّامِ إِلَّا ضَعِيفُ الْعَقْلِ .

وَكَانَ مَهْلِكُ جَعْفَرٍ فِيمَا أَخْبَرَنِي بِهِ أَبِي خَلْفُ بْنُ حُسَيْنٍ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ .

وَمِمَّا طُوْلَبَ بِهِ جَعْفَرُ مَالُ الصَّقْلَبِيِّ جَعْفَرٍ ، كَانَ الْحَكَمُ وَقَفَهُ قَبْلَ خَالِدِ بْنِ هِشَامٍ وَتَوَرَّعَ عَنْهُ وَأَوْصَى أَنْ يُوَزَّعَ فِي الْكُتُورِ الَّتِي كَانَتْ

١ ص : والنظر .

إليه وقته ، تَحَلَّتْ مِنْ مَظَالِمِ أَهْلِهَا . فَأَرْجَاهُ عِنْدَ خَالِدٍ مُدَّةً إِلَى أَنْ احتَاجَ
إِلَيْهِ فِقْبَضَهُ سَرَّاً ، واندفع إلى جعفر وأخذ خالد بن هشام براءته منه ،
فسُئِلَ جعفرُ عنه ، فقال : كُنْتُ خَادِمَ الرَّجُلِ وصاحبَ سرِّه فَعَمِلْتُ بِرِسْمِهِ ،
وإن رُجِعَ في الاستدلالِ إلى زِمَامِهِ المَاضِي الَّذِي كُنْتُ أَقِيدُ فِيهِ الْأَمْوَالَ
الباطنةَ وَجَدَ فِيهِ ثَبَتَهُ . فَجِئْتُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ بِذَلِكَ الزِّمَامِ وَقَدْ قُطِعَ مِنْهُ
الدَّرَجُ الَّذِي فِيهِ ذَكَرُ الْمَالِ الْبَاطِنِ ووُصِّلَ مَا انْقَطَعَ بِذَلِكَ مِنَ الْكَلَامِ بِمَا
بَعْدَهُ . وَأَرشَدَ جعفرُ إلى هذه الوَهْلَةِ ، وَحَسِبَ أَنْ مَعَ وجودِهَا لَا تَلْزِمُهُ
الْحُجَّةُ . فَعَدَّلُوا بِهِ إِلَى بَيْدَاءِ مُضَلَّةٍ .

قال ابن حيان : ولما أمر بضمة إلى المُطَبَّقِ بالزَّهْرَاءِ ودَّعَ أَهْلَهُ
وولَدَهُ وَدَاعَ الْفُرْقَةِ . وقال : لَسْتُ تَرُونِي بَعْدَهَا حَيًّا ، فَقَدْ أَتَى وَقْتُ إِجَابَةِ
الدَّعْوَةِ وَأَنَا أَرْتَقِبُهُ مِنْذُ أَرْبَعِينَ سَنَةً . وَذَلِكَ أَتَى أَسْرَفْتُ عَلَى فُلَانٍ - رَجُلٍ
[٤٨] سَجَنَ بَعْدَ النَّاصِرِ - وَمَا أَطْلَقْتُهُ إِلَّا بِرُؤْيَا . قِيلَ لِي : أَطْلِقْ فُلَانًا فَقَدْ
أُجِيبَتْ فِيكَ دَعْوَتُهُ ، فَأَطْلَقْتُهُ وَأَحْضَرْتُهُ وَسَأَلْتُهُ ، فَقَالَ : نَعَمْ ، دَعَوْتُ
عَلَى مَنْ شَارَكَ فِي أَمْرِي أَنْ يُحْمِيَهُ اللَّهُ فِي أَضْيَاقِ السَّجُونِ . فَعَلِمْتُ أَنَّهَا
قَدْ أُجِيبَتْ . وَنَدِمْتُ بِحَيْثُ لَا تُغْنِي النَّدَامَةُ . فَأَطْلَقْتُ الرَّجُلَ . قَالُوا : فَمَا
لَبِثَ فِي مَحْبَسِهِ إِلَّا قَلِيلًا وَأَخْرَجَ مَيِّتًا ، فَسَلَّسَمَ إِلَى أَهْلِهِ فِي أَقْبَحِ صُورَةٍ .
وَمَا زِلْتُ أَسْمَعُ أَنَّهُ قُتِلَ خَنْفًا ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالْحَقِيقَةِ : الْمُغْضِي عَلَى مُحَالٍ
هَذِهِ الْخَلِيقَةِ . انْتَهَى مَا لَخِصْتَهُ مِنْ كَلَامِ ابْنِ حَيَّانَ فِي شَأْنِ جَعْفَرِ بْنِ عَثْمَانَ .

وكان أحد من اجتمع له في ذلك الوقت نوعا البلاغة في النظم
والنثر ، وهو القائل في نكبته :

١ ص : المقتضي على مجال .

لا تأمننَّ من الزمانِ تفلّتباً^١ إنَّ الزمانَ بأهلهِ يتقلّبُ^١
ولقد أراني والديوثُ تخافُني وأخافني من بعدِ ذاكِ الثعلبِ
حسبُ الكريمِ^٢ مدلّةٌ ونقيصةٌ ألاّ يزالَ إلى لثيمٍ يطلبُ
وإذا أنتَ أعجوبةٌ فاصبرِ لها فالدهرُ يأتي بالذي هو أعجبُ

وحدث غير واحدٍ أنه استعطف المنصورَ بهذه الأبيات^٣ :

هَبْنِي أَسَأْتُ فَأَيْنَ الْفَضْلُ وَالكَرَمُ إِذْ قَادَنِي نَحْوَكَ الْإِذْعَانُ وَالنَّدَمُ^٤
يَا خَيْرَ مَنْ مَدَّتْ الْأَيْدِي لِإِلِيهِ أَمَا تَرْتِي لَشَيْخٍ نَعَاهُ عِنْدَكَ الْقَلَمُ
بَالِغَتْ فِي السَّخَطِ فَاصْفَحْ صَفْحَ مَقْتَدِرٍ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا مَا اسْتَرْحَمُوا رَحِمُوا

فأجابه بهذه الأبيات وهي لعبد الملك الجزيري^٥ :

الْآنَ يَا جَاهِلًا زَلَّتْ بِكَ الْقَدَمُ تَبْغِي التَّكْرُمَ لَمَّا فَاتَكَ الْكَرَمُ^٦
نَدِمْتَ إِذْ لَمْ تَقْزُ مِنَّا بِطَائِلَةٍ وَقَلَمًا يَنْفَعُ الْإِذْعَانُ وَالنَّدَمُ

ومنها :

نَفْسِي إِذَا جَمَعَتْ لَيْسَتْ بِرَاجِعَةٍ^٧ وَلَوْ تَشَفَّعَ فِيكَ الْعُرْبُ وَالْعَجَمُ

١ الأبيات في النفع ١ : ٤٢١ والمطمح : ٧ والخلة ١ : ٢٦٧ .

٢ ص : اللثيم ، وهو سهو .

٣ الأبيات في النفع ١ : ٤٠٧ ، ٦٠١ والبيان المغرب ٢ : ٢٨٦ والخلة ١ : ٢٦٥ وقال

ابن الأبار : « هذه الأبيات متنازعة ينسبها إلى المصحفي جماعة ، وقد وجدتها منسوبة إلى ابن

دراج القسطلي ، وذكر الرقيق أنها لكاتب إبراهيم بن أحمد بن الأغلب » (وانظر البيان

المغرب ١ : ١٣١) .

٤ نفع الطيب ١ : ٤٠٨ ، ٦٠١ والخلة ١ : ٢٦٧ والبيان المغرب ٢ : ٢٨٦ .

٥ الخلة : إذا سخطت ليست براضية .

وأخبرت أن المصحفي لما بلغ إليه هذا الجواب قال ١ :

لي مُدَّةٌ لا بدَّ أبلغُها فإذا انقضت أيتامُها مُتُّ
لو قابلتني الأسدُ ضاربةً والموتُ لم يَدُنْ ٢ . لما خيفتُ
فانظرُ إليَّ وكنْ على حذرٍ فبمثلِ حالِكَ أمسٍ قد كنتُ

قال ابن بسّام : ومما يُروى لجعفر المصحفي عند ظهور ابن أبي عامر عليه ، وانتزاعه ما كان من الحِجَابَةِ في يديه . وإفضائه به إلى هذه الحال . من الهضم والاعتقال . قوله ٣ :

تندمت والمغرور من قد تندما وهل ينفع الإنسان أنْ يتندما
غرستُ قضيباً خلتُهُ عودَ كَرَمَةٍ وكنتُ عليه في الحوادثِ قَيِّما
أكرمهُ دَهْرِي فيزدادُ خِيسَةً ٤ ولو كان من عودِ كَرِيمٍ تَكْرِما

جمل وجوامع من كبار الأحداث بالدولة العامرية .

قال ابن حيّان : أوّلُ ذلك الوحشةُ الحادثةُ بين ابن أبي عامر والخليفة هشام ووالدته صبيح . والذي أثارها أسبابُ الحسد ودواعي المُتَافَسَةِ بين

١ النفع ١ : ٦٠٣ والحلة ١ : ٢٦٧ .

٢ الحلة : لم يقدر ؛ النفع : لم يقرب .

٣ منها بيتان في النفع ١ : ٦٠٣ .

٤ النفع : فيزداد خبثه .

٥ نقله المقرئ بإيجاز وتلخيص ٣ : ٩١ .

أهل القصر الهشامي والعامري ؛ وأشاعوا عنه أنه يريد أن يستبد بالأمر ، فقام ابن أبي عامر في ركائبه لحسم حديثه . وعلم أنه أتى من حاشية القصر ، وكان به عِدَّةٌ من الخدم ففرقهم ومزقهم . ولم يدع في خدمة القصر إلا من استشعر له رهبة وهيبة . وأذكى العيون مع ذلك عليهم حتى ملك نفوسهم . ثم نظر في شد الأموال المختزنة فيه مذ عهد الخلفاء . ووصف أن أيدي الحرم تنبسط عليها .

قال ابن حيان : أخبرني ولد الخال من بعض ما كانت تفعله السيدة صُبُح مع أخيها رائق أنها أخرجت عند تمكن الوحشة بينهما وبين ابن أبي عامر مائة كوز على أعناق الخدم الصقالية مختومة . قد صيرت أسطارها مالا عينا ذهباً وفضة . وموتت على ذلك كله بالمري^١ والشهد وغير ذلك من الأصباغ الرفيعة المتخذة بقصر الخلافة . وكتبت على رؤوس الكيزان أسماء ذلك . ومرت بصاحب المدينة فحسبها كما كتبت عليها . وكان في تلك الكيزان ثمانون ألف دينار . فأحضر ابن أبي عامر جماعة وأعلمهم أن الخليفة مشغول عن حفظها بانهماكها بالعبادة ، وأن في تضييعها على المسلمين وعلى الدولة أعظم الآفة . فرأت الجماعة أن كون الأموال بيد المنصور أسلم . وهو على حفظها أقدر وأقوم . ثم نالته على ذلك بقبيلة علية طاولته فأرجفوا به . فانتقل ابنه عبد

١ ص : أوتي .

٢ المري (muria) : أنواع من مستحضرات تتخذ في صنع الأطعمة منها المري النقيع والطيب ومري الحبز ومري الحوت وبعض أنواعه يصنع من عصير العنب بالأفاويه دون خبز محرق (انظر صفحات متفرقة من كتاب الطبخ ومفردات ابن البيطار ٤ : ١٤٩ وقاموس دوزي مادة « مري » والحاشية ٤ ص ٩٢ من النسخ ج ٣) .

الملك إليه بالزاهرة لينفذ الأمور عنه. فكشف أعداؤه وجوههم عند
 استحكام الإرجاف به. وراسلوا حاشية الخليفة هشام سرّاً. وجهّزوا للقيام
 عليه؛ فلم يكن فيهم فضلٌ لذهاب أعيانهم [٤٩]. واشتدّ [ذلك] على ابن
 أبي عامر. فتقدّم إلى ابنه عبد الملك أن يعتزّض ألفي فارس من المصطنّعين
 للدولة والغلمان العامريين. وأن يبيّتوا معه بالزاهرة لإنفاذ العزيمة
 فيما رآه من حمل الأموال إليه. وأحكّم الأمر مع الفقهاء والوزراء،
 فركب ذلك الجيش من بين يديه يوم الثلاثاء الثالث من جمادى
 الأولى سنة ست وثمانين. فأتى قصر الخلافة بقربة. وأذن لمن وافى
 من الفقهاء والوزراء بالوصول إلى مجلسه. وشافهم في ذلك. فاعترف
 الملأ بفضل أبيه المنصور. فقال لهم عبد الملك: إن قوماً ميمّن يتصل
 بأسباب الخليفة هشام يؤثّر الفتنة ويكره الدّعة. فأنكرت الجماعة
 ذلك. وأحبّ عبد الملك الوصول بهم إلى مجلس هشام ليشافهوه بهذه
 الكروب العظام. فكبره هشام ذلك وامتنع منه وتبرأ منه أعداء ابن أبي
 عامر؛ وانصدع جمعهم على انتقال المال. فنقل في ثلاثة أيام حتى
 استنفذ جميع ما ظهر عليه من بيت المال، وتعذّر ما كان يحوف القصر
 من بيت مال الخاصة؛ ودافع عنه أهل الدار لقيام السيدة أم هشام
 دونه. أخبرني أبي بعظيم ما شاهدته من صرامة تلك المرأة لابن أبي عامر
 وولده ورميها لهما بكلّ عزيمة. وعبد الملك يومئذ ساكتٌ ينجرّع
 غصصه. لا يردّ كلمة. فبلغ عبد الملك رغبته، وانكفأ إلى أبيه بالزاهرة
 بعد أن ثقّف القصر. فسكن جاش ابن أبي عامر بإحراز تلك الأموال.

وكان جملة ما حمل - زعموا - من الورق خمسة آلاف ألف دينار
دراهم قاسمية ، ومن الذهب سبعمائة ألف جعفرية .

ثم استبلى المنصور ، ووصل إلى مجلس الخليفة هشام مع ابنه عبد
الملك وسائر عظماء الدولة ، فخلا هشام مع ابن أبي عامر واعترف له
بالفضل والاضطلاع بالدولة ، فخرست السنة الحسنة . وعلم
المنصور ما في نفوس الناس لظهور هشام ورؤيتهم له ، إذ كان منهم
من لم يره قط ، فأبرزه للناس وركب ركبته المشهورة ، وقد برزوا
له في خلق عظيم لا يحصيهم إلا من أحصى آجالهم ، في بهجة ولبوس
وهيئة ، معتمداً على الطويلة ، سادلاً للذؤابة ، والقضيب في يده ،
زياً الخلافة ، وإلى جانبه المنصور راكباً يسايره ، وقد آماه الحاجب عبد
الملك راجلاً يمشي ، ويسير الجيش أمامه ، ومن المواكب وطوائف
الجنود والغلمان والفتيان القصريين والعامريين ما عجب من كثرتهم .

وفاة المنصور بن أبي عامر

قال ابن حيان^١ : وخرج المنصور إلى الغزاة ، وقد وقع في مرضه
الذي مات منه في صفر سنة اثنين وتسعين وثلاثمائة . واقتحم أرض
جاليقية من تلقاء مدينة طليطلة ، ومرضه يخف وقتاً ويثقل
وقتاً . ونفذ على عمل بني غومس إلى أرض قشتالة ، بلد شانجه

١ قارن بالنفع ٣ : ٩٣ .

بن غرسية . وهو كان مطلوبه الذي ألتب عليه الجماعة . فأحل الغارات بأقطاره فتقويت عليه العلة هنالك ، فاتخذ له سرير خشب ودع عليه أعضائه ، وسوي مهاده متطاول الشكل يمكنه الاضطجاع عليه متى خارت قواه . وكان يحمل سريره على أعناق الرجال ، وسجنفه منسدل عليه ، وعساكره تحف به وتطيع أمره . وكان يحمل بين يديه شراع خفيف منصوب ينقل على الأيدي ، فإذا حركته الخلفة أنزل سريره إلى جنب الشراع ليقتضي ما به من حاجة ، وتناول وضوءه جاريثان من قواميه كان حملهما في غزاته ، فكانتا تسيران وسطا الفتيان . وما كان بين نزوله واستقلاله إلا الفترة لقوة الخلفة . بذلك قطع أربعة عشر يوماً حتى وصل إلى مدينة سالم . وكان هجر الأطباء في علمه تلك لاختلافهم فيها ، واقتصر على أوصاف كاتبه الجزيري عبد الملك . وأيقن هنالك بالموت ، وكان يقول : إن زمامي يشتمل على عشرين ألف مرتزق ما فيهم أسوأ حالاً مني ؛ وددت أن أقال زلتي وأنا كبعض هؤلاء السودان الحاملين لسريري . وكان تحمل سريره السودان الرقاصة ليلين مشيهم ، وكان يتأذى بصنن ريحهم مع ما كان حوله من الطيب . فاشتغل ذهنه يومئذ بقسرة وهو بمدينة سالم وقد أيقن بالوفاة . فأمر ابنه عبد الملك بالنفوذ لشدها في طائفة من ثقات علمانيه بعد أن أوصى كلهم أشتاتاً وجماعة . ثم خلا بولده عبد الملك يوصيه ويودعه ويقبض على يده ، وكلماه ذهب عنه استردده مستدر كاً بوصيته . وعبد الملك يسكي فيسكير ذلك عليه ويقول : هذا

١ ص : الحلية ؛ والخلفة : الهيفة ، وهي فساد المعدة من الطعام يقال : أخذته خلفه إذا كثرت رددته إلى المتوضأ لذب معدته من الهيفة .

أَوَّلُ الْعَجَزِ وَالْفَسَلِ : إلى أن قضى وَطَرَهُ مما بينهُ وبين عبدِ الملكِ . وأمرهُ أن يستخلف أخاه عبدَ الرحمنِ على العسكرِ إلى أن يُنفذَ حُكْمَهُ فيه . وخرج عبدُ الملكِ إلى قُرطُبةَ ومعه القاضي ابنُ [٥٠] ذَكْوَانَ فدخلها في صدرِ شوال من العامِ . فسكنَ الإرجافَ بموتِ والدِهِ . وعرفَ الخليفةَ كيف تركَهُ .

قال ابنُ حيان ١ : قال لي أبي خلفُ بنُ حسينَ : ووجدَ المنصورُ بعضَ الراحةِ . وأمرَ أن تدخلَ عليه جماعةٌ فدخلتُ في جُمْلَتِهِمْ ودنوتُ منه وهو كالخيالِ لا يُبينُ كلاماً ، وأكثرُ عملِهِ بالإشارةِ كالمسلمِ المودعِ . وخرجنا فكان آخرَ العهدِ به . وماتَ ليلةَ الإثنينِ لثلاثِ بقينَ لرمضانَ من العامِ المورخِ ، وعلينا في العسكرِ عبدُ الرحمنِ ابنُهُ فعزَّيناهُ ؛ وكان أوصى أن يُدفنَ حيثُ يُقبَضُ ولا يُنقلُ تابوتُهُ . فدفنَ في قصرِهِ بمدينةِ سالمٍ . ورأوا أَنَّهُ اختارَ اللهُ له ، إذ كانت من أطيبِ ما بناه رحمه الله .

وتلوَّم ابنُهُ عبدُ الرحمنُ بالعسكرِ مدَّةَ الأسبوعِ وهو ينتظرُ رأيَ أخيه عبدِ الملكِ في القُفُولِ ، والعِلَمانُ يضطربونَ عليه وطمِعوا في ردِّ الدولة ، فقال لهم عبدُ الرحمنُ : اصبروا . فكشفوا ما في أنفسهم له ، وقالوا : وإنما نحن في حِجْرِ آلِ أبي عامرٍ الدهرَ الداهِرَ ؟ ! نلحقُ ببابِ مولانا الخليفةِ هشامٍ ولا نندبَرُ إلَّا بأمرِهِ . فتقدَّمَهُ إلى قرطبةَ منهم نحو سبعمائةٍ منهم عبيدُ الله بنُ بدرٍ . ثم جاءهُ بعدُ إذنُ أخيه ، فقَدِمَ هو بسائرِ العسكرِ . وتجدَّدَ يومَ وردِ قرطبةَ من الحُزنِ بابنُ أبي عامرٍ ،

١ قارن بالنفح ٣ : ٩٤ .

وحرّكته خَدَمَهُ ، وقِيَانُهُ قد أَلْبَسَ المِسْوَحَ والأَكْسِيَّةَ بعدَ الوُشْيِ
والحَبِيرِ ، ما لا شيءَ فوقه .

أخبرني أبي قال : سَمِعْتُ مُحَمَّدَ بْنَ أَبِي عامرٍ يوصي ابنه عبد الملك في
مَرَضَتِهِ تلكَ ويقولُ في جُمْلَةٍ كلامِهِ : يا بنيَّ . لستَ تجدُ أنصحَ لكَ
مني فلا تُعَدِّينَ مشورتِي : قد جَرَدْتُ لكَ رأْيِي ورويتي على حين اجتماعِ
من ذِهْنِي ، فاجعلها مثلاً بين يديك . قد وطَّأتُ لكَ مِهادَ الدولةِ ،
وعَدَلْتُ لكَ طبقاتِ أوليائها . وغايرتُ لكَ بينَ دُخُلِ المملَكَةِ وخَرَجِها ،
واستكثرتُ لكَ من أطعمَتِها وعُدَدِها . وخالفتُ جبايةَ تَزِيدُ على ما
ينوبُكَ بلَيشِكَ ونفقَتِكَ : فلا تُطْلِقْ يدَكَ في الإنفاقِ . ولا تَقْبِضْ
لظَلَمَةِ العَمالِ . فيختلُ أمرُكَ سريعاً . فكلُّ سرفٍ راجعٌ إلى اختلالِ
لا محالة . فاقصِدْ في أمرِكَ جهْدَكَ . واستثبِتْ فيما يرفعُ أَهْلُ السَّعَايَةِ
إليك . والرعيَّةُ قد استقصيتُ لكَ تقويمَها . وأعظمُ مُناها أن تأمنَ البادِرَةَ
وتسكنَ إلى لينِ الجَنَبَةِ . وصاحبُ القصرِ قد علمتَ مذهبَهُ . وأنَّهُ لا
يأتِيكَ مِن قِبَلِهِ شيءٌ تَكْرَهُهُ . والآفَةُ ممَّنْ يتولَّاهُ ويلتمسُ الوُثوبَ باسمِهِ .
فلا تنمَ عن هذه الطائفةِ جُمْلَةً . ولا ترفعَ عنها سوءَ ظنٍّ وتهمَةً : وعاجلُ
بها من خِفَتِهِ على أقلِّ بادرةٍ . مع قيامِكَ بأسبابِ صاحبِ القصرِ على أتمِّ
وجهٍ : فليس لكَ ولا لأصحابِكَ شيءٌ يقيكم الحِشْمَتَ في يَمِينِ البيعةِ إلَّا
ما تُقيمُهُ لوليَّتِها من هذه النفقةِ . فأما الانفرادُ بالتدبيرِ دونَهُ مع ما بلوته
من جهلِهِ وعجزِهِ عنه . فإني أرجو أني وإياكَ منه في سعةٍ ما تمسكنا بالكتابِ
والسَّنةِ . والمالُ المخزونُ عندَ والدَتِكَ هو ذخيرةُ مَمْلَكَتِكَ . وعدةُ
لحاجةٍ تنزلُ بك . فأقمهُ مقامَ الجارِحَةِ من جوارِحِكَ الَّتِي لا تَبْذُلُها
إِلَّا عندَ الشدةِ تخافُ منها على سائرِ جسدِكَ . ومادةُ الخراجِ غيرُ منقُطَةٍ

عنك بالحالة المعتدلة . وأخوك عبدُ الرحمن قد صيرتُ إليه في حياتي ما رجوتُ أني قد خرجتُ له فيه عن حقه من ميراثي ، وأخرجته عن ولاية الثغر لئلا يجد العدو مساعاً بينكما في خلافٍ وصيتي فيُسرع ذلك في نقضِ أمري ، ويسجلِبَ الفاقةَ على دولتي . وقد كفيْتُك الحيرة فيه فأكفِه الحيفَ منك . وكذلك سائرُ أهليكَ فيما صنعتُ فيهم بحسبِ ما قدَّرتُ به خلاصي من مالِ الله الذي في يدي . وخيلافتُك بعدي أجدي عليهم ممّا صرفتهُ ؛ فلا تُضَيِّعْ أمرَ جميعهم . والحظُّهم بعيني ، فإنك أبوهم بعدي . فخرِّجْ ذكورهم باستخدامِكَ ، وألحِفْ لِنائهم جناحتَكَ ، جبرَ الله جماعتهم ، وأحسنِ الخلافةَ عليكم . فإن انقادتْ لك الأمورُ بالحضرة فهذا وجهُ العملِ ، وسبيلُ السيرة ، وإن اعتاصتْ عليك فلا تلقينَ بيدِكَ إلقاءَ الأمة ، ولا تطبِّيكِ ، وأصحابك السلامةُ فتنسوا ما لكم في نفوسِ بني أميّة وشيعتهم بقرطبة . فإن قاومتَ من توثَّبَ عليك منهم فلا تذْهَلْ عن الحزمِ فيهم . وإن خيفتَ الضعفَ فانتبذْ بغاصتِكَ وغلِمانك إلى بعضِ الأطرافِ التي حصنتُها لك . واختبرْ غدَكَ إن أنكرتَ يومَكَ . وإياك أن تضعَ يدَكَ في يدِ مرواني ما طاوَعَتَكَ بنائُك ، فلاني أعْرِفُ ذنبي إليهم .

قال : وسمعتُه يقول لِغِلْمَانِهِ عند هذه الوصية : تنبّهوا لأمركم . واحفظوا نعمةَ الله عليكم : في طاعةِ عبدِ الملكِ أخيكُم ومولاكم ، ولا تغرّنكم بوارقُ بني أمية ، ومواعيدُ مَنْ يطلبُ منهم شتاتكم . وقدّروا ما في قلوبهم وقلوبِ شيعتهم بقرطبة من الحقدِ عليكم ، فليس يرأسُكم

بعدي أشفقُ عليكم من ولدي. وميلاكُ أمركم [٥١] أن تنسوا الأحقادَ وأن
تكونَ جماعتُكم كرجلٍ واحدٍ . فإنه لا يُفْلُ فيكم . وما زال يُكرّر
هذا وشبهه لطائفةٍ بعد أخرى حتى ضَعُفَ وشُغِلَ بنفسِه .

قيام عبد الملك ابنه بالدولة

ولمّا وردَ النّبأُ بموتِه ركبَ عبدُ الملكُ إلى هشامٍ ونعى إليه المنصورَ
أباه ، فأظهرَ الإشفاقَ . وعرفه بما اضطربَ من أمرِ الفتيانِ وعصيانهم ؛
فخرجَ هشامٌ وأمره بتدبيرِ أمرهم بحسبِ ما يستقيمُ به أمرُ الدولةِ . وحذّره
مُواقعةَ الدماءِ وتلقيحِ الفتنَةِ . وخلعَ عليه ، وأخرجَ معه كِتَابَه بولايةِ
الحِجَابَةِ مكانَ أبيه . وقُرِئَ على الكافّةِ . وأنشئ به الكُتُوبُ إلى الأقطارِ .
وعاقبَ بعضَ الفتيانِ العاصينَ . وأخرجَ بعضهم إلى سبْتَةِ . فما قفَلُوا
عنها إلّا عندَ وثوبِ المهديّ بنِ عبدِ الجبّارِ على الدولةِ العامريّةِ . ثم
وافى العسكرُ الكبيرُ مع أخيه عبدِ الرحمنِ . واجتمعَ الشملُ . وتمكّنتِ
الطاعةُ ، وأيسرَ الأعداءُ من دولةِ بني عامرٍ . وعلِموا أنّها وِراثَةٌ .

وأسقطَ عبدُ الملكِ سُدُسَ الحِجَابَةِ لأوّلِ ولايتهِ في جميعِ أقطارِ
الأندلسِ عن الرعيّةِ . فراقَتِ أيتامُه ، وأحبّه الناسُ سرّاً وعلانيةً ،
وانصبَّ الإقبالُ والتأييدُ عليه انصباباً لم يُسمعْ بمثلهِ . وسكنَ الناسُ
منه إلى عَفَافٍ ونزاهةٍ نفسٍ . فباحثُوا بالنعمةِ . وأخذوا في المكاسِبِ
والزينةِ من المراكبِ والملابسِ والقيانِ . حتى سَمَتِ أثمانُ هذه الأشياءِ
في مُدَّتِه . وبلغتِ الأندلسُ في أيتامه إلى نهايةِ الجمالِ والكمالِ وسعةِ

الحال . وفي كنف ملكٍ مُقْتَبِلِ السَّعْدِ . مَيِّمُونَ الطَّائِرَ . غَافِلٍ عَنْ
 الْإِيَّامِ . مَسْرُورٍ بِمَا تَنَافَسُ فِيهِ رَعِيَّتُهُ مِنْ زُخْرَفِ دُنْيَاهَا . فَاجْتَمَعَ النَّاسُ
 عَلَى حُجَّتِهِ . وَنَجَا مِنَ الْفِتَنِ . وَأَخْبَارُهُ فِي ذَلِكَ مَأْثُورَةٌ . وَكَانَ عَلَى أَهْلِ
 الْأَنْدَلُسِ أَسْعَدُ مَوْلُودٍ وَلِيدٍ . بَلَغَنِي عَنْ أَحْمَدَ بْنِ فَارَسٍ الْبَصْرِيِّ الْمُنْجَمِ
 زَعِيمِ الصَّنَاعَةِ بِهَا عَلَى عَهْدِ الْحَكَمِ أَنَّهُ نَظَرَ فِي مَوْلِدِ عَبْدِ الْمَلِكِ هَذَا
 وَهُوَ طِفْلٌ فَأَشَارَ مِنْ بُعْدِ سَعَادَتِهِ إِلَى أَمْرِ كَبِيرٍ لَمْ يَدْرِكْهُ هُوَ آخِرُهُ .
 فَعَجِبَ مَنْ شَاهَدَهُ مِنْ جَوْدَةِ إِصَابَتِهِ . وَذَلِكَ أَنَّهُ قَالَ : لَمْ يُولَدْ قَطُّ
 بِالْأَنْدَلُسِ مَوْلُودٌ أَسْعَدُ مِنْهُ عَلَى أَبِيهِ وَعَلَى نَفْسِهِ وَحَاشِيَتِهِ . نَعَمْ . وَعَلَى
 أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ طَرَأَ . وَعَلَى أَرْضِهَا فَضْلًا عَنْ نَاسِهَا . وَأَنْتَهَا لَا تَزَالُ
 بَخِيرِ حَيَاتِهِ . وَإِذَا هَلَكَ مَا أَرَاهَا إِلَّا بِالضَّدِّ . قَالَ ابْنُ حَيَّانَ : سَمِعْتُ
 هَذَا الْحَدِيثَ عَنْ ابْنِ فَارَسٍ مِنْ غَيْرِ مَا طَرِيقٍ . فَكَانَ كَمَا قَالَ . لَقَدْ حَدَّثَ
 بِالْأَنْدَلُسِ إِثْرَ مَهْلِكِهِ مَا هُوَ مَشْهُورٌ .

وَكَانَ عَبْدُ الْمَلِكِ مِنْ أَحْيَا النَّاسِ . فَلِذَا كَانَتْ الْحَرْبُ عَوِينَ مِنْهُ
 الْأَسَدُ الْمُحَرَّبُ فِي بَرَائِنِهِ حَظْمًا وَشِدَّةً . مِنْ رَجُلٍ عَدِيمِ الْفَهْمِ
 وَالْمَعْرِفَةِ جُمْلَةً . صِفَرٍ مِنَ الْأَدَبِ وَالتَّعَالِيمِ . حَتَّى مَا كَانَ يُسَايِرُهُ وَيُنَادِيهِ
 إِلَّا الْعَجْمُ مِنَ الْجَلَالِيَّةِ وَالْبَرَابِرَةِ مَعْنً لَا يَنْهَشُ لِسْمَاعٍ . وَلَا يَطْرُبُ
 لِإِبْقَاعٍ . فَارْتَفَعَتْ بِذَلِكَ عَنْ مَجَالِسِ لَهْوِهِ طَبَقَةُ الْمَعْرِفَةِ . وَقَوَّضَ عَنْهَا
 كُلُّ فَاضِلٍ وَعَالِمٍ . وَاعْتَاضَ مِنْهُمْ بِحُفَاةِ الْبَرَابِرِ وَالْأَعَاجِمِ . إِلَّا أَنَّهُ
 مَعَ زُهْدِهِ فِي الْأَدَبِ تَمَسَّكَ بِمَنْ كَانَ اسْتَخْلَصَهُ أَبُوهُ مِنْ طَبَقَاتِ أَهْلِ الْمَعْرِفَةِ
 مِنْ خُطِيبٍ وَشَاعِرٍ ، وَنَدِيمٍ وَشَيْطَرَنْجِيٍّ ، وَمُعَدَّلٍ وَتَارِيخِيٍّ وَغَيْرِهِمْ ،

حِفْظاً لِّصَنَائِعِ والدِهِ وقِياماً بِرُسُومِهِ ^١ . ففَرَّرَهُمْ عَلَى مَرَاتِبِهِمْ . ولم يَنْقُصْهُمْ
سِوَى الفُوزِ بِخُصُوصِيَّتِهِ . وكانت تُرْفَعُ إِلَيْهِ بِطَائِقِ أَهْلِ الشَّعْرِ وَيَصْلُحُ لَهُمْ
عَلَى تَسَاهُلِهِمْ فِي مَدِيحِهِ لِأَمَانِهِمْ مِنْ نَظَرِهِ فِيهَا . وأَحْرَزَ لَهُمْ مَعَ الْفَائِدَةِ
عَفْوُ الْقَرِيحَةِ ، وذلك بَيْنَ لَمَنْ تَأَمَّلَهُ فِي أَشْعَارِ مَادِحِيهِ لِفُتُورِهَا .

ثم أَغْرَقَ عَبْدُ الْمَلِكِ النَّزْعَ فِي دَوْلَتِهِ ، وَاثْمَكَ فِي طَلَبِ الْآلَاتِ
الْمُلُوكِيَةِ حَتَّى جُلِبَ إِلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ كُلُّ عِلْقٍ خَطِيرٍ ، وَتَأَنَّقَ فِي مَرَاكِبِهِ
هُوَ وَأَصْحَابُهُ بِالْحِلْيَةِ التَّامَةِ بِخَالِصِ اللَّحَجَيْنِ . عَهْدِي بِهِ يَوْمَ فُضُولِهِ لِعَزْوَتِهِ
سَنَةَ ثَمَانٍ وَتِسْعِينَ الَّتِي احْتَفَلَ فِيهَا لِشَانُجِهِ بْنِ غَرْسِيَّةٍ . وَاسْتَكْثَرَ فِيهَا
مِنَ الْعُدَّةِ وَالْعَدَدِ . فَبَرَزَ عَلَى جَوَادٍ مِنْ مُقْرَبَاتِهِ ^٢ الْمُنْسُوبَةِ ، بِأَفْخَمِ تِلْكَ
الْمَرَاكِبِ الْمُسَلَّسَةِ . وَلَبَّيْوسِ دَرَجِ فَضِيَّةٍ مَطْرَزةٍ بِالذَّهَبِ ، وَعَلَى
رَأْسِهِ خُوْذَةٌ ^٣ مُثْمَنَةٌ الشَّكْلِ ، مُحَدَّدَةٌ الرَّأْسِ . مُرْصَعَةٌ الطَّرْقِ
بِدُرٍّ فَاخِرٍ ، وَاسْطَنُهُ حَجَرٌ يَاقُوتٍ أَحْمَرٌ مَرْتَفِعُ الْقِيَمَةِ ؛ قَدْ لَزِمَ وَسَطَ
الْجَيْشِ ، وَطُورِحَ الشَّعَاعُ عَلَى سُنَّةِ وَجْهِهِ . فَمَا رَأَى النَّاسُ بَعْدَهُ مَلِيكاً
يَعْدِلُهُ فِي الْبَهَاءِ وَالْبَهْجَةِ .

وَكَانَتْ مِمَّا رَأَتْ بِهِ دَوْلَتُهُ فِي الْجَمَالِ مَا تَلَّاحَقَ فِيهَا [٥٢] [مِنْ]
غُلَامَانِ أَبِيهِ الْعَامِرِيَيْنِ النَّاشِئَيْنِ فِي دَوْلَةِ الْمَنْصُورِ ، وَكَانَ قَدْ وَفَّرَ عُنَابَتَهُ بِهِمَا .
وَجَدَّ فِي تَدْرِيبِهِمْ ، وَوَقَفَ حُذَّاقُ الْمُنَاقِفِينَ * عَلَى تَخْرِيجِهِمْ . فَأَثْمَرَ

١ ص : لرسومه .

٢ ص : مغرياته .

٣ ص : حزرة .

٤ ص : الناسيين .

* المناقفون : الذين لديهم مهارة في المناجزة بالسيوف .

غرسهم ، وأمكن جناحهم . وراقَت جُمَلَتُهُم في الفُروسِيَّةِ والرَّمايَةِ ،
وبَلَّغُوا الْفَتَى غُلَام .

وانهمكَ أيضاً في اصطِباعِ البرابرةِ العُدُوِيَّةِ ، ودعا القبائلَ منهم إلى
الدخولِ إليه والخدمةِ له . وكان من أعظم من هاجر إليه منهم زاوي بن زيري
ابن مناد الصنهاجي عمُّ أبي المعز بن باديس بن منصور صاحب إفريقية وصاحب
الفرقة الخارجة عليه من أهل بيته . وكان المنصور أيامه قد التوى في الإذن له
بالدخول إلى الأندلس حذراً من دهبه ومكره وبعُد صيته في المغرب . فأضرب
عبد الملك عن الفكر في شأنه ^١ . وطلب السَّمتَ باستخدام مثله ، فأدخله بمن
معه من إخوته ، وهم من سعة النعمة وبعُد الهيم واستصغار الرغائب فيما يكون
عليه أشباههم من أبناء الملوك . فاستقلوا ما وصلهم به عيد الملك على كثرته ،
وما استقرُّوا [وا] [الدارَ] إلاَّ على قُلعةٍ ، ولا [. . .] معروفهم ^٢ ، ولا لبسوا
أعالي المراتب السلطانية إلاَّ على ابتذالٍ ومَحَقرةٍ . ولا قَطَعُوا أمدَّ المنقَامِ
بالأندلس إلاَّ بذكرِ الرِّحلةِ والتماسِ التسريحِ بكرةٍ وعشيَّةٍ ، جهلاً
وفرط أنفةٍ ، والأقدارِ موكَّلةٍ بشئني عزمِ عبدِ الملك عن إسعافهم
بسراحيهم لِمَا كان قدره - عزَّ وجهه - من الفِتنةِ وتفريقِ شملِ
الأندلسِ بأشباههم . فلم يخرجوا عنها إلى أن قاموا على الجماعة ، وشغَبُوا
عليها بعد عبد الملك . وكان شيخُهم زاوي أوَّلَ دخوله الأندلس يُظهِرُ
[من] [أنواعِ البِرِّ والبِشْرِ للناس ما لا شيء فوقه . وكان شأنه في الدَّهْنِي

١ ص : في الفكر عن شأنه .

٢ الحملة ناقصة ولعلها أن تكون في الأصل : ولا قبلوا معروفهم إلا هل نية الرحمة ، أو
شيئاً شبيهاً بذلك .

والمكر والخلافة عجباً . وكان يرجع^١ في إقامة ما اعتاده من سعة إنفاقه إلى ما جاء به من بلده من عقود وذخائر . فيبيع^٢ من ذلك النفيس والخطير ، وربما اشترى من ذلك عبدُ الملك فيزيد في حسرته . وكان عبدُ الملك [راغباً] في رفعة منزلته ، وولاه^٣ الوزارة أرفعَ خططِ أصحابِ السلطان بالأندلس ، ووصل إليه الرسولُ بالصَّكِّ في ذلك وطلب أن يصله عليه ، فقال : لو جئتنا بمال لأسهمناك ، وإنما [خُطَّتْنا الامارة]^٤ لا الوزارة ، وأقلّنا الرماح ، وصحائفنا الأجساد^٥ . ولم يمتنع عبدُ الملك مع غطرسة زاوي هذا من إقامة الحدّ على من وجبَ عليه من أهله : عدا ابنُ أخيه على مولى^٦ لهم فقتله فأقاده عبدُ الملك لحينه ، وأسلمه أهله السيفَ فضُربت عنقه على قتيله ذلك ، بمقبرة كلاع بمشهدٍ عظيمٍ من الناس ، وأسلمت جثته إلى أهله . ونبت الأندلس بعدُ بأخي زيري أبيه فقوّض عنها أوّلَ المقوّضين من صنهاجة بسراحٍ من عبد الملك .

قال ابنُ حيتان : وانبسطت حاشيةُ الخليفة هشامٍ على عبد الملك طول مدته في جميع أحوالها ، فحملهم على مرادهم . وانهمك هشامٌ طول أيامه فلم يظهر وقتاً فيها ، ولا شهد صلاةً ، واحتجبَ في نزّهه الباطنة على رسمه في أيام أبيه المنصور . وبلغه منها عبد الملك بُغيته ، وجعل يخرجُه

١ ص : إل .

٢ ورد جانب من هذا النص في مخطوطة الرباط (رقم : ١٢٧٥) ص : ١٥٤ .

٣ ما بين معقوفين زيادة من مخطوطة الرباط .

٤ زاد في المخطوطة : أحمل قرطاسك لا حاجة لي به ، فبلغ ذلك المظفر فحقدها له ، وقطع عنه الجراية ، فأخرج من ذخائره أعتاقاً نفيسة وذخائر عظيمة القدر فباعها وأنفقها على قومه صنهاجة ، وربما اشترى منها المظفر في خفية .

منها مع حرّمه مستخفياً بعد طرد الناس عن طريقه ، فيضربُ به إلى كلِّ ناحيةٍ ، ثم يعود إلى قصره . ونال في مدّة هذا الانهماكِ والدّعة أهلُ الاحتيال من الناس عندهم الرغائب النفيسة ، بما ازدلفوا به من أثرِ كريم ، أو زخرفوه من كذبٍ صريح . حتّى لقد اجتمع عند نساء القصر ثمانية حوافرَ عِزّيّ جميعها إلى حِمَارِ عِزّيرِ المُستَحْيَى بِالآيَةِ الباهرة ، واجتمع عندهنّ من خشبِ سفينةِ نوح عليه السلام وألواحها قطعة ، وظفّيرن من نَسْلِ غَتَمِ شُعَيْبٍ عليه السلامُ بثلاث . وكَلِيفنَ من هذا ومثله لعَفْتَهنَّ وزُهدِ صاحِبهنَّ بأشياء توجّهتْ على أموالهنّ من قبلِها أعظم حيلة ، ولَهْجَنَ مع ذلك بطلبِ ذوي الأسماء الغريبةِ من الناس ، الموافقةِ أسماؤهم لمن اجتباهُ اللهُ من خَلْقِهِ ، مثل عبدِ النور وعبدِ السميع وعبدِ اللطيف وعبدِ المؤمن وحزبِ الله ونصرِ الله وفضلِ الله . ومثل ياسينَ واليسعَ ومَن جَانَسَهُ ، يتصيرُ الرجل من هؤلاء في الحاشية ، ويُسْتَعْمَلُ على وكالةٍ جهةٍ ، ولا يَبْعَدُ أن يتموّلَ في أقربِ مدّةٍ ، وإن اتَّفَقَ مع ذلك أن يكون ذا لَحْيَةٍ عثوليّة^١ ، وصاحبَ سِبَالٍ وهامةٍ ، فقد تمتّ له السعادة ، ولا سيما إن كانت لَحْيَتُهُ حمراء قانيّة . فإنّها أجدى عليه من دارِ البطيخِ غلّةٍ ، ثم لا يُسألُ عمّا وراء روايته من أصل ولا فضيلةٍ ، ولو كان مُردّداً في بني اللُخْناء^٢ ، وعارياً من جميع الخصال ، والأخبار في مثل هذا عنهنّ كثيرةٌ [٥٣] مأثورة . فباهتْ حرّمُ هشامٍ بمثلِ^٣ هذه المعاني الشاذّة ، وبذلنَ [من] الأموال في التماسِها بما لم يُسمع مثُلها . ولم تزل الدولة

١ ص : عثولية ؛ ولحية عثولة : ضخمة ، والعثول : الكثير شعر الجسد والرأس .

٢ من قول الشاعر : « مردد في بني اللُخْناء تردّدا » .

٣ ص : من مثل .

تزدادُ انهاكاً إلى أن ماتَ عبدُ الملك ، وكَبَتَ كَبَوةٌ لم تَسْتَقِلْهُما
آخرَ الدهرِ :

قال ابنُ حَيَّانَ : وكانت ولايةُ عبد الملك وفِرَقُ النصرانية بأسرها
منتقِضةٌ . وعهدُها قريبٌ بالاجتماع على المسلمين . وأطماعها بموت
حتَفِيفِها المنصور ثابتة . وكانت الافرنجة في آخر وقت المنصور قد تمسكت
بالمُسالمة ، فلمّا سمِعَت بموته طمِعت . واحتاج عبد الملك إلى التثاقل عنهم
توطيداً للحضرة ، إلى أن اعتدلت فيها الدولة . وأخبار الثغور توافيه كلَّ
وقت بما لا يوافقُه . وكان أهمُّ جُمُوعِ طَوائف الطواغيت عليه يومئذٍ
أميراً^١ شيطانُهُم الرجيم . ومُغَوِيهِم الزعيم . شانجُه بن غرسِيه بن فَرْدِ لَسْنَد
صاحبُ قَشْتِيلَة . وكان يليه في النكابة مَنَنْدَس [بن] غُنْدَشَلْبُ^٢ قَوْمَس
غليسية . وكافلُ مَلِكِهِم أَذْفُونَش بن بَرْمُنْدُ^٣ . وسائرُ القواميس عندهما
سَقَطٌ وحاشية . فقدّم عبد الملك الحذرَ منهما ، فألقى مولاه واضحاً
الفتى صاحبَ مدينةِ سالم على شانجُه ، فصالحه واضحٌ سنة ثلاث وتسعين
ولاطفه إلى أن تمهدت قواعد الدولة . وجرّد عبد الملك يومئذٍ إلى ثَغْرِ
قُلُومَرِيَة قاصيةِ الثغر الجَوْفِي المواجه لأرض غليسية جيشاً كثيفاً . وبقي
في وجه مَنَنْدَس بن غُنْدَشَلْب . وصمدُ عبد الملك بِلَدَ الإفرنجة إذ لم
تَزَلْ عند ولاة الأندلس مبدأ كلِّ عِلَّة . فاستعدّ لقصدِهِم . واقتحم
أرضهم في جموعه وأوغل في بَسِيط بَرَشِلُونَة . وحطّم غير ما مدينة ،

١ ص : أ.ير .

٢ Menendo Gonzalez

٣ Leon Alphonse V

٤ ص : و.صد .

وعاد قافلاً سالماً غانماً . فهابته الإفرنجة وأذعنت إلى السلم ، وجاء رسولها إلى قرطبة ، وقد أعدَّ عبدُ الملك لوروده أكلَ العُدَّة من ترتيب الجنود ، فكان يوم دخلَ ذلك الرسولُ بقرطبة آخر أيام الزينة ، إذ انتفض الملك على أثره سريعاً ووقعت الفتنة .

قال ابنُ حبان : سمعتُ بعضَ المشايخ يومئذٍ يقول : إنَّه ما كان بالأندلس مثل ذلك في أمد الدولة ، بما اجتمع له من كثرة الجمع والزينة والعزة السلطانية . وأما التجار الغرباء فدخلوا يومئذٍ إلى موضع هيئة التجافيف والأعلام المصورة وسائر القِطَع العجمية والقنا الهندية ، وموقف خيل الركاب بالسروج الثقال ، والتّراس المذهبة والمفضضة ، معها بيغالُ الركاب الرائقة في زيّها المشهور ، وما اتصل بذلك من عُدَّة غريبة . وتوصل أولئك التجار إلى ذلك المكان قبل إباحته للنظارة بإذن التمسوه من عبد الملك ، فلم يختلفوا في استيساع ما عاينوه ، واتفقوا — وكانوا جملة عراقيين ومصريين وغيرهم — على أنه ما شاهدوا لأحدٍ من ملوكهم مثله .

ولما أحكم عبدُ الملك الشدَّ لفتنِ الفرنجة دبّرَ قصدَ شانجه ، فخرج نحوه صائفة سنة أربع وتسعين ، وأوغلَ في أرضه وخامَ عنه شانجه ولم يَظْهَر له . وقفلَ عبدُ الملك إلى قرطبة . فاضطرَّ شانجه إلى السلم ووفد بنفسه إلى قرطبة ، فأعظمَ عبدُ الملك مَورده ، وضمن أن يغزو معه قومه . فخرج مع عبد الملك سنة خمس وتسعين . فاقترح جليقية وغادر أعمال بني غومس مُضطلمة^١ ، وهدى المسلمين شانجه إلى عورات قومه ، وانتهى بهم إلى مدينة ليونة وهي من أمتع المعاقل ، ولم يكن المنصور بلغها لصعوبتها ،

١ ص : مصممة ؛ وفيها معنى اليبس ، وصوبتها اجتهداً .

وطمع عبد الملك فيها ونازلتها فأعيت عليه . وقفل إلى قرطبة . وبقي شانجه في مسالمة ثلاثة أعوام يستعد لحربه . فأحسَّ عبدُ الملكِ بغدره . فسابقه بالغزو سنة ست بعدَها ، وضحتي^١ عبدُ الملك يومئذٍ بمدينة سالم . ووافاه هنالك رسول الروم من القسطنطينية بكتابه إليه . يسأله المواصلَة على سبيل سَلَفه مع ملوك المروانية . وساقَ له هديةً وعدةً من أسارى الأندلس طير^٢ عليهم بأطراف جزائره البحرية . فسُرَّ عبدُ الملك بذلك ، وإذا كتابه مكتوبٌ بالذهب على رسم ملوك الروم الذي فات الصنعة . وذكر صاعدٌ ورودَ ذلك الرسول في شعر قال فيه :

زلزلت بالمرهفات صاحب قسطنطين حتى اتفأك بالكتيب
يتطلب فيها رضاك مجتهداً من قبل أن يتفكك بالهرب
فليس بالفات البعيد مع إلا إذا [ما] هممت بالطلب

وتمادى استعدادُ شانجه سراً لغزو عبد الملك فسابقه [٥٤] سنة سبع وتسعين . وظهر المسلمون عليهم . ثم قفل إلى قرطبة آخرَ ذي الحجة منها . ثم غزا سنة ثمان غزوته الأخيرة في شوال ، فاعتلَّ في مدينة سالم . ورجع إلى قرطبة محرَّماً سنة تسع وتسعين . فكانت آخر غزاة نفذت إلى بلاد الحرب لوَشَكَان موتِه في صفر منها . وضبط أخوه عبد الرحمن الأمر بعده لنفسه .

١ ضحى : شهد عيد الأضحى .

٢ طير : لعله يعني أنه افلك أولئك الأمرى عن طريق المراسلة السريعة .

فصل في ذكر الوزير أبي الفضل محمد بن عبد الواحد البغدادي الدارمي ^١ ، وإثبات جملة من أشعاره مع ما يتشبهت بها من طريف أخباره

بلغني أنه خرج من بغداد إذ مات أبوه . وأساء عشرته أخوه . وسينته دون العشرين . فلحق بالأمير محمود ^٢ . وشهد حروبه بأرض الهند . وله فيه غير ما قصيد . إلى أن توفي فولي أكبر ولدته بعده ^٣ ، فبقي أبو الفضل على حاله عنده . إلى أن خرج بعض إخوته عليه . فنهض لحربه . فدبر وزراءه في طريقه الفتك به ، وشاوروا أبا الفضل في القضية ، فأبى من تلك الدنية . وأودع أذن الأمير . ذلك التدبير . فخاف وزراءه أن يفتضحوا . وعاجلوه قبل أن يصبحوا ، وقيدوه قبل أن يقدم أخوه ، فسبقهم أبو الفضل إليه ، ونص ما فعلوه بأخيه عليه . فشكر له وفاءه لصاحبه ، وقال : الوفاء حلية الأحرار . والغدر ثوب الأشرار . ووصل القوم بعد بأخيه . ففك عن أغلاله ، وحبسه عند بعض عماله . وضرب أعناق الغدرة . وقرب أبا الفضل واستوزره . إلى أن خرج عنه في خبر طويل

١ محمد بن عبد الواحد بن عبد العزيز بن الحارث التميمي (٣٨٨ - ٤٥٤ أو ٤٥٥) له ترجمة في الجذوة : ٦٨ (البغية رقم : ٢٠٩) ونفع الطيب ٣ : ١١١ - ١١٦ وله ذكر عارض في المغرب ٢ : ١٢ وانظر بدائع البدائ : ٣٠٨ - ٣٠٩ ، ٣٦٤ ونسمة اليتيمة ١ : ٦٤ والوافي ٤ : ٦٧ .

٢ يعني محموداً الغزنوي (- ٤٢١) .

٣ هو جلال الدولة محمد بن محمود ، وقد ثار عليه أخوه مسعود وسل عينيه وانتزع السلطة من يده ، وفي هذا ما يخالف كلام ابن بسام فيما يلي .

٤ ص : فدبروا .

ولحق بشروان شاه^١ ، وصحبه إلى أن توفّي أيضاً وولّوا أخاه . فكتب أبو الفضل الخليفة أبا جعفر^٢ القائم ببغداد في الوصول إليه . فاتفق ورود كتابه إثر وفود رسول المعز بن باديس عليه . فطلب الخليفة رجلاً يسفر بينهما ، فأرشد إلى أبي الفضل . فوجّه عنه وورد ، فجهّزه وخرج مستراً من بلد إلى بلد حتى وصل حلب ، فاشتهر خبره وطلب . فمدح معز الدولة بقصيدته التي أولها : « عهود الصبا من بعد عهدك آمل » فأمر له بشياب سرية ، وحمله على فرس عربية . ثم انفصل عنه واجتاز بعمرة النعمان ، وبها المعري أحمد بن سليمان . فوصل إليه . وأنشده قصيدته اللامية ، فقبل المعري بين عينيه ، وقال له : بأبي أنت من ناظم ! ما أراك إلا الرسول إلى المغرب . فوصل مصر ووزيها يومئذ صدقة ابن يوسف بن علي الملقب بالفلاح^٣ . فقصد مجلس قاضي القضاة بها . وأثبت عقداً على رجل مشهور . كان يومئذ ببلاد المغرب بشهادات زور ، ولما ثبت ذلك من الطومار . خرج من مصر في زينة التجار . يؤم بلاد إفريقية ، فوقع على خبره صاحب الإسكندرية . وطلبه فأعجزه . وبلغ

١ ليس هناك ملك بهذا الاسم ، وإنما هذا لقب لحكام شروان ؛ ولعل المقصود هنا هو منوهر ابن يزيد أو علي بن يزيد أو قباذ بن يزيد (٤١٨ - ٤٤١) .

٢ ص : أبا .

٣ تولى القائم أبو جعفر الخلافة سنة ٤٢٢ وثار عليه البساسيري سنة ٤٥٠ ثم أعاده السلاجقة وبقي حتى توفي ٤٦٧ .

٤ هو شمال بن صالح المرديسي ولي قلعة حلب أول مرة سنة ٤٢٠ ثم أقصي عنها وعاد إليها سنة ٤٢٩ فلم تطل مدته ، وأقصي مرة أخرى ثم عاد إليها سنة ٤٣٤ واعتزل أخيراً سنة ٤٤٩ .

٥ تولى صدقة الوزارة سنة ٤٣٦ وبقي فيها إلى أن اعتقل وقتل سنة ٤٣٩ . (الإشارة إلى من نال الوزارة : ٣٧ - ٣٨) .

طرابلس المغرب أولَ عملِ المعزِّ : فأفشي أمره ، وفُضح سرُّه ، فأمرَ المعزُّ بإشخاصه . فلما وصل سُعيّ به عنده وأراد قتله ، فقال له : تأنّ في . واستقصِ عليّ . فإن صدقتُ وإلاّ قُتلتُ . فمشى أبو الفضل بالقيروان مرقباً عليه ، إلى أن ورد كتابُ القائم بصدقه ، فاعتذر إليه ، ورفع منزلته وأكرمه . وبسط يده في مطالبيه وحكمه^١ . فحملهم أبو الفضل إلى منزله ، وأحسن إليهم ، وخلع عليهم . فعجب المعزُّ من كرمه . وقلّده تدبير حشّمه . وكان ورود أبي الفضل بلد القيروان سنة تسع وثلاثين . حكى ذلك أبو عليّ بنُ رُشيق وقال : انه أول من أدخل كتاب اليتيمة للثعالبي عندهم . وشَهِدَ حصار القيروان معهم . فلما كان عامُ ستّةٍ وأربعين صرف المعزُّ خطبته إلى صاحب مصر ، ونَبَذَ العبّاسيّة^٢ . فخرج أبو الفضل إلى سوسة . فتطاول عليه أهلها ، فخرج عنهم بعد أن أوقع الفتنة بينهم ، وتركهم فرقتين : قيسيّة ويمينيّة . وأوقع في نفوسهم أنَّ الحرب قائمةٌ بين هاتين القبيلتين إلى يوم القيامة . فاقتتلَّ الفريقان إلى أن تغلّب عليهم تميم بنُ المعزِّ . وتردّد أبو الفضل هنالك عدّة سنين ، وشهد الحروب مع بلّقين^٣ . ثمّ انتبذ من تلك الناحية . وركب البحر فنزل بدانية ، فبعث إليه أميرها ابنُ مجاهد باحمر وأرباعٍ دقيقٍ أولَ نزوله ، فصرفها في وجه رسوله . وتعجّل الارتحال عنه إلى بلنسيّة فلقي بيراً . واستجلبه المأمون ابنُ ذي النون فحسُنَ بطليّطة مَثَواه [٥٥] وأجزَلَ قِراه . وتوسّع له ولعبيده في البير ، وأجرى له ستين مثقالاً في الشهر . وكان دخوله طليّطة

١ أي جعل له الحكم في الذين سعوا به إلى السلطان .

٢ يبدو أن ابن بسم ينفرد بهذا الخبر .

٣ هو بلقين بن محمد بن حماد من الحماديين أصحاب القلعة ، تولى سنة ٤٤٧ هـ (أعمال الأعلام ٣: ٨٧)

يوم الجمعة لثلاث بَقِينَ لجمادى الأولى سنة أربع وخمسين . وتوفّي بها
رحمه الله منتصفَ شوال سنة خمس وخمسين .

ومن غريب وفاء المأمون له - زعموا - أنّه استمرّت جِرايته على
حاشيته، وتجاوَتْ عن ميراثه وجعله وصيّةً له إذ لم يُوصَ لفسّجاة وفاته .
ورثاهُ الحُكَمُ أبو محمد بن خَلِيفَة بشعرٍ يقول فيه :

سَقَى اللهُ قَبْرًا حَلَّ فِيهِ أَبُو الْفَضْلِ سَحَابًا يَسْحُ الْمِزْنَ وَبَلَاءَ عَلَى وَبَلِ
وَكَيْفَ يُسْقَى الْمِزْنَ قَبْرًا يَحْلُهُ وَفِي طَيْبَةِ بَحْرِ الْمَكَارِمِ وَالْفَضْلِ
وَبَدْرُ تَمَامٍ مِنْ تَمِيمٍ نِجَارُهُ مَلُوكٌ لَهُمْ قَامَ الْمُلُوكُ عَلَى رِجْلِ
ومنها :

وَمَا الدَّهْرُ إِلَّا آكِلٌ مِنْ نَفُوسِنَا وَنَحْنُ لَدَيْهِ فِي الْحَقِيقَةِ كَالْأَكْلِ
وهذا كقول المعري^١ :

وَمَا الْأَرْضُ إِلَّا مِثْلُنَا الرِّزْقَ تَبْتَغِي وَتَأْكُلُ مِنْ هَذَا الْأَنَامِ وَتَشْرَبُ
وقد كرّر المعري هذا المعنى في مواضع^٢ :

فَشَمُّ صَارِمًا وَارْكُزُ قَنَاةً فَلِلرَّدَى يَدٌ هِيَ أَدْرَى بِالطَّعْنِ وَأَدْرَبُ
أَفْضَلُ لِهَامَاتٍ وَأَرْمَى بِأَسْهَمِ وَأَطْعَنُ فِي قَلْبِ الْخَمِيسِ وَأَضْرَبُ

١ اللزوميات ١ : ٦٣ .

٢ اللزوميات ١ : ٥٦ .

ووزير مصر الملقب بالفلاحى المتقدم الذكر : والده كان يوسف
ابن عليّ الذي هجاه الواسانيّ بالقصيدة التي أولها^١ :

يا أهلَ جَيْرُونِ هل لسا مِرْكم^٢ إذ استقلتْ كواكبُ الحَمَلِ

وهو يومئذٍ مشرفٌ على دمشق في أيتام الحاكم : وهي قصيدة في معناها
فريدة^٣ . وقال الحاكم يوماً : أريد سماع هذه القصيدة من رجلٍ حسن
النشيد : فقبل له صوت الذي قيلت فيه ، لا أحد يُجاريه . فأحضِر واستعفى
من نشيدها فلم يُعذر ، وأنشد إلى أن انتهى إلى قول الواساني فيها :

كنتُ على بابِ مَترلي سَحَرًا	أنتظرُ الشاكري ^٣ يُسرجُ لي
وطال ليلى بِحاجةٍ عَرَضَتْ	باكرتُها والنجومُ لم تَمِلِ
فمرَّ بي [في الظلام] أسودُ كالـ	فيلٍ عريضُ الأكتافِ ذو عضلٍ
مُشَقَّقٍ الكعبِ أفدعُ اليدِ والـ	رجلٍ طويلُ الساقينِ في سملٍ
فأهدتِ الريحُ منه لي أرجًا	مثل جنى الرّوضِ في الندى الخفيلِ
فصِحتُ من خلفِهِ رُويدَكَ يا	أسودُ مالي بالعدوِّ من قبِلِ
فكرَّ تحوي عَجَلانَ بَعَثُ في	مِرْطِ كسامٍ مُبرغثٍ قَمِيلِ
وقد مَدَى فالمدى يَقَطُرُ منْ	غُرْمولِهِ في الذبولِ كالوشلِ
وظنَّ أني صَيْدُ فابْرَزَ لي	فَيْشَلَةً مثلَ رُكبةِ الحَمَلِ

١ البيتة ١ : ٣٦٥ .

٢ ص : لساكنكم .

٣ الشاكري : الخادم أو الأجير .

وقال : لِسَجِّ دَارِكُمْ لَأَوْلَجِهَا
 فطالما أسهلت طَبِيعَةً مَنْ
 فانظرُ إليها فإن رأيتَ لها
 وخُذْ عَمُوداً غَلافُهُ شَرَجٌ
 قلتُ له : والذي يَمُدُّ لك الـ
 ما شقَّ دُبْرِي مُذْ قُطِّفَ شَيْشَلَةٌ
 ولا لهذا [دُعِيتَ] فاطلبْ لَغُرُ
 وهاتِ قُلَّ لي باللهِ من أينَ أَقْبَلْتُ
 فقال لي بَيْتٌ عِنْدَ عَامِلِكُمْ
 فصاكَ بي طَبِيعُهُ وصاكَ بهِ
 تركتُهُ في النهارِ أخْفَشَ لا
 قلتُ تَرَدَّيْتُ^٣ واعتديتُ على
 لَعَلَّهُ غَيْرُهُ^٤ فصِفْهُ فَمَا
 فقال : يا سَيِّدِي عَجَلْتُ بِمَكَ
 هذا الذي بَيْتٌ عِنْدَهُ نَصَفُ
 آدُرُ رِخْوُ العِجَّانِ مُنْحَرِفُ الـ

فِيكَ وَإِنْ كُنْتَ لَمْ تَبَلْ قَبْلُ
 لَيْسَ بِأَمْثَالِهَا بِمُحْتَمِلِ
 شَيْبَهَا فَلَا تَدْعُنِي أَبَا الجُعَلِ
 لَمْ يُمْتَهَنْ سَاعَةً وَلَمْ يُذَلْ
 عُمُرَ وَيُعْطِيكَ غَايَةَ الأَمَلِ
 وَلَا انْتِخَابُ الأَيُّورِ مِنْ عَمَلِي
 مَوْلِيكَ^٢ مَنْ يَسْتَلِيدُهُ بَدَلِي
 تَوَدَّعَنِي مِنْ هَذِهِ العِثْلِ
 هَذَا أَلِي الفضلُ يوسُفُ بنَ عَلِي
 مِنِّي صَنَانٌ فِي حَدَّةِ البَصَلِ
 يَنْظُرُ فِي خِدْمَةٍ وَلَا عَمَلِ
 شَيْخِ نَبِيلٍ يُنْمِي إِلَى نُبُلِ
 تَخْدَعُ مِثْلِي بِهَذِهِ الحَيْلِ
 رُوْهي وَكَانَ الإنسانُ مِنْ عَجَلِ
 دُونَ مُسِينٍ وَفَوْقَ مُكْتَهِلِ
 مَبْعَرِ النَحْيِ مُهَيَّجِ السَّفَلِ

١ ص : العجل .

٢ اليتيمة : لميلوخك .

٣ اليتيمة : تزيدت .

٤ اليتيمة : لعل ذا غيره .

أَنْتَنْ مِينَ كُلَّ مَا يُقَالُ إِذَا بِالْعَ فِي النَّتَنِ ضَارِبُ الْمَثَلِ
نَعَمَ ، وَفِي بَابِ سُورِهِ وَضَحَّ أَبَيْتُ لَيْلِي مِنْهُ عَلَى وَجَلِ
أَخَافُ يُعْدي أَيْسَرِي بِبَرَصَتِهِ فَأَغْتَدِي مُثْلَةً مِّنَ الْمَثَلِ
فَقُلْتُ : هَذِي صِفَاتُهُ وَلَقَدْ شَغَلَتْ قَلْبِي بِذَلِكَ الرَّجُلِ

ومنها في التعريض بمنشا بن ابراهيم :

فَقُلْتُ قُلْ لِي مِنْ أَيْنَ تَعْرِفُهُ فَقَالَ ذَرْنِي^١ مِنْ هَذِهِ الْعَقْلِ
كَنتُ أَجِيرًا بَيْدًا^٢ مَعْنَصَرَةٍ كَانَتْ قَدِيمًا^٣ لِكَاتِبِ الْبَسْجَلِ^٤
فَنَمْتُ يَوْمًا وَكَنتُ مِنْ سَهَرِ الْ لَيْلِ وَقِيدًا كَالشَّارِبِ الثَّمَلِ
فَاجْتَازَ لِلْحَيْنِ وَالْقَضَاءِ الَّذِي مَنَّاشًا فِي مَوَكِبِ زَجَلِ
وَكَانَ مِنْهُ التَّفَاتَةُ^٥ فَرَأَى ذَيْلَ قَمِيصِي قَدْ قُدَّ مِنْ قُبُلِ
فَاشْتَدَّ تَحْدِيقُهُ إِلَيَّ كَمَا حَدَّقَ ذَنْبٌ طَاوٍ إِلَى حَمَلِ [٥٦]
وَلَمْ أَبَيْتُ لَيْلِي وَعَيْشِيكَ يَا مَوْلَايَ حَتَّى رُفِعْتُ بِالرُّسُلِ
فَجَحِثْتُهُ خَائِفًا كَمَا يَلْسِجُ الْ عَصْفُورُ مُسْتَكْرَهًا عَلَى الْوَرَلِ
فَارْتَعْتُ لَمَّا رَأَيْتُ لَحِيَّتَهُ^٥ وَكَدْتُ أُخَرِّي مِنْ شِدَّةِ الْوَجَلِ

١ ص : زدني ، والتصويب عن اليتيمة .

٢ البد : موضع عصر الزيت في ديار الشام ؛ ص : بيد ، اليتيمة : بيدي .

٣ اليتيمة : بصور كانت (أي كانت بمدينة صور) .

٤ كذا وردت هذه اللفظة أيضاً في اليتيمة ولا أستطيع أن أجزم بما تعنيه فقد تعني بني بجيلة (أو بجلة) وقد تعني جماعة الأعيان ، وقد تكون لفظة شامية محلية .

٥ اليتيمة : دعيت .

وَظَنَّ أَنِّي اسْتَحْيَيْتُهُ فَعَدَا
 وَقَالَ إِنَّ كُنْتَ مُكْرَمِي ثُلٍّ قَدْ
 إِنْتَفَ سِبَالِي وَاصْفَعُ قَتْمَايَ وَلَا
 وَلَمْ يَزَلْ دَائِبًا يُشْمِرُ شَا
 فَحِينَ أَدَلَيْتُ كَالْحِمَارِ بَدَا
 وَخَرَّ لِلْوَجْهِ وَالْجَبِينِ وَقَدْ
 طَعَنْتُهُ طَعْنَةً بِصَدْقِ الْأَنَا
 ثُمَّ رَمَى صَفْحَتِي بِلَحْيَتِهِ
 فَقَالَ أَخْطَأْتُ إِذْ أَسَلْتُ دَمِي
 أَيْنَ النَّجِيعُ الْقَانِي فَدَيْتُكَ مِنْ
 فَقَالَ أَيْرُ أَرَى بِهِ هَوَجًا
 يَا سَيْدِي مَا اسْمُهُ فَقُلْتُ أَبُورِ

يَبْسُطُنِي بِالْمُزَاحِ وَالْفَزَلِ
 رِي فَبَعْضُ الْهَوَانِ أَرْفَعُ لِي
 تَنْظُرُ إِلَى قُدْرَتِي وَلَا خَوَلِي
 قَوْلِي وَيَحْتَالُ لِي عَلَى مَهْلٍ
 يَرْفَعُ أَثْوَابَهُ عَلَى الْكَفَلِ
 رَطَبَ حَوَلَتِي خُصِييَهُ بِالْبَلَلِ
 يَبِ أَصَمَ الْكُعُوبِ مُعْتَدِلِ
 فَقُلْتُ ذَا السَّرْمِ مِنْ بَنِي ثُعَلٍ
 فَقُلْتُ كَلَّا وَاللَّهِ لَمْ يَسِلِ
 لَطِخَ رَجِيعٍ كَالْوَرَسِ مُنْسَجَلِ
 قَدْ جَازَ حَدَّ الْجَنُونِ وَالْخَبَلِ
 أَسْوَدَ يُكْنَى وَلَيْسَ بِالْدُّوَلِي

وهي طويلة ، فلما فرغ قال له الحاكم : لِمَ لَمْ تَقْطَعْ لِسَانَهُ ؟ والله
 لا عملت لي عملاً بعد ، فصرفه .

١ رواية اليتيمة :

إن كنت أكرمتني لترفع من قدرِي فبعض الهوان أرفع لي

٢ اليتيمة : اجلاله عن .

٣ اليتيمة : فقلت يا سيدي ويا أملي ، أظن . . .

٤ اليتيمة : وخاض جمسي أير به هوج يجوز .

جملة من أشعار أبي الفضل في أوصاف شتى النسيب وما يناسبه

كان يوماً مع المعز بن باديس في مجلس أنس . و غلامٌ وسيمٌ
يدور بالكأس فقال فيه ^١ :

ومُعَذِّرٍ نَقَشَ الْجَمَالَ بِمَسْكِيهِ خَدَّاهُ بَدَمَ الْقُلُوبِ مُضَرَّجَا
لَمَّا تَبَيَّنَ أَنَّ سَيْفَ جُفُونِهِ مِنْ نَرْجِسٍ جَعَلَ النِّجَادَ بِنَفْسِجَا

وكان له هوى بـغلامٍ في مدينة السلام فإذا رآه أنكرَ حُبِّه . والغلامُ
يعرفُ شدةَ وجدِّه وكلَّفَهِ ، فدَمَعَتْ عَيْنَا أَبِي الْفَضْلِ . فقال الغلامُ :
دَمْعُكَ شَاهِدٌ عَلَيْكَ ، فقال ^٢ :

وَهَبْنِي قَدْ أَنْكَرْتُ حُبَّكَ جُمْلَةً وَآلَيْتُ أَنِّي لَا أُرُومُ عَظْمَهَا^٣
فَمَنْ أَيْنَ لِي فِي الْحَبِّ جَرَحُ شَهَادَةٍ سَقَامِي أَمْلَاهَا وَدَمْعِي خَطْمَهَا

ودخل يوماً على قَبِيْنةٍ وهي تَتَبَخَّرُ بِالنَّدَى ، ودُخَانُهُ قَدْ عَلَا وَجْهَهَا فقال ^٤ :

١ بدائع البدائع : ٣٠٩ والنفع ٣ : ١١٤ وابن خلكان ١ : ١١٠ وتردد في نسبتها .

٢ النفع ٣ : ١١٧ وبدائع البدائع : ٣٦٤ .

٣ بدائع : وهونت من نقي العريزة سخطها .

٤ النفع ٣ : ١١٤ والثريشي ٢ : ٨٧ .

وَمَحْطُوطَةُ الْمُتَنِينَ مَهْضُومَةُ الْحِشَا
إِذَا مَا دَخَانُ النَّدِّ مِنْ جِيبِهَا^١ [علا]

مُنْعَمَةٌ الْأُرْدَافِ تَدْمَى مِنَ اللَّمَسِ
عَلَى وَجْهِهَا أَبْصُرَتْ غَيْمًا عَلَى الشَّمْسِ

وهو القائل^٢ :

يَغْرِسُ^٣ وَرَدًا نَاضِرًا نَاطِرِي
فَلَمْ مَنَعَمْ شَفَتِي قَطْفَهُ

فِي وَجْهِهِ كَالْقَمَرِ الطَّالِعِ
وَالْحُكْمُ أَنْ الزَّرْعَ لِلزَّارِعِ^٤ !

وقال^٥ :

وَمُبْلَبِلٍ مِنْ صُدُغِهِ الْعَطِيرِ الَّذِي
وَحْيَاةٌ مَا غَرَسَ الْحَيَاءُ بَخْدَهُ
لَا غَرَرَنَّ بِمُهْجَتِي فِي حُبِّهِ
وَلَنْ تَعَزَّزَ إِنَّ عِنْدِي ذِلَّةً

أَهْدَى لِي الْبَلْبَالَ دُونَ حِجَابِ
مِنْ وَرْدِهِ بِعِتَابِهِ وَعِتَابِي
غَرَّرًا يُطِيلُ مَعَ الْخَطُوبِ خَطَابِي
تَسْتَعْطِفُ الْأَحْبَابُ^٥ لِلْأَحْبَابِ

وقال^٦ :

يَا لَيْلُ هَلَّا انْجَلَيْتَ عَنْ فَلَاقٍ
جَفَّتْ جَفُونِي الْآمَاقَ فَيْكَ فَمَا

طُلْتُ وَلَا صَبَرْتُ لِي عَلَى الْقَلَاقِ
تُسَبِّلُ أَشْفَارُهَا^٧ عَلَى الْحَدَاقِ

١ ص : من جيبها .

٢ النفع ٣ : ١١٢ .

٣ النفع : يزروع .

٤ منها بيتان في النفع ٣ : ١١٤ .

٥ النفع : الأعداء .

٦ سرور النفس : ٢٨ والنفع ٣ : ١١٢ .

٧ النفع : جفت لحاظي التعميض فيك فما تطبق أجفانها .

كَأَنِّي صُورَةٌ مُمَثَّلَةٌ نَاطِرُهَا الدَّهْرُ غَيْرُ مُنْتَظَبٍ

وإنما أشار في هذا إلى قول بشار^١ :

جَفَّتْ عَيْنِي عَنِ التَّغْمِيزِ حَتَّى كَأَنَّ جَفُونَهَا عَنْهَا قِصَارُ

فَنَقَلَ لَفْظَهُ وَمَعْنَاهُ ، وَقَصَّرَ عَنْهُ كَمَا تَرَاهُ . وَقَدْ أَخَذَ أَيْضاً الْعَتَابِيُّ
هَذَا الْمَعْنَى ، وَاجْتَنَاهُ أَرِيئاً ، فَرَدَّهُ شَرِيحاً ، بِقَوْلِهِ^٢ :

فِي مَا قَبِيَّ انْقِبَاضُ عَنْ جَفُونِهَا وَفِي الْجَفُونِ عَنِ الْآمَاقِ تَقْصِيرُ

وَقَالَ أَبُو الْفَضْلِ :

بَدُرُ تِمِّ عَلِيٍّ لَيْسَ يَلِينُ خَابَ فِيمَا رَجَوْتُ فِيهِ الظَّنُونُ
طَالِباً لِلْخِلَافِ إِنْ لَمْ أَكُنْ كَمَا نَ وَإِنْ كُنْتُ حَاضِراً لَا يَكُونُ
فَعَلَى ذَا مَا نَلْتَقِي قَطُّ حَتَّى يَتَلَقَى الْمُضَافُ وَالتَّنْوِينُ

وَقَالَ :

وَضَبْنِي أَرَانِي غُرَّةً مِنْ جَبِينِهِ تَزِيدُ ضِيَاءَ بَيْنِ أَصْدَاغِهِ الدُّهْمِ
تَجَرَّعْتُ بِالْإِسْعَافِ جُرْعَةَ ظَلَمِهِ لَأَنِّي رَأَيْتُ الظُّلْمَ يَدْرَأُ بِالظُّلْمِ
وَكَمْ أَمَكَّنْتَنِي فَرَسَةً فَتَرَكْتُهَا حَيَاءً مِنَ الشَّيْبِ الْمَوْقَرِ بِالْحِلْمِ
وَلَوْ كُنْتُ فِي ثَوْبِ الشَّيْبَةِ رَافِلاً لَصَحَّ عَلَى إِيْتَانٍ زَلَّتْهَا عَزْمِي

١ ديوانه ٣ : ٧ وزهر الآداب : ٧٤٧ والمختار : ٧ - ٨ والزهرة ١ : ٢٩٠ .

٢ زهر الآداب : ٧٤٧ وابن بسام يتابعه في الحكم على البيت ، والمختار : ٢٣ .

وهذا كقول الآخر^١ :

دُعْتَنِي عَيْنَاكَ نَحْوَ الصَّبَا دُعَاءٌ تَكَرَّرَ فِي كُلِّ سَاعَةٍ
فَلَوْلَا وَحَقِّكَ عُدْرُ الْمَشِيبِ لَقُلْتُ لَعَيْنِكَ سَمْعًا وَطَاعَةً

وهذا مثل قول جرير : [٥٧]

[يقول العاذلات علاك شيب^٢ أهذا الشيب يمنعني مراحي^٣]

ومنه أنشد^٤ : [٥٧]

لَوْلَا الْحَيَاءُ وَأَنْتِي مَشْهُورُ وَالْعَيْبُ يَلْحَقُ بِالْكَبِيرِ كَبِيرُ
لَحَلَلْتُ مَتْرَلَكَ الَّذِي تَحْتَلُهُ وَلَكِنْ مَتْرَلُنَا هُوَ الْمَهْجُورُ

وابن الرقاع هو القائل^٥ :

لَوْلَا الْحَيَاءُ وَأَنْ رَأْسِي قَدْ عَسَا فِيهِ الْمَشِيبُ لَزَرْتُ أُمَّ الْقَاسِمِ

وقال بعض أهل عصرنا :

فَلَوْلَا حَيَاءُ الْمُحَيَّا وَمَا عَرَانِي لِفَقْدِ الصَّبَا مِنْ مُصَابِ

١ أوردهما صاحب النفع ٣ : ١١٥ ونسبهما لأبي الفضل ، وانظر المسلك السهل : ٥٠٠ وهما

في زهر الآداب : ٨٢٧ للصاحب أبي القاسم .

٢ ليس في الأصل بياض ؛ وزدت بيت جرير إذ البيتان التائيان ليسا له قطعاً .

٣ وردا في زهر الآداب : ٢٧ لمنصور الفقيه ، وقال المؤلف ان أكثر الناس يرونها لإبراهيم

ابن المهدي .

٤ المختار : ٢٧٠ وأما المرتضى ١ : ٥١١ واللاقي : ٥٢١ والحامسة البصرية ٢ : ٨٥ .

لمرغتُ خَدَيَّ وأَلَفْتُ^١ بَيْنَ هَشِيمِ المَشِيبِ وروضِ الشَّبابِ

وقال محمد بنُ هانئ^٢ :

والله لولا أن يُسَفِّهَنِي الهوى	ويقولَ بعضُ القائلينَ تصابى
لَكَتَسَّرْتُ دُمْلُجَهَا بضيقِ عناقِها	ولثَمْتُ من فيها البرودَ رُضابا
بنتمُ فلولا أن أغيرَ لِمَتِّي	عَبَثاً وألقاكم عليَّ غِضابا
لخَطَطْتُ شَيْباً في عِذارِي كاذباً	ومَحَوْتُ مَحَوَّ النِّقْسِ عنه شِبابا
وخَلَعْتُهُ خَلَعَ النِّجَادِ مُدَمَّماً	واعْتَضْتُ من جِلْبَابِيهِ جِلْبَابا
وخَضَبْتُ مُسَوِّدَ الحِدادِ عَلَيْكُمْ	لو أَنِّي أَجِدُ البِياضَ خِضابا

وسأله أبو منصور الثعالبيُّ أن يَصِفَ غلاماً صغيراً كان بديعَ الحسنِ
ليُثَبِّتَ ذلكَ في كتابه المَرْجَمِ بِألفِ غلام ، فقال^٣ :

لأنِّي عَشِيقُ صَغِيرَا	قد دَبَّ فيه الجمالُ
وكادَ يُفْشِي حديثَ الـ	مُضْؤولٍ منه الدَّلَالُ
لو مرَّ في طَرُقِ الهَجِّ	رِ لاعتراهُ ضلالُ
وتاهَ فيه اغتراراً	لو لم يُغَيِّثهُ الوِصالُ
يُريكَ بدرّاً تماماً	في الحُسْنِ وهو هلالُ

وسأله أيضاً أن يَصِفَ غلاماً كاتباً كانَ حَسَنَ الخَطِّينِ خَطَّ اليَدِ
وخطَ الوجه ، فقال^٤ :

١ ص : وألقيت .

٢ ديوان ابن هانئ : ١٩٨ وزهر الآداب : ٩٠٣ .

٣ هذه القطعة والقطعتان التاليتان في النفع ٣ : ١١٦ وانظر الشريشي ٥ : ٢٥٢ .

٤ الشريشي ٥ : ٢٢١

وَكَاثِبٍ أَهْدَيْتُ نَفْسِي لَهُ فَهِيَ مِنَ السَّوْمِ فِيدَا نَفْسِهِ
 سَلَطْتُ خَدَيْهِ عَلَى مُهْجَتِي فَاسْتَأْصَلَاهَا وَهِيَ مِنْ غَرَسِهِ
 كَأَنَّمَا خَطٌّ عَلَى خَدِّهِ مِثْلَ الَّذِي قَدْ خَطَّ فِي طِرْسِهِ
 فَلَسْتُ أَدْرِي بَعْدَ مَا حَلَّ بِي بِمَسْكِهِ أَتْلَفُ أَمْ نَقِيسِهِ

وَقَالَ فِيهِ ^١ :

وَشَادِنٍ أَسْرَفَ فِي صَدِّهِ وَزَادَ فِي التَّبِيهِ عَلَى عِبْدِهِ
 الْحَسَنُ قَدِ بَثَّ عَلَى خَدِّهِ بِنَفْسَجَا يَرْنُو إِلَى وَرْدِهِ
 رَأَيْتُهُ يَكْتُبُ فِي طِرْسِهِ خَطًّا يُضَاهِي الدَّرَّ فِي عِقْدِهِ
 فَخَلْتُ مَا [قَدْ] خَطَّهُ كَفِّهِ لِلْحُسْنِ قَدْ خَطَّ عَلَى خَدِّهِ

وَأَمَّ أَبُو الْفَضْلِ فِي هَذَا بِقَوْلِ بَعْضِ الْكُتَّابِ ^٢ :

مَا أَخْطَأْتُ نَوَاتِهِ مِنْ صُدْغِهِ شَيْئًا وَلَا أَلِفَاتِهِ مِنْ قَدِّهِ
 وَكَأَنَّمَا أَنْفَاسُهُ مِنْ شَعْرِهِ وَكَأَنَّمَا قِرْطَاسُهُ مِنْ جِلْدِهِ

وَيَنْظُرُ إِلَى هَذَا مِنْ طَرَفٍ خَفِيَ ، قَوْلُ [ابْن] أَبِي سَمُرَةَ الدَّارِمِيِّ ^٣ قَالَ :

سَرَابُ الْفَيَّافِ صَادِقٌ عِنْدَ وَعْدِهَا وَسَمُّ الْأَفَاعِي مُبْرِيءٌ عِنْدَ صَدِّهَا
 رَمْتَنِي وَلَمْ أَسْعِدْ بِأَيَّامٍ وَصَلِهَا بَعَيْنِي مَهَاةٍ أَنْحَسْتَنِي بِيَعْدِهَا

١ الشريشي ٥ : ٢٢٢

٢ يشبان للصنوبري ، انظر تهذيب ابن عساكر ١ : ٤٥٨ . ورضع الحجب ١ : ٨٨ والعمدة

٢ : ٣٥ ، ومعاهد التنصيص ٣ : ٩ وديوانه ٤٧٤ : ١ وابن بسام يتابع زهر الآداب : ٦٧٦ .

٣ اسمه أحمد بن أبي سررة ، وانظر أبياته في زهر الآداب : ٦٧٦ .

تعلّقها قلبي كما قد تعلقتُ صوالجُ صُدْغِيها^١ بتفاحِ خدّها
فقلبي لما أضعفتُه كخصرِها ودُمعي لما نظّمتُه كعقدها

وقال أبو الفضل^٢ :

قلت للملقى على الخدين من وردٍ خيمارا
والذي سلّ على العشاقٍ باللحظِ شيفارا
أسبلَ الصُدغُ على خدّك من ميسكٍ عذارا
أم أعانَ الليلَ حتى قهرَ الليلُ النهارا ؟
قال مَيِّدانُ جرى الحُسْنُ نُ عليه فاستدارا
ركضتُ فيه عيونُ فأثارتُه غُبّارا

وقال يتشوّق إلى بلده^٣ :

أهمُّ بذكرِ الشرقِ والغربِ دائماً ولكنَّ أوطاناً نأتُ وأحبةً
إذا خطرت ذِكْراهمُ في خِواطري ولم أنسَ مَنْ ودَّعتُ بالشطّ سُحرةً
وما بي شرقٌ للبلادِ ولا غربٌ فقَدْتُ متى أذكُرُ عهدهمُ أصبُ
تَنائراً من أجفاني اللؤلؤُ الرطبِ وقد غرَّدَ الحادونَ واستعجلَ الركبُ
وهذا مقيمٌ سارَ عن صدرِه القلبُ أليفانِ هذا سائرٌ نحو غُربةٍ

وقال في مثله^٤ :

١ ص : خديها .

٢ النفع ٣ : ١١٦ والشريشي ٤ : ٢٩٠ - ٢٩١ .

٣ ستأتي منسوبة لعبد الوهاب المالكي ؛ وقد اضطربت نسبة بعض المقطوعات بينه وبين أبي الفضل .

٤ النفع ٣ : ١١٥ .

تذكرت نجداً والحِمْي فبكى وجداً
وحينته أنفاسُ الخُزامى عشيّةً
فأظهر سلواناً وأضمرَ لوعةً
ولو أنه أعطى الصبابةَ حُكمها
ولم أنسهُ والسكرُ يفتيلُ قدّه

وقال :

ومحمورٍ الجُفونِ بلا خُمارٍ
فما زالتْ به حبيلي إلى أنْ
وجدتْ بقبلةٍ فشميتُ مسكاً
فكان السكرُ لي سبباً سقاني
فيا شرباً وردتُ فكان عذباً

وقال :

قالوا تبدّى شعره فأجبتهم
والبدْرُ أبهرُ ما يكون ضياؤه

وقال ١ :

ظبيُّ إذا حرّكَ أصداغَه
غنى شعري مُنشداً ليّتي الـ

وقال سقى الله الحِمْي وسقى نجداً
فهاجتْ إلى الوجدِ القديمِ له وجداً
إذا طُفِئتْ نيرانُها وقَدَّتْ وقداً
لأبدى الذي أخفى وأخفى الذي أبدى
إذا ما تشّى كدتُ أعقدهُ عقداً

حكى بدرَ الدُّجى حُسناً وبعُداً
دنا ورأى لديّ الغيَّ رشدًا
وذقتُ مُدامةً وقطفتُ ورّداً
على ظلمي الهوى العُدْري برداً [٥٨]
ويا نجماً لحظتُ فكان سَعْداً

لا بدّ من علَمٍ على الديباجِ
إذْ كان ملتحفاً بليلِ داجِ

فكأنا كَرَّرَ إنشادهُ قبلته فيه ولم يدُر
وقال ^١ :

يا ذا الذي خطَّ الجمالُ بوجهيه سَطَرَيْنِ هاجا لوعةً وبلايلا
ما صحَّ عندي أن لحظك صارمٌ حتَّى ليستَ بعارضيكَ حمائلًا
وهذا كقول ابنِ رشيق ^٢ :

وهل [على] عارضيه إلاَّ حمائلٌ قُلِّدتْ حُساما

وقال أبو الفضل في بعض غيلمانيه وكان له به هوى :

عليَّ لا تصلُ وبينِ فقلبي غيرُ مُرتهنِ
غَضِبْتَ فزِدْ ودُمُ غَضَباً فلني عن رضاك غَتِي
أَتُخْفِي بِغَضَّتِي سِرّاً وتُبْدي الحبَّ في العَلَنِ؟
لقد غَرتك في مَيَلِي إليك كواذِبُ الظنِّينِ
أَتَطْمَعُ أن أزيدَ هَوَى وودُّكَ لي على دَخَنِ؟
إذا فسدتُ يدٌ قُطِعَتْ لبسَلَمَ سائرُ البدَنِ

فأجابه الغلام :

غلامك غيرُ مُمتَهَنِ تُخَوِّتُهُ ولم يَخُنِ
وتَطلُبُ عَتْبَهُ ظُلماً على غَضَبٍ ولم يَكُنِ

١ الشريشي ٤ : ٢٩٠ وينسان لابن عبدربه ، انظر نفع الطيب ٧ : ٥١ والمطوح ٥٢ وابن

خلكان ١ : ١١٠ .

٢ ديوان ابن رشيق : ١٦٩ وابن خلكان ٢ : ٢٦٧ .

وتُوقِعُهُ بما قد قسـ
فقل لي كلَّ طَرَفُكَ أمْ

تَ في بَحْرِي من المحنِ
خلا طَرَفِي من الفِتَنِ ؟

وقال أبو الفضل ٢ :

وحبيب [قد ضنَّ] بالوصلِ نيهاً
أنا أخشى إن دامَ ذا الهجرُ أن يُسنَّ
فأريحَ الفؤادَ ممّا اعتراهُ

هل تَضِنُّ البدورُ بالإشراقِ
شِطّاً من حَبّه عِقالَ وثاقي
وأردَّ الهوى على العُشّاقِ

وقال :

سمحتُ بنفسِي غداةَ الرحيلِ
وبتُّ أفضُّ ختامَ الجفونِ
ومن عجبِ العشق أنَّ القتلَ

غَراماً على القمرِ الآفلِ
وأبكي على الجسدِ الناحلِ
يَحِينُ ويصبو إلى القاتلِ !

وقال :

يا حادياً وجمالُ الحَيِّ هائمةٌ
كلفته السَّيرَ من جسمي ففارقته
رفقاً فقد هِجَّتْ شوقاً ما استعدَّ له

ماذا تريدُ بقلبي أيتها الحادي ؟
وهل يَسِيرُ أسيرٌ ما له فادٍ ؟
فكيف يَرحلُ مشتاقٌ بلا زادٍ ؟

وقال :

١ ص : الفتن .

٢ منها بيتان في النفع ٣ : ١١٧ .

أيا بَصَرِي عَزَّأ عَلِيَّ وَيَا سَمْعِي وَيَا مُسْرِفًا عِنْدَ التَّضَرُّعِ فِي مَسْعِي
 إِذَا كُنْتَ مَطْبُوعًا عَلَى الْهَجْرِ وَالْخُفَا فَمَنْ أَيْنَ لِي صَبْرٌ فَأَجْعَلْهُ طَبْعِي ؟
 سَلِ الْمَطَرَ الْغَمْرَ الَّذِي عَمَّ أَرْضَكُمْ أَجَاءَ بِمَقْدَارِ الَّذِي فَاضَ مِنْ دَمْعِي ؟

ما أخرجته من شعره في سائر الأوصاف

كان ليلةً مع بعض إخوانه وبين أيديهم شمعَةٌ ، فأفضى حديثُهم
 إلى وصفِها ، فجعلَ مَنْ حضرَ يُرِيضُ نفسه ، ويُعْمَلُ في ذلك حِسِّه ،
 فقال أبو الفضل ^١ :

ذَهَبْنَا فَأَذْهَبْنَا الْهَمُومَ بِشَمْعَةٍ غَشَيْنَا بِهَا عَنْ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَالْبَدْرِ
 أَقُولُ وَجَسْمِي ذَائِبٌ مِثْلَ جَسْمِهَا وَدَمْعُهَا تَجْرِي كَمَا دَمْعِي تَجْرِي
 كَلَانَا لَعَمْرِي ذُوبَانٌ ^٢ مِنَ الْهَوَى فَنَارُكَ مِنْ جَمْرٍ وَنَارِي مِنْ هَجْرٍ
 وَأَنْتِ عَلَى مَا قَدْ تُقَاسِمِينَ مِنْ أَدَى فَصَدْرُكَ فِي نَارٍ وَنَارِي فِي صَدْرِي

وله في وصفِ طَيْرِف :

حَكِي فَرَسِي اللَّيْلِ فِي لَوْنِهِ فَقَابِلُهُ الْبَدْرُ عِنْدَ اضْطِرَارِ
 فَكَانَ لَهُ غُرَّةٌ فِي التَّمَامِ وَنَعْلَانِ لِحَافِيرِهِ فِي السَّرَارِ

١ بدائع البداهة : ٣٦٤ والنفع ٣ : ١١٧ وانظر القسم الأول من الذخيرة : ٧٨٣ حيث جمع

بين عجز البيت الثالث وعجز البيت الرابع .

٢ البدائع : ذوب نار ؛ النفع : ذائبان .

وقال :

رُبَّ لَيْلٍ أَبْطَا عَلَيَّ فَلَمَّتْ مَدَّةَ ضَافِي دُجَاهٍ مَا اسْتَبْطَانِي
جَنَّتْ أَسْعَى إِلَيْهِ سَعْيَ زُلَالٍ إِيَّاهُ مَا مِيسَتْنِي فِي حَشَا الظَّمَانِ
ظَلِمْتُ أُسْرِي بِمِثْلِهِ فِيهِ حَتَّى خَلَسْتَنِي قَدْ أَحَاطَ بِي لَيْلَانِ
فَهُوَ طَرَفٌ لَهُ خَضَابِي سَوَادٌ أَنَا فِيهِ كَهَيْثَةِ الْإِنْسَانِ

وأرى السلاميَّ قد نَبَّهه على هذا التشبيه ، وإن كان أبو الفضل قد زاد فيه ، وكان السلاميُّ قد ركبَ زورقاً بدجلة فقال ^١ :

وميدانٌ تجولُ به خيولٌ تقودُ الدارعينَ وما تُقَادُ
ركبتُ به إلى اللذاتِ طيرُفاً له جِسْمٌ وليس له فؤادُ
جرى فظننتُ أن الأرضَ وجهٌ ودجلةٌ ناظِرٌ وهو السوادُ

وقال عبد الجليل للمعتمد بن عبادٍ من شعرٍ قد تقدّم إنشاده في صفة جوازِ البحر ^٢ :

فسرتُ فوقَ دِفَاعِ اللَّهِ تَهْصِرُهُ براحةِ الدينِ والتَّقْوَى فينْهَصِرُ
كأنّما كان عَيْنًا أَنْتَ ناظِرُهَا وكلُّ شَيْءٍ بِأَشْخَاصِ الْوَرَى شُفِرُ

وقال أبو الفضل في زامرٍ أسود ^٣ : [٥٩]

١ البيتة ٢ : ٣٩٦ - ٣٩٧ والشريشي ٤٥:٣ - ٤٦ .

٢ انظر القسم الثاني من الذخيرة : ٥٠٥

٣ الشريشي ٢ : ٣١٠ - ٣١١ .

وحالكِ اللونِ كالليلِ البهيمِ له
تنوب عن نطقه ريحٌ مؤثرةٌ
تخالُ مجلسنا وجهاً به حسنا
كأنما كفه من زميره سُلِبَتْ
تراه يحفظُ ما يُوحى إليه به
يحدو بأنفاسه الأوتارَ مجتهداً
أهدى الشبابُ إليه حُسنَ بهجته
وقال :

هاتِ اسقني فالعيشُ شاكٍ جرأةً
من قهوةٍ تدعُ الفتى مُستحسناً
مع ناعسٍ الأخطارِ تُخبرُ أنه
والثلجُ يحكي في اكتنانٍ سقوطه
والدهرُ نكَّسَ عن لِقَاءٍ أعزلاً
من غفلةٍ في شربه أن يجهلاً
ما قال فيما ريمَ منه قطُّ لا
وضئيلٍ جثته دقيقاً غريبلاً
ويا بُعداً ما بين هذا وبين قولٍ بعضِ أهلِ عصرنا وهو :

[٢]
خِلْتَ الرِّذاذَ بُرادةً من فيضةٍ
والشمسُ طالعةٌ ولما تغربِ
قد غُرِبَتْ مِنْ فَوْقِ نِطْعٍ مُدْهَبِ
ولأبي الفضل في الشيب ٣ :

١ ص : فتبهم .

٢ بياض في ص .

٣ الشريشي ٢٩٧:٤ .

طاقة^١ نغصت^١ علي^٢ شبابي فتعمدت^٣ نتفها غير^٤ وان
فأقامت^٥ عند المكان ونابت^٦ عند نتفي من غيرها طاقتان^٧
قلت^٨ ماذا هذا لعمرو^٩ التصابي لشبابي وجدتي محتان^{١٠}
قالتا^{١١} قد جرى من الرسم^{١٢} للسلا طان أخذ البراة قبل^{١٣} الجان^{١٤}
وان ازددت^{١٥} في الجفاء فلا تن^{١٦} كبر^{١٧} قدومي عليك مع^{١٨} أعوان^{١٩}

ألم^{٢٠} في البيت الأخير بقول [الآخر] :

[وزائرة للشيب لاحت بعارضي فبادرتها بالقطف خوفاً من الخنف^{٢١}]
[فقالت علي ضمعي استطلت ووحدي^{٢٢}] رويدك حتى يلعق الجيش من خلفي^{٢٣}

وفي البيت الثاني والثالث بقول كشاجم^{٢٤} :

أخي قُسم^{٢٥} فعاوني على شيبة^{٢٦} بغت^{٢٧} فإني منها في عذاب^{٢٨} وفي حرب^{٢٩}
إذا ما مضى^{٣٠} المينقاش^{٣١} يأتي بها أبت^{٣٢} وقد أخذت^{٣٣} من دونها جارة^{٣٤} الجنب^{٣٥}
كجان^{٣٦} على السلطان^{٣٧} يجزى^{٣٨} بذنبه^{٣٩} تعاق^{٤٠} بالخيران^{٤١} من شدة^{٤٢} الرعب^{٤٣}

وقال أبو الفضل من طردية^{٤٤} :

أنعت^{٤٥} كلباً لم ينصب^{٤٦} مثاله^{٤٧} يطمعه^{٤٨} من حيرصه^{٤٩} خياله^{٥٠}
مثل^{٥١} الهزبر^{٥٢} سلبت^{٥٣} أشباله^{٥٤} أو كالظليم^{٥٥} ضل^{٥٦} عنه^{٥٧} راله^{٥٨}

١ ص : نقضت .

٢ زيادة من الشريشي ٤ : ٢٧٩ .

٣ زهر الآداب : ٨٩٨ والشريشي ٤ : ٢٧٩ .

٤ ص : يطمعه . . . خياله .

يسأم من مطاليه مطاله وفي وديق فمه جرياله
فكلنا من صيده عياله

وله من قصيد طويل^١ :

كأنما الفحم والنيران تلهيه
أو الزنود براها السيف في رهج
مد الرماد عليه بعد رقدته
أقول للنار والأحزان نائرة
إياك أن تقر بي ناراً موججة
أظن أنك ما لقيت ما لقيت
ولا منيت بتوديع وقد جعلوا
ولا فوجعت بغزلان ألفتهم
سطا الفراق عليهم غفلة فغدوا
فسرت شرقة وأشواق مخربة
لولا تدارك دمي يوم كاظمة
ياسارق القلب جهراً غير مكرث
ارمق بعين الرضا تنعش بعاطفة

هَامٌ مِنَ الزَّيْجِ فِي ثَوْبٍ مِنَ السَّرَقِ
مِنَ الْهُنُودِ عَلَيْهَا شَطْبَةُ الْعَلَقِ
عَيْنًا لَهُ حَسَكٌ مِّنْ حُمْرَةِ الشَّفَقِ
وَالْقَلْبُ فِي غَمَرَاتِ الْحَبِّ لَمْ يَفْقِ
بِلا عِجِ الشُّوقِ فِي قَلْبِي فَتَحْتَرِقِ
قُلُوبُ أَهْلِ الْهَوَى مِنْ جَاحِمِ الْقَلَقِ
بِيضَ السَّوَادِ أَطَوَاقًا عَلَى الْعُنُقِ
سَارُوا بِقَلْبِكَ إِذْ سَارُوا مَعَ الرُّفُقِ
مِنْ جَوْرِهِ فَيَرَقًا مِنْ شِدَّةِ الْفَرَقِ
يَا بَعْدَ مَا نَزَحْتَ مِنْ طُرُقِهِمْ طُرُقِي
لَأَحْرَقَ الرِّكْبَ مَا أَبْدَيْتُ مِنْ حُرْقِ
أَمَنْتُ فِي الْحَبِّ مَنِّ بَعْدِي^٢ عَلَى السَّرَقِ
قَبْلَ الْمَنِيَةِ مَا أَوْهَيْتُ^٣ مِثْنَ رَمَقِ

١ منها أبيات في نفح الطيب ٣ : ١١٥ .

٢ ص : بعدي ؛ النفح : أن يعدي .

٣ النفح : أبقيت .

لم يبقَ مني سوى لفظٍ يبرح بما ألقى فيا عجباً للفظٍ كيف بقي
صلي إذ اشيت أوفاهنجر علانيةً فكلُّ ذلك محمولٌ على الحدق

ومنها في وصف الطلِّ والنَّور :

كَانَ قَطْرَاتِهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَمَدَتْ لآلِيءٌ فَوْقَ أَصْدَافٍ مِنَ الْوَرَقِ
فَالنَّورُ قَدْ رَمِدَتْ بِالثَّلَجِ أَعْيُنُهُ فَلَيْسَ يَتَرْنُو بِجَفْنٍ غَيْرِ مُنْطَبِقِ
وَالْغَصْنُ قَدْ ضَرَبَتْ أَيْدِي الضَّرِيبِ عَلَى أَوْرَاقِهِ فَتَرَاهُ مَائِلَ الْعُنُقِ

قوله : « بيض السواعدِ أطواقاً على العُنُقِ » معنى مشهور ، ومنه قول القائل وهي أبياتٌ يتداولها القوَّالون ^١ :

مُشْتَاقَةٌ طَرَقَتْ بِاللَّيْلِ مُشْتَاقًا أَهْلًا بِمَنْ لَمْ يَخُنْ عَهْدًا وَمِثَاقًا
يَا زَائِرًا زَارَ مِنْ قُرْبٍ عَلَى بُعْدٍ آنَسْتَ مُسْتَوْحِشًا لَا ذُقْتَ مَا ذَاقَا
يَا لَيْلُ عَرَّسْ عَلَى خِيَلَيْنِ قَدْ جَعَلَا بَيْضَ السَّوَادِ لِلْأَعْنَاقِ أَطْوَاقَا

ومن قصائده المطولات في المدح وما يتعلق به من الصفات
ما أخرجته من مقطوعاته الإخوانيات وغيرها

قال من قصيدة في معز الدولة صاحب حلب :

وقفت على رسم الديار مسانلاً وهل يشتفي ^٢ من لوعة الحب سؤال؟

٢ ص : بشفي .

١ الشريشي ٤ : ٣٠ .

فألوى رسوم الصبر رسم من اللوى
يُحيي بها صوب الحياء معلماً
فما روضت أرض المهاد ملاحيف
وورقاء تستملي حنفي بنوحها
ولاني إذا ما ازور عني منزل
أقيم إذا ما العز وطند مفرشي
أنا ابن السرى إن ملتي متن سابق
كان الفلا ظير^٢ لها الليل حجلة
تفوز في قطع المفاوز جرأتي
إذا البدر جلى وجهة البر نوره
سقى حلباً والحى من آل عامر
فكسم أثمرت فيه القنا من مناقف
إذا خطبوا العلياء يوم كريمة
بيمن معز الدولة انكشفت لنا
تجافى محيّا المال حتى كأنما

وطلّ دموعي بالسبيبة^١ أطلال [٦٠]
خلعن عليهن المحاسن أنوال
وزهر رباها الحلي والنور خلخال
كيلانا على عهد الأوبة هدّال
رمى الحل في قُطربه شد وترحال
وأنبو إذا ما أعقب العزّ إذلال
تسلمني شخت الجزارة ميرقال
تحن إليها من ركابي أطفال
إذا كاع عن قطع المجاهل جنهتال
فممدّة ظلي فوق وجنته خال
هزيم توالى من نشاصك مهطال
وكم أتعبت فيه الصوارم أبطال
فأسيافهم فيها مهور وأجمال
من الدهر أحوال مرتنهن أحوال
يقابلنه منه وشاة وعذّال

١ ص : بالست ، والتصويب تقدير ي .

٢ ص : أعقت .

٣ ص : طير .

٤ ص : طاع . . . جاهل ، وكاع لغة في كع أي أحجم .

• النشاص : السحاب .

كَأَنَّ الْوَغَى طَرَفٌ لَهُ الْجَبَلُ مَحْجَرٌ لَهُ النَّفْعُ أَكْحَالٌ لَهُ الزَّانُ ٢ أُمِيَالٌ
وَأَسْمَرَ عَسَّالٌ إِذَا احْتَدَمَ الْوَغَى تَصَدَّقَ مِنْهُ الزَّادَ أَطْلَسَ عَسَّالٌ

وله من أخرى في ابنِ ذي النون المأمون :

لَا يَشْرَبُ الْمَاءَ مَا لَمْ يُحْنَفْ حَافَتَهُ ٣ حَتَّى إِذَا قَطَرَتْ أُرْمَاحُهُ شَرِبَا
وَلَا يَرُدُّ الْمُحْيَا الطَّلُقُ بَغْرَتَهُ كَالْقِرْنِ عَنْ بَرَقِ خُلْبٍ خُلْبَا
مَا بَالُ بَالِي إِذَا سَكَنَتْهُ نَفَرَتْ عِشَارُهُ وَإِذَا كَفَفَتْهُ انْسَرَبَا
الْتَبَرَمَ بِالْدُنْيَا وَزِينَتِهَا أَمْ الْبَعِيدُ مِنَ الْآمَالِ قَدْ قَرَّبَا
بِهِمَّةِ الْمَلِكِ الْمَأْمُونِ حِينَ غَدَا إِفْضَالُهَا لِيَتَنَاهَى هِمَّتِي سَبَبَا
الْوَاهِبِ الْأَلْفِ لَا عَيْنًا وَلَا وَرَقًا وَلَا عِشَارًا وَلَكِنْ أَنْعُمًا قُشْبَا
فِي جَحْفَلٍ كَسَوَادِ اللَّيْلِ مُرْتَكِمٍ لَكِنْ أَسْنَتُهُ صَارَتْ لَهُ شُهْبَا
كَأَنَّمَا نَهْنَجُ أَنْبُوبِ الرَّمَاحِ بِهِ مَا قَدْ وَرِثَتْ مِنَ الْعَلِيَا أَبَا فَا بَا
قَوْمٌ إِذَا رَكِبُوا سَدَّوْا الْفَضَاءَ وَإِنْ [حَلَّتُوا] تَوَهَّمَتْهُمْ فِي الْبَيْدِ رَجُلٌ دَبَا
قَدْ صَيَّرُوا الْحَرْبَ كَأَسَا وَالْدَّمَاءَ بِهَا خَمْرًا وَمَا جَوَّفَتْ ٥ مِنْ بَيْضِهَا حَيَا

وله فيه من أخرى :

١ الجبل : الساحة ، يعني هنا ساحة الوغى .

٢ ص : الزان .

٣ كذا هو ولم أستطع توجيهه .

٤ البقرة : قوة الماء أو الدفعة الشديدة من المطر ، وقد يكون معناها هنا : الشرب دون ارتواء .

٥ ص : حوَّفت .

ولم يفهموا ما تكتبُ البيضُ في الوغى
تسرعُ حتى خِلتُ كلَّ مُقَصِّرٍ
وحتى توهمتنا النجومُ أسِنَّةً
ولا السمرُ حتى أعجمنا بالحوافرِ
مِن الخيلِ محمولاً على ظَهرِ طائرٍ
وخلينا الهلالَ بينها لِثَرَ حافرٍ

وله من مراثية في الملك شروان شاه :

يا موضِعاً^١ عن مُلكِهِ وسريره
طلتُ^٢ رزيتُهُ دمي إن لم أدع
يا تاركاً رُسلَ الملوكِ ببابِهِ
أرحلتُ ثم تركتنا ولقِبلَ ذا
أترى دليلك في السرايا غرّةً
صيرنا نُقبِلُ قبره ولطالمسا
جدتُ غداً جَفناً لأبصرِ ناظرٍ
يا قبرُ لم نَعْرِفْ تَشَتَّتْ شَمَلِنَا^٣
ظلنا نشقُ جيوبنا من بعد أن
ونعُبُ كاساتِ الدموعِ كأننا
عُدلَ البكاءَ فظلَّ يَنشِدُ نَفْسَهُ^٤
ماذا أضرك لو لبثتَ قليلاً ؟
دَمَ مُقَلَّتِي في لَحْدِهِ مَطْلولا
مَنْ ذا يَرُدُّ عليهمُ التَّجَمُّيلاً ؟
كنا نَحُفُّ^٥ إذا أردتَ رَحِيلاً
خطأُ فسارَ إلى الحِمامِ دليلاً ؟
كنا نُبِيعُ بِسَاطَةِ التَّقْيِيلِ
أَمسى وأصبحَ بالرَّدى مكحولاً
حتى غَمَدَتِ الصَّارِمَ المَصْقولا
كنا نُجَرِّرُ في ذِراهُ ذُيولا
في أنسٍ مَجْلِسُهُ نَعْبُ شَمولا
بيتاً يُمَهِّدُ عُدْرَهُ المَقْبولا

١ ص : مرصعاً ، ولعل الصواب « مزعماً » .

٢ ص : طلب .

٣ نحف : لعله يعني نحيط ببركائك ، والا فاقرأ « نحف » .

٤ ص : لانصر ناصر .

٥ ص : تعرف ... بعملنا .

رَدُّ الْجَمُوحِ الصَّعْبِ أَيْسَرُ مَطْلَبًا
مَا لِلرَّماحِ قَصْرُنَ عَنْ دَرَكِ الْمُدَى
وَلتَقْبَلُ كُنَّ إِذَا رَأَيْتَكَ عَازِمًا
لَيْسَ الْحِدادَ حَدِيدُهُنَّ فَمَا نَرَى
تَبْكِيكَ أَقْلَامُ [زَهَتْ] مِنْ عَظُمٍ مَا
وَبَجُورُ شَعْرِ غَاصَ^٢ مَدْحُكَ فَاثْتَقَى

وله من أخرى في بعض عبده :

أَعْبَدَيْ قَدْ أَسَارْتَا [فِي] جَوَانِحِي
أَسَاتِمُ وَلِلْحَبِّ الْمَبْرَحِ حُجَّةٌ
لئن بَزَّي دَهْرِي بِيغْدَادَ ثُرُوتِي
فِيَا لَيْتَنِي لَمْ آتِ بَغْدَادَ نَابِهَا
فَلَوْ كُنْتُ فِيهَا لَمْ تُحْصَ قَوَادِمِي
فَمَزَقْتُ أَثْوَابَ الْفَلَا بِسَوَابِقِ
إِذَا [مَا] أُمَالتُنِي بِهَا نَشْوَةُ الْكُرَى
وَأَنَا طَلَقْتُ النَّهَارَ بِجَوَازِهَا
وَمَنْ طَلَبَ الْغَايَاتِ جَرَّعَ نَفْسَهُ

مِنْ رَدِّ دَمْعٍ قَدْ أَصَابَ سَبِيلًا
وَرَأَيْنَ حَمْلَ نُصُوحُنَّ فَضُولًا ؟
عَايَنَ طُولَكَ فَاسْتَفْدَنَ الطُّوْلَا
إِلَّا سِنَانًا مِنْ صَدَاهُ كَلِيلًا
كُنْتُ فَتُوحَكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا
مِنْهُمْ دُرًّا فِي النِّظَامِ جَزِيلًا

مِنْ الْوَجْدِ دَاءٌ مُسْتَكِينًا وَبَادِيَا
تُحَسِّنُ فِي عَيْنِي تِلْكَ الْمَسَاوِيَا
فَمَا زِلْتُ مِنْ كَسْبِ الْمُحَامِدِ كَاسِيَا
وَأَصْبَحْتُ فِي أَكْنَافِ شِرْوَانِ عَارِيَا
وَلَا أَحْفَتِ الْأَشْوَاقُ مِنْهَا الْخَوَافِيَا
تَظَلُّ بِهَا الْأَنْضَاءُ تَقْلِي الْفِيَا فِيَا
تَرْنَحُ فِي كَفْتِي الْمَهْنَدُ صَافِيَا
خَطَبْتُ خُدَارِيًّا^٣ مِنَ اللَّيْلِ دَاجِيَا
سَلَفِ السَّرَى وَاسْتَنْهَضَ النَّجْمَ سَاقِيَا [٦١]

١ ص : عن .

٢ ص : عام .

٣ ص : حواريا .

ما أخرجته من مقطوعاته الإخوانيات وغيرها في أوصاف مختلفات

له من قصيدة في وصف القبروان وقت فتنة العامة بها يقول فيها :

حالت عليّ القبروانُ بِحَالِهَا عمّا عهدتُ العيشَ فهوَ مَنْغَصُ
فخرابُها في كلِّ يومٍ زائدٌ وصُبابَةُ المعمورِ فيها تنقُصُ

ومنها :

إن كان أرخصني الزمانُ فإنّه أسدى إليّ بضائعاً لا ترُخصُ
أو كان غيّر من طيّاعي موضعي فالحمرُ إنْ تركتُ وعاها تنقُصُ
كيف الرجوعُ وطيرفُ حالي عائرٌ وجناحُ آمالي الكسيرُ مقصُصُ

وله من أخرى :

ولمّا أنْ كساني الشيبُ ثوباً ولم يكُ وقتَ تغيّرِ الثيابِ
أتاني غفلةٌ والنفسُ فيها بقايا من عقابيلِ التصابي
وغصنُ شيبتي غصنُ نضيرٍ به ظمأٌ إلى ماءِ الشبابِ
ورامَ الناسُ مني ما يضاهي مشيبي في فيّالي أو خطابي
ولم أقدمْ على وصلِ التصابي مخافةً أنْ أدنسه بعابِ
فداومتُ المدامَ فما أبالي بيالي إنْ تخطى عن صوابِ
فلنْ ظهرَ التصابي فيّ يوماً أحلتُ به على فيّعلِ الشرابِ

وهذا من قول حسان^١ .

نَوَلَّيْهَا الْمَلَامَةَ إِنْ أَلَمْنَا إِذَا مَا كَانَ مَغْنًى أَوْ لَحَاءً

وقال أبو الفضل :

وَمُعْتَفٍ لِي فِي الْمَقَامِ ضَرُورَةٌ
أَلْقَى الْهَوَانَ بِهَا وَكَمْ مِنْ عِزَّةٍ
جَهَلُوا عَلَى الْإِحْسَانِ فِيهَا مَوْضِعِي
فَكَأَنِّي الْقُرْآنُ عِنْدَ مُعْطَلٍ
مَا الدَّرُ يُنْقِصُ فَضْلَهُ فِي بَحْرِهِ
كَلَّا وَلَيْسَ الْمِسْكُ يُبْطَلُ عَرْفُهُ
مَا عَيْبُ ضَوْءِ الشَّمْسِ عِنْدَ بَزْوِغِهَا
وَاللَيْثُ لَا يَنْسَى اسْتَطَالَتهَ بِأَسِهِ
أَوْ مَا تَرَى الدُّنْيَا بِفَقْدِ مَلِيكِهَا

وله من أخرى :

وَأَعْظَمُ مِنْ مُصِيبَاتِ اللَّيَالِي
يَقَابِلُنِي بَوْدٌ مُسْتَمِيلٍ
إِذَا عَاتَبْتُهُ أَبَدَى مَجُونًا
وَمَنْ جَعَلَ السَّمُومَ لَهُ دَوَاءً
عَلَيَّ وَصَرَفِيهَا خَيْلَ خَوْونٍ
وَبَيْنَ ضُلُوعِهِ دَاءٌ دَفِينٌ
وَعِلَّةُ ذَلِكَ الْعَتَبِ الْمَجُونِ
فِيوْشِكُ أَنْ يَفْاجِئْتَهُ الْمَنُونُ

١ ديوان حسان ١ : ١٧ .

أَهْمُ بَأْنُ أَجَازِيهِ فَيَأْبَى
أَرَى هَذَرَ الكَلَامِ الْمُحَضِّ غَثًّا
وَلَمْ يُزْعِجْ زَيْبُ الأَسَدِ حِلْمِي
أَبْطَمَعُ أَنْ يَشُقَّ غُبَارَ مُهْرِي
سَلِّ السَّمَرَ الذَّوَابِلَ مَا غَنَائِي
أَلَمْ أَجْعَلْ مُثَارَ النَّعْرِ بَحْرًا
عَلَى الأَصْلُ والعِرْضُ المَصُونِ
فَيَرْدَعُنِي عَنِ الغَثِّ السَّمِينِ
أَيَزْعِجُهُ مِنْ البَقِّ الطَّنِينِ ؟
ذَكِيلٌ تَحْتَهُ عَيْثُ حَرُونِ ؟
إِذَا اشْتَجَرَتْ بِهَا الحَرْبُ الزَّبُونِ
عَلَى أَنْ الجِيَادَ لَهُ سَفِينُ ؟

وله من أخرى في صاحب الخيل ابن أذين من قصيدة طويلة ، منها
قوله :

وَأَعَذِبُ مِنْ يَوْمِنَا بِالْعُدَيْبِ
وَلَسْتُ بِمَنْ يَطْطِيبُهُ الْغَنَى
وَمَنْ عَبِثَتْ نَفْسُهُ بِالْغَنَى
وَكَمْ طَسَمَ الدَّهْرُ مِنْ جَبَلَتِي
وَكُنْتُ إِذَا مَا رَمَانِي الزَّمَانُ
عَلَيْقْتُ أَبَا الْحَسَنِ الْمُتَرَجِّى
فَتَى لَوْ رَأَى الْبُخْلُ فِي نَوْمِهِ
وَلَوْ كَانَ طَيْفًا وَكَانَ الْكُرَى
فَمَا لِي أَرَى عِقْدَ إِحْسَانِهِ
وَلَمْ ذَمَّتْنِي عِنْدَهُ حَامِدُ
سَلَامَتُنَا الْيَوْمَ مِنْ ذِي سَلَمٍ
وَيَرْصُدُ طَيْفًا لَهُ أَنْ يُلَاسِمَ
تَسَاوَى الْغَنَى عِنْدَهُ وَالْعَدَمُ
فَرْدًا نَضَارَةً مَا قَدْ طَسَمَ
أَوْ كَادَ أَوْ هَمَّ بِي أَوْ عَزَمَ
فَأَمْسَيْتُ مِنْ صَرْفِهِ فِي حَرَمٍ
أَوْ الْجَبْنَ خُلُقًا لَهُ لَمْ يَنْسَمِ
طَرَوْقًا لَغَيْرِ الْعَلَا مَا أَلَمِ
تَبَدَّدَ مِنْ سِلَاحِهِ مَا نَظَمَ ؟
كَأَنَّ بِهِ جِنَّةً أَوْ لَمَمَ

وكلّمني فاستزرت الصّمَمَ
ودادي فما لودادي فطَم؟
ترعرع غيّب عنه الحَلَمَ
وما قلت لي قطّ إلاّ نَعَمَ

بدا وجهه فاشتَهيتُ العمى
وقد كنتُ تُرضِعُ دَرَّ الصفا
كذا الطفلُ يرضعُ حتّى إذا
يُسألني الناسُ عمّا تقولُ

[وله] :

مدحاً يُناسبُ أنواعَ الأَزهيرِ
أقلدُ الدرَّ أعناقَ الخنازيرِ

قالوا مدحتُ أناساً لا خلاقَ لهم
فقلتُ لا تعدّلوني إنّي رجلٌ

وقال :

وأنتم لي غيّرُ أجناسِ
أعدّكم من بعضِ جُلّاسي [٦٢]
تعلّلا من عدَمِ الناسِ

ما إن^١ أرى قُربكمُ صائباً
وما جُلوسِي عندكمُ أنّتي
لكنني أجلسُ [ما] بينكمُ

وقال في رجلٍ يعرفُ بابن كثير :

فكيف نرجّيه من ابنٍ كثيرٍ؟

وما الخيرُ ممّا يرتجى في ابنٍ واحدٍ

وقال :

لا يطمعُ الطيرُ فيه وهو مصلوبُ
والتميسُ من ظنّ أن التيسَ مخلوبُ

وكيف نرجو السحابَ الجودَ من رجلٍ
أصبحتُ أحلبُ تيساً لا مدرّ له

وقال :

١ ص : مالي إن .

يا لائماً عِمْرانَ لا تُنْشِدَنَّ عَمْرُو بنَ كَلْثُومٍ ، أَلَا هُبِّي ،
طَمَعْتَ فِي كَلْبٍ فَدارَيْتَهُ ، وَالْكَلبُ مِنْ يَطْمَعُ فِي كَلْبٍ

فصلٌ في ذكر طائفة من الشعراء المقلتين الطائرين على هذا الأفق من بلاد
المشرق ، مع ما يتصل بذكرهم من المعارف المفيدة

منهم :

سليمان بن محمد الصقلي^١ : كان - فيما بلغني - من أهل العلم والأدب
والشعر . ووفد على هذا القطر سنة أربعين وأربعمائة ، وقصد بمديحه
عيدة من الرؤساء ، وتقدم بفضل أدبه عند الكبراء . ومما أنشدته له
في عذول قبيح قوله^٢ :

رأى وجهَ مَنْ أهوى عذولي فقال لي أجلكَ عن وجهِ أراهُ كريها
فقلتُ له بل وجهُ حبيِّ مِراءة^٣ وأنت ترى [تمثال] ^٤ وجهيك فيها
ومن شعره^٤ :

١ سليمان بن محمد الصقلي ترجمة في الجذوة : ٢٠٦ (بغية الملتبس رقم : ٧٦٤) وفي الخريدة
(١ : ٩٤) ترجمة لسليمان بن محمد الطرابلسي (اقرأ : الطراينشي أي من طرابلس بصقلية)
وذكر أنه دخل إفريقية وانتقل إلى الأندلس وتوطنها واتخذها لمخالطة ملوكها سكتا ،
وليس من المقطوع به أن يكون هو نفسه المترجم به عند ابن بسام ، وانظر مسالك الأبصار
١١ : ٥٤٤ والمكتبة الصقلية : ٥٧٧ ، ٥٩٤ ، ٦٥٥ .

٢ الجذوة : ٢٠٨ والشريشي ٤ : ٧٨ .

٣ زيادة من جذوة المقتبس .

٤ الجذوة : ٢٠٨ .

تَقَلَّبَ دهرنا فالصقرُ فيه يُطالِبُ فضلَ أرزاقِ الحمامِ
على الدُّنيا العَفَاءُ فقد تناهى تسرَّعها إلى أيدي النّامِ
وما النعماءُ للمفضولِ إلّا كمثلِ الحُلّيِّ للسيفِ الكَهَمِ
ذَريني أجعلِ الترحالَ سِلْكا أنظّمُ فيهِ ساحاتِ المَوامي
فلإني كالزُّلالِ العَذْبِ يُؤذِي صفاهُ وطعمه طولُ المُقامِ

وهذا المعنى مشهور ، وقد مرَّ منه في تَضاعيفِ هذا التصنيفِ كثير ،
كقولِ بعضِ أهلِ عصرنا^١ :

مَلَلْتُ حِمَصَ وملتني فلو نَطَقْتُ كما نَطَقْتُ تلاحينا على قَدَرِ
وسوّلتُ لي نَفْسي أن أفارقَها والماءِ في المِزْنِ أَصْفى منه في الغُدْرِ
وكذلك قوله : « بَلْ وَجْهُ حَبِيبِي مِرْآةٌ » معنَى مُتَدَاوِلٌ ، منه قول
يوسف بن هارون الرَّمَادِيِّ^٢ :

وإذا أرادَ تَتَرُّهاً في رَوْضَةٍ أخذَ المِراةَ بِكَفِّهِ فَأَدَارَها
وقال الآخر^٣ :

أنا كالمرآةِ ألقى كلَّ وجهٍ بِمِثَالِهِ
وقال العباسُ بنُ الأحنفِ^٤ :

١ هو الأعمى التُّطيلي ، انظر ديوانه : ٤٥ .

٢ الشريشي ٤ : ٨٧ .

٣ لابن الرومي في تشبيهات ابن أبي عون : ٢٧٨ .

٤ ديوان العباس : ٢٨٠ والشريشي ١ : ٣٠ .

هَمَّتْ بِأَيَّانَا حَتَّى إِذَا نَظَرْتُ إِلَى الْمِرَاةِ نَهَاهَا وَجْهَهَا الْحَسَنُ

ولبعض المصريين^١ في غلامٍ كان يَهْوَاهُ ، مما يَنْتَظِرُفُ معناه^٢ :

يَجْرِي النِّسِيمُ عَلَى غِلَالَةٍ^٣ وَجْهَهُ وَأَرْقُ مِنْهُ مَا يَمُرُّ عَلَيْهِ
نَاوَلَتْهُ الْمِرَاةَ يَنْظُرُ وَجْهَهُ فَعَكَسَتْ فِتْنَةً نَاظِرِيَهُ إِلَيْهِ

ورأى أبو الحسن السَّلَامِي فِي يَدِ غَلَامٍ يَحْمِلُ إِلَيْهِ مِرَاةً فَقَالَ^٤ :

رَأَيْتُهُ وَالْمِرَاةُ فِي يَدِهِ كَأَنَّهَا شَمْسٌ عَلَى مَلِكٍ
فَقُلْتُ لِلصُّورَةِ الَّتِي احْتَجَبَتْ مِنْ غَيْرِ زُهْدٍ فِيهَا وَلَا نُسُكٍ
يَا أَشْبَهَ النَّاسِ بِالْحَبِيبِ أَلَا تُخْبِرُنَا عَنْكَ غَيْرَ مُؤْتَفِكٍ
قَالَ أَنَا الْبَدْرُ زَرْتُ بِدَرَكَمٍ وَهَذِهِ قِطْعَةٌ مِنْ الْفَلَكَ
قُلْتُ فَإِنِّي أَرَى بِهَا صَدَأً فَقَالَ هَذَا بِقِيَّةُ الْحُبِّكَ

١ ص : أهل المصريين ، وقد صوبته اعتماداً على ما يرد في الحاشية التالية .

٢ البيهقي لأبي الحسن علي بن عبد الرحمن بن أحمد بن يونس بن عبد الأعلى (وجده يونس ابن عبد الأعلى صاحب الفقيه المصري عبد الله بن وهب) وكان عالماً بالنجوم (انظر القفطي : ٢٣٠ وحسن المحاضرة ١ : ٥٣٩) وقد ذكره صاحب زهر الآداب وقال : وكان لأبي الحسن في الشعر مذهب حسن وطبع صحيح وحوك مليح (٦١٣) وأورد نماذج من شعره وفيها البيهقي (٦١٤) وعند التوطئة لذكره قال : وقال بعض أهل العصر ، ويبدو أن ابن بسام اضطرب في النقل ، فالشاعر بعض أهل العصر بالنسبة للحصري صاحب زهر الآداب ، لا بالنسبة لابن بسام ، وبعد أن أدرك ذلك رجع على « أهل » وحول لفظة العصر إلى « المصر » يين ، ولا وجه يسوغ أن يقال أهل المصريين ، وانظر الشريشي : ٧٨ .

٣ زهر الآداب : غلال .

٤ اليتيمة ٢ : ٣٩٧ .

وذكرتُ بذكره المرأة قولَ القراطيبي الكوفي ^١ ، وهي أبياتٌ يتداولها
القوَّالون :

ما تنقضي مِن عَجَبٍ فكري	في خَصْلَةٍ فرطَ فيها الولاهُ
تَرَكَ المحبينَ بلا حاكمٍ	لم يُقعدوا للعاشقينَ القضاءُ
وقد أتاني خبرٌ ساعني	مقالُها في السرِّ : واستوائُها
أمِثُلُ هذا يَبْتَغي وصلنا	أما يرى ذا وجهه في المراه !

قال القراطيبي ^٢ : وقلتُ يوماً للعباس بن الأحنف : هل ألمتَ بهذا
المعنى ؟ فأنشدني لنفسه :

جاريةٌ أعجبها حُسْنُها	ومِثْلُها في الناسِ لم يُخلَقِ
خبرْتُها أَني مُحِبٌّ لها	فأقبلتُ تَضْحَكُ من منطقي
والتفتتُ نحوَ فتاةٍ لها	كالرُّشْمِ الوسنانِ في قُرْطقي
قالتُ لها قولي لهذا الفتي	أنظُرْ إلى وَجْهِهِك ثم اعشَقِ

وحَدَّثني الفقيهُ أبو بكرٍ بنِ الوزيرِ الفقيهِ [أبي محمد ابن] العربي ^٣ ؛
قال : حَدَّثْتُ عن الفقيهِ أبي عبد الله الحُمَيْدِيِّ عن سليمان بن محمدٍ

١ هو اسماعيل بن معمر القراطيبي الكوفي وكان يصاحب أبا نواس وأبا العتاهية (انظر ترجمته
في الورقة : ١٩١ - ١٠٢ والأغاني ٢٣ : ٧٢ وأبيات التي ذكرها ابن بسام وردت في
المصدرين المذكورين والشريشي ٤ : ٧٧) .

٢ انظر المصدرين السابقين ، وديوان العباس : ٢٠٣ والشريشي ٤ : ٧٨ .

٣ وردت القصة في الجذوة : ٢٠٦ مع اختلافات يسيرة في العبارة وبدائع البدائع : ٣٤٨ .

الصقلي . قال : كان بسوسة إفريقية رجل " أديب " ظريف يهوى غلاماً
 جميلاً من غلمانها . واشتد كلفه به . فتجنى الغلام عليه ، فبَسَّناه
 ذات ليلة يشرب مُنفرداً وقد غَلَبَ عليه السُّكْرُ خطَرَ بِيَالِهِ [٦٣] أن
 يأخذ قَبَسَ نارٍ فيحرق به داره . ففعلَ وجعله عند بابِ الغلام فاشتعل
 ناراً ، فاتَّفق أن رآه بعضُ الجيران فأطفأه : فلمَّا أصبح حُمِّلَ إلى القاضي
 فسأله لمَ فعلَ ذلك ، فأنشأ يقول :

لَمَّا تَمَادَى عَلَى بَعَادِي وَأَضْرَمَ النَّارَ فِي فُؤَادِي
 وَلَمْ أَجِدْ مِنْ هَوَاهُ بَدَأَ وَلَا مُعِينًا عَلَى السَّهَادِ
 حَمَلْتُ نَفْسِي عَلَى وَقُوفِي بِيَابِهِ حَمَلَةً الْجَوَادِ
 وَطَارَ مِنْ بَعْضِ نَارٍ قَلْبِي أَقْلٌ فِي الْوَصْفِ مِنْ زَنَادِ
 فَاحْتَرَقَ الْبَابُ دُونَ عِلْمِي وَلَمْ يَكُنْ ذَاكَ مِنْ مُرَادِي

فاستظرفه قاضي البلد : وتحملَ عنه ما أفسد .

قال الحميدي^١ : وكنتُ أظنُّ أن هذا المعنى ممَّا تفردَ به هذا القائل
 حتى أخبرتُ أن نصرَ بنَ أحمدَ الخبزرُزي^٢ دخلَ على أبي الحسن^٣ ابنِ المثنى
 في إثرِ حريقِ المربد ، فقال له : هل قلتَ في هذا شيئاً ؟ فقال : ما قلتُ ،
 ولكن أنشيدك ارتجالاً ، وجعلَ ينشيدُ هذه الأبيات :

١ انظر الجذوة : ٢٠٧ ، والأبيات في بدائع البداهة : ٣٤٨ .

٢ كان الخبزرُزي (- ٣٢٧) شاعراً أُمياً يخبزُ خبزَ الأرز بمرِبه البصرة في دكان ، وينشد
 أشعاره فيحتشد الناس حوله لسماعها (ابن خلكان ٥ : ٣٧٦ وفي الحاشية مصادر أخرى) .

٣ الجذوة : الحسين .

أنتكم شهودُ الورى تشهدُ فما تستطيعون أن تجحدوا
 فيا مريدونَ ناشدُكم على أنني منكم مُكمدُ^١
 جرئى نفسي صعداً نحوكم فمِنْ حرّه احترقَ المربدُ
 وهاجتَ رياحُ حنّيني لكم فظلّتْ بها نارُكم تُوقدُ
 ولولا دموعي جرّتْ لم يكنْ حريقُكمُ أبداً يخمدُ

فصلٌ في ذكر الأديب أبي الفتح ثابت بن محمد الجرجاني^٢

من جُملة مَنْ وفد أيضاً على البلدِ في ذلك الأوان : وكان الغالب على أدواته علمُ اللسان ، وحفظُ الغريبِ والشعرِ الجاهليّ والإسلامي ، إلى المشاركةِ في أنواعِ المتعالمِ ، والتصرفِ في حملِ السلاح . والحذقِ بالآلاتِ الجُنْدِيَّةِ ، والنفاذِ في معاني الفروسية ؛ فكان الكاملَ في خلالِ جمّة . طرأ

١ الجذوة : مجهد .

٢ لثابت الجرجاني ترجمة في الجذوة : ١٧٣ (بغية الملتبس رقم : ٦٠٢) والصلة : ١٢٥ والاحاطة ١ : ٤٦٢ (وفيه نقل عن الذخيرة) . وبغية الوعاة : ٢١٠ ومجمع الأدباء ٧ : ١٤٥ ؛ ولد ثابت سنة ٣٥٠ ودرس ببغداد على عبد السلام البصري والربيعي وابن جني ، لقي أولهما ببغداد سنة ٣٧٨ ، ثم هجر إلى الأندلس ، وأخذ عنه الأندلسيون شرحه بحمل الزجاجي (فهرست ابن خير : ٣١٥) ودرس عليه بعضهم حماسة أبي تمام (٣٨٧) ، وقد كانت صلة ابن حزم به وثيقة إلا أنه يشير إليه في الفصل (١ : ١٧) باسم « أحد الملحدين » ولعله أثر في ابن حزم بمعرفة المنطقية وافتقانه للتعاليم ، غير أنه حين التحق بباديس بن حبوس تورط في شؤون السياسة ولحقته همّة التدبير ضد باديس مع ابن عمه يدير فقتل سنة ٤٣١ وفي الاحاطة تفصيل واف بمحتنه وخبر مقتله نقلا عن كتاب المتين لابن حيان .

على الجانب^١ منذُ صدرِ الفِتنَةِ للذائعِ من كرمه ، فأكرمَ نَزْلَه ، ورفعَ من شأنه ، وأصبحَه ابنَه المرشحَ - كان - لسلطانه . فلم يَزَلْ له بها المكانُ المكينُ إلى أن تَغَيَّرَ عليه بحَيِّ بتَغْيِيرِ الزمان ، وتقلَّبَ الليالي والأيام بالإنسان ، ففارقه ولحقَ في غَرناطَة بعسكرِ البرابرة ، فحلتْ به من أميرهم باديس الفاقيرة .

ووجدتُ بخطَّ الفقيهِ أبي محمدٍ بنِ حزم ، قال^٢ : إن أوَّلَ مَنْ لَقِيَ مِنْ ملوكِ الأندلسِ مجاهدُ العامريِّ المتقدمُ الذكر ، فأكرمَ نَزْلَه وأنيسَ به ، وسأله يوماً عن رفيقٍ له رآه معه ، فقال الجرجاني :

رفيقانِ شتى ألفَ الدهرُ بيننا وقد يلتقي الشئى فيأتلفانِ

قال أبو محمد بن حزم : ثم لقيتُ بعدَ ذلك أبا الفتوحِ فأخبرني عن بعض شينُوخه أنَّ ابنَ الأعرابي رأى في مجلسه رجلين يتحدَّثان ، فقال لأحدهما من أين أنت؟ قال من اسبيجاب ، وسأل الآخر فقال : من الأندلس ، فعجب ابنُ الأعرابي من ذلك وأنشد البيت المتقدم .

ثم أنشدني هذه المقطوعة^٣ :

١ الاحاطة : الحاجب ، والسياق يشير إلى أنه طرأ حل علي بن حمود الحسني ، ولم يكن علي حاجباً ، بل خليفة ؛ ثم اتصل بعده بابنه يحيى .

٢ انظر الجذوة ومعجم الأدباء .

٣ لم يرد في من منها إلا بيتان هما الأول ، والشرط الأول من الثاني والشرط الثاني من الرابع ، وهذا الاضطراب يستدعي تصحيحها ، كما أن قوله « مقطوعة » يعني أنه أورد ما يزيد على بيتين .

نَزَلْنَا عَلَى قَيْسِيَّةٍ بِحَمْنِيَّةٍ لَهَا نَسَبٌ فِي الصَّالِحِينَ هِجَانٍ
فَقَالَتْ وَأَرْخَتْ جَانِبَ السِّتْرِ دُونَهَا [لَايَةً أَرْضٍ أُمٌّ مِنَ الرِّجْلَانِ
فَقُلْتُ لَهَا أُمًّا رَفِيقِي فَقَوْمَهُ تَحْمِيمٌ وَأُمًّا أُسْرَتِي فِيمَسَانِ
رَفِيقَانِ شَتَى أَلْفَ الدَّهْرِ بَيْنَنَا] وَقَدْ يَلْتَقِي الشَّتَى فَيَأْتِلِفَانِ

قال ابن حزم^١ : وأخبرني أبو الفتوح الجرجاني ، قال : أخبرني
علي بن حمزة [ان القصيدة التي أولها « هذي برزت لنا فهجئت رسيسا »
قالها المتنبي في محمد بن زريق] وكييل زوامل^٢ ابن الزيئات صاحب طرسوس^٣
وأنه وصله عليها بعشرة دراهم ، فقبل له إن شعره حسن ، قال : ما أدري
أحسن هو أم قبيح ، ولكني أزيدُه عشرة أخرى ؛ فكانت صلاته عليها
عشرين درهما .

فصل في ذكر الأديب عبد العزيز بن محمد السوسي

أحد أضياف بن ذي النون

قال ابن بسام : ولم يقع إلي من شعر هذا الرجل إلا قصيدة من جملة
قصائد لغير واحد ، أنشئت للمأمون يحيى بن ذي النون ، سنة خمس
وخمسين في صنع احتفل فيه لإعذار حفيده حسب ما أضيفه . وقصيدة
السوسي في ذلك طويلة ، منها قوله :

١ الجذوة ومعجم الأدباء .

٢ الجذوة : الناظر في زوامل .

٣ ص : طرسوس .

لَمَّا بَنَيْتَ مِنَ الْمَكَارِمِ وَالْعُلَا مَا جَاوَزَ الْجُوزَاءِ فِي الْإِجْلَالِ
أَعْمَلْتَ رَأْيَكَ فِي بِنَاءِ مُكْرَمٍ مَا دَارَ قَطً لَأَمِلٍ فِي بَالِ
لَوْ زَارَهُ كَسْرَى أَنْوَ شِرْوَانَ لَمْ يَبْصُرْ إِلَى الْإِيْوَانِ لِحِظَةِ مَبَالِ^١
يَا سَاقِيَّ الصَّهْبَاءِ أَيْنَ كِبَارُهَا قَدْ لَذَّ وَرَدُ الْقَهْوَةِ السَّلْسَالِ
إِعْذَارُ بَحْيٍ أَبْهَجَ الدُّنْيَا وَبَيَّنَّ عُذْرَنَا فِي نَخْوَةِ الْمُخْتَالِ
حَشَدَ السَّرُورِ لَنَا طَهْوَرُ مُطَهَّرٍ مِنْ عَائِرِ الْجُبْنَاءِ وَالْبُخْتَالِ
عَرَضَ مِنَ الْآلَامِ يَجْلِبُ صِحَّةً وَطَقِيفُ نَقْصٍ فِيهِ كُلُّ كَمَالِ
انتهى ما كتبتُه منها .

ونذكر بعقبها ما تعلق بسببها فصلاً لابن حيَّان في وصف ذلك الصنيع الذئبوني: دلَّ به على [٦٤] براعته، وأعرب به عن موضعه من صناعته . وسيمرُّ أثناءه ذكرُ شعراء من هذه الطائفة الطارئة وسواها ، لانتظام كلام ابن حيَّان إياها . فمنهم من ذكرتُ في هذا الموضع بارِعَ أشعاره ، وجرَّدتُ فصلاً من كتابي في مُستطَرَفِ أخباره . ومنهم من فاتَ درَكِي ، ولم يَعلُقْ بشرَكِي . فاقتصرْتُ في هذا الفصل على ذكره ، وأثبتُها هنا ما وقعَ إليّ من شِعْره . وكان غيرُ السَّوسِي منهم أحقَّ بالتقديم كحمَّد بن شَرَفٍ وسائرِ طَبَقَتِهِ ، ممَّن هو أعصفُ^٢ في البيانِ رِجاً ، وأكثرُ عن الإحسانِ تَصْريحاً ، ولكنَّ وصلنا هذا الفصل بخبرِ هذا الرجلِ إذْ لم يكنْ له في سِوَاهِ آيَةٍ تُتلى ، ولا حَسَنَةٍ تُجَنَّتلى .

١ ص : موال .

٢ ص : أعطف .

قال ابن حبان : كتب إليّ الأديبُ ابنُ جابر ، قال : احتفلَ المأمونُ
 ابنُ ذي النُّونِ في مدَّةٍ لإعذارِ حفيدهِ يحيى فحشدَ أمراءَ البلاد ، وجُملةَ
 الوزراء والقوَّاد ، فأقبلوا إليها كالقِطَا القارِبِ أرسالا ، وقد رسمَ لخدمتهِ
 في توسيعِ مشاربِ هذا الإعذار ، وإرغادِ موائده . وتكميلِ وظائفه ،
 وإذكاءِ مطابخه ، رُسوماً انتهوا فيها إلى حدِّه ، وشقَّتْ عليها جيوبُ
 أكياسه ، وأمرَ بالاستكثارِ من الطَّهارةِ والإتاقِ للقُدور ، والإتراعِ للجفان ،
 والصِّلَةِ لأيامِ الطعام ، والمشاكلةِ بينِ مقاديرِ الأَحْبارِ والآدام ، والإغرابِ
 في صنعةِ ألوانها مع شِيَاب^١ أباريقها بالطَّيِّوبِ الزكيَّةِ ، والقرانِ فيها
 بين الأضدادِ المُخالِفةِ ما بين حارٍّ وبارد ، وحُلِيِّ وحامضٍ ، والمماثلةِ
 بين رائقِ أشخاصها وبينَ ما تُودَعُ فيه من نفائسِ صحافِها ، والاستكثارِ
 لها من أنواعِ الحلواءِ المجيرةِ^٢ للميعَدِ من داءِ الإلتخام ، وتجاوزِ عسليَّتها
 إلى السكر . فجاعوا في ذلك كلَّه بأمرِ كُبارِ أبيدَتْ لمطابخه أُمَمٌ من الأنعام ،
 جمع فيه بينَ المشاءِ^٣ والطَّيَّارِ والعَوَّام . وانتُسِفَتْ لمخابِزه أهرامُ مِن
 الطعام ، وأنفِقَتْ على مجاميره ومعاطره جُمَلٌ^٤ مِن الأموالِ الجِسامِ ،
 فاغتدى جماعاً^٥ لداعي أهلِ الإسلامِ العِظام .

وشرفَ المأمونُ بالاشتراكِ مع تطهيرِ حفيدهِ يحيى صبياناً من بني
 أصحابه ، وبدأ بحفيدهِ قبلهم ، فكان أسكنَ مَنْ حُنِفَ معه جاشاً ، وأقلَّتْهم

١ ص : شِيَاب .

٢ ص : المجيرة .

٣ ص : الشا .

٤ قد تكون صورة اللفظة أقرب إلى « جماعاً » .

زَمَعاً^١ ، وإنَّه مشى - زعموا - إلى الحديد مشياً البطل النجيد ، ومكّن الخائن من عضوه فأعانه على إحكام صنعه ، وسوى خِتانَه . وخففَ آلامه ، وأوشك إفراقه^٢ ، فخلص من مِحنته هذه الشرعية ، خلوصاً صادر السَّهام المُصمى للرمية ، فسُرَّ ابنُ ذي النونِ وشامَ بَرَقَ الأُمينة : فعند ذلك أذكى نيرانَه ، وأنضجَ أطعمته ونصبَ موائده ، ودعا الحفلى إليها ، ولم يُفَسِّحْ لأحدٍ التخلُّفَ عنها . فاكتملت الأطعمة ، وفتحت الأبواب ، وسهَّلَ الحِجاب . ورُفِعَت الستور ، وجلَّبت المقاصير ، وزُيِّنَت القصور ، وأقيمت المراتب ، ووكلَ بكلِّ قسمٍ منها كبير من وجوه الخدمة ضُمَّ إليه فريق من الأعوان والوزعة ، يتصرفون بأمره ، ويتقفون عند حده ، قد أخذوا بخفض الأصوات مع سرعة الحركات وحثَّ الأقدام ، فصار من بديع ذلك الصَّنيع الفخْم أنْ لم يعلُ فيه صوت ، ولا تُشْكِي منه فوت^٣ ، فطال العجب من استوائه في مثل ذلك المشهد .

قال ابنُ حَيَّان : ولما بكرت أفواجُ عِليَّةِ الناس إلى باب القصر مُستَبقين ، وغَشِيتهُ زُمُرُهُم وزرافاتهم مُبتدِرين ، أنزلوا عن دوابهم عند باب المنصب الأول ، فأذن لهم بالدخول على مراتبهم ، فمشوا وقد حقَّهم سراةُ الصُّقلِ الحَصيان ، وخَوَاصُّ الحِشَمِ والغِلَمان ، فأجلسوا في الدار الأولى ذات الخائر الرِيَّان . فلما اكتملوا أدخلوا إلى المجلس الكبير . فلما استقرَّ فيه جمعُهم خرجتُ تسميةٌ من الأمير المأمون بإدخالِ القضاة

١ حنف : في هذا الموضع بمعنى ختن ؛ والزعم : القلق والجزع .

٢ ص : اقرافه ؛ والافراق : البرء ؛ وكل عليل أفاق من علته فقد أفرق .

٣ ص : قوت (ولها وجه إذا أغفلنا السجع الدقيق) .

والفقهاء والعُدُول ومن يليهم من كبار الناس ، دعاهم لذلك ذو الوزارتين أبو [عامر بن] الفرج^١ : فقاموا والسكينة عليهم . يقدمهم قاضي القضاة أبو زيد بن عيسى القرطبي^٢ . فأدخلوا بتكريم على تُؤدّة ورفق ، وجيء بهم إلى الدار الكبرى الثانية ذات الساحة الواسعة الزاهرة ، ثم وصلوا إلى مجلس قد فُرش بالديباج التستري المرقوم بالذهب . وسُدت فوق حناياه ستورٌ من جنسه تكاد تلتصق الأبصار بنصاعة ألوانها وإشراق عقيانها . وقد جلس لهم الأمير المأمون في جانب منه ، وحفيده في جانب آخر ، فأكبّ الناس عليه يهنئونه ، ويلثمون أطرافه ، ويتناغون فيما قد روّوا وابتدعوا ، وهوى شملهم بإقبال طرفه ، ويعمتهم بإجمال ردة ، فينشون منه إلى حفيده [٦٥] يدعون له . ثم عدل بهم إلى مكان الأطعمة في المجلس الأول - على ذات اليسار من تلك الدار - الواسع القطر الرَّحْبِ الأبواب ، وقد فُرش بالوطاء التستري ، وعُلقت على أبوابه وحناياه ستورٌ الطميم^٣ المثقلة ذات الصُّور المُقيّدة للألحاظ ، وقد مُدّت فيه صنوف الطعام . فأمنعت هذه الطائفة في الأكل ازدِقاماً وسرطاً ، واختضاماً وقَضماً ، وانتهالاً وعلاً .

١ ص : أبي الفرج ؛ وقد كان أبو عامر بن الفرج وزيراً للمأمون بن ذي النون ثم لابنه القادر (المغرب ٢: ٣٠٣) وترجم له ابن بسام في الذخيرة ٣: ١٠٣ ؛ وذكر في المطمح: ١٥-١٦ باسم «أبو الفرج» ، وانتقل هذا الخطأ إلى نفح الطيب ٣: ٥٤٢-٥٤٣ واستمر الخطأ في الفهرسة كذلك .

٢ هو عبد الرحمن بن محمد بن عيسى أبو زيد بن الحشا القرطبي الأصل ، اسقضاء المأمون ابن يحيى بن ذي النون بطليطلة بعد أبي الوليد بن صاعد في الخمسين والأربعمائة ، وحمله أهل طليطلة في أحكامه وحسن سيرته ، ثم صرف عنها في سنة ستين وصار إلى طرطوشة واستقضى بها ثم صرف واستقضى بدانية وتوفي فيها سنة ٤٧٣ (الصلة : ٣٢٥) .

٣ الطميم : الثقيل (massif) في معجم دوزي ، ولعل المراد هنا أن يكون نوعاً من القماش الثقيل .

ووصفاء الموائد الخافون من حولهم يطردون الأذبة عن مجلسهم بطوال المذاب البديعة الصنعة ، المقمّعة الأطراف بفاخر الحلية . ولما مضى لهم صدر من أكلهم ، نجم لهم الأمير المأمون قائماً فوق رؤوسهم . متهمّاً بشأنهم ، مُبالغاً في تكريمهم ، قد حَفَّ به أذواء الوزارة وأهل الخدمة وأكابرُ الفتيان وأعظمُ القوادر قائمين بقيامه . ولما قضى وطراً من القيام بمكارمتهم صدر راجعاً إلى مرتبته .

ولما فرغت تلك الطائفة جيء بهم إلى المجلس المرسوم لوضوئهم ، وقد فرش أيضاً بوطاء الوشي المرقوم بالذهب ، وعلقت فيه ستورٌ مثقلةٌ مماثلةٌ ، فأخذوا مجالسهم منه ، وناولهم الوصفاء الطائفون بهم رفيع النقاويات^١ والذرائر^٢ المطيبات في الأقداح والأشناندانات^٣ الفضيّات المحكمة الصناعات ، كادت تُغنيهم بطبيها عن الغسل . ثم أدنى إليهم لإثّر ذلك الوضوء في أباريق الفضة المحكمة الصنعة ، يتصبّون على أيديهم في طُسوس الفضة المماثلة لأباريقها في الحسن والجلالة ، فاستوعبوا الوضوء وأدّيت من أيديهم مناديلٌ يتضاءل لها ما عليهم من سنيّ الكُسوة . ثم نقلوا إلى مجالس التطيب أفخم تلك المجالس ، وهو المجلس المُطل على النهر العالي البناء ، السامي السناء ، فشرع في تطيبهم في مجامر الفضة البديعة بفلق العود الهندي ، المشوبة بقطع العنبر الفُستقي ، بعد أن نُدّيت أعراض

١ إعجام هذه اللفظة مضطرب في ص ؛ والسياق يدل على أنواع من الأدوات التي تتخذ لفصل الأيدي كالصابون وغيره . وعند دوزي أن « نقاي » تعني منشفة ولكن يبدو أنها ليست من استعمال الاندلسيين .

٢ ص : والأشنان ، وهو مادة مطيبة لفصل الأيدي بعد الطعام ، ولكن المقصود هنا هو الأوعية التي تحتوي الأشنان وهي الأشناندانات .

فياهم بشآبيب ماء الورد الجهوري ، يُصَبُّ فوق رؤوسهم من أواني الزجاج
المجلود^١ ، وفيآشات^٢ البلّور المحفور ، ثم أدنى إليهم قوارير المها^٣
المحكّمة الصنعة ، الرائقة الهيئة ، قد أترعت بالغوالي الذكيّة ، النامّة
بسرّها قبل الخبرة ، المتخذة من خالص المسك التبتّي ، ومحض العنبر
المغربّي ، لاعم بينها رشح البانِ البرمكي^٤ ، فتناولوا من ذلك حتى لأقطرت
سبايلهم ذوباناً ، وأعادت شيبهم شبّاناً . فلما استتم هؤلاء الخلّة نعيم
يومهم ، من طعمهم وطيبهم ، أقيموا للدخول على المأمون ، فسلموا
عليه ، ودعّوا له . فأقبل عليهم أحسن قبول ، وردّ أجمل ردّ ، وأمر
بإدخالهم إلى سيّد مجالسه المسمّى المُكرّم ، نتيج همّته ، وبديع حكّمته ،
السائر خبره ، الطائر ذكره ، المعلوم نظره^٥ ، ليُمتعوا أبصارهم بالنزّهة ،
ولم يكن أكثرهم رآه إلى يومهم ذلك مع علوق^٦ وصفه بخواطرهم ، فلما
رآوه صغّر عندهم ما كانوا يستكبرونه من وصفه ، ورَجَعوا أبصارهم
فيه ، ونبه بعضهم بعضاً على دقائق معانيه .

قال ابنُ حيان ، قال ابن جابر : وكنتُ ممن أذهلته فتنّة ذلك

١ من معاني « المجلود » : المقطوع (فلعله يعني زجاجاً مخروطاً على أشكال) أو زجاجاً ملوناً
لأن فيه جدداً (طرائق) من الألوان .

٢ الفياشات (في الأندلس والمغرب) : جمع فياشة وهي القنينة *bouteille, flacon* ، قاله دوزي .

٣ المها : البلور .

٤ عند دوزي : البخور البرمكي ، ولكنه لم يملل هذه التسمية ، وعند ابن الحشاء (١٧)
بان : شجر معروف بالشرق ويحلب ثمره ودهنه . ولعل وصفه بأنه برمكي مبالغة في
تقدير جودته .

٥ ص : ذكره ؛ والنظر والتظير بمعنى .

٦ ص : علو .

المجلس ، وأغرب ما قيّدَ لَحْظِي من بهيَّ زُخْرَفِهِ الذي كادَ يَحْبِس عيني عن التّرقى عنه إلى ما فوقه لِإزاره الرائع الدائر بأَسَته حيثُ دار ، وهو مُتَّخِذٌ من رفيعِ المَرَمَرِ الأبيضِ المسنون ، الزَّارِيَةِ صفحاته بالعاجِ في صِدْقِ الملاسةِ ونَصَاعَةِ التَّلَوِينِ ، قد خُرِّمَتْ في جُثَمَانِهِ صُورٌ لبهائمٍ وأطيّارٍ وأشجارٍ ذاتِ ثمارٍ ، وقد تعلّق كثيرٌ من تلك^١ التماثيلِ المصوّرةِ بما يليها من أفنانٍ أشجارٍ وأشكالِ الثمرِ ما بين جانٍ وعابثٍ ، وعَلِقَ بعضها بعضاً بين مَلَاعِبٍ ومُثَاقِفٍ ، تَرنو إلى مَنْ تأملَها بِالْحَاطِ عَاطِفٍ ، كأنها مُقْبِلَةٌ عليه ، أو مُشِيرَةٌ إليه : وكلُّ صورةٍ منها مُنفردةٌ عن صاحبتها ، مُتَمَيِّزةٌ [من] شِكْلِهَا ، تَكَادُ تُقَيِّدُ البَصَرَ عن التعالّمي إلى ما فوقها . قد فَصَّلَ هذا الإزارَ عَمَّا فوقه كِتَابٌ نَقَشَ عَرِيضُ التَّقْدِيرِ ، مُخَرَّمٌ مَحْفُورٌ ، دائِرٌ بالمجلسِ الجَلِيلِ من داخله ، قد خَطَّه المُنْقَارُ أَيْنَ مِنْ خَطِّ التَّزْوِيرِ ، قائِمٌ الحُرُوفِ بَدِيعُ الشِّكْلِ ، مُسْتَبِينٌ عَلَى البُعْدِ ، مَرْقُومٌ كُلُّهُ بِأَشْعَارِ حِسَانٍ ، قد تُخَيِّرَتْ في أَمَادِيحٍ مُخْتَرَعَةٍ المَأْمُونِ . وفوقَ هذا الكِتَابِ الفَاصِلِ في هذا المجلسِ بُحُورٌ مُنْتَظِمَةٌ من الزَّجَاجِ المَلَوَّنِ المُلبَّسِ بِالذَّهَبِ الإبريزِ ، وقد أُجْرِيتَ فِيهِ أَشْكَالُ حَيَوانٍ وَأَطْيَارٍ ، وَصُورُ أَنْعَامٍ وَأَشْجَارٍ ، يُذْهِلُ^٢ الْأَلْبَابَ [٦٦] وَيُقَيِّدُ الْأَبْصَارَ . وَأَرْضُ هَذِهِ الْبِحَارِ مَدْحُوءَةٌ مِنْ أَوْرَاقِ الذَّهَبِ الإبريزِ ، مُصَوَّرَةٌ بِأَمْثَالِ تِلْكَ التَّصَاوِيرِ مِنَ الْحَيَوانِ وَالْأَشْجَارِ بِأَتَقْنِ تَصْوِيرٍ وَأَبْدَعَ تَقْدِيرِ .

قال : ولهذه الدار بُحَيْرَتَانِ ، قد نُصِّتْ عَلَى أَرْكَانَيْهِمَا^٣ صُورُ أُسُودٍ

١ ص : ذلك .

٢ ص : يذل .

٣ ص : أركانها .

مَصْوَغَةٌ من الذهب الإبريز أحكم صياغة . تتخيّل انأملها كالحلّة الوجوه
 فاعرة الشدوق ، ينساب من أفواهها نحو البحيرتين الماء هَوْنًا كَرَشِيشِ
 القطر أو سُحَالَةِ اللَّجَيْن . وقد وُضِعَ في قعر كلِّ بحيرةٍ منهما حوضٌ
 رُخَامٍ يُسَمَّى المَذْبَح ، مَحْفُورٌ من رفيع المرمر ، كبيرُ الجِرم ، غريبُ
 الشكل ، بديعُ النقش ؛ قد أبرزت في جنباتِه صُورَ حيوانٍ وأطيّارٍ وأشجارٍ ،
 وينحصر ماؤهما^١ في شَجَرَتِي فِضَّةٍ عاليتي الأصلين ، غريبتي الشكل ،
 مُحَكَمَتِي الصَّنْعَةِ ، قد غُرِزَت كلُّ شجرةٍ منها وسطَ كلِّ مَذْبَحٍ بأدقِّ
 صِنَاعَةٍ ، يترقى فيهما الماء من المذبحين فيتنصب من أعالي أفنانيهما انصبابٌ
 رذاذٍ المطرٍ أو رَشَاشٍ التندية . فتحدث لمخرجه نغماتٌ تُصْبي النفوس ،
 ويرتفعُ بذروتهما عمودُ ماءٍ ضخم مُنضَغَط الاندفاع ، ينساب
 من أفواهها ويُبَلِّلُ أشخاصَ أطيّارها^٢ وثمارها ، باللسنة كالمبارد الصقيّة ،
 يُقَيِّدُ حُسْنَهَا الأُلْحَاطَ الثاقبة ، ويدع الأذهان الحادّةَ كَلِيلَةً .

قال ابنُ حَيَّان : إلى هذا المكان انتهى تلخيصي ووصفي ، وهو
 جَلَلٌ عند قيرانِه بموصُوفاتِه ، ووَشَلٌ عند إضافتِه إلى مغموضاتِه^٣ .
 وأبرأ من عَهْدَةِ التَّقْصِيرِ فيه ، وأنهيجه لمن تعاطى الاقتدارَ على الإبداعِ
 في وصفه .

قال : وتوالى إطعامُ أفواجِ الناسِ في ذلك الإعذار ، مجلساً بعد آخر ،

١ يعني ماء حوضي المذبحين ، وفي ص : منها .

٢ ص : أشخاصها طيارها .

٣ كذا في ص ، ولعل مغموضاته هنا تعني أسرارَه فيكون كلامه وشلا بالنسبة إلى أسرار ذلك
 الصرح العظيم .

أياماً متوالية . حتى استدعِيَ له من بقايا أصنافِ الناسِ وأدوْنهم حتى الجفلى ، وأزعجوا إلى النعيمِ الذي لا عهدَ لهم به ، دخلوا على التتطليق ، وحفِظُوا من ضنكِ المضيق ، وأوسِعتْ مآكلُهم مِن غليظِ ورقيق ، فالتهموا وازدروما^١ ، ونهلوا وعكثوا ، ووضثوا وطبَّبوا .

مجلسُ الأَنسِ

قال ابن حيان : وذهب المأمونُ إلى تَتَمِيمِ تكريمِ زُوَّارِهِ من رجالِ الأُمراءِ الذين استحضَرَهُم يومئذٍ لشهودِ فرَحَتِهِ ، بمشاهدةِ مجلسِ خَلْقَتِهِ ، وتَتَمِيمِ أَسْمَاعِهِم بِلَذَّاتِ أَغَانِيهِ ، وقد علم أنَ فيهِم مَن يُرَخِّصُ في التَّيَبِذِ ولا يَسُوعُ له نعيمٌ دُونَهُ ، فاحتمَلَ حَرَجَ ذَلِكَ مُبَالِغَةً في تَأْنِيْسِهِم ، فاحتفلَ لهم في مجلسٍ قد نُضِدَّ ، وأحضِرَ فيه جميعُ آلاتِ الأَنسِ . فلمَّا استَوَى بالقومِ مجلسُهُم ، وأشرأَبُوا إلى الأخذِ في شَأْنِيهِم ، قَرَّبَ إِلَيْهِم أَطْعَمَةً طَيُورِيَّةً^٢ جَوَامِدَ وَبَارِدَةً ، وصنُوفاً من المَصُوصِ^٣ والأَشْرِبَةِ والطَّاهِجِ^٤ ، مَوَائِدَ مَرَعَةً اتَّخَذُوهَا بُسْطاً لِنَبِيذِهِم . ثم انثَنُوا إلى الشَّرَابِ ونُقُوسُهُم به صَبَّةً ، وقد مُدَّتْ سِتَارَةُ الْغِنَاءِ لِأَهْلِ الْحِجَابِ ، ونُظِّمَتْ نَوْبَةُ الْمُغَنِّينَ زُمَرًا ، فهاجوا الأَطْرَابَ ، واستخَفَّوا الأَلْبَابَ ، ونقلوا الطَّبَاعَ فَعَجَّاءُوا بِأَمْرِ عَجَابٍ ، بَدَّاهُمْ فِيهِ سَابِقُ حَلَبَتِيهِم ، المُحَسَّدُ مِن

١ ازدروما : ابتلعوا ، وفي اللسان الازددام : الابتلاع (إلا أنه جاء في مادة : زردم) .

٢ ص : طنورية ، واستبعد أن تكون لغة في « تنورية » إلا أن يكون ذلك وهماً من الناسخ .

ثم إن الأطعمة التنورية لا تكون جوامد أو باردة ، ولعلها أن تقرأ « طيفورية » أي موضوعة في أطباق غير مسطحة .

٣ المصوص : طعام قيل إنه لحم ينقع في الخل ويطبخ .

٤ الطباهج : أنواع من الطعام أساسها اللحم المقلو (انظر كتاب الطبخ : ١٢٢) .

جماعتهم ، الإسرائيليّ ذِيّ ، الزائدُ إحسانه على إبراهيم الموصليّ ،
 صديقُ إبليس ، الظريفُ في ١ فِئنته ، وتخاليله بالماخوريّ المكنون ٢ ، الذي
 اغتلى في باطله نسيجَ وحده ، يزدهي العيدانَ جسّه ، ويُخرسُ الأطيّارَ
 شجّوه . قاتله اللهُ مِنْ آخذٍ بالقلوب ! فطربوا وطربَ المأمونُ ليلتئذٍ
 على وفورِ حلّهم . وكان الذي غنّاه فيها ذِيّ صوتاً شجياً ، لحنه من خفيف
 الرّمْل ، مُطلقاً بالحنّصر ، في مقطوعةٍ نظّمها عبدُ الله بنُ الخليفة
 الملقّبُ بالمصري ، وهي :

باكِزُ لبكرِ الدنانِ إنْ هِدّامَ العروسِ في السّحرِ
 واشربْ عُقاراً ٣ تخالُ حُمرتها تحرقُ أيدي السّقاءِ بالشرِ
 فإنّ يحيى أحيّا بدولته ما قد محاهُ تَصرّفُ القَدَرِ
 ملكُ هو الدهرُ في عزيمته يطلُعُ فينا بطلعةِ القمرِ

فطمح بابتِ ذي النّونِ الإطراب ، حتى حنّ حنينَ الثّاب ، وخلعَ
 لوقتِه عليه ثوباً من التّستري الأخضر مُطرزاً بالذهب ، ووصله بمائتي
 دينار ذهباً ، ثم فُضّ الصّلاتِ والخيلِ في سائر الطبقات .

هذا آخرُ خطابِ ابنِ جابرٍ إليّ بوصفِ ذلك الإعذار ، وجُمّله التي
 بسطتها من إدماجه ، وسبكتها من بقّده . خلا أنه سامّي ذِكْرَ مقطوعاتٍ

١ ص : من .

٢ ص : ومحابه بالماخور في المكنون ؛ والماخوري لون من النغم ، وتعد الأنغام الماخوريات
 من خفائف الثقيل الثاني .

٣ ص : صارا .

حشا بها كتابه إلى^١ ، من صنعة صديقه عبد الله بن خليفة المصري^٢ ،
تعاور المغنون في تلك الليلة الغناء بها ، وجميعها عندي في نهاية من الضعف [٦٧]
والتخلف والتبرؤ من صنعة الشعر . ينبغي بها توشيح هذا المشهد
الجليل الذي قيلت فيه^٣ ، ينظمها في عقده ، فلم أسعده على ذلك ترفيعاً
به عن هجنتها ، وتبرئة لنفدي على استجادة سببها ، ومقدمة للزمن
غفيل أقحم قائلها في زمرة الشعراء ، وجسده على إنشاد جيلة الأمراء .
وطالما عتاني هذا الرجل بذكر ابن خليفة هذا وإنماته إلى النسبة المصرية ،
وعزوه له إلى المعارف الحكيمة ، وأنا أحسبه مصري التربة ، متطرح
الغربة ، مستطيراً على بُعد النجعة ، مرهف الحد ، محتكك التجربة ،
أرتاح لذكره وأود لتقياه والأخذ عنه . فأبرزه الفحص لي قُرطبي التربة ،
محالي الحومة ، سوقي الحيرفة ؛ ابن جاري لي مین تجار الخفافين يُسمى
خليفة ، عجمي نَبَز الأب بـ « المورثه » مفعوء الميته^٤ منذ سنوات قليلة .
لم أعهد ابنه هذا يرسم بأدب ، ولا يسعى لطلب ، إلى أن رمت به السوى
قريباً إلى بلاد العُدوة ؛ لا بتغاء المعيشة ، فأطال بها الشتاء ، ولقي الفُهاء ، وتَقَبَّل
الجُسر ، فكَرَّ إلينا على زعمه مصرياً صليبةً ، وأديباً باقراً^٥ ، وشاعراً
باقعةً ، وحكيماً نطيساً ، وظريفاً مُمتعاً . كلُّ ذلك من غير طولِ رياضة ،
ولا تقدمة معرفة . وما إن يُستنكر لقاسم الفضائل بين خلائقه أن يجمع
منها لواحد ما فَرَّق في جماعة ، له القدرة البالغة والحكمة القاهرة .

١ سترجم له ابن بسام في ما يلي (الورقة : ١٢٠) .

٢ ص : قولت به .

٣ ص : مفعوء المته : والمعنى أن ميته أدركته فجأة (منذ سنوات قليلة) .

٤ سيذكر ابن بسام في ترجمته أنه رحل إلى مصر ثم عاد إلى الأندلس « وقد نشأ خلقاً جديداً » .

٥ ص : بقرة .

وفي فصل له في ذكر الشعراء

قال ابن حيّان : وصار من مَنَّاكيد ذلك الصَّنِيع المُلْحِقَةِ به عَيْبَ التَّقْصِيرِ عُدْمُ لَهُ لِحُذَاقٍ مِنَ الشُّعْرَاءِ يُجِيدُونَ الْقَوْلَ فِيهِ ، وَيُحَسِّنُونَ وَصْفَهُ ، فَيُوفِقُونَ الْمُبْدِعَ لَهُ حَقَّهُ . إِذْ أَلَوَى بَبَقَايَاهُمْ الزَّمَنُ الْعَصِيفُ الْمُطَاوِلُ لِلْفِتْنَةِ ، وَجَاءَ بِأَشْبَاهِ لَهُ مِنْ شُعْرَاءَ مُتَكَلِّفِينَ مِثْلَ الْخَازِبِازِ الْمَضْرُوبِ مُثْلَةً^١ ، يُهَيِّنُونَ بِمَا لَا وَدَقَ لَهُ مِنْ سَمَائِهِمْ^٢ ، وَيُفْرِغُونَ فِي قَوَالِبِ تَضْيِيقٍ عَنْ إِفْرَاغِهِمْ ، وَيَجْهَدُونَ فِي حَشْوِ قَوَافِيهِمْ دُونَ إِرْهَافٍ لِلْفِظِّ وَلَا اسْتِنْبَاطٍ لِمَعْنَى^٣ ، فَلَا يَسْرُونَ نَاقِدًا ، وَلَا يَهْزُونَ مُمْتَرِي^٤ ، وَلَا يُنْشِطُونَ رَاوِيًا . وَأَشَقُّ مَا عَلَى الْخَائِزِ لَهُمْ غِلْظُهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ ، وَاسْتِقْصَارُهُمْ لِمَنْ امْتَدَّحُوهُ فِي إِخْلَالِهِ وَقَعُودِهِ بِهِمْ ، وَهِيَ لَوْ عَقَلُوا أَقْعَدُ وَأَضْيِيقُ وَأَقْصَرُ وَأَعْكَسُ . فَيَأْوِيْنَهُمْ مَاذَا عَلَيْهِمْ فِي الْإِنْصَافِ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَالْاعْتِرَافِ بِتَقْصِيرِهِمْ ، أَلَيْسَ ذَلِكَ كَانَ أَوَّلَى بِهِمْ ؟ فَمَا أَحْسَنَ قَوْلَ « لَا أَدْرِي » بِمَنْ يَتَدْرِي فَضْلًا بِمَنْ هُوَ بِضِدِّهَا تَصَابُ مَقَاتِلُهُ . فَلَوْ قَلَدُوا الزَّمَنَ دَوَّوْلَهُمْ ، وَوَلَتُوهُ نَقْصَهُمْ ، وَاعْتَرَفُوا لِبِلَاوَاهُ ، لَكَانَ أَعْذَرَهُمْ . فَجَلَسَ لَهُمُ الْمَأْمُونُ مُتَخِذٌ تِلْكَ الْمَدْعَاةَ الْفَخْمَةَ فِي مَرْتَبَتِهِ بِرِطِيلِ^٥ الْمَجْلِسِ الْمَوْصُوفِ فِي أَبْتَهَةِ

١ يشير إلى قول المتنبي :

ومن الناس من يجوز عليه شعراء كأنها الخازباز

والخازباز : حكاية صوت الذباب .

٢ ص : ورق . . أسمائهم .

٣ ص : ممترياً ، وقد تقرأ « ممتدحاً » .

٤ المشهور في الاستعمال « برطل = Portal » .

فخمة ورثبة^١ كاملة مع كبار أهل مملكته من أذواء الوزارات المثنية^٢ والمفردة ، ومن أصحاب الخطط العليات ، وأذن لتلك الحلبة من شعراء [الحضرة]^٣ من طارى وقاطن ، وهم نفر غير منوّه بهم ولا بأسمائهم ، ولا تجانس^٤ برواتهم ، فدخلوا إليه على هيتهم يتقدمهم شيخهم المقدم من جماعتهم ذلك اليوم ، محمد بن شرف القيرواني القريب عهدّه بالهجرة ، بعد خبطه سمرات ملوك الأندلس بمحجته ، واعتصارهم بقصعته ، فأذن لهم بالأنشاد بحسب تطبيقهم ، فتقدمهم ابن شرف فأنشد قصيدة أولها : « يريني الهوى أن الهوى ليتن سهل » ، ما إن هي لاحقة بعيون شعره ، أطل فيها التشبيب فخلص إلى التهته ، وقد استفرغ القريحة وطول فما أتى بطائل . ثم تقدم بعده البائس عبد الله بن خليفة الأندلسي المتصّر بزعمه ، فباؤسى لسابق صلتى بعده ! فأنشد قصيدة ملفقة ، ذات طنين وقعقة ، كثر أبياتها ، وقلل أقواتها ، أولها : « أرى أثلاث الجزع بالوصل نورق » تركه المأمون أيضاً يتصرف بها ، ما إن هزت منه عطفاً ، ولا أبدت له بسماء . وقام بعده محمد بن زكي الأشبوني ، فأنشده شعراً أوله : « اليوم أبهج منبر وسرير » ركب فيها سنن من قبله . ولحق ابن ذي النون سامة من كلف يومه ، فأمر بأخذ بطائق جميع من حضرة من الشعراء ، وأسلمها إلى

١ لها وجه مقبول ، ويمكن أن تقرأ « وزينة » .

٢ الأصوب أن يقال : المثناة .

٣ بياض في الأصل ، وما بين معقفين زيادة تقديرية .

٤ اللفظة غير مجبجة في ص .

• ص : همت .

وزيره الأثير يومئذ عبد الرحمن بن مثنى^١ كي يتصفحها بفضل أدبه ،
ويطبق قائلها بحسب معرفته ، فيأمر لهم بما يتجدّه . فبدأ على [٦٨] الشعر
يومئذ انكسار ، ولحق^٢ أحفاه انهار ، وأصم به الناعي منسماً يندب
شجوة^٣ بـابن اليماني ، منادياً ينادي : يا إدريساه ، ولا إدريس^٤ يومئذ
للقوافي ، وكل شيء له حثف موافي .

قال ابن خيان : وأكتب إثر هذا الفصل بعض ما اخترته من قصائد
هؤلاء الشعراء على ما خيلت لثلا يخلو جيد التأليف من مخشأها .

فمن قصيدة ابن شرف في ذكر وطنه وحنينه قوله :

تذكرتها واليم^١ بيثني وبينها موصولة فيح ومهجورة غفل^٢
ومن دونها حرب^٣ عوان وفارض ولود^٤ لها من نفسها أبدأ بعل^٥

ومنها في ذكر قصيدته :

يقرأ مرو القيس بن حجر^١ لفضليها ويظهر عنها العجز علقمة^٢ الفحل^٣
فلو وصلت عمري الليالي لوقته لقات [له] الأشعار ما قالت النمل^٤

١ وردت ترجمة أبي المطرف بن مثنى في القسم الثالث : ٤٠٩ ، يضاف إلى مصادر ترجمته
هناك إعتاب الكتاب : ٢١٥ وفيه أن أبا المطرف كتب أولاً للمصور أبي الحسن عبد العزيز
ابن عبد الرحمن بن أبي عامر صاحب بلنسية ثم انفصل عنه إلى طليطلة فاستوزره المأمون
ابن ذي النون وألقى عليه بأمره كلها .

٢ ص : ولحقت .

٣ قد مرت ترجمة إدريس بن اليماني في القسم الثالث : ٣٣٦ .

٤ وقع البيت قبل سابقه في ص ، ويعني أن علقمة لو أدرك زمانه لقات له الأشعار « يا أيها
النمل ادخلوا مساكنكم » .

قال ابن بسّام : وأثبت ابن حيان في كتابه لتلك الطائفة المنشدة يومئذ عدة قصائد ، ولم يتسلك فيها سبيل ناقد . قال : وأما المتكلف المصري فسُكِّل^١ الحَلَبَة ، فكان أبطأهم جرأً وأناهم عن الغاية ، لما اجتهد في المتح فجاء بقليل ماء ، فوق ظمأه بخمسين بيتاً سدّى ، لفقها قصيدة متخاذلة لم يفتق فيها معنى حسناً ، ولا قافية حرّة ، بل ما زاد على أن صرّف النسيب في سبت من الخلالات مُسمّيات ، فضّل فيهن إمام المُحدّثين أبا تمام بزيادة اثنتين^٢ ، ثم قطع^٣ المديح توسعاً مع ما وجدته هناك من أجبر وجِصّ ، فهدف منها فيما لم يُعنه عليه طبع ، ولا أسعدته صنعة ، فكان الذي أبدى كبر نفخه^٤ من خالص سبكه قوله^٥ :

وقد كان لي [في] مصر دار كرامة ولكن إلى المأمون كنت أشوق^٦
حللت عليه والمكارم جمّة وسحب العطايا برقها يتألق

انتهى ما لخصته من كلام ابن حيان :

١ لم يظهر منها في ض إلا « كل » .

٢ يريد أن ابن خليفة تغزل في قصيدته بست نساء ففاق أبا تمام الذي تغزل بأربع في قوله :

لسلى سلامان وعمرة عامر وهند بني هند وسعدى بني سعد

٣ ص : قطع .

٤ ص : كبير نفحة .

٥ البيتان في المغرب ١ : ١٢٩ .

٦ المغرب : كان التشوق .

جملة من أخبار بني ذي النون وذكر أولية أمرهم

قال ابنُ بسام : وتتلو هذا الفصلَ بنسبته لها بهذا الموضع مَوْقِع ، من أخبار طُلَيْطِلَةَ البائية . وشرَّح الحالَ التي أبادتْ مصانِعها ، وطبِرتْ واقعَها ، وما آلَ إليه أمرُ المملكةِ القابضةِ للأنام ، المبنية على هدمِ دَعائِمِ الإسلام ، المجموعة من افتراقِ الجماعةِ ، المغلوبِ عليها أئمةُ السَّمْعِ والطَّاعة . ونذكرُ طرفاً من حديثِ مَالِ أميرها المترفِ المُسْرِفِ ، الملقبِ - كان - من الألقاب السلطانية بالقادرِ بالله ، جهلاً منه بحقيقته ، وتهاوناً بالله وخلفيته . خُطبةٌ زادَهُ المقدارُ عن مُستقرِّها ، ودعوى دفعِ الليلِ والنهارِ في صدرِها . ونأتي أولاً بفصلِ جودِهِ ابنِ حيتان في ذكرِ جدِّهِ إسماعيلَ المتلقب - كان - بالظَّافِر ، رئيسِ الخلافِ ، ورأسِ الانحرافِ ، وجمهورِ الجورِ والإسرافِ .

قال ابن حيان : وكانت أوليةُ نباهةِ بني ذي النون من جدِّهم ذي النون ، في أيام الأميرِ محمد بن عبدِ الرحمن . وقد اعتلَّ له حصيٌّ في طريقِ قفولِهِ من الثغرِ فتركهُ عنده بحصنِ أَقْلِيشَ يُمرِّضُهُ ، فلما أفاق لحقَ بالحَضْرَةِ مع الحصِيِّ ، فأخذَ له توقيفاً بتقدِيمِهِ على حِصْنِهِ : ثم تدارل تلك الخطةَ ولدهُ إلى أيامِ الحُكْمِ . فلما اضطلَعَ بالدولةِ ابنُ أبي عامر ، تعلَّقَ به المضراسُ بنُ ذي النون وإسماعيلُ ابنُهُ معه ، فلما انقضتِ الدولةُ العامريةُ لحقَ بالثغرِ وجمعَ إليه بني عمته ، وخطبَ من سُلَيْمانَ ولايةَ أَقْلِيشَ فولاهُ إِيَّاه ، ثم هبَّأتْ له قلعةٌ كُنُوكه ، وكانت بيدِ واضحِ العامري ، فاحمًا ماتَ ضبَطَها إسماعيلُ منتظراً بزعمه

مَنْ يَجْتَمِعُ عَلَيْهِ النَّاسُ ، وَتَحْتَ ذَيْلِهِ مِنْ غُلُولٍ وَاضِحٍ كَثِيرٍ ، حِينَ لَمْ يَتْرَكْ إِلَّا أَطْفَالَ وَأُمَّهَمُ حُرَّتَهُ ، أَلْقَتْ بِنَفْسِهَا إِلَيْهِ ، مُعْتَنِقَةً بِأَمَانِهِ ، فَحَصَلَ لِإِسْمَاعِيلَ الْبَلَدُ ، وَسَطًا عَلَى مُجَاوِرِيهِ مِنْ قَبْوَادِ الثَّغُورِ ، فَاسْتَقَامَتْ لَهُ الْأُمُورُ . وَنُتِيَ لَهُ الْوِزَارَةُ سُلَيْمَانُ وَسَمَاهُ نَاصِرَ الدَّوْلَةِ . فَاسْتَقَلَّ ذَلِكَ كَلَهُ ، وَآثَرَ الْفُرْقَةَ ، وَاقْتَطَعَ جَانِبَهُ ، فَكَانَ أَوَّلَ الثَّوَارِ لِلْمَفَارِقَةِ الْجَمَاعَةَ ، وَفَرَطَهُمْ فِي نَقْضِ الطَّاعَةِ . ثُمَّ انْفَقَتْ لَهُ أُمُورٌ اتَّسَعَ بِهَا عَمَلُهُ ، وَكَثُرَتْ جَبَابَتُهُ وَجَمْعُهُ . وَكَانَ مِنَ الْبُخْلِ بِالْمَالِ ، وَالْكَثْفِ بِالْإِمْسَاكِ ، وَالتَّقْتِيرِ فِي الْإِنْفَاقِ ، بِمَنْزِلَةِ لَمْ يَكُنْ عَلَيْهَا أَحَدٌ مِنْ مُلُوكِ عَصْرِهِ . لَمْ يَرْغَبْ فِي صَنِيعَةٍ ، وَلَا سَارَعَ إِلَى حَسَنَةٍ ، وَلَا جَادَ بِمَعْرُوفٍ ، فَمَا أَعْمِلَتْ إِلَيْهِ مَطِيَّةٌ . وَلَا حَمَلَتْ أَحَدًا نَحْوَهُ نَاقَةً ، وَلَا عَرَجَ عَلَيْهِ أَدِيبٌ وَلَا شَاعِرٌ ، وَلَا امْتَدَّحَهُ نَازِمٌ وَلَا نَاقِثٌ ، وَلَا اسْتَخْرَجَ مِنْ يَدِهِ دِرْهَمٌ فِي حَقِّ وَلَا بَاطِلٍ ، وَلَا حَظِيَّ أَحَدٌ مِنْهُ بَطَائِلٌ . وَكَانَ مَعَ ذَلِكَ سَعِيدَ الْجَدِّ ، تَنَقَّادَ إِلَيْهِ دُنْيَاهُ ، وَتَصَحَّبَهُ سَعَادَتُهُ فَيُنَالُ صِعَابَ الْأُمُورِ بِأَهْوَنِ سَعْيِهِ . وَهُوَ كَانَ فَرَطَ الْمُلُوكِ فِي [إِثَارِ] ٦٩ الْفُرْقَةِ ، فَاقْتَدَى بِهِ مَنْ بَعْدَهُ ، وَأَمَّوْا فِي الْخِلَافِ نَهْجَهُ . فَصَارَ جُرْثُومَةُ النِّفَاقِ ، وَأَوَّلَ مَنْ اسْتَنَّا سُنَّةَ الْعِصْيَانِ وَالشَّقَاقِ ، وَمِنْهُ تَفَجَّرَ يَنْبُوعُ الْفِتَنِ وَالْمِحْنِ . فَتَبَارَكَ مَنْ أَمَلَى لَهُ ، وَلَمْ يَرْضَ لَهُ عُقُوبَةُ الدُّنْيَا مَثُوبَةً .

فَقَدْ كَانَ أَصْحَابُهُ حَفِظُوا عَنْهُ كَلِمَاتٍ فِي سَبِيلِ ذِكْرِ السَّلَفِ الصَّالِحِ زِيَادَةً إِلَى مَسَاوِيهِ . وَذَلِكَ أَنَّهُ نُوْظِرَ فِي شَأْنِ التَّأْمِيرِ لِبَنِي أُمَيَّةٍ فَقَالَ : وَاللَّهِ لَوْ نَازَعَنِي سُلْطَانِي هَذَا الصَّدِيقُ لِقَاتَلْتُهُ وَلَمَّا سَلِمْتُ لَهُ ، فَكَيْفَ أَسْلَمْتُ سُلْطَانًا ؟ ١ . مُدْعَى إِلَيْهِ مِنْ بَنِي أُمَيَّةٍ ، مَعْتَمِدًا لَا يُوْجِبُ اللَّهُ طَاعَتَهُمْ ، عِتْرَةً

مروان خبيط باطل^١ ، الذين لم يسبق لهم صحة ، ولا أدخلهم السلف
في شئوري الإمامة ؟

قال ابن حبان : ومن أشهر حكاياته في ذلك ، ما أخبر عنه أبو
أبو العباس السكري الإسكندراني - رجلٌ مُمتنع الحديث طيب المجالسة -
وحضر مجلس ابن حمّود بمالقة ، فسأله إسماعيل بن ذي النون عن
مجلسه معه ، فأثنى عليه ، فقال أثنى على أدياء ؟ فعل الله بهم وصنع ،
فبهت الإسكندراني وقال : معذرة إليك أيّذك الله ، فإني جهلتُ
رأيتك في هذا الرجل مع أني ألزمت نفسي ألاّ أذمّ ذا سلطان البتّة ،
وأنت غير منازع في أمتك المروانية ، وهم أهل ذلك منك ، أقاديم
الملوك ، وذوو العدل والسياسة . [ومضى] الإسكندراني في إطرائهم
ظناً أنه يسره ، إذ كان يقول بدعوتهم في ذلك الوقت . فقطع
عليه ابن ذي النون بأسوأ من قطع عليه على الهاشمين ، وأنحى على ذم
بني أمية فلم يبق ، ووصل كلامه بأن قال : توارثوا هذه الإمارة مخزقة
وضعها قريش لاستعمال^٢ الناس ، والناس لأب وأمّ ، والفخار باطل ،
أحقّهم بالملك من استقل به . والله ما أولي غير نفسي ، ولا أقوم إلاّ
بسُلطاني ، ولو نازعني فلان وفلان - وذكر السلف الصالح الذين كرم^٣

١ في المثل : أدق من خيط باطل ، قيل هو الهباء وقيل هو الذي يخرج من فم المنكبوت ، وسي
مروان خبيط باطل لطوله واضطرابه (اللسان : خيط ، وجمهرة العسكري ١ : ٤٥٤ تحقيق
أبو الفضل والميداني ١ : ١٨٣)

٢ موضعها بياض في ص .

٣ ص : لاستكمال .

٤ ص : كرمهم .

اللهُ ذِكْرَهُمْ - لَتَضْرِبَتْهُمْ دُونَهُ بِسِيفِي مَا اسْتَمْسَكَ بِيَدِي . فقام عنه الإسكندراني مبهوراً وأفشاهُ في غير أرضه . وأخباره في مثل هذا كثيرة .

انتهى كلام ابن حيان .

فقلتُ أنا : وليتَ إسماعيلَ هذا بقيَ ووُقي ، على فظاظَةِ جانبِهِ ، واختلافِ مذاهبِهِ ، وطولِ إعراضِهِ عن عَوَاقِبِهِ ، فلقد كانتُ عليه وقتُهُ قَلِيلُ رِقَبَةٍ ، وعِندَهُ بعضُ أَهْبَةٍ ، لقُرْبِ عَهْدِهِ بِأَيَّامِ الجُمَاعَةِ ، واستشعارِهِ عَوْدَةَ السَّمْعِ والطَّاعَةِ ، ولوفورِ مَنْ كانَ قِبَلَهُ يومئذٍ من مَشِخَةِ ذَوِي الهِثَّاتِ ، وزُعماءِ سائرِ الطَّبَقَاتِ . ولقد أساءَ مَنْ جاءَ بعْدَهُ ، ذَهاباً في الكِبَرِ ، ومَهاوناً بالأمرِ ، وقعوداً عن النَّصْرِ ، واستِظهاراً بِأَحْزَابِ الكُفْرِ ، سَلَمَهُ بِاطِلٍ وبِطَالَةٍ ، وحَرْبِهِ غَوَايَةَ وجَهَالَةَ ، في المَشْرُكِينَ نُجُومَهُ وِدْيَمَهُ ، وَلَهُمْ مَوَائِقُهُ وذِمَمُهُ ، وفي المُسْلِمِينَ هُمُومُهُ وهِمَمُهُ ، وعندهم بِتَوَائِقِهِ ونِقَمُهُ .

بلغني أَنَّهُ لَمَّا مَاتَ الظَّافِرُ إسماعيلُ ، كانَ حَمَلَةُ دَوْلَتِهِ ورؤوسُ جَمَلَتِهِ ، الحاجُّ ابنُ مَحْقُورٍ وابنُ لَبْنُونٍ وابنُ سَعِيدِ بنِ الفَرَجِ . وكانَ أَكَدَ ما عَهِدَهُ إِلَى ابْنِهِ بِحَيِّ المُتَلَقِّبِ بعْدَهُ بِالْمَأْمُونِ الاقْتِدَاءُ بِهَدْيِهِمْ ، والانتِهَاءُ إِلَى رَأْيِهِمْ . قالَ بَعْضُهُمْ : فَدَخَلْنَا عَلَيْهِ لِأَيَّامِ يَسِيرَةِ مَنِ مَهْلِكِ أَبِيهِ ، وَهُوَ [فِي] إِيوَانٍ كَبِيرٍ قَدْ مَلَأَهُ بِنُقُورِ الفِضَّةِ حَتَّى لَا فَضْلَ فِيهِ عَنِ مَجْلِسِهِ ، فَأَمَرَنَا بِالذُّنُورِ ، فَبَعْدَ لَأَيِّ ما خَلَصْنَا إِلَيْهِ ، لَكثرةِ ما كَانَ مِنْ ذَلِكَ بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَقَدْ امْتَلَأَتْ صُدُورُنَا عَجَباً ، وَتَقَيَّدَتْ أَلْخَاظُنَا فَمَا تَجِدُ مُتَقَلِّباً ، لِهَذَا الاتِّفَاقِ كَيْفَ وَقَعَ ، وَلِهَذَا السَّحَنَتِ مِنْ أَيْنِ

جُمِيع . فأخذَ يُفْقِلَ رأى أبيه في اختراجه ، ويُعرَض بِجمود^١ كان في بَنَانِه ، ونَحْنُ نقولُ : لعلّه قد أنِفَ لُضْبَاعِ ثُغُورِه ، وتَشَعَّثَ أُمُورِه ، وانتشارِ الشَّرِكِ بِإِزائِه وظُهُورِه . وكأنّه فَهَمَ ما نُحِيرُ ، وعَلِمَ إلى ابن نُشِير ، فأظلمَ ما بيننا وبينه ، وازورَّ ازورارةً أنكرنا بها أثره وعَيْنَه ، [وقال :] مِنْ حَقِّ مِثْلِ هَذَا أَنْ يُصْرَفَ فِي مِثْلِ ضُرُوبِ الْحَلِيَةِ الرَّائِقَةِ ، وَأَنْوَاعِ الْآثِيَةِ الْمُوَافِقَةِ^٢ . وأي معنى في كونها نُقِرَ ؟ ما أعجَبَ هذا وما أنكر ! هذه بالحجارة أشبهُ منها بآلاتِ الإمارة . فقال له ابنُ محقور ، وكان أشدَّهم جرأةً ، وأثقلهم وطأةً ، لعزّة رُكْنِه ، وإدلاله بِفَضْلِ سِنَتِه : إنَّ هذه - أَيْتُكَ اللهُ - إذا كانتْ تُقْرَأُ بَقِيَتْ ذَخِيرَةُ زَمَانٍ ، وَعَدَّةٌ لِحَدَثٍ إِنْ كَانَ ، وَلَا تُحَوَّلُ آلَاتُ إِلَّا بَعْدَ نَفَقَةٍ ، وَتَحِيْفٍ مِنْ كُلِّ طَبَقَةٍ ، ثُمَّ لَا تَزَالُ تُصَبَّ عَيْنٌ مِنْ يَبْرَدُ مِنْ رَسُولٍ ، وَيَنْتَابُ مِنْ ابْنِ سَبِيلٍ ، وَيَنْمِي خَبْرُهَا إِلَى الطَّاعِيَةِ فَرْدَلَنْدٍ فَتَدْعُو السِّيَاسَةَ إِلَى أَنْ يَخْصَّ مِنْهَا بِقِسْمٍ ، وَيُضْرَبَ لَهُ فِي أَنْفَسِهَا بِسَهْمٍ . فزوى عنهم وجهه ، ولم يَأْمَنُوا نَجْمَتَه ، وثقلوا بعدُ عليه ، ويَتَسَوَّأُ مِنْ شَيْءٍ مِنَ الْفَلَاحِ يَجْرِي عَلَى يَدَيْهِ . وَخَالَفَهُمْ إِلَى مَا أَرَادَ ، فَأَبْلَى فِيهِ وَأَعَادَ ، وَآلَتْ حَالُهُ إِلَى مَا قَالَ الشَّيْخُ : مَا لَقَصَّ وَلَا زَادَ [٧٠] .

١ ص : بِجمود .

٢ ص : الرَّائِقَةِ .

ذكر الخبر عن بعض ما تنهى إليه المأمون من تشييد البنيان بقصور طليطلة

قال ابن بسام : ثم أخذ المأمون في بناء مجلسه الكبير المكرم بناءً باءً بإيمه ، وخلا سريعاً من اسمه ، لم يُخلّده في عقب ، ولا قضى من لذته به كبير أرب . وكان الذي تولى له رصف بدائعه ، وإحكام مصانعه ، رجلٌ من مَهْرَةِ الفَعْلَةِ ، أكثرُ خلقِ الله صلفاً ، وأشدُّهم تنابُعاً وسرفاً . وكان المأمونُ لعلمِ نظيره ، يحتملُ من اعتدائه وتغريبه ، وتهاوئه بجميعِ أموره ، ما لا مزيدَ عليه ، ولا انتهاءَ لأحدٍ إليه . واتفق له مع ذلك الصانع أن وعدَهُ بتمامِ مجلسه المشيد قبل إطلالِ العبد ، فرشح ابن ذي النون للجلوسِ في صدره ، والاستظهارِ على زينةِ عيده بالفراغِ من أمره . وتقدّمَ إلى من كان بحضرته من الشعراء ، على قِلَتِهِم ببابه ، ونيفارِهِم عن جنبه ، لقلّةِ نائله ، وتفاهةِ طائله ، في وصفِ مجلسه ذلك وتقريضِ مبانيه ، والثناءِ على مُخترعه وبانيه . ثم إن ذلك الصانع استمرَّ على ديدنه من الخلاف ، وعَمِلَ على شاكلته من التهاونِ والإخلاف . واتفقَ أثناءَ ذلك أن ضَرَبَتْ خَيْلُ الطاغيةِ فردُلسَ على بلادِ المظفرِ بنِ الأفتُس ؛ وطِئَتْها وطأةٌ مَجَتْ رسومُها ، واستباحَتْ حريمُها ، واجتاحَتْ حَدِيثَها وقَدِيمَها ، وأنستْ ما كان قَبْلَها من جَبِّ الذُرُوءِ ، وانصداعِ المروءِ ، وأياسَتْ من البقاء ، وآذنتْ

بشمولِ البلاءِ . فأخبرتُ عن وزيره أبي المطرف بن مُشَنَّى أَنَّهُ كَانَ يَوْمَئِذٍ
بِمِثْرَةٍ بَيْنَ الْوُجُومِ وَالْإِطْرَاقِ ، وَعَلَى نَهَائِهِ الْحَذَرِ وَالْإِشْفَاقِ ، إِذْ وَرَدَتْ
رُسُلُ الْمَأْمُونِ عَنْهُ تَنْتَرَى ، وَهَجَمَتْ عَلَيْهِ زُمْرَةٌ بَعْدَ أُخْرَى . فَدَخَلَ
عَلَيْهِ فَوَجَدَهُ قَدْ اسْتَشَاطَ حَنْقًا ، حَتَّى كَادَ يَتَمَيَّزُ شِقَاقًا . فَظَنَّ أَنَّ
ذَلِكَ الضَّجَرُ ، لَمَّا كَانَ وَرَدَ بِهِ الْخَبْرُ مِنْ ضَرْبِ الْخَيْلِ عَلَى بَلَدِ الْمُظْفَرِ ،
وِإِخْفَارِ الذَّمِّ ، وَزَلَّةِ الْقَدَمِ ، وَانْهَتَاكِ الْحَرَمِ . فَطَطَّقَ ابْنُ مُشَنَّى يَبَسُّطَهُ
وَيَتَقَبِضُهُ ، تَارَةً يُسَلِّطُهُ وَتَارَةً يَحْرُضُهُ ، وَطَوْرًا يَقُولُ لَهُ : فِيكَ الْخُلْفُ
مِمَّا فَاتَ ، وَمَرَّةً يَقُولُ : قَدْ آتَى لَكَ أَنْ تُنْكِرَ عَلَى الطَّاعِيَةِ هَذَا الْاِفْتِيَاءُ .
فَلَمَّا فَهِمَ مَنَحَى ابْنَ مُشَنَّى مِنْهُ ، أَعْرَضَ^١ عَنْهُ ، وَقَالَ لَهُ : أَلَا تَرَى
هَذَا الضَّالْعَ^٢ الْفَاعِلِيَّ الصَّانِعَ - يَعْنِي عَرِيفَ بُنْيَانِهِ - صَبَرْتُ لَهُ وَأَغْضَيْتُ ،
وَفَعَلْتُ بِهِ كَيْتَ وَكَيْتَ ، فَمَا زَادَ إِلَّا تَنْغِيصًا لِلذَّاتِي ، وَاسْتِخْفَافًا لِأَمْرِي ،
وَتَصْغِيرًا لَشَانِي ، وَاجْتِرَاءً عَلَى سُلْطَانِي . وَهَبْتُ رِيحَهُ الْعَقِيمَ ، تَقَعَّدُ
فِي غَيْرِ شَيْءٍ وَتُقِيمُ ، فَسَقَطَ فِي يَدِ ابْنِ مُشَنَّى وَانْكَسَرَ انْكَسَارَةً تَبَيَّنَتْهَا
ابْنُ ذِي النُّونِ فِيهِ . وَلَمْ يَجِدْ بَدَأَ مِنْ أَنْ قَالَ لَهُ : هَوَّنْ عَلَيْكَ ، وَالْكَلُّ
طَوَّعُ يَدَيْكَ ، وَنَاهِيكَ ، وَأَنَا أَكْفِيكَ ؛ وَخَرَجَ وَمَثَلَ بَيْنَ يَدَيْ ذَلِكَ
الصَّانِعِ يَعِيدُهُ وَيَمْنِيهِ ، وَيُدَاوِرُهُ^٣ وَيُدَارِيهِ ، وَالصَّانِعُ مُقْبِلٌ عَلَى شَأْنِهِ ،
مَا أَمْرُهُ بِالْخُلُوسِ ، وَلَا زَادُهُ عَلَى التَّجْهَمِ^٤ وَالْعَبُوسِ . فَتَبَعْدَ لَا يَ
مَا ضَرَبَ لَهُ مَثَلُ الْعَامَّةِ وَهُوَ قَوْلُهُمْ : مَا أَفْرَسَ الْجَالِيسُ . ثُمَّ قَالَ :

١ ص : وَأَعْرَضَ .

٢ الضالْع : الجائر ؛ ص : الصانع .

٣ ص : وَبَدَاوِيهِ .

٤ ص : التَّهْجَمُ .

وبالحريّ والله أن يتمّ إلى عيدٍ آخر ، فليتجهّدْ جتهده ، ولثباتٍ بكلّ ما عنده . فرجع ابنُ مثنّى إلى ابنِ ذي النون وهوّن عليه الشأن ، وخفّفَ لديه ما كان . وخرج لا يدري من أيّ الثلاثة يتعجب : أمن اغترارِ [ابن] ذي النون وجهله ، أم إفضاءِ الضرورةِ بنفسه إلى خدمةٍ مثليه ، أم من جرأةِ ذلك الصانعِ القصيرِ البدن ، التزيرِ العدّد ، على ذلّ [ابن] ذي النون وذُلّه .

قال ابنُ بسّام : فتبارك من أحاط بالأشياء ، ولم يتخفّ^١ عايه شيء في الأرض ولا في السماء ، ومن جعلَ اليومَ ذلك القصرَ العجيبَ بنيانه^٢ ، الهادِمَ - كان - للدين والدنيا شأنه^٣ ، مربطاً للأفراس ، وملاعباً للأعلاجِ الأرجاسِ ، من رجالِ الطناغيةِ أذفونش بن فرذلند ، بدد الله شيعته .

ذكر الخبر عن مآل حفيده الملقب بالقادر

مع (ما) يتشبث به من خبر نادر

قد ذكرتُ في القسمِ الثاني^٤ من هذا المجموعِ مُلكَ جدّه المأمونِ بقرطبة ، ويعودُ بنا القولُ إلى ما بدأتُ به من ذكرِ حفيده المتخذِ له

١ ص : يختلف .

٢ ص : بنيانه .

٣ ص : بنيانه .

٤ انظر القسم الثاني : ٢٦٢

ذلك الصنيعُ المَعْدُودُ على الأَبَاطِ ذَنْبُهُ ، الباقي في صَفْحَةِ الإسلامِ نَدْبُهُ .
وقد ذَكَرْتُ أَيْضاً في القِسمِ الثَّالِثِ^١ مِنْهُ مَهْلِكَ حَقِيدِهِ بِلانْسِيَةِ ، وَأَوْضَحْتُ
صُبْحَتَهُ ، وَاسْتَوْفَيْتُ شَرْحَهُ . وَأَجْرَدُ هَا هُنَا الْقَوْلَ فِي أَخْذِ طُلَيْطَلَةَ مِنْ
يَدَيْهِ ، وَدَوْرَانَ الدَّائِرَةِ السَّوْمِ بِهَا عَلَى الْمُسْلِمِينَ وَعَلَيْهِ ، وَمَا تَعَلَّقَ
بِأَذْيَالِ ذَلِكَ مِنْ غَرِيبَةٍ ، وَانْخَرَطَ فِي سَلَكِهِ مِنْ أَعْجُوبَةٍ .

كَانَ يَحْيَى حَفِيدُ ابْنِ ذِي النُّونِ رَكِيزَ الْمَجْلِسِ ، ثَرِيّاً الْمَغْرَسِ ،
حَلَوَ الْخَوَارِ ، لَيْتَنَ النَّصْرَفِ بَيْنَ الْإِيرَادِ وَالْإِصْدَارِ ، مَتْلِيحَ شَبَا الْخَطِّ [٧١]
هَذِهِ كَانَتْ قِصَصَاتِهِ فَقَطَطَ . لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيْسَتْلِفُهُ قَبْلَهُ بَاعٌ فِي الطَّلَبِ ،
وَلَا حَظٌّ فِي الْأَدَبِ ؛ وَكَانَ - زَعَمُوا - آيَةً فِي قُرْبِ غُورِهِ . وَسُكُونِ
فُورِهِ^٢ ، وَالْخَوْرِ بَعْدَ كُورِهِ^٣ ، لِمَتْعَةٍ لِمَتْرَةٍ^٤ ، أَجْبَنَ مِنْ قُبْرَةٍ^٥ : إِنْ
حَزَمَ لَمْ يَعْزِمَ ، وَإِنْ سَدَى لَمْ يُلْحِمِ ، إِلَى مَا كَانَ يَتَغَرَّضُهُ مِنْ غَرَضٍ^٦ ،
وَيَلْزَمُهُ أَكْثَرُ مَدَّتِهِ مِنْ مَرَضٍ ، مِنْ ذَرْبٍ لَازِمٍ - زَعَمُوا - كَانَ لِمَعِدَّتِهِ ،
وَاسْتِحْرَارِ حَاسِمٍ لِمَرَّتِهِ^٧ ، وَقَدْ كَانَ جَدُّهُ الْمَأْمُونُ قَسَمَ الْخَضِرَةَ قِيسَمِينَ ،

١ انظر القسم الثالث : ٩٢ - ٩٦ .

٢ ص : قوده .

٣ انظر في هذا المثل : « الحور بعد الكور » فصل المقال : ١٧٥ وجمهرة ابن دريد ٢ : ٤١٣
وهو يعني نقصان بعد الزيادة .

٤ رجل إمعة إمرة : ضعيف لا رأي له .

٥ لم يورده حمزة في الدرة الفاخرة . وأقرب الأمثلة إليه « أجبن من صافر » وهو يشمل القبرة .

٦ يريد : يعرض له من ضجر وقلق .

٧ ص : لمعدته . . . لمدته .

وأدار سياستها على رَجَلين ، فَجَعَلَ تَديرَ الأجنادِ ، والنظرَ في طَبَقَاتِ
القُودِ ، إلى سائرِ الشُّونِ السُّلْطَانِيَةِ ، والأعمالِ الدِّوَانِيَةِ إلى ابنِ الفَرَجِ ،
وبقيّةِ الإصدارِ والإيرادِ ، والنظرَ لجماهيرِ الناسِ وكوافِ البلادِ ، والرأيَ
والمشورةَ . والصغيرةَ والكبيرةَ ، إلى الفقيهِ أبي بكرِ بنِ الحديدي^١ ، رَجُلٌ
كانَ لَهُ قَدَمٌ وإقدامٌ ، وعندهَ نَقَصٌ وإبرامٌ . وكانَ قد عَهِدَ لَحَفِيدِهِ
هذا المرشَّحَ لأمرِهِ مَن وَرِثَ سُلْطَانَهُ ، وتَبَوَّأَ مَكَانَهُ ، أن يَشُدَّ عَلَى ابنِ
الحديدي كلتا يَدَيْهِ . ولا يَفْتَتَ بِأَمْرِ مِنَ الْأُمُورِ عَلَيْهِ . وأَخَذَ الموثِقَ
الغليظَ عَلَى ابنِ الحديدي لِيَسْلُغَنَّ كُلَّ مَبْلَغٍ فِي شِدَّةِ أَزْرِهِ ، وَتَثْبِيتِ أَمْرِهِ
عِلْمًا بِاسْتِقْلَالِهِ ، وَاسْتِنَامَةً إِلَى بَعْضِ مَنَاقِبِهِ وَخِلَالِهِ ، وَحِفْظًا لِمَا كَانَ
عِنْدَهُ مِنْ يَدِهِ فِي إِقَامَةِ أَوْدِهِ . وَمِمَّا لَاتِهِ عَلَى أَهْلِ بَلَدِهِ . وَقَدْ كَانَ أَكْثَرُهُمْ
فِيمَا سَلَفَ نَفَرُوا عَنْهُ ، وَهَمَّتُوا بِالِاسْتِبْدَالِ مِنْهُ . فَنَكَثَ^٢ أَبُو بَكْرٍ هَذَا
قُوَى مَكْرِهِمْ . وَخَاطَبَ المأمُونُ يَوْمَئِذٍ إِلَى بَلَنَسِيَةِ بِجَلِيَّةٍ أَمْرًا^٣ خَوْفًا
مِنَ الْفِتْنَةِ ، وَتَفَادِيًا مِنَ الْمَحَنَةِ . فَانْكَدَرَ المأمُونُ مِنْ حِينِهِ إِلَى طُلَيْطَلَةَ وَقَدْ
ضَاقَ ذِرَاعًا ، وَكَادَتْ نَفْسُهُ تَذْهَبُ شِعَاعًا . وَأَدَارَ الْحِيلَةَ عَلَى مَشِيخَةِ
طُلَيْطَلَةَ فِي خَبَرٍ طَوِيلٍ حَتَّى سَجَنَ عَامَتَهُمْ بِمَطْبَقِ حِصْنِ [وَبْدَةَ]^٤ ،
أُخْرَى قِيْلَاعِهِ الْمُنِيْعَةِ . وَلَمْ يَزَالُوا بِهَا حَتَّى شَابَ الشَّبَابُ ، وَبَلَّيْتَ الْأَحْقَابُ ،
وَتَلَّكَ الْيَدَ كَانَ المأمُونُ يُرَاعِي لابنَ الحديدي ، فَوَضَعَ فِي حَيَاتِهِ زِمَامَهُ
بِيَدِهِ ، وَاسْتَخْلَفَهُ بَعْدَ وَفَاتِهِ عَلَى بَلَدِهِ وَوَلَدِهِ .

١ هو يحيى بن يحيى بن يحيى بن الحديدي من أهل طليطلة ، كان متقناً فصيحاً فظاً
مقدماً في الشؤون العامة ، وانظر المغرب ٢ : ١٣ .

٢ من : فَنَكَثَ .

٣ زيادة : وَجَلَّ عَنِهَا مَا سَبَقَ .

مقتل الفقيه أبي بكر بن الحديد

فلما هلك المأمون بقرطبة ونُعي بطليطلة وماج بعضها في بعضها ، وانطبقت سماؤها على أرضها . اختوشت إلى حفيده . اللابس لبُروديه ، جملة ممن كان يتعلق بسببيه ، ويُنسبُ إلى وطء عقبه . وطفقوا يُغرونه بأبي بكره ، جماع أمره ، ومظنّة تأييده ونصره ، لما كانوا يُدبّرون من الثقلاب عليه . ويتوهّمون من ضعفه على ما في يديه . وخوفوه غوائل ختله ، وزعموا أن سلطانَه لا يتمُّ إلا بعد الفراغ من قتله . وقد كان أثره أبو سعيد بن الفرج ينهاه عن إحتفار الذمام . ويخوفه سوء عواقب الأيتام . فركب هواه . وخالف ناصحته وعصاه . وجرّد قطعة من جنده ، وأمرها باستقبال تابوت جدّه في طريقهم من قرطبة ، وأمرهم سرّاً قتل ابن الحديد المستقل بحملته ، الناطم لأشتات فتلّه . وقال لهم : إذا التقيتموه فكونوا حولَه ، وعظّموا قوله ، فإذا أمكنتمكم^١ غيرتُه . وبدت لكم ثغرته ، فاقتلوه كيف أمكن ، وعلى ما ظهر وبطن . ونما الخبر إلى ابن الحديد فكفّر بطاغوتهم . ونفض يديه من تابوتهم . ونكّس إلى بعض ضياعه . في لئمة من شيعته وأتباعه . فاضطربت الصدور . وبطل ذلك التدبير . ثم وافى البلد ليلة وقد استوحش من أنسه . وأوجس خيفة في نفسه . أصبح في المدينة خائفاً يترقب ، ونادماً يتبع ويتعقب ، يعرض يديه ،

١ ص : أمكنتم .

وَيَحْسَبُ كُلَّ صَبِيحَةٍ عَلَيْهِ : وَطَفِيقَ أَصْحَابِ ابْنِ ذِي النُّونِ بِزَعَمِهِ يَقُولُونَ :
 قَدْ حَذَرَكَ ، وَتَيَقَّنَ خَبَرَكَ ، وَلَا يَصْلُحُ لَكَ أَبَدًا ، وَلَا يَرُدُّ عَنْ
 مَكْرُوهِكَ بَدَا . وَمَشَتْ بَيْنَهُمَا الرُّسُلُ ، وَأَعْمِلَتْ فِي اجْتِمَاعِهِمَا الْحَيْلُ :
 فَرَكِبَ لِيَلِيهِ ذَاتَ يَوْمٍ ، وَقَدْ أَخَذَ حَيْذَرَهُ ، وَحَشَدَ عُرْفَهُ وَنُكْرَهُ ، وَاسْتَبْطَنَ
 مَنْ كَانَ تَبِيعَهُ يَوْمَئِذٍ مِنَ الدَّهْمَاءِ ، وَتَعَلَّقَ بِرُكَايَةِ لِمَشْهَدِ أَمْرِهِ مِنْ
 الْغَوَاغِي . فَمَلَأُوا أَفْسِنِيَّةَ الْقَصْرِ أَسْرَعَ مِنْ الْمَاءِ إِلَى الصَّبَبِ ، وَأَهْوَلَ مِنْ
 النَّارِ فِي الْحَطَبِ : فَحِينَ ارْتَفَعَتِ الْأَصْوَاتُ . وَغَشَمَتْ بِهِمُ الْعَرَصَاتُ ،
 ارْتَاعَ ابْنُ ذِي النُّونِ ، فَأَمَرَ ابْنَ الْحَدِيدِيِّ بِالْخُرُوجِ . فَخَرَجَ وَالِدُ الْوَلَةِ
 مُتَعَلِّقَةً بِأَذْيَالِهِ ، وَطَبَقَاتُ أَعْيَانِهَا عَنْ يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ ، وَالْعَامَّةُ بَيْنَ يَدَيْهِ
 . مِنْ خَلْفِهِ ، يَتَمَسَّحُونَ بِأَثَارِهِ ، وَيَرْفُلُونَ فِي غُصَارِهِ ، وَهُوَ يَشْكُرُ
 نَيْعَهُمْ . وَيَتَعَمُّ الشُّعْرُ جَمِيعَهُمْ . وَكَانَ عِنْدَمَا أَذْكَى عُيُونَهُ ، وَحَشَرَ
 طَبَقَتَهُ . قَدْ أَوْجَسَ الشُّعْرُ عَيْنَ الْخَيْخِيئِ مِنْ شِيُوخِ الْخُدَمَةِ يُدْعِيَانِ
 عَالِدَ ابْنِ صَرَّوْمٍ . وَابْنَ الْعَامَّةِ بِاسْتِثْنَالِيهِمَا ، وَتَجَنَّبَ إِلَيْهِمْ [٧٢]
 رِقَّةَ أُمُورِهِمَا ، وَبَدَأَ الْفِتْنَةَ . وَبَاكُورَةَ الْمِحْنَةِ .

... حَدَّثْتُ أَنَّ ... عَلَيْهِ يَوْمَئِذٍ بِالْفَرَاغِ مِنْ شِيعَةِ ابْنِ ذِي
 ... رَأَيْتُهُ ... شِيعَتِهِ ، وَبُودَ طُلَيْطَاةَ الْبَائِسَةِ لَوْ أَنَّهُ
 ... وَلَوْ أَمْضَاهَا ... لَهَا اثْنَانِ ، وَلَا انْتَطَحَ فِيهَا عِزْرَانِ .

... هَذَا الْحِزْبُ ... بِشَرِّهِ ، مِنْ شِيعَةِ ابْنِ ذِي النُّونِ الْمَغْلُوبِ
 ... لِصَاحِبِهِمُ الْمَعْرُوفِ ... وَالتَّمَادِي عَلَى غُلُوتِهَا مَكْرَهُ .

وَأَرْتَهُ أَنْ ذَلِكَ مِنْ سَعْيِهَا لَا يَسْتَوِي عَلَى سُنُوقِهِ ، وَلَا يَخْلُو بِسِوَاهِ ١
طَرِيقِهِ ، إِلَّا [بِاطْلَاقٍ] ٢ تِلْكَ الطَّائِفَةُ الْمَغْرَبَةُ بِمُطَبِّقٍ وَبُنْدَةٍ ، الْمُحْتَرِقَةُ
أَفْلَاحُ أَكْبَادِهِمْ ، بَنِيرَانِ دَمِيهِمْ وَأَحْقَادِهِمْ : دَاءٌ دَقِيقٌ ، وَشَرٌّ مَتَّضَمُونَ .
وَسَوَّلُوا لَهُ أَنَّهُ إِذَا فَكَّ أَغْلَالَهُمْ ، وَوَصَلَ بِحَبْلِ الْحَيَاةِ حَبَالَهُمْ ، غَسَلَ
جَوَانِحَهُمْ ، وَتَأَلَّفَ نَصَائِحَهُمْ ، وَشَارَكَهُمْ فِي ذَوَاتِ صُدُورِهِمْ ، وَاعْتَدَّ
عَلَيْهِمْ مِهْنَةً تُشَوِّرُهُمْ ، وَالْبَغْثَةَ مِنْ قُبُورِهِمْ . فَأَثَارَ مِنْهُمْ مُدَى وَشَفَارَا ،
[أَعْدَّ] ٣ بِهِمُ الْخَرَابِ مُلْكِيهِ أَعْوَانًا وَأَنْصَارًا . فَأَدْخَلَهُمُ الْبَلَدَ سِرًّا
مِنْ بَعْضِ مَدَاحِلِهِ الْخَفِيَّةِ ، وَقَدْ سَتَرَهُمُ بِاللَّيْلِ ، وَأَوْهَمَ أَنَّهُمْ بَعْضُ
الْحَرَمِ ، حَتَّى وَصَلُوا إِلَيْهِ ، وَمَثَلُوا بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَذَلِكَ الْيَوْمُ يَوْمُ الْجُمُعَةِ
لِعَشْرِ خَلَّتْ لِمَحْرَمٍ سَنَةٌ ثَمَانٍ وَسِتِينَ .

وَكَانَ الَّذِي مَالًا ابْنُ ذِي النُّونِ عَلَى ذَلِكَ ، وَسَهَّلَ لَهُ - زَعَمُوا - تِلْكَ
الْمَنَاهِجَ الْخَبِيثَةَ وَالْمَسَالِكَ ، الْفَقِيهُ ابْنُ الْمُشْتَاطِ مُتَوَلِّي الْقَضَاءِ كَانَ
يَوْمَئِذٍ بِقُونُكَّةَ . وَكَانَ أَبُو بَكْرُ بْنُ الْحَدِيدِيِّ [يَأْلَفُهُ] ٤ وَيَسْكُنُ إِلَيْهِ
قَدِيمًا ، فَاسْتَدْرَجَهُ بِالْأَمَانِ ، وَاسْتَفْزَهُ إِلَى مَصْرَعِهِ يَوْمَئِذٍ بِمُزَوَّرَاتِ
الْأَيْمَانِ ، حَتَّى جَرَّعَهُ رَدَاهُ ، وَأَسْلَمَهُ إِلَى عِيْدَاهُ . وَدَخَلَ ابْنُ الْحَدِيدِيِّ
يَوْمَئِذٍ الْقَصْرَ ، وَالْمَقْدَارُ يُزْعِجُهُ ، وَالْحَائِنُ الْغَدَّارُ ابْنُ الْمُشْتَاطِ ٥ يَسْتَدْرِجُهُ :
فَلَمَّا أَتَى إِلَى مَجْلِسِ ابْنِ ذِي النُّونِ رَأَى وَجُوهًا قَدْ أَمِنَهَا مِمَّا تَخَوَّفَهَا .

١ ص : بسوء .

٢ بياض في ص .

٣ بياض في ص : بقدر كلمة .

٤ بياض بقدر كلمة .

٥ ص : السقاط .

وأنكرها من طول ما عرّفها ، فأيقن بالشر لا خلاص ، ولات حين مناص . ثم وطن لمحنّته ، وانتكأ فضل مُنتهيه ، فجاذبهم أطراف الخِصام ، وطلع عليهم من ثنايا النقص والإبرام . فقام ابن ذي النون من موضعيه وابن الحديدى مُتعلقاً بأذيالِهِ ، مُستجيرٌ به من أفتالِهِ . فشغَبوا عليه وشغَلوه ، وأحاطوا به حتى قتَلوه . فقضى الأمر ، وانقضى العجزُ والصُدُر . ولما أحسّت العامة بقتله ، وهمت بسلاحها من أجله ، فارتأوا أولئك المُخرجون في وجوههم : أطلالٌ في أسمال . فأخذ كل واحدٍ منهم بطرفٍ من الطريق ، وذهبَ ممتنٌ كان هنالك من العامة بفريق ، بين صديقٍ لهم يُسرّ ، وعدوٍّ يَفير . وتشاغَلوا بنهبِ دورِ بني الحديدى حينَ عجزوا عن نصرته . وعلموا أن لا سبيلَ إلى كرتيه . ولم يكن إلا كـ « لا » حتى أصبحت حَبلاً رثاً ، وهباءً مُنبثاً .

وظنَّ ابنُ ذي النون [أنه] قد راع أحشاء الأيام بفتكةِ برّاضية ، وهتكِ أستارِ الخطوبِ عن حيلةِ عمريّة . ولعمري لقد راع ولكن آمينَ سيريه ، ولقد هتكِ ولكن حجابَ قلبه . أخلّى وجهه لشرارِ أعمار . لم تكن لهم أحلامٌ تتحجرهم . ولا حلومٌ توقّرهم . أذبتْ شهبوات ، وفراشِ ضلالات ، أغضى الزمان لهم هنيئةً فظنّوا أنهم قد أعجزوه وانتهزوه ، فوجدَهم مُغتربين ليسَ لهم سلاحٌ إلاّ مقاتلُهم . ولا بهم حويلٌ إلاّ تدابُرهم وتخاذُلهم . ونفقت على نفسه من أولئك

١ ص : خيلا .

٢ ص : أحشاع .

٣ ص : أدبه .

المُخْرِجِينَ شَرَارَ زِنَادٍ ، وَأَسْرَارَ غَدَاوَاتٍ وَأَحْقَادٍ ، أَحْلَاسَ السَّجُونِ^١
وَالْأَهْوَالِ ، وَبَقَايَا الْقَيْوُدِ وَالْأَغْلَالِ . فَلَمْ يَزِدْ بِمَوْتِ ابْنِ الْحَدِيدِيِّ
وَحَيَاتِهِمْ عَلَى أَنْ كَانَ الشَّرُّ سَبَبًا فَأَصْبَحَ أَسْبَابًا ، وَالنَّاسُ حِزْبًا فَتَفَرَّقُوا
أَحْزَابًا . وَانْتَبَذَ ابْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ لِتِلْكَ الْوَهْلَةِ بِلَا نَسِيَةٍ مِّنْ جَمَاعَتِهِ ،
وَخَلَعَ يَدَهُ مِّنْ طَاعَتِهِ . إِلَّا هُدْنَةً عَلَى دَخْنٍ ، يَتَطَارَدُ لَهُ بِصَيْدِهَا ،
وَيُنْشَدُهُ عَنْ كَيْدِهَا :

أَحَبُّكَ فِي الْبَتُولِ وَفِي أَبِيهَا وَلَكِنِّي أَحَبُّكَ مِنْ بَعِيدٍ^٢

وَفَتَرَ الطَّاعِيَةُ أَذْفُونَشُ بْنُ فَرْدَاكَشْدُ فَمَتَهُ عَلَى ثُغُورِهِ الْمُشْغُورَةِ ، فَجَعَلَ
وَقْتَهُ يَطْوِيهَا طَيِّ السَّجَلِ لِلْكِتَابِ . وَيَنْهَضُ فِيهَا نَهَضَةُ الشَّيْبِ فِي
شَبَابٍ . وَابْنُ ذِي النُّونِ يُلْقِمُهُ أَفْلَاحَ كَبِدِهِ ، وَيَرْجِمُهُ بِسَيْدِهِ وَلِبَدِهِ ،
أَذْفُونَشُ لَعَنَهُ اللَّهُ لَا يَقْنَعُ مِنْهُ بِصَيْدِ الْعَتَقَاءِ ، وَلَا بَبِيضِ الْأَنْوَقِ ، بَلْ
كَلَفَهُ^٣ إِحْضَارَ الْأَبْلَقِ الْعَقُوقِ . وَاسْمُ مَوْءَدِّ الشَّمْسِ . وَيَطْلُبُهُ بَرْدُ أَمْسٍ^٤ .
مِمَّا أَكَلَ الْإِنْفَاقُ تَبَجَّهَ^٥ مَا لَهُ ، وَأَخَذَ الْإِنْفَاقُ بِكُظْمِ احْتِيَالِهِ ، وَأَحْسَ^٦
بَدْوُ الْمُشَاقُّ بِذَلِكَ مِنْ حَالِهِ . وَتِلْكَ الْمَسِيَّةُ . وَذُرَى أُمْلَاكِهِ
بِفَيْعَةٍ ، عُدَدِ الْأَتَامِ ، وَذُرُوبِ الْإِنْسَانِ . وَتِلْكَ مِنْهَا عَلَيْهِ غَلَسَتْ ،
مَا رَامَ أَخْذَهُ مِنْ يَدَيْهِ لَمْ يُدْرِكْهُ حَتَّى يَسُورَ^٧ .

١ ص : خلاص السجون .

٢ أوردته العميدي في الإبانة : ١٢٥ وذكر أنه لصاحب سائر في بخرستان .

٣ ص : يكله .

٤ ص : أنس .

٥ ص : تيج .

فرار حفيد ابن ذي النون من طليطلة ودخول المتوكل

وانجرت الحالُ بينه وبين أولئك الشيوخ المُخرَجين من المُطَبق بمقدار^١ ما رَقَعُوا خروقاتَهُمْ ، وجمعوا فريقَهُمْ ؛ فلما استوثق أمرُهُمْ ، وثابَ إليهِمْ شرُّهُم ، دَلَفُوا لحزبه الذُّنُوفِي البَسِيس^٢ ، تحتَ إحدى ليالي جَدِيس ؛ أَرَعَتْ عَلَيْهِمْ سَقُبُ السَّمَاءِ ، وتمَخَّضَتْ لَهُم بِالدَاهِيَةِ الدَّهْيَاءُ ، ورُوَّسَهُم بِأَيْدِي الْوُلْدَانِ لُغَبًا . وأتى ابنَ ذي النون صريحُهُم تلكَ الليلةَ فصادفَ منه رأياً مغلوباً ، وقلباً مَنخوباً ، طارَ به الذُّعْرُ ففَرَّ ودونه من عبيده أسدُ الشَّرَى ، والأسوارُ شامخة الذُّرى ، كأنما ناجتَه القتالَ أضغاثُ حلمه ، أو رأى وجوهَ الأقتالِ في وجوهِ حُرِّمه ، تجفَل الظِّلِم ، لا يحفِلُ بالعارِ المُقِيم ، ولا يُصَيِّخُ إلى الصديقِ الحَمِيم . حُدَّتْ أن زوجته بنتَ المظفَّر بن أبي عامر ، طريد جده - كان - من بلنسية ، وابنته منها تبعته يومئذٍ راجلتين نَيِّفًا على فرسَختين ، حتى أدركتا بمركوب ، وقد أخذ الجهدُ منهما بأوفر نصيب . واجتمع مشيخةُ طليطلة بفناء القصر ، مرتبكين بين اللجاج والذُّعر ، عامَّتُهُم تتطاوَل بزعمها إليه ، وخاصَّتُهُم تتحِيلُ المشولَ بين يديه ، وهم يظنُّونه بحيثُ يرى ويسمع ، ويتوهمون أنه سيفعل ويصنع . فوجدوه قد أذعن للدينية ، وخرج من بعض تلك

١ ص : بمقدام .

٢ من معاني البسيس : المختلط . ولعلها : « البئيس » .

المخارج الخفية ، ومشى القهقري ، قبلَ عَبرٍ وما جرى^١ ، فاستأمدت
كلابهم لأكل لحمٍ ليس له ناصر ، وهزج ذُبابُهم أثناء روضٍ ليس [له]
واردٌ ولا صادر . ولقوا يومئذٍ في سؤرٍ الطاغية أذفونش من تلك الجواهر
المكنونة ، والذخائر المصونة .

وتلاحق بابتٍ ذي النون بقية سِرْبِهِ المنقر ، وفلَّ عسكره المدبر ،
بحصنٍ من حصونه . وأقام أهلُ طُلَيْطلة بعده أيتاماً ولا كالسائمة المهملة
نام راعيها ، وأكَبَّتْ^٢ مَراعِيها ، يتهايدون لحماً بين قتيدٍ ومُعْجَلٍ ،
ويَرمون بشحمٍ كهُدَّابِ الدَّمَقْسِ المقتل^٣ ، في هَيَاطٍ ومِياطٍ ، ولتَجِبِ
واختلاط ، ليس عليهم أمير ، ولا فيهم إلى الصُّوابِ مُشير . وتشاوروا
في أيِّ مَلوكِ الطوائفِ يُحْكَمُونَهُ فيهِم ، ويُلْثِقُونَ إليه بأَيْدِيهِم ، فطار
طائرُهم ، واختَلَقَتْ بواطنُهم وظواهرُهم ، وأُشْرَبَ مَنْ كان يَلِيهِم
منهم لملكته لم يُحْكَمُوا إليها أسبابا ، وغَنِيمةٌ لم يُوجَفُوا عليها خيلا
ولا رِكاباً^٤ .

وكان عِندَهم يومئذٍ أبو محمد يوسفُ بنُ القُلاصِ البَطْلَيْوسِي أحدُ

١ من قول الشاعر : « وتمذو القبيى قبل عير وما جرى » وهو للشماخ (اللسان : غير ومجالس
ثعلب ٢٠٧ وفصل المقال : ٣٠٠) والعير هنا فيما يقال هو المثل الذي في حدة العين ،
يريدون قبل أن يطرف الإنسان عينه يعني بأقصى سرعة .
٢ أكَبَّتْ : كثر فيها الكباش ، وهو الناضج من ثمر الأراك .
٣ من قول امرئ القيس :

فظل العذاري يرمين بلحمها وشحم كهذاب الدمقس المقتل

٤ ص : ركبانا .

عَفَارِيَتِ الضَّلَالِ ، وَأَكْلَةِ الْأَمْوَالِ ، مِنْ رَجُلٍ أَجْرًا خَلَقَ اللَّهُ عَلَى دَمٍ وَهُوَ أَجْبَنُ مِنَ صَافِرٍ ، وَأَجْسَرُهُمْ عَلَى رُكُوبِ تَبَجٍ ^٢ مُحَرَّمٌ وَهُوَ أَوْعَفُ مِنَ لَحْظِ فَاتِرٍ ، نَبَهَتْ ^٣ تِلْكَ الْفِتْنَةُ عَلَى قَدْرِهِ ، وَرَفَعَ عُدْمُ الرِّجَالِ صَوْتَهُ بِذِكْرِهِ ، فَهَبَتْ رِيحُهُ شَمَالًا وَصَبَا ، وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ عَجَبًا ، فَعَرَّضَ عَلَيْهِمْ بِصَاحِبِهِ الْمُتَوَكِّلِ عُمَرَ بْنَ الْمُظَفَّرِ ابْنَ الْأَفْطُسِ ، وَأَعْرَبَ لَهُمْ عَنْ لَيْلٍ مَكْسُورَةٍ ، وَضَيَّقَ مَسَافَةَ نَظَرِهِ ، وَاشْتَغَالِهِ بِاللَّذَاتِ عَنْ أَكْثَرِهِ ، فَقَالُوا: بَرْدٌ كَبِيرٌ ، مَا أَشْبَهَ سَعْدًا بِسَعْدٍ ! فَأَتَاهُ سَفِيرُهُمْ . وَخَفَّ إِلَيْهِ غَيْرُهُمْ وَتَغَيَّرَ مِنْهُمْ . فَجَاءَهُمْ يَنْظُرُ مِنْ خَفَاءٍ ، وَيَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ . كَوْدًا سَامُوهُ خُطَّةَ سِيَبَاقٍ ، وَحُبِّيْنَةَ أَقَامُوها عَلَى سَاقٍ ، فَدَخَلَ طَلِيْطْلَةٌ عَقِبَ سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ . وَأَقَامَ عِنْدَهُمْ نَحْوَ مِائَةِ عَشْرَةِ أَشْهُرٍ . أَضَلَّ مِنْ يَدٍ فِي رَحِمٍ ، وَأَذَلَّ مِنْ لَحْمٍ عَلَى وَضَمٍ ^٤ .

[و] قَدْ كَانَ ابْنُ ذِي النُّونِ حِينَ انْفَلَتَ مِنْ يَدِ الْمُقْتَنَصِ ، انْفِلَاتَ الْحِمَامَةِ مِنَ الْقَمَقَصِ . تَهَيَّأَ لَهُ دُخُولُ كُونُكَةِ فِي خَيْرِ طَوِيلٍ ، فَثَابَ إِلَيْهِ حِسَةً . وَرَجَعَتْ قَلِيلًا نَفْسُهُ ، وَرَاسَلَ الطَّاعِيَةَ أَذْفُونُشَ ، وَهُوَ بَحِثٌ يَسْتَنْهَزُ الْفَرَسَةَ ^٥ ، وَيَسْمَعُ الْقِصَّةَ . فَذَكَرَهُ ابْنُ ذِي النُّونِ سَالِفَ

١ انظر الدرة الفاخرة : ١١١ وفصل المقال : ٤٩٩ والميداني : ١ : ١٢٤ والصكري : ٢١٧

٢ ص : تيج .

٣ ص : بهت .

٤ ناظر إلى الآية : ٦٣ من سورة الكهف .

٥ ناظر إلى الآية : ٢٥ من سورة القصص .

٦ هذان مثلان ، انظر الدرة الفاخرة : ١ : ٢٨٢ ، ٢٠٣ .

٧ كذا ولعلها : « الفرصة » .

عَهْدِهِ ، وشَهِدَ عِنْدَهُ أَنْعُمَ جَدِّهِ ، فَبِالزَّنادِ الذَّنُونِيَّةِ - زَعَمُوا - وَرِيتِ
نَارُهُ ، وَمِنْ التَّلَاعِ المَأْمُونِيَّةِ ١ تَدَفَّقَ تَيَّارُهُ ، أَيَّامَ كَانَ اسْمُ هَذَا الطَّاغِيَةِ
مَحْمُولًا ٢ ، وَصَعْبُهُ ذُلُولًا . بَتَغْلِبَ أَخَوِيْنَهُ شَانَجُهُ وَغَرَسِيَّةٌ عَلَيْهِ ،
وَأَخَذَ هُمَا طَرَفِي سِلْكِيهِ مِنْ يَدَيْهِ ، فَأَوَاهُ المَأْمُونُ ابْنُ ذِي النَّوْنِ وَنَصْرَهُ ،
وَاسْتَقْلَّ بِسُلْطَانِ طَاغُوْتِهِ حَتَّى أَظْهَرَهُ ٣ ، وَعِنْدَ اللَّهِ جَزَاءُ مَوْفُورٍ ، وَلِإِلَيْهِ
مُنْقَابٌ وَمَنْصِيرٌ . فَلَبِثِي دَعْوَاهُ ، وَسَمِعَ شَكْوَاهُ ، وَأَظْهَرَ الْارْتِمَاضَ لَمَّا
عَزَّهُ وَعَرَّاهُ . وَأَقْبَلَ مَعَهُ إِلَى طُلَيْطَلَةَ يَرُدُّ مَاءَ بَمَاءٍ ٤ ، وَيُسِيرُ حَسَنًا
فِي ارْتِغَاءٍ ٥ ، يُورِدُ وَرْدًا لِيَلِيَهُ صَدْرُهُ ، وَيَحْلُبُ حَلَبًا لَهُ أَكْثَرُهُ ، وَالْمَتَوَكِّلُ
بِهَا طَلِيحُ جَيْفَانٍ ، طَرِيحُ أَكْوَابٍ وَدِنَانٍ ، مُكَبَّتًا عَلَى قَمَشٍ مَا نَحْتَهُ ٦
الْمِحْنَةُ ، وَتَجَافَتْ عَنْ انْتِهَائِيهِ الْفِتْنَةُ . مِنْ فَرَشٍ فَخْنَمٍ ، وَسُرَادِقٍ
ضَخَمٍ ، وَأَنِيَّةٍ وَكُتُبٍ ، وَصَعْدٍ مِنْ آلَةِ الْمُلْكِ وَصَبَبٍ ، حَتَّى اجْتَمَعَ عِنْدَهُ
مِنْ خَيْبَتِ زُبُرَتِيهَا ، وَغُثَاءِ غَمَرَتِيهَا ، مَعَ مَا أَذَابُوا لَهُ صَدْرَ مَقْدَمِهِ
مِنْ شَحْنَمِ سَنَامِيهَا ، وَأَفَاضُوا مِنْ بَرْدِهَا وَسَلَامِهَا ، جُمْلَةً عَلِمَتْهُ الْجُلُوسُ
فِي الصَّدْرِ ، وَأَرْتَه الْفَرْقَ بَيْنَ الْخَلِّ [٧٤] وَالْخَمْرِ ، وَأَهْلَ طُلَيْطَلَةَ الْمَمْتَحِنُونَ ،
فِي غَمَرَتِهِمْ سَاهُونَ ، وَعَلَى أَعْقَابِهِمْ يَنْكُصُونَ ، يَتَخَوِضُونَ وَيَلْعَبُونَ ،
وَيُخَرَّبُونَ بِيَوْتِهِمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ ٧ .

١ ص : المأْمونة .

٢ ص : محمولا ، وربما قرئت « مجهولا » .

٣ ص : أظهر .

٤ من قولهم : « ان ترد الماء بماء أوفق » وهو علامة على الحيلة والحذر .

٥ انظر المثل في فصل المقال : ٧٦ والميداني ٢ : ٢٥١ .

٦ ص : بحتة .

٧ ناظر إلى الآية : ٢ من سورة الحشر .

خروج المتوكل من طليطلة ، ورجوع ابن ذي النون إليها

فلَمَّا تَمَكَّنَ المتوكلُ مِنَ الرِّيِّ والشَّجَع ، تَذَكَّرَ عَوَاقِبَ الطَّمَعِ ، ورَأَى أَنَّهُ إِن زَادَ عَلَى مَلَأِ بَطْنِهِ ، كَانَ كَالسَّرَاجِ المُنْغَمَسِ فِي دُهْنِهِ ؛ فَكَأَيْدَهُمْ بِفِرَارِهِ ، وَأَجَلَى مُبَادِرًا إِلَى بَطْلِيُوسِ دَارِ قَرَارِهِ ، يُنْشَدُ :

إِنَّ اللَّهَ يُرْجِعُنِي مِنَ الْغَزْوِ لَا أَرَى وَإِنْ قَلَّ مَالِي طَالِبًا مَا وَرَائِي^١

ومن غريبِ تأويلِ الأحلام ، أَنَّ رجلاً رَأَى المتوكلَ قَبْلَ دُخُولِهِ طَلِيطَةَ بأَعْوَامَ ، كَأَنَّهُ يَأْكُلُ فِيهَا طَعَامًا فِيهِ سَلْتُقٌ مَعَ رَجُلٍ يُسَمَّى يَوْسُفَ ، ففَسَّرَهَا الأديبُ أَبُو عَمَرَ فَتَنَحَّجَ المعروفُ بِابْنِ بَرْلُوْصِهِ^٢ ، وَقَالَ : إِنَّ المتوكلَ سَيَدْخُلُهَا عَلَى يَدِ رَجُلٍ يُسَمَّى يَوْسُفَ ، وَيَتَّالَانِ مِنْ مَالِهَا^٣ وَذَخَائِرِهَا ، لَكِنَّهُمَا يُسْلِقَانِ بِالْأَلْسِنَةِ فِيهَا ، وَيَقْبُحُ الْحَدِيثَ عَنْهَا ، فَخَرَجَتِ الرُّؤْيَا كَمَا فَتَسَّرَ .

ولَمَّا دَخَلَهَا وَحَصَلَ إِلَيْهِ مِنْهَا مَا حَصَلَ فَتَرَّ وَتَرَكَهُمْ كَالسَّفِينَةِ خَافَتْهَا الرِّيحُ ، وَابْجَسَدَ بَانَ عَنْهُ الرُّوحُ ، بَيْنَ نَابِ الطَّاعِيَةِ أَذْفُونِشَ وَظُفُفْرِهِ ،

١ البيت لمالك بن الريب التميمي ، انظر ذيل أمالي القاضي : ١٣٦ .

٢ ترجم له ابن بسام في القسم الثاني : ٨٠٥ وانظر مسالك الأبيصار ١١ : ٤٤٢ ، وقد ورد اسمه في هذا الموطن من الذخيرة « برلوضة » بالضاد المعجمة ؛ وفي الأصل أيضاً أبو عمر ابن فتح .

٣ ص : عماها .

يَقْدَحُ لَهُمْ نَارَ الْفِتْنَةِ عَنْ حَجَرِهِ ، وَيُرِيهِمُ الْمَوْتَ فِي أَهْوَلِ صُورِهِ ،
مُقْسِماً لَا يَبْرَحُ الْعَرْصَةَ حَتَّى يَتَفَيَّ لِابْنِ ذِي النُّونِ بِضَمَانِهِ ، وَيُكَافِئُهُ
عَلَى سَالِفِ إِحْسَانِهِ . وَكَانَ عَاقِدَهُ ابْنُ ذِي النُّونِ أَنَّهُ إِذَا ضَرَحَ قَدَاها ،
وَأَمَاطَ أَذَاهَا ، وَاقْتَضَى دَيْنَهَا . خَلَسَى بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا . هَذَا [مَا] أَضْعَرَّ ،
فَأَمَّا الَّذِي أَظْهَرَ ، فَإِنَّهُ وَعَدَهُ أَداءَ جُمْلَةٍ مِنَ الْمَالِ ، لَا تَتَفَيَّ بِهِ مُدَّةُ الْإِقْبَالِ ،
وَلَا إِرْخَاءُ الْحَالِ ، رَاهِنَةً بِهَا أَبْنَاءُ الْأَمْجَادِ ، وَبَقَايَا مُعَاقِلِهِ الْأَفْرَادِ ، وَأَلْقَى
أَهْلُ طَلِيطْلَةَ بِأَيْدِي الصَّغَارِ ، عَلَى حِينِ أَيْقَنُوا بِالْبَوَارِ ، وَضَاقَتْ عَلَيْهِمُ
أَنْشُوطَةُ الْحِصَارِ : فَجَاءَ ابْنُ ذِي النُّونِ يَتَقَدَّمُهُ أَذْفُونُش ، وَهُوَ يُظْهِرُ
مِنَ التَّزَامِ بِيَرَّةً ، وَإِعْزَازَ نَصْرِهِ ، مَا بَهَّرَ الْعُقُولَ ، وَكَثَّرَ الْقَالَ وَالْقِيلَ ،
حَتَّى زَعَمُوا أَنَّهُ رَفَعَ صَوْتَهُ يَدْعُو إِلَيْهِ ، وَتَرَجَّلَ يَمْشِي بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَصَارَ
أَعْجَبَ مَنْ تَوَرَّطَ فِي حَبَائِلِ كَيْدِهِ ، وَجَعَلَ الضَّرْغَامَ بَازاً لِيَصِيدَهُ^١ .
وَكَمْ رَامَ أَهْلُ طَلِيطْلَةَ قَتْلَ ابْنِ ذِي النُّونِ فِي أَثْنَاءِ تِلْكَ الْوَشَلَاتِ^٢ مِرَاراً ،
وَلَكِنَّهُ بَلَغَ مَدَاهُ ، وَكَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ فَأَبْقَاهُ ، وَكَانَتْ لِلَّهِ فِيهِ مَشِيئَةٌ أَمْضَاهَا ،
وَقَضِيَّةٌ أَنْظَرَ بِهِ إِنْهَا^٣ ، لِذَلِكَ مَا خَبَأَتْهُ صُرُوفُ الْأَيَّامِ ، وَسَلِّمَ مِنْ
الْحِمَامِ إِلَى الْحِمَامِ^٤ : فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ النُّحُرِ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَسَبْعِينَ ، نَهَدُوا لَهُ

١ من قول المتنبي :

وَمَنْ جَعَلَ الضَّرْغَامَ بَازاً لِيَصِيدَهُ تَصِيدُهُ الضَّرْغَامُ فِي مَنْ تَصِيدُ

وَفِي ص : الضَّرْغَمُ بَازِيًا .

٢ ص : الْوَسَلَاتُ ، وَالْوَشَلَاتُ : حَالَاتُ الضَّعْفِ .

٣ نَظَرَ إِلَى الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ « إِلَى طَعَامٍ غَيْرِ نَاطِرِينَ لِإِنَاءِ » (الْأَحْزَابِ) .

٤ من قول المتنبي أيضاً :

وَأَنْ أَسْلَمَ فَمَا أَبْقَى وَلَكِنْ سَلِمْتُ مِنَ الْحِمَامِ إِلَى الْحِمَامِ

في عَدَدَهُم وَعَدِيدَهُم ، وزحفوا إليه بحدّهم وحدّ يدهم ، فتجاولوا عامّة يومئذٍ في شوارعها ، يترامون بدوامخِ الختوفِ وقوارِعِها ؛ فأجلّت الحربُ عنهم قد شرّقوا بغُصَّتِها ، وخلدوا بينه وبين عَرَضَتِها . وتساقطوا على أذفونش يَشْكُون ابنَ ذي النّونِ إليه ويستصرِخونه عليه . فرماهم بحجرٍ ، ولَبَّسَ لهم جِلْدَةَ نَمِرٍ ، ففترّقوا بكلِّ سَبِيلٍ ، وطاروا على كلِّ صَعْبٍ وذلولٍ ، حتى مات ابنُ مُغِيثٍ كبيرُهم الذي علمهم السّحرَ ، وطاغوتُهم الذي شرّعَ لهم الكُفْرَ ، بشيْمَتورٍ من أرضِ قَشْتِيلَةَ بين الدّنانِ والصُّلْبَانِ ، فسارَ وإلى الله إِيابُهُ ، وعليه حِسَابُهُ . ورجَعَ بنوه أخيراً فانتزّوا بمدينةَ مَجْرِيْطٍ ، وانحسَرَ إليهم ذُوبانُ الوقائعِ ، وأذْبَةُ المطامِعِ ، فكانتْ بين ابنِ ذي النّونِ وبينهم أيامٌ عَدَّتْهم له عَدَاً ، وساقَتْهم إليه ورّداً ، حتى بادَ جُمُهورُهم ، وتلاحقتْ أعجازُهم وصُدُورُهم . وبلَغَ ابنُ ذي النّونِ مِن هَدَمِ رُبُوعِهِم ، وصلبِهِم على جندوعِهِم ، ما يُبرِدُ صدرَ المَوْتُورِ ، ويُضحكُ سِنَّ المَوْتِ المُبِيرِ .

بقية الحديث عن شؤون ابن ذي النون بطليطلة
وإسلامها لظهيره الطاغية أذفونش ، وما انطوى في ذلك
من خبر ، والتف به من قبيح أثر

قال ابن بَسَّام : وأخذ ابنُ ذي النّونِ أهلَ طَلِيْطَلَةَ لِحْيِنِ استقرارِهِ فيها بِفَيْكٍ تلكِ المعاقيلِ ، وأداء ما كان ضَمِيناً لأذفونش مِن الأموالِ

الجلال ؛ فضرب مُدِيرَهُمْ بِمُقْبِلِهِمْ ، وَلَتَى آخِرَهُمْ كَيْسَرُ أَوْلَهُمْ ، حَتَّى طَمِعَ فَقَبِرُهُمْ فِي غَنِيهِمْ ، وَاجْتَرَأَ ضَعِيفُهُمْ عَلَى قَوِيَّتِهِمْ ، وَأَصْبَحَ الرَّجُلُ مِنْهُمْ يَرْتَاغُ مِنْ ظِلِّهِ ، وَيَلْتَفِتُ وَإِنَّمَا هُوَ بَيْنَ أَهْلِيهِ . وَانْكَدَرُ أَذْفُونُشْ عَلَى طُلَيْطَلَةَ يَنْتَسِفُ مَرَّافِقَهَا ، وَيَقْعُدُ لِحَالِيَةِ أَهْلِهَا ثَنَائِيهَا وَمَضَائِقَهَا ، يَأْسِرُ وَيَقْتُلُ ، وَيَحْرَقُ وَيُمَثِّلُ . وَسَمَا السَّعَرُ ، وَتَفَاقَمَ الْأَمْرُ ، وَأُنْكِرَتْ الْمَوَارِدُ وَالْمَصَادِرُ ، وَبَلَغَتْ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرُ .

وَكَانَ مِنْ غَرِيبٍ مَا اتَّفَقَ [٧٥] وَعَجِيبٍ مَا انْتَضَمَ مِنْ ذَلِكَ وَاتَّسَقَ ، أَنَّ الْبِرَّ كَانَ عَلَى زَعْمِهِمْ يَمُكُّثُ عِنْدَهُمْ أَكْثَرَ مِنْ خَمْسِينَ سَنَةً لَا يُوَثِّرُ فِيهِ طَوْلُ الْقَدَمِ ، وَلَا يُخَافُ عَلَيْهِ آفَةُ الْعَدَمِ ، وَلَمْ يُرْفَعْ مُدَّةُ الْفِتْنَةِ مِنْ الْبِيَادِرِ - عَلَى تَعَذُّرِ بَذَرِهِ ، وَضَيْقِ الْحِيلَةِ عَنْ مَحَاوَلَةِ شَيْءٍ مِنْ أَمْرِهِ - إِلَّا وَقَدْ بَدَأَ الْبَلَى عَلَيْهِ ، وَأَسْرَعَتِ الْآفَةُ إِلَيْهِ ، أَمْرٌ مِنَ اللَّهِ لَمْ يَكُنْ لَهُ مَرَدٌّ ، وَلَا مِنْهُ بُدٌّ . وَلَمَّا شَمَلَ الْبَلَاءُ ، وَفَدَحَتِ الْبِأْسَاءُ ، وَاتَى عَلَى أَكْثَرِ أَهْلِ طُلَيْطَلَةَ الْقَتْلُ وَالْجَلَاءُ ، وَقَضَى الطَّاعِيَةُ أَذْفُونُشْ - قَصَصَهُ اللَّهُ - قِضَاءَهُ مِنْ اسْتِبَاحَةِ الْحَرِيمِ ، وَاسْتِثْنَالِ الرَّاحِلِ وَالْمُقِيمِ ، وَإِتْلَافِ الْمَوْجُودِ وَالْمَعْدُومِ . أَسْرَى تَحْتَ اللَّيْلِ ، فِي قِطْعَةٍ غَيْرِ وَافِرَةٍ مِنْ الْخَيْلِ ، فَتَزَلَّ الْمُنْيَةُ الْمَصُورَةُ الَّتِي كَانَ الْمَأْمُونُ يُحْشِدُ إِلَيْهَا كُلَّ حُسْنٍ ، وَيُبَاهِي بِهَا جَنَّةَ عَدْنٍ ، وَيُنْقَلِبُ الْحَوِيرَ فِي جَيْدِ بَنِيَانِهَا ، وَالْإِشَادَةَ بِشَانِهَا ، ظَهَرًا لِبَطْنٍ ، فَاتَّخَذَ عُرُوشَهَا مَرَابِطَ لَأَفْرَاسِهِ ، وَلِأَيَوَانَاتِهَا مَلَاعِبَ لَأَرَاذِلَتِهِ وَأَرْجَاسِهِ . وَهَجَمَ الشِّتَاءُ فَحَمَنَهُ مِنْ مِيرَةٍ تَأْتِيهِ ،

١ ص : الجور .

٢ ص : وأيواناتها .

أَوْ مَدَدَ يُوَافِيهِ ، فَأَقَامَ نَيْتَافاً عَلَى شَهْرَيْنِ لَا يُسْبِغُ الشَّرَابَ ، وَلَا يَمْلِكُ
 الْمَجِيءُ وَلَا الذَّهَابُ ، لَيْسَ لَهُ شَوْكَةٌ إِلَّا ظِلُّ لَوَائِهِ ، وَلَا مَدَدٌ إِلَّا
 ضَعْفُ مَنْ كَانَ بِإِزَائِهِ . وَلَوْ لَا اهْتِبَالُ مَأْوِكَ الطَّوَائِفِ بِإِقَامَةِ مَرَاْفِقِهِ ،
 وَإِصْغَاؤِهِمْ إِلَى مَدَرِ شَقَاشِقِهِ ، لَطَارَ شِعَاعاً ، وَذَهَبَ ضِيَاعاً . وَطَفِقَ
 أَهْلُ طَلِيْطَلَةِ يَسْتَصْرِخُونَ مَنْ حَوْلَهُمْ ، وَيُعْمَلُونَ فِي ذَلِكَ فَعْلَتَهُمْ وَقَوْنَهُمْ ،
 فَيَعْكِفُونَ عَلَى طَلَلٍ بَائِدٍ ، وَيَضْرِبُونَ فِي حَيْدِيدٍ بَارِدٍ . فَلَمَّا نَأَى الشِّتَاءُ
 بِجَانِبِهِ ، وَخَلَّتْ بَيْنَ كُلِّ ذَاهِبٍ وَمَدَاهِبِهِ ، مَالَ بِأَهْلِ طَلِيْطَلَةِ مَسِيلٍ
 لَا يَقُومُ لَهُ سَهْلٌ وَلَا وَعْرٌ ، وَطَلَعَ عَلَيْهِمْ لَيْلٌ لَا يَلُوحُ لَهُمْ فِيهِ صُبْحٌ
 وَلَا فَجْرٌ . وَاضْطَرَّ مَنْ أَخْطَأَتْهُ الْحَوَادِثُ ، وَتَحَطَّتْهُ تِلْكَ الْخُطُوبُ الْكَوَارِثُ ،
 — مِنْ أَشْدِّهَا ضَيْقُ الْحَصَارِ ، وَكَلَسُ الْبَيَّوَارِ ، وَإِطْءُ الْمُرَافِقِ وَالْأَنْصَارِ —
 إِلَى مُدَاخَلَةِ الطَّاعِيَةِ أَذْفُونَشٍ ، فَشَرَعُوا فِي ذَلِكَ غَيْرَ مُظْهِرِينَ لِلْإِسْتِسْلَامِ ،
 وَلَا مُتَبَرِّتِينَ مِنَ الصَّبْرِ عَلَى ضَنْكِ ذَلِكَ الْمُتَّقَامِ . طَمَعُوا فِي أَنْ يُغْرَوْهُ وَلَوْ
 بِأَغْلَاءِ سَوْمٍ ، وَيَخْدَعُوهُ عَلَى أَذْمَاءِ نَفُوسِهِمْ وَلَوْ بِبِيَاضِ يَوْمٍ ، إِمَارَةً
 الْغُرَيْقِ إِلَى السَّاحِلِ ، وَاسْتِرَاحَةً الْمُحْتَضَّرِ إِلَى الطَّبِيبِ الْجَاهِلِ ؛ فَأَبَى أَذْفُونَشُ
 إِلَّا عَرَصَةَ الدَّارِ . وَأَمَّ الْأَوْطَارَ ، وَجَلَّجَا بَيْنَ التَّمَادِي وَالِاسْتِمْرَارِ ،
 لَعَلَّمَهُ أَيْنَ يَنْتَهِي طَلْقُهُمْ . وَتَقْدِيرُهُ لَمَّا عَسَى أَنْ يَتَّقِيَ بِهِ رَمَقَهُمْ . فَخَرَجَ
 مِنْ أَعْيَانِهِمْ جُمْلَةً إِلَى مُضْرِبِ أَذْفُونَشٍ فِي بَعْضِ تِلْكَ الْأَيَّامِ . وَقَدْ ضَاقَ
 الْمَجَالُ ، وَتَلَحَّظَتْ الْأَجَالُ ، وَأَقْبَلَتْ الْحَتُوفُ تَحْتَالُ^٢ ، فَقَامَ الْحُجَابُ
 دُونَهُ ، وَقَالُوا : هُوَ نَائِمٌ فَكَيْفَ تَوْقُظُونَهُ ؟ فَعَمِدُوا إِلَى مُضْرِبِ شَشْنَنْدٍ ،

١ ص : مِنْ أَيْلِهَا .

٢ ص : تَحْتَلُ .

شره العتيد ، وشيطانه المتريد . وهامانه الذي أوقد له على الطين ،
 وعلمه الدفع بالشك في صدر اليقين ، أحد أعلاج ابن عباد - كان -
 من رجل متوقد جمره الذكاء ، بعيد المذهب بين الخوأة والنكراء ،
 سفير بين المعتضد والطاغية فردلند ، فعقد وحل ، ونهض بما حمل
 من ذلك واستقل . ثم خاف المعتضد على نفسه ، فنزع به عرق
 الدوم ، إلى المقر المذموم . واستقرت قدمه بحليقية ، فاضطلع بالدروب
 والثغور . وغلب على سائر السياسة والتدبير . وصار بعد قصارى
 ملوك الطوائف بالجزيرة نظرة من اهتاله ، وأدنى خطرة من باله .
 فأدخل على أذفونش يومئذ منهم جماعة فوجدوه يمسح الكرى من عينيه ،
 ثائر الرأس ، خبيث النفس ، وجعلوا ينظرون إليه وهو يصغث ثغامة
 رأسه . فما نسوا دفر أطماره ، ودرن أظفاره . ثم أقبل عليهم بوجه
 كربه ، ولحظ لا يشككون أن الشر فيه ، وقال لهم : إلى متى تتخاذعون ،
 وبأي شيء تطمعون ؟ قالوا : بنا بغية . [ولنا] في فلان وفلان أمنية ،
 وسموا له بعض ملوك الطوائف . فصفق بيديه ، وهافت حتى فحصر
 برجليه ، ثم قال : أين رسل ابن عباد ؟ فجاء بهم يرفلون في ثياب
 الخناعة ، ويتنيسون بألسنة السمع والطاعة . فقال لهم : منذ كم تحومون
 علي ، وترومون الوصول إلي ؟ ومتى عهدكم بفلان ، وأين ما جيشكم
 به لا كنتم ولا كان ؟ فجاءوا بجملة ميرة ، وأحضروا بين يديه كل
 ذخيرة خطيرة . ثم ما زاد على أن ركل ذلك برجليه . وأمر بانتهابه
 كله ، ولم يبق ملك من ملوك الطوائف إلا أحضر يومئذ رسله ،
 وكانت حاله حال من كان قبله . وجعل أعلاجه يدفعون في ظهورهم ،
 وأهل طائفة يعجبون من ذل مقامهم ومصيرهم ، فخرج مشيخة لها
 من عنده وقد سقط في أيديهم . وطمع كل شيء فيهم ، وخلقوا بينه

وبين البلد ، لثلاثة أيامٍ من ذلك المشهد . ودخل طليطلة على حكمه ، وأثبت في عرصتها قدماً ظلمه . حُكِّمَ من الله [٧٦] سَبَقَ بهِ القدر ، فلم يكن منه وزر .

وخرج ابنُ ذي النون خائباً مما تمنّاه ، شرقاً ببعقي لما جناهُ ، والأرضُ تَضِجُ من مقامه . وتستأذنُ في انتقامه ، والسماءُ تودُّ لو لم تُطْلَعْ نجماً إلا كدَرْتَهُ عبيدَ حَتَفاً مُبِيداً ، ولم تُنشِءْ عارضاً إلا مَطَرْتَهُ عذاباً فيه شديداً . واستقرَّ بمَحَلَّةِ أذفونش مخفور الذمّة ، مُذالَ الحرمة ، ليس دونه باب ، ولا دونَ حرَمِهِ سِتْرٌ ولا حِجَابٌ . حَدَّثَنِي مَنْ رَأَاهُ يومئذٍ بتلك الحال وبیده اصطرلابٌ يرصدُ فيه أي وقتٍ يرحل ، وعلى أي شيء يعول ، وأي سبيلٍ يتمثل ، وقد أطافَ به النصارى والمسلمون ، أولئك يضحكون من فعله ، وهؤلاء يتعجبون من جهله .

وعتاً الطاغية أذفونش - قصمه الله - حين استقراره بطليطلة واستكبر ، وأخلَّ بملوك الطوائف في الجزيرة وقصر ، وأخذَ يتجنى ويتعَبَّ . وطفقَ يتشوّفُ إلى انتزاعِ سُلطانهم والفراغِ من شأنهم ويتسبَّب . ورأى أنهم قد وقفوا دونَ مدّاه ، ودخلوا بأجمعهم تحت عصاه .

وولّى شِيشند المذكور تدبير طليطلة ، فهوّنَ عليهم الرزية ، وحبَّبَ إليهم إعطاءَ الدنيّة ، بما أراهم من سهولةِ مراميه . وبَسَطَ فيهم من عدلِ أحكامه ، حتّى استمال قُلُوبَ أعلامها ، وحبَّبَ التنصراً إلى عامةِ طغامِها ، وفجأ المسلمين من اختلافِ أهوائهم ، وتنصّرِ سفهائهم ، ما ضاقتْ عنه صدورُ الأيامِ ، واضطربتْ له قواعِدُ الإسلام . وقد كان من رأي شِيشند الإبقاءُ على أهلِ طليطلة ، وقال لأذفونش : لست

تجدُ بمنّ تَعْمُرُها ، ولا تَظْفَرُ بِعَاملٍ أَطوَعَ مِن ابنِ ذِي النُّونِ يَدَبَرُها ،
فَأَبى أَذفونش إِلاَّ لِحَاجاً فِي سَفْهِهِ ، وانْحِطَاطاً فِي حَبَلِ شَرِّهِ . فَلَمَّا تَهَيَّأَ
لَهُ مُلْكُهَا ، وانْقَرَفَ فِي يَدَيْهِ سِلْكُهَا ، قالَ لَهُ شِيشَنَنْدُ : اخْفِضْ جَنَاحَكَ
لأَهْلِهَا . واستَجَلِبْ جَالِيَتِهَا بِمَا تَمُدُّ مِنْ ظِلِّهَا . ولا تُلِجْ عَلَى مُلُوكِ
الْجَزِيرَةِ فَلَسْتَ تَسْتَفْغِي عَنْهُمْ ، ولا تَجِدُ عُمَلاً أَطوَعَ مِنْهُمْ ، فَإِنَّكَ
لِنْ أَيْتٍ إِلاَّ الإِلْحَاحَ عَلَيْهِمْ ، والتَّسَرُّعَ بِالْمَكْرُوهِ إِلَيْهِمْ ، نَفَرْتَهُمْ عَنْ ذِرَاكَ ،
وَأَحْوَجْتَهُمْ إِلَى مَدَاخِلَةِ سِوَاكَ . فَكَانَ مِنْ صُنْعِ اللَّهِ أَنْ اتَّهَمَ أَذفونش
يَوْمَئِذٍ مَنْحَاهُ ، وَخَالَفَهُ إِلَى رُكُوبِ هَوَاهُ ، وَشَرَعَ لَوَقْتِهِ فِي تَغْيِيرِ الْمَسْجِدِ
الْجَامِعِ بِهَا ، خَاتَمَةُ النُّوَابِ ، وَنَكْبَةُ الشَّاهِدِ وَالْغَائِبِ . فَقَالَ لَهُ شِيشَنَنْدُ :
إِنَّكَ إِنْ فَعَلْتَ أَوْغَرْتَ الصَّدُورَ ، وَأَبْطَلْتَ التَّنْذِيرَ ، وَسَكَنْتَ مَنْ
نَشِطَ ، وَقَبَضْتَ مِنَ انْبِسَاطِ ، فَشَمَخَ أَذفونش - لَعَنَهُ اللَّهُ - بِأَنْفِهِ ،
وَفَنَى مِنْ عِظْفِهِ ، وَأَصْغَى إِلَى طَنَانَةِ جَنُونِهِ وَسَخَفِهِ . وَأَمَرَ بِتَغْيِيرِ الْمَسْجِدِ
الْجَامِعِ يَوْمَ [. . . .] لِرَبِيعِ الْأَوَّلِ سَنَةِ ثَمَانٍ وَسَبْعِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ .
وَحَدَّثَنِي مِنْ شَهِيدٍ طَوَاغِيَتِهِ تَبْتَدِرُهُ ، فِي يَوْمٍ أَعْمَى الْبَصَائِرَ وَالْأَبْصَارَ
مَنْظَرُهُ ، وَلَيْسَ فِيهِ إِلاَّ الشَّيْخُ الْأَسْتَاذُ الْمَغَامِي آخِرُ مَنْ صَدَرَ عَنْهُ ، وَاعْتَمَدَهُ
فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ لِيَتَزَوَّدَ مِنْهُ ، وَقَدْ أَطَافَ بِهِ مَرْدَةُ عَفَارِيَتِهِ ، وَسَرَّعَانُ طَوَاغِيَتِهِ ،
وَبَيْنَ يَدَيْهِ أَحَدُ التَّلَامِذَةِ يَقْرَأُ ، فَكَلَّمَا قَالُوا لَهُ عَجَلْ ، أَشَارَ هُوَ إِلَى تِلْمِيزِهِ
بِأَنْ أَكْمَلْ ، ثُمَّ قَامَ مَا طَاشَ وَلَا تَهَيَّبْ ، فَسَجَدَ بِهِ وَاقْتَرَبَ ، وَبَكَى عَلَيْهِ
مَبَايَاً وَانْتَعَبَ ، وَالتَّصَارَى يَعْظَمُونَ شَانَهُ ، وَيَتَهَايُونَ مَكَانَهُ ، لَمْ تَمُتْ
إِلَيْهِ يَدٌ ، وَلَا عَرَضَ لَهُ بِمَكْرُوهٍ أَحَدٌ .

وَقَدْ حَدَّثْتُ أَنَّ شَيْعَةَ أَذفونش - لَعَنَهُ اللَّهُ وَبَدَّدَهَا - أَشَارُوا عَلَيْهِ
يَوْمَئِذٍ بِلَبْسِ التَّاجِ ، وَزَيَّنُوا لَهُ زِيَّ مِنْ سَلَفٍ بِالْجَزِيرَةِ قَبْلَ فَتْحِ الْمُسْلِمِينَ

١ ص : وَسَلَكَتْ .

إيتاها من أعلاج ، فقال : لا ، حتى أطأ ذروة الملك ، وأخذ قُرْطُبَتَهُمْ
واسِطَةَ السِّلَك . وكان أعدَّ لمسجدِها الجامع — حمى الله ساحته من
الخطوبِ الروائع — ناقوساً تأنق في إبداعه ، وتجاوزَ الحدَّ في استنباطه
واختراعه ، فالحمد لله مُوهِن أيدِه ، ومُبطِل كيدِه ، وجزى الله أميرَ
المسلمين ، وناصرَ الدِّين . أبا يعقوبَ يوسفَ بنَ تاشفين ، أفضلَ جزاء
المحسنين ، بما بلَّ من رماق . ونفّسَ من خِناق . ووَصَلَ هذه الجزيرةَ
من حَبْل ، وتجمَّع إلى تلبية دعائها واستنقاذ ما بها من حزنٍ وسَهْل ،
حتى [ثلَّ] عروشَ المُشركين . وظهرَ أمرُ الله وهُم كارهون ،
والحمد لله رب العالمين .

فصلٌ في ذكر الأديب الكامل أبي عبد الله محمد بن شرف^١

وسياقةُ جملةِ وافرةٍ من نظمهِ ونثرهِ

قال ابن بسّام : كان أبو عبدِ اللهِ بن شرفٍ بالقَيروان . من فرسان

١ له ترجمة في الصلة : ٥٤٥ والمطرب : ٦٦ ومعالم الإيمان ٣ : ٣٩ والخريدة (قسم المغرب)
٢ : ٢٢٤ ومعجم الأدباء ١٩ : ٣٧ والوافي ٣ : ٩٧ والفوات ٣ : ٣٥٩ والزرکشي :
٢٧٨ ومسالك الأبصار ١١ : ٢٣٨ وبغية الوعاة : ٤٧ وصفحات متفرقة في ج ٣ ، ٤
من نفع الطيب ، وعنوان الأريب ١ : ٥٦ وقد جمع الأستاذ الميمني بعض شعره في « التشف من
شعر ابن رشيقي وابن شرف » (القاهرة : ١٣٤٣) ونشرت له رسالة بعنوان اعلام الكلام
(الرسائل النادرة - القاهرة ١٩٢٦) وهي نفسها بعنوان مسائل الانتقاد في رسائل البلغاء
مع مقدمة ابن شرف : ٣٠٢ - ٣٤٣ (القاهرة : ١٩٤٦) وقد نشرها الأستاذ شارل
بلا ومعها ترجمة فرنسية (الجزائر : ١٩٥٣) وذكر ابن دحية (المطرب : ٩٦)
أن شعره في خمس مجلدات ، وانظر القسم الأول من الذخيرة : ٩١ (الحاشية : ٣)
حيث أشير إلى بعض مصادر ترجمته .

هذا الشأن ، وأحد من نظم قلائد الآداب ، وجمع أشات الصواب ،
وتلاعب بالمنظوم والموزون ، [تلاعب^١] الرياح بأعطاف الغصون ،
وبينه وبين أبي علي ابن رشيق ماج بحر البراعة ودام ، ورجع نجم هذه
الصناعة واستقام ، وذهبا من المناقضة مذهبا تنازعا شراً طويلاً ، وخلداه
ذكراً محمولاً ، واحتملاه — إن لم يسمع الله — وزراً ثقيلاً . وكان أبو
علي أوسعهما نفساً ، وأقربهما ملتصقاً ، ولابن شرف أصالة منزعه ،
وجلالة [٧٧] مقطعيه ، ومتانة لفظيه ، وسعة حفظه ، فتسمع بشعره
ملآن من وعوة وجعجعة ، ولكن ما أبعد ما يرومونه وأبدعه !
وسال سبيل فتنة القيروان ، اللاعب بأحرارها ، المعتقي على آثارها ،
فتردد على ملوك الطوائف بالأندلس ، بعد مقارعة أهوال ، ومباشرة
خطوب طوال ، وقد نبت شفرته ، وطفيت جمرته . وقد
قلت فيما تقدم إنه انتحى منحى القسطلي^٢ في شكوى الزمن ،
والحديث عن الفتن . كان معه كمن تصدى الرياح^٣ بجنح ، وقابل
الصباح بمصباح . واستقر أخيراً عند المأمون بن ذي النون ، فعليه خلع
آخر لبوسه ، ونثر بقية كيسه .

وكانت لعباد همة في اصطحاب الأحرار ، واستجلاب ذوي الأخطار ،
ينصب لذلك الحبال ، ويعمل فيه الحق والباطل ، حتى إذا عثوا إلى
سرجه ، واغترؤا بزبرجه ، سامتهم رد أبي قبيس^٤ على أبيه ، وأخذهم

١ زيادة من المسالك .

٢ يعني ابن دراج ، انظر القسم الأول : ٥٩ .

٣ المسالك : للرياح .

٤ كذلك هو أيضاً في المسالك ، والأصوب أن يكون بحذف « أبي » .

بالسعاية بين الفَرَقد وأخيه ، فمن أعياء منهم ركوب الصَّعاب ، وعَضَّة
التَّقَلُّبُ بين المضايق والرحاب ، عَزَّة في الخطاب ، وأطاع به سُلطان
الارتباب ، ﴿ أَيُصْبِحُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ ﴾ (النحل: ٥٩)
وقد ذكرت في أخبار ابن عبد البر الكاتب^١ أنه أنسل^٢ من يد عباد
انسلال الطيِّف ، ونجا منه وأسأله كيف : وكان ابنُ شَرَفٍ هذا ممن
فهِمَّ مَنَحَاهُ ، وصمَّ عن رُقاه ، فلم يَجْتَمِعْ مع عباد في صعيد ،
ولا أهلى له السلام^٣ إلاَّ من بعيد . وستأتي أخباره معه ومع سواه ،
مُحرَّرةً النقد ، مُقدَّرةً السرد .

ولأبي عبد الله عِدَّةُ تَواييف^٤ أفاضها بحارا ، وأطلعها شموساً وأقماراً ،
منها كتابُه الموسوم بـ « أعلام الكلام » وكتاب « أبكار الأفكار » وقلَّبت
له هذه الترجمة بإشيلية بعضُ الوزراء الكُتَّاب ، فجاء في ذلك بالعَجَبِ
العُجَاب . وقد أثبت في هذا الفصل من كلام ابن شرف ما يشهدُ بذكائه ،
ويُغني عن إطرائه .

جملة من نثره مع ما يتشبه به من شعره

بلغني أنه استنهض صاحبه ابنَ رَشِيق^٤ - مع منافرةٍ - كانت بينهما

١ انظر القسم الثالث : ١٢٥ وما بعدها .

٢ المسالك : ولا سلم عليه .

٣ يستفاد من كلام ياقوت (١٩ : ٤٣) أن أبكار الأفكار يحتوي مختارات من شعر ابن
شرف مع أن بسام سيورد قول ابن شرف (ص : ١٧٩) إنه يحتوي على مائة نوع من
مواظ وأمثال وحكايات قصار وطوال . وأن أعلام الكلام فيه فوائد لطائف وملح منتخبة ،
وأن رسالة الانتقاد مقامة نقدية . وذكرت له المصادر مؤلفات أخرى منها : رسالة ساجور
الكلب ورسالة نجح الطلب ورسالة قطع الأنفاس وغير ذلك (انظر الوافي والفوات) .

٤ ص : ابن شريق .

- في أن يجتمع العلوان بالطريق ، ويجوزا معاً إلى الأندلس. فأنشده ابن رُشيق:

مما يبتغني في أرضِ أندلسٍ سماعٌ مُقتدرٍ فيها ومُعْتَصِدِ
القابُ مملكةٍ في غيرِ موضعها كاهرٍ يحكي انتفاخاً صورة الأسدِ

فأنشد ابنُ شرف :

إن ترميك الغربة في معشَرٍ قد جُبِلَ الطبعُ على بُغْضِهِمْ
فدارِهِمْ ما دُمْتَ في دارِهِمْ وأرضِهِمْ ما دُمْتَ في أرضِهِمْ

وتَصَرَّفَ ابنُ شَرَفٍ في هذا المعنى فقال ٢ :

يا خائفاً من معشَرٍ لا يُصْطَلَى بنارِهِمْ
[إن تُبْلَ من شرارِهِمْ على يدي شرارِهِمْ] ٣
أو تُزَمَّ من أحجارِهِمْ وأنت في أحجارِهِمْ
فما بقيت جارِهِمْ ففي هَواهِمْ جارِهِمْ
وأرضِهِمْ في أرضِهِمْ ودارِهِمْ في دارِهِمْ

وكان أول ما بعث إلى المعتضد بإشيلية خمس قصائد من شعره مع
رقعة خاطب بها وزيره أبا الوليد بن زيدون ، يقول في فصل منها :

١ مجمع الأدباء ١٩ : ٣٨ وبيتا ابن شرف في المطرب والخريدة وانظر التتف : ١٠٣ والشريشي
٢ : ٢٥٨ ونسباً في الخريدة ١ : ٢٨٩ لعل بن فضال وفي الوافي (١ : ١٢٥) لأبي نصر

محمد بن محمد الرامشي وانظر الريحان والريهان : ١٤١

٢ منها ثلاثة في الخريدة وخمسة عند الصفدي ، وانظر التتف : ١٠٠ - ١٠١ .

٣ بياض بالأصل وزدته اعتماداً على المصادر .

الآدابُ - أعزَّكَ اللهُ - لأربابها ، كالمحارمِ لذوي أنسابها ، تبدي
 البِنتُ زينتها لأبيها ، وتُرفِ الأختُ لأخيها ، ولمنْ كان له في المحرَّمِ
 شبيها ، وكذلك حُكْمُ ذوي الآدابِ فيها ، يرفعون بينهم حُجْبَ التحفِطِ
 بيدِ الاسترسال ، ويدفعون سترَ التقبُّضِ بأكفِ البِشْرِ والإقبالِ . وقد
 رفعتُ إلى حضرة الرقيقة خمسين أبكارٍ عُرُبَ ، تخدمهنَّ وليدةٌ ذاتُ
 حُسنٍ وأدبٍ ، خصَّصتُ بالخمسين القرائضَ خيرَ المملوكِ ، وبالوليدةِ
 برَّ الحرِّ المملوكِ . وهنَّ وإن زدنَ على أربعِ الشَّرْعِ واحدة ، فليست
 في دينِ الشَّعْرِ بزائدة ؛ ولما جازَ أكثرُ من أربعٍ لخيرِ الأنامِ ، اقتدينا بذلك
 في خيرِ الكرامِ .

ولما كنتُ - أعزَّكَ اللهُ - حَسَّانَه المقَدَّم ، رأينا ما رآه صلى الله عليه في
 سيرين^١ . وقد كانت النية ، لو تمتْ الأمانة ، حُضورِي بذاتي ، لزَفافِ
 بُنيَّاتي ، فمَنَعَ من المُرَادِ مانِع ، ودَفَعَ بيدِ الأقدارِ دافِع . ولما صار
 الفِعلُ الماضي مُستقبلاً ، وبقيتُ للحاقِ مؤمِلاً ، وكَلْتُ مِن ذا مَحَرَمِيهِنَّ ،
 واثمنتُ عليهنَّ ابن [. .]^٢ وهو الشيخ أبو فلان . فللوزيرِ الأجلِّ
 علوُّ الرأي في قَبولِ ما عَرَضَه وليَّه المدلُّ على إِكرامه ومكارِمِ أخلاقه ،
 بما ينمُّ عليه من طيبِ أعراقه ، وَيَقُومُ بعُذري إن وَهَيْت ، وبِشكري
 إن فَهَيْت . فهو بدري إذا لَبِي عَسْعَسَ ، وشَمسي إذا صَبَحِي تَنفَسَ .
 وأنا وإن بعثتُ بالأقمارِ في الأطمارِ ، وبالشَّوْسِ في خَشَنِ الملبوسِ ،
 فهو بِرَفِقَةٍ ودقيقِ حَدَقِهِ يُلَطِّفُ الهَجْنَ ، ويُحَسِّنُ الخَشْنَ ، ويقدِّمُ

١ يشير إلى أن الرسول (ص) أعطى الجارية سيرين لسان بن ثابت .

٢ بياض بقدر كلمة .

في الغيبة ، ما يُعِين عند اللِّقاءِ على الهَيْبَةِ ، بقويٍّ مُنْتَبِهٍ ، وعَظِيمٍ
مُنْتَبِهٍ ، إِنْ شَاءَ اللهُ .

فأَجِيبَ ابنُ شَرَفٍ بِرَقْعَةٍ مِنْ إِنْشَاءِ الْوَزِيرِ الْكَاتِبِ أَبِي مُحَمَّدٍ بْنِ
عَبْدِ الْبَرِّ قَالَ فِيهَا : [٧٨]

رُبَّ أَمْنِيَةٍ شَطَطَتْ ، قَدْ أَتَاحَهَا قَدَرٌ ، وَنَجِيَّةٍ فَرَطَتْ ، قَدْ أَرَاحَهَا ظَفَرٌ .
وَقَدْ تَقَرَّبَ الْأَمَانِيُّ مَا يَظُنُّهُ الْمَرْءُ^١ نَازِحاً بَعِيداً ، كَمَا تُفَيْتُ مَا يَبْعَثُهُ^٢
حَاضِراً عَتِيداً . وَكَانَتْ أَخْبَارُكَ - أَبْقَاكَ اللهُ - تَرِدُ عَلَيْنَا أَرْجَةَ النَّسِيمِ ،
عَطْرَةَ الشَّمِيمِ ، شَهِيَّةَ الْمَسْمُوعِ ، رَفِيعَةَ الْمَحْمُولِ وَالْمَوْضُوعِ ؛ وَأَشْعَارُكَ
تَزِفُ إِلَيْنَا عَرَائِسَ الْأَلْبَابِ ، وَنَفَائِسَ الْأَدَابِ ، فَتُفْدِيكَ عَلَى الْبُعْدِ بِالْأَنْفُسِ
وَالْأَقَارِبِ ، وَتُسْتَدْنِيكَ بِالْأَمَانِيِّ وَنَحْسَبُهَا مِنَ الْكِتَوَازِبِ ؛ حَتَّى أَسْمَعَ
الْخَبْرُ بِأَغْتِرَابِكَ ، وَطَلَعَ الْبَشِيرُ بِأَرْتِقَابِكَ^٣ ، وَوَافَتْ وَرَادَ خِطَابُكَ ، وَقَهَقَهُ
مُجْلَجِلُ سَحَابِكَ ، وَتَصَدَّتْ بِحَارُ الطَّلَبِ لِسُقْيَاكَ ، وَنَمَتَ رِيَاضُ
الْأَدَبِ بِرِيَاكَ ، وَهَزَّ الْكَرْمُ عِطْفَهُ لِلْقِيَاكِ ، وَوَصَلَ الْمَجْدُ الْأَطْرَفُ طَرَفَهُ
بِرِعَاكَ ، وَجُلِيتْ عَلَيْكَ^٤ عَرَائِسُ الْحَالِيَةِ فِي مَعَارِضِ الشَّدْوِ وَالْإِنْشَادِ ،
فَسَعِيدَتْ مِنْ أَكْرَمِ الْأَكْفَاءِ بِالْقَبُولِ وَالْوَدَادِ ؛ وَحَظَّيْتُ عَنْدهُ بِالتَّرْفِيعِ
وَالْإِعْزَازِ ، وَوُضِعَ ثَوْبُهَا الْأَنْفُسُ فِي يَدَيَّ بِزَّازٍ . وَقَدْ اسْتَعْمَلْتُ مَعَكَ
فِي اسْمِ الْمُعْتَصِدِ بِاللَّهِ مُفَضَّلِكَ - أَيُّدُهُ اللهُ - مَذْهَباً مِنْ مَذَاهِبِ رُؤَاةِ
الْحَدِيثِ يُسَمُّونَهُ بِالتَّحْدِيسِ ، وَيَكَادُ يُنْسَبُ إِلَى الْإِشْكَالِ وَالتَّلْبِيسِ ،

١ ص : الأمر .

٢ ص : بارتعابك .

٣ ص : عليه .

للعليم المحيط أن الكرم من أسمائه وصفاته، والمجد من ألقابه وسماته :
 وسترد ، فتستقصيرُ وصفني بما تجيد . فاقصِدْ قصده ، تحلّ بظائل
 الإفادة ، وأمه وحده ، تحظّ بنائل الرفاة : ولا تبسّع في سوق
 الكساد فالنفاق^٢ أمامك ، ولا تسم ببضاعتك فالسوق قد أمك . واذكرُ
 ما أنكره ابن الزيات على حبيب ، وأنت المكتفي بحالك عن الضمير ،
 وبما حوّلَكَ الله عن المشير . فذاتك أنفع شفعائك ، وأدواتك أرجح
 سفرائك . وقد خاطبك مُستقداً ، وجدّ مُعترماً ، ووجه نحوكَ شيئاً
 يكون من زادك إليه ، ويُعينُ على مؤنة طريقك في قدومك عليه ، وذلك
 ثلاثون مثقالاً من ضرب السكة قبله ، ولم يُردّها بها غير ما أعلمك ،
 حتى توافي إن شاء الله فتستوفي . وعسى أن يكون وصولك إسفار الفجر
 الذي صدّعتهُ إلينا ، وحلّولك نهار الصبح الذي أطلّعتهُ علينا . وكان
 من البرّ أن أراجع عن الشعر ، لكن لا أخطو في ميدانك ولو كنتُ جريراً ،
 ولا أرجح في ميزانك ولو احتضنتُ ثبيراً .

قال ابن بسّام : والذي ذكر ابن عبد البرّ مما أنكر ابن الزيات على
 أبي تمام لما مدحه بقصيدته التي أوّلها^٣ :

• هان علينا أن نقولَ ونفعلًا •

١ ص : لعلم .

٢ ص : فالنفاق .

٣ ديوان أبي تمام ٣ : ٩٨ وعجز البيت ؛ « ولذكر بعض الفضل منك وتفضلا » وانظر
 أخبار أبي تمام : ١١٩ وابن بسّام يتابع زهر الآداب : ٣٣٦ - ٣٣٧ .

وهي من أحسن شعره ، وقع له على ظهرها ^١ :

رأيتك سهلَ البيعِ سمحاً وإنما يُغالي إذا ما ضنَّ بالشيءِ بائعُهُ
فأما إذا هانتَ بضائعُ بيعه فيوشكُ أن تبقى عليه بضائعُهُ
هو الماءُ إن أجممته طابَ وردهُ ويُفسدُ منه أن تُباحَ شرائعُهُ

فاعتذرَ إليه أبو تمام في قصيدته التي يقول فيها ^٢ :

أما القوافي فقد حصنتَ غرتها ^٣ فلا يُصابُ دمٌ منها ولا سَلَبُ
ولو عضلتَ عن الأكفاءِ أيتهمًا ولم يَكُنْ لك في أطهارها أربُ
كانت بناتُ نصيبٍ حين ضنَّ بها على الموالي ولم تحفيل بها العربُ

وقد قيل إنَّ أبا تمام أجابه بقوله :

أبا جعفرٍ إن كنتُ أصبحتُ شاعراً أسامحُ في بيعي له من أبايعُهُ
فقد كنتَ قبلي شاعراً تاجراً به تُساهلُ من عادتَ عليك منافعُهُ
فصرتَ وزيراً والوزارةُ مكرَّعٌ يَغصُّ به بعدَ اللذَّاذقةِ كارعُهُ
وكتمُ من وزيرٍ قد رأينا مُسلطاً فعاد وقد سُدتَّ عليه مطالعُهُ
ولله قوسٌ لا تطيشُ سهامُها ولله سيفٌ لا تُفلُّ مَقَاطِعُهُ

١ أخبار أبي تمام : ١٢٠ وزهر الآداب (حتى نهاية الخبر) .

٢ انظر الديوان ١ : ٢٥٨ .

٣ هذه الرواية ثابتة في الديوان وزهر الآداب ؛ ويروى أيضاً « عذرتها » .

٤ كان لنصيب - وهو شاعر أسود - بنات فكان يشع بهن على الموالي وتكره العرب أن

تزوجهن (شرح ديوان أبي تمام ١ : ٢٥٩ والمضائف والمنسوب : ٢٢٢) .

٥ ص : سوق .

وقيل إن هذه الأبيات منحوالة لحبيب ، وقيل قالها ولم تظهر إلا بعد موته .

رجع

فتوقف ابن شرف عن القدوم بقدومه ، وكلف ذلك سين قلتميه .
وطرر تأليفه « أبكار الافكار » باسم عبّاد ، وبعث به إليه على البعّاد . وقد
كان وسمه قبل باسم باديس بن حبّوس في خطبة طويلة قال فيها : ما
ظننت الابتداع إلا ببلغ ، ولا حسبت الاختراع إلا فترغ ، حتى إذا استأثرت
بنيات صدري ، ولطائف فيكري ، بيت واحد الجنسية ، ومعنى غريب
الأبنية ، قلت لنفسي : هيهات ! لاشك أنك سبقت إلى هذه الغاية ، وعلمت
قلة الرواية ، وكثرت سباق الرواد ، وفراط الوراد ، فما تركوا للمتأخرين
من الرياض زهرة ، ولا من الحياض قطرة ؛ كما أن جيش الكرم
قد انهزم ، وزائر الشرف قد انصرف ، ومركوب المجد قد ندّ ، فعشت
أظن هذا الظن ، حتى سافرت إلينا رفاق الأخبار بشهادات زكاها
مرور الأيام ، ودؤوب الدوام ، تشهد بسودد بان عن السودد العصامي ،
وحزم فاق الحزم الهشامي ، وجود جاوز الجود الكعبي ، وبأس أنسى
البأس المصعبي . ثم سقر لي الدهر عن سقر إلى مغرب [٧٩] الدنيا
ومشرق العلنيا ، والبقعة المباركة البادية ، والدولة المظفرية ،
والمملكة الشاحنة الحميرية ، والحضرة الشريفة المنيفة الغرناطية .
فعاشت عالماً في عالم ، قد شركوه في النسبة إلى آدم ، وانفرد من
مناسبتهم ، وشدّ عن مجانستهم ، بحميل طرائق . وحميد خلّاق ،

١ طرر : (بالهملة) أي جعل اسمه طرة ، وقد يمكن أن تقرأ « وطرر » .

انفردت انفراداً سهيلاً ، وجمعت في المرأى والمسمع ما زاد على زبد الخيل . مغرئ بالأدب المهجور بل المطرود ، سالياً عن المال المعشوق بل المعبود ، منفيًا للحمد الدفين^١ المرسوس إلى صنوف من الفضائل ، وأنواع من الجلائل ، لا يحيط بها الوصف ، ولا يجمعها الرصف ، يغني النقل الكافي والتواتر الإجتماعي عن تأنيتها على ألسنة الأقلام إلى أفهام الأنام . وقد قدحت زند الفكر فأورى شرراً ، وامتنحت^٢ قلب القلب فأجرى نهراً ، فرقت في هذا المجموع من الكلام المشور المسجع الأوساط والأطراف ، والمنظوم المكمّل بتيجان القوافي ، ما استنبطته من ذوات صدري ، واستنتجته من بنات فكري : فيقرأ ابتدعتها وسجعتها ، ومعاني حكايات اخترعتها ، تطرزها الأقلام ، وترقم بها أردية الكلام ، وأنا استغني بقراءة القارئ أصنافها ، عن أن أقدم أوصافها . وهي بنات مؤلفها ، وأسجاع مصنفها ، وليست كالأسجاع المنسوبة لابن أبي الزلازل^٣ ، وهي بنات شتى قبائل ، لم يزد على أن يتبرحكاياتها ، وطمس معالم آياتها ، ليصيح له ما شرط في السجع من الأعداد ، فأضاع ما يراد لصون ما لا يراد . وقد تجمّل بغير ثيابه ، وأنفق من غير اكتسابه ، وأنا أنشد قول أبي النجم^٤ :

١ ص : الدقيق .

٢ ص : وامتنحت .

٣ هو الحسين بن عبد الرحيم بن الوليد الكلبي أبو عبد الله (- ٣٥٤) كان كاتباً شاعراً وله مصنفات منها « أنواع الأسجاع » ابتداء بتأليفه في دمشق سنة ٣٤٣ وروى فيه عن شيوخه وغيرهم (معجم الأدباء ١٠ : ١١٨ وتهذيب ابن عساكر ٤ : ٣٠٦) .

٤ هو أبو النجم العجلي الراجز واسمه الفضل بن قدامة (انظر ترجمته في الأغاني ١٠ : ١٥٧ =

• أنا أبو النجم وشِعْري شِعْري •

وعلى أي حال كان مجنوعنا هذا ، فيشرفه شرف من له يجمع ،
وإلى يده العليّة يرفع ، فمستته يمتناه ، ولحظته عيناه . فلو كان
صمصام عمرو ليسواه ، ما انتهى من الذكر منتهاه ؛ ولولا حاجب
ابن زُرارة ما ذُكرت قوسه ، ولولا حبيب ما عُرف أوسه ، وإنما عُرف
الطور بالكلّيم ، وشرف المقام بإبراهيم .

ومِن كلامه في صدر كِتابيه المترجم : « أعلام الكلام » فصل
يقول فيه : قد أطلت الوقوف بالعُكوف ، على غير ما تصنيف ، في شتى
الأنواع ، فلم أرها إلاّ ولدًا عن والدٍ ، وطارقًا عن تاليدٍ ، فلا تكادُ تُريك
غريبة ولا شاردة إلاّ منقولة : « حدثني فلان ، وسمعتُ عن فلان » ،
والمؤلفون قصاص بأقلامهم ، وإن لم يتقصوا بكلامهم ، وقد تكرر
تواليهم على الأبصار والاسماع ، والمُكرّر ممْلُول بالإجماع ، وللتفَسُّ
صبابة بالغرائب ، وإن لم تكن من الأَطايِب ، لانفرادها عمّا ستمتته القلوب ،
وتجافّت به الجنوب ؛ إلاّ أن الابتداع والاختراع عليهما [باب ، بينه وبين
الاستطاعة حجاب . وقد كنتُ حاولتُ منه ما لم أسبقُ إليه ، ولم أجعل
سوى ناظري مُعيني عليه ، فصنفتُ الكتاب الملقب بـ « أبكار الأفكار » ،
يشتمل على مائة نوعٍ من مَواعظ وأمثال ، وحكايات قِصار وطِوال ، مما
عزوتها إلى من لم يحْكِكها ، وأضفتُ نسجها إلى من لم يحْكِكها ، قد طُرزت

= والخزانة ١ : ٤٨ والشعر والشعراء : ٥٠٢ ومعجم المرزباني : ٣١٠ والسمط : ٢٢٧ ،
وانظر هذا الشطر في الأغاني ٢١ : ٣٧١) .
١ ص : أطلب .

بِلَمَحِ الْجِدَّةِ وَالْهَزْلِ ، وَحُسْنَتْ بِمُقَابَلَةِ الضَّدِّ لِلْمِثْلِ ، لَيْسَ فِي ذَلِكَ
كَلَمَةً [رَوَايَةٌ] رَوَيْتُهَا عَنْ قَدِيمٍ وَلَا جَدِيدٍ ، وَلَا حُدُثَتْ بِهَا عَنْ قَرِيبٍ
وَلَا بَعِيدٍ . وَقَدْ رَفَعْتُ إِلَيْهِ الْبِكْرَ ، ابْنَةَ الْفَيْكُرِ ، فِي هَوْدَجِهَا الْفَرَجِ ،
وَجِلْبَابِهَا الْأَرْجِ ، وَأَنْتَ الْكُفُو الْكَرِيمُ ، وَأَشْرَفُ مَنْ أَهْدَى إِلَيْهِ الْحَرِيمُ ،
الَّذِي لَا يَتَشَوَّبُهُ التَّحْرِيمُ ، وَعَلَى كَرَمِكَ الْقَبُولُ ، وَمَا أَهْدَاهُ الْوُدُّ فَمَقْبُولُ :
فَلَمَّا وَصَلَ الْكِتَابُ وَالْحِطَابُ إِلَى الْمُعْتَصِدِ لَمْ يَجِدْ بُدْأً مِنْ إِنْفَازِ صَلَاتِهِ
إِلَيْهِ عَلَى الْبُعْدِ ، وَرَاجَعَ ابْنَ شَرْفٍ بِرُقْعَةٍ مِنْ لُتْشَاءِ ابْنِ عَبْدِ الْبَرِّ أَيْضًا ،
قَالَ فِيهَا : وَرَدَ كِتَابُكَ الْأَثِيرُ ، فَاقْتَضَيْتَ مِنَ النَّارِ الْبَيْدِيعَ ، وَالنَّظْمَ
الرَّفِيعَ ، مَا يَهْزُ أَعْطَافَ الضَّمَامِثِ ، وَيَسْرِي فِي حَوَاشِي الْخَوَاطِرِ ، وَتَتَلَقَّاهُ
النَّفُوسُ تَلَقِّيَ ارْتِيَاحٍ إِلَى بَدَائِعِهِ ، وَفَتْنَةً بِمَبَادِيهِ وَمَقَاطِعِهِ ، وَلَا غَرَوُ ،
فَإِنَّكَ عَلِمَ الْعِلْمُ الَّذِي لَمْ يَزَلْ يَحْوِي قَصَبَ السَّبْقِ فِي مِيَادِينِهِ ، وَيُهْدِي
الْيَانَعَ الْغَضَّ مِنْ رِيَاحِينِهِ . وَقَدْ كَانَ لِي نَزَاعٌ إِلَيْكَ ، وَحِرْصٌ عَلَيْكَ ،
وَتَصَوُّرٌ لِلْأَنْسِ بِكَ ، لَوْلَا مَنْ جَلَا لَكَ الْغَيْشُ فِي بَعْضِ النَّصِيحَةِ إِذْ
حَسَدَ ، وَلَمْ يَشْكُ فِيمَا تَرَدُّ عَلَيْهِ مِنْ صَلَاحِ الْحَالِ فَلَمْ يَأَلُ أَنْ أَفْسَدَ . وَلَا
بَدَأَ لِعَقَارِبِ الْحَسَدَةِ مِنْ دَبِيبٍ « وَمَا كُلُّ مُؤْتٍ نُصَحِهِ بِإِلْيَاسٍ »^١ وَلَكِ -
مَعَ تَوَقُّفِكَ ، وَأَنِّي سَلَكَتُ بِكَ مَقَاصِدُ تَصَرُّفِكَ - لَدَيْ الْمَحَلِّ الْكَرِيمِ ،
فَذَكَرْتُكَ فِي نَفْسِي الشَّاهِدِ الْمُقِيمِ .

وَتَأْدَى مِنْ قِبَلِ الْوَزِيرِ الْكَاتِبِ التَّأْلِيفَ الرَّائِقَ ، وَالتَّصْنِيفَ الْفَائِقَ ،
فَأَجَلْتُ نَظْرِي مِنْهُ فِي سِحْرِ إِلَّا أَنَّهُ حِلَالُ ، وَفَتَقَنْتُ بِهِ ثَبَجَ بَحْرِ إِلَّا

١ عجز بيت لأبي الأسود، ديوانه: ٣٣ (ط / ١٩٧٤ تحقيق آل ياسين) والمقد: ٥ : ٤٤٤
(وانظر تخريجه في الديوان) وصدرة: فما كل ذي لب (أو: نصح) بمؤتيك نصحه.

أنه زلال . ورأيت كيف تزحيم في العليسم بالمكنيب العمم ، وتأخذ^١ من
 البلاغة في المذهب الأمم . فما شئت من مثل سائر ، وبينت [٨٠]
 نادر ، وفقر محدوة^٢ بأمثالها ، ونكتة غريبة مضافة إلى أشكائها ،
 مما اتصلت به يد الإحاطة بصحة البراعة ، وتزيت ديباجة الطبع
 برقم الصناعة ، فهو مؤنسي ، وشغل مجلسي . وقد وجهت إليك
 مع الوزير المتقدم الذكر ، ما أحب أن تضع عليه يد الستر ، مكان
 لسان الشكر ، فإني أعلم أنه عدد يقصر عن قدرك ، ويقل في جنب
 اللازم لك ، وذلك مائة مثقال من ضرب السكة قبلي . فتفضل بقبولها ،
 والإعلام بوصفها .

قال ابن بسام : ومع وصول هذه الصلة إلى ابن شرف ، لم ينزل على
 ملوك الطوائف يومئذ يتطوف ويتنقل في الدول من منزل إلى
 منزل ، ومن بلد إلى بلد ، إلا حضرة المعتضد ، فإنه كان يخطبته
 وينشده :

أحبك في البتول وفي أبيها ولكني أحبك من بعيد^٣

وتوهم جملة أن بوادي إشبيلية تمساحاً من تماسيح النيل ، وجعل
 هجيراه بيتي أبي نواس حيث يقول^٤ :

١ ص : تزدهم . . . ويوخذ .

٢ ص : محدودة .

٣ قد مر تخريجه في هذا القسم ص : ١٥٦ .

٤ ديوان أبي نواس ٢ : ٩٩ (تحقيق فاجنر) .

أَضْمَرْتُ لِلنَّيْلِ هِجْرَانًا وَمَقْلِيَّةً إِذْ قِيلَ لِي إِنَّمَا التَّمْسَاحُ بِالنَّيْلِ
فَمَنْ رَأَى النَّيْلَ رَأَى الْعَيْنَ مِنْ كَتَبٍ فَلَا أَرَى النَّيْلَ إِلَّا فِي الْبَوَاقِيلِ^١

وقد حدثت أيضاً أنه خاطب المعتضد بهذه الأبيات^٢ :

أَنْ تَصِيدْتَ غَيْرِي صَيْدَ طَائِرَةٍ أَوْ سَعَتَهَا الْحَبَّ حَتَّى ضَمَنَهَا الْقَفَصُ^٣
حَسِبْتَنِي فُرْصَةً أُخْرَى ظَلَمْتَ بِهَا هَيَّاهُ مَا كُلَّ حِينَ تُمْسِكُنُ الْفُرْصَ
وِظَاهِرٌ حَسَنٌ أَيْضاً لِقِصَّتِهَا لَكِنْ لَهَا بَاطِنٌ فِي طَيِّبِهِ قِصَصُ^٤
لَكَ الْمَوَائِدُ لِلْقَصَادِ مُتْرَعَةً تُرْوِي وَتُشْبِعُ لَكِنْ بَعْدَهَا غِصَصُ^٥
وَلَسْتُ أَعْجَبُ مِنْ قَوْمٍ بِهَا انْتَشَبُوا لَكِنَّمَا عَجَبِي مِنْ مَعَشَرٍ خَلَصُوا^٦
وَلَمْ يَطِيبْ قَطُّ لِي مَنْ يَلِدُ وَلَا سَلَوَى إِذَا كَانَ فِي عُقْبَاهُمَا مَغْصُ^٧

قال هذا لتواتر الخبر عن المعتضد بازورار رُكْنِهِ ، وخُشُونَةِ
حَزْنِهِ ، فَأَضْرَبَ عَنْ ضَرْبِهِ ، وَلَمْ يَتَّعِزْ لِلشُّبْهِةِ فِي حَبَائِلِ نَشْبِهِ .
خَوْفًا أَنْ يورطَهُ الهَوَى فِي هَوَانٍ ، وَيَسْقُطَ الْعِشَاءُ بِهِ عَلَى سِرْحَانٍ^٨ ،
وَيَطِيحَ فِي جَمْلَةٍ مِنْ طَاحٍ عَلَى يَدَيْهِ مِنَ الْخُلَطَاءِ وَالنَّدَمَانِ .

١ البواقيل : الجرار بلغة القبط ، واحدها باقلة (الديوان) ؛ وفي شفاء الغليل « براقيل »
- بالراء - ونقل عن الصولي أن البراقيل سفن صغار ؛ قال : وقال علم الهدى في الدرر
(أمالي المرتضى ١ : ٥٩٦) إنما هو جمع براقال وهو كوز من الزجاج وما ذكره الصولي
وهم منه ؛ قلت : وفي أمالي المرتضى : بواقيل - بالواو - ومفردها « بوقال » وتعريفه « آلة
على هيئة الكوز معروفة تعمل من الزجاج وغيره » . وعلى هذا فإن وروده بالراء المهملة
في شفاء الغليل تصحيف . وعند دوزي « Cruche » وهي جرة ذات عروة ، واللفظة
مأخوذة من الاغريقية « Baucalis » ؛ وانظر الشريشي ٢ : ٣٨٤ .

٢ ورد منها أربعة أبيات في المسالك ١١ : ٢٣٩ .

٣ قد مر هذا المثل كثيراً في الأقسام السابقة ، انظر مثلاً ١ : ٤٩٠ ، ٣ : ١٢٥ .

٤ ص : والندماء .

فصول من نثره في أوصاف شتى

فصل : جَرَى بِكَوْدَ نِهْ إِلَى غَايَةِ تَتْبَاطُ عَنْهَا السَّوَابِقُ ، وَتَتَطَاطُ عَنْ سُمُوتِهَا
السَّوَابِقُ ، فَلَمْ يُحِطْ بِوَصْفِهَا ^١ ابْنُ صَفْوَانَ ، وَلَا مَسَحَبَ فِيهَا لِسَانَهُ ^٢
سَحْبَان . وَأَيْنَ لِسَانُ بَاقِلٍ ، مِمَّنْ سَحْبَانٍ وَأَثِيلٌ ؟ فَالْفُصْحَاءُ فِي الْعَجَزِ
عَنْهَا مَعْدُورُونَ ، فَكَيْفَ الْمُعْدَرُونَ ؟

فصل : كَمْ حَاوَلَ دَقْنُ الشَّمْسِ فِي الرَّمْسِ ، وَرَدَّ الْأَمْسَ بِالْخَمْسِ ،
وَنَيْلَ النَّجْمِ بِاللَّمْسِ .

فصل : أَوْضَحُ مِمَّنْ جِبَالُ تِهَامَةَ ، لِيَعْنِي زَرْقَاءُ الْيَمَامَةِ . أَشْهُرُ مِمَّنْ
النَّارُ عَلَى الْمَنَارِ ، وَاللَّيْلُ كَالْقَارِ . أَبْيَنُ مِمَّنْ الْكَعْبَةُ لِلطَّائِفِينَ ، وَمِمَّنْ
الْمَسَاجِدُ لِلْعَاكِفِينَ . أَشْهُرُ مِمَّنْ الزَّبْرَقَانُ عِنْدَ جَرَّوَالٍ ، وَمِمَّنْ الْأَبْلَقُ الْفَرْدُ
عِنْدَ السَّمَوَالِ . أَظْهَرُ فِي الْعَيْنَيْنِ مِمَّنِ الْهَرَمَيْنِ . أَشْهُرُ فِي الْعَطَاءِ مِنَ الطَّائِي ،
وَفِي الْإِيَادِي مِنَ الْإِيَادِي . أَشْهُرُ مِنَ الْآسِ فِي الْأَعْرَاسِ . أَوْضَحُ مِمَّنِ النُّجُومِ
لِبَطْلِيمُوسَ ، وَالطَّبَّ الْجَالِينُوسَ ، وَالْعَاجِ فِي الْآبَنُوسِ .

فصل في ضده : هُوَ أَخْفَى مِمَّنْ نَقْطَةُ الْجَحِيمِ ، وَمِمَّنْ بَيَاضُ الْمَيْمِ . أَخْفَى
مِمَّنِ الْأَسْرَارُ عِنْدَ الْأَحْرَارِ . أَخْفَى مِنَ السَّهْمِ ، وَمِنْ دِلِ الرَّهْأِ - الرَّهْأُ مَدِينَةُ

١ ص : بصفوها .

٢ ص : لسان .

بالشام وكان أهل الإنجيل يخفون هذا المندبل في كنيستها ويَزعمون أنه
مندبل عيسى ثم سُرِقَ واشترى فعُدِمَتْ بركته - . أخفى من نقس
الجبان [إذا التقت] ١ حلقنا البطان . أخفى من بيضتي الخائف ، وقد
أحسن بالطائف . أخفى من تفسير شيعر لبيد ، على فهم البليد : أخفى
من عطارِد على المطارد . أخفى من السوسة في العود ، ومن السر في
الرعود .

فصل : قدحُه ٢ مبعثي ، وسيفُه مجلتي ، ورياضُه أرجية ، وحلله
مدبجة ، وطباعه مهذبة ، وخلائقه مؤدبة ، وعقدُه مؤرَّبة ، وأرضه
مُعشبة ، وألفاظه رائقة مُعجبة . لا يملَه جليسه ، ولا يجفوه أنيسه .
عقله أحنفي ، وعلمه سرنجي ، وذاؤه لباسي ، وأدبه خليي .

فصل : يُقدّم الحزم ، ويثني بالعزم . يواكب الكواكب ، ويتعقب
العواقب ، يشاور ذوي الألباب ، على أن رأيه لئباب ، يشب وثوب
الليث ، ويتدفق دُفوق ٣ الغيث ، ويرauh بين العجل والريث :
تومه غيرار واضطرار ، وحاجاته سِرار ثم اقتدار . لا تثبطه الظلل ولا
الظلال ، ولا تطيبه الكلل ولا يثنيه الكلال . عزماته شهابية ، وإضباباته
عقابية . رأيه قبسه ، وعزمه فرسه . بصيرته بصره . وصدّره وردّه
وصدّره .

١ بياض في ص .

٢ ص : قد حمل .

٣ ص : ويتوقف وقوف .

٤ ص : ويرauh .

فصل : هَرَمُ الجود ، على العِلَّاتِ والوجود . كَفَهُ غَيْثٌ . لا يَبَالِي من حَيْثُ . مَالُهُ أَكْثَرُ جودِهِ . على جُنُودِهِ . أَغْنَى جيشُهُ^١ . لَذَّاتِهِ في الإكثار والإيثار ، والأخذِ بالثَّار . يَزِيحُ الأغلال ، وَيَبْلُغُ الآمال . يَحْدُثُ بِمَكَارِمِهِ الرِّكَب ، وَيُنْسِي بِفِرْطٍ مَسَاحِهِ حَاتِمٌ وَكَمَبٌ .

فصل [٨١] : أَسَدٌ وَحده ، ودَعَجَ جندَهُ . قَلْبُهُ يَخْرِجُهُ عن القَلْبِ ، وَضَرَابُهُ تَقْتَادُهُ إلى مكانِ الطَّعْنِ والضَّرْبِ . يَحْمِلُ إذا مَالُوا ، وَيَثْبُتُ إذا جَالُوا . تَارَةٌ هُوَ لِلْمَيْسَرَةِ يَمِينٌ ، وَتَارَةٌ لِلْمَيْمَنَةِ كَمِينٌ . وَتَارَةٌ لِلْقَلْبِ حِصْنٌ حَصِينٌ ، تَسْتَأْسِدُ بِهِ الذُّوبَانُ ، وَيَتَشَجَعُ بِقُرْبِهِ الْجَبَانُ ، عِيُونُ عَسْكَرِهِ ، إلى مِغْفَرِهِ ، تُعَلِّي السَّهَامَ . عَبَسِي الإِقْدَامَ ، بِسَطَامِي المِرْبَاعِ ، عَامِرِي الطَّبَاعِ ، عِصَامِي السِّيَادَةِ ، مُنْصَعَبِي الحِلَالَةِ .

فصل : عَادِلٌ وَلَا مُجَادِلٌ ، مُنْصَفٌ مُنْتَصَفٌ . سُلْطَانُهُ رَحِمَةٌ ، وَسِيرَتُهُ نِعْمَةٌ . يَأْخُذُ الْحَقَّ وَيُعْطِيهِ ، وَيُرْمِي الْغَرَضَ فَلَا يَحْطِيهِ . يُنْصَفُ الْمَمْلُوكُ من المَمْلُوكِ ، وَيَأْخُذُ للرَّئِيسِ من الصَّعْلُوكِ . مَرْفُوعُ الْحِجَابِ ، مَنْزُوعُ رِداءِ الإِعْجَابِ . يُتَّقِيْمُ الْحَقَّ على شَقِيقِهِ ، وَيَحْكُمُ بِالْعَدْلِ لِعَدُوِّهِ على صَدِيقِهِ ، سَوَاءٌ عِنْدَهُ الْبَعِيدُ وَالْدَانِي ، وَالْقَحْطَانِيُّ وَالْعَدْنَانِيُّ ، سَيِّئَانِ عِنْدَهُ الْقُرْشِيُّ فِي الْحَقِّ وَالْعُكْلِيُّ ، وَالْعَنْسِيُّ وَالسَّلُولِيُّ ؛ لَا فَرْقَ عِنْدَهُ بَيْنَ مُضَرٍّ فِي الْحَقِّ ، وَحِمِيٍّ وَسَائِرِ الْخَلْقِ . الْغُرْبَةُ عِنْدَهُ قُرْبَةٌ قَرِيبَةٌ . مَا لَمْ تَصْحَبْهَا رِيْبَةٌ . لَا يَغْلُو فِي الْهَاشِمِيَّةِ . وَلَا يَعْدُو عَلَى الْأُمَوِيَّةِ ، وَلَا يَلْتَفِتُ

١ كذا وردت هذه العبارة ولعلها : ملك : أكثر جوده ، على جنوده ، أغنى جيشه [وملك عيشه] .

إلى الأهاجي الباهليّة . (سلول وعَنَسْ وعُكُل وباهليّة الأُمُ قبائل العرب .
وقيل إنّ سبب ذلك أن الشعراء هَجَّتْها ولم يكن لهم شعراء يذبّون
عنها فلبسهم الذمُّ وأكلهم الهجاء .)

فصل : أمير يأمره حليمه فيطيع ، ويحمّله ما لا يُستطاع فيستطيع :
كم أعطي الظفّر فغفّر ، وجرّع الصبر فصبر . له حليمٌ معاوية ، على
الأعداء العادية . له ثيابٌ يلملمهم ، وتختكُ الجذعِ الأزلَمُ^١ . قلبه
قليبٌ واسع ، وغوره بعيدٌ شاسع .

فصل : وزيرٌ يُنمِّمُ أميره ، مستوطناً سريّره . متحرّكٌ وهو قارٌّ ،
ويُرى جالساً وهو مارٌّ ، كالنجمِ يرى وهو ساكن . وقد تحرّكت به أماكن .

فصل : كاتب ، فيضلهُ راتب ، وحقّه واجب . أقلامه رِماح ، ورسائله
صفاح ، وألفاظه فصاح ، وأخلاقه فساح . إن قمرطسَ أصاب ، وإن سئل
أجاب ، وأصابَ عينَ الصواب . لسانه لسانُ المُلْك ، ومكانه واسطة السِّلْك .

فصل : قائدٌ عليه عبءُ التّعويل ، في أوّلِ الرّعيْل ، إذا الصبرُ عيْل ،
لا يُبْالِحُ ما حمى^٢ ، ولا يُشوي إذا رمى . عودٌ إذا زحف ، وطودٌ إذا
وقف ، وسيمِلُ إذا حمل ، وكتيبةٌ إذا اعتزل . حُسامه إمام^٣ ، يهدي
في ظُلْمةِ القَتام ، ويهتدي إلى مسالكِ الحمام . لا تردّعه لامةُ السيوف ،
ولا تُفزعُه مُصارعةُ الختوف . رِماحُه نجومٌ ظلامِ القَتام ، ونجومُه

١ ص : الألزم .

٢ ص : أمانه .

رُجُومُ شياطين الأنام . لا تُرد حاجات مواضيه ، ولا تمطله عند تقاضيه ،
المغافر المتينة ، ولا الدروع الموضونة .

فصل : قاضٍ يشهد له عدله ، أن غيله سريع حله . يقسم نظره
بالقيسطاس ، بين جميع الناس . حفيظ رسالة عمر ، وعمل فيها بما نهي
وأمر . لا يتبع القضايا بالهدايا . به عشا ، عن الرشا . ينال الحصان ،
وهو يقظان . إن عجل فعن استدلال ، وإن عجز فليتمل إشكال .
سريحي الإجابة ، عيماني الإصابة .

فصل : زهادٌ تركوا العراض ، وأصابوا الغراض . اقترحوا الغنا ،
واطرحوا الغنى . رفضوا المزابل ، وطلبوا الطایل ، وأعرضوا عما
يبید ، وأقبلوا على ما ينفید^٢ . لم يزاحموا على الجيف ، ولا استخدموا
بطونهم في تعمير الكنف . تركوا ذلك ليمن تركوا ، وقنعوا بأقل
ما ملكوا ، وجعلوا الزاد إلى الجنة ، الأنة بعد الأنة ، وظمأ الهواجر ،
في شهر ناجير . فكثروا فيكثروا . علموا فتسليموا من العقال ، وتركوا
الأعناق^٣ لحمل الأثقال . رجوا فتنجوا ، وبنوا فعدوا ، ومهدوا
فترقدوا ، وعملوا فوجملوا .

وذكرت بهذا الفصل حديث أبي هريرة قال : قال لي رسول الله
عليه السلام : « يا أبا هريرة ألا أريك الدنيا جمعاء بما فيها ؟ قلت : بلى

١ ص : ان عجز . . . وان جبل .

٢ ص : يعيد .

٣ ص : أعناق .

٤ الشريحي ٥ : ١٦ .

يا رسول الله . فأخذ بيدي ، وأتى وادياً من أودية المدينة ، فإذا مزابلة فيها رؤوس وعذرات في خرق وعظام ، ثم قال : يا أبا هريرة ، هذه الرؤوس كانت تحرس كحريصكم ، وتأمل آمالكُم ، ثم هي اليوم عظام بلا جلد ، ثم هي صائرة رماداً . وهذه العذرات ألوان أطعمتهم اكتسبوها من حيث اكتسبوها ، ثم قذفوها من بطونهم ، فأضحت والناس يتحامونها . وهذه الخرق البالية كانت ريشهم ولباسهم ، أصبحت والرياح تصفقها . وهذه العظام عظام دوابهم التي كانوا ينتجعون عليها أطراف البلاد . فمن كان باكياً على الدنيا فليبك . قال : فما برحنا حتى اشتد بكاؤنا .

ووقف سقراط على كتاح وقد خرج من الحشر بكساحة فقال : يا أهل أثينا ، هذا الذي كنتم تغلقون عليه الأبواب ، وتقيمون لحفظه الخزان ، وكانت شهواتكم تستخدم عقولكم في إعداده ؛ واليوم نفوسكم آفة منه [٨٢] وطباعكم نافرة عنه .

فصول له في الذم ونقض ما تقدم

فصل : فلان غوره أقرب قريب ، وقتله مؤرود القلب ؛ فسأله مكشوفة ، ودخلته معروفة ، كتمانته إخبار ، وتدبيره إدار ، رأيه وراء ، وسأله عراء ؛ حسه هامد ، وفهمنه جامد ؛ لا يعرف

الرُّشْدَ مِنَ الْغَيِّ ، وَلَا يُفَرِّقُ بَيْنَ التَّقْبِيلِ وَالْكَبِّ . طَلَّلُ بَال ، لَا يَخْطُرُ
عَلَى بَال . الشَّمْسُ عِنْدَهُ سُهَى ، وَالْحُمُقُ نُهَى . لَا يَعْلَمُ رَأْسُهُ ، مِمَّنْ
أَيْنَ أَنْفَاسُهُ ؛ وَلَا يَدْرِي دِمَاعُهُ ، أَيْنَ أَصْدَاغُهُ .

فصل : هَمَّةُ جَوَازِ يَوْمِهِ ، وَحَلَاوَةُ نَوْمِهِ . أَعْلَى هِمَّتِهِ ، لِأَرْجَالِ
جُمَّتِهِ ، وَاعْتِدَالُ عِمَّتِهِ ؛ وَأَسْرُ سُرُورِهِ ، تَنَاهِي قُدُورِهِ ^١ ، وَتَبَرُّوقُ
خُمُورِهِ . أَعْدَاؤُهُ سِمَانٌ ، فِي أَمَانٍ ؛ وَأَوْلِيَاؤُهُ فِي هُزَالٍ ، وَانْتِظَارِ
النِّكَالِ . حَسَنُ الظَّنِّ بِالزَّمَانِ ، وَضُرُوبُ الْحَدَثَانِ . رَائِحُ الْقَرَائِحِ ،
سَاكِنُ الْجَوَارِحِ ، مَسْرُورٌ مَغْرُورٌ ، ثَانِي الْعِطْفِ عَنِ النَّاصِحِ ، مُتَعَامٍ
عَنِ الْأَمْرِ الْوَاضِحِ . مُسْتَعْنٍ بِعَبْدِهِ ، عَنِ جُنْدِهِ . مُتَشَاغِلٌ بِالْأَنْيَابِ
الطَّاحِنَةِ فِي فَمِهِ ، عَنِ الْأَنْيَابِ الْوَالِغَةِ فِي دَمِهِ . يَتَنَامُ عَنِ مُسْهِرَاتِ
الْأَنَامِ ، وَعَنِ جَسَبِ الْغَارِبِ وَالسَّتَامِ . فَيَكْرَهُ سَاهِيَةً ، وَخِدَاطِيرَهُ لَا هِيَةَ ،
وَقَوَاعِيدُهُ وَاهِيَةً ، حَتَّى تَبْغِيَتْهُ الدَّاهِيَةُ .

فصل : يَتَجَوَّدُ الْجَلْمُودُ ، وَلَا يَتَجَوَّدُ ، وَيَعُودُ إِلَى إِثْمَارِهِ يَابِسُ الْعُودُ ،
وَهُوَ لَا يُبْدِي وَلَا يُعِيدُ . كَيْسُهُ مُغْلِقٌ ^٢ ، وَبَنَانُهُ مُطْبِقٌ ، وَدَارُهُ سَحْلِقٌ ،
وَجَيْشُهُ مُمْلِقٌ ، وَمِيزَانُهُ حَبِيسٌ ^٣ لَا يُطْلِقُ . كِفَّتَاهُ ^٤ كَكْفِيَّتِهِ لَا
تُذْيِبُهُمَا ، النَّارُ ، وَلَا يَعْرِفَانِ الدَّرْهَمَ وَلَا الدِّينَارَ . وَأَكْيَاسُهُ كَالنَّقْدِ ،
قَدْ خَنَقَتْهَا الْعُقْدُ . يَدُهُ حَافِرٌ وَقَاحٌ ، وَقُفْلُهُ لَيْسَ لَهُ مِفْتَاحٌ . تَعَرَّ

١ ص : قُدُورِهِ .

٢ ص : مغلِق .

٣ ص : كَفْتِيهِ .

٤ ص : تَذْيِبُهَا .

الأيام ، ولا يُشتمُّ له طعام : لو مَلَكَ طوفانُ نوح ، لم يَسْمَحْ منه بشربةٍ .
لظمانٍ مَجْرُوح .

فصل : هو يومَ المِطَاعِنَةِ ، وَلَدُ المِلاعِنَةِ . لا حَسَبَ يُقَاتِلُ عَنْهُ ،
ولا نَسَبَ يَسْتَحِي مِنْهُ . يَرَاةٌ تَرَعْدُ . وتقوم وتَقْعُدُ . إذا الحَرْبُ
دَعَتْ أَبْطالها ، وزَلَزَلَتْ الأَحْشَاءُ زِلْزَالها ، نَحَبَ ما بَيْنَ جَنْبَيْهِ ، وغاب
السَّوَادُ^١ مِنْ عَيْنَيْهِ : مَهْزَمَةٌ بِخُودِهِ ، وَمَهْدَةٌ لِعُدَّتَيْهِ وَعَدِيدِهِ : يوسعُ
أَعْذارَ الفِرارِ ، ولا يَرى على الجُبْناءِ مِنْ عارٍ . بَيْسَناهُ في أوَّلِ الرَّعِيلِ
ضاربٍ^٢ . إذا به وَراءَ السَّاقَةِ هاربٍ . يَرْحَفُ عِنْدَ الزَّحْنَفِ ، إلى
خَلْفٍ ، وَيَرَوْعُهُ الْوَاحِدُ وهو في أَلْفٍ . لو كان سُورَ مَدِينَةٍ لَسارٍ ،
ولو رُبِطَ إِلَيْهِ الطُّورُ لطار . إِنَّ هَذَا في الحَرْبِ مِنْ بَنِي الْعَنْبَرِ ، وَأَدْهَشُ
مَنْ مُسْتَطْعِمُ المَاءِ على الْمِنْبَرِ . إذا ثارَ الْقَتَامُ ، سَقَطَ مِنْ كَفِّهِ الْحَسَامُ .

وخبِرُ بَنِي الْعَنْبَرِ ، أشهرُ مِنْ أَنْ يُذْكَرَ ، وَقُرَيْطُ مِنْهُمْ ، ولَمَّا
اسْتَنْجَدَهُمْ فَلَمْ يُنْجِدُوهُ قال^٣ :

لَكِنَّ قَوْمِي وَإِنْ كَانُوا ذَوِي عَدَدٍ لَيْسُوا مِنَ الشَّرِّ فِي شَيْءٍ وَإِنْ هَانَا
يَجْزُونَ مِنْ ظُلْمِ أَهْلِ الظُّلْمِ مَغْفَرَةً وَمِنْ إِسَاءَةِ أَهْلِ السُّوءِ إِحْسَانًا
كَانَ رَبُّكَ لَمْ يَخْلُقْ لِيخْشِيَتِهِ سِوَاهُمْ مِنْ جَمِيعِ النَّاسِ إِنْسَانًا

وَمُسْتَطْعِمُ المَاءِ على الْمِنْبَرِ خَالِدُ الْقَسْرِيِّ عَامِلُ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ

١ ص : السَّوَادُ .

٢ ص : يضرب .

٣ هو قريظ بن أنيف ، وقصيدته هي الأولى في ديوان الحماسة .

الملك على العراق . دَهْشَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فِي حَرْبِ الْخَوَارِجِ وَهُوَ عَلَى الْمَنْبَرِ ، فَقَالَ : أَطْعِمُونِي مَاءً^١ ! فَقِيلَ فِيهِ :

هَتَفْتِ بِكُلِّ صَوْتِكَ أَطْعِمُونِي شَرَاباً ثُمَّ بُلْتِ عَلَى السَّرِيرِ

فصل : أَضَرَّهَا عَلَى الْأَنَامِ ، عَلَى قَدِيمِ الْإِيثَامِ ، الْعَصَبِيَّةُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَالْإِسْلَامِ . فَمَا لِهَذَا السَّلْطَانِ ، وَخَرَابِ الْأَوْطَانِ ؟ وَالْعَصَبِيَّةُ تُفْسِدُ بَيْنَ الْأَوْلِيَاءِ ، وَتَكْثُرُ فِي الْأَدْعِيَاءِ . وَأَبُو نُؤَاسٍ كَانَ أَشَدَّهُمْ فِيهَا قَوْلًا ، وَهُوَ قَيْنٌ مَوَلَى ، تَعَصَّبَ لِلْيَمَنِ عَلَى مُضَرٍّ لِكَوْنِ سَعْدِ الْعَشِيرَةِ مِنَ الْيَمَنِ وَهُمْ مِنْ مَوَالِيهِ ، فَهَجَا قِبَائِلَ مُضَرٍّ ، وَغَضَّ مِنْ قُرَيْشٍ ، هَذَا وَهُوَ مَوَلَى مُلْصَقٍ ، وَلَيْسَتْ سَعْدُ الْعَشِيرَةِ لَهُ بِعَشِيرَةٍ ، بَلْ لَهَا مِنْهُ الْجُرِيرَةُ .

سُلْطَانٌ يَشْتَرِي بِدِينِهِ وَدَمِهِ ، رِضَى ابْنِ عَمَتِهِ . خَاسِرُ التَّجَرُّ ، مَحْرُومُ الْأَجْرِ ، لَا يُسَاوِي بَيْنَ أَهْلِ الْقَبِيلَةِ وَهُمْ سَوَاءٌ ، وَلَا يَتَّكَافَأُ عِنْدَهُ الْمُسْلِمُونَ وَهُمْ عِنْدَ [الله] ^٢ أَكْفَاءٌ . وَجِبِلَّةُ التَّفَاوُتِ أَفَاتَتْ جِبِلَّةَ الرُّشْدِ ، وَحِمِيَّتُهُ أَحْمَتْ عَلَيْهِ دَارَ الْخُلْدِ . تَعَصَّبُ جَاشَتْ لَهُ صُدُورُ الْجَيْشِ ، وَتَكَدَّرَ بِهِ صَفَاءُ الْعَيْشِ . وَلِلْمُسَاعَدَةِ فِي الْعَصَبِيَّةِ طَارَتْ الرُّؤُوسُ وَالسَّوَاعِدُ ، وَتَهَدَّمَتِ الذُّرَى وَالْقَوَاعِدُ ، وَحَالَفَتْ رَبِيعَةُ الْأَبَاعِدُ .

فصل : قَدِيمَتُهُ سَمِي بوزير ، مَنْ شَغَلَهُ الْبَسْمُ وَالزَّرِيرُ . يُعْجِبِيهِ النَّهْوُ ،

١ الأغاني ٢٢ : ٢٠ .

٢ ص : وهم عنده .

وَيَغْلِبُهُ السُّهُو . دَمَارُ مَنْ [أوى] إليه ، وَبَوَارُ مَنْ عَوَّلَ عَلَيْهِ . إِنْ دَبَّرَ أَذْبَرَ ، وَإِنْ تَرَكَ هَلَكَ . خِدْنُ لَوَاعِيْبٍ ، وَزِيرُ كَوَاعِيْبٍ . لَيْلُهُ نَاعِيسٌ ، وَنَهَارُهُ بَالِيسٌ . لَمْ يَعْطَقْ بِهِ مِنْ الْوَزَارَةِ ، إِلَّا ^١ حُسْنُ الشَّارَةِ ، وَرُكُوبُ الْمَهَالِيحِ ^٢ الْمِسْبَارَةِ ، وَشِدَّةُ الْإِعْجَابِ ، وَالدَّخُولُ عَلَى سُلْطَانِهِ بِلَا حِجَابٍ ، وَالْأَكْلُ بِمَلَأٍ فِيهِ ، هَذَا جَمِيعُ مَا فِيهِ ، حَتَّى إِذَا طَرَقَتِ السَّرَايَا [٨٣] وَسِيقَتِ السَّبَايَا ، وَنَفَرَ النَّافِرُ ، وَضَجَّ الْبَادِي وَالْحَاضِرُ ، وَنَزَعَ ثِقَاتُ ^٣ الْأَجْنَادِ ، فَتَفَرَّقُوا فِي الْبِلَادِ ، فُزِعَ إِلَى الْوَزِيرِ ، فِي وَجْهِ التَّنْذِيرِ ، فَكَانَ جَوَابُهُ دُمُوعُهُ ، وَصَوَابُهُ هُلُوعُهُ ، فَحِينَئِذٍ دَارَتِ الدَّائِرَةُ ، وَاضْطَرَمَّتِ النَّائِرَةُ ، وَانْصَرَمَّتِ الدُّوَلُ ، وَتَبَدَّلَتِ الْحُلُلُ .

فصل : كَاتِبٌ مَا عَرَفَ قَطْعَ ، كَيْفَ الْبَرِّيَّةِ وَالْقَطْعَ ، وَلَا نَسَخَ قَطْعُ سَطْرًا ، إِلَّا مَسَخَ مِنْهُ شَطْرًا . الْفَاطَةُ مَلْنَحُونَةٌ ، وَمَعَانِيهِ مَلْنَقُونَةٌ ، وَمَقَاصِدُهُ خَفِيَّةٌ مَكْنُونَةٌ ، وَحُرُوفُهُ مَطْمُونَةٌ ^٤ . إِنْ تَهَجَّجْتَنِي هَجَا ، وَإِنْ تَكَلَّمْتَ شَجَّ وَشَجَّى . أَلِفَاتُهُ سَجُودٌ ، وَلَامَاتُهُ رُقُودٌ ، وَمِيمَاتُهُ عُقْدٌ لَا عُقُودٌ ، وَقَافَاتُهُ وَاوَاتٌ ، وَنُونَاتُهُ رَاءَاتٌ . يَرْفَعُ بِالنَّوَاصِبِ ، وَيُكْثِرُ [مِنْ] النَّقْطِ الْكَوَاذِبِ ، وَيُعْمِي عَيْنَ الْمَعْنَى الْجَلِّيَّ ، وَيُخَاطَبُ الْعَدُوَّ مُخَاطَبَةَ الْوَلِيِّ . وَتُقَرَّرُ كُتُبُهُ بِمَا فِيهَا مِنْ الْفَسَادِ ، بِأَنَّهُ قُرَّةُ عَيْونِ الْأَعْدَاءِ وَالْحُسُودِ .

١ ص : إل .

٢ ص : المهاليج .

٣ ص : ثِقَاب .

٤ كَذَا وَلِلْ صَوَابِهَا : « مَضُونَةٌ » أَيْ مَصَابَةُ بِالضَّمَانَةِ ؛ أَوْ مَطْبُونَةٌ أَيْ مَدْفُونَةٌ .

فصل : ولابتهُ القضاء ، مین سوء القضاء . جائرٌ حائر : إن جار
 فعین تَعَمُّدٌ ، وإن حاراً فعین قِلَّةٌ تَعَهَّد . لَيْلُهُ مُنْتَشٍ ، ونهاره
 مُرْتَشٍ . تُعْجِبُهُ الْعَيْنُ فِي النَّقَابِ ، ولا يُفَكِّرُ فِي الْعِقَابِ . إذا رأى
 الأُمُردَ تَمَرَّدَ على خَصَمِهِ ، ومال عليه بِحُكْمِهِ ، يُزْري باختيارِ
 سُلْطَانِهِ ، وَيَسْتَخِفُ بِفُقْهَاءِ زَمَانِهِ . يَجُورُ فِي نَظَرِهِ الْمَقْسُومُ ، وَيَبْصُقُ
 فِي وَجْهِ الْخُصُومِ ، وَيَرْكُلُهُمْ بِرِجْلِهِ ، وَيَلْطِمُهُمْ بِنَعْلِهِ .

فصل : إخوانٌ أخونٌ مین السَّرَابِ لِلْعَيْنِ ، ومین أَهْلِ الْكُوفَةِ
 لِلْحُسَيْنِ ، وَأَشَدُّ مین طَالِبِ دَيْنٍ ، على صِفْرِ الْيَدَيْنِ : ليس فيهم
 نفع ولا دفع ، إن استَنْصَرْتَهُمْ خَذَلُوكَ ، وإن سَأَلْتَهُمْ إِسْلَامَكَ بَذَلُوكَ .

فصل : تَبَسَّمَ لِلْعَدُوِّ الْعَابِسِ ، وَلَينٌ لِمُتَخَلِّقِ الْيَابِسِ . عامِلٌ
 ظَالِمَكَ بِالصَّبْرِ ، واجعلْ صَدْرَكَ له كَالْقَبْرِ ، لا يدري ما فيه رَحْمَةٌ
 أم نِقْمَةٌ ، وبلاءٌ أم نِعْمَةٌ ، حتى تُمَكِّنَكَ الْوَبْئَةُ عَلَيْهِ ، فَتَلْتَهُ
 بِجَبِينِهِ وَيَدَيْهِ .

ومن ترسيله

فصل له من رقعة خاطب بها المظفر بن الأفطس : كتبتُ وشوق
 إلى شَرَفٍ لُقِيَاهُ ، وشبم سُقِيَاهُ ، شوقُ القارظين^٢ إلى سكون

١ ص : خان .

٢ القارظان كلاهما من عنزة - في رأي ابن الكلبي - فالأكبر منهما يذكر بن عنزة والأصغر
 رهم بن عامر بن عنزة ، كل منهما خرج يطلب القرظ ولم يمد ، وفيهما يضرب المثل « حتى
 يؤوب القارظان » قال أبو ذؤيب الهذلي :

وحق يؤوب القارظان كلاهما وينشر في الموق كليب لوائل

وسكني ، والقيسيين إلى لتيلى ولبنى ، واعتلاقي بذكريه اعتلاق^١
مالك بعقيل^٢ ، وقيفا نبتك بالملك الضليل ، وبلال^٣ بشامة
وطفيل^٤ ، والله بيلوغ الأمل خير كفيل . وحال^٥ وليته بالناحية
التي استقدرتها حال^٦ من ذهبت منه التلاذذة والفتاء ، والشيخ
يهدمه الشتاء^٧ . وقد رأيت طوفان قرطبة يقيم دهرها ، وإنما أقام
طوفان^٨ نوح شهرا . وأما صيفها فكما قال :

لم أستسيم عناقته لقدميه حتى ابتدأت عناقته ليوذاعه

وله من أخرى :

لي رغبة إلى مفاخيره ، وتطارح بين يدي مآثيره ، وإدلال^٩ على
سماحة سجاياه ، وتحامل^{١٠} على احتمال علياه . وذلك أن^{١١} شيخاً ينفأ
قصده فثاني^{١٢} ، فبكي حتى بل^{١٣} بفضل دموعه ردائي ، ومنعه الشوق
بشجاه ، من الكلام على ما ارتجاه . ثم ذكر أنه كاسب نسيات ،
وأبو بنين وبنيات ، فنسبته فقال : أنا أبو جعدة نهشل ، وذكر

١ مالك وعقيل نديما جذية ، وفيهما يقول أبو خراش :

ألم تعلمي أن قد تفرق قبلنا خليلا صفاء مالك وعقيل

٢ عندما هاجر المسلمون إلى المدينة كان بلال يحن إلى معاهد مكة فاذا أخذته الحمى تغى :

ألا ليت شعري هل أبيت ليلة بفع وحولي إذخر وجليل
وهل أردن يوماً مياه مجنة وهل يبدون لي شامة وطفيل

وشامة وطفيل : جيلان (معجم البكري مادة : هرشي) .

٣ حزر بيت من الشعر وصدده : إذا جاء الشتاء فزملوني فان الشيخ . . .

٤ ص : قبائي .

مولانا المظفر فوصف خيراً كثيراً هو أكثر منه ، ودعا بخير أجابه الله^١ عنه ، ووصف أن بغاة بغوه^٢ ، وحسدة آذوه ، وتنصل من ذنوب قرفوه بها ، ومولاي أعلم بصدقها من كذبها . ولم يظهر حرصاً إلا في المينة الأهلية والتربة الوطنية . فبكى — علم الله — مع باك ، وشكا مني إلى شاك^٣ ، وذو الشكوى يرحم الشكوى ، لعلمه بمرارة البلوى . ولا شك أنه سيلبغ تفضل المظفر بالالتفات إلى ذكرى ، والعناية ببعض أمري ؛ فلا يظن أن ذلك باستحقاق ، وإن رقتاني من الشرف هذه المراق ، ومن يسمع يخل^١ ، وما كل ذي سلاح بطل . وقد تلطفت له بإذن الله في القول ، وبرئت إليه تعالى من القوة والحول . ووقفته على رأي المظفر الموفق ، وحكمه العدل المحقق . وبودّي لو تكفّلت^٢ بآماله ، وجمعت بينه وبين أطفاله ، فهو في قعدد^٣ لبّد ، وهامة اليوم أو الغد ؛ إلا أنني — أيده الله — لا أوتر مرادي على مراده ، ولا أشاركه في العلم بأهل بلاده ، إلا أن بتفضل بالأحسن الأجل ، عليّ وعلى أبي جعدة نهشل ، فيعود — أيده الله — بفضيلة الإيثار ، ويكسبني في الناس أطيب الأخبار والآثار . ولقد هجمت في العناية بما لا أعلم ثقة بما أعلم ، وهو المتطول إن شفع ، والمعذور إن دفع . والجواب على هذه السطور المحتوية على هذه الأمور ، بالأقوال والأفعال ، من كمال الإحسان والإفضال .

١ معناه أن من يسمع الشيء ربما ظن صحته ، انظر جمهرة المسكري ٢ : ٢٦٣ (أبو الفهمل) واللسان (غيل) وفصل المقال : ٤١٢ والميداني ٢ : ١٦٩ .

٢ ص : تكلفت .

٣ ص : عقّد ؛ والقعد : القريب النسب من الجد الأكبر ، يريد أنه يكاد يكون من لدات لبّد وهو آخر نسور لقمان .

فأجابته المظفر برقة من إنشاء الوزير أبي مروان بن قزمان ، قال فيها :
ورد كتابك المبتدأ خطاباً من الشعر بما هو السحر الحلال ، والمُصدّر
من القريض بما شهد لك بالحلال . لو قصّد الطائيان قصده لأجلا ،
أو حذا الحمّادان حذوه لأدبرا فيه وما أقبلا . لم تدع فيه فتناً من الحكمة
إلاّ أهديته [٨٤] ولا معنى لطيفاً إلاّ أبديته ، ولا نوعاً من الأدب إلاّ جلتبته ؛
ولا غريباً من المثل إلاّ ضربته : فله بلادٌ غذاك هواؤها ، ورؤساءُ
نطابقت عليك أهواؤها . لقد بان فضلهم على أهل الزمان ، كما ظهر
تبريزك في هذا الميدان . ومن انتحل الأبيات ، فبمثل شعرك فليات ،
وهيهات ، ما أبعد الأرض من السموات !

ورأيتك قد شفعت القريض بشفاعه ، وقرنته برغبة أعطتك مقاليد
البلاغة والبراعة . وأسعفتك في الشيخ اليقن ، والأشيب البدن ، نهشل .
فليسرع بالإقبال إلى بلدّه ، وليتلحق بأهليه وولده ، وليأت إليهم ذالاناً^٢ ،
وليشكرنا سراً وإعلاناً . والله المان بك برده إلى وطنه وأهليه^٣ . يبلغك
ما ترتجيه ، ويعيدُ حالك إلى عهدّها ، والجمع بينك وبين الطبقة التي
كنت واسطة عقدها :

ولابن شرف مقامات عارض بها البديع في بابه^٣ ، وصبّ فيها على
قلبه ، منها مقامة فيها بعض طول ، لكنّه غير مملول ، آخذة بطرف

١ ص : السماء .

٢ الذالان : العدو المقارب أو السرعة .

٣ ص : وأهله .

٤ ص : باله .

مُسْتَطَرَفٍ مِنْ أَخْبَارِ الْأَدْبَاءِ ، وَذَكَرِ الشُّعْرَ وَالشُّعْرَاءَ ، قَالَ ^١ :

جَارَيْتُ أَبَا الرِّيَّانِ فِي ذِكْرِ أَهْلِ النَّظَامِ ، وَمَنَازِلِهِمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَالْإِسْلَامِ ،
فَقَالَ ^٢ : عَدَدُ الشُّعْرَاءِ أَكْثَرُ مِنَ الْإِحْصَاءِ ، وَأَشْعَارُهُمْ أَبْعَدُ مِنْ شَقَةِ الْإِسْتِقْصَاءِ .
قُلْتُ : لَا أَعْنَيْتِكَ بِأَكْبَرِ مِنَ الْمَشْهُورِينَ مِثْلَ الضُّلَيْلِ وَالْقَتِيلِ ، وَلَبِيدِ
وَعَبِيدِ ، وَالنَّوَابِغِ وَالْعُشِيِّ ، وَالْأَسْوَدِ بْنِ يَعْفَرٍ ^٣ وَمَنْ سِوَاهُ مِنَ الْعُمَمِيِّ ^٤ ،
وَابْنِ الصَّمَةِ دُرَيْدِ ، وَالرَّاعِي عُبَيْدِ ، وَزَيْدِ الْخَيْلِ ، وَعَامِرِ بْنِ الطَّفِيلِ ،
وَالْفَرَزْدَقِ وَجَرِيرِ ، وَجَمِيلِ وَكَثِيرِ ، وَابْنِ جَنْدَلٍ وَابْنِ مُقْبِلِ ، وَجَرَّوَلِ
وَالْأَخْطَلِ ، وَحَسَّانَ فِي أَهَاجِيهِ ^٥ وَمِدَحِهِ ، وَغَيْلَانَ فِي مِيتِهِ وَصَيْدَحِهِ ،
وَالْهَذَلِيَّ أَبِي ذُؤَيْبِ ، وَسُحَيْمِ وَنُصَيْبِ ، وَابْنَ حِلْزَةَ الْوَالِثِيِّ ، وَابْنَ
الرَّقَاجِ الْعَامِلِيِّ ، وَعَنْتَرَةَ الْعَبْسِيِّ ، وَزَهْرَةَ الْمُرِّيِّ ، وَشُعْرَاءَ فَرَازَةَ ، وَمُغْلَقِي
بَنِي زُرَّارَةَ ، وَشُعْرَاءَ تَغْلِبَ وَيَثْرِبَ ، وَأَمْثَالَ هَذَا النَّحْطِ الْأَوْسَطِ ،
كَالرَّمَّاحِ وَالطَّرْمَاحِ ، وَالطُّثَرِيِّ وَالْدُّمَيْنِيِّ ، وَالْكُحَيْمِ الْأَسَدِيِّ ، وَصَرِيحِ
الْأَنْصَارِيِّ ، وَدَعْبَلِ الْخَزَاعِيِّ ، وَابْنِ الْجَهْمِ الْقُرَشِيِّ ، وَحَبِيبِ الطَّائِي ،

١ قد أشرت إلى أنها نشرت بعنوانين مختلفين ، وهي في حقيقتها رسائل الانتقاد (أو
جزء منها) وسأعارضها بالنص الموجود في رسائل البلغاء ؛ (ورمزها : ل) ويبدو أن
ابن بسام يوجز في النقل .

٢ ل : وجاريت أبا الريان في الشعر والشعراء ومنازلهم في جاهليتهم وإسلامهم واستكشفتهم عن
مذهبهم فيهم ، ومذهب طبعته في قديمهم وحديثهم فقال . . . الخ .

٣ ص : يعفور .

٤ ل : والأسود بن يعفر وصخر النقي .

٥ ل : هجائه .

٦ زاد في ل : وحميد الهلالي وبشار العقيلي وابن أبي حفصة الأموي ووالبة الأسدي وابن جبلة
الحملي وأبي نواس الحكمي .

والوليد البُحْريّ ، وابنِ المعتزّ العبّاسيّ ، وأبي نواس وابن الروميّ^١ .

ومن الطبقة المتأخرة في الزمان : المتقدمة في الإحسان . كأبي فراس
ابن حمّدان ، والمتنبّي بن عيّدان^٢ ، وابن جدار^٣ المصريّ ، وابن الأحنف
الحنفيّ ، وكُشاجم الفارسيّ ، والصنوبريّ الحلبيّ ، ونصر الخبزُرزيّ ،
وابن عبّديّ ربّه القرطبيّ . وابن هانيء الأندلسيّ ، وعليّ بن العبّاس الإياديّ
التونسيّ ، والقسطليّ .

قال أبو الرّيان : لقد سمّيت المشاهير . وأُقيمت الكثير . قالت : بل
ولكن ما عندك فيمن ذكرت ؟

قال : الضلّيلُ مؤسّس الأساس . وبُنيانه عاليه الناس . كانوا يقولون
« أسيلةُ الخدّة » حتّى قال « أسيلةُ مجرى الدّمع » . وكانوا يقولون : « تامّة
القامة وطويلةُ القامة . وجيّداء . وتامّة العنق » . حتّى قال « بعيدة مهوى
القرط » . وكانوا يقولون في الفرس السابق « يلحقُ الغزال والظليّمْ »
وشبّهه . حتّى قال « قيّد الأوابد » . ولم يَكُنْ قبله من فطِنَ هذه الإشارات
والاستعارات غيره فامثلوه بعده . وكانت الأشعار قبلُ سواذج ، فبقيتْ
هذه جُدداً وتلك ذواهج ؛ وكلُّ شعريّ بعدُ ما خُلتها فغيرُ رائقٍ النسيج ،
وان كان مُستقيم النّهج .

وأما طرفة فلو طالَ عمره ، لطالَ شعيره ، وعلا ذكره . ولقد خُصّ

١ زاد في ل : وابن رغبان الحمصي .

٢ ص : عيّدان .

٣ ص : جدار .

بأوفر نصيبٍ من الشعر . على أيسر نصيبٍ من العمر . فملاً أرجاء ذلك
النصيب بصنوفٍ من الحكمة . وأوصافٍ من علوِّ المهمة . والطبعُ معلّمٌ
صادق . وجوادٌ سابق .

وأما الشيخ أبو عتقيل فشعره ينطقُ بلسانِ الجزالة . عن جنانِ
الأصالة . فلا تسمع له إلاّ كلاماً فصيحاً . ومعنى مبيناً صريحاً ؛ وإن كان
الشيخُ والوقار . والشرفُ والفخار . لهاديات في شعره . وهي دلائله ،
قبل أن يُعلمَ قائله .

وأما العبيسي فمُجيدٌ في أشعاره . ولا كملّقتَه . فقد انفرد بها
انفراد سُهيل . وغبّر في وجوه الخيل . وجمّع فيها بين الخلاوة والجزالة ،
ورقة الغزل وغلظة البسالة . وأطال واستطال . وأمن السامة والكلال .

وأما زهير : فأَيُّ زهيرٍ بين لهوات زهير . حيكم فارس . ومقامات
الفوارس . ومواعظُ الزُّهاد . ومُعتراتُ العُباد . ومِدَحُ تَكْسِبُ الفخار ،
وتبقى بقاء الأعصار . ومُعَاتباتُ مرّةٍ تَحْسُنُ . ومرّةٍ تَحْشُنُ . وتارةً
تكونُ هجواً ، وطوراً تكادُ تَعُودُ شكوى .

وأما ابنُ حلزة : فسُهّلُ الحزون . قام خطيباً بالموزون . والعادةُ
أن يُسهّلَ شُرحُ الشعرِ بالنثر . وهذا سهّلُ السهّلِ بالوعر . وذلك مثل قوله :

أبرمُوا أمرَهُمْ عشاءً فلمّا أصبحوا أصبحَتْ لهم ضواءُ
مِنْ منادٍ ومِنْ مُجِيبٍ ومِنْ نصيرٍ هالٍ خيلٍ خلالَ ذاك رغاء

فلما اجتمع [٨٥] كلُّ خطيبٍ نائرٍ ، مِنْ أوّلٍ وآخرٍ ، يصفون سَفَرًا نهضوا

بالأسحار ، وعسكراً تنادى بالشهوض إلى طلب النار ، ما زادوا على هذا إن لم ينقصوا منه ، ولم يُقصروا عنه . وسائر قصيدته في هذا السلك : شكايته^١ وطِلابُ نصفه ، وعِتَابٌ في عِزَّةٍ وأنفة ، وهو من شعراء وائل ، وأحد أسنة هاتيك القبائل .

وأما ابن كلثوم : فصاحب واحدة ، فلا زائدة^١ ، أنطقه بها عزه الظفر ، وهزه^٢ فيها جن الأشر ، قعقعت رعوده في أرجائها ، وجعجعت رجاه في أثنائها ، وجعلتها تغلب قبيلتها التي تُصلي إليها ، وميلتها التي تعتمد عليها ، فلم يتركوا إعادتها ، ولا خلعوا عبادتها ، إلا بعد قول القائل :
ألهى بني تغلب عن كل مكرمة قصيدة^٢ قالها عمرو بن كلثوم

على أنها من القصائد المحققات ، وإحدى الملاحظات .

وأما النابغة زياد : فأشعاره الجياد لم تخرج عن نار جوانحه حتى تنامي نضجها ، ولا قطعت من مینوالِ خواطره حتى تكاثف نسجها ، لم تهلك لها ميعه الشباب ، ولا وهي الأسباب ، ولا لؤم الاكتساب ، فشعره وسائط سلوك ، وتيجان ملوك .

وأما النابغة الجعدي : فننقى الكلام ، شاعر الجاهلية والإسلام ، واستحسن شعره أفصح الناطقين ، ودعاه أصدق الصادقين ، وكان شاعراً

١ ل : بلا زيادة .

٢ ص : وهذه .

في الافتخار والثناء : قصير الباع لشرفه عن تناول الهجاء . وكان مغلوباً فيه في الجاهلية ، وطريد ليلى الأخصيلية .

وأما العُشي بأجمعهم : فكلّهم شاعرٌ ، ولا كيمون بن قيس ، شاعر المدح والهجاء ، والبأس والرّخاء ، والتصرّف في الفنون ، والسّعي في السّهول والحزون . نفق مدحُه بناتِ المخلّق ، وكان في فقر ابنِ المذكّ ٢ ، وأبكى هجوه علقمة ٢ ، كما تبكي الأمة .

وأما الأسود بن يعفر : فأشعرُ الناس إذا ندب دولة زالت ، أو بكى حالة حالت ، أو وصف رعباً خلا بعد عمران ، أو داراً درست بعد سكتان ، فإذا سلك [غيرَ] هذه السّبيل ، فهو من حشوّ هذا القبيل ، كعمرو وزيد ، وسعيد وسعيد ٤ .

وأما حسّان ، فقد اجثّ بواكر غسان ، ثم جاء الإسلام ، وانكشف الإظلام ، فجاحش عن الدّين ، وناضل عن خاتم النبيّين ، فشعر وزاد ، وحسن وأجاد ، إلّا أن الفمّض في ذلك لربّ العالمين ، وتسديد الروح الأمين .

وأما دريد بن الصّمة : فصمّة صميم ، وشاعرٌ جُشّم ، وغزّل

١ ص : فقراء .

٢ ابن المذلق من عبد شمس ، يضرب به المثل في الفقر والافلاس (الميداني ٢ : ٢٠ وجمهرة العسكري ٢ : ١٠٧ / أبو الفضل) .

٣ يعني علقمة بن علاثة ، وقد أبكاه قول الأعشى :

تبيتون في المشتى ملاء بطونكم وجاراتكم غرقى يبتن خمائصا

٤ ص ، وسعيد وسعد .

هَرَم^١ ، وأَوَّلُ من تَغَزَلَ في رثاء ، وهَزَلَ في حزنٍ وبكاء ، فقال في
مَعْبِدِ أَخِيه ، قصيدته المشهورة يرثيه :

• أَرثُ جَدِيدُ الحَبْلِ من أُمِّ مَعْبِدِ •

وهي من شاجيات النّوائح ، وباقيات المدايح .

وأَمَّا الراعي عُبَيْد : فَجَبِلَ على وصفِ الإبل ، فصار بالراعي
يُعرف ، ونُسي ما له من الشرف .

وأَمَّا زَيْدُ الحِلِيلِ : فَخَطَبَ سَجَاعَةً ، وفَارِسُ شِجَاعَةٍ ، مشغولٌ
بذلك ، عما سواه من المسالك .

وأَمَّا عامِرُ بنُ الطَّفِيلِ : فشاعَرَهُمْ في الفَخَارِ ، وفي حِمَايَةِ الجارِ ،
وأوصَفَهُمْ لِكَرِيمَةٍ ، وأنْعَثَهُمْ لِحَمِيدِ شَيْمَةٍ .

وأَمَّا ابنُ مُقْبِلٍ^٢ : فَتَقَدَّمَ شِعْرُهُ ، وَصَلِبَ نَجْرُهُ ، وَمُغَلَّتِي مَدْحُهُ ،
وَمُغَلَّتِي قِدْحُهُ .

وأَمَّا جَبْرُولُ : فَخَبِثَ هِجَاؤُهُ ، شَرِيفُ ثَنَاؤُهُ ، صَحِيحُ بِنَاؤُهُ ، رَفَعَ
شِعْرَهُ من الثَّرَى ، وَحَطَّ من الثَّرِيَّا ، وَأَعَادَ بِلَطَافَةٍ فِكْرَهُ ، وَمَتَانَةَ
شِعْرِهِ ، قَبِيحَ الألقابِ ، فَمَخَّرَا بَقِيَّ على الأحقابِ ، وَيُتَوَارَثُ في الأعقابِ .

١ ص : وعزل ؛ ل : وعزل عزم .

٢ ص : أبو .

وأما أبو ذؤيب : فشديدُ أسْرِ الشعرِ حَكيمُهُ ، شغله فيه التجريب
حديثُهُ وقديمُهُ ، وله المِثْيَةُ النقيَّةُ السَّيبُ ، المتينةُ الحبُّكُ ، بكى فيها
بَنِيهِ^١ السَّبعة ، ووصفَ الحمارَ فطوَّلَ ، وهي التي أولَّها :
• أَمِنْ المَنُونِ وَرَبِّيهِ تَتَوَجَّعُ •

وأما الأخطلُ : فسعدُ من سُعودِ بني مروان ، صَفَتْ لهم مرآة
فِكْرِهِ ، وظَفَرُوا بالبديعِ من شِعْرِهِ ، وكان باقِعةً من هاجاه ، وصاعِقةً
مَنْ حاجاه .

وأما الدَّارميُّ هَمَّامُ : فجوهرُ كلامِهِ ، وأغراضُ سِيهامِهِ ، إذا
افتخرَ بمالكِ بنِ حنظَلَة ، وبادارمٍ في شَرَفِ المنزلة ، وأطولُ ما يكون
مدى إذا تَطاولَ اختيالُ^٢ جرير عليه بقليله على كثيره ، وبصغيره على كبيره ،
فإنَّه يُصادمُهُ حينئذٍ ببحرٍ مادٍّ ، ويُقاومُهُ بسيفٍ حادٍّ .

وأما ابنُ الخطَّفي : فزهْدٌ في غَزَلٍ ، وحِجْرٌ في جَدَلٍ ، يَتَسَبَّحُ
أَوَّلًا في ماءٍ عَذْبٍ ، وَيَطِيحُ^٣ آخِرًا في صَخَرٍ صُلْبٍ . كلُّبُ مُنَابَحَةٍ ،
وكِبَشُ مُنَابَحَةٍ ، لا تَفُكُّ غَرْبَ لسانِهِ مُطاولَةَ الكِفاحِ ، ولا تُدْمِي
هامته^٤ مُداوِمَةَ النِّطاحِ ، جارى السَّوابِقَ بِمِطْيَةٍ ، وفاخرَ غالِبًا بِعِطْيَةٍ ،

١ ص : بنوه .

٢ ص ل : اختيار .

٣ ل : ويطيح .

٤ ص : هاد .

وبلغته بلاغته إلى المساواة^١، وحمَلته جرأته على المجازاة^٢. والناسُ فيهما
فَرِيقان ، وبينهما عند قومٍ فَرِقان .

وأما القيسان وطَبَقْتُهُما : فطَبَقَةُ عَشَقَةٍ تَوْقَةٍ ، استحوذت الصَّبَابَةُ
على أَفكارِهِمْ ، واستفرغَتْ دَواعي الحُبِّ معاني أشعارِهِمْ ، فكَلَمَتْهُمْ
[٨٦] مشغولٌ بهواه ، لا يتعدَّاه إلى سِواه .

وأما كُثَيِّرٌ : فحَسَنُ النَسِيبِ فصيحُهُ ، لطيفُ^٣ العتابِ مليحُهُ ،
شجيُّ^٤ الاغترابِ قريحُهُ ، جامعٌ إلى ذلك رقائق الظرفاء، وجزالة مدح الخلفاء .
وأما الكُمَيْتُ والرمَّاحُ ، ونصيبُ والطَّرَمَاحُ ، فشعراءُ مُعاصرة ،
ومُنَاقضات ومُفاخرة ، فنُصِيبُ أمدَحُ القومِ ، والطَّرَمَاحُ أَهْجَاهُمْ ؛ والرمَّاحُ
أَنسَبُهُمْ نَسِيباً ، والكُمَيْتُ أَشَبَّهُمْ تَشْبِيهاً .

وأما بِشَّارُ بنُ بردٍ : فأوَّلُ المحدثين ؛ وآخرُ^٣ المخضرمين ؛ وممَّن
لحقَ الدولتين ، عاشقُ سَمْعٍ ، وشاعرُ جَمْعٍ ، شعرُهُ يَنفُذُ عند رَبَّاتِ
الحِجَالِ ، وعند فحول الرِّجَالِ ، فهو يَلِينُ حَتَّى يَسْتَعِطِفَ ، ويقوى حَتَّى
يَسْتَنكِفُ^٤ ، وقد طالَ عمرُهُ ، وكثُرَ شِعْرُهُ ، وطَما بِحَرُّهُ ، وثَقَبَ في
البلاد ذِكْرُهُ .

وأما ابنُ أَبِي حَفْصَةَ ، فمن شعراءِ الدَّولَتَيْنِ ، وممَّن حظي بالنَّعْمَتَيْنِ ،

١ ص : المجاز .

٢ ل : نظيف .

٣ ص : وأحد .

٤ ص : ينكسف .

ووصل إلى الغنى بالصَّلَتَيْن ، وكان دَرَبِ المعول ، ذَرِبَ المقول ، والدَّ
شُعراء ، ومنجَبَ فصحاء .

وأما أبو نواس ، فأوَّل الناس في خَرَمِ القياس ، وذلك أنه تركَ السَّيرَةَ
الأولى ، ونكَبَ عن الطَّرِيقَةِ المثلَى ، وجعل الجِدَّ هزلاً ، والصَّعَبَ سهلاً ،
فهلَّهكَلَ المسرَّد ، وبلبَلَّ المنضَّد ، وخلخلَ المنجَّد ، وترك الدَّعائم ، وبنى
على الطامي والعائم^١ ، وصادفَ الأفهامَ قد نَكَلتُ ، وأسبابَ العرَبِيَّةِ قد
تخلخلتْ وانخلتْ ، والفصاحات الصحيحة قد سُثمت ومُثلت ، فمال
الناسُ إلى ما عرفوه ، وعَلِقتْ نفوسهم بما أَلِفوه ، فتَهَادَوْا شِعْرَهُ ،
وأغْلَوْا سِعْرَهُ ، وشَغِفُوا بِأَسْخَفِهِ ، وكَلِفُوا بِأَضْعَفِهِ . وكان ساعده أقوى ،
وسِراجُهُ أضوى ، لكنه عرضَ الأنْفَقَ ، وأهدى الأوفَقَ ، وخالَفَ
فَشْهُورَ وعَرَفَ ، وأغْرَبَ فذُكْرَ واستطرف . والعوام تختارُ هذه الأَعْلَاقَ ،
وأسواقُهُم أوسَعَ الأسواقِ ، فشعُرُ أبي نواس ، نافقٌ عند هذه الأجناس ،
كاسدٌ عند أنْفَدِ الناس . وقد فطن إلى استضعافه ، وخاف من استخفافه ،
فاستدركَ بفصيح طرده ، طرْقاً [من] حدِّ اللسان وجدّه^٢ ، وهو مجدود^٣
في كثرةِ المتَّظَاهِر ، على من غَضَّ منه بالحقِّ الظاهر ، ليس إلاَّ لخَفَةِ روح
المجون ، وسُهولة الكلامِ الضَّعِيفِ الملحون ، على جمهورِ العوام ، لا
على خصائصِ الأنام .

وأما صَرِيع : فكلامُهُ مُرْصَع ، ونِظامُهُ مُصَنَّع ؛ وجُمْلَةُ شِعْرِهِ

١ ص : والقائم .

٢ ل : طرفاً حد اللسان وحدوده .

٣ ص ل : محدود .

صحيحةُ الأصول ، مُصنَّعةُ الفُصول ، قليلةُ الفضول .

وأما العباسُ بن الأحنف فمعتزل بهواه ، وبمعتزلٍ عما سواه : رَفَعَ نفسه عن المدحِ والهجاء ، ووضَعَهَا بين يَدَي هَوَاهِ مِنَ النِّسَاءِ : قد رَفَّقَ الشَّغْفُ كَلَامَهُ ، وثَقَفَتْ قُوَّةُ الطَّبَعِ نِظَامَهُ ، فَكَلَهُ رِقَّةُ الْعِشَاقِ ، وَحَوَّلَهُ الْحُذَّاقُ .

وأما دِعْبِلُ : فمُذَبَّرٌ مُقْبِلٌ ، اليَوْمَ مَدْحٌ ، وَغَدًا قَدْحٌ ، يُجِيدُ فِي الطَّرِيقَتَيْنِ ، وَيُنْسِيءُ فِي الْخَلِيقَتَيْنِ ، وَلَهُ أَشْعَارٌ فِي الْعَصَبِيَّةِ . وَكَانَ شَاعِرًا عَلِيَمًا ، وَعَالِمًا شَعِيرًا .

وأما علي بن الجهم : فَرَشِيقُ الْفَهْمِ ، رَاشِقُ السُّهْمِ ، اسْتَوْصَلَ شِعْرَهُ الشُّرَفَاءَ ، وَنَادَمَ الْخُلَفَاءَ ، وَلَهُ فِي الْغَزَلِ الرُّصَافِيَّةُ ٢ ، وَفِي الْعَتَابِ الدَّالِيَّةُ ٣ ، وَلَوْلَمْ يَكُنْ لَهُ سَوَاهِمَا ، لَكَانَ أَشْعَرَ النَّاسِ بِهِمَا .

وأما الطَّائِيُّ حَبِيبٌ : فمُتَكَلِّفٌ إِلَّا أَنَّهُ يُصِيبُ ، وَمُتَعِيبٌ لَكِنْ لَهُ مِنَ الرَّاحَةِ نَصِيبٌ . وَشُغْلُهُ الْمُطَابَقَةُ وَالتَّجَنُّيسُ ، جَيِّدٌ ذَلِكَ أَوْ بَيْسٌ ، جَزَلَ الْمُعَانِي ، مَرَّضَوْصُ الْمُبَانِي ٥ . مَدْنَحُهُ وَرِثَاؤُهُ ، لَا غَزَلُهُ

١ ل : وجودة .

٢ يعني قصيدته « عيون المها بين الرصافة والجسر » .

٣ الدالية :

قالوا : حبست فقلت ليس بضائري حبيبي وأي مهنت لا يفقد

٤ ل : وحذا .

٥ ص : المعاني ؛ ل : المعاني .

وهجاؤه ، طرّفاً نقيض ، وخطّنا^١ سماءٍ وحضيض . وفي شعره
 عليمٌ جَمٍّ مِّنَ النَّسَبِ ، وجُمْلَةٌ وافرةٌ مِّنَ أَيْتَامِ الْعَرَبِ . وطارت
 له أمثال ، وحَفِظَتْ له أقوال ، وديوانه مَقْرُوءٌ ، وشعره مَتَلُوءٌ .

قال ابن بَسَّام : أمّا صِفَتُهُ هذه لأبي تمام ، فَصِفَةٌ لم يَثْنِ عِطْفَها
 حَمِيَّةً ، ولا تَعَلَّقَتْ بِذَيْلِها عَصِيَّةً ، حَتَّى لو سَمِعَها حَبِيبٌ
 لَاتَّخَذَها قِبْلَةً ، واعْتَمَدَها مِلَّةً . فما آلَمَ^٢ مِّنْ أَدَبٍ وَإِنْ أَوْجَعَ ،
 ولا سَبَّ مِّنْ صَدَقٍ وَإِنْ أَقْدَعَ .

رجع :

وأما البُحْرِيّ : فَلَقَطَهُ ماءٌ ثَجَاجٌ ، ودُرٌّ رَجْرَاجٌ ، ومعناه
 سِرَاجٌ وَهَّاجٌ ، على أَهْلِي مِناهَجٍ . يَسْبِقُهُ شِعْرُهُ ، إلى ما يَعْجِشُ به
 صَدْرُهُ ، يُسَرُّ مُرَادٌ ، ولين قِيادٍ . إن شَرِبْتَهُ أرواك ، وإن قَدَحْتَهُ
 أوراك . طَبَعٌ لا تَكَلَّفَ يَغْثِيهِ^٣ ، ولا العِنادُ يَثْنِيهِ ، لا يُعْمَلُ كَثِيرُهُ ،
 ولا يُسْتَكْفَ غَزِيرُهُ ، لم يَهْتَفْ أَيْتَامُ الحُلُمِ ، ولم يَصِفْ زَمَنُ الهَرَمِ .

وأما ابنُ المُعْتَزِّ : فَمِلِكُ النِّظامِ ، كما هو مَلِكُ الأَنامِ ، له التَّشْبِهاتُ
 المِثْلِيَّةُ ، والاستعاراتُ الشَّكْلِيَّةُ ، والإشاراتُ السَّحَرِيَّةُ ، والعباراتُ
 الجَهْرِيَّةُ ، والتَّصَارِيفُ الصُّنُوفِيَّةُ ، والطرائقُ الفَنُونِيَّةُ ، والافتخاراتُ

١ ص : وخطبا ؛ ل : وخطب .

٢ ص : الألم ؛ ل : لام .

٣ ص : يمتيه .

المُلوكِيَّة ، والمِيماتُ العلويَّة ، والغَزَلُ الرائق ، والغِيتابُ الشائق ، ووَصَفُ
الحُسْنِ الفائق :

وخيرُ الشعرِ أكرمُهُ رجالاً^١ وشرُّ الشعرِ ما قالَ العبيدُ^٢

وأما ابنُ الرُّومي : فَشَجَرَةٌ [٨٧] الاختراع ، وثَمَرَةٌ الابتداع .
وله في المِجاء ، ما ليس له في الإطراء ، فَتَحَ فيه أبواباً ، ووصل فيه أسباباً ،
وخلَعَ منه أثواباً ، وطَوَّقَ فيه رِقاباً ، تَبَقَّى^٢ أعماراً وأحقاباً ، يطول
عليها حِسابه ، ويُمَحِّقُ بها ثوابه . ولقد كان واسعَ العَطَن ، لطيفَ
الْفِطَن ، إلاَّ أنَّ الغالبَ عليه ضَعْفُ المَرِيرَةِ وقوَّةُ المِرَّةِ .

وأما كُشاجِم : فَحَكِيمٌ شاعِر ، وكاتِبٌ ماهر ، له في التشبيهات
غرائب ، وفي التَّأليفات عجائب ، يُجيدُ الوَصْفَ ويُحَقِّقُه ، وَيَسْنِيكُ
المعنى فِرقَتَه ويُرَوِّقُه .

وأما الصَّنَوْبَرِي : فَفَصِيحُ الكلامِ غريبه ، مَلِيحُ التشبيهِ عَجِيبه ،
مُسْتَعْمِلٌ لَشَوَاذِ القَوافي ، يَغْسِلُ كُدْرَتَها بِمِياهِ فَهْمِهِ الصَّوافي ،
فَيَجِلُّ وَيَدِقُّ ، وَيَعْدُبُ وَيَرَقُّ . وهو وحيدُ جِنْسِهِ في صِفَةِ
الأزهار ، وأنواعِ الأنوار . وكان في بعض أشعارِهِ يَتَخالَع ، وفي بعضها
يَتشاجَع : وقد مَدَحَ وهجا ، وسَرَّ وشجاً ، وأعجَبَ شِعْرُهُ وأطربَ ،

١ البيت للفرزدق في هجاء نصيب ، انظر زهر الآداب : ٣٣٦ .

٢ ل : يبين .

وَشَرْقَ وَغَرْبَ . وَمَدَحَ مِنْ أَهْلِ إِفْرِيقِيَّةَ أَمِيرَ الزَّابِ جَعْفَرَ بْنَ عَلِيٍّ^١ ،
مُتَّفِقَ سِلَعِ الْأَدَبِ ، فَوْصَلَهُ بِأَلْفِ دِينَارٍ^٢ .

وَأَمَّا الْخُبْرُورُزِّيُّ : فَخَلِيعُ الشَّعْرِ مَاجِنُهُ ، رَاقٍ الْفَظِ بَائِنُهُ ،
كَثِيرَةُ مَحَاسِنُهُ ، صَحِيحَةُ أَصُولُهُ وَمَعَادِنُهُ ، رَاقِقَةُ الْبِزَّةِ ، [مَائِلَةٌ]^٣
إِلَى الْعِزَّةِ ، تَسْلِيهِ عَنِ الْحَبِّ الْخِيَانَةَ ، وَيَرْبِقُهُ^٤ الْوَفَاءَ وَالصِّيَانَةَ . وَلَهُ
عَلَى خُشُونَةِ خَلْقِهِ ، وَضُوعِيَّةِ خُلُقِهِ ، اخْتِرَاعَاتٌ لَطِيفَةٌ ، وَابْتِدَاعَاتٌ
طَرِيفَةٌ ، فِي الْأَفَاطِ كَثِيفَةٌ ، وَفُصُولٌ قَلِيلَةٌ الْفُصُولِ نَظِيفَةٌ . حَتَّى إِنْ
بَعْضَ كُبَرَاءِ الشَّعْرَاءِ^٥ اهْتَدَمَ أَشْيَاءُ مِنْ مَبَانِيهِ ، وَاهْتَضَمَ تَطَرُّفًا مِنْ
مَعَانِيهِ ، وَهُوَ مِنْ مُعَاَصِرِهِ ، فَقَلَّ مِنْ قَبْطِنَ لِحْرَامِيهِ .

وَأَمَّا أَبُو فِرَاسِ بْنِ خَمْدَانَ : فَفَارِسُ هَذَا الْمِيدَانِ ، إِنْ شُتَّ ضَرْبًا
وَطَعْنَا ، أَوْ لَفْظًا وَمَعْنَى ، مَلَكَ زَمَانًا ، وَمُلِكَ أَوَانًا ، أَشْعَرُ النَّاسِ
فِي الْمَمْلَكَةِ ، وَأَشْعَرُهُمْ فِي ذُلِّ الْمَلَكَةِ^٦ . وَلَهُ الْفَخْرِيَّاتُ الَّتِي لَا تُعَارِضُ ،
وَالْأَسْرِيَّاتُ الَّتِي لَا تُنَاهِضُ .

١ انظر ديوان الصنوبري : ٢٨ وجعفر بن علي هو سمذوح ابن هانيه أيضاً ، إذ كان موالياً
للعبيديين ثم تحول إلى موالاة أموي الأندلس (انظر أخباره في المقتبس لابن حيان تحقيق الدكتور
عبدالرحمن الحجي ، ط . بيروت) .

٢ زاد في ل : بعثها إليه مع ثقات التجار .

٣ زيادة من ل .

٤ ص : ويريقه ؛ ل : ويروقه .

٥ يعني المتنبي ، وهذه تهمة ساقها نقاد المشاركة مثل ابن وكيع وغيره .

٦ ص : الملك .

وأما المتنبي : فقد شغلت به الألسن ، وسهرت في أشعاره
 الأعين ، وكثر الناسخ لشعره ، والآخذ لذكره ، والغائص في
 بحرهِ ، والمفتش في قعرهِ ، عن جمانهِ ودُرهِ : وقد طال فيه
 الخلف ، وكثر عنه الكشف ، وله شيعَةٌ تغللو في مدحهِ ، وعليه
 خوارجُ تنعابا في جرحهِ : والذي أقول إنَّ له حسناتٍ وسيئات ،
 وحسناته أكثرُ عددا . وأقوى مددا . وغرائبه طائفة ، وأمثاله سائرة ،
 وعلمهُ فسيح ، وميزهُ صحيح ، يروم فيقدر ، ويدري ما يُورد
 ويصدر^١ .

وأما ابنُ عبدِ ربِّه القرطبي : وإنْ بعدت عَنَّا ديارهُ ، فقد
 صاقتنا أشعارهُ . ووقفنا على أشعارِ صَبوتِهِ الأنيقة ، ومكفرات^٢
 توبتِهِ الصدوقة ، ومدائحِهِ المروانية ، ومطاعينِهِ في العباسية . وهو في
 كل ذلك فارسٌ مُمارِس ، وطاعنٌ مُداعِس . واطلعنا في شعرهِ على
 عِلْمٍ واسع ، ومادةٍ فَنهمٍ مُضيء ناصع . ومن تلك الجواهرِ نَظَم
 عبقده ، وتركه لمن تجمل بعده .

وأما ابنُ هانيءٍ مُحَمَّدُ الأندلسيُّ ولادة ، القيروانيُّ وفادة وإفادة ،
 فرعديُّ الكلام ، سرديُّ النظام^٣ ، إلّا أنه إذا ظهرت معانيهِ ، في جزالة
 مبانيهِ ، رمى عن منجنيق ، يؤثر في النيق . وله غزلٌ قفريٌّ لا عُنْذريٌّ ،

١ زاد هنا في ل ما ينبغي أن أبا الريان انتهى من تقييم شعراء المشرق .

٢ ص : وتكفرات ، ل : وتكفيرات .

٣ زاد في ل : متين المباني ، غير مكين المثاني ، تحفو بعطنها عن الاوهام ، حتى تكون كنقطة
 النظام .

لا يَفْتَحُ فيه بالطَّيْفُ ، ولا يشفع بغير السيف . وقد نوه به مَلِكُ الزَّابِ .
وعظَّم شأنَه بأَجْزَلِ الثَّوابِ ، وكان سيف دولته ، في إعلاءِ منزلته ،
من رجلٍ يَسْتَعِينُ على صلاحِ دنياه بفسادِ أخراه ، لرداءةِ عَقْلِهِ ، ووقتهِ
دينه ، وَضَعْفِ يَقِينِهِ ، ولو عقل لم تضيقْ عليه معاني الشعر ، حتى يستعين
عليها بالكُفْرِ .

وأما القَسْطَلَتِي : فشاعرٌ ماهرٌ عالمٌ بما يقول ، تشهدُ له العقولُ ، بأنه
المؤخَّرُ بالعصر ، المتقدمُ في الشعر . حاذقٌ بوضع الكلام في موضعيهِ ،
لا سيما إذا ذَكَرَ ما أصابه في الفتنة ، وشكا ما دهاه في أيام المحنة : وبالجملَةِ
فهو أشعرُ أهلِ مَغْرِبِهِ ، في أبعَدِ الزمان وأقربهِ .

وأما عليُّ التَّونُسي : فشِعْرُهُ المورِدُ^١ العَذْبُ ، ولفظه اللؤلؤُ الرطبُ ،
وهو بحريُّ الغَرْبِ ، يَصِفُ الحمام ، فيروقُ الأَنامَ ، وَيُسَبِّبُ ، فيُعَشِّقُ
وَيُحَبِّبُ ، ويمدحُ ، فيمنحُ^٢ أكثرَ مما يُمنَحُ .

هذا ما عندي في المتقدمين والمتأخرين ، على احتقارِ المعاصِرِ ، واستصغارِ
المجاورِ ، فحاشَ لله من الانصافِ ، بقلَّةِ الإنصافِ ، للبعيدِ والقريبِ ، والعلوِّ
والحيبِ .

قلتُ يا أبا الرِّبَّانِ ، وُقِيتَ مُرُورَ الحَدَثَانِ ، فلقد سُبِّكَتَ فهما ،
وحُشِّيتَ عِلما .

١ ص : المورود .

٢ ص : فتنح .

مقامة له أخرى

جدتني الجرجاني قال : كان فتيً يجرجان من أبناء الأقيال ، قد جمع إلى النهاية في المال الغاية في الجمال . وكان مألُفاً للأدباء^١ ، ومأوى للغرباء ، وريزقاً للفقراء ، فلا يخلو منزله من أهل الإعدام . فلني لَعْنَدَه في بعض الليالي إذ استؤذِنَ عليه لضريرٍ فقيرٍ فأمر بإكرامه وإطعامه . فلما فترَغَ من شانه ، استدعاه إلى إيوانه ، فدخل علينا رجلٌ شيخٌ وافرُ السَّبال [٨٨] ، قد عمته البياضُ بالكمال ، مطموسُ العينين ، مسترخي الحاجبين ، قد صلَعَتْ هامتهُ ، ورَكَعَتْ قامتهُ ، وقصُرَتْ مَسَافَةُ خُطَاهُ ، وثَقُلَ جِسْمُهُ على عصاه ، فسلم بصوتٍ ضئيلٍ ، ودعا بلسانٍ ثَقيلٍ . وأقبلَ يذْكرُ شِبابَهُ ، ويتذكَّرُ أحبابَهُ ، وينوحُ على سالفِ زمانه ، ويندُبُ ثِقَاتِ إخوانِهِ . فرقَّ له الفتيُّ فأذناه ، حتى أجلسَهُ على يَمناه ، وصبرَهُ وسلاَةً . ثم سمرنا إلى وقت النوم ، فرقَدَ سائرُ القوم ، ونام الفتيُّ في مكانه ، مُراعاةً لحقِّ ضيفانيهِ .

وكنْتُ أدنى مِن الفتيِّ مرقدًا ، كما كنْتُ أدنى منه مقعدًا ، ولي عين أخف العيونِ مَجْعةً ، وأقربها إلى الانتباهِ رَجْعة . فأيقظتني نَبْرةٌ لم أكنُ عَهِدْتُ من الفتيِّ مِثْلَها ، ولا أجراها مع ضَيْفٍ قبلها . فعجبتُ مِن خرقِ العادةِ ، وأصغيتُ أَلْتمَسُ [استزادة] . فسمعتُ الأعمى

يقول : يا سيدي أنا صرورة ، وثمَّ صرورة ، وقد طالت العُزْبَة ، واضطرتني العُزْبَة . فقال الفتي له : فما وجدتَ لضرورتك سيواي ، ولا لِعُزْبَتِكَ جاشاي ؟ قال له : فإنَّ أبيتَ إلّا أن تَمْنَع ، فدُلّني على ما أصنع . قال له الفتي : أرى لك أن تَتَسَرَّى . قال : ومن للصُّلوك بالملوك ؟ قال : فتتزوج . قال : والمُحْجُوجُ كيف يتزوج ؟ قال له الفتي : فإنَّكَ لو خَضَخَضْتَ ، لكان أشبهَ مما إليه تَعَرَّضْتَ . قال الأعمى : والله يا مولاي لا يَسَعُهُ خُفِّي ، فكيفَ كَفِّي ؟ فصاح الفتي : السلاح السلاح : « ألا أَيُّهَا النَّوَامُ وَبِحَكْمٍ هُبُّوا » قال الجُرْجَانِيُّ فَقُلْتُ : « فللشيخ زُبٍّ ليس يَشْبِهُهُ زُبٌّ » . فقال الفتي : أسمعتَ العَجَبَ العُجَابَ ؟ قلتُ : نعم ، وحَفِظْتُ العِتَابَ : وجعلتُ أقول : ما سألك الشَّيْخُ في عَير ، ولا حَمَلَكَ على خَطِير . فهلّا قَضَيْتَهُ فَأَرْضَيْتَهُ ؟ قال : فحَسِبَ الأعمى كلامي رَدًّا ، وظنَّه جِدًّا ، فقال : فدَيْتُكَ أَيُّهَا النَّاصِر ، حين خَذَلَنِي الأَوَاصِر ، واحتَقَنِي المُنْعَاصِر ، ثم تنهَّد وقال : آه واهرَماه ! بَقِينَا حَتَّى شَقِينَا ، آه . طاحَ أَهْلُ البَدَلِ والسَّحاح ، وبَقِيَ أَهْلُ البُخْلِ والجِحَام . انظُرْ أَيَّ أَجْناس ، بعد أَيِّ ناس ، لكنَّ الفَقِيرَ حَقِير ، قَلَّ المَالُ ، وذهب الرجال . سَمِعِينَا فَطَمَعِينَا ، يا فتي ، أَخْبَرْنَا عَنْكَ خَبْرًا ، ما رأينا له أَثَرًا ، وربَّ مَنسوبٍ إلى حال ، مَرَجُوعُهَا إلى مُحال : أينَ الكَرَمُ الذي ذُكِر ، والخَلْقُ الذي شُكِر ؟ هَبْ ما سَأَلْنَاكَ يَشْشَقُ ، أينَ الحَقُّ الذي يَحَقُّ ؟ كَذَبَ رَائِدُنَا . وَقَلَّتْ قَوَائِدُنَا . فقال له الفتي : وَيَحْتَكِ ! اتَّقِ اللَّهَ خَالِقَكَ ، فقد آنَ أَنْ تَتَرَكَ خَلَاثَكَ .

١ كذا في س ، ولعلها « واحتقني » .

فقال : يا مولاي ، لو تركتني الشهوة لتركك ، لكن حررتني
فتحررت . إني وإن سبقني جمهور الأتراك إلى التراب ، فلي قلب الهبي ،
وجسم ذهبي ، لا يغيرهما إدمان الزمان ، ولا يؤودهما حديث الحدثن .
ولو عادت إلي ساعة من أيامي ، أو حصلت في يدي إبرة من حسامي ،
لسبقت كلومي فيكم كلامي . وسأجهد بهذه العصا ، فأجاهد من
عصا . ثم اهتز كأنه نسر مقصوص ، أو حمار متهوص ، فقمنا
وتركنا جانبته ، وجعل يضرب بعصاه ما قاربته . فتركناه وشأنه ، وأدمننا
عيانه ، نصعد فيه ونصوب ، ونعجب ونعجب . فلم نزل شققته
تهدير ، وعصاه تتكسر ، حتى كالت يدها ، وانخلت قواه . ولاح
وجه الصباح ، وجئنا إليه بالمصباح ، فإذا هو كالجدار المهدوم . والخدر
المهشوم ، قد فارق النفس النمرودية ، ومات الميتة الجاهلية . فدفعته
الفتى في أطماره ، وسألنا كتمان أخباره ، وأفن لعمري أي أفن ، أن
يطلع لخبر هذا في دفن ، بل هو منشور ، إلى يوم النشور .

ما أخرجته من شعر ابن شرف في أوصاف شتى
النسيب وما يناسبه

[قال ٢ :

قد كنت في وعد العذار فأنجزا وقضى لحسنك بالكمال فأوجزا

١ ص : قلبي .

٢ هي في الشريشي ٢ : ٢٦٥ (٥ : ٢٤٠) وانظر التفت : ١٠٢ .

وافى لنَصْرِ الحُسْنِ إِلَّا أَنَّهُ
عَطَفَ تَعَلَّمْ مِنْكَ عِطْفُكَ عَطْفَهُ
لَمْ يَكْفِ وَجْهَكَ حُسْنُهُ وَبِهَاوَهُ
سُبْحَانَ مَنْ أَعْطَاكَ حُسْنًا ثَانِيًا

وقال :

وَلَتَى إِلَى فِتْنَةِ الهَوَى مُتَعَبِرًا
وَجَدَ الْفَوَادُ بِهِ السَّبِيلَ إِلَى الْعِزَا
حَتَّى اكْتَسَى ثَوْبَ الْجَمَالِ مُطَرِّزًا
وَبِثَالِثٍ مِنْ فِعْلٍ حُسْنِكَ عَزَّزًا

تَصْعَدُ نَفْسٍ لَا صُعودُ تَنْفَسٍ
فَلَا الْقُرْبُ يُحْيِيْنِي وَلَا الْبَعْدُ قَاتِلِي
وَأَصْبَحْتُ ذَا ضَرٍّ وَلِقِيَاكَ مُبْرَىءٌ

وقال :

وَتَرْدِيدُ رُوحٍ فِي حُشَاةٍ مَكْرُوبٍ
وَلَا الْهَجْرُ يُسْلِفُنِي وَلَا الْعَبْرُ يُلَوِي بِي
لِفُضْرَتِي وَلَكِنْ أَيْنَ عَيْسَى مِنْ آيُوبِ؟

بَيْنَ أَجْفَانِكَ سِحْرُ
جَرَدَتْ عَيْنَاكَ سَيْفِي
فَعَلَى خَدِّكَ مِنْ نَهْ
وَمِنَ الْكُثْبَانِ شَطْرُ
وَسَوَاءٌ قُلْتُ دُرٌّ
وَبِمَاذَا أَصِفُ الْخَصْ
بِكَ شُغْلِي وَاشْتَغَالِي

وَعَلَى غُصْنِكَ بَدْرُ
نَ لَذَا أَمْرُكَ أَمْرُ
رِ دَمِ الْعِشَاقِ أَثَرُ
لَكَ وَالْأَغْصَانُ شَطْرُ
مَا أَرَى أَوْ قُلْتُ ثَغْرُ
رَ وَمَا إِنَّ لَكَ خَصْرُ [٨٩]
وَمَضَى زَيْدٌ وَعَمَرُو

وقال :

وَشَمْسٍ تَرَاخَتْ أَنْ تَغِيبَ لِقَبْلِي
فِيَا قَاطِعاً وَصَلِي وَيَا وَاصِلاً غَدِي
صَرَفَتْ رَجَائِي عَنْ لَعْلٍ وَعَنْ عَسَى
أَعْنَتِي بِالطَّمَاعِ الْوَصَالِ عَلَى النَّوَى
لَدَيْكَ فَوَادٍ مَا لَهُ مِنْ مُطَالِبٍ
وَدَيْعَةٍ مَيِّتٍ أَنْتَ فِيهَا مُحْكَمٌ
أَرَى مُهَاجَاتٍ فِي يَدَيْكَ فَمَا تَرَى
كَمَا أَمْسَكَتَ فِيمَا مَضَى شَمْسُ يُتَوَشَّعُ
بِأَمْسِي وَيَوْمِي فِي الْعَذَابِ الْمُتَمَتِّعِ
وَأَبْعَدْتَنِي بِالْيَأْسِ مِنْ كُلِّ مَطْمَعٍ
إِذَا لَمْ تُقَاتِلْ يَا جَبَانَ فُشِّجِعِ
أَطْلُبُ فِي بَعْضِي وَقَدْ بَانَ أَجْمَعِي ؟
وَلِنْ شَيْتٍ فَاحْفَظْهَا وَلِنْ شَيْتٍ ضَبِيعِ
بِمَنْ شَيْتَ أَوْ قَعٍ أَوْ بِمَا شَيْتَ وَقَعِ

قوله : « إِذَا لَمْ تُقَاتِلْ يَا جَبَانَ فُشِّجِعِ » مَثَلٌ مِنْ أَمْثَالِهِمْ ، وَإِلَيْهِ
شَارَ أَبُو نُوَّاسٍ بِقَوْلِهِ ^١ :

فَكَأَنِّي وَمَا أَزِينُ مِنْهَا قَعَدَتِي يُزِينُ التَّحْنِكِيمَا

وقال ^٢ :

وَاذْكُرْ لِبَالِيكَ الَّتِي ذَهَبَتْ لَنَا
يُسْعِدُكَ وَابِلٌ أَذْمَعٌ فِي أَرْوَاغِ
أَيَّامِ شَمْسِ الْمَشْرِقَيْنِ ضَحِيحِ
وَنَجْمٍ كَأَسَاقِي طَوَالِ الْعُيُونِ
هِيَ وَعَيْشًا كَانَ كَالْتِهْوِيمِ
سَرَبَتْ مِيَاهَ الدَّمْعِ شُرْبَ الْهَيْمِ
فِيهَا وَبَدَرُ الْمَغْرِبَيْنِ نَدِيمِي
وَالسَّعْدُ يَسْتَعْفِنِي عَنِ التَّقْوِيمِ

١ ديوان أبي نواس : ٣٢٥ .

٢ البيت الرابع منها في السنف : ٢٠٠ ولم يذكر مصدره ، وقد ورد في القسم الأول : ٤٧٧ .

محمود عيش جاد لي دهرني به ثم استرد فكان فيه خصيمي
ولتي وختي جمرة مشبوبة نذكي على الأحشاء نار سحوم
إذا رأيت لتهيبها وسلامي فاذكُر بذلك نار إبراهيم

ينظر معنى البيت الرابع من هذه إلى قول أبي الطيب^١ :

تقر له بالفضل من لا يوده ويقضي له بالسعد من لا يشجم

ولأبي [الحسن] أحمد البصري^٢ من أناشيد الثعالي :

كنت إذا ما سرت في حاجة أطالع^٣ التقويم والزيج
فصار لي الزيج كتصحيفه وعاد لي^٤ التقويم تعويجا

وقال بعض أهل عصرنا وهو أبو بكر الداني^٥ :

وبمهنجتي نجم له في مهنجتي مسرني ولي في نوره تعديل
حوالت عهد مناخه بمناخه فقضى بتحويله له التحويل

١ ديوان المتنبي : ٢٩٢ ، واستشهد به ابن بسام أيضاً في القسم الأول : ٤٧٦ .

٢ هو أحمد بن أيوب البصري ، أبو الحسن المعروف بالناهي ، انظر البيهقي : ٤ : ٣٨٣ - ٣٨٤ وقد ورد البيتان في ترجمته .

٣ البيهقي : استعمل .

٤ البيهقي : فأصبح .

٥ البيهقي : وأصبح .

٦ شعر ابن اللبابة : ٨٣ والذخيرة ٣ : ٩٦٠ .

وقوله : « محمودٌ عيش جادَ لي دهري به » من مُتداولاتِ المعاني ،
منها قولُ محمد بن هاني ١ :

وَهَبَ الدَّهْرُ نَفِيساً فَاسْتَرَدَّ رُبُّمَا جَادَ لَثِيمٌ فَحَسَدُ

وأخذه بعضُ أهلِ عصري فقال :

يَهَبُ الْقَلِيلَ وَقَدْ يَرَى اسْتِرْجَاعَهُ هَبِيَّةُ اللَّثِيمِ أَقْلٌ مِنْهُ وَأَنْزَرُ

ومن قصائده المطولة في المدح وما يتشبت به
من سائر الأوصاف

قال في المنصور حفيد ابن أبي عامر :

مَرَّ بِي غُصْنٌ عَلَيْهِ قَمَرٌ	مُتَجَلِّ نوره لَا يَسْجَلِي
هَزَّ عِطْفِيهِ فَقُلْنَا إِنَّهُ	ذو الْفَقَارِ اهْتَزَّ فِي كَفِّ عَلِي
وَرَأَيْتُ النَّاسَ صَرَعَى حَوْلَهُ	فَكَأَنَّ الْيَوْمَ يَوْمُ الْجَمَلِ
تِلْكَ أَخْبَارُ زَمَانٍ قَدْ مَضَى	وَأُمُورٌ فِي السَّنِينَ الْأَوَّلِ
زَمَنُ الْمَنْصُورِ قَوَّى مَنَّتِي	وَسَرَى هَمَمِي وَأَحْيَا جَدْلِي
وَسُرُورُ النَّفْسِ مِنْ بَعْدِ الصَّبَا	نَاشِرٌ عَصْرَ الصَّبَا وَالْغَزَلِ
فَاسْتَطِيبَ الْعَيْشُ فِي بِلَدَتِهِ	فَكَأَنَّ النَّاسَ فِي قُطْرُبُلِ
وَكَانَ الشَّمْسُ مِنْ بَهْجَتِهَا	أَبْدَأَ فِيهَا بِبَرْجِ الْحَمَلِ

١ ديوان ابن هاني : ٣٦٧ .

وله من أخرى في عباد :

فما جشأت نفسي عشيّة مشرف
ولا ليغرابي دمنة الدار ظلتُ ذا
مقامُ زمانٍ مات عروّةُ حَسرةً
فلو نال حظاً منه غيلانُ لالتفت

ولا احتلبت عينيّ حزوى وفيفاء^١
سؤالٍ وما عند الغرابين أنباءُ
عليه وظلتُ تسفح الدّمع عَفراءُ^٢
له صيدحٌ فيه وميّ ودهناء

ومنها في ذكر طيفلين له :

أجشتمهم ليل القيفار وظلمة الـ
ولي منهما سهمان هذا ابن أربع
أضمتها والليل داجٍ كأنما
فطوراً يغشيه على ذكر الكرى
وطوراً يمجون الدجى وميطاله
فتضجر منهم أنفس ربّما بكت

بحارٍ وكم ريعوا والسيد إرخاءُ
وهذا ابنُ سِتٍ كلّما كان لإغفاء
هُما نقطتا ياءٍ وجسمي هو الباء
فتصبح أضواءٌ عليهم ولألاء
وما كان للغاياتِ مظلٌ وإرجاء
بكاً هو للصمّ الجلاميد إيكاء

ومنها :

فإن أفحمتنا هبةً عُمريّةً
بذلت أنبساطاً لنا عكويّةً

لديك لها في الشعر^٣ كسرٌ وإقواءُ
لها بعد موتٍ المهاميه أفياءُ

١ يشير إلى قول ذي الرمة (غيلان) :

لقد جشأت نفسي عشيّة مشرف

٢ فيه إشارة إلى قول قيس لبيّ ، وسيوضحه ابن بسام فيما يلي .

٣ ص : العشر .

صَبَّحَ التِّي ذَكَرَهَا نَاقَةُ غِيلَانَ ، وَالِدَهْنَاءُ وَطَنَهُ ، وَمِيَّ صَاحِبَتُهُ ، وَكَانَ
ذُو الرُّمَّةِ بِلَهْجٍ بِذِكْرِ هَذِهِ الثَّلَاثَةِ فِي شَعْرِهِ . وَقَوْلُهُ [٩٠] « وَلَا لَغَرَابِي دِمْنَةُ الدَّارِ »
... الْبَيْتِ ، أَشَارَ إِلَى قَوْلِ عُرْوَةَ بْنِ حِزَامٍ الْعُدْرِيِّ فِي عَفْرَاءَ بِنْتِ مَالِكِ
الْعُدْرِيِّ ، وَتُنَشِّدُ الْآيَاتُ لِحُسْنِهَا ، وَلَكُونِ الْمَعْنَى فِرْعَاؤُهَا مِنْ غُنُصْنِهَا :

أَلَا يَا غَرَابِي دِمْنَةُ الدَّارِ خَبَّرَا أَبَاهُجِرٍ مِنْ عَفْرَاءَ تَنْتَحِبَانِ ؟
فَإِنْ كَانَ حَقًّا مَا تَقُولَانِ فَانْهَضَا بِلَحْمِي إِلَى وَكْرِيكَمَا فَكُلَا نِي
وَلَا يَتَعَلَّمَنَّ النَّاسُ مَا كَانَ مِيتَنِي وَلَا يَأْكُلَنَّ الطَّيْرُ مَا تَذَرَانِ
جَعَلْتُ لِعُرَافِ الْيَمَامَةِ حُكْمَهُ وَعُرَافِ حَجَرٍ إِنْ هُمَا شَفِيَانِي
فَقَالَا : شَفَاكَ اللَّهُ وَاللَّهُ مَا لَنَا بِمَا ضَمَنْتَ مِنْكَ الضَّلُوعُ يُدَانِ

وَضَرَبَ الْمَثَلَ بِهَيْبَةِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ، وَكَانَ مَشْهُورًا بِهَا ، وَبِانْبِسَاطِ
عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا .

وَلَهُ مِنْ أُخْرَى فِي ابْنِ طَاهِرٍ^١ أَمِيرٍ مَرْسِيَّةً وَقَتْبَهُ :

وَعَاجُوا عَلَى عُسْفَانَ وَاللَّيْلُ أَلَيْلُ وَمَرُّوا^٢ بِذَاتِ الْبَيْنِ وَالصَّبْحُ مُسْفَرُ
وَحَازَتْهُمْ حَزْوَى ضُحًى وَتَرَوَّحُوا بِمَنْعَجٍ وَاسْتَعْلَوْا أَبَانًا فَنُورُوا
وَلَمَّا تَوَاقَفْنَا بِذِي سَلَسَمٍ بَدَا سَلَامٌ^٣ لِسَلَامِي ظِلٌّ يَخْفَى وَيُظْهِرُ
شَعَرْتُ لَهُ وَالرَّكْبَ حَيْرَانُ غَافِلُ وَمَا شَاعِرُ أَمْرًا كَمَنْ لَيْسَ يَشْعُرُ

١ ديوان عروة : ١٦ ، ١٤ .

٢ يعني أبا عبد الرحمن بن طاهر ، وقد وردت ترجمته في القسم الثالث : ٤٤ - ٩٢ .

٣ ص : وهزوا .

رأت ظبية الوعاء عيني فهيبت
سأبكي طلولا كنت فيها مطلّة
تصنرم ذاك العيش إلا إدكاره
فتي طاهري طاهر الثوب ذكره
لها ذكرهم والشئ بالشئ يذكر
عليها وكل الليل تحتك مقمر
ولاً كذوباً في المنام تزور
من المسك أذكي أو من الماء أظهر

وله من أخرى في المعتضد ١ :

لولا هم لحجبت أول حجة
ولزرت حمص الغرب أغرب زائر
وزحمت واديتها بمثل عبابه
وأريت به بحراً يفاخر قعره
حرم الكرام وطال فيه طوافي
بغرائب كالحلّة الأفواف
من سلسيل في القلوب سلاف
بالأى فيه بلا أصداف

ومنها في مدحه :

يا حاسديه على علا خطت له
يخلي الديار من الجسوم ويجتني
فكأنما الأجسام بعد رؤوسها
سبى القضا بالنون ٢ بعد الكاف
نمر الرؤوس وطرفة الأطراف
أبيات شعري ما هن قواف

قال ابن بسام : أظن ابن شرف ، فيما وصف ، شبه الأجسام دون
رؤوسها بأبيات شعره في هذه القصيدة ، فليست لها مبادئ ولا قوافي ،

١ منها بيتان في المسالك ١١ : ٢٣٩ ، كما أن الأخير منها ورد في القسم الأول : ٣٨٣ .

٢ ص : القضاء النون .

وما أمّري أن الغربة فلت غربة طبعه ، وغسّلت عن جوانحه ،
وأطفأت نار قرائحه .

ومن أشبه مدائحه قوله في علي بن أبي الرجال^١ بعض أمراء القبروان
من قصيدة^٢ :

جاورُ علياً ولا تحفل بحادثةٍ	إذا أدّرت فلا تسأل عن الأسئل
إسم حكاها المسمى في الفعال فقد	حاز العليّين من قول ومن عمّل
فالمجد السدُّ الحرُّ الكريم له	كالنّعت والعطف والتوكيد والبدل
زان العلّا وسواه شاها وكذا	للمسح حالان في الميزان والحمّل
وربّما عابه ما يفخّرون به	يُشنا من الخصر ما يهوى من الكفّل
سل عنه وانطق به وانظر إليه تجد	ملء المسامع والأفواه والمقل

وله من أخرى^٣ :

ما لي كذا كل ما طابّته عسير	وقد أخذت بحبّ المطلب العسير ؟
مالي أجادب ذي الدنيا مؤالية	فكل ثوب عليها قد من دُبر

١ ص : الرجال ؛ وعلي بن أبي الرجال عالم شاعر كان راعي الأدب والأدباء في القبروان أيام
المعز بن باديس ، وباسم طرز ابن رشيق كتاب العمد ، وهو مؤلف كتاب البارح في أحكام
النجوم وفي ترجمة ابنه محمود قال ابن الأبار (اعتاب الكتاب : ٢١٤) انه كان هو وأبوه
وأهل بيته برامكة افريقية . (وانظر الفصل الخامس من كتابي : ملاح يونانية في الأدب
العربي : ٧٥ - ٧٩) .

٢ وردت أبيات منها في ياقوت والصفدي والقوات والمسالك واعتاب الكتاب . وانظر التتف
١٠٨ - ١١٠ والشريشي ٤ : ٢٢٣ - ٢٢٤ .

٣ منها بيتان في الشريشي ٢ : ١٠٠ (٤ : ٨٨) والتتف : ١٠١ - ١٠٢ .

ومنها :

يُعْطِي الْخَزِيلَ مِنَ التَّنْوِيلِ مُعْتَذِرًا وَرَبِّ مُعْطِي قَلِيلٍ غَيْرِ مُعْتَذِرٍ
أَتَى الزَّمَانُ عَلَى يَأْسٍ بِهِ لِبَنِي الدُّ نِيَا كِبَشْرَى بِمَوْلُودٍ عَلَى الْكِبَرِ
لَانِي وَجَدَكَ صَيَّرْتُ الْوَرَى نَهْرًا وَقُلْتُ مَا قَالَه طَالُوتُ فِي النَّهْرِ
فَأَنْتَ عِنْدِي مِنْهُمْ غَرْفَةٌ بِيَدِي حَلَّتْ وَحَرَّمَ بَاقِي النَّهْرِ فِي الزُّبُرِ

ومعنى البيت الرابع من هذه كقول أبي تمام، ونقص فيه عن التمام:

بُشْرَى الْغَنَى أَبِي الْبَنَاتِ تَتَابَعَتْ بِشْرَاوَهُ بِالْفَارِسِ الْمَوْلُودِ

وذكرت بقوله : « فكلُّ ثوبٍ عليها قدَّ من دُبُر » قول القائل :

قَمِيصُ يُوسُفَ لَمَّا قَدَّ مِنْ دُبُرٍ كَانَتْ بَرَاءَتُهُ فِيهَا مِنَ الْكَذِبِ
وَفِي قَمِيصِكَ لَمَّا قَدَّ مِنْ دُبُرٍ مِمَّا يَدُلُّ عَلَى الْفَحْشَاءِ وَالرَّيْبِ

وفي الحسن بن وهب يقول القائل :

إِذَا لَقِيتَ بَنِي وَهْبٍ بِمَنْزِلَةٍ لَمْ تَدْرِ أَيُّهُمَا الْأَنْثَى مِنَ الذَّكَرِ
مُؤَدَّبُونَ عَلَى الْفَحْشَاءِ مِنْ صِغَرٍ مَدْرَبُونَ عَلَى الشُّكْرِاءِ فِي الْكِبَرِ
يَحْنُكُونَ وَلَمْ تُقْطَعْ سَرَاتِرُهُمْ بَيْنَ الْخَوَاضِغِ وَالْدَايَاتِ بِالْكَمَرِ
قَمِيصُ أَثْنَاهُمْ يُنْشَقُّ مِنْ قَبْلٍ وَقَمِيصُ ذَكَرَانِهِمْ تَنْقُدُ مِنْ دُبُرٍ [٩١]

١ انظر الآية : ٢٤٩ من سورة البقرة .

٢ ديوان أبي تمام ١ : ٤٠٤ .

سائر مقطوعات له في أوصاف شتى

قال ^١ :

لعل اللهَ يَفْتَكُ المعنى ١١
وإن أرجو التخلصَ من عظيمٍ
لقد أنفدتُ من جلدِي دروعاً
وصبراً لو نجسَمَ لي مِجَنّاً
وأفقدُ ما طَلَبْتُ فلمْ أَجِدْهُ
فأصبحَ وهو للعنقاءِ ثانٍ
صَحِبْتُ بِهِ الدُّنْيَا أناساً
ولم أَصْحَبْهُمْ ودّاً ولكن
أسيرَ فيغْتَدِي وهوَ الطَّلِيْقُ
فقد ينجو من اللّجَجِ الغريقِ
زَرَيْنَ على الذي نَسَجَتْ سَلَوِقُ
كفاني ما رَمَتْهُ المنجنيقِ
رفيقٌ في صَحَابَتِهِ رَفِيقُ
وثاوٍ حيثُ فَرَخَتْ الأَنوقُ
إذا غَدَرُوا فغَدَرُهُمْ وثيقُ
كما جَمَعَ العَدُوينَ الطريقِ

لعلته ذهب في هذا إلى قول أبي الطيّب ^٢ :

ومِنْ نَكَدِ الدُّنْيَا على الحرِّ أن يرى
عدوّاً له ما مِنْ صِدَاقَتِيهِ بدُ

وقال :

بعيْشِكَ نَادِ أَيْامِي وَقُلْ هَلْ
لَدَيْكَ إِلَى مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلِ

١ منها بيتان في المسالك ١١ : ٢٣٩ - ٢٤٠

٢ ديوان المتنبي : ١٨٤ .

أراك كما يرى المحتاجُ مالاً وقد ملكتُ عليه يدُ البغيل
أراحلةً وما أبقيتُ مني سوى لحظٍ يترجمُ عن قتيل
وقد عاقبتُ بالعبراتِ عيني بلا ذنبٍ وما ذنبُ الرسول
وجدتُ الناسَ كلَّهمُ طُلولاً فلمْ أطيلِ الوقوفَ على الطُلول
وتسمعُ منهمُ ما لا تراهُ كسامعٍ ضربةِ السيفِ الصَّليل
فمنْ بسواك باعك فاعنْ عنه كما استغنى علي عن عتيل

عتيل" أخو عليّ بن أبي طالب كان ولدَ معه توأماً ، ولذلك قال :
زوحمتُ حتى في الرَّحم . ولما كان يومُ صفينَ هرب إلى معاوية وفارق
أخاه علياً .

وقوله : « أراك كما يرى المحتاجُ مالاً » . . . البيت ، أراه توارده فيه
مع ليدته وابن بلدته أبي عليّ بن رشيق حيثُ يقول ^١ :

والصبحُ قد مَطَّلَ الليلُ العيونَ به كأنه حاجةٌ في كفٍّ ^٢ ضنينِ

وقال ابنُ شرف ^٣ :

وما بلوغُ الأماني في مَواعيدها إلا كاشعَبَ يَرْجو وعندَ عُرقوبِ
وقد يخالفُ مكتوبُ القضاء يَدي فكيف [لي] بقضاءٍ غيرِ مكتوب؟

١ ديوان ابن رشيق : ٢٢١ (عن الذخيرة) .

٢ ص : يد ؛ وصوبته بما يغني عن ارتكاب الضرورة .

٣ البيتان في معجم الأدباء ١٩ : ٤٣ ، والشريشي ٣ : ٣١٦ .

٤ ص : يقضا .

وقال ١ :

سَلَّ عَنْ رِضَايَ عَنِ الزَّمَانِ فَإِنَّهُ كَرِضَى الْفَرَزْدَقِ عَنْ بَنِي يَرْبُوعٍ
لِلَّهِ حَالٌ قَدْ تَمَنَّقَلَ عَهْدُهَا بِخِلَافِ نَقْلِ الدَّهْرِ حَالِ صَرْبِيعٍ
دَارَتْ دَرَارِيُّ الْخُطُوبِ قَوَاصِدًا حَتَّى نَظَرْنَا إِلَى مِينِ تَرْبِيعٍ
كَانَ صَرْبِيعُ الْغَوَانِي خَامِلًا فَوَلَاهُ بَنُو سَهْلٍ جُنُرَاجَانَ فَشَرَفُ .

وقال :

أَهْلَ الصَّفَاءِ نَأَيْتُمْ بَعْدَ قُرْبِكُمْ فَمَا انْتَفَعْتُ بِعَيْشٍ بَعْدَكُمْ صَافٍ
وَقَدْ قَصِدْتُ نَدَى مَنْ لَا يُوَافِقُنِي فَكَانَ سَهْمِي عَنْهُ الطَّائِشَ الْهَافِي
أَرَدْتُ عَمْرًا وَشَاءَ اللَّهُ خَارِجَةً أَمَا كَفَى الدَّهْرَ مِنْ خُلْفِي وَإِخْلَافِي ؟

وقال ٢ :

يَقُولُونَ سَادَ الْأَرْضَ لَوْنَ بَعْصِرْنَا وَصَارَ لَهُمْ قَدْرٌ وَخَيْلٌ سَوَاقٍ
فَقُلْتُ لَهُمْ وَلَى الزَّمَانِ وَلَمْ تَمَزَلْ تُفَرِّزُنِي فِي أُخْرَى الْبُيُوتِ الْبِيَادِقِ

وقال ٣ :

قَالُوا تَصَاهَلْتَ الْحَمِي رُ فَقُلْتُ إِذْ عُدِمَ السَّوَابِقُ
خَلَّتِ الْبُيُوتُ مِنَ الرِّخَا خِ فَفَرَزَنْتُ فِيهَا الْبِيَادِقُ

-
- ١ الأبيات في الشريشي ٢ : ١٠٠ (٤ : ٨٨) والتنف : ١٠٤ .
٢ ورد البيتان في كتاب المقترح في جوامع الملح - باب الأشعار - (مخطوطة جامعة برنستون)
وكتاب الآداب : ١٠٤ .
٣ البيتان في ياقوت والصفدي والفوات والتنف : ١٠٦ والفيث ٢ : ١٢ .

وقال :

شَكَوْتُ حُزْنِي وَبَشِي إِلَى الْقَرِيبِ الْمَجِيبِ
فَكَانَ عُقْبَايَ عُقْبَى نَبِيَّةِ يَعْقُوبِ

وقال ١ :

لَكَ مَنْزِلٌ ٢ كَمَلْتُ سِتَارَتَهُ لَنَا لِيَلْتَهُوَ لَكِنْ تَحْتَ ذَاكَ حَدِيثُ
غَنَى الذَّبَابُ وَظِلٌّ يَزْمُرُ حَوْلَهُ فِيهِ الْبَعُوضُ وَيَرْقُصُ الْبَرْغُوثُ

وهذا كقول السَّمِيسِرِ ٣ :

ضَاقَتْ بِلَنْسِيَةِ بِي وَذَادَ عَنِي غَمُوضِي
رَقَصُ الْبِرَاغِيثِ فِيهَا عَلَى غَنَاءِ الْبَعُوضِ

ما أخرجته من مراثيه لأهل القيروان بلده

قال من قصيدة وصف فيها إذلال أهل سوسة جالية القيروان ،
وهي طويلة قطفت عيونها :

أَهْ لِلْقَيْرَوَانِ أَنَّةَ شَجَسُو عَنْ فُؤَادِ بِجَاحِمِ الْحُزْنِ يَصَلِي
حِينَ عَادَتْ بِهِ الدِّيَارُ قُبُوراً بَلَّ أَقُولُ الدِّيَارُ مِنْهُمْ أَخْلَى

١ البيتان في ياقوت والمطرب والنفع ٣ : ٣٢٩ وبدائع الهداة : ٣٩٤ (ونسباً فيه لابن رشيق) والتنف : ٩٤ .

٢ البدائع والمطرب : لك مجلس .

٣ وردا غير منسوبين في القسم الأول : ٨٨٨ وفي الحصري في بدائع الهداة : ٣٩٣ .

نَمْ لَا شَمْعَةٌ سِوَى أَنْجَمٍ تَخْ طَوَّعَ عَلَى أَفْقِهَا نَوَاعِيسَ كَسَلَى
 بَعْدَ زُهْرِ الشَّمَاعِ تَوَقَّدُ وَقَدْ أَوْ مِثْنَانِ الذُّبَابِ تَفْتَلُ فَتَلَا
 وَالْجُوهِ الْحِسَانِ أَشْرَقَ مِنْهُنَّ م وَيَقْضُلْنَهُنَّ مَعْنَى وَشَكَلَا
 لَوْ رَأَيْتَ الَّذِينَ كَانَ لَهُمْ سَهْلُ لَكَ وَعَرَأَقْدَ صَبَّرُوا الْوَعْرَ سَهْلَا

ومنها :

بَعْدَ يَوْمٍ كَأَنَّمَا حُشِرَ الْحَمْدُ قُ حُفَاةٌ بِهِ عَوَارِي رَجُلِي
 وَلَهُمْ زَحْمَةٌ هُنَاكَ تَحْكِي زَحْمَةَ الْحَشْرِ وَالصَّحَائِفُ تُتْلَى
 وَعَجِيجٌ وَضَجَةٌ كَضَجِيجِ ۖ خَلَقْتُ يَبْكُونَ وَالسَّرَائِرُ تُبْنَى
 مِنْ أَبَامِي وَرَاءَهُنَّ ۑ يَتَامَى مَلُّوا حَسْرَةً وَشَجْوًا وَثُكْلًا [٩٢]
 وَثُكَالِي أَرَامِلًا حَامِلَاتٍ طِفْلَةٌ تَحْمِلُ الرِّضَاعَ وَطِفْلًا
 وَحَصَانٍ كَأَنَّهَا الشَّمْسُ حُسْنًا كَفَسَتْهَا الْأَطْمَارُ نَجْلَاءُ كَحَمَلَا
 فَاتَ كَرْسِيَتَهَا الْجِلَاءُ ۖ فَأَضْحَتْ فِي ثِيَابٍ ۑ الْجِلَاءُ لِلنَّاسِ تَجَلَّى
 جَارَ فِيهِمْ زَمَانُهُمْ وَأُولُو الْأُمِّ رِفْقَةً رَوَايَرُ جُونٍ فِي الْأَرْضِ عَدَلَا
 تَرَكُوا الرِّبْعَ وَالْأَثَاثَ ۖ وَمَا يَنُ قَتْلُ لَا حَامِلٍ ۖ مِنَ النَّاسِ ثِقَلَا
 لَيْسُوا بِالْبَالِيَاتِ مِنْ خَشِينِ الصُّو فِ لِيَغْدُو النَّبِيَهُ ۖ فِي النَّاسِ غُفْلًا ۖ

١ ص : وراهم ، ولعلها « وراهم ويتامى » .

٢ ص : ثياب . ٣ الذخيرة ١ : ٩١ .

٤ ص : والاثاث .

٥ ص : لتعدوا البنية ... عقلا .

ناديات ، عَفْرَاءُ تُسْعِدُ سَعْدِي
 ليس منهنَّ مَنْ يُودِّعُ جَاراً
 كلهنَّ اعتلى الفراقُ عليه
 فإذا القَفَرُ ضمَّهنَّ فوق الدَّهْدِ
 مِن ثَعَابِينَ حَامِلِينَ نِيوباً^١
 وشياطينَ راحينَ يُلَاقُو
 فَرَى للظَّهْورِ^٢ تُعْتَلُ عَتَلًا^٣
 فإذا مَطْمَعٌ أَصَابُوهُ فِي أَحَدٍ
 فإذا نَجَتْ^٤ المَقَادِيرُ مِنْهُمْ
 لَيَقِيَّ الهَوْنَ فِي المَذَلَّةِ أَنْتَى
 ليس يلقى إلا أَمْرَاءَ مُسْتَطِيلًا
 فَرَى أَشْرَفَ البرِيَّةِ نَفْسًا
 فهمُ كُلِّهَا نَبَيْتَ بِهِمْ أَرْ
 مَزَقُوا فِي البِلَادِ شَرْقًا وَغَرْبًا
 لا يَلَاقِي النَسِيبُ مِنْهُمْ نَسِيبًا
 ليت شعري هل عَوْدَةٌ لِي فِي الغَيْبِ

وسُعادٌ تُجِيبُ بالتَّوَحُّجِ جُمْلًا
 لا ولا حُرْمَةً تُشِيعُ أَهْلًا
 فاقتحمنَ الجلاءَ حَقْلًا فَحَفْلًا
 رُلهُنَّ غَيْرَ ذَلِكَ النِّتْبَلِ نَبْلًا
 عَصْلًا : ذَابِلًا وَنَبْلًا وَنَصْلًا
 نَ بجونِ الفلا مساكينَ عَزْلًا
 وتُشَقُّ البطونُ تُغْسَلُ غَسْلًا
 شاءَ قَدُومُ عَمَتُوا بِذَلِكَ كُتْلًا
 راحيلًا بالخلاصِ يَتَحَمَّلُ رَحْلًا
 كان مِن سائرِ البلادِ وَحَلًّا
 طالبًا عِنْدَهُ حَقُودًا وَذَحْلًا
 ناكِسًا رَأْسَهُ يُلَاطِفُ نَدْلًا
 ضُ مطايا الفِراقِ خَيْلًا وَرَجْلًا
 يَسْكُبُونَ الدُّمُوعَ هَظْلًا وَوَبْلًا
 يَتَمَعَّزَى بِهِ وَلَا الحِيلُ خِيَلًا
 بَ إلى ما أَطَالَ شَجْوِي أَمْ لَا ؟

١ ص : فرق .

٢ ص : ليونًا .

٣ ص : الظهور .

٤ ص : أحشا قد .

٥ ص : خبث .

قوله « حين عادت به الديار قبوراً » يشبه من وجه قول أبي تمام ^١ :
وما القفر بالبيد القواء بل التي نبتت بي وفيها ساكنوها هي القفر
وأخذه بعض أهل عصري وزاد فقال :

ثاوٍ بحمص كأنما هي قبره لو لم يقاس بها صروف زمانه
وقوله « ثم لا شمعنة سوى أنجم » ينظر إلى قول محمد بن هانيء
الأندلسي ^٢ :

وبات لنا ساق يقوم على الدجى بشمعة صبح لا تقط ولا تطفأ
ويروى « بشمعة ليل » ، وإنما أخذه من قول أبي الحسن سليمان
ابن حسان النصبي ^٣ :

وإن يلك ليلنا فيه نهراً فشمعة بذكره ليست تقطأ
وربما توارد معه لأنه كان معاصره ، إلا أن ابن هانيء أقدم موتاً ،
حكى أبو علي في رسالة « قراضة الذهب ^٤ » أنه مات سنة اثنتين
وستين وثلاثمائة .

-
- ١ ديوان أبي تمام ٤ : ٥٧٠ .
٢ ديوان ابن هانيء : ٢٣٨ .
٣ سليمان بن حسان النصبي : أحد شعراء اليتيمة (١ : ٤٢٥) وهذا البيت لم يرد هناك .
٤ لم أجد هذا في قراضة الذهب ، فلعل ابن بسام وهم أولعل ما بين أيدينا من قراضة الذهب ناقص ؛ على أن كل المصادر التي ترجمت لابن هانيء جمعت وفاته سنة ٣٦٢ .

وقال ابنُ شَرَفٍ من قصيدةٍ وَصَفَ ما كان من صِيَانَةِ الحَرِيمِ في
أوطانها ، ثم ما صارتْ إليه من الانكشافِ في الحِيلِ والترحالِ ، ورُكُوبِ
ظهورِ الخُطوبِ والأهوالِ ، يقول فيها ١ :

بعدَ خطوبٍ خَطَبَتْ مُهَجِّي	وكانَ وَشِكُ البَيْنِ إِمهارَها
ذا كَبِيدٍ أَفلاذُها حَوَلَتِها	قَسَمَتِ العُرْبَةُ أَعشارَها
أُطافلُ ما سَمِعَتْ بالفلا	قطُ فَعابَتَتْ الفلا دارَها
ولا رَأَتْ أَبصارَها شاطِئاً	ثم جَلَّتْ باللجِ أَبصارَها
وكانتِ الأستارُ أَفاقَها	فَعادَتِ الآفاقُ أَسَثارَها
ولم تَكُنْ تَعَلو سَريرَ أَعَمَلِ	إِلّا إِذا وافَقَ مِقْدارَها
ثم عَلَّتْ كُلَّ عَثورِ الخُطَا	يَرمي بها الأَرْضَ وأَحْجارَها
ولم تَكُنْ تَلحِظُها مُقْلَةً	لو كَحَلَّتْ بالشمسِ أَشْفارَها
فأَصْبَحَتْ لا تَتَنَقَّى لِحِظَةً	إِلّا بِأَنْ تَجْمَعَ أَطْمارَها

قوله « وكانت الأستارُ أَفاقَها » من الكلامِ الفَصيحِ ، والقلبِ المَليحِ .
ويُشَبِّه مَنحاه ، وإن لم يَكُنْ في معناه ، قَدُولُ الأوَّلِ ٢ :

١ هي في التنف : ٩٩ نقلا عن معالم الإيمان .
٢ البيت لعبد الله بن الزبير الأسدي في الحماسة (شرح الرزقي : ٩٤١) وزهر الآداب :
٤٠٥ ونسب في أمالي القالي ٣ : ١١٥ للكميت بن معروف ، وانظر اللسان (سند) والعمري
٢ : ٤١٧ كما نسب في أنساب الأشراف (٤ / ١ : ١٣٤) لأيمن بن خريم (وفي ص :
60 من المصدر الأخير تفريجات كثيرة أخرى يتضح منها أنه ينسب في بعض المصادر
لفضالة بن شريك) .

فَرَدَّ شُعُورَهُنَّ السُّودَ بِيَضًا وَرَدَّ وَجُوهَهُنَّ الْبِيضَ سُدَا

وكقول الآخر :

ندبمتي جاريةٌ ساقيةٌ ونزعتي ساقيةٌ جاريةٌ

وله من أخرى ^١ :

كأني وأفراخي إذا الليلُ جَنَنَّا حمامُ أضلَلْنِ الْوُكُورَ فَضَمَّتْهَا
تَجَانُّسُهَا حَتَّى تَرَأَى الْمَفْرَقُ إِذَا أَفْزَعَتْهُمْ^٢ نَبْؤُهُ زَاخَمُوا لَهَا
ضُلُوعِي حَتَّى وَدَّعُوا لَوْ تَفْتَتَقُ وَيَصْفَرُ جَسْمِي عَنْ جَمِيعِ احْتِضَانِهِمْ
فِيثَبْتُ ذَا فِيهِ وَذَا عَنْهُ يَزْهَقُ كَأَنَّهُمْ لَمْ يَسْكُنُوا ظِلَّ نِعْمَةٍ
لَهَا بِهَنْجَةٍ مِثْلُ الْعَيُونِ وَرَوْنَقِ إِلَى أَنْ غَلَا فِيَّ الْفِيَا فِي فَتَارَةٍ
تُبَاعُ وَفِي بَعْضِ الْأَحْيَايِنِ تَعْتَقُ وَطَوْرًا عَلَى مَوْجِ الْبِحَارِ كَأَنَّنَا
قَدْ مَيَّ قَدْ وَثِقْنَا أَنَّا لَيْسَ نَغْرُقُ [٩٣] وَنَحْنُ نَفُوسٌ تِسْعَةٌ لَيْسَ بَيْنَنَا
وَبَيْنَ الرَّدَى إِلَّا عُوَيْدٌ مُلْتَفَقُ

نظم هذا من قول الفيلسوف ^٣ وقد ركب سَفِينَةً فقال للملاح :
كَمْ غِلْظُ لَوْحِ سَفِينَتِكَ ؟ قال : إصبعان . قال فلنما بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْمَوْتِ
إصبعان .

١ الأبيات في المسالك ١١ : ٢٤٠ .

٢ المسالك : قرعتهم .

٣ ينسب هذا القول إلى أناخرسيس في صوان الحكمة : ٢٤٧ (ط . طهران) .

وقوله « إذا أفزعتهم نبوة » . البيت ، بناءً على قول امرئ القيس ،
إلا أنَّ الوجدَ ليدَّعه ليدَّعه أنطقته بالحال ، وقولته السحر الحلال ،
فعلته كيف يفتت الأكباد ، ويفتت الأعضاء ، وهو قوله ١ :

إذا أخذتها هيزة الرّوع أمسكتْ بمنكيب مقدم على الهول أروعا

وقال من أخرى ٢ :

يا قيروانُ ودِدْتُ أني طائرٌ	فأراك رؤيّةً باحثٍ مُتأملٍ
أهاً وأيّةُ آهةٍ تشنفي جوى	قلبٍ بنيرانِ الصّباةِ مُضطلي
أبدتْ مفاتيحُ الخطوبِ عجائباً	كانت كوامينَ تحت غيبٍ مُقفّلٍ
زعموا ابن آوى فيك يعوي والصدى	بذراكٍ يصرخُ كالحزينِ المشكّلِ
يا بيدَ روضة ٣ والشوارعُ حولها	معمورةٌ أبداً تغص وتمتلئ
يا أربعي في القطبِ منها كيف لي	بمعادٍ يومٍ فيك لي ومن أين لي ؟
يا لو شهدت ، إذا رأيتك في الكرى	كيف ارتجاع صباي بعد تكهّل
لا كثرةُ الإحسان تنسي حسرةً	هيهات تذهبُ علّةٌ بتعلّل
وإذا تجددَ لي أخٌ ومُنادمٌ	جددتُ ذكر إخاءٍ خلّ أوّل
« لو كنتُ أعلمُ أن آخرَ عهدهم	يومُ الرحيلِ فعلتُ ما لم أفعلِ »

١ ديوان امرئ القيس : ٢٤٢ .

٢ منها خمسة أبيات في التنف : ١١٠ عن معالم الإيمان .

٣ روضة بالأندلس ، والشاعر يتدب معاهده بالقيروان ، فلعل فيه تصحيحاً .

وهذا البيتُ لجرير ؛ وإنما تضمنته . وبعده قولُ جرير ١ :

لو كنتُ أحذرُ وشكَّ بينَ عاجِلٍ لَتَقَنَعْتُ أو لَسَأَلْتُ ما لم يُسألِ

وقوله « واذا تجددَ لي أخٌ ومُنَادِمٌ » من قول أبي تمام :

نَقَلَ فُؤادَكَ حَيْثُ شَتَّ مِنَ الْهُوَى ما الْقَلْبُ إِلَّا لِلْحَبِيبِ الْأَوَّلِ

وقال أبو الحسن الرضي ٢ :

ما سَاعَدَتْني اللَّيالي بَعْدَ بَيِّنَتِكُمْ إِلَّا ذَكَرْتُ لِيَالِينا بِذِي سَلَمٍ

وقال ابن شرف من قصيدة ٣ :

كأَنَّ الدِّيارَ الْخَالِياتِ عِرائِسُ	كوَاسِدُ قَدْ أَزْرَتْ بَهْنَ الضَّرائِرُ
وَتُنْكِيرُ بَقِيَّاهَا الْأَسِيرَةُ حُسْرًا	عَوَاطِلَ لَا تَفْشِي لَهْنَ السَّرَائِرُ
إِذا أَقْبَلَ اللَّيْلُ الْبَهِيمُ تَمَكَّنَتْ	بِهَا وَحْشَةٌ مِنْهَا الْقُلُوبُ نَوَافِرُ
وَلَا سُرُجٌ إِلَّا النُّجُومُ وَرَبَّما	تَغَطَّتْ فَسَدَتْ جَانِبَيْها الدَّيَاجِرُ
يَمُرُّ عَلَيْها الْمَوْرُ يَسْحَبُ لُحْفَهُ	وَلَا كَناسٌ إِلَّا الرِّياحُ الْغَدائِرُ
وَيَمْتَدُّ عَمْرُ الصَّوْتِ فِيها وَرَبَّما	تَجُودُ مَراراً بِالْكَلامِ الْمَقابِرُ
فَلَوْ نَطَقَتْ ما كانَ أَكْثَرُ نَطَقِها	سَوى قَوْلِها أَيْنَ الْخَلِيطُ الْمَعاشرُ ؟
أَلَا قَمَرٌ إِلَّا الْمَنَعُ في الدُّجى	فَأَيْنَ اللَّوائِي لِيلُهُنَّ الْمَعاجِرُ ؟

١ ديوان جرير : ٩٤٠ .

٢ ديوان الرضي ٢ : ٢٧٥ .

٣ منها ثلاثة أبيات في معجم الأدباء ١٩ : ٤٢ وأحد عشر بيتاً في التفت : ٩٨ عن معالم الإيمان .

ألا منزلٌ فيه أنيسٌ مغالطٌ ألا منزلٌ فيه أنيسٌ مجاورٌ ؟
تُرى سيئاتُ القبروانِ تعاطمتُ ألم تكُ قدماً في البلادِ الكبائرُ ؟
ضجرَ أبو عبد الله - عفا الله عنه ؛ وفيها يقول :

ترحلَ عنها قاطنوها فلا ترى سوى سائرٍ أو قاطنٍ وهو سائرُ
تكشفتِ الأستارُ عنهم وربما^١ أقيمتُ ستورٌ دونهم وستائرُ
إذا جاذبتُ أستارها تبغني بها لأقدامِها سترأُ تَبَدَّتْ غدائرُ
تبيتُ على فُرْشِ الحصى وغِطاؤها دوارسُ أسمالٍ زَوَارٍ^٢ حقائرُ
فيا ليتَ شعرَ القبروانِ مواطني أعائدةٌ فيها الليالي القصائرُ ؟
ويا روحتي بالقبروانِ وبكرتي أراجعةٌ روحاتها^٣ والبواكرُ ؟
كانَ لم تكنْ أيا منّا فيكِ طَلْقَةٌ وأوجهُ أيامِ السُرورِ سوافرُ
كانَ لم يكنْ كلٌّ ولا كان بعضُهُ سيمضي به عصرٌ ويمضي المعاصيرُ^٤

قوله « كانَ الديار الخاليات » ينظرُ من وجهٍ إلى قولِ أبي تمام * :
وكذاك لم تُفْرِطْ كآبةٌ عاطلٍ حتّى يُجاورَها الزَّمانُ بحالي
وقال ابن شرفٍ من أخرى :

١ يا قوت : من أهلها وكم .

٢ التفت : عليها

٣ التفت : روحاتها .

٤ التفت : وتمضي المعاصر .

* ديوان أبي تمام ٣ : ١٣٢

سقى القصرَ فالميدانَ أخلاقهُ مزنة
على أنه مرمى^١ نبتت عنه أسهُمي
أناديه والبحرُ المحيطُ مجاوي
وقرطبة ضمت إليها جوانحي
نزلنا [بها] لا نبتغي السوقَ عندها
وأحيا ابنُ يحيى ميّتاتِ خاطري
أبا حسنٍ أحسنتَ بدءاً وعودةً
فلم يرَ بؤسٌ إذ وليتَ أمورَها
وكم لقيت حربَ الأزارقِ منهمُ
وراحت على الروحاءِ منها أفاويقُ
فلا حَزَّ لي في الأفقِ منه ولا فوق
ودوني خليجٌ منه أفيحُ مخروق
كما ضمُّ من عفراءِ عروّةٍ تعنيق
فما كان بدءاً أن أقيمتَ لنا سوق
وفسحَ آمالي وكان بها ضيق
وللغصنِ إثمارٌ إذا كان توريق
ولا كسدتُ سوقٌ إذ التفتتِ السوقُ
وكم زرقتَ في جانبيها المزاريق

قال ابن بسّام : وكثيراً ما يذكرُ ابنُ شرفٍ في شعره أحياءَ الأعرابِ
التي أخرجتهم من القيروان كبنِي هلالٍ [٩٤] وقرة وزُغَبَة وهم الذين تولّوا
حربَ بلده في التاريخ المتقدم الذكر ؛ فمن ذلك قصيدةٌ أولها^٢ :

جُسومٌ على حُكمِ العيونِ صحاحُ وفي طيِّ أحناءِ الضلوعِ جراحُ

يقول فيها :

إذا كان للأحبابِ رسلٌ فرُسلنا بروقٌ إلى أحبابنا ورياح
ومن دونِ تلكِ الرُّسلِ أخضرُ زَاخِرٌ أجاجٌ ومهجورٌ الفجاجِ فَيَاح

١ ص : مرعى .

٢ ص : إلا

٣ منها بيتان في معجم الأدباء ١٩ : ٤٢ وثلاثة في التنف عن معالم الإيمان .

وللسهم دون القبروان تسهم
وقرة قد قرئت هناك عيونها
كان لم يكن لي أفس في عرصاتها
يخيلها زور الكرى لي في الدجى
كسيت قناع الشيب قبل أوانه
ويا رب وجه فيه للعين ممتزة
وأهجره وهو اقتراحي من الورى
وهذا مصراع بيت المعري ^١ :

« والعذب يهجر للإفراط في الخصر »

وقوله : « يخيلها زور الكرى » ألم فيه ابن شرف بقول العباس ابن
الأحنف ^٢ :

حتى أقول إذا استيقظت من أسف
يا ليتني كنت دهري راقداً أبداً
وله من أخرى يمدح الأمين ابن السقاء :

فيا أخوي من أسد وسعد
أحي حي زغبة أم دفين
فلا اشتملت مساكنها بشمل
ولا هدا القرار به سكون

١ شروح السقط : ١٢٠ و صدره : لو اختصرتم من الاحسان زرتكم ؛ وقد كرر ابن بسام
الاستشهاد به في موطن .
٢ لم يرد في ديوان العباس .

ولا سَرَّتِ الرياحُ على رباحٍ	لواقِحِ مزنةٍ أنتى تكون
فقد دارتْ عاينا من رحاها	طَحُونُ كلِّما لاقَتْ زَبُون
فلا وطنٌ لنا إلَّا المطايا	وإلاَّ الماءُ طوراً والسَّفين
لعلَّكَ أيُّها البرقُ اليماني	إذا كَشَفْتَ عن خَبْرٍ تبين
أني وكنَّاتُها عَقْبَانُ قوم	كعَهْدِي أَمْ خَلَلْتَ منها الوُكُون
وبين قِبابِ صَبْرَةٍ والمصلَى	نُهَى ومهاً وآسادٌ وعَيْن
وأجبالٌ تَحورُ بها المذاكي	وأقمارٌ تَمِيسُ بها الغُصُون
وقرطُبةٌ أَعِيدَتْ قِبرواناً	لنا لَمَّا دَهَتْ تلكَ الفُتُون
وكيف يَضِيعُ مثلي في مكانٍ	يكون به أبو الحسنِ الأَمِين
أيا مَنُ أن تكونَ التَّونُ راءٌ	وقد وَجِبَتْ له راءٌ ونون

انتهى ما أخرجته من أخبار ابن شَرَف ، وتلاو ذلك بطرف من أخبار
ابن السَّقاءِ مدبِّرِ الدَّولةِ الجُهورِيَّةِ بقرطُبة ، ونُشِرُ إلى مَقْتَلِهِ ، ونلَمْعُ
بذكرِ أوْلِهِ ، وكيف ارتقى من الحُضيضِ ، إلى ذِروَةِ الجاهِ العريضِ ،
حتى زاحَمَ نِجومَ الأفلَاكِ ، ومَلَأَ صُلُورَ الأَملاكِ ، وسارتْ عنه في السَّياسَةِ
أخبارٌ ، مَحَّتْ أَضواءَ الأسْحرارِ ، وعَطَّرتْ أنفاسَ الأزهارِ .

جملة من أخبار ابن السقاء القرطبي ، مدبر الملك الجمهوري

قال ابنُ حَيَّانَ : كان أبو الحسنِ إبراهيمُ بن محمد بن يحيى المعروف
بابنِ السَّقاءِ قد كابدَ من شَطَطِ المَعيشةِ في فِتْنامِ سنَّتهِ ما لا شيءَ فوقه ، إذْ

كان يعالج السقط بسويقة ابن أبي سفيان في قرطبة بيضاغة نزره . وأعلى ما انتقل إليه عند إكداء تلك الحرفة الاستخراج في جهة الأحباس ، وراثة^١ عن والده محمد السقاء . وبأسبابها خدَم القضاة وتمرن مع الفقهاء ، وهو يقتات معيشته مياومة^٢ ، وبأوي ليله إلى بيت في دويرة والده محمد بجوفي المسجد الجامع ، يحاضر فيه جماعة إخوة لا يجد بينهم إلى مد ساقه سيلاً . وما هو إلا أن حمل الأمانة على كاهله ، فوضعها أسفل رجله ، وتذكرَ عض الكلاب لعصاه ، فتحول جرّداً للسرقة والخيانة ، وابتنى القصور المنبئة ، واقتنى الضياع المفضلة ، إلى أملاك لا تحصى كثرة .

قال ابن بسام : وقد رأيت ابن حبان مدح ابن السقاء في غير ما مَوْضِعٍ من كتابه ، فقال فيه في فصل :

وصار من المناجح للدولة الجهورية أن استعان فيها الوزير الرئيس أبو الوليد جهور^١ على أمره بالأمين أبي الحسن إبراهيم بن محمد ، متولي النظر في المسجد الجامع على قديم الأيتام ، خادمه الكافي المنقطع إليه ، وتصبّحه المتهايك^٢ في طاعته . فتفرّس فيه فإراسة مثليه ، فقلّده القيام بأعباء دولته ، فأصاب نقافاً يخدم^٣ ، ونفدَ فيما يُريدُ عنه كالسنان الלהندم ، بلخودة استقلاله ، ورجاحة وزّنه .

ثم ذكره بعد مقتله فقال : وهذه عَصْفَةٌ من عَصَفَاتِ الدهر الخوون ، الذي هو لمن أصغى إليه أنصح الواعظين [٩٥] . قَصَفَتْ من هذا الرجل

١ ص : وارثه .

٢ ص : وتصبّحه التهايك .

٣ ص : يخدم .

الظالم - كان - لنفسه، الغاشم المصطنع، سرحة نؤارة أطلال الباطل مرعها
 من غيراس أودع خضراء دمنة . فموة على أهل وقته بليانة كانت
 فيه سوقية ، وخلافة جبيلية ، عضدما جد صاعد رقاءه من الخضيض
 إلى السها ، وحرسنه إلى مدة اجتذبتنه عند توفيتها أعراقه اللثيمة ،
 فتولت ذمياً لسوء أفعاليه ، فلا سماؤه يكت عليه ولا أرضه . وقد كنت
 كتبت من وصف ظاهر محاسنه أوان اعتلاقيه بقهرمة أميرنا محمد بن
 جهنور ، وعددت من حسان خصاله ما لم يتبعده عن الصدق عنه ،
 لأخذنا بظاهر ما تموة في العيون وقت بنائه لنفسه ، وتنفيقيه لكساده ،
 من طاة الخلق ، وحسن الاحتمال ، ولين الحجاب ، وخيفة المواطة ،
 وجودة الوساطة ، معرضين فيه عن ذكر ما لم يمكن لنا النفث عنه مما في
 باطنه من نذالة الحميم ، ونطف الصعبة ، وتهمة الخلوة . وإذا به
 متخلق ليسمو إلى مراد أناله المقدار إياه ، فتنة من الله . فلم يلبث
 أن أدركه عرق السوء ، واجتذبه إلى نصير طباعه ، فاستحال وتغير ،
 وعتا واستكبر ، وخان وغدر ، فاستخف المظالم ، واستهان الكبار ،
 واطرح الفروض ، واحتقر الخقوق ، واغترى بذوي الهيئات ، وحملت
 المروءات ، فأذال صونهم ، وأغرى غاشيته من سيفلة الناس وأوغادهم
 بهم ، فأصرع خلدودهم ، وحط أقدارهم ، وأشعر الأعززة الدلة ،
 وألصق أنوفها بالرغام ، وأصمتها عن الكلام . فارتفع الأمر بالمعروف
 جملة ، ووسع أهل السلامة الدخول تحت التقيبة . فصيرنا ممن
 أخذ بذلك في ذكره ، فيما كتبنا له من ظاهر أخباره مدة ستر الله
 عليه ، إلى أن ارتفعت بزوال سلطانيه ، وأمان عدوانيه ، ففارقنا

الحزْمُ^١ في ذكره ، وَلَزِمْنَا الْعُذْرَ عَنْهُ بِالنَّقْضِ لما أسلفناه مِنْ تَقْرِيطِهِ .

قال ابن حيتان : وَلَمَّا^٢ رآه وَلَدُ ابْنِ جَهْوَرٍ أَخَذَهُ بِخُطَطِ الْمُلْكِ أَجْمَعِهَا ، وَمَرَاتِبِ الرِّئَاسَةِ بِكَلِيَّتَيْهَا ، وَتَرْكَهُمْ أَعْطَالاً ، وَبَسَطَ يَدَهُ إِلَى مَالِ الْخِرَاجِ وَاحْتَوَى عَلَيْهِ ، بِأَخْذِهِ كَيْفَ شَاءَ ، وَيُنْفِقُهُ فِيمَا يُرِيدُ ، وَاصْطَنَعَ الرِّجَالَ ، وَاتَّخَذَ الْأَصْحَابَ وَالْغِلْمَانَ ، فَخَضَعَتْ لَهُ الرِّقَابُ ، وَسَمَتْ إِلَيْهِ الْأَمَالُ ، فَتَوَقَّلَ ذِرْوَةَ الْإِمَارَةِ حَالاً^٣ ، حَتَّى ثَنَى الْجُنْدَ وَالرَّعِيَّةَ لِنَفْسِهِ ، وَصَدَّهُمْ عَنْ لِقَاءِ أَمِيرِهِمْ ابْنِ جَهْوَرٍ . وَلَمْ يَسْتَحْيِ مِنَ اللَّهِ وَلَا مِنْ عِبَادِهِ فِي خَدَوْنِ أَمَانَتِهِ ، وَلَا تَسْتَرَّعَنِ الْإِعْلَانِ بِغُلُولٍ وَدَيْعَتِهِ ، وَقَدْ تَوَلَّى أَمْرَ السَّلْطَانِ وَهُوَ فَقِيرٌ فَلَمْ يَسْتَرِ فِي الْاِكْتِسَابِ ، بَلْ جَاهَرَ فِي التَّحَامُلِ عَلَى الْجِيرَةِ وَالْإِكْرَاهِ لِلْمُسْتَضْعَفِينَ مِمَّنْ يُصَاقِبُهُ مِنْ ذَوِي خُطَّةٍ أَوْ سُهْمَةٍ . لَهُ فِي كُلِّ ذَلِكَ أُمُورٌ لَا تُحْصَى كَثْرَةً . ثُمَّ خَلَطَ لِأَوَّلِ تَرْقِيهِ فِي الرِّئَاسَةِ بِأَنْ اتَّخَذَ لِنَفْسِهِ جُنْدَ سَوَاءٍ ، مَالٌ بِهِ طَبَعُهُ الرَّذْلُ إِلَى الْاِسْتِظْهَارِ بِهِمْ عَلَى أَقَادِمِ الْجُنْدِ بِقَسْرُطَةٍ مِمَّنْ مَرَّنَ عَلَى الْاِسْتِقَامَةِ ، فَتَخَيَّرَ هُوَ مِنْ أَرَاذِلِ الطَّبَقَاتِ وَمُنْصَاصِ شِرَارِ النَّاسِ ، وَانْتَقَاهُمْ مِنْ أَصْنَافِ الدَّعْوَةِ وَالْدَائِرَةِ وَالْأَسَاوِدِ وَالرَّقَاصَةِ ، نَخَلَ مِنْ كُلِّ طَبَقَةٍ مَرْفُوضَةً مَا بَعَثَ عَلَى النَّاسِ مِنْهُمْ ذِثَاباً عَادِيَةً ، وَأَعَدَّهُمْ لِيَوْمِ الْكُرْبَةِ فَلَمْ يُغْنُوا عَنْهُ شَيْئاً لَمَّا حَاقَ بِهِ قِضَاؤُهُ . وَكَانَ قَدْ أَقْفَرَ دَارَ الْخِدْمَةِ بِقَسْرُطَةٍ وَنَقَلَهَا إِلَى دَارِهِ ، فَجَعَلَتْ الْمَوَاقِبُ تَزْدَحِمُ عَلَى بَابِهِ ، وَلَمْ

١ كذا في ص .

٢ لم يأت جواب « لما » .

يوفقهُ اللهُ لاختيارِ حاجِبٍ لَسِيْبٍ يَعْلُو^١ جَمَاعَةَ حَجَّابِيهِ ، فيَحْمِلُ^٢ له وجوهَ الناسِ ويرتَبُ قُعودَهُمْ بِدِهْلِيزِهِ فيُطْعِمُهُمْ بِخُرُوجِهِ أوْ يَعْتَذِرُ^٣ إليهم عنه بما يُؤَيِّسُهُمْ منه ، فيذهبون لَسَبِيلِهِمْ مُعَافِينَ من سوءِ غِلْمَانِيهِ ؛ وما كانوا يَلْقَوْنَهُ إِلَّا [في] فَصِيلٍ فيه أقدامُ^٤ الرجالِ لسوءِ أدبِ حَجَّابِيَّتِهِ في حَمَلِهِمْ على الناسِ بِعُنفِ الرَّدِّ . ولربَّما دَقُّوا الأنوفَ وَنَتَفَعُوا الشَّوَارِبَ غيرَ مُمَيِّزِينَ لَطَبِيقَةِ الناسِ ، فَحَقِّدُوا عليه ، إلى أَشْتَاتٍ^٥ من المساوئِ نَظَمَها ، وأنواعٍ من المخازي جَمَعَها . وألقى له على قُلُوبِ الناسِ رَهْبَةً مع أَضْغَانٍ^٦ شَبَّوا بها أَصْبَغَةً مَسَاوِيهِ^٧ ، والأقدارُ تَدْفَعُ عنه ، إلى أنْ حَاقَتْ به فَكْبًا لفيه . ولم يَزَلْ يَرْجِعُ^٨ في مراتعِ الباطلِ ، وَيَلْتَبَسُ^٩ على الناسِ أَمْرَهُمْ ، وَصَدَّهُمْ عن أَمِيرِهِمْ ، وَأَخَذَ اللهُ بِسَمْعِهِمْ وَبَصَرِهِمْ ، وَتَمَثَّلَ لَهُمُ الْخَسَدُ الْمُلقَى على كُرْسِيِّ سُلَيْمَانَ ، فَحَارَتْ أَلْبَابُهُمْ فيه ، وَتَاهَتْ منه ، مِينَ وَزِيرٍ في قُعودِ أَمِيرٍ ، وَقَاضٍ في مِيسْلَاحِ جُنْدِي ، وَفَقِيهٍ على دِينٍ يُحْيِي بالقولِ وَيَقْتُلُ بالفعلِ . فَسُبْحَانَ من سَوَّاهُ من الأُمِّ^{١٠} طِينَةٍ فَأَمَهْلَهُ مُدَّةً . مِينَ رَجُلٍ عَهِيرِ الْخَلْوَةِ لَزُهْدِهِ في النِّسَاءِ وَكَلَفَهُ بِالْغُلَمَانِ . وَاتَّخَذَ دَاراً آخِرَ مُدَّتِهِ لِلْخَلْوَةِ بِهِمْ ، فَكَانَ لَا

١ من : يفلوا

٢ من : أقدام .

٣ من : الا اشتاتاً .

٤ من : اضطغان .

٥ قد يفهم المعنى مجازاً ، بأن مساويه كانت مخضوبة فشبهتها أضغانهم أي أظهرتها بقوة التضاد .

٦ يرجع : يتردد ، وقد تقرأ : « يرتع » .

٧ من : ألم .

يَتَخَدِمُهُ فِيهَا [٩٦] وَلَا يَحُفُّ بِهِ غَيْرُ خَاصَّةٍ غِلْمَانِهِ ، وَلَا يَأْذَنُ لِأَحَدٍ مِنْ طَبَقَاتِ النَّاسِ بِالْدُخُولِ إِلَيْهِ فِيهَا . فَأَكْثَرَ النَّاسُ الْقَوْلَ فِي هَذِهِ الدَّارِ وَاسْمُهَا « دَارُ اللَّذَّةِ » لِأَنَّهُ كَانَ يَجْبِشُهَا فِي أَكْثَرِ النَّهَارِ عِنْدَ فَرَاغِهِ مِنْ أَحْكَامِهِ فَيَقْضِي بِهَا رَاحَتَهُ . فَإِذَا جَاءَ اللَّيْلُ عَادَ إِلَى دَارِ سُكْنَاهُ الَّتِي فِيهَا أَهْلُهُ . وَمِنْ تَمَامِ الْعَجَبِ فِي شَأْنِهِ أَنَّهُ لَمْ يَكْشِفْهُ وَلَا نَبَشَ صَدَاهُ إِلَّا تِلْكَ الطَّائِفَةُ مِنْ بَطَانَتِهِ الَّتِي اخْتَارَهُمْ لِنَفْسِهِ مِنْ أَرَادِلِ الطَّبَقَاتِ ، وَذَلِكَ مَعَهُودٌ فِي أَمْثَالِهِمْ : فَالْصَّنِيعَةُ لَا تَزْكُو إِلَّا عِنْدَ ذِي حَسَبٍ أَوْ دِينٍ :

قَالَ ابْنُ حَيَّانَ : فَلَمَّا قَطَعَ أَمْوَالَ النَّاسِ جُمْلَةً عَنْ بَنِي جَهْوَرٍ ، وَأَخْلَى أَبْوَابَهُمْ مِنْ جَمِيعِ الطَّبَقَاتِ ، وَلَمْ يَدْعُ لِبَنِي جَهْوَرٍ مِنْ سُلْطَانِهِ غَيْرَ التَّوْقِيعِ وَحْدَهُ ، وَتَقَدَّمَ إِلَى جَمِيعِ أَصْحَابِهِ وَحُجَّابِهِ أَنْ يُدْعَى بِالسُّلْطَانِ ، فَكَانَ إِذَا رَكِبَ إِلَى دَارِ أَمِيرِهِ ابْنِ جَهْوَرٍ سَأَلَ سَائِلٌ : أَيْنَ يَكُونُ السُّلْطَانُ ؟ قَالَ حُجَّابُهُ : فِي دَارِ الْوَزِيرِ ، فَيَجِثُونَ بِمَعْكُوسٍ مِنْ الْقَوْلِ يَمَجِّتُهُ السَّمْعُ ، دَانَ لَهُ النَّاسُ بِذَلِكَ عَنُودًا ، وَخَاطَبُوهُ بِالتَّعْوِيلِ دَعَاءً وَمُكَاتَبَةً ، إِلَّا قَلِيلًا تَمَسَّكُوا بِالْمَرْوَةِ فَاسْتَبَسَّوْا لَدَيْهِ مَقْتًا^١ : فَظَلَّ يَزْدَادُ مَعَ الْأَيَّامِ اسْتِكْبَارًا ، وَيُسَبِّطُنْ تَدْبِيرًا ، وَيُسَمِّيُهُ تَفْكِيرًا^٢ . أَخْبَرْتُ أَنَّهُ قَالَ [لَهُ] يَوْمًا بَعْضُ بَطَانَتِهِ عِنْدَمَا رَأَاهُ يَسْرُكِبُ مِنَ الْفَوَاحِشِ : خَفَقْتُ عَلَيْكَ ، فَقَالَ لَهُ : وَمَا عَلَيْنَا ؟ وَاللَّهِ مَا بِهَا كَيْلَبٌ يَنْبَغُ فَيُجْتَمَعُ إِلَيْهِ : وَمَا عَلِمَ الْحَائِثُ^٣ الشَّقِيَّ أَنَّ هُنَاكَ شَيْبَلُ أَسَدٍ جَهْوَرِيٍّ قَدْ لَبَّدَ لِبَطْشٍ

١ ص : معنى .

٢ ص : تفتيرا .

٣ ص : الحائث .

به وهو عبدُ الملكِ الأصغرِ مِن إخوتِهِ ، لم يَسْتَشِيرِ في الفَتَكِ به غيرَ نفسه .
فلَمَّا كان في يومِ السَّبْتِ لِسَبْعِ بَقِيْنَ لرمضانَ سَنَةَ خمسَ وخمسينَ أَعَدَّ
له رَجَالَةً في فَصِيلِ أبيه ، وأقام هو يَنْتَظِرُهُ ، وأرسل عنه رسولاً كان
أبوه يوجِّهه عنه . فلَمَّا وصل إلى بابِ ابنِ جَهْوَورٍ ومعه مِن أصحابه
الناشِبِينَ معه نَزَرُ يَسِيرِ ، وأراد النَزولَ على حَجَرٍ لاصِقٍ بِالْبَابِ ، وإذا
بِعبدِ الملكِ قد قام عليه بِخَنْجَرٍ أَعَدَّ له فَضَرَبَهُ ثُمَّ خَرَجَ عليه الرَجَالَةُ المُعَدُّونَ
له وابتَدَروهُ كَالصُّقُورَةِ بِالسُّيُوفِ وحزوا رأسَهُ . وركب من حينه
عبدُ الملكِ وجعل رأسَهُ على رُحْمِهِ وطيفَ به البلَدُ كُلَّهُ حتى انتهى إلى دارِهِ
« دارِ اللَذَّةِ » ورمى رأسَهُ للعامةِ ، فعائَتَ فيه ، وكسروا أنيابه ونَتَفَوا
لِحَيْثِهِ ، فأصبحَ شَأْنُهُ عَجَبًا . واحتوى عبدُ الملكِ على تلكِ الدارِ وحازها
بما فيها ، وعلى أصاغِيرِ غُلَمَانِهِ : واجتاز على السَّجَنِ وأطلقَ مَنْ فيه .
وسمع أبوه محمدُ بنُ جَهْوَورٍ خَبَرَ الواقعةِ فخرجَ دَهِيشًا ، ورآهُ مُجَدِّلاً
فارتاعَ وتلهَّفَ ، وانتَهر ابنَهُ وهو يُحاوِلُ تطويفَ الرأسِ ولم يَقِفْ على
أبيه . وأمرَ ابنُ جَهْوَورٍ بِسِتْرِ جَسَدِهِ في دِهلِيزِ الإصْطِطِلِ . وتقدَّمَ بِإِصْلاحِ
أبوابِ المدينةِ ، وركبَ إلى المسجدِ الجامعِ وقد دخلَ الناسُ في السَّلاحِ
وجاشوا جَيْشًا عَظِيمًا ، وأبَدُوا بِقَتْلِ ابنِ السَّقَاءِ سُرورًا عَظِيمًا ،
وأعلنوا بِالشَّماتِ به وإقْداحِ القَوْلِ فيه .

وقعد ابنُ جَهْوَورٍ بِالْمَسْجِدِ الجامعِ على كُرْسِيِّ المُصْحَفِ ، وبادرَ
المُجْهِمُ إِلَيْهِ لِأَوَّلِ المَهِيشَةِ الوَزِيرُ الزَّمِينُ ، بَقِيَّةُ وِزْرَامِ الفَتْنَةِ ، أَبُو إِسْحاقَ

١ من قول الشاعر :

فلم يستشر في أمره غير نفسه ولم يرع إلا قائم السيف صاحباً

ابن حمام عدو ابن السقاء كأنما أنشيط من عقال . وقتل ذلك اليوم
 من حاشيته نحو مِئتين وعشرين رجلاً . واعتصم أخوه بمنار المسجد
 الجامع فنجا . وانطلقت أيدي الناس على [أتباعه] ^١ فنهبت دورهم .
 ثم أمر ابن جهور بستوق رأسه وضّم إلى جسده ، ووري في أخدود
 خلد له بباب مسجد ابن السقاء في أطماره ، وهيل عليه التراب هيناً .
 وسلبت كسوة المسجد وثرياته ، وعطلت فيه الصلاة ، فصار
 ثوباً ^٢ لناوي .

فصل في ذكر الأديب الأستاذ أبي الحسن علي بن عبد الغني الكفيف المعروف بالحصري ^٣ واجتلاب جملة من نظمه ونثره

وأبو الحسن هذا ممتن لحقيقته أيضاً بعمري ، وأنشدني شعره
 غير واحد من أهل عصري . وكان بحر براءة ، ورأس صناعة ، وزعيم

١ بياض في ص .

٢ ص : ثوباً ؛ والثوي : البيت .

٣ للحصري ترجمة في الجذوة : ٢٩٦ (بقية الملتصم رقم ١٢٢٩) والصلة : ٤١٠ والسلفي
 ٦٣ ، ١١٠ ، ١١١ والخريدة ٢ : ١٨٦ ومعجم الأدباء ١٤ : ٣٩ والوفيات ٣ : ٣٣١
 وغاية النهاية ١ : ٥٥٠ ونكت الهميان : ٢١٣ وعبر الذهبي ٣ : ٣٢١ والشذرات ٣ :
 ٣٨٥ وقد ترجم له في المسالك ثلاث مرات ١١ : ٣٧٥ ، ٤٥٥ ، ٤٦٨ (والآخر منها
 خطأ باسم علي بن عبد العزيز) ولم يأت في ترجماته بشيء ، وله شعر في نفع الطيب والمطرب
 والحلة ٢ : ٥٤ وذكر خبره في الحلة ٢ : ٦٧ مع المعتمد وهو ينقل عن الذخيرة - وقد =

جماعة . طراً على جزيرة الأندلس مُنتَصَفَ المائةِ الخامِسةِ من الهجرة^١ بعدَ خرابِ وطنه بالقَيرَوان ، والأدبُ يومئذٍ بأفئدةِ نافقٍ السُّوقِ ، مَعمورُ الطريقِ : فَتَهَادَتُهُ مُلُوكُ طَوَائِفِهَا تَهَادِيَ الرِياضِ النَسيمِ ، وتنافسوا فيه تنافُسَ الدِّيَارِ فِي الأَنسِ المُقيمِ ، على أَنَّهُ كانَ فيمَا بَلَغَنِي ضَيِّقَ [٩٧] العَظَنِ ، مشهورَ التَّلسَنِ : يَتَلَفَّتُ إلى الهِجاءِ تَلَفَّتَ الظَّمآنُ إلى الماءِ . ولكنه طُويَ على غَرَّةٍ^٢ ، واحتُمِلَ^٣ بينَ زمانتهِ وَبُعْدِ قُطْرِهِ . ولَمَّا خُلِيعَ مُلُوكُ الطَوَائِفِ بأفئتنا - حسبما شَرَحْتُ فيمَا تَقَدَّمَ من هَذَا المَجموعِ وأُوضِحْتُ - وأخَوْتُ تلكَ النُجومِ . وطُمِيسَتْ من الشَّعْرِ الرُّسُومِ . اشتملتُ عليه مَدِينَةُ طَنَجَةِ ، وقد ضاقَ ذَرَعُهُ . وتَرَاجَعَ طَبِيعُهُ . وله على ذَلِكَ سَجَنُ ، يَمِجُّ أَكْثَرَهُ السَّمْعِ . لم يَسْمَعْ نَقْدي أَن أَكْتَبَهُ ، ولا رَأَيْتَنِي أَن أروِيَهُ^٤ . وما أَرَاهُ يَسْلُكُ^٥ إِلَّا سَبِيلَ المَعْرِي فيمَا انتحاه . وكان هو وإِيَّاهُ كما وصفَ العباسُ بنَ الأحنفِ^٦ :

= تَقْدِمُ - وتكرر هذا الخبر في المعجب : ٢٠٥ ، وكانت وفاة الحصري سنة ٤٨٨ (ووقع خطأ في غاية النهاية إذ كتب ٤٦٨) ومن الغريب أن ابن صكر حين ترجم له (ادباء مالقة : ١٥٧) عدّه من أهل سبتة . وقد قام الاستاذان محمد المرزوقي والجيلاني بن الحاج يحيى بدراسة عنه مرفقة بما وجد من رسائله وأشعاره وديوانه المعثرات واقتراح القريح (تونس : ١٩٦٣) ١ ذكر الحميدي أن الحصري دخل الأندلس بعد ٤٥٠ هـ .

٢ ص : عره ، والتصويب عن ابن خلكان ؛ وطويت فلاناً على غره أي أبسته على ذهل .

٣ ص : واحتفل ، والتصويب عن ابن خلكان .

٤ ص : ولا . . . أن أدريه .

٥ ص : أن يسلك .

٦ ديوان العباس : ٢٢١ ورمز الآداب : ١٠٣٣ .

هي الشمس مَسْكَنُهَا في السماء فعزُّ الفؤادِ عزاءٌ جميلا
فلنْ تَسْتَطِيعَ إِلَيْهَا الصُّعُودَ ولنْ تَسْتَطِيعَ إِلَيْكَ النُّزُولَ
أَوْ كَمَا قَالَ ابْنُ الرُّومِيِّ ١ :

دَعُوا الْأَسْدَ [تَرْبِضُ] فِي غَابِهَا وَلَا تَدْخُلُوا بَيْنَ أُنْيَابِهَا
وهيَهَاتَ فِي قُدْرَةِ الْعَمَى ، أَنْ يَتَجَمَعَ بَيْنَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ ، وَلَا
بِتَقَارُبِ الصِّفَاتِ ، تَقْتَرِنُ مَنَازِلُ الْمُوصُوفَاتِ :
أَكْلُ أَبِي ذُوَيْبٍ مِثْلُ هُدَيْلٍ وَكُلُّ أَبِي دَوَادٍ مِنْ إِيَادٍ ؟

جملة ما أخرجته من نثر الحصري المكفوف ٢

فصل له من رقعة : السلامُ عليك أَيُّهَا الْقَلْبُ الثَّانِي ، وَالْبَعِيدُ الدَّائِي ،
الرَّاقِي فِي سَمَاءِ الْمَعَالِي ، الْوَاقِي مِثْلَ دَامِ اللَّيَالِي . أَوَّلُ مَنْ عَدَدْتُ ،
وَأَفْضَلُ مَنْ أَعَدَدْتُ . وَمَنْ لَا زَالَ النَّسِيمُ فِي الْبُكْرِ وَالْعَشِيَّاتِ ،
يَهْدِي إِلَيْهِ طَيْسَبَ التَّحِيَّاتِ . وَمَنْ جُعِلَتْ وَقَاةُ ، وَلَا عَدِمَتْ لِقَاةُ ،
فَإِذَا كَانَ الْكَرِيمُ سَالِمًا ، كَانَ الزَّمَانُ مُسَالِمًا .

١ ديوان ابن الرومي ١ : ٣٥٢ (عن الذخيرة) .

٢ أدرج الأستاذان المرزوقي والجيلاني هذه الرسائل عن الذخيرة في كتابهما : ٩٣ - ٩٩ ولم
يعتمدا أصلا آخر . ولذلك اكتفني بهذه الإشارة إليها .

وله من أخرى : وصل كتابك أنهي من الحلي والحلل ، وأشهى
من القبول والقبول . وشي " مرقوم ، ودُرّ منظوم ، وأنفاس " عراقية ^١ ،
ومياه " دجلة لا زعاقية :

فلو أني استطعتُ من ارتياحٍ لَطَرْتُ ببعضِ أجنحةِ الرياحِ
وكنتُ أطيّرُ لولا قصُّ ريشي وكيف يطير مقصوصُ الجناحِ

كتابٌ كأخلا قيكَ لولا سوادهُ ، الهدبُ حروفُهُ والحدقُ ميدادهُ .
فاستقبلتُ منه قبيلةَ الحسنِ ، وقبيلتهُ تقبيلَ الركنِ ، وقلتُ لصحبي : اقرأوه
عليّ . فلما نظروه عجبوا من خطّه ، وتعجبتُ أنا من لفظه وضبطه .
فتنزهوا بالنواظر ، ونزّهوني بالسمعِ والنواظر ، فكنتُ الأظفر ، وكان حظي
الأوفر ، إذ بصرتُ بما لم يبصروا به ، من فنونِ العلمِ وضرويه .

قوله : « فتنزهوا بالنواظر ، وتنزهتُ بالسمعِ والنواظر » معنى
مُتداولٌ منقول ، وكأنّه محلولٌ من قول الرضي حيثُ يقول ^٢ :

فاتني أن أرى الديارَ بعيني فلعلي أرى الديارَ بسمعي

وله فصلٌ من أخرى : والعلمُ منهاج ، وسراجٌ وهّاج ، ما صديّ مَنْ
سَقاهُ صوبَ صفائه ، ولا عريّ مَنْ كساهُ ثوبَ عرائه . ولا حاف عن الحقِّ
لسانٌ من يرويه ، ولا خاف من الخلقِ جنانٌ من يحويه . هو الجوهرُ

١ ظن الأستاذان المذكوران قبل أن هذه الرسالة (لذكر الانفاس العراقية) موجهة إلى صديق
عراقي ، وهو ظن مستبعد ، لضعف الدلالة .

٢ ديوان الرضي ١ : ٦٥٨ .

استخرجته^١ أفكار الليالي من بحورها ، فالتقطته أبقار المعالي لنحورها ،
وجميع العلوم كمال ، والأدب منها جمال ، هو لسان النبي العربي ، صلى الله
عليه : فقيه يَلْحَن ، حِمَارٌ يَطْحَن ، وكاتبٌ غيرُ أديب ، أشبه الحيوان
بذئب ، وشاعرٌ غير معرب ، أشبه من بانٍ بمخرب ، ربَّ وزيرٍ يعجب
الناس وهو صامت ، فإذا نطق فكلُّ حاسدٍ به شامت .

وله من رقعة طويلة خاطبَ بها أبا الحسين بن الطراوة^٢ ، وجرت
بينهما هينات^٣ ، قال في أولها^٤ :

يموتُ من في البلادِ طرّاً من طيّبٍ كان أو خبيثٍ
فمُسْتَرِيحٌ ومُسْتَرَحٌ منه كذا جاء في الحديثِ

ما حياتي بين الحيات ، وثباتي في الجميع أو الثبات ، وقد حانت وفاةُ
الوفاء ، وخانت صفاتُ الصفاء ، وأرداني الزمانُ بأردانيه ، وأعياني بتقلبِ

١ ص : استمزجته .

٢ هو سليمان بن محمد بن الطراوة المالقي النحوي درس على أبي الحجاج الأعلم وأبي مروان بن
سراج وتجهول في بلاد الأندلس معلماً ، وله كتاب « المقدمات على سيبويه » وكانت وفاته سنة
٥٢٨ (التكملة رقم : ١٩٧٩ والذيل والتكملة ٤ : ٧٩ - ٨١ وتحفة القادِم : ١١ والمغرب
٢ : ١٠٨ وبغية الملتبس رقم : ٧٧٩ وبغية الوعاة : ٢٦٣ ونفح الطيب ، وله أخبار وشعر في
معجم السلفي : ١٧ ، ٤٦ ، ٦٣ وأدباء مالقة : ١٨٨ وعيون التواريخ : ١٢ : ٢٨٤ .
٣ هنالك صورة من هذه الخصومة بين ابن الطراوة والحصري في كتاب السلفي : ٦٣ وروى
السلفي عن أحد المالقيين قوله : « كانت بينهما منافرة ومناقرة ويهجو كل منهما الآخر » .
وقال ابن عبد الملك : « وكانت بينه وبين الأستاذ أبي الحسن الحصري مخاطبات نال كل
واحد منهما فيها من صاحبه » .

٤ البيتان في التكملة : ٤١٩ والنفح ٢ : ١٥٤ .

أعيانه ؟ الجاهلُ هو الحاذي ، والعالمُ مَبْخُوسُ الأحاذي ، والغاوي مقبول الدَّعاوي . وما أبعد الخيرَ من العَير ، والكيسَ من التيس ، والفضلَ من الفسل ! إذا كانَ الجاهُ للجاهلِ ، والباسُ على الباسل ، والمنافقُ هو النافق ، وصَوَّحتَ المراعي ، وقَلَّ المساعِدُ والمراعي ، فيما دهرُ ما أسهاك ، وباموتُ ما أسهاك ، المنيةُ هي الأمنية . فالبر بائر ، والحر حائر . بين أخون^١ وإخوان ، وأجور جيران ، إن وصلهم صرموه ، أو سألهم حرموه . وإن أجاب بالصواب : قالوا أخطأ في الجواب [٩٨] .

ومما أضحكني ملء في^٢ ، وأطاشني وليس الطيشُ في^٣ ، هذا المتنحوي المتنحوي^٤ : سقطَ إلى دانية ، وطَمَعَ في الأجادل ، وإن كان أضعفَ من العنادل ، فعاد ذمرا ، وإن كان زَمرا ، وبعثَ رسوله لي يقول : كيف تكتفِ نقري^٥ ؟ فقلتُ : إن كان الجنون داء فالكي يُبري . ونظمتُ قصيدةً سميتها سهم الشهم ، وضمتها مسائل لا تخفى على أولي الفهم : فما بلغته حتى دمغته ، وألقاها كأنها حيَّةٌ لدغته .

وفي فصلٍ منها : وأما زعمه أني لم أدر اسم سيبويه فمن مضحكات الدهر ، أما كفاه خطؤه في الآيات والأبيات حتى تعرَّضَ لعرضي غروراً : ﴿ إن هذا إلا إفكٌ افتراه وأعانه عليه قومٌ آخرون ﴾ (الفرقان : ٤) ، فقد جاءوا ظلماً وزوراً . أنا الذي سبقت الشعراء ، وفَضَحْتُ في المحافل الوزراء . فلو لاذ بسور حلمي لحميته ، ولو غاذَ بنور علمي لهديته : أيها المموه بجهله ، والمدعي العلم وليس من أهله ، سَكَرْتَ فصَحوكَ لا يجديك^٦ .

٢ لم أعتد لمعنى هذه العبارة .

١ ص : أخوين .

٣ ص : يحومك .

اعترف بذنبك قبل صرْعك على جنبك ، فيدحض^١ حجاجك ، وتطمس
محاجتك ، إلام تلجأ فتاوي ، إذا نفذت فيك الفتاوي ؟ ! وكأنني بمن ضمتك
قد ضامك ، وبمن لمك قد لامك ، وبمن خلأك ، قد خلأك ! الحقائق واضحة ،
والمخارق فاضحة . تشبه بالحصي^٢ ، أما يندري الفحل من الحصي ؟ !
مثّلُ العالم والجاهل ، مثلُ الناهق والصاهل :

وليس يصح في الأفهام شيء^٣ إذا احتاج النهار إلى دليل^٤

وزعم هذا الأهوَجُ الأعوج أنه لم يعرف رسمي . ولا سمع باسمي ،
كأنما ولد بالأمس ، أو بُعث من الرمس ، أو عَمي عن الشمس ، لو
علم قدر نفسه لم يجهل العَلم ، ولو أراد السلامة لألقى السلم .

وفي فصل منها : يا مَهْموس ، أنا الطاء وأنت الهواء ، فلست من طباق ،
كم بين همسك وإطباقي ! لو زرت نقران^٥ ونجران^٥ ، لألفت ذكرى
قد علا ، وشِعري قد غلا . ما اغتابني في غيب ، إلا ذو عيب وخيم ، مع
لؤم معلوم^٥ . ولولا بدوك بالنّجّه ، لما كبّبتك على الوجه . وكنت فيما
نظن نوراً فكشفتك ، ومستوراً فكشفتك : وما استوعبتُ خطأك ولا امتقصيته ،

١ ص : فتدحض .

٢ ص : بالخاصي ؛ والحصي : الحصيف الشديد العقل .

٣ بيت للمتنبي ، انظر شرح العكبري ٣ : ٩٢ .

٤ ص : نقدان ؛ ونقران في ديار بني تميم ؛ وإذا كانت نعاون فهي في ديار غطفان ، وإذا
كانت قران فهي في اليمامة (وأرجح الأخيرة لأنها أشهر) .

٥ ما اغتابني . . . معلوم : هذه العبارة وردت في إحكام صنعة الكلام : ٢٥٠ وكتبت هناك :

« ما اغتابني في عيب إلا ذو عيب وخيم مقيم مع لؤم معلوم » .

ولو رمتُ عدده ما أحصيتُهُ ، وهل شعركَ إلّا كَنحوكِ ؟ ! وما أبرَدَ الهواءَ
من نَحوكِ ، أَلستَ المنشدَ في الحَاجِبِ أبي حَكَمَ :

أبا حَكَمَ فُتَّ الملوِكَ جلالَةً فكلَّهم فاسَ المخافَةِ عالكُ

لو زدتَ الباءَ في فاسك ، لكان أشبه بأنفاسك ؟

وله من أخرى إلى الأديب غانم^٢ بمالقَةِ : أبي صرَفُ القضاء ، وشبيه
لسانِك في المضاء . ونظير^٣ صدركَ ويديك ، في سعةِ المعروفِ والعلومِ
لديك ، أن أكونَ من زوَّارك ، فأقبِسَ من أنوارك ، وأقْطِفَ من أنوارك ،
يا لبابَ أولي الألباب ، يا سلسبيلَ أبناء السبيل :

فارَقَتَنِي وأنا والشوقُ إلَـفان فاسألُ رسولكَ عني كيف أَلفاني
قبَلْتُ كَتَبَكَ من فَرَطِ الهوى قُبَلًا أَقلَّتهنَّ إذا عَدَدْتَ أَلفانِ

ولما شَقَّتَنِي بغُرُركَ الأثيرِ ، ورُقَّتَنِي بدُرُركَ النثيرة ، ذممتُ عبدَ
الحَميد ، ومحمدَ بنَ العَميد ، وأنشدت :

لقد فاتَ في نثرِهِ غانِمٌ بديعَ الزمانِ وقابوسُهُ
وروى الظَّماءَ بماءِ النعيمِ فلا عيشَ إلّا وقى بوسَهُ

١ ورد البيت في القسم الأول : ٨٤٢ .

٢ هو غانم بن وليد المخزومي ، ترجم له ابن بسام في القسم الأول : ٨٥٣ وأورد له رسالة

إلى المصري أيضاً ص : ٨٥٦ .

٣ ص : ويضير .

وكنْتُ - أبقاك الله مَنهلاً عَذْباً لأودَّ أهلك ، ومُنْصِلاً عَضْباً على أعدائِك - صَنَعْتُ قَصِيداً يُحْيِي الطَّرِبَ إِذْ كَانَ [ميتاً] ، فيه تسعة^١ وتسعون بيتاً ، وكنْتُ كَتَبْتُهُ ، فلم أجِدْهُ إِذْ طَلَبْتُهُ ، وفكَّرْتُ الآن فيه ، فلم أحفظ غير قوافيه ، وهذين البيتين :

نَحِيتِي وسلامي على الأديبِ البليغِ
المُرْتَدِي بالمعالي والحليمِ قبلَ البُلُوغِ

وأنا ربُّ القريضِ الجعيْد ، لأنِّي أقولُ في الأديبِ السيِّد^١ :

مِنْ طِينِ طُوبَى خُلِقْتَ فَدَأَّ فأنت في ذا الورى غريبُ
بُدَلَّتِ النونُ فيكَ بَاءً فالناسُ طِينٌ وأنت طيبُ

وله من أخرى إلى أبي الفضل بن حسداي^٢ شاكياً بصهره ابن عيَّاش^٣ اليهودي : سيدي الذي حُتِمَتْ عليه المنح ، فحُتِمَتْ به المدح . حَفِظَ الله عَلاك حِفْظَ سَمائِهِ ، وأعاذك من العَيْنِ بِأَسْمَائِهِ . بِحُسْنِ أوصافك ، احْكُمْ بِإِنصافك [٩٩] أنرضي لِصِهْرِكَ المُشْرِفِ ، بِأَخلاقِ البَخِيلِ المُسْرِفِ ؟ قصدت بالرهان للسلف ، فعدتُ بالدَّهَانِ وَالصَّلَافِ ، وسألتُ في الزَّمانِ ، فأعطيتُ عطاء الزَّمانِ ، وأنا شاعرُ الزَّمانِ ، فأحظَّ ، فما رفع^٤ أو حَطَّ ، ولا بدَّ أنْ أنشده لأرشدَه :

١ ورد البيتان في إحكام صنعة الكلام : ٢٤٦ .

٢ وردت ترجمته في القسم الثالث : ٤٥٧ .

٣ ص : عباس .

٤ ص : ختمت .

٥ ص : فارغ .

أَيْتَهَا الْمُشْرِفُ حَاشَا	لَأُولِي الرَّأْيِ الْخَطَاءُ
لَا تَقْلُ مَا بِيَدِي مَا	لََّ وَلَا عِنْدِي عَطَاءُ
بَيْتُ أُمُوكَ بَحْرٌ	مَا عَلَى الْبَحْرِ غِطَاءُ
أَحْمَدُ غَيْرُ عَلِيٍّ	حِينَ يَشْتَدُّ الْوَصَاءُ
هَلْ هُمَا فِي الْهَمْسِ وَالْإِطْ	بَاقٍ إِلَّا هَا وَطَاءُ
وَكَذَاكَ الْخَيْلُ مِنْ	هَنْ سَرَّاعٍ وَبَطَاءُ

وصديقك إن لم ياتِ ، فابسطْ عُذْرَه بهذه الأبيات :

عِرْفَانُ عِرْفَكَ شَاقِي	فَلَوْ اسْتَطَعْتُ لِسَاقِي
مَا بَالُ صِهْرِكَ صَدَّقَنِي	وَأَلَى سَنَّاكَ أَتَاقَنِي
وَأَنَا الرَّحِيقُ سَقَيْتَهُ	فَاسْأَلْنَهُ كَيْفَ أَرَاقِي
وَلَقَدْ حَلَوْتُ وَلَيْتَنِي	أَمَرَّتْ لَمَّا ذَاقِي
قَدْ كُنْتُ رَحْبَ الصَّدْرِ حَتَّى	يَ غَاطَسَنِي فَأَذَاقِي
هُوَ عَقَنَنِي وَبَرَّرَنَنِي	هُوَ عَنِ لِقَائِكَ عَاقِي
لَئِنِّي أَخَفْتُ عَلَى [الْوَزِي]	رَ [وَلَوْ ثَقُلْتُ لَطَاقِي
نَفْسِي فَيَدَاؤُكَ يَا أَبَا	فَضْلِ الَّذِي قَدْ رَاقِي
أَحْبَبْتُهُ وَأَحْبَبَنِي	فَاشْتَقْتُهُ وَاشْتَاقَنِي
مَنْ سَأَلَ عَنْكَ أَجَبْتُهُ	مَا فَشَقْتُهُ بَلْ فَاقَنِي

ما أخرجته من شعره في أوصاف شتى
النسيب وما يتشبت به

أَغْيَدُ رِيَّانُ بِمَاءِ النَّعِيمِ أَلْبَسَنِي السَّقَمَ بِلَحْظِ سَقِيمِ
قَدْ خَطَّ بِالْمِسْكِ عَلَى خَدِّهِ مَا الْحُسْنُ إِلَّا لِأَدِيمِي أَدِيمِ
يَا عَاذِلًا يَحْسَبُنِي مِثْلَهُ لَا تَحْسَبِ السَّالِمَ مِثْلَ السَّلِيمِ

وقال :

وَهَبْتُ قُؤَايَ لِحَدَقِ الضَّعَافِ وَإِنْ كَانَتْ بِسَفْكِ دَمِي تُكَافِي
فَكَانَ الضُّعْفُ قُوَّتَهَا عَلَيْنَا وَهَلْ ذَا الطَّبَعُ إِلَّا فِي السَّلَافِ ؟
شَغِلْنَا عَنْ مُسَاعَدَةِ التَّوَاحِي بِشَاغِلَةِ الْحَجِيجِ عَنْ الطَّوَافِ
خَضِبْتُ الشَّيْبَ أَخْدَعَهَا فَقَالَتْ تَشَبَّهَتْ الْحَمَامَةُ بِالْغُدَافِ
فَقُلْتُ صَدَقْتَ لِمَ أَنْكَرْتَ مِنِّي وَأَنْتِ عَنَفِيَّةٌ نَبَتِ الْعَمَافِ ؟
فَقَالَتْ بَيْنَا فِي الشَّيْبِ خُلْفٌ وَيُفْتِنَا بِمَسْأَلَةِ الْخِلَافِ
وَلَمَّا أَيْسَعَتْ رُمَانَتَاهَا وَنَادَى الْوَصْلُ حَتَّى عَلَى الْقِطَافِ
تَأَذَّتْ فِيهِمَا بِفَمِي فَقَالَتْ شَمَائِلُ عَاشِقٍ وَفَعَالُ جَافِ

١ ص : سبت ؛ وقد تقرأ « نسب » .

قوله : « تَشَبَّهَتْ الحَمَامَةُ بِالْغَدَافِ » كقول القائل ١ :

يا أيتها الرجلُ المَسْوَدُّ شَعْرَهُ ٢ كيما يُعَدَّ بِهِ من الشَّبَانِ
أَقْصِرْ فلو سَوَّدَتْ كُلَّ حَمَامَةٍ بَيْضَاءَ مَا عُدَّتْ من الْغِرْبَانِ

وما أَمَاحَ قول أبي بكر الخالدي ٣ :

ما كَانَ يَنْفَعُهُ لَدَيَّ شَبَابُهُ فَعَلَامَ يَنْجَهِدُ نَفْسَهُ بِخِضَابِهِ ٤؟

وقال الحصري :

مَنْ لِي بِظُلْمِ جَنَاهُ مَعْسُولُ دمي بدمعي عَلَيْهِ مَغْسُولُ
أَقْرَأُ فِي خَدِّهِ كِتَابَ هَوَايَ أَنْ دَمَ الْعَاشِقِينَ مَطْلُولُ
حُسَامُ عَيْنِكَ مِنْ فُتُورِهِمَا كَأَنَّهُ مُغَمَّدٌ وَمَسْلُولُ
اغْمَدْ وَسُلِّ لِي وَزَرٌ ٥ أَنَا عَلَى الْحَالَتَيْنِ مَقْتُولُ

وقال :

رُدِّي حُشَاشَةَ عَاشِقٍ مَهْجُورٍ بَيْنَ الْمَلُومِ عَلَيْكَ وَالْمَعْدُورِ
لِلْوَلُؤِ الْمَنْظُومِ فِي فَمِكَ انْبَرَتْ عِبْرَاتُهُ كَالْوَلُؤِ الْمَشْهُورِ

١ نسا لابن الرومي في أمالي القاضي ٢ : ٢٨٢ والشريشي ٢ : ٣٤ وقال ابن رشيق في القراصة :
٤٦ - ٤٧ البيت الأول لابن الرومي والثاني لعبد الملك بن صالح ، ارتجل ابن الرومي بيته
واستجازه .

٢ القراصة : يا من يسود بالخضاب مشبه .

٣ لم يرد البيت في ديوان الخالديين الذي جمعه سامي الدهان .

٤ ص : وزرأ .

ذَكَرَ الْفِرَاقَ فَمَاتَ إِلَّا شَوْقَهُ وَأَوَّلُوا الْهَوَى مَوْتِي بِغَيْرِ قُبُورِ
 وَدَعَتْ مَنْ أَهْوَى بَلِ اسْتَوْدَعَتْهَا قَلْبِي وَسِرّاً مَدَامِي وَزَفِيرِي
 فَبَكَتْ بِسَرَجِسْتَيْنِ خَفْتُ عَلَيْهِمَا نَفْسِي فَلَمْ أَلَمْ بِغَيْرِ ضَمِيرِي
 قَالَتْ : أَتَرْحَلُ وَالْأَحِبَّةُ هَاهُنَا قُلْتُ : الْقَضَاءُ كَمَا عَلِمْتَ ضَرُورِي
 قَالَتْ : مَتَى الرَّجْعِي فَقُلْتُ : إِذَا انْتَهَى مَقْدُورُ رَبِّي ، مُقَدِّرِ الْمَقْدُورِ
 وَعَسَى مُفْرَقَنَا سَيَجْمَعُ بَيْنَنَا إِنَّ الْعَسِيرَ عَلَيْهِ غَيْرُ عَسِيرِ
 وَلَيْثِنْ أَبَى مَنْ تَعْلَمِينَ فَرُبَّمَا حَدَثَتْ أُمُورٌ لَانْتِقَاضِ أُمُورِ
 لَا تَنْجِزَعِي مِنْ نَكْبَةِ الدُّنْيَا وَإِنْ سَاءَتْ فَرُبَّ مَسَاءَةٍ لِسُرُورِ

وله في غلام كان يُسمّى هارون^٢ :

يَا غَزَالاً فَتَنَ النَّاسَ سَ بَعَيْنِيهِ فُتُونَا
 أَنْتَ هَارُوتُ وَلَكِنْ صَحَفُوا تَامَكَ نُونَا

وقال ممّا ذَهَبَ به مَذْهَبَ أَبِي الْفَتْحِ الْبُسْتِي صَاحِبِ الطَّرِيقَةِ الْأَنْبِيَّةِ
 فِي تَجْنِيسِ الْقَوَافِي :

أَصْبَحْتُ مَفْتُونًا بِكُمْ مُدْنَقًا وَإِنَّمَا بُرْنِي لَمِي فَاتِنِي
 يَا أَمْلَحَ النَّاسِ وَحَقَّ الْهَوَى لَوْ كَانَ لِي الْحُكْمُ لَمَّا فَاتِنِي

١ ص : مقدور من يقدر للمقدور .

٢ البيتان في المسالك ١١ : ٤٥٥ والمطرب : ٧٥ والخريدة ٢ : ١٨٦ ومختارات ابن الصيرفي

وقال : [١٠٠]

رأبته عِلَّتِي ضَيَّ فأتاني عائداً في يديه ١ [لي] باسمينُ
فتفاءلتُ أنه قد تَهْدَى لهزالي فقال لي يا سَمِينُ

وقال ٢ :

رُبَّ ظَنِّي هَوِيَّتُهُ يَسْتَمِي للهوازيتهُ
قلتُ ما أثقلَ الهوى قال ما للهوى زِنَةُ

وقال :

إن كنتُ الهوى فقد صار سِرِّي علانيتهُ
لِسَقَامٍ أذابني وشُحُوبٍ علانيتهُ

وقال :

فكثرتُ في خلقِ الورى فاستوى عندي عبيدٌ وسلاطينُ
أصلُ الفَرِيقَيْنِ - ومن أجلِ ذا قلبي عن الهمِّ سَلا - طينُ
وكان سأل بعضَ الملوكِ أن يكسوه ومطَّله ثم أعطاه قمحاً منسوساً ،
فقال فيه :

يُرِيدُ سياسةً مَنْ لا يَسْمَى وطبعٌ فيه يَأْتِي أن يَسُوسا
سألتُ كُسَيَّ فَمَنَّا في بَقْمَحٍ وأعطاني مكانَ القَمَحِ سُوسا

١ البيت مضطرب في ص : رأبه عل ضي فأتى . . . يده ياسمين .

٢ هذه القطعة والتالية في الشريشي ٥ : ٢٤٠ .

وقال أول جوازه إلى الأندلس^١ :

في كل أرض موطنٌ يُعرفُ فيه جاهنا
وإنما النجاسا إلى هنا إلهنسا

وقال :

بامن تكحل طرفها بالسحر لا بالإميد
نفسى كما عذبتهى وقتلتها بالإثم دي

وأنشد يوماً بيت المعري :

ياقوت يا قوت روحي رُوحى براح براح

وفيه ست كلمات متجانسات على قِصر عروضه . وكُتِفَ تديله

فقال :

أوفاك أوفاك رقي رقي يطاح يطاح

فقيل له لو ذيلته بيت فيه باء النداء ، كما في بيت أبي العلاء ، فقال :

يا زور يا زور فيها فيها نواحي نواحي

وقد قلت فيما تقدم من تأخيص التعريف بنجر الحصري إنه اتبع
المعري في سلوك هذه المسالك ، فضل عنها هنالك . على أنه لا يتفق
لأحد لضيق هذا الباب ، أكثر من الوزن والإعراب .

١ وردا في الريحان والريحان ١ : ١٤١ / للمتمد وكذلك في النفع ٤ : ٢١٢ (مع اختلاف

في الرواية) وانظر الشريشي ٥ : ٢٨٠ .

وله في المديح

قال :

ظَمِثْتُ وَمُنْهَلْتُ الْمَدَامِعَ مِنْهَلِي
 عَلَى سِلْسِلٍ مِنْ ذِي غُرُوبٍ وَإِنْ غَدْتُ
 فَيَا نَعْمُ وَاغَاكِ النَّعِيمُ فَأَنْعِمِي
 حَلَكْتُ لِرَبَّاتِ الْخُدُورِ بِمَا جَنَنْتِي
 وَمَا صَامَ مِنْ خَصْرِ لَهْنٍ مُخَفَّفٍ
 وَمَا وَرَدَتْ مِنْ أَدْمُعِي بِمُورَدٍ
 وَمَا شَاقَنِي مِنْ شَقِّ جَيْبٍ وَمَدْمَعٍ
 لِأَنْتُنَّ أَشْفَى لِلْسَّلِيمِ مِنَ الرُّقَى
 وَإِنْ يَكُ دَهْرِي ضَمَنِي ثُمَّ ضَامَنِي
 هُمَامٌ إِذَا [مَا] هُمْ بِالْأَمْرِ فَاثْمَطَى

ولا حَتَمَ لِي إِلَّا عَلَى وَرْدٍ حَوَمَلٍ
 مَغَانِي الْقَوَائِي كَالرَّدَاءِ الْمُسْلَسَلِ
 وَيَا جُمْلُ وَالْأَكِ الْجَمَالَ فَأَجْمَلِي
 فَمُ الصَّبِّ مِنْ وَرْدِ الْخُدُودِ الْمُقْبَلِ
 وَأَفْطَرَ مِنْ رِدْفٍ لَهْنٌ مُثْقَلِ
 وَمَا خَلَخَلْتُ مِنْ أَضْلَعِي بِمُخْلَخَلِ
 أَسِيلٍ عَلَى خَدِّ أَسِيلٍ بِمَاسَلِ
 وَأَطْيَبُ لِلظَّمَانِ مِنْ كُلِّ سَلْسَلِ
 فَإِنَّ عَلَيَّ خَيْرُ مَوْلَى وَمَوْثِلِ
 عَزِيمَتُهُ نَامَتْ بِرَضْوَى وَيَتَذَبَّلِ

وقال من أخرى :

عَلَى الْعُدُوءَةِ الْقُصُورَى وَإِنْ عَفَتِ الدَّارُ
 وَحَقُّ بُكَاءِ الْعَيْنِ وَالْقَلْبُ مُسْعَدُ

سَلَامٌ غَرِيبٍ لَا يَتُوبُ فَيَزْدَارُ
 لِمَنْ بَاتَ مِثْلِي لَا حَبِيبٌ وَلَا جَارُ

١ ص : معالي القوافي .

٢ ص : الحدود .

أَعَادَى عَلَى فَضْلِي وَأَسْتَصْحَبُ الْعَدَا
مَدِيحِي هَجَاءٌ وَابْتِسَامِي تَجَبُّهٌ
وَلَمْ أَرَ مِثْلِي فَاضِلًا يَنْقُصُونَهُ
عَزِيزٌ عَلَيْنَا أَنْ نُقِيمَ بِذِلَّةٍ
شَقَى اللَّهَ دَاءَ الْقَيَرَوَانِينَ بَعْدَنَا
وَكَيْفَ غَنَاءُ الطَّيْرِ فِي غَيْرِ أَيْكِيهَا
وَلَأَنْتِي لِأَوَّلَى بِالْبُكَاءِ لِأَنْتِهَا
أَلَا يَا بُرُوقًا لُحْنٌ مِنْ نَحْوِ صَبْرَةٍ
عَسَى فَيْكِ مِنْ مَاءِ الْحَنِيَّاتِ شَرْبَةٌ

وَلِي حَسَنَاتٌ عِنْدَهُمْ هِيَ^١ أَوْزَارُ
وَشَكَاوِي كُفْرٌ وَاعْتِرَافِي^٢ إِنْكَارُ
بَلِ قَلَمًا يَخْلُو مِنَ الْقَرَضِ دِينَارُ
فَلَيْتَ حَشَايَاَنَا الْوَطِئَةَ أَكْوَارُ
فَقَدْ مَرَّضْتُ لِلْقَيَرَوَانِينَ أَبْصَارُ
وَقَدْ بَعُدْتُ مِنْهَا فِرَاقٌ وَأَوْكَارُ ؟
تَطِيرُ إِذَا اشْتَاقَتْ وَمَا أَنَا طَيَّارُ
وَلَيْسَ لَهَا إِلَّا دُمُوعِي أَمْطَارُ
وَلَوْ مِثْلَ مَا يُوعَى مِنَ الْمَاءِ مِثْقَارُ

ومنها يعتذر مما كان قُرفَ به :

أَصِيبَ قَصِيدٍ فِيهِ كُفْرٌ فَنِيظَ بِي
وَمِنْ كُلِّ كَفٍّ قَدْ رُمِيتُ بِصَخْرَةٍ

وَكَمْ شَاعِرٍ قِيلَتْ عَلَى فِيهِ أَشْعَارُ
وَفِي رَاحَتِي لَوْ أَمَكَّنَ الرَّأْيُ أَحْجَارُ

وله من أخرى في المعتمد :

أَعْنِ الْإِغْرِيصِ أَمِ الْبَرْدِ
ضَحِكَ الْمُتَعَجِّبِ مِنْ جِلْدِي

يقول فيها :

١ ص : وهي .

٢ ص : الحيات .

يا هاروني الطرف تَرى قطعنت الأسد بلا أسل
رشاء يصطاد الأسد وكم واهما بلديد منك وهى
رُضت الأيتام جواميحها وبلوت الناس فلست أرى
القوم بحسار مسجورا لم يعدم واردها دُرر
أبني عباد ما حسنت نقد الكرماء الدهر معي
وقضى لكم بالفضل على دانت بغداد لقرطبة
سمعونوا برشاد فتي لخم قرأوا شعر اللخمي فلم
يا فرغ المنذر والتعما طففت أنوار أمية في
نافست بقصرهم إرمًا مرز وافتح باقي أندلس
نفثت [الحاظك] في العقد عبأ وقتلت بلا قود
رامته الأسد فلم تصد وشباب بان فلم يعد
وكففت اللد عن اللد كني عباد من أحد
ت^١ محفوفات بالزبد آداب ولا دُرر الصفد [١٠١]
إلا بكم الدنيا فقصد فتخيركم في المستقد
من في أدنى أو في البعد وخلائفها للمعتد
فنفوا هارون عن الرشيد يرض المعتز عن الولد^٢
ن بلغت النجم فطل وزد قصر الخلفاء فقلت قيد
فكان أمية لم تشيد ما في صبب أو في صعد

١ ص : مسجورات الجود .

٢ اللخمي هو المعتد نفسه ، والشاعر هنا يشير إلى أنه أشعر من ابن المعتز العباسي .

عبد الرحمن^١ ولي خمسين وأنت تزيد على العدة
لو أن الأرض بلا جبل وعليها حلمك لم تميد
بشار أملك ممتدحاً فأنس بغرائبه الشرذ
يكنبو عبود في خببي فالعير وراء المنجرد^٢
ولعل بلادك لي وطن فأحط الرجل عن الأجد
وأقابل منك ستاً قمر لو قابله الأعمى الهدي

وله من أخرى : وهي من أعلى حُجَجِه ، وأجلى سرجِه ، أنشدها
أحمد بن سليمان بن هود المتلقب - كان - من الألقاب السلطانية
بالمقتدر حين غلب علي بن مُجاهدٍ على دانية^٣ :

كذا تفتض^٤ أبكار البلاد ولا متهر سوى البيض الحداد
هديت العسكر الحرار ليلاً فأهديت الظبابة إلى الموادي
ملأت به الفضاء فضاء ليل تحت فيه الظبابة شكل السواد

١ عبد الرحمن الناصر الخليفة الأموي بالأندلس ولي خمسين سنة (٣٠٠ - ٣٥٠) .
٢ عبود : قد يكون اسم فرس (وفي خيل العرب عبيد) والأرجح أنه اسم رجل ، والاندلسيون
- كما يقول أبو حيان الجبائي في النصار - يسمون عبد الله عبوداً كما يسمون محمداً « حموداً »
(بقية الوعاة ١ : ١٤٧ تحقيق الأستاذ أبو الفضل إبراهيم) ، والخبب ، نوع من السير ،
كما أنه اسم البحر الذي استعمله الحصري في هذه القصيدة ، فهو يقول إن عبوداً لا يستطيع
أن يجاريه في هذا البحر ، بل يقصر عنه كما يقصر العير (الحمار) عن الفرس العتيق (منجرد
قيد الاوابد) .

٣ منها أربعة أبيات في أدباء مالقة : ١٥٨ .

٤ ص : يقتص ، والتصويب عن ابن عسكر .

وما أقبلت إلا^١ بعد ما قد
وكان مرام^٢ دانية عزيزاً
فأثرت العوالي في المعالي
كان^٢ سيوفك الأقدار تجري
ومثلك من جنى ثمر الأمان
تشاغلت الملوك بمن دهاها
بنك الله للإسلام حصناً
وتنهض^٢ والثقل عليك خيف
وكيف ينافسونك في المعالي
فتحت معاقلاً لو أبصروها
وفي سرقسطة لك دار ملك
ورأيتك في الإدارة لو رآه^٢
لقد أربت^٢ سيوفك يوم سنلت

سَقَبَتِ الشَّغْرَ مِنْ ثَغْرِ الْأَعَادِي
فَهَانَ عَلَى الْمُسَوِّمَةِ الْجِيَادِ
وَأَثَرَتِ الصَّلَادِمُ فِي الصَّلَادِ
بِمَا شَاءَ إِلَهُ عَلَى الْعِبَادِ
وَأَتَى حَقَّهُ يَوْمَ الْحَصَادِ
وَشُغِّلَكَ فِي جِهَاتِكَ بِالْجِهَادِ
وَعَلَمَكَ التَّجَلَّدَ لِلْجِلَادِ
وَتَنَظَّرُ وَالْخَفِي إِلَيْكَ بَادِ
وَأَنْتَ سَبَقْتَهُمْ سَبَقَ الْجَوَادِ؟
لَقَالُوا أَنْتَ لِقَمَانُ [بْنُ] عَادِ
زَرَبْتَ بِهَا عَلَى ذَاتِ الْعِمَادِ
مُعَاوِيَةَ^٢ لِأَغْنِي عَنْ زِيَادِ
عَلَى قَسِّ بْنِ سَاعِدَةَ الْإِيَادِي

١ ابن صكر : شغيت .

٢ ص : رابت .

ذكر الخبر عن دانية وكيف تغلب عليها يومئذ المقتدر

قال ابن بسّام : قد قدّمتُ في أوّل القسم الثالث من هذا المجموع ذكرَ مُجاهدِ العامريّ المُستزّي - كان وقته - على دانية ، وشرح الأسباب التي أنشأت صحابه ، ورضت^١ على دانية وهضابته .

وغلبت الروم في بعض أيام سلطانه على جزيرة سردانية ، التي كانت من فتوحه قبل^٢ ، ففلّت شباته ، ونهنت شذاته . وأسرت ابنه علياً هذا^٣ ، فنشأ عليّاً مُتجهماً ، وأعجماً طميطماً^٤ ، إلى أن افتكته أحدُ آلِ حمّاد أمراء بني مَناد ، فأسدَى البيضاء فيه ، وخلع على عِطْفِيهِ بُرْدِيهِ^٥ . فلمّا خفقَ علمه ، وتمكّن في مقام أبيه قدّمه ، ألقى السلم ، وأغمدَ السهفَ وشامَ القلسم : هَمَّتْهُ كانت في خراجِ يَجْبِيهِ ، لا في مَعْقِلِ يَجْتَبِيهِ ، وهمته المتججّرُ يُنْمِيهِ ، لا المتفخّرُ يَحْمِيهِ : أصبُّ خَلْقَ اللهِ بلبوس ومطعم ، وأصباه إلى دينار ودرهم . حتى ولاّه البرُّ حِلَّه عَقْدِهِ ،

١ كذا في ص ، ولعل صوابه « ورصت » أو « ربضت » بمعنى ألقت .

٢ انظر الخبر عن وقوع علي أسيراً في يد الألمانين ، وكيف بذل فيه والده عشرة آلاف فلم يقبل أسرهُ الفدية في أعمال الاعلام : ٢١٩ (ثم تيسر فكاهه سنة ٤٢٣)

٣ عند عودة علي من الأسر عرض عليه والده الاسلام فقبله ، ثم أصبح عليه معوله في الأمور (أعمال الاعلام : ٢٢١) .

٤ ص : بردائه .

٥ ص : حل .

ورماه البحر بأفلاذ كبيده ، ورزق عدة بنات أحسن من الشموس ،
وأفنت من الطواويس ، فتبارى ملوك الطوائف بأفقينا في نكاحهن ،
وتنافسوا في غدوهن إليهم ورواحهن . واغتم هو ذلك منهم وأذكاهن
عليهم عيوناً ، وبناهن بينه وبينهم دروباً وحُصوناً ، مُعْتَقِداً أنَّ الصَّهْرَ
رَحِيمٌ لا تُجْفَى ، وطريقٌ إلى رَعْيِي الذَّمِّ لا تَخْفَى . فَقُلَّ مَلِكٌ
منهم إلّا وقد عَلِقَ له به حبل ، واتصل بينه وبينه نسل . فسمّا إليه
منهم ابنُ هُودِ المذكور سنة سبعٍ وستين يُرِيه أنَّ الناسَ ما كُولٌ وآكِلٌ ،
وأنَّ القياسَ أَكْثَرُ باطل . من رجلٍ لا يَسْتَظِلُّ إلّا أعلامه . ولا يَرْضَى
[١٠٢] إلّا أحكامه . ولا يَسْتَشِيرُ إلّا حُسامه . فَجَرَّ إليه الهُضَابَ
كتاب ، وملاً عليه الشَّعَابَ مُردّاً أحاجب ، وجرداً نجائب .

أخبرني غيرُ واحد أنه لم يبقَ ملكٌ من ملوك أفقينا سمع بمخرج ابن
هُودِ يومئذٍ إلّا توقَّعه وتوقَّاه ، وظنَّ أنَّه لا يريد سواه . وإنَّما كان
يُريدُه ، زعموا ، على قِلاعٍ كانت تتصلُّ ببلده ، ليضمَّها إلى أميرِ
طَرُوشَةَ ، وقتَه ، من ولده . فلم يرُعْ ابنُ مُجاهدٍ إلّا مجرى الجيادِ
بحيثُ يرى ويسمع ، ولا نَبْهَه إلّا مَجَرُّ الصَّعَادِ ، بحيثُ لا يُعْطَى
ولا يَمْنَعُ . فاستطيرَ فرقا ، وقام وقَعَدَ تلدّآ^٢ ونزقا . وحينَ علم
المُراد ، وفهيمَ الجليّةِ أو كاد ، أعطى فضلَ القِيَادِ ، وكتب إلى عمّاله
بإخلاء تلك البلاد .

فلَمّا أخذ ابنُ هُودٍ في إِيابِه ، وخلا ابنُ مُجاهدٍ بطوائفه وأحزابه ،

١ ص : وأكيل .

٢ ص : تلدّا .

عَنفَوْهُ بِمَا فَعَلَ ، وَزَيَّنُوا لَهُ الْغَدْرَ بِهِ وَقَدْ رَحَلَ . وَأُتِيَ ابْنُ هُودٍ ، وَقَدْ سَارَ غَيْرَ بَعِيدٍ ، بِكَتُوبٍ طَيَّرَهَا ابْنُ مُجَاهِدٍ إِلَى عَمَّالِ تِلْكَ الْمَعَاقِلِ ، بِأَمْرِهِمْ بِالتَّحْصُنِ وَالْإِحْتِيَالِ ، وَيَحْضُرُهُمْ عَلَى الْحَيْدِ فِي الْقِتَالِ : فَفَكَرَّ الْمُقْتَدِرُ ، وَلَمْ يَرْغُ أَهْلَ دَانِيَةَ إِلَّا تَصْهَالُ الْخَيْلِ ، وَقَدْ انْصَبَّتْ عَلَيْهَا انْصَابُ السَّيْلِ بِالسَّيْلِ . وَاضْطَرَبَ^١ أُنْبَيْتُهُ بِحَيْثُ يُسْمَعُ الْخِيَارُ ، وَيُحْمَدُ الْخِيَارُ ، فَاسْتَوَى الْجَزَعُ ، وَضَاقَ الْمَتَسِّعُ . وَأَخْرَجَ إِلَيْهِ لَحِينَهُ ابْنَهُ الَّذِي كَانَ قَدْ سَمَّاهُ مُعِزَّ الدَّوْلَةِ ، وَرَشَّحَهُ لِحَرْ أَذْيَالِهَا^٢ ، وَعَلَّمَهُ مُمَابَلَكَةَ ظِلَالِهَا : فَجَاءَ إِلَى ابْنِ هُودٍ مُدِلًّا بِقَدِيمِ صِهْرِهِ ، عَائِرًا فِي إِدْبَارِ أَمْرِهِ وَانْقِطَاعِ ذِكْرِهِ ، مِنْ رَجُلٍ فَلِيلِ الطَّبِيعِ ، ثَقِيلِ السَّمْعِ ، ضَيْقِ الذَّرْعِ ، قَدْ غَذِيَ بِالرَّفِّ وَاللَّيْنِ ، وَنَشَأَ فِي الْحَلِيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ^٣ . فَطَفِقَ ابْنُ هُودٍ يَتَقَرَّعُ لَهُ عَصَا الْوَعِيدِ ، وَيُرْمِي بِهِ مُضَلَّاتِ الْبِيدِ ، وَهُوَ يَقُولُ : أَيُّ عَمٍّ ، تَبْلُغُ رِضَاكَ ! وَمَتَى اخْتَلَفْنَا عَلَيْكَ أَوْ خَالَفْنَاكَ ؟ فَقَالَ لَهُ ابْنُ هُودٍ فِيمَا قَالَ : وَاللَّهِ لَا أَرِيْمُ^٤ الْعَرَضَةَ حَتَّى يَسْهَلَ مَرَامُهَا ، وَيُخْلَسَى فِي بَيْدِي زِمَامُهَا - يَعْنِي تِلْكَ الْمَعَاقِلَ - فَقَالَ لَهُ مُعِزُّ الدَّوْلَةِ الْجَبَانَ الْجَاهِلِ ، وَظَنَّهُ يَرِيدُ دَانِيَةَ : أَيُّ عَمٍّ ! وَأَيْنَ تَنْقَلُبُنَا ، وَإِلَى مَنْ تَكِلُنَا ؟ وَلَمْ يَفْقَظْ ابْنُ هُودٍ لَمَّا قَصَّدَ ، وَكَانَ إِلَى جَنْبِهِ وَزِيرُهُ ابْنُ أَحْمَدَ ، فَغَمَزَ يَدَهُ وَقَالَ لَهُ : غَيْرَةٌ فَاهْتَسَبِلَهَا ، وَعَثَرَةٌ فَلَا تُقِيلُهَا ، قَدْ أَلْقَى

١ اضطرب هنا بمعنى ضرب .

٢ أذيالها يعني أذيال الدولة ، أي كان قد جعله ولي معهده .

٣ من الآية : أَوْ مَنْ يَنْشَأُ فِي الْحَلِيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ (الزخرف : ١٨) .

٤ ص : أديم .

٥ يعني أبا المطرف عبد الرحمن بن أحمد بن مثنى .

الرجل بيده ، وختلى بيتك وبين بلده . فعمل ابن هود على ذلك ،
وأخذ في إحكام ما هنالك ، فما متع النهار إلا وأشرقت إياؤها ،
واهتزت في يمين يديه قناتها . ورجع بابن مجاهد غنيمة باردة ،
وأمنية على الأيام شاردة ^١ . تعالى من لا يتروعه الزمان ، ولا يغير سلطانته
الحديثان .

مقطوعات للحصري في أوصاف شتى

قال ^٢ :

كم من خليل كان عندي شهدةً حتى بلوت المرء من أخلاقه
كالملح يحسب سكرًا في لونه أو حجمه ويحول عند مذاقه

وقال :

نصبت الفخ ثم قعدت عنه بعيداً كي أرى فيه فلاحاً
إذا قردى مقيم عند رأسي يقول لمقيلات الطير حاحاً
واجتاز على قوم فسمعهم يقدحون فيه وفي ابن خلدون ^٣ فقصده

١ قام ابن هود بنقل ابن مجاهد ومن معه إلى سرقسطة وأقطعه اقطاعاً يمونه (أعمال الاعلام : ٢٢٢) .

٢ مختارات ابن الصيري : ١٣١ والخريدة : ١٨٧ وكتاب الآداب : ٩١ .

٣ يعني محمد بن خلصة الشذوني النحوي وكنيته أبو عبد الله ، وقد وردت ترجمته في الذخيرة

٣ : ٣٢٢ وذكر هناك مصادر ترجمته ، ويضاف إليها أيضاً : المحمدون : ٣٩٩

وانباه الرواة ٣ : ١٢٥ والوافي ٣ : ٤٢ .

وأنشده^١ :

يا أديباً ملكتني في يدَيهِ المَكْرُماتُ
ليتَ قَتوماً دأبهم فيَّ (م) وفيك المَكْرُ ماتوا

وقال^٢ :

خَضِبَتْ يَدَيْهَا لَوْنَ فَاحِمِهَا فَمَا نَقَصَ الْبَيَاضُ مَلَاةً بَلْ زَادَا
مَا بِالْ شَيْبِي تُنْكِرِينَ^٣ خَضَابَهُ وَأَرَاكِ صَابِغَةَ الْبَيَاضِ سَوَادَا
قَالَتْ نَجِيعُكَ فِي يَدَيَّ وَإِنَّمَا بَدَّلْتُهُ أَسْفَاً عَلَيْكَ حِدَادَا

ومن أحسن ما قيل في التطاريف السّود قول ابن المعتز :

وَكَفَّ كَأَنَّ الشَّمْسَ مَدَّتْ بَنَانَهَا إِلَى اللَّيْلِ تَجْلُوهُ فَقَبِلَتْهَا اللَّيْلُ

وله أيضاً في التطاريف الحُمْرُ :

أَشَارَتْ بِأَطْرَافِ رِطَابٍ كَأَنَّهَا أَنَابِيْبُ دُرٍّ قُمِعَتْ بِعَفِيقِ

١ الشريشي ٥ : ٢٤٠ .

٢ الأبيات في المطرب : ٧٩ .

٣ ص : تنكرون .

٤ ص : قال .

٥ ديوان ابن المعتز ٤ : ١٠٨ .

ما أخرجته من مراثيه مع ما يتشبت بها

قال يرثي أباه وقد ودّع قبره وقت جوازه إلى الأندلس :

أبي نَيْرُ الأَيْتَامِ بعدَكَ أَظْلَمًا وَبُنْيَانُ مَجْدِي يَوْمَ مِيتٍ نَهْدًا مَا
وَجِسْمِي الَّذِي أَبْلَاهُ فَقْدُكَ إِنْ أَكُنْ رَحَلْتُ بِهِ فَالْقَلْبُ عِنْدَكَ خَيِّمًا
وَقَى اللَّهُ عَيْنِي^١ مَنْ تَعَمَّدَ وَقْفَةً بِقَبْرِكَ فَاسْتَسْقَى لَهُ وَتَرَحُّمًا
وَقَالَ سَلَامٌ ، وَالثَّوَابُ جَزَاءُ مَنْ أَلَمَ عَلَى قَبْرِ الْغَرِيبِ فَسَلَّمَ

وأخذ من ترابه فقال : [١٠٣]

رَحَلْتُ وَهَا هُنَا مَثْوَى الْحَبِيبِ فَمَنْ يَبْكِيكَ يَا قَبْرَ الْغَرِيبِ ؟
سَاحْمِلُ مِنْ ثُرَابِكَ فِي رِحَالِي لَكِي أَغْنَى بِهِ عَنْ كُلِّ طِيبِ

وقال من مَرثِيَةٍ لَهُ فِي الْمُقْتَدِرِ بْنِ هُودٍ :

نَعُدُّ حُصُونًا كُلَّ دِرْعٍ وَمِغْفَرٍ^٢ وَتَعْدُو الْمَنَابِيَا فِي عَرِينِ الْغَضَنْفَرِ
وِلَاحِدَى بَنَاتِ الدَّهْرِ تَنْسِفُ أَحَدَهُ^٣ وَتَهْدِمُ^٤ بِالتَّدْمِيرِ بُنْيَانَ تَدْمُرُ
نَبَا نَابٍ^٥ عَادٍ وَهُوَ كَاللَّيْثِ عَادِيًا وَمَاتَ مَتْنِي كَسْرَى الْمُلُوكِ وَقِيَهْرُ

١ ص : سقى الله عيناً .

٢ ص : ومغفر .

٣ ص : باب .

وما درأت^١ عن تبع تبع له
أصم^٢ وأصمى ثغرة الشجر حادث^٣
هو البحر في ذا الخطب أعطاك دُرَّة^٤
أجدك بز^٥ الدهر شهب بزاتيه
أعز^٦ من اقتاد الحميس إلى الوغى
تلثم حياء^٧ يا زمان من العلا
مضيت فما للأرض بعدك لم تميد^٨
بعث بها مشقوقة الحبيب ثاكلاً

وله من أخرى :

فاجأتنا والمنون^٩ مُنتظِرَه
أصم^{١٠} سمعي حديث حادثه
متوج^{١١} من جذام مات له
ثلاثة لا خلاف أنهسم^{١٢}
ما نفع المشتري ولا زحلاً^{١٣}

صُروف الردى الجارى على كل قسور
تحدثنا عنه الثقات فنمري
فقل للسان انظيم^{١٤} وللدمع^{١٥} فانشري
وعز^{١٦} معز الدولة ابن المظفر
وأكرم من يدعى له فوق منبر
مضيت بمعروف وجئت بمشكر^{١٧}
وما لسماء المجدي لم تنفطر^{١٨} ؟
وإن فتقت ربيع الغراء بعنبر^{١٩}

مين جامع الطيبات مُحْتَفَرَه^{٢٠}
فل السيوف الذكور من ذكره
ثلاثة فليعيش له عشره
خير من الفرقدين والزهره
ضوء بل الله مُنْفِد قدره

١ ص : دارت .

٢ ص : رده .

٣ ص : بر .

٤ فيه اعتماد على قول ابن هانيه : « فتقت لكم ربيع الجلاء بعنبر » .

٥ ص : حاتنا .

٦ ص : مختصرة .

٧ ص : زحل .

ومنها ، وهو من طريق الاستطراد للاستجداء ، وطلب الحياء ،
وكان الحُصْرِيّ مَشْحُودَ المَدْنِيَّةِ ، في أبواب الكُدْيَةِ :

بَيَّضَ كُلَّ وَلَا بَيَّاضَ مَعِيَ إِلَّا بَيَّاضُ الْمَشِيبِ وَالْبَشَرَةِ
فَغَبِثْتُ عَنْ مَجْلِسِ الْعِزَاءِ عَلَى رَغْمِي^١ وَإِنْ كَانَ مِقْوَلِي حَقَصَرَهُ
يَا أَهْلَ هُودٍ إِذَا الْوَرَى حُسِبُوا^٢ مِنْ صَدَفِ الْبَحْرِ كُنْتُمْ دُرَرَهُ
يَا كُرَّمَاءَ الزَّمَانِ لَسْتُ أَرَى حُجُولَهُ غَيْرَكُمْ وَلَا غُرَرَهُ

ومن قبيح استجداء الحُصْرِيّ مَا فَعَلَهُ بِالْمُعْتَمِدِ بْنِ عَبَّادٍ ، تصدَّى
له في طريقه بالعدوة على حاله مِنْ^٣ اعتقاله ، ولم يلقه باكياً على
خَلْعِهِ مِنْ مُلْكِهِ ، وَلَا تَأْدَبَ مَعَهُ فِي وَصْفِ مَا انْتَرَى مِنْ سِلْكِهِ ، بَلْ
بِأَشْعَارٍ قَدِيمَةٍ لَهُ ، صَدَرُهَا فِي الرَّبَابِ وَفَرَّتْنِي ، وَعَجَزُهَا فِي طَلَبِ
الْتَهَى . وَعَلَى تِلْكَ الْحَالِ ، وَمَا يُنَاجِي بِالِ الْمُعْتَمِدِ مِنَ الْبَلْبَالِ ، قَاسَمَهُ^٤
فِيمَا كَانَ بِيَدِهِ مِمَّا كَانَ بِهِ زُودٌ ، حَسِبَا وَصَفَتْ لَهُ فِي أَخْبَارِهِ مِنْ
هَذَا الْمَجْمُوعِ^٥ .

وله من أخرى في الْمُقْتَدِرِ بْنِ هُودٍ :

نُفِرْتُ فِي الْعُمُرِ الذَّاهِبِ وَنَفَرْتُ بِالْأَمَلِ الْكَاذِبِ

١ ص : زمني .

٢ ص : حبوا .

٣ ص : على .

٤ انظر القسم الثاني : ٦٦ .

٥ ص : القمر .

يقول فيها :

تنزّه عن تبعات الملوك فحُفَّتْ على المَلَكِ الكاتب
فقدنا الربيعَ أبا جعفرٍ فلا درَّ خِلْفٌ على حالبٍ
لبستُ البياضَ ولولا الخِلافُ لسودتُ ثوبِي كالرَّاهِبِ

ومنها :

نقدتَ القريضَ على ربّه وفصلَ الخطابِ على الخاطبِ
بديعُكَ أزرى بعد الحميدِ وبابنِ العميدِ وبالصاحبِ
ففضلكَ مَنْ لي بإحصائه وفي بعضه عِلَّةُ الحاسبِ

وله في مَوْتِ المعتضِدِ وولاية المعتَمِدِ^١ :

مات عَبَادٌ ولكنْ بَقِيَ الفَرْعُ الكَرِيمُ
فكَانَ المَيِّتَ حَيًّا غَيْرَ أَنْ الضَّادَ مَيِّمُ

ومات للحُصْرِيِّ ابنٌ بلغَ مِنْ جَزَعِهِ عليه النّهاية ، وتجاوز في ذلك
الغاية ، وصنع فيه مرثي على حُرُوفِ المُعْجَمِ^٢ ، منها^٣ :

١ انظر ياقوت ١٤ : ٤٠ والحريدة ٢ : ١٨٧ والنفع ٤ : ٢٤٦ ومختارات ابن الصيرفي :

١٣١ والفيث ٢ : ٢١٩ والوافي في نظم القوافي ، الورقة : ٤٣٦ .

٢ هذه هي القصائد التي تضمنها ديوانه اقتراح القريع واجترح الجريح وقد نشره الأستاذان
المرزوقي والجيلاني في كتابهما عن الحصري : ٢٤٣ - ٤٩٠ وسأشير إليه فيما يلي باسم
« اقتراح » .

٣ اقتراح : ٢٧٥ .

عرضت له تُفَاحَةٌ نَفَاحَةٌ
ولو استطاع القول قال مُشَافِهاً
فُزْ مَطْمَنٌ الْقَلْبِ لَا مُسْتَوْفِزاً
عبد الغني لك المَسْرَةُ غائباً
لَمَّا غَدَوَا^١ بك جائزين كأنهما

وقال فيه^٢ :

لست أنسى مقامه ومقامي
أنفه ينثر العقيق وعيني
وكيلنا مثل القصبِ قَضِيباً^٣
تنثر الدَّمْعَ بالعقيق مَشُوباً

وقال فيه^٤ :

ذوى ربحاني الأريج
ذبيحٌ طُلَّ مِنْهُ دَمٌ
رأيتُ دماهُ ودِماً
ترَفَّقْتُ يا سَقَامُ به
صدَعْتُ بما أَمِرتُ وما
فأين غرارُ مِقْنُولِهِ
وضاقَ بخلِيتي^٥ الفرجُ
ولم يُقَطِّعْ له ودَجٌ
ءَ عَيْنِي كيف تَمْتَرِجُ
أبعدَ المُسْتَوَى عِوَجُ ؟
عليك معَ القضا حَرَجُ
وأينَ حِجَاهُ والحُجَجُ ؟ [١٠٤]

١ ص : غدونا ؛ اقتراح : أدوا .

٢ اقتراح : ٢٧٨ .

٣ اقتراح : ٢٩٦ .

٤ اقتراح : محلي .

شأى ابن الأربعين وما اذ
عُروقُ الناسِ كلَّهمُ
بنو الدنيا كأنَّهمُ
وَهْلٌ هِيَ غَيْرُ دَارٍ أَذَى
تأملُ كيف تَأْكُلُهُمُ
تَهَتَّ عَشْرًا بِهِ الْحِجَجُ
إِلَى عِرْقِ الثَّرَى تَشِيجُ^١
لِقِلَّةِ هَمِّهِمْ هَمَجُ
إِذَا دَخَلُوا بِهَا خَرَجُوا
وَهُمْ وَلَدٌ^٢ لَهَا نَتَجُ

وقال له^٣ :

على تَغْمِيرِ نُوحٍ مَاتَ نُوحُ
وَكَيْفَ الصَّبْرُ أَمْ كَيْفَ التَّعَزِّي
فَنَائِحَةٌ لِأَمْرِ مَا تَنُوحُ
وَمِنْ عِرْنِينِهِ^٤ وَلَدِي ذَبِيحُ

وقال فيه^٥ :

أَنَا فَرْدٌ بَلَا خَلِي
أَنَا كَالْأَوْرِقِ اشْتَكَى
أَنَا كَالزَّرْعِ وَالْعِيدَا
لِي وَلَا ابْنٍ وَلَا أَخٍ
بُعْدَ وَكْرِ^٦ وَأَفْرُخٍ
كَالْجَرَادِ الْمَسْخُخِ^٧

١ من قول امرئ القيس :

إلى عرق الثرى وشجت عروقي
وقيل في تفسير عرق الثرى إنه إبراهيم .

٢ ص : ولدها

٣ اقتراح : ٣٠١ .

٤ ص : غريبته .

٥ اقتراح : ٣٠٦ .

٦ اقتراح : فقد لُف .

٧ ص : المَرْخ ؛ اقتراح : المَصْخ ؛ والمسْخُخ : الذي يفرز ذنبه في الأرض .

قُرَّةُ الْعَيْنِ ١ دُونَهُ
صَاحِبَ الصُّورِ آتِئاً
عَلَّتِي ٢ مِنْهُ أَشْتَقِي
كُلُّ عُمْرٍ مُوقَتٌ
بَرْزَخٌ أَيُّ بَرْزَخٍ
حَضَرَ الْمَوْتَ ٣ فَانْفُخِ
بِالنَّسِيمِ الْمَضْمُخِ
فِي كِتَابٍ مُؤَرَّخِ

وقال ٤ :

تَنَافَرَتْ مِنْ مَدَامِي ذُرَّرَ
إِنْ دِيَاراً حَلَلْتُهَا لَفَلَا
أَثَرِي بِهَا ، وَافْتَقَرْتُ ، مَنْ لَقَطَا
وَإِنْ سِيرَباً بَكِيٍّ مَعِي لَقَطَا

وقال فيه ٥ :

بِتَفْسِي نَجْمٌ أَظْلَمَ الْأَفْقُ إِذْ هَوَى
أَحِينَ شَأَى مِنْ فَضْلِهِ كُلِّ سَابِقِ
وَهَزَّ قَنَاقَةَ الْقَصْدِ ٦ لِلطَّعْنِ فِي الْعِيدِ
رَمَتْهُ فَأَصْحَمَتْهُ السَّهَامُ وَإِنَّهُ
وَكَادَ يُعْزِيَنِي بِهِ الْقَمَرَانِ
وَعَنَى شَامٌ بِاسْمِهِ وَيَحْمَانِ
وَرَأَشَ جَنَاحَ الْعِزِّ لِلطَّيْرَانِ
لَفِي زَرْدٍ مِنْ دَعْوَتِي وَكِتَانِ

وفيه يقول ٧ :

-
- ١ ص : عين .
٢ اقتراح : الوقت (وهو أصوب) .
٣ ص : علي .
٤ اقتراح : ٣٤٤ .
٥ اقتراح : ٣٧٥ .
٦ اقتراح : وجر . . . النصر .
٧ يبدو أنهما لم يردا في اقتراح القريح .

عبدُ الغنى بُنيّتي كَلَاهُ بِالْحِفْظِ رَبُّهُ
يقولُ قلبي كُلُّهُ واشربهُ ممّا أحبّه

ونه من قصيدة يَسْدُبُ وطنه بالقيروان ، ويتذكّر من كان هنالك
مين الإخوان :

مَوْتُ الكرامِ حياةٌ في مواطنهم
يا أهلَ ودِّي لا واللهِ ما انتكثتُ
لَمَنْ بعدُ تُمْ وحالَ البَحْرِ دونكمُ
ما نِمتُ إلّا لَكِي ألقى خيالكمُ
إذا اعتللتنا تعللتنا بذِكركمُ
ماذا على الرّيحِ لو أهدتْ تحيَّتها
أصبحتُ في غُربتي لولا مكائمي
كأنّني لم أذُقْ بالقيروانِ جَنِّي
ولم تَشْفني الخدودُ الحُمْرُ في يَقَي
أبعدَ أيامِنا البيضِ التي سَلَفَتْ
أمرُُّ بالبحرِ مُرتاحاً إلى بلدٍ
وَأَسألُ السّفنَ عن أخبارِهِ طَمَعاً
هل مِن رِسالةٍ حَبّ أَسْتَعينُ بها
ألا سَقَى الله أرضَ القيرِوانِ حَيّاً
فلإنّها لِدَدَةُ الجنّاتِ تُربّتُها
إلّا تَكُنْ في رُبّاهَا رَوْضَةٌ أَثْنَفُ

فإنّ [هَمْ] اغتربوا ماتوا وما ماتوا
عندي عُهودٌ ولا ضاقتْ مَوَدّاتُ
لَسَبِينِ أرواحِنا في النّومِ زوراتُ
وَأين من نازحِ الأوطانِ نَوَماتُ؟
لو أَحسنتُ بَرّاً عِلاتِ تَعِلاتُ
إليكمُ مُثْلَ ما تُهْدِي التّحيّاتُ؟
بَكَتْني الأرضُ فيها والسّمواتُ
ولم أَقلْ ها لأحبابي ولا هاتوا
ولا العيونُ المِراضُ البَابلِياتُ
تَروقي غَدَوَاتُ أو عَشِيّاتُ؟
تَموتُ نَفسي وفيها مِنْ حاجاتُ
وأثْنِي وبِقَلبي مِنْ لَوَعَاتُ
على سَقامي فَقَد تَشْفِي الرّسالاتُ؟
كَأنّه عَبّراقِي المُسْتَهْلَآتُ
مِسْكِيّةٌ وَحَصّاها جَوهريّاتُ
فلإنّما أوجهُ الأَحبابِ رِوضاتُ

أَوْ لَا يَكُنْ نَهَرٌ عَذْبٌ يَسِيلُ بِهَا
أَرْضٌ أَرِيضَةٌ أَقْطَارُ مَبَارَكَةٍ
لَا يَشْمَتَنَّ بِهَا الْأَعْدَاءُ إِنَّ رُزِيتُ
وَلَمْ يَزَلْ قَابِضُ الدُّنْيَا وَبَاسِطُهَا
هَلْ مَطْمَعٌ أَنْ تُرَدَّ الْقَيَرَوَانُ لَنَا
مَا إِنْ سَجَا اللَّيْلُ إِلَّا زَادَنِي شَجَنًا
وَلَا تَنْفَسْتُ أَنْفَاسَ^٢ الرِّيَاضِ ضُحَى
هَذَا وَلَمْ تَشْجُ قَلْبِي لِلرَّبَابِ رُبِّي
وَكَمْ دُعِيتُ لِبُسْتَانٍ فَجَدَّدَ لِي
وَلَوْ تَرَانِي إِذَا غَنَّتْ بِلَابِلُهُ
أَنِّي لَأَظْمَأُ وَالْأَنْهَارُ جَارِيَةٌ
وَمَا أَرَى الْمَوْتَ إِلَّا بِأَسْطَى يَدِهِ

ومنها في المدح :

بَلِغْ أَحْبَبْنَا الْبَاكِينَ مِنْ جِهَتِي
مَنْ الضَّرَاعِيمِ إِلَّا أَنْ غَابَهُمْ
فَمَنْ يَكُنْ فِيهِ بَيْنَ اثْنَيْنِ مُخْتَلَفٌ

فَإِنْ أَنْهَارَهَا أَبْدَا كَرِيمَاتُ
لِلَّهِ فِيهَا بُرَاهِينٌ وَأَيَّاتُ
إِنَّ الْكُسُوفَ لَهُ فِي الشَّمْسِ أَوْقَاتُ
فِيمَا يَشَاءُ لَهُ مَحْنُوٌّ وَإِثْبَاتُ
وَصَبْرَةٌ وَالْمُعْلَى فَالْحَنِاتُ؟
فَأَتَبَعْتُ زَقْرَانِي فِيهِ أَنْتَ
إِلَّا بَدَدْتُ حَسْرَاتِي الْمُسْتَكْنَاتُ
وَلَا تَقْضَتْنِي^٤ مِنْ لُبْنَى لُبَانَاتُ
وَجَدًّا وَإِنْ كَانَ فِي مَعْنَاهُ سَلَوَاتُ
أَشْكُو الْبَلَابِلَ لَوْ تَغْنِي الشُّكَايَاتُ
حَوَّلِي وَأُضْحِي وَدُونَ الشَّمْسِ دَوَّاحَاتُ
مِنْ قَبْلِ أَنْ يُتِمَّكَ الْمَأْسُورَ لِفَلَاتُ

أَنِّي حَمَمْتَنِي أَسُودُ حِمِيرِيَّاتُ
بَيْضُ حِدَادٍ وَحُمُرُ سَمَهَرِيَّاتُ
فَذَا الَّذِي اتَّفَقَتْ فِيهِ الْبَرِيَّاتُ

١ ص : ايدا .

٢ ص : أَنْ تَرَى أَرْضَ .

٣ ص : أَنْفَا فِي .

٤ ص : تَقْضَتْنِي .

ومن شعره مما خاطب به الفقيه القاضي أبا المطرف الشعبي^١ بمالقة
من جملة قصيدة :

سَرَيْتُ وَخَلَّيْتُ السَّرِيَّ مُصَاحِبِي ^٢	فهذا الهوى بُصْبِي وهذا الهوى بُنْضِي ^٣
فثَوْبَكَ مِنِّي سُلَّ يَا أَسَدَ الشَّرَى	وطرفك عني بامهاة النقاغضي [١٠٥]
تَفَكَّرْتُ فِي الدُّنْيَا وَفِي غُرْبَتِي بِهَا	فضاقت عليَّ الأرض في الطول والعرض
لَقَدْ شَعَبَ الشَّعْبِي قَلْبًا صَدَعَتْهُ	كما تصدَّعُ المظلومة الخيل بالركض
نَهْوُضٌ لِأَمْرِ أَمَرْتَهُ خَوَارِجٌ ^٤	نَهْوُضٌ بِأَعْبَاءِ الْعُلَا أَيْمًا نَهْوُضُ
جَلَا عَدْلُهُ لِظُلَامِ كُلِّ ظُلَامَةٍ	وحاطَ قَتَاةَ الدِّينِ حِفْظًا مِنَ الْخَفْضِ

١ هو أبو المطرف عبد الرحمن بن قاسم الشعبي المالقي (٤٠٢ - ٤٩٧) كان فقيه مالقة في عصره ، وعليه كانت الفتيا تدور ، وكان حافظاً من الحفاظ المشاهير ، يحفظ المدونة وغيرها ، أخذ عن شيوخ جلة كآبي أيوب (أبي العباس) أحمد بن أبي الربيع اللبيري وعن أبي محمد قاسم بن محمد المأموني السبيي وغيرهما ؛ وقال فيه الفقيه أبو العباس أصبغ بن أبي العباس : « عصره أهل العلم الرفيعة ، وعضيته العبقة البديعة ، بذ فيه الجموع والأفراد ، وأرى نظره على النفاذ والنفاذ ، وبورك له فيما منح من الاستيلاء والاستحواذ . . . » (وقد جرى التعريف به في القسم الأول : ٨٤٨ الحاشية : ٢ اعتماداً على أدباه مالقة والصلة ، ولكنني زدت التعريف به هنا بياناً) .

٢ ص : لصاحبي .

٣ كذا ورد هذا البيت في ص ؛ ومعناه فيما أرى : أنني سريت واتخذت الجمل السري (المختار) مصاحباً لي ، فهو لي يصبي ، أما هوى الجمل فانه ينضي ، أي يسبب له التحول .

٤ المظلومة : الأرض .

٥ كذا ؛ ولعله « نقوض لامر » أي أنه ينقض ما اجتمعت عليه الخوارج من رأي وكيد ؛ والامر - بكسر الهمزة - الأمر العظيم الشنيع .

كففت أكف الظلم عن كل مسلم
تنم برية جنة الخلد رية^١
كأنك منها مالك وهي طيبة
وإن أنشدت في دار حكمك مدحي
لثمت حصي مغناك لمتا وطئته
غدا عيسنا باليد شدو وحدتنا
عرضن مال منه أو دم أو عرض
لن قطف الأزهار من روضك الغض
فما جمع أهل العلم عنك بمنفض
لقد جليت بكرأ على خير منفض
وقلت اللآلي كيف تظلم بالرض
بذ كرك فاستغنت عن الماء والحمض

وقدم من الشرق فأنزله في داره وأكرمه ، فقال فيه من جملة قصيدة :

أمولى شرفت به أم صديق
تملكتي ومنى ملكه^٢
سقاني وأخلاقه جنة
حلت وأحلت^٣ كريق الحبيب
وزاد على الزاد ما قاتني
يوأصلي حين يجفو الشقيق
فحسب معاليه أنا رقيق
فمنها الرياض ومنها الرحيق
فطاب الصبوح بها والغبوق
زماناً وإن طال ذاك الطريق

وخرج تميم^٤ عن مالقة ممزولاً فقال :

١ رية هو الاسم القديم لمالقة .

٢ ص : ملك .

٣ ص : وحلت .

٤ هو تميم بن بلقين صاحب مالقة ، الملقب بالمستنصر وكان أحد الذين استنفرهم يوسف بن تاشفين في جوازه الثاني لحصار حصن لييط ، ثم أن المرابطين نحوه وأخاه عبد الله بن بلقين وأرسلوهما إلى المدوة وأسكنا بأغصات (انظر الحلل الموشية : ٥٨ ومذكرات الأمير عبد الله) .

أَهْوَاكُمُ جَدَّةً مَازِحُهُ وَالْحِمَى لَمْ يَدْنُ فَازِحُهُ؟
 مَارَسَتْ مِنِّي الْعِيدَا رَجُلَا أَسْمَعَ الصَّمَاءَ صَائِحُهُ
 إِنُّ زَجَرْتُ^١ الطَّيْرَ فِي سَقَرِي عَنْ يَمِينِي مَرَّةً سَانِعُهُ
 عَجِبْتُ أَسْمَاءَ مِنْ جَلَلِي يَوْمَ أَصَمَّى الْقَلْبَ جَارِحُهُ

ومِنْهَا :

لَا يَتَضَقُّ مَنْ صَدْرُهُ حَرَجٌ^٢ شَيْخُنَا الشَّعْبِيُّ شَارِحُهُ
 إِنَّمَا أَخْلَاقُهُ زَهْرٌ عَطَّرَ الْآفَاقَ فَائِحُهُ
 إِنَّمَا أَقْلَامُهُ أَسَلٌ هَابَهَا فِي الْجَوِّ رَامِحُهُ
 قَبِيلَ الشَّعْبِيِّ حِينَ دَعَا فَكَبَا بِاللَّيْلِ سَابِحُهُ
 بِتَمِيمٍ حِينَ حَانَ بِهِ الْـ حَيَيْنُ وَانْقَادَتْ جَوَامِحُهُ
 ضَعُفَتْ مِنْهُ الْقُوَى فَغَدَتْ مِنْ قَوَارِيرٍ قَوَارِحُهُ
 وَانْجَلَتْ عَنْ حُسْنِ مَالِقَةٍ بِفَقِيهِهَا^٣ قَبَائِحُهُ
 وَصَفَا الْبَحْرَانِ مِنْ كَدَرٍ فَارْتَوَى بِالمَاءِ مَائِحُهُ
 ذِكْرُهُ غَتَّى الزَّمَانُ بِهِ وَأَنَا فِيهِ أَطَارِحُهُ

١ ص : أن جر .

٢ ص : في صدره حرجاً .

٣ الفقيهان هما الشعبي وابن حنون .

وله من أخرى [يمدحه و] يمدحُ القاضيَ أبا مروانَ بنَ حَسَنونَ^١ :

سَهْلُ الأَبَاطِحِ مِنْ عِلَّاكَ يَفْعُ	وَالنَّجْمُ أَنْتَ وَكَفَلَكَ المَرِبَاعُ
بَلْ أَنْتَ شَمْسٌ لَا تَزَالُ وَلَمْ [يَزَلْ]	فِي سَائِرِ الآفَاقِ [مِنْكَ] شُعَاعُ
مَنْ يَخْتَلِفُ كُلُّ الْوَرَى فِي حُبِّهِ	فَأَبُو المَطَرِ حُبُّهُ إِجْمَاعُ
شَهِدَتْ عُقُولُ الْعَالَمِينَ بِفَضْلِهِ	فَسَوَاءُ الأَعْدَاءُ وَالْأَشْيَاعُ
مِصْبَاحُ مَالِقَةَ أَرَادَ خُمُودَهُ	قَوْمٌ لِيَرْتَفِعُوا وَهُمْ أَوْضَاعُ
فَالْعَامُ لَمْ يَكْمُلْ لِعَزَلَتِهِ بِهَا	حَتَّى عَلَتْ يَدُهُ وَطَالَ البَاعُ ^٢
انْظُرْ إِلَيْهِ [الْيَوْمَ] كَيْفَ أَصَابَهُ	صَرَفُ الزَّمانِ وَلَيْسَ عَنْهُ دِفَاعُ
لَوْلَا إِسَاءَتُهُ إِلَيْكَ وَظُلْمُهُ	لَغَدَا وَأَنْتَ لَهُ يَدٌ وَذِرَاعُ
بَيْنَ ابْنِ حَسَنونَ وَشُعْبِي الهَنْدِيُّ	مِنْ ثَنَدِي خَالِصَةِ الإِخَاءِ رَضَاعُ

١ بنو حسون من الأسر المشهورة بمالقة ، وكان منهم أبو علي الحسن بن حسون قاضي مالقة في مدة العالي بن يحيى بن حمود (المغرب ١ : ٤٣٠) وأبو الحكم ابن حسون الذي تولى أمر مالقة فترة من الزمن (النباهي : ١٠٤) وذكر ابن الأبار أبا عامر بن حسون (التحفة : ٩٦) وأنه كان والياً على مالقة ؛ أما أبو مروان هذا فهو عبيد الله بن عيسى (أو ابن حسين بن عيسى) الكلبي المالقي ، ولي قضاء مالقة وكان أبوه (الشهير بحسون) قد وليها لبني حمود (انظر ما تقدم قبل قليل فلعله هو الذي ذكره ابن سعيد باسم الحسن ، وذكره ابن الأبار باسم الحسين) ، وتوفي يوم الاثنين لأربع خلون لربيع الآخر من سنة ٥٠٥ وقد كان ابنه محمد من الفقهاء المشاورين في بلده (أدباء مالقة : ١٥٢ - ١٥٣ والتكملة : ٩٢١ - ٩٢٢) .

٢ يبدو أن تميم بن بلقين كان قد عزل أبا المطرف الشعبي ، فلما عزل تميم عاد أبو المطرف إلى منصبه ، وهذا ما يفسره البيت التالي الذي يصور الشامة بتميم ؛ وانظر القصيدة السابقة ففيها تصريح بسوء العلاقة بين تميم من ناحية والشعبي وابن حسون من ناحية أخرى .

ياما^١ أجلتها وأشبّه ذا بدا
ما أحسن الدنيا بحسنها الذي
خلقنا لنصر الدين والكرم الذي
كهنّدين^٢ مُجرّدين^٣ بريّة

وله فيهما من أخرى أولها :

بريّة [ربنا] روضة رياض
معاليلها فوق النجوم منيفة^١
سمعت حياقي والمقام بطنجة
سيورق عودي إن سكنت بريّة
لدى قمرينها إن في غرتيها
أريّة مرعاي المريع وأينقي

وقال :

يا عجا للسيوف استوى
وقد رأيت العدل في بلدة
أحكامه بالحق مرضية^١
لو شوورت فيه بنو هاشم
كم حجة أوضّح ، كم حاجة

حسنت وجوه^١ منها وطباع
تلتذّه الأبصار والأسماع
تخضر منه بسطة^٢ وتلاع
تنبو الظبا وكلاهما قطاع

بها علما عليهم وأعدل قاض
ورأيتهما في المشرفيّة ماض
كان بلاد الله غير عراض
وبسود من فؤادي^٢ كل بياض
هداية عُميان وبئر مراض
وأنت ابنة^٣ في عصمة ابن عياض

كليلها اليوم وماضيها
فقيها الشعبي قاضيها
والله بعد الخلق راضيها
لقدّمته عن تراضيها
قضى لنا قبل تفاضيها

١ ص : فما .

٢ ص : فؤادي .

٣ ص : ابنة في حفة .

ذكر الأديب أبي الحسن عبد الكريم بن فضال القيرواني
واشتهرت معرفته بألفتنا بالحلواني^١
وسبأه جملة من شعره

وله كلامٌ في النسبِ رائقٌ ، ومتأخِرٌ سابقٌ ، ومديحُه أيضاً عليه
طلاوةٌ ، وبالجُملةِ ففي ألفاظِ الحلواني حلاوةٌ . ومن خطّه نقلتُ ، جُملةٌ
ما ها هنا له أخرجتُ .

النسب وما يناسبه

قال^٢ :

ولمّا تَنَادَوْا للرَّحِيلِ وقُرِبَتْ كرام^٣ المَطَايا والركابُ تَسِيرُ

١ هناك اثنان يعرفان بابن فضال وكلاهما يكنى بأبي الحسن : علي بن فضال القيرواني المجاشعي النحوي وقد شرق ، ومدح نظام الملك وزير الدولة السلجوقية (وله ترجمة في الحريرة ١ : ٢٨٧ والمنتظم ٩ : ٣٣ ومعجم الأدباء ١٤ : ٩٠ وانباء الرواة ٢ : ٢٩٩ وانظر مزيداً من مصادر ترجمته في الحريرة ٣ : ٦٩٤ وكانت وفاته سنة ٤٧٩) ؛ والثاني هو عبد الكريم ابن فضال القيرواني الحلواني - وله ذكر في المطرب : ٧٥،٥٩ ورايات المبرزين : ١٠٧ (غ) ومسالك الأبصار : ٤٥٦ والحريرة ٢ : ١٨٨ وهذا هو الذي غرب فدخل صقلية والأندلس ، وقد مر ذكره في القسم الأول ١ : ٥٠٦ وأنشد له بيتين في لبس البياض وهو شعار الحداد عند الاندلسيين .

٢ انظرها في المسالك والحريرة والمطرب وختارات ابن الصيرفي : ١٣١ .

٣ في أكثر المصادر : عتاق .

جَعَلْتُ عَلَى قَلْبِي بَدَيَّ مَبَادِرًا فَقَالُوا مُحِبٌُّ لِلْعِنَاقِ يُشِيرُ
فَقُلْتُ وَمَنْ لِي بِالْعِنَاقِ وَإِنَّمَا تَدَارَكَ قَلْبِي حِينَ كَادَ يَطِيرُ
وقال الحلواني^١ :

قالوا التحى فامّحت بالشعر بهجته فقلت لولا الدجى لم يحسن القمر
مَنْ كَانَ مُنْتَظِرًا لِلصَّبْرِ عَنْهُ بِهِ فَلِأَنِّي لَغَرَامِي كُنْتُ أَنْتَظِرُ
خَطَّتْ يَدُ الْحُسْنِ مِنْهُ فَوْقَ وَجْنَتِهِ هَذِي مَحَاسِنُ يَا أَهْلَ الْهُوَى آخِرُ

ومعنى هذا البيت يتطرق قول ابن شرف^٢ :
سُبْحَانَ مَنْ أَعْطَاكَ حُسْنًا ثَانِيًا وَثَالِثٌ مِنْ حُسْنِ فِعْلِكَ عَزَّازَا
وقال الحلواني^٣ :

لي حبيبٌ إِذَا شَكُوتُ إِلَيْهِ فِي الْهُوَى سَامِي عَذَابًا شَدِيدًا
لَسْتُ أَدْعُو عَلَيْهِ بِالشَّعْرِ [غَيْظًا] خَيفَةً أَنْ يَكُونَ حُسْنًا جَدِيدًا
غَيْرَ أَنِّي أَدْعُو بِقَلْبٍ قَرِيبٍ أَنْ أَرَاهُ مِثْلِي مُحِبًّا عَمِيدًا
كَأَنَّهُ عَكْسَ قَوْلِ الْبُحْتَرِيِّ^٤ :

أَعِذُّكَ أَنْ تُحْمَنِي بِشَكْوَى صَبَابَةٍ وَإِنْ أَكْسَبَتْنَا مِنْكَ عَطْفًا عَلَى الصَّبِّ
وَيَحْزُنُنِي أَنْ تَعْرِفِي الْحُبَّ بِالْجَوَى وَإِنْ نَفَعَتْنَا فَيْكَ مَعْرِفَةُ الْحُبِّ

١ الشريشي ١ : ٤١٤ .

٢ انظر التتف ١٠٣ وما تقدم من : ٢١٥ .

٣ الشريشي ١ : ٤١٤ .

٤ ديوان البحتري : ١٠٥ .

وقال^١ :

رُبَّ خَيْطٍ فُتِنْتُ بِهِ فِتْنَةٌ أَفْنَتْ قُوَى جَلْدِي
لَاعِبٌ بِالْخَيْطِ يَفْتِلُهُ أَتْرَاهُ ظَنَّهُ جَسْدِي
لَيْتَ أَنِّي كُنْتُ فَأَرَى بَيْنَ ذَلِكَ الْوَرْدِ وَالْبَرْدِ
فَعَلْتُ بِالثُّوبِ لِبَرَّتُهُ فِعْلَ سَهْمِ الشُّوقِ فِي خَلْدِي
وَجَرَى الْمِقْرَاضُ فِي يَدِهِ جَرَى عَيْنِيهِ عَلَى كَبْدِي

وذكرتُ بذكره الخياط قول أبي محمد عبد الله بن القابلة السبتي^٢
في غلامٍ وسيمٍ يرفو في السوق ثوباً :

يا رافياً قَطَعَ كُلَّ ثُوبٍ ويا رشاً حُبَّهُ اعْتِقَادِي
عسى بكف الوصالِ تَرْفُو ما قَطَعَ [الهَجْرُ] مِنْ فَوَادِي

وهذا من اللفظ الطيار الخفيف الروح . ومن الكلام الفج الثقیل ،
قول عبد الجليل :

بِسُوقِ الْخِيَاطَةِ مُسْتَحْمَرْدٌ تَوَدُّ لِمَنْ نَاكَهَ الْنَفْ خَيْرِ
وَأَشْهَدُ أَنَّ الْفَتَى صَانِعٌ لَطَوَقٍ عِجَانٍ عَلَى عُنُقِ أَيْرِ

وما أحلى لفظ الحُلُوَانِي هذا في غلامٍ وسيمٍ أراد النهوض إلى
الحجج^٣ :

-
- ١ الشريشي ١ : ٣١٧ .
٢ سترجم له ابن بسام في هذا القسم ، وله ذكر في رايات المبرزين : ٩٩ - ١٠٠ وببناه في
الشريشي ١ : ٣١٧ .
٣ وردت في المسالك ١١ : ٤٥٦ والمسلک السهل : ٤٩٦ والشريشي ٤ : ١٨ .

يا طالبَ الحجِّ وهو ذو صِغَرٍ عَجِلْتَ فاستأنِهْ إلى الكِبَرِ
 إنْ كُنْتَ تَبْغِي مَثُوبَةً فَعَسَى تَحْمِلُ لِي قُبْلَةً إلى الحَجَرِ
 وإنْ رَمَيْتَ الجِمَارَ فارْمِ به كلَّ فؤادٍ عليك لم يَطِرِ
 فقال دَعْنِي وزَمَزَمًا فَعَسَى اغْسِلْ من مُقْلِي دَمَ البَشَرِ

وعلى ذكرِ قولِهِ «تَحْمِلُ لِي قُبْلَةً إلى الحَجَرِ»، قال الحُسَيْنُ الغُلامُ
 رآه بالمَكْتَبِ . فأشار لتقبيلِ يده ، فقَبَلَهُ ١ :

ظَفِيرَتُ بِقُبْلَتِهِ مِنْهُ على عَيْنَيَّ مُعْلِمِهِ
 أَشَرْتُ بِهَا إِلَى يَدِهِ فوصلَهَا إلى فَمِهِ

وقال الحُلُوتَانِي :

تَعَرَّضْتُ مَنْ شَقَّتَنِي هَجْرُهُ بِيَدِهِ سَلَامٍ عَلَيْهِ شَفَاها
 وَقُلْتُ عَسَاهُ يَرُدُّ السَّلَامَ فَتَبْلُغُ نَفْسِي مِنْهُ مَنَاهَا
 فجاد عليَّ بتقبيلةٍ وقد كان أعرضَ عَنِّي وَتَاهَا
 فكنْتُ كَمُوسَى أَتَى للضِيَاءِ لِيَقْبِسَ نَاراً فَنَاجَى الإِلَها

وقال :

يا صاحِ خُذْها نصيحةً لَبِكةً بالودِّ إنْ كُنْتَ فَاتِكَ الفَتَكَةُ
 اسفِكَ دَمَ المُرْدِ إنْ وَجَدْتَهُمْ فليس يَلْقَى العَذَابَ مَنْ سَفَكَه
 واتركْ هواهم إذا هُمُ تَرَكَوا قد يتركُ الحُبُّ حُبَّ مَنْ تَرَكَه٢

١ انظر البيتَين وأبيات الحلواني بعدهما في الشريشي ٥ : ٢٥٣ .

وَقُلْ لِمَنْ خَانَ فِي مَحَبَّتِهِ لِي هِمَّةٌ عَنْ هَوَاكَ مُنْتَسِكَةٌ
 كَانَ بَفَرَطِ الْغَرَامِ يَمْلِكُنِي فَأَصْبَحَ الدَّهْرُ عَازِلًا مَلِكَةً
 وَكَانَ سِتْرٌ عَلَيْهِ مِنْ مَلَحٍ لَوْلَا نَبَاتٌ بِخَدِّهِ هَتِكَةٌ^١
 وَاللَّهِ لَا صَادِقِي لَهُ شَرَكٌ فَمَذُودَا الشَّعْرِ قَطَعَ الشَّرَكَةَ
 أَفْلَتْ مِنْ بَعْدِ نَتْفِهِ ذَنْبِي وَلَسْتُ طَيْرًا يَبْعُدُ لِلشَّرَكَةِ

وَذِكْرُهُ نَتْفَ ذَنْبِهِ مِنَ اللَّفْظِ الرَّثِّ ، وَالْمُسْتَهْجَنِ الْغَثِّ :

وكان أبو محمد المَهْدَوِيُّ المعروفُ بِابْنِ الطَّلَاءِ أَحَدَ الشُّعْرَاءِ [١٠٧] الطَّارِئِينَ عَلَى الْأَنْدَلُسِ^٢ كَثِيرًا مَا يَأْتِي بِالِاسْتِعَارَةِ الَّتِي تُضْحِكُ كَقَوْلِهِ :

لِحَيِّ جَرَايَاتِي مَسْتُوفَةٌ وَمَرَّ دَهْرٌ وَهِيَ لَمْ تُنْتَفِ

وَقَدْ أُلْعِتُ بِلُحْمٍ مِنْ هَذَا الْبَابِ ، فِي أَخْبَارِ ابْنِ شِمَاخٍ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ^٣ .

وَقَالَ الْحُلَوَانِيُّ :

قَدْ حَلَّ فِي سُوقِكَ الْكَسَادُ مُذْ لَاحَ فِي خَدِّكَ السَّوَادُ
 كَأَنَّمَا الشَّعْرُ فِيهِ زَرْعٌ وَالنَّتْفُ مِنْهُ لَهُ حَصَادُ

وَقَالَ :

صَدَّ فَمَا يُنْصَغِي لَشَاكِ إِلَيْهِ وَرَاحَ وَالْأَلْبَابُ فِي رَاحَتَيْهِ

١ ص : فَكَّهُ .

٢ سَجِيءٌ تَرَجَمَتْ فِي هَذَا الْقِسْمِ : ٣٦٠ .

٣ انْظُرِ الْقِسْمَ الْأَوَّلَ : ٨٤٢ . ٤ نَسَبُهُ لِفَيْرِهِ فِي الشَّرِيفِيِّ ١ : ٤١٤ .

مُفَوَّقُ^١ السَّهْمِ إِذَا مَا رَمَى
يَوَدُّ سَيْفُ الْهِنْدِ لَوْ أَنَّهُ
ذُو وَفْرَةٍ زَادَ بِهَا هَيِّبَةً
عِنْدِي لَهُ مِنْ خُدْعَى رُقِيَّةٍ
لَا يَدْعِي السَّقَمَ بِالْحَاطِظِ
انْظُرْ لِحَالِيهِ فَقَدْ أَقْسَمَا
انْظُرْ لِحَالِيهِ^٢ فَقَدْ أَقْسَمَا
رَيْحَانَةٌ تَمْنَعُ مِنْ شَمِّهَا
تَاهَ بَوَجْهِ كَادَ مِنْ رِقَّةٍ
رَقِيبُهُ مِنْ فَرَطٍ ظَنَّ بِهِ

رمى ولا قوس - سوى حاجبيه
تعلم الفتكة من ناظرينه
وقد يهاب الليث في لبديته
لو أنها مرتت على مسمعيته
فمُهَجَّتِي أسقم من مقتلتيه
أن ليس ينجو أحد من يديه
بسيف عينيته على وجنتيه
وغيرها تنفض في مذرعيته^٣
يقطر ماء الحُسن من صفحتيه
لشخصه ألزم من حافظيه^٤

وقال :

يَا حَامِلَ السَّكِينِ فِي وَسْطِهِ
هَلْ يَحْمِلُ السَّكِينِ مَنْ لَحْظُهُ
ليس بهذا تُعرَفُ العينُ
في مُهَجِّ الْعِشَاقِ سَكِينٌ ؟ !

وقال :

رَضَابُ تُغْرِكُ بُضْنِي وَيُشْفِينِي
وَسِحْرُ عَيْنِيكَ يُغْوِينِي وَيُغْرِينِي

١ ص : مفرق .

٢ ص : لحاليه ؛ وهذا الشطر يبدو تكراراً لما سبقه عن طريق السهو .

٣ ص : وغيره . . . مذرعيه .

٤ ص : الذم من خافضيه .

وفي تشنيك معنى لا يقوم به ما في الغُصونِ من الإرهافِ واللينِ

وهذا كقول أبي الفرجِ الوأواءِ^١ :

مِنْ أَيْنَ لِلْبَدْرِ حُسْنُ صُورَتِهِ وَقَدَّهُ لِلْقَضِيبِ مِنْ أَيْنَ ؟

وما أحسنَ قولَ بعضِ أهلِ عصرِنا :

ما قَدَرُ نَعَمَانَ إِذَا مَا مَشَى وما عسى تَبْلُغُهُ عَالِجُ ؟

وفي هذه القصيدةِ يَقولُ الحلواني :

إذا وصفتُكَ بِاللَّحْظِ الْفَتُورِ فَمَنْ	قَدَّ الْقُلُوبَ بِأَطْرَافِ السَّكَاكِينِ ؟
وإنْ نَعَتُكَ بِالْغُصْنِ الرُّطِيبِ فَمَا	فِي الْغُصْنِ مَا فِيكَ مِنْ كُلِّ الْأَفَانِينِ
جِسْمٌ مِنَ الْمَاءِ لَكِنْ قَلْبُهُ حَجَرٌ	أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لَمْ يَخْلُقْ مِنْ الطِّينِ
وما سَمِعْنَا بِغُصْنٍ مُثْمِرٍ قَمَرًا	تَجَمَّعَتْ فِيهِ أَشْنَاتُ الرِّيَاحِينِ
الوردُ والآسُ والنَّسْرِينُ مجتمعا	فِيهِ وَفِيهِ بَنِيَّاتُ الزَّرَّاجِينِ
لم يَرْضَ عَنِّي فُؤَادِي مِنْ ضَنَانَتِهِ	حَتَّى مَسَحَتْ بِهِ فِي كَفِّ ضَنْبَيْنِ
فِي حُبِّ مَنْ لُورَآتِي مِثُّ مِنْ عَطَشٍ	وَالنَّيْلُ فِي يَدِهِ مَا كَانَ يَسْقِينِي
طَمِعْتُ فِيهِ وَغَرَّتْنِي لَوَاحِظُهُ	إِنَّ الْمَطَامِعَ أَسْبَابُ الشَّيَاطِينِ
قُلْ لَا بِنَ عَشْرِ وَخُمْسِيَّاهُمَا مِنْ آيِنِ جَرَتْ	سِيَّاهُ عَيْنَيْكَ فِي قَلْبِ ابْنِ سَبْعِينَ ؟
ما حُجِّتِي عِنْدَ مَنْ فِي الْحُبِّ يَبْعُدُ لُنِّي	وَأَبِي ^٢ فِي نُبُوءَاتِ الْمُجَانِينِ

١ ديوان الوأواء : ٢٢٢ .

٢ ص : وآيات .

إِنْ كُنْتَ فِي الْحَبِّ سُلْطَانًا عَلَى كَبْدِي فَخَفْتُ عِقُوبَةَ سُلْطَانِ السَّلَاطِينِ
أَوْ كَانَ عِنْدَكَ لِلْمَسْكِينِ مَرْحَمَةٌ فَإِنَّ عَبْدَكَ مِسْكِينُ الْمَسَاكِينِ

وأراه عارضَ بهذه قصيدة ابنِ رشيقي ، فضللَ عن الطريق . هذا وقد قلتُ إنَّ له في النسيب ، أوفرَ نصيب . فأما إذا وصفَ أو مدَحَ ، فقلما رأيتُه في ذلك نجاحَ ولا أفلاح .

ما أخرجته من قصائده المطولة في المديح وما يتثبت به من الأوصاف

قال يمدحُ الشيخَ صاحبَ الخمسِ أبا عبد الله محمد بن إبراهيم^١
الكناني الشامي بصقلية من قصيدة يقولُ فيها :

شَدُّوا الحُدُوجَ وَزَرُّوْهَا عَلَى قَمَرٍ فِي الْحُسْنِ تَنْجَابٌ عَنْ أَنْوَارِهِ الظُّلُمُ
دُرَّانٍ مِينَ فَمِهِ شَفَا مُحَدَّثُهُ لِلنُّشْرِ وَالنَّظْمِ مَسْمُوعٌ وَمُلْتَقَمٌ
فَلَيْتَ شِعْرِي لِمَنْ أَنْهَي ظُلَامَتَهُ وَغَيْرُ مُتَتَصِفٍ مَنِ خَصَمَهُ الْحَكَمُ
قَدْ قُلْتُ لَوْ قَبِيلَ الْوَعْظِ الْمُبِينِ لَهُ خَفِ الْمُهَيِّمِينَ فِينَا لِأَنَّا نَسَمُ
فَقَالَ مَنْ ضَرَجْتُ خَدَّيْ نَظَرْتُهُ فَإِنَّ سَيْفَ جُفُونِي مِنْهُ يَسْتَقِمُ

ومنها :

١ أرجح أن يكون اسمه « إبراهيم بن محمد » ويسميه إبراهيم في غير موضع في قصائده ، ويشير إليه أحيانا بابن محمد .

لَقَدْ مَنَزَلَتْهُ بِالْقِيَرَوَانِ * مَحَا
شَقَقْتُ جَنْبَ شَبَابِي بَعْدَ فُرْقَتَيْهَا
إِنْ فُرَّقَ الدَّهْرُ عَنْهَا شَمَلْنَا فَلْنَا

وله فيه أخرى ١ :

لَيْتَ شِعْرِي وَلَيْتَ حَرْفُ تَمَنٍّ *
كَيْفَ يَا قِيَرَوَانُ حَالُكَ لَمَّا
كُنْتُ أُمَّ الْبِلَادِ شَرْقًا وَغَرْبًا
نَحْنُ أَبْنَاؤُهَا وَلَكِنْ غَنِينَا
دِمْنٌ كَانَتْ الْبُرُوجُ وَكُنَّا

ومنها :

وَأَنَا قَدْ أَخَذْتُ إِنْ عَبَيْتَ الدَّهْرَ

وقال من أخرى ٢ :

نَطَقْتُ بِسِرِّ ضَمِيرِهِ عِبْرَاتُهُ *
بِأَبِي وَأُمِّي بِدَرْ تَيْمٍ تَحْتَهُ
يَمْحَشِي فَيَعْثُرُ فِي ذُبُولِ شَبَابِهِ

ومنها :

أَيَّامَهَا الْبَيْنُ لَا الْآيَامُ وَالْقِدَمُ *
حُزْنًا عَلَيْهَا وَلَا شَيْبُ وَلَا هَرَمُ
بِصَاحِبِ الْخَمْسِ إِبْرَاهِيمَ مَعْتَصِمُ

رَبِّمَا عَلَّلَ الْفُؤَادَ السَّقِيمَا
نَثَرَ الْبَيْنُ سِلْكَكَ الْمَنْظُومَا
فَمَحَا الدَّهْرُ وَشَيْبَكَ الْمَرْقُومَا
بَعْدَ أَنْ لَمْ نُنْطِقْ بِهَا أَنْ نَقِيمَا
أَقْمَرًا فِي قِيَابِهَا وَنَجُومَا

رُ ذِمَامًا مِنْ عِنْدَ إِبْرَاهِيمَا

وَبَدَّتْ بَنَارِ فُؤَادِهِ زَقَرَاتُهُ *
غُصْنٌ كَثُرْنَ لَشِقْوَتِي ثَمَرَاتُهُ
مَشَى النَّزِيفِ وَخَمَرَةُ رَشَفَاتُهُ

٢ الشريفي ١ : ١٢٨ .

١ الشريفي ٣ : ٤٤٢ .

ولربَّ باكيةٍ رأتُ في لِحمتي بعضَ المَشيبِ تألّفتُ ضَحِكَاته
[قالتُ]: أَغْصَنُكَ قد علّاهُ كما أرى زَهْرُ الرِّياضِ وما بدتُ ورقاتُهُ
فأجبتُها : قارعتُ في جَنبِ الهوى صَرَفَ الزَّمانِ وهذه نَكباتُهُ

ومن المديح :

شَيْخُ القَبيلةِ في الجزيرةِ والذي سَبَقَتْ ظُنونَ الحاسدينَ أُناتُهُ
ما تَفْعَلُ الأيَّامُ غيرَ مُرادِهِ فكانتُما حركاتُها أدواتُهُ
هذا الثناء عليكَ يَعبقُ طيبُهُ يا ابنَ الكرامِ وحاسدوكَ رواتُهُ

قوله في الشَّيبِ « صَرَفَ الزَّمانِ وهذه نَكباتُهُ » كقول ابنِ المعتز^٢ :
قالتُ كَبِرتَ وشِبتَ قلتُ لها هذا غُبَارُ وقائعِ الدَّهْرِ

وقال أحمدُ بنُ أبي طاهرٍ^٣ :

قالتُ غُبَارُ قد عسلا لكَ فقلتُ بل غيرُ الغُبَارِ
هذا الذي نَقَلَ المُلوكَ إلى القُبورِ مِن الدِّيَارِ

وقال ابنُ لَنَنكَك^٤ ، في مثلِ هذا المِسلَكِ :

١ ص : بعد ؛ الشريشي : وخز .

٢ ديوان ابن المعتز ٤ : ٢١٠ .

٣ زهر الآداب : ٨٩٣ والمختار : ٣٣٦ والذخيرة ١ : ٩١٠ .

٤ هو محمد بن محمد بن جعفر البصري أبو الحسن ، أكثره شعره في شكوى الزمان وهجاء شعراء عصره كالمتنبي وغيره (اليتيمة ٢ : ٣٤٨ ومعجم الأدباء ١٩ : ٦) . وبيته هذا في الشريشي ١ : ١٢٩ منسوب لابن الجدي .

وَتَعَجَّيْتُ لِلشَّيْبِ ، لَا تَتَعَجَّبَنِي هَذَا غُبَارُ وَقَائِعِ الْإِتَامِ

وقوله « حاسدوك رؤائه » كقول البُحْثَرِي ١ :

لَيْسَابِرَتْكَ ٢ رَكْبُ شِعْرِ سَائِرٍ يَرَوِيهِ فَيْكَ لِحُسْنِهِ الْأَعْدَاءُ

وأخذه من قول حبيب ٣ :

فَإِن أَنَا لَمْ يَحْمَدْكَ عَنِّي صَاغِرًا عَدُوَّكَ فَاعْلَمْ أَنِّي غَيْرُ حَامِدٍ

وقال الخلواني من أخرى :

وإذا أردتَ ترى فضيلةَ صاحبٍ فانظرْ بعَيْنِ الْبَحْثِ مِنْ نُدَمَائِهِ
فالمرءُ مطويٌّ على عِيَلَاتِهِ طَيَّ الْكِتَابِ وَصَحْبُهُ عَنْوَانُهُ
وكذا دليلُ الجودِ فِي ابْنِ مُحَمَّدٍ بَادٍ بِصَفْحِ جَبِينِهِ بُرْهَانُهُ
وترى اللياليَ فاعلاتِ أَمْرِهِ حَتَّى كَانَ صُرُوفُهَا أَعْوَانُهُ

ومعنى البيتِ الأوَّلِ من هذه كقولِ الآخر :

• واعتبرِ الصَّاحِبَ بِالصَّاحِبِ •

وقول الآخر ٤ :

١ ديوان البُحْثَرِي : ٢٢ .

٢ الديوان : ليواصلتك .

٣ ديوان أبي تمام ٢ : ٧٧ .

٤ من قصيدة تنسب لمدي بن زيد العبادي ، انظر ديوانه : ١٠٦ (وتخرجه ص : ٢٢٣)

عن المرء لا تسأل^١ وسل^٢ عن قريبه فكل^٣ قارين بالمقارن مقتد

ومعنى البيت الأخير لفظ أبي الطيب^٤ :

وأراك دهرك ما تحاول^٥ في العدا [حتى] كأن^٦ صروفه أنصار^٧

وقال :

هل بعد^٨ [سن^٩] الأربعين تصابي
هل يستغنك^{١٠} بعد شيبك في الهوى
ذهب الشباب ولات حين شباب
توفر^{١١} مكتسب وحسن ثياب ؟
بهيات ما فخر المهند في الوغى
بحلي غمد فوقه وقراب

وهذا كقول المعري^{١٢} :

وإن^{١٣} كان في لبس الفتى شرف له
فما السيف إلا غمد^{١٤}ه والحمائل^{١٥}

وقال^{١٦} :

أنت الذي قسم^{١٧} الزمان لنفسه
أعطى لمرتبة^{١٨} العلاء نهاره
قامت^{١٩} على أس^{٢٠} الفيخار عيادها
سهلت^{٢١} مداخيلها لطالب حاجة
قسمن^{٢٢} بين رياسة^{٢٣} ومتاب
منها وجنح الليل للمحراب
وتزيت^{٢٤} بتأدب^{٢٥} الحجاب
فكانت^{٢٦} بئيت^{٢٧} بلا أبواب

١ ديوان المتنبي : ٢٦٨ .

٢ ص : ينفك .

٣ شروح السقط : ٥٢٦ .

٤ منها بيتان في الشريشي ٣ : ٣٥٦ .

ووجدتُ بخطه ، وقد ^١ مدَحَ هذا الشيخَ الكِنَانِيَّ رجلٌ من الأندلس
بشعرِ اتهمه ^٢ فيه وجرى في مجلسه بصقلية :

يا شاعِرَ العَصْرِ قد كلّفتني شَطَطًا	فاصْرِفْ عَيْنَاكَ عَنَّا ، أوتَانٌ خطا
حملتني ذَنْبَ غَيْرِي ظَالِمًا وأنا	قد كنتُ أَقْسِطُ في إِنْصَافٍ مَن قَسَطَا
وما حَسَدْتُكَ في شِعْرِ أُتَيْتَ بِهِ	وَمَن يُحَاوِلُ لِمَسًّا لِّلسَّهَى سَقَطَا
يا فَارِسَ الشَّعْرِ إِن كَلَّتْ فَوَارِسُهُ	يَوْمًا وَسَابِقُهَا ^٣ إِن أَعْلَمْتَ مَرَطَا
إِن أَبْنَى دَرَجَتَكَ لَوْ قَامَ مِن جَدَّتْ	وَصِيحْتُ يَوْمًا بِهِ مِنْ خَلْفِهِ ضَرَطَا
وليس بِحَسْدٍ طَبَعِي أَبْجَنِيَسْكُمْ ^٤	فَكَيْفَ أَنْتَ ، لَقَدْ جَشَعْتَنِي شَطَطَا
فَخُذْهُ قَفَا نَبِكَ ، وَانْسُبْهَا لِنَفْسِكَ مَا	فِي الْخَلْقِ مِنْ كَاشِفٍ بِالْبَحْثِ عَنْكَ غَطَا
وَلَا تَظُنَّنَّ أَنَّ الشَّعْرَ مَكْرُمَةٌ	فَالْحُرُّ إِن رَامَ أَنْ يَعْلُو بِهِ هَبَطَا

قلتُ أنا - صاحبَ الكِتَابِ : - نَشَدْتُكَ بِاللَّهِ يَا أَبَا الْحَسَنِ إِلَّا مَا
رَفَقْتَ بِأَسِيرِيكَ ! فَانْتَهَمَا شَيْخَا الْعَشِيرَةِ ، وَلِسَانَا الْجَزِيرَةِ ، فَإِنْ كَانَ
وَلَا بَدْءًا فَالرَّمَادِيُّ ، فَإِنَّهُ كَانَ أَقْلَ طَبِيشًا ، وَأَوْدَعَ عَيْشًا . وَأَمَّا ابْنُ
دَرَّاجٍ فَمَنْخُوبُ الْقَلْبِ ، مُشْرَكَ اللَّبِّ ، بِكَفَيْكَ مِنْهُ هَوَلُ الْإِتْهَامِ
وَالْإِنْجَادِ ، وَبَسِيعُ الشَّعْرِ فِي سَوْقِ الْكِسَادِ :

وقال من أخرى * : [١٠٩]

١ ص : حل

٢ يعني اتهم ابن فضال .

٣ ص : ومنابعها .

٤ أب جنيس : أبو جنيس وهي كنية الرمادي بمجمية الاندلس (جنيش = الرماد) .

• منها بيتان في المسالك .

طَرَقْتَهُمْ بَيِّضَ الْهَيْندِ لَيْلًا فَعَادَ اللَّيْلُ عِنْدَهُمْ نَهَارًا
أُطْرَتَ فَوَادَهَا فِي الْجَوِّ ذُعْرًا لِبَرْقٍ فِي يَدَيْكَ قَدْ اسْتَطَارَا
بَنَيْتَ الْأَرْضَ فَوْقَهُمْ سَمَاءً وَقَدْ أَجْرَيْتَ مِنْ عِلْقٍ بِحَارَا
فَلَيْسَ تَرَكَ الْخَاطُ الدَّرَارِي وَأَنْتَ حَشَوْتَ أَعْيُنَهَا غَبَارَا

ومعنى هذا البيت والذي قبله كقول التهامي^١ :

فَدَحَوْا فَوْقَ الْأَرْضِ أَرْضًا مِنْ دَمٍ ثُمَّ ابْتَنَوْا [دُونَ] السَّمَاءِ سَمَاءًا

وقال من أخرى في الوزير أبي بكر بن عبد العزيز^٢ ببليسية :

أَغَالِبُ فِيكَ الشُّكَّ أَنِّي حَالِمٌ وَمَنْ لَمْ يَذُقْ طَعْمَ الْكُرَى كَيْفَ يَحْلُمُ

ومن المدح :

وَقَعْتُ بَهَا بَيْنَ السَّعَاطِينِ مُنْشَدًا كَمَا يَتَغَنَّى الشَّارِبُ الْمُرْتَنَمُ
بِمَدْحِ أَمْرِي كُلِّ أَمْرٍ مِنْ عَفَاتِهِ يُخَيِّرُ فِيمَا عِنْدَهُ وَيُحْكَمُ
كَأَنَّ الَّذِي سَوَّاهُ قَالَ لِكَفِّهِ عَلَيْكَ لِهَذَا الْخَلْقِ رِزْقٌ مُقْسَمُ
لَقَدْ عَلِمَ الْمَأْمُونُ^٣ أَنَّكَ صَارِمٌ بِيُحْنَاهُ لَا يَنْبُو وَلَا يَتَلَمُّ
يَقُولُونَ لِي إِنَّ الْمُلُوكَ كَثِيرَةٌ وَرَأْيُكَ أَمْضَى فِي الْبِلَادِ وَأَحْزَمُ
فَقُلْتُ لَهُمْ مَا كُلُّ بَيْضَاءَ شَحْمَةٍ وَلَا كُلُّ مَصْقُولٍ صَفِيحَةٍ مَخْدَمُ

١ لم يرد البيت في ديوانه ، والقافية في (ص) : غبارا .

٢ مرت ترجمته في القسم الثالث : ٤٠ .

٣ ص : المأموم .

٤ ص : فقل .

وله من أخرى يستعطفه لأمرٍ وقع ، ولكلامٍ عليه رفيع :

أَتَسْمَعُ فِي مَقَالِ الوُشَاةِ وَإِنْ جِئْتُ بِالْعُذْرِ لَا تَسْمَعُ ؟
تَقْشَعُ غَيْمٌ بِكَفِّيَّ مِنْكَ وَصَوِّحَ فِي سَاحَتِي مُنْمَرَعُ
فَلَوْلَا اعْتِلَاقِي بِحَبْلِ الرَّجَاءِ لِمَا حَمَلَتْ قَلْبِي الْأَضْلَعُ
فَإِنْ كَانَ قَدَمَاتِ حَظَّتِي لَدَيْكَ وَحَاشَاكَ بَلْ أَنْتَ لِي أَرْفَعُ
فَدَعْنِي أَيْتَضِرُّ بِشَيْبِي عَلَيْكَ فَلْيُبْسِ الْمَشِيبَ لَهُ أَفْجَعُ

وقد كرّر الحلواني هذا المعنى في شعرٍ قد تقدّم إنشاده .

وقال من أخرى ^١ :

نَجْمٌ تَوَلَدَ مِنْ شَمْسٍ وَمِنْ قَمَرٍ وَأَيْنَ مِنْ أَبْوَيْنِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ ؟
شَمْسُ الْعَافِ وَبَدْرُ الْمَجْدِ بَيْنَهُمَا تَوَلَدَ النُّورُ إِلَّا أَنَّهُ بَشَرُ

وهذا كقول ابنِ عَمَّارٍ يُهْنِيهِ الْمُعْتَمِدُ وَقَدْ وُلِدَ لَهُ مَوْلُودَانِ :

أَهْنَا بَنَجَلَيْكَ مِنْ أَنثَى وَمِنْ ذَكَرٍ لَا تَعْدَمُ الضَّوْءَ بَيْنَ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ

وهو من قولِ ابنِ الرُّومِيِّ ^٢ :

شَمْسٌ وَبَدْرٌ وَلَدَا كَتُوكِبَا أَقْسَمْتُ بِاللَّهِ لَقَدْ أُنْجَبَا

وقد تقدّم إنشاده .

١ الشريشي ٤ : ٣١٤ .

٢ ديوان ابن الرومي : ٢٣٢ وزهر الآداب : ٢٩٤ وهذه القصيدة في مدح أبي العباس أحمد

بن محمد بن عبد الله بن بشر المرثدي .

ومن قصيدة الحلواني :

لا أقتضيك مَواعيداً بدأت بها كما تنفّس من أكمامها الزَّهرُ
ولا ألوِّمُكَ في تأخيرِ عاجليها من بعدِ عِلْمي بما يجري به القدر
أما ترى الله وهو الله مَوْعِدُهُ مُؤخَّرٌ بنعيمِ الخُلْدِ مُنتظرُ ؟

وقال :

وما كنتُ أدري قبل لؤلؤ ثغره بأنَّ اللَّآلِي من نَبَاتِ المباسمِ

ومنها :

مَنَادِيَةٌ أنسابُهُ حِمِيرِيَّةٌ مُتَوَجِّةٌ بالمجدِ قبل العمامِ
فما انبَسَطَتْ إِلَّا لِحُودٍ أَكْفَهُمْ ولا انقبَضَتْ إِلَّا لَضَبِطِ القوائمِ
يَمْرُونَ أطرافَ الرِّمَاحِ إلى الوغى كما جَرَّتْ العِقبانُ سُودَ الأرقامِ

ومعنى البيت منها كقول الآخر :

وما خُلِقَتْ كَفَّاكَ إِلَّا لِأَرْبَعٍ عَقَائِلَ لم تُخْلَقْ لهنَّ يَدانِ
لِتَقْلِبَ^١ هِنْدِيَّ وإِعْطَاءِ نَائِلٍ وَتَقْبِيلِ أَفْوَهِ وَقَبْضِ عَنَانِ

وقال الحلواني^٢ :

يا نفسُ وبِحَاكِ في التَّغْرُبِ ذِلَّةٌ فَتَجَرَّعِي كَأْسِي أذَى وهوانِ
وَإِذَا نَزَلْتَ بِدَارِ قَوْمٍ دَارِهِمْ فَلَهُمْ عَلَيْكَ تَعَزُّزُ الأوطانِ

٢ الشريشي ٢ : ٢٥٨ .

١ ص : لتقبيل .

فالشمسُ أشرفُ ما تكونُ بكبشِها وسقوطُها في كِفَّةِ الميزانِ

وصدرُ هذا البيتِ الأخيرِ كقولِ الآخرِ :

إذا غدا ملكٌ باللهوِ مُشتَغِلاً فاحكُمُ على مُلكهِ بالوَيْلِ والحَرْبِ
أما ترى الشمسَ في الميزانِ هابطةً لما غدا وهو بُرجُ اللهوِ والطربِ؟

وزارَ بعضَ إخوانِهِ فحجَبَهُ فخطَبَهُ برُقعةٍ يقولُ في فصلٍ منها :

تصدَّيْتُ لِقَاءَ سَيِّدِي تصدِّيَ المحبِّ الكئيبِ ، لِقَاءَ رسولِ الحبيبِ ،
وطُفْتُ ببابِهِ الكريمِ ، طوافَ الحجيجِ بالبيتِ العظيمِ ، فحالُ عُشُورِ
الجدِّ ، عن مُطالعةِ القَمَرِ السَّعدِ ، ومنعَ سوءِ البَحْتِ ، عن لِقَاءِ الكرمِ
البَحْتِ ، فحدَّسْتُ أنَّ سَيِّدِي - وقتَه - ظفِرتُ يداهُ بمن يهواه ، فغابَ مغيبَ
القمرِ ، تحتَ غَمَامِ الظنفرِ ، وتعاطيا بكأسِ الوصالِ ، مُدامي السرورِ
والجُريالِ ، وضيقَ بضيقِ العِناقِ ، مجرى الوِشاحِ والأطواقِ : هتَّاهُ الله
ببلوغِ أمانِهِ ، وهتَّانا فيه بما يُرضِيهِ . فحياتُنا بسروره مُرتبطة ، ونفوسنا
بما يشتهيهِ مُغتَبطة .

١ هو أبو الفتح البستي ، والبيتان في البيتمة ٤ : ٣١٥ وزهر الآداب : ٣٩٧ .

٢ البيتمة والزهر : برج نجم اللهو .

فصل في ذكر الأديب أبي العرب الصقلي^١

وكان لساناً بهذا الأفق عن العرب أعرب ، وكوكباً من المشرق غرب ، ولم يقع لي عند إكمال هذا الديوان ، وإخراجه من الخبر [١١٠] إلى العيان ، من شعره ، إلا ما لا يكاد يُعرب عن قدره . ومن أشهر خبر بلغني عنه أنه حضر يوماً مجلس المعتمد وقد أدخل إليه جملة وافرة من دنائير الفضة ، فأمر له بخريطين منها ، وبين يديه تصاوير عنبر من جملتها صورة جمل مرصع بنفيس الجوهر ، فقال له أبو العرب على البديهة معرضاً : ما يحمل هذه الدنانير - أيدك الله - إلا جمل ، فتبسم المعتمد وأمر له به ، فقال أبو العرب على البديهة :

١ مصعب بن محمد بن أبي الفرات بن زرارة القرشي العبدي ، أبو العرب : ولد بصقلية سنة ٤٢٣ وخرج عنها لما تغلب الروم عليها سنة ٤٦٤ قاصداً المعتمد ، فدخل إشبيلية في شهر ربيع الأول من السنة التالية (٤٦٥) وكان إلى شهرته بالشعر عالماً بالأدب ، روى عنه بعض الأندلسيين كتاب أدب الكتاب لابن قتيبة ، وبعد أن سجن المعتمد لحق بناصر الدولة صاحب ميورقة وبقي فيها إلى أن توفي . ويذكر ابن الأبار أنه توفي سنة ٥٠٦ إلا أن ابن الصيرفي يقول : وبلغني في سنة سبع وخمسمائة أنه حي بالأندلس ؛ وقبره وقبر ابن اللبانة بميورقة كانا متجاورين ، وكان هو رجلاً طويلاً بينما كان ابن اللبانة دحداً (التكملة : ٤١١) (انظر ترجمته في التكملة : ٧٠٣ والخريدة ٢ : ٢١٩ والسلفي : ٦٨ ، ١٣٨ والمسالك : ٥٦ وابن خلكان ٣ : ٣٣٤ وعيون التواريخ ١٢ : ١٦ (نقلاً عن الذخيرة) ورايات المبرزين : ١١١ والمغرب (قسم صقلية) وله ذكر في النفع وبدائع البداهة والمنازل والديار : ١٢٨/أ ، وعنوان الأريب ١ : ١٢٣ وقد أشرت إلى بعض مصادر ترجمته في القسم الأول : ٩٠ .

٢ وردت هذه القصة والأبيات في المسالك والرايات وبدائع البداهة : ٣٧٣ والنفع ٣ : ٥٦٩ : ٢٦٠ ، ٢٦١ وعيون التواريخ .

أَجْدَ يَنْتَنِي أَجْمَلًا جَوْنًا^١ شَفَعَتْ بِهِ حَمَلًا مِنْ الْفَضَّةِ الْبَيْضَاءِ لَوْ حَمَلًا
 سَمَاحٌ^٢ جُودِكَ فِي أَعْطَانِ مَكْرَمَةٍ لَا قِيدَ يَعْرِفُ^٣ مِنْ مَنَعَ وَلَا عَقْلًا
 فَأَعْجَبَ لَشَانِي فَشَانِي كُلَّهُ عَجَبٌ رَفَهْتَنِي فَحَمَلْتُ الْحَمْلَ وَالْجَمْلًا
 فطارت يومئذ بهذا الخبر الركائب ، وتهادته المشارق والمغارب ،
 وذكرته شعراء الوقت ، ورأيت في ذلك عدة قصائد لغير واحد ، ولم
 أحفظ منها إلا قول بعضهم ممن وفد أيضاً على المعتمد ، من جملة قصيدة
 استُبرِدَتْ بِحَمَلَتِهَا ، قال فيها :

يَا مَنْ بِجُودِ يَدَيْهِ يُضْرَبُ الْمَثَلُ وَمَنْ مَوَاهِبِ الْأَمْصَارِ وَالْدَوْلُ
 بِحَدِّ جُودِكَ فِي جَنْبِ اللَّهِ أَبَدًا يَا خَاتَمَ الْجُودِ جُرْحُ لَيْسَ يَنْدَمُ
 عِنْدَ ابْنِ حِمَادٍ فِي ذَالِ الْمَكَانِ عَلَى بَعْدِ الْمَسَافَةِ وَالْأَخْبَارِ تَسْتَقِلُّ
 جَرَى حَدِيثُ الصَّقْلِيِّ الْمَثَابِ عَلَى شَعْرِ فِصَارٍ إِلَيْهِ الْحَمْلُ وَالْجَمْلُ

ومن شعر أبي العرب في المعتمد قصيدة أولها :

لَوْلَا السَّرَى فِي ذِمَامِ الصَّارِمِ الذِّكْرِ لَمْ أَطْرُقِ الْحَيَّ فِي أَمْرِ عَلَى خَطَرِ
 مَا الْبَارِدُ الْعَذْبُ مَوْرُودًا عَلَى ظِلِّ أَشْهَى إِلَى الصَّبِّ مِنْ وَصْلِ عَلَى حَذَرِ
 قَالَتْ تَجَشَّمَتْ فِي سُبُلِ الْهَوَى غَرَرًا قَلْتُ الْمَتَيْتُمْ مُقْدَامًا عَلَى الْغَرَرِ

١ النفع : أعطيتني ، أهديتني ؛ عيون : أهديتني .

٢ ص : أحورا .

٣ النفع والعيون : نتاج ؛ البدائع : يناع .

٤ النفع : تصرف .

٥ ص : غرر .

لا كالحَيَّوبِ حَمَاهُ الْخُوفُ بَغِيَّتُهُ
 تَوْقٌ رَقَبَةٌ أَعْدَاءُ عِيُونُهُمْ
 قُلْتُ الْيَمَانِي حَلِيفِي مَا يُفَارِقُنِي
 رَضِيَّتُهُ دُونَ إِخْوَانِ الصَّفَاءِ أَخَا
 لَاحِ السَّنَا فَاذْبَرْتُ مِنْ سَاعِدِي فَرَقًا
 صَدَّ كَوَحْشِيَّةٍ هُمْ الْأَنْبَسُ بِهَا
 تَكْفٌ بِالْفَرْعِ مِنْ لَأَلَاءِ غُرَّتَيْهَا
 حُتُّوا الْمَطِيُّ [...] إِنْ لَهَا
 حَتَّى تُنْشِخَ بَرَبَ الْمَجْدِ مِنْ يَحْمَنِ

ومنها في ذكر جواز المعتمد البحر :

ما كَانَ عِنْدَكَ هَوْلُ الْبَحْرِ تَرْكِبُهُ
 جُودًا بِنَفْسِكَ إِلَّا جَرِيَّةَ النَّهْرِ
 وَلَهُ مِنْ أُخْرَى ١ :

أَحَادِيثَنَا هَذَا الرَّبِيعُ فَخِيمٍ وَأَمْنِيَّةُ الْمُرْتَادِ وَالْمُتَوَسِّمِ ٢
 وَحُطٌّ بَنَا عَنْ نَاجِيَّاتٍ كَانَتْهَا قَسِيَّ رَمَتْ بَنَا الْبِلَادَ بِأَسْهَمِ

وقد قدمت من هذا المعنى جملة في ما مرَّ من الكتاب ٣، ومنه قول الطنبي ٤

١ يقول ابن الصيرفي إن هذه القصيدة أول قصيدة أنشدها أبو العرب للمعتمد ؛ ومنها في

الخريدة خمسة أبيات وستة في عيون التواريخ : ١٩ ..

٢ الخريدة : والمتيسم .

٣ الذخيرة ١ : ٨٩ - ٩٠ . ٤ ص : الطنبي .

شاعر الحكم ، مما أنشده ابن عبد الرؤوف ^١ :

قد نصبتنا من الوجيف وأنضيت لنا قيصاً سياطهن^٢ الكلام
فكان^٣ الركاب والركب للضم ر قسي من فوقهن^٢ سهام^٣

وفي هذه القصيدة يقول :

وقد يبلغ التأوب أقصاه^١ والسرى
وما طلبت^٢ إلا^٣ فناء محمد
جعلت^٤ إليه همتي وعزيمتي
فقال لي^٥ الفال الصدوق^٦ مبشراً
وأقبلت^٧ باب الإذن^٨ فاستأذن^٩ الندى
فرفع^{١٠} عن^{١١} ذاك البهائم^{١٢} حجاب^{١٣}
فقبلت^{١٤} يميني راحتي^{١٥} كأنني
نظرت^{١٦} إليه والمهابة^{١٧} دونه
بلى ورأيت^{١٨} الشمس^{١٩} والبدر^{٢٠} والعلا
فأغضيت^{٢١} عنه العين^{٢٢} أول^{٢٣} نظرة^{٢٤}
كان^{٢٥} عياني كان^{٢٦} غير حقيقة^{٢٧}
فلا تشتكي عبثاً ولا تنظمتي^{٢٨}
وهل دونه للركب من متلوم^{٢٩}
فناولناه^{٣٠} بعد^{٣١} حوّل^{٣٢} مجرم^{٣٣}
قدمت^{٣٤} على التوفيق^{٣٥} أيمن^{٣٦} مقدم^{٣٧}
على ملك^{٣٨} واني الجلال^{٣٩} معظم^{٤٠}
وقيل^{٤١} استلم^{٤٢} أندي^{٤٣} بنان^{٤٤} وسلم^{٤٥}
أقبل^{٤٦} ركن^{٤٧} البيت^{٤٨} سيرة^{٤٩} محرم^{٥٠}
فقسمت^{٥١} لحظي^{٥٢} بين^{٥٣} بدر^{٥٤} وضيغم^{٥٥}
مجسمة^{٥٦} في^{٥٧} جوهر^{٥٨} متجسم^{٥٩}
ومن ير^{٦٠} عين^{٦١} الشمس^{٦٢} لا يتوسم^{٦٣}
فلم^{٦٤} ألقه^{٦٥} إلا^{٦٦} بعين^{٦٧} التوهم^{٦٨}

١ هو محمد بن عبد الرؤوف بن محمد بن عبد الحميد الأزدي - مولا هم - أبو عبد الله ، كان عالماً باللغة والأخبار والتواريخ وألف كتاباً في شعراء الأندلس وتوفي سنة ٣٤٣ .

٢ ص : يشتكي عبثاً . . . يتظلم .

٣ ص : ترفع .

وفي المعتمد أيضاً يقول من أخرى^١ :

وقد أزار . ولزوار حكمهم	عندي من البرّ والإيناس والأدب
وأفضلُ البرّ برّ يقتضي طرباً	وأعوزتني أمُّ اللهو والطرب
والدّجنُ يبعثُ همّي من مكانه	والشمسُ ما أخلفتها الريح لم تغب
والسحبُ للأرضِ بالسقيا مواصلةً	حتى ارتوت فاستكفّت أبيض السحب
سحّ وهطلّ وجودٌ صوبُ درهما	فسحّ أنت بها واهطلّ وجدٌ وصَب
إني أعاطيك في الشكوى مفاكهةً	كما تعاطتْ أكفُ الشربِ بالخبِ
والنفسُ . ما انفردت بالجدّ . متعبة	حتى تراوحَ بين الجدّ واللعبِ
بَرَمْتُ باثنين ضاقَ الصدرُ بينهما	فقدُ المدامةِ واستيحاشُ مغربِ
وكلُّ ربعٍ وإن حلَّ الجميعُ به	قفّرُ إذا لم تكنُ فيه ابنةُ العنبِ
وقد حللتُ كناساً لا أروعُ به	حورَ الظباء وإن أعرضن من كُثبِ
كاليثٍ عاد كسيراً لا افتراس به	يطوي على زفراتٍ نفسَ مكتئبِ

وقال في الزهد^٢ :

أرى الدنيا الدنيّة لا توائي	فعالج في التصرّف والطلابِ
ولا يتغرركَ منها حُسنُ بُردِ	له عِلْمَانِ ^٣ من ذهبِ انْذهابِ
فأولّه رجاءً من سرابِ	وأخّره رداءً من ترابِ

١ منها سبعة أبيات في عيون التواريخ : ١٨ .

٢ منها بيتان في طراز المجالس : ١٢٨ والثريشي ٣ : ٩٨ وهي في العيون : ١٩ .

٣ ص : بردان ، والتصويب عن الثريشي .

ولما نفذت الأقدار ، بالقبض على ذي الوزارتين أبي بكر بن عمار ،
بشقورة ، على الصورة المذكورة ، حسب ما شرحته في أخباره ^١ ، قال أبو
العرب للمعتمد من جملة قصيد ^٢ :

كأن بلادَ الله كفكَ إن يسير ^٣ بها هارب ^٤ تجمع عليه الأناملا
فأين ^٥ يفرُّ المرءُ عنكَ بحجره إذا كان يطوي في يديك المراحل

وهذا المعنى قد تداولته جماعة من الجاهليين والمخضرمين ، والمحدثين
والمولدين ، وأرى أن أولَ مَنْ أثاره ، ورفع مناره ، النابغة حيث يقول ^٦ :

فانتك كالليل الذي هو مدركي وإن خلتُ أنَ المنتأى عنكَ واسع
خطاطيفُ حججٍ في حبالٍ متينة تمدُّ بها أيدٍ إليك نوازع

وأخذه أشجع السلمي فقال لإدريس بن عبد الله العلوي ، وقد بعث
إليه الرشيد من اغتاله بالمغرب ^٧ :

أتظنُّ يا إدريسُ أنكَ مُفْلِتٌ كيدَ الخلافةِ أو يقيكَ حذارُ
إنَّ السيوفَ إذا انتضاها عزمُهُ طالتُ وتقصرُ دونها الأعمارُ

١ انظر القسم الثاني : ٤١٥ وما بعدها .

٢ البيتان في الخريدة ٢ : ٢٢١ والريحان والريمان ١ : ١٥٦ ب والشريشي ٣ : ١٧١ والعيون : ١٦ .

٣ الخريدة : كأن فجأ الأرض يملك .

٤ الخريدة : خائف .

٥ الخريدة : فأن .

٦ ديوان النابغة : ٥٢ وزهر الآداب : ١٠٣١ والمؤلف يتابعه ، والشريشي ٣ : ١٧ والعيون : ١٦ .

٧ زهر الآداب ، نفسه والشريشي ٣ : ١٧١ والعيون : ١٦ .

هيهاتَ إلاَّ أن تكونَ ببلدةٍ لا يهتدي فيها إليك نهار
وقال البحرى^١ :

سُلبوا وأُشربتِ الدماءُ عليهمُ حمرةٌ فكأنهم لم يسلبوا
ولو أنهم ركبوا الكواكبَ لم يكن ليَجيرهم من حدٍّ^٢ بأسك مهرب
وقال عبيد الله بن طاهر^٣ :

ولاني وإن حدثتُ نفسي بأنني أفوتك إن الرأي مني لعازبُ
لأنك لي مثلُ المكانِ المحيطِ بي من الأرضِ أنى استنهضتني المذاهبُ
وقال سعيد بن حميد^٤ :

يا باخلين علينا في حكومتهم والخورُ أقبحُ ما يؤتى ويرتكبُ
لسنا إلى غيركم منكم نفرٌ إذا جُرتم ولكن إليكم منكم الهرب
وقال المتنبي^٥ :

فإنك كالدنيا إليَّ حبيبةٌ فما منك لي إلاَّ إليك ذهابُ
والذي هو أشبه وأقرب ، بقول أبي العرب ، ومنه أراه نقل ، وعليه

١ زهر الآداب : ١٠٣٢ والعيون : ١٧ وديوان البحرى : ٧٦ .

٢ الديوان : لمجدهم من أخذ .

٣ زهر الآداب : ١٠٣٢ والعمدة : ٢ : ١٧٩ والعيون : ١٧ .

٤ عيون التواريخ : ١٧ .

٥ العمدة : ٢ : ١٧٩ وديوان المتنبي : ٤٨٢ والعيون : ١٧ .

عَوَّل ، قول الأول ١ :

كَأَنَّ بِلَادَ اللَّهِ وَهِيَ عَرِيضَةٌ عَلَى الْخَائِفِ الْمَطْلُوبِ كَفَةُ حَابِلٍ
تُؤَدِّي إِلَيْهِ أَنَّ كُلَّ ثَنِيَّةٍ تَيْمَمُهَا تَرْمِي إِلَيْهِ بِقَاتِلٍ

واستقصاء المناسبة والملاحظة في كل معنى حبلٌ ممدود ، يحلُّ لنا الشرط
المعقود ، من إيثار الاختصار ، وقد مرَّ منه في تضاعيف هذا التأليف جملة وافرة .

في ذكر الأديب الكاتب أبي عبد الله

محمد بن الصباغ الصقلي ٢

أحد أدباء وقته المشاهير ، وكلامه يُعرب له عن أدبٍ كثير ، وحفظٍ غزير ،

فصل له من رقعة خاطب بها الأديب أبا حفص القعيني الأندلسي يعزّيه
في هرة نفقت له ، وجلس للعزاء عنها تاجناً ، قال فيه :

[الحياة] لبني الدنيا مراحل ، والمنايا لجميعهم مناهل ، والأعمارُ كالأسفار ،
منها القريبُ الوصول ، العاجلُ الحلول ، ومنها البعيد الشقة ، الشديد المشقة ،

١ وردا في الأغاني ١٣ : ١٦٣ منسوبين لعبد الله بن حجاج وهما في الكامل ٣ : ١٣١ والحيوان

٥ : ٢٤٠ - ٢٤١ وحماسة البحري : ٢٦٠ ومجموعة المعاني : ١٣٨ وينبأ أحيانا

للقاتل الكلابي (انظر ديوانه : ٩٩) وعيون التواريخ : ١٧ .

٢ لعله هو محمد بن أحمد بن عبد الله الصباغ الصقلي الذي وردت ترجمته في المحدثون : ٦٨

نقلا عن الدرة الخطيرة لابن القطاع .

أنفاسٌ معدودة ، وآجالٌ معدودة ، وليس بناجٍ من محتومها أحد ، ولا لمخلوقٍ منها مُلْتَحَدٌ ، وانتهى إليَّ - سهل ^١ الله الصبر الجميل سبيلك ، وأطفاً يبرد السَّلوانِ غليلك - نأٌ جَلَلٌ ، وخطبٌ مُعْضِلٌ ، وهو مصابك بشقيقة نفسك ، وموضع راحتك وأنسك ، وربيبه حَجْرُكَ وحجرتك ، وآلة حَيْطَتِكَ ^٢ على حنطتك ، وكائلة ذخائرك وقُنْيَتِكَ ، واستحواذ فجيعتها على لبك ، وما عاجلتها به من ذرورٍ وحنوط ، وإشفاقك من تعجيل إسلامها إلى التراب ، وإبقائك إياها طويلاً في المحراب ، وأليتك عليها لتدعون ^٣ إلى [١١٢] جنازتها مأتماً يَشْقُقْنَ عليها جيوبَ المدارع ، ويُفَضِّنَ من الوجدِ بها غروبَ المدامع ، ويُعُولِنَ عليها بالصراخ والنياح ، ويُذَرِنَ لمصرعها شعورهنَّ مع الرياح .

وفي فصل : ولستُ بناسٍ ذكر تلكَ المَلَحَ التي كتبتَ تصف من أخلاقها وآدابها ، والمدحَ التي ^٣ تورد في أعراقها وأنسابها ، والغرائب التي تذكرُ عن قوتها وأيديها ، وحيلها وكيدها ، ومكرها بالفارِ وصيدها ، ولعمري ما أفرطتَ في نعتها بل فرطتَ ، وما صرَّحتَ بجميع محاسنها بل لوَّحت ، فلقد كانت لبؤةً إلاَّ أنها تدعى هِرَّةً ، ونمرةً إلاَّ أنها أكثرُ منها شِرَّةً ، ذات نابٍ مطلول ، وساعدٍ مفتول ، وخصرٍ مجدول ، ريانة الكاهل ، ظمآنة الأسافل ، تطير من قوائمها بأسرع من الجناح ، وتستضيء من عينيها بأنور من المصباح ، وتعتدُّ من مخالبتها بأمضى من السلاح ، وتسطو من

١ لعل الصواب : جعل .

٢ س : حنطتك .

٣ ص : الذي .

٤ ص : ونسبها .

جرأتها بمثلِ القدرِ المتاح ، لينةُ الوبرِ كالسَّمور . سوداءُ الشعرِ كالديجور .
مأمونة الجيب ، بظهر الغيب ، عظيمةُ النفس ، لطيفةُ الحس ، أمانةٌ على
اللحم الموضوع . ولو شفتها فرطُ الجوع ، وما خانت قطُّ أمانةً ، ولا رضيت
يوماً خيانةً ، فهي عُوذة الدار ، من الفار ، وعهدُ الأمان ، من الجرذان .

قال ابن بسام : وكانت للأديب القعيني هذا جاريةٌ سوداء كلفَ بها
ثم باعها ، وندم فحاول استرجاعها ، فزعم المبتاع أنها حامل - وللقعيني في
ذلك أشعارٌ كثيرة - فكتب أبو عبد الله هذا رقعةً قال فيها : كشف الله عن
قلبك أيها الأديب الحسيب زين الشهوة . ومحا من لبتك شَيْنَ الهفوة . فعلى
رأيتك يعتمد من اختلفت آراؤه . ومهديك يهتدي من أضلَّ القصد . وبه
يقتدي من عُدِم الرشد . ونقل إليَّ بعض من يعرفُ أحوالك ، ويشارفُ
فعالك . خبراً يصمُّ السمع ، ويضيقُ الذرع . وذلك أنك نبذت من
يدك كُرتك المتكفشة : فتلقاها من أحمدت صولجانه . وأخرجت عن
ملكك ضفدعتك المريعة ، فتناولها من استحسنت غدرانها ^١ . وبلغك من
إقبالها عليه ، وانصرافها بكليتها إليه ، ما أضرمَ قلبك شوقاً لا تحبو ناره ،
وسلَّ الوجدُ بها عضباً لا ينبو غراره . فأنشرت للناس من نفسك قيسَ
الأخيلية ^٢ . وأحييت لهم منك مجنون العامرية ، وعضضت على بيعتها
أنايلك ، وأنضيت في طلبها زواملك . وأطلت في وصفِ شوقك لها وأوجزت .
وقصّدت في ذكر الأسف عليها ورجزت ^٣ ، وجمعت لها من المحاسن ما

١ ص : غدرانها .

٢ حقه أن يقول : توبة الأخيلية .

٣ ص : وقصرت . . . وذخرت .

افترق ، وفتحت من البدائع فيها ما انغلق ، وجعلتها نبض^١ حياتك ، وموضع
شكّاتك ، وسُعة^٢ أوطارك ، وجوّة عطارك :

ففيها	عنبرُ	الهنسدِ	وفيها	مسكُ	دارينِ
وفيها	قضبُ	نَعَمَانِ	وفيها	كُتْبُ	يبرينِ
وفيها	قامتِ	الحربُ	كما	كانتِ	بصفينِ

فأصبحتَ والظنونُ بك مُرَجِّمة ، والألسنةُ عنك مُتَرَجِّمة ، والأقوالُ
فيك كثيرة ، والأيدي إليك مشيرة ؛ ويا عجباً منك كيف لم تُبْهِمِرْ بصيرتُكَ
هذا العوار وشهابها ثاقب ، ولم تعفْ نفسك السامية هذه الأقدار وإباؤها
واجب ، شدّ ما ملكتك سورة الغرارة وأنت كهلٌ أمين ، وهفّت
بلبّك هَفَوَاتُ الهوى وعندك عقلٌ رصين ؛ أفي الحقّ أن أستفرغَ قلبك
فلا يخلو ، وأنشدك فلا تسلو :

ندمتَ	ندامةَ	الكُسَمِيِّ	لَمَّا	تَبَطَّنَهَا	يباضعها	سواكا
رأتُ	ما	سدّ	كعبها	وأودى	بيغلامتها	فلتَجَّتْ في جفاكا
فلا	تذهبْ	بلبّك	طائشاتُ	من الصَّبَّواتِ	واسترجعْ	نهاكا

ما لك وللتماذي في غُلّوائك ، والزيادة في بُرَحائك ، نهنيهِ قلبك ،
وراجعْ لبّك ، واذكر خَلْقَهَا وَخُلُقَهَا ، وتأملْ وجهها وعُنُقَهَا ،
وانظر خَدَّهَا وَقَدَّهَا ، وهل شيء مما يُسْتَمْلَحُ عندها ؛ والله ما رأيتُ

١ ص : بيز .

٢ ص : وحصة ؛ والسعة : القربة ينبذ فيها ، وربما وضعت فيها المرأة غزلها وقطنها .

شخصها قطّ إلا تخيلتُ الشيطان ، ولا مَقَلْتُ مُقَلَّتِها إلا ذكرتُ السرطان .
وأيةُ ضفدعةٍ ماء تعشقتُ ، وقرنبي بها تعلقْتُ ، لقد وريَ زَنْدُ مَنْ
خرجت من يديه ، وتَعَسَّ جَدُّ من صارت إليه .

وفي فصل منها : فهنيئاً أبا حفص راحةُ بصرِكَ من شخصها المقيت ،
وفراغُ قلبِكَ من الكبَدِ بِيَخْلِقِها المِيت ، لو غَسَلْتُها بكلِّ ماءٍ في البحر ،
وطيبتها بكلِّ عَنبرٍ في الشحر ، وضمَّختها بملابِ كلِّ عطار ، وفَتَّ عليها
من المسك ألفَ قنطار ، ما ازدادت مع الطيب [١١٣] إلا دَفَرًا ، ومع الغسل إلا
وَصَرًا ؛ وكأني بك قد أنشدت بيتَ ابنِ الروميِّ في من لا يشبهها الا في
سوادِ الجلد ، ولا يَشْرُكُها إلا في النسبةِ إلى الجلد ، يقول ^١ :

أَكْسَبَهَا الحَبَّ أَنهَا صُبِغَتْ صِبْغَةَ حَبِّ القلوبِ والحدقِ

وقال الآخر :

مُشَبَّهَاتُ الشَّبابِ والمسكِ تَفْدِيهِنَّ نَفْسِي مِنَ الرَّدَى والكُروبِ
كَيْفَ يَهْوَى الفَتَى الأديبُ وصالَ البِيضِ والبِيضُ مُشَبَّهَاتُ المَشِيبِ

هيهات ! هنا يقال : ظُنَّ ^٢ تَخِيبٌ ، واقلبْ تُصِيبٌ ، ما كلُّ بِيضَاءٍ
شَحْمَةٌ ، ولا كلُّ سَوْدَاءٍ تَمْرَةٌ . فأمسك عنها فقد سَلَتْ عَنْكَ ، وابرأ منها
فقد بَرِّئَتْ مِنْكَ ، واستصغرت آلتك ^٣ ، واعتاضت منك بزعمها أكبر

١ زهر الآداب : ٢٣٠ وقد استشهد به ابن بسام من قبل في القسم الأول : ١٥٠ .

٢ ص : ظنون .

٣ ص : واستصغر إليك .

أيرا وأكثر خيرا ، ووصفت عنه من نشاط العُدَّة ، وإفراط العِدة ،
ما شُرِّحت به صدرا ، وأوسعت عليه شِكرا .

وفي فصل منها : وأما قولك : ما الذي أعجبها من دمامته ، وقصر
قامته ، وعِظَمِ هامته ، ووسخ عمامته ، حتى شغفها حبًّا ، وأصبح فؤادها
به صبيًّا ، فنعم :

أعجبها من خلقه قُحْدٌ عُجَارْمٌ ضَخْمُ الْقَذَالِ^١ نَهْدٌ
مَامِلُمُ الْأَقْطَارِ عَبَلٌ جَلْدٌ مِثْلُ ذِرَاعِ الْبَكْرِ^٢ أَوْ أَشَدُّ

ولو كنت ممن يُرْبِعُ بالنهار ، وَيُسْبِغُ بالليل ، كما حكى عنه ،
لما واجهتك بما لا تريد ، وباعت صُحْبَتَكَ في من يزيد^٢ ، فانقضَّ غَزْلُ
حبك لها أنكاثًا ، وطلَّقَ علاقةَ قلبك بها ثلاثًا .

فراجعه القعيني برقةٍ طويلة انتصر فيها لنفسه هنالك ، وأقام حججاً
على صواب ذلك .

فأجابه الصقلي برقة أخرى يقول في فصل منها : زعمت أنك شديدُ
الغرام ، بشقيقة الظلام . وأني أخطأتُ في عَتَبِكَ على حبِّها ، وظلمتُ
في نهيك عن قربها ، وجعلتُ أشعارَكَ في النسيبِ بها حجةً لتحميزك . وإنكارَ
التأنيبِ عليها عذراً من تعجيزك ، وطفقتَ تنشُدُ رافعاً عقيرتك ، مستصغراً
كبيرتك :

١ ص : العدل

٢ ص : تريد .

أَسْتَوْدِعُ اللَّهَ مَوْلَى مُلْكَتِهِ يَدِي وَدَّعْتُ إِلَّا شَجُونِي إِذْ أَوَدَّعُهُ
 جِسْمٌ مِنَ الْمَسْكِ أَقْصَتَهُ النَّوَى فَمَضَى وَفِي ذَوَابِتِهِ عِنْدِي تَضْوَعُهُ
 وَبَدْرٌ تَمَّ تَقَاضَاهُ الْأَفُولُ فَيَا وَبِلِي طَوِيلًا وَعِنْدِي كَانَ مَطْلَعُهُ
 عَدِمَتْهُ ذَهَبًا لَوْنًا وَفَائِدَةً وَاذَلَّ مِنَ لَيْسَةِ الْأَدَابِ تَرْفَعُهُ
 يَا قِطْعَةً مِنْ فُؤَادِي جَذَّاهَا قَدَرٌ حَتَّمَا تَجْفُوهُ عِدْوَانًا وَتَقْطَعُهُ
 أَهْوَى الْأَصِيلَ إِلَيْهَا مِنْ مَلَابَسَةٍ ثَوْبًا بَهِيًّا وَلَكِنْ لَيْسَ تَخْلَعُهُ

فَجَعَلْتُهَا مَسْكًا فَتِيْقًا ، وَذَهَبًا عَتِيْقًا ، وَقِطْعَةً مِنْ فُؤَادِكِ ، وَمِصْنَةَ
 لُودَادِكِ ، وَسَبِيًّا لَانْقِيَادِكِ ، وَأَلْبَسْتُهَا مِنَ الْأَصِيلِ ثَوْبًا لَا يُخْلَعُ ، وَدِرْعًا
 لَا يُسْتَرَعُ ، وَزَعَمْتُ أَنَّكَ اخْتَرَعْتَ فِي هَذَا النَّسِيبِ مَعْنَى "لَمْ يُسْمَعْ" ، فَانْتَصَرْتَ
 لِمَذْهَبِكِ ، وَحَلَيْتِ عَاطِلَ مَرْكَبِكِ . وَمَا أَدْرِي مَا أَقْبَلُ مِنْ شِعْرَيْكَ ،
 وَلَا مَا آخِذُ مِنْ قَوْلِكَ ، أَهَذَا الْأَوَّلُ الَّذِي زَعَمْتُ أَنَّكَ قَلْتَهُ فِي عُنْفُوَانِ
 الصَّبَابَةِ ، وَإِفْرَاطِ الْكَآبَةِ ، أَمْ حِينَ ٢ جَلَى اللَّهُ [عَنْ] بِصِيرَتِكَ غَيَايَتَهَا ،
 وَكَشَفَ ٣ عَنْهَا عِمَائَتَهَا — حِينَ قُلْتَ :

يَا سَوْءَ مَا اخْتَرْتُهَا فِي الْحَبِّ ضَفْدَعَةً جَحَوْظَ عَيْنٍ وَقَدْ أَمْفَرَطَ الْقَصْرِ
 إِذَا أَرَدْتُ نِكَاحًا وَهِيَ مَجْمَرَةٌ ٤ عَطْرًا أَرْتِ خَلَقَ إِبْرَاهِيمَ مِنْ قَدَرِ
 الْحَمْدُ لِلَّهِ جَلَى فِي الْغَرَامِ بِهَا بِصِيرَتِي فَرَأَى أَقْدَارَهَا بِصِرِي

فَمَتَى عَادَتِ الضَفْدَعَةُ غَزَالًا ، وَصَارَ هَذَا النِّقْصُ كَمَالًا ؟ ! وَشَدَّ مَا عَمِيَّتْ

١ ص : وَتَبَقَى فِي .

٢ ص : جَبَل .

٤ ص : مَجْهَدَةٌ .

٣ ص : وَكَشَفَتْ .

بصيرتك بعد جلائها ، وتساعث^١ سيادتك بعد إبانها ، وظهنت إلى سؤر
 هذا الجازر ، وهو من لبن حازر . أتراها بعد أن اختبرت عرّده ، وبسّلت
 زوّجه وفرده ، وذافت صابه وشهده ، ورأت كل ما يسرها عنده ،
 تصبر على دقة ميسبارك ، وترضى ملة خشكارك ، وهيهات ما سوّلت
 لك الأحلام . والله لو عادت إلى ملكك ، ما ملت من فترتك ، ولا رجعت
 عن تركك . ولو جعلت السندس لها بسّطا ، والثريّا في أذنيها قرطا ، وصيرت
 بني حام كآتهم لها خولا ، وحشرت عليها كل شيء قبلا ، ما كانت
 لتُقيل عليك ، ولا لتصرف وجه محبتها إليك .

وفي فصل : وأما ما ذكرت من خليدة^٢ التي ادعيت عشقها عليّ ،
 ونسبت حبها إليّ ، فقد أذكرتني الطعن وكنت ناسيا ، قد كنت رأيتها
 في المعرض ، وعندي من الارتياح إلى الملاح ، ما عند الغصون لهيف الرياح ،
 ومن الشغف^٣ في أمثالها إلى اللقيا ، ما بالرياض إلى السقيا [١١٤] فرأيت لثامها قد
 حُطّ عن بدر كمال ، وإزارها قد غصّ بردف ريتان ، وسرّحت طرفي
 منها في روضة حُسن أريضة ، وحديقة جمال أنيقة ، وأعطيت مولاهما
 فيها السؤل ، وبلّغته في ثمنها المأمول ، وسألها بعض التجار ، عن الدار
 وعن النجار ، فترجمت عن منصبها ، وأعربت عن نسبها ، بغرائب ألفاظ ،
 عزيز سماع مثليها بسوق عكاظ ، مسخت القاف كافا^٤ ، وردّت الأوصاف
 « أوسافا » ، فقبحت بذلك الكلام حُسنها ، ورجمت الأسماع بلغة كأنها :

١ ص : وتشاغت .

٢ ص : جليدة .

٣ ص : السفن .

٤ ص : الكاف قافا .

• بَرْدٌ تَحْدَرُ مِنْ مَتُونِ غَمَامٍ •

فَعَادَ مُبْرَمٌ حَبِي لَهَا سَحِيلًا ، وَلَمْ تَسُوْ عِنْدِي لَذَلِكَ فَتِيلًا . وَمَا عَجِبْتُ
كَعَجْبِي مِنْ وَصْفِهَا بِقِصَرِ الْخَطَا ، وَتَشْبِيهِهَا بِإِبْهَامِ الْقَطَا ، فَإِنْ كَانَ
نَقْدُكَ فِي الشَّعْرِ وَمَرَامِيهِ ، وَاقْتِضَابُكَ لَغَرِيبِ مَعَانِيهِ ، بِهَذِهِ الْقَرِيحَةِ الصَّافِيَةِ ،
وَالْبَصِيرَةِ النَّافِذَةِ الْمُتَنَاهِيَةِ ، فَقَدْ فُتَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخَرِينَ سَبَقًا ، وَبَرَزْتَ
عَلَى الْقَدَمَاءِ وَالْمُحَدِّثِينَ صَدَقًا . كَيْفَ جَازَ عَلَيْكَ هَذَا الْغَلَطُ وَأَنْتَ صِيرْفِي
الْكَلَامِ ، مَعْنَوِي النِّظَامِ ، وَغَيْرُكَ بِذَلِكَ التَّشْبِيهِ كَانَ أَلْيَقَ ، وَهُوَ بِهِ أَعْلَقَ ،
تِلْكَ بِيضَاءُ قَصِيرَةٍ بَزَعَمَكَ ، وَهَذِهِ سُودَاءُ دَحْدَاحَةٍ بَزَعَمَكَ :

قَرِيبَةُ الْأَقْطَارِ مَلْمُومَةٌ مَغْمُوسَةٌ فِي خُضْرَةِ جَوْنٍ
لَا تَخْطِئُ الْبَقَّةُ أَوْصَافَهَا فِي النَّشْنِ وَالْقَامَةِ وَاللَّوْنِ

وَأَمَّا مَا عَيْبَتَهُ مِنْ زُرْقَتِهَا - وَإِنْ لَمْ تَكُنْ كَذَلِكَ ، وَكَانَتْ الشَّهْلَاءُ فِي
نَعْتِكَ - فَأَيْنَ أَنْتَ مِنْ ^١ قَوْلِ الْقَائِلِ :

وَأَزْرَقِ الْعَيْنِ فَاتِرِ الْغَنَجِ زُرْقَةُ عَيْنِهِ آفَةُ الْمَهْجِ
قَالُوا بِهِ زُرْقَةُ فَقُلْتُ لَهُمْ تَمَّ بِهَا حُسْنُ وَجْهِهِ الْبَهْجِ
مَا زُرْقَةُ الْعَيْنِ مِثْلُ كَحْلَتِهَا كَمْ بَيْنَ يَاقُوتَةٍ إِلَى سَبْجِ

وَفِي فَصْلِ مِنْهَا : وَهَذَا هُنَا وَقَفْتُ وَأَمْسَكْتُ ، لِأَنَّ بَعْضَ الْإِخْوَانِ
أَحْرَقَنِي بِنَارِ الْعِتَابِ ، وَأَخْرَجَنِي بِهَا عَنْ طَبَقَةِ الْكِتَابِ ، وَرَكِبَ فِي مَلَامَتِي
رَاسَهُ ، وَمَدَّ بِهَا إِلَيَّ أَنْفَاسَهُ ، وَأَطْنَبَ فِي اللَّوْمِ وَأُسْهَبَ ، وَصَعَّدَ فِيَّ

١ ص : فَأَيْنَ مِنْكَ مِنْ .

العُتْبُ وصَوَّبَ ، يقول في فصل منها^١ : « وَقَفْتُ عَلَى مَا أَدَّكَ إِلَيْهِ كَثْرَةُ
الْفُضُولِ ، مِنْ إِبْرَادِكَ تِلْكَ الْفُضُولِ ، الَّتِي مَسَخَتْ جَوَاهِرَهَا خَزَافًا^٢ ،
وَلَا لَهَا صَدَقًا ، وَرَأَيْتُ تِلْكَ النَّصِيحَةَ ، الَّتِي صَارَتْ فَضِيحَةً ، وَالْمَحَاسِنَ
الَّتِي عَادَتْ قَبِيحَةً ، وَالْأَلْفَاظَ الْعَذَابَ ، الَّتِي آصَتْ سَيَاطِرَ عَذَابٍ ، وَتَأْدَبَ
مِنْ عَاطِيَتِهِ ، وَجَوَابَ مَنْ كَاتَبَتْ ، فَتَأَوَّهْتُ وَتَفَجَّعْتُ ، وَحَوَّقَلْتُ^٣
وَاسْتَرْجَعْتُ ، وَقُلْتُ : أَمَا انْتَبَهَ مِنْ سِنَةِ غَفْلَتِهِ ، وَذَكَرَ بَيْتِي حَكْمَتِهِ ،
إِذْ يَقُولُ :

إِذَا مَا هَدَيْتَ امْرَأً غَظْطًا أَضِلَّ السَّبِيلَ إِلَى قَصْدِهِ
وَلَمْ تَلْقَهُ سَامِعًا قَابِلًا فَحَسِّنْ لَهُ الْمَشْيَ فِي ضِدِّهِ

ولقد سررتُ بما أصابك ، وابتهجتُ بما نابك ، فعمساك يوماً تعرفُ
أخلاقَ الناسِ ، وترنُ أعلامَهُمْ بالقِسْطِ ، وتنتقدُ أحوالَهُمْ وأفعالَهُمْ ،
وتختبرُ ضرائبَهُمْ وأشكالَهُمْ ، فتميزُ الخبيثَ من الطيبِ ، وتتجانبُ^٣ مَيْنُ
بعدُ عن الدعابةِ في خطابٍ ، أو إجابةٍ بكتابٍ .

هذه شكيمةٌ كَبَحَنِي بِهَا هَذَا الصَّدِيقُ بعد أن جمحتُ ورحمتُ ،
وخطامٌ خطمني به بعد أن أرقلتُ وأوجفتُ ، ولولاهُ لعرضتُ أكثرَ من
هذا المتاعِ ، وَكَلِيتُ بِأَكْبَرَ مِنْ هَذَا الصَّاعِ .

١ ما يلي هو نص ما كتبه إليه صديقه حين لاه .

٢ طس : خرفا .

٣ ص : وتجانب .

وله من رقعة إلى ابن الشامي صاحب الخمس ، راغباً في أن يكلم له
الأمير صمصام الدولة^١ في أن يحرر له أرضاً كان اشتراها :

إذا الحاجاتُ عيَّ بها رجالٌ وكان قضاؤها صعبَ المرامِ
وقلتُ حيلةَ الشفعاء فيها فحاولُ نُجْحُها ببني الشَّامي
دراريَّ العلا حَفَّتْ ببدري منيرٍ في سماءِ المجدِ سامِ

ويعلم - أدام الله تمكينه - مذهبي في التخفيف ، وَحَمَلِ مؤنة التكليف .
إلاَّ في ما تلجئ الضرورة إليه ، ويحملُ الاضطهادُ عليه ، وكنتُ من
ترفيهِ النفس عن الامتهان ، والقناعة بما تسمعُ به نفسُ الزمان ، عن حالة
يعلم - حرس الله مجده - تقلَّبي في أثنائها . ومقيلي في أفيائها ، حتى عَرَضَ
لي من سوء القضاء ، ما أجار بالنارِ منَ الرمضاء ، فسوَّل لي الحرصُ الذي
ما شمتُ له قطُّ بارقاً ، والطمعُ الذي ما ركبْتُ له قطُّ عاتقاً ، النظرُ في
إحداثِ بستان في خرائبٍ أُخْرِبَتْ مالي ، وشغلتي عن كثيرٍ من أشغالي ،
وصرتُ منفقاً ما جمعتُ في الغربة والوطن ، وكسبتُ في الإقامة والظعن ،
بين جدارٍ فيها أهدمه ، وغارٍ أهدمه ، وأرضٍ أرفعُ مرَّةً وهادها ، وأخفضُ
تارةً نجادها ، حتى استوت ساحاتها [١١٥] وتوطَّتْ ، وغابت مغاراتُها وتغطَّتْ ،
وانكشطتْ أَسْنِمَتُها وانحطَّتْ ، وفي بناء حائطٍ أحرقُ بأقطاره ، وآمنُ
به على ثماره ، وفي حفر بشر ينقعُ ماؤها صدها ، ويبلُّ إذا حَمِيَّ الهجيرُ

١ هو الصمصام بن يوسف ثقة الدولة ، تولى بعد أخيه الأكمل تأييد الدولة سنة ٤٢٧ هـ ولم
تطل أيامه ، بل ثار عليه أهل بلرم وأخرجوه ، واستقل كل قائد في جزيرة صقلية
بمنطقته .

٢ كذا ، ويمكن أن تقرأ « الاضطرار » .

ثراه ، ما لو أقررتُ به بين يدي القاضي أو شهيدَ به عليّ لتوجهَ عليه فيما يلزمه من الفرض . ويحقُّ عليه في الإبرام والنقض ، أن يُثبتني على رأي الفقهاء ، في ديوان السفهاء ، إذ لا يُقدَّرُ على سقني دوحاته ، ولا يتوصَّلُ إلى احياء مواته ، إلّا بدولابٍ وجابية ، يأخذان الماءَ أخذةً رابية ، وعند الوصولِ إلى هذه الفصول . والانتهاهِ إلى هذا المحصول ، قرعتُ سنَّ النادم ، وانتبهتُ انتباهَ الحالم ، وكنتُ كتاجرِ البلّور ، في ابتياع السنّور . ومسرّحِ الدجاج . في مخزنِ الزجاج : أحدثَ هذا في ماله من البوار . ما لا يحدثه عابثُ الفار ، وجلبَ ذلك إلى بضاعته من الفساد ، ما لا يحدثه وافدُ الكساد .

وفي فصل منها : ولا بدَّ لغريق البحر أن يدرج فيخرج^١ ، وللتائه في القفر أن يضلَّ فيهلك ، أو يُدَلَّ فيسلّك ، وقد علم قلّة حاجات وليّته إليه ، وإبشاره التخفيفَ عليه ؛ ومتى أعلمَ الأميرَ أنَّ هذه الخرائبَ التي عانى وليّتهُ غيراسها ، لا يترتجى لها عمارةٌ تعودُ بفائد ، ولا ينتفعُ الديوانُ منها بدرهمٍ واحد ، وساكنوها منذ أعوام ما أدّى واحدٌ منهم خراجاً ، ولا صنعَ لبيته باباً ولا رتاجاً ، فهم بين قومٍ يأكلون الشجر قبل الثمر ، ويترعون الأبَّ قبل الحبِّ ، وما آمن مع ما أحذقت به من الأسوار ، وخرجت في [التفقه] عن المقدار ، أن يوجفوا إليه بالحوالق ، وينقضوا فيها كالشوانق ، كما يفعلون في بستانِ فلان ، الذي أنفق فيه عمره وماله ، وصرفَ إليه همته واهتباله ، فهو في الشتاء من علوجِ الزّبر والحفر ، وأصحابِ الغرْس والبَدَر ، فإذا بلغتْ ثمرته ، ووجبتْ غلّته ، حام

١ لعله : فيغرق أو يخرج .

عليه بنو حام ، ولم يتمتع منهم بحارس ولا حام ، ﴿ وَأَحِيطَ بِشَمَرِهِ
فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى
عُرُوشِهَا ﴾ (الكهف : ٤٢) . وناهيك [بِدُرَّةٍ] ظَفِيرَتُ يَدَيَّ بِأَخْتِهَا ،
وَمَخْشَلَبَةٌ غَنِيَّتْ عَنْ ثِقَبِهَا وَنَحْتِهَا ، ومتى لم يلحظني مولاي بعين
رعايته ، ويمدَّ إليَّ [يداً] عنايته ، في ما رغبْتُ وسألتُ ، انقلبتُ بأملٍ
عاطلٍ ، وعملٍ باطلٍ .

في ذكر الأديب أبي محمد عبد الجبار بن حمديس الصقلي^١

أحدُ مَنْ وفد أيضاً على المعتمد ، وهو من جُمْلَةِ مَنْ لقيته وشافهته ،
وأسمعني شعره ، وهو شاعرٌ ماهرٌ يقرطسُ أغراضَ المعاني البديعة ، ويعبّر
عنها بالألفاظ النفيسة الرفيعة ، ويتصرّفُ في التشبيه ويغوصُ في بحر الكلام
على درّ المعنى الغريب .

١ انظر الخريدة ٢ : ١٩٤ ورايات المبرزين : ١١٢ والمطرب : ٥٤ ومسالك الأبصار :
٢٨٨ والسلفي : ٨٦ وابن خلكان ٣ : ١٢١ وعيون التواريخ ١٢ : ٢٥٥ والمكتبة
الصقلية ونفع الطيب ، وقد كتبت عنه دراسات منها دراسة للأستاذين السقا والمنشاوي
(القاهرة ١٩٢٩) ودراسة بالإيطالية للأستاذ جبرائيل ، وقد كتبت عنه فصلاً في كتابي
« العرب في صقلية » : ٢٣٥-٢٦٢ ودراسة جعلتها مقدمة على ديوانه الذي قمت بنشره سنة
١٩٦٠ ويبدو من المقارنة أن الذخيرة انفردت بقصائد لا نجدها في أصول ديوانه ، ومعنى
ذلك - في الأرجح - أن هذه القصائد تمثل رواية - أو مجموعة - كانت له بالأندلس ، وبخاصة
وان ابن بسام لقيه وسمع شعره ، ولكن ابن حمديس عاش حتى سنة ٥٢٧ وكثر شعره ،
فالذخيرة تمثل حقاً المرحلة التي سبقت مغادرته للأندلس وبعض قصائد مما قاله في بني زيري
من بعد . وسأعارض شعره الوارد هنا بديوانه وحده لأنني قمت بتخريج شعره من المصادر
المتيسرة حين تحقيق الديوان نفسه .

فمن ذلك قصيدة أولها^١ :

لم نؤت ليلتنا الغراء من قصير
لولا وصال ذوات الدل^٢ والخفير

يقول فيها :

إنني امرؤ لا أرى خلع العذار على
فما فتنت بردف غير مُرتدِف
ورب صفراء لم تترك بسورتها
تزداد ضعفاً [قواها] كلما خلقت^٣
لا يعرف الشرب عيباً في مناقبها
يصافح الراح من كاساتها شعل^٤
إذا النديم حساها خلّت جريتها
من لا يقوم عليه في الهوى عندري
ولا حنّنتُ لخصر^٥ غير مختصر
ليصولة^٦ الهم من عين ولا أثر^٧
بها الليالي حدود الضعف والكبر
إلا دعاوي بين المسك والزهر^٨
ترمي مخافة لمس الماء بالشرر
نجماً تصوب حتى غاب^٩ في قمر

ومنها :

١ ديوانه : ٢٠٤ .

٢ الديوان : ولا جنت بخصر .

٣ روايته في الديوان :

وشربة من دم العنقود لو عدمت
أو لعله بيت آخر وقع موقعه أو بعده .

٤ الديوان : بلغت .

٥ روايته في الديوان :

لا يسمع الأنف من نجوى تارجها

إلا دعاوي بين الطيب والزهر

٦ الديوان : غار .

بالله يا سَمَرَاتِ الحَيِّ هل هَجَعَتْ^١ في ظلّ أغصانك الغزلانُ عن سحري^١
 وهل يراجعُ وكرأُ فيك مغتربُ^٢ عزّت جناحيه أشراكُ من القدر
 يفديك^٢ قلبي ولو أسطيعُ من وِلّهِ^٣ طارتُ إليكِ بجسمي لمحةُ البصر

ومن المدح^٣ :

الباسطُ الكفَّ بالجدوى التي وكفّت^٤ بالرزقِ ما بين منهلٍ ومنهمر
 والموسعُ الأرضَ إذ جارتُ أكابرها عدلاً يؤلّفُ بين الشاءِ والنمّر
 كم آيةٍ لك في الإفضالِ معجزةٍ لها بوادِرُ لا تُبقي على البدر

قوله : « نجماً تصوّب حتى غاب في قمر » معنىً قد طوي ونُشر ،
 ومنه قول الحسين بن الضحّاك^٤ :

كأنّما نصبُ كأسه قَمَرٌ^٥ يكرعُ في بعضِ أنجمِ الفلكِ

وأخذه أبو نواس فقال^٥ :

إذا عبَّ فيها شاربُ القومِ خلته يقبَلُ في داجٍ من الليلِ كوكبا [١١٦]

وقد أخذ بعض أهل عصرنا هذا المعنى ، وهو الأديب أبو محمد بن
 صارة الشنتريني فقال :

١ الديوان : سهرى ، وفي ص : سحر .

٢ الديوان : ففيك

٣ هذه الأبيات الثلاثة لم ترد في رواية الديوان واثبتتها هنالك في الحاشية : ٢٠٨ .

٤ ديوانه : ٨٨ .

٥ ديوان أبي نواس : ٢٤٤ .

وافى بها صهباء من أوصافه دقُ الثنايا دونَ نيلِ مَرَامِها
فرأت نديماً منهما شمس الضحى في الليل قابضةً على بهرامِها

وقال فيه أيضاً :

ورشاً خدّه حديقةً ورد حُمِيَّتْ من عذاره بِحُبَابِ
خلتُه حينَ عبَّ في الكاسِ بدرأ عبَّ من ذوبِ كوكب في عباب

وقال الصقلي من أخرى ^١ :

باكرُ إلى اللذاتِ واركبُ لها سوابقَ اللهو ذواتَ المراحِ
من قبل أن ترشفَ شمسُ الضحى ريقَ الغوادي من ثغورِ الأقاحِ

وله من قصيدة ^٢ :

قد طيَّبَ الآفاقَ طيبُ ثَنَائِهِ حتى كأنَّ الشمسَ تُذَكِّي المنلَا

وكررَ هذا المعنى فقال ^٣ :

وكأنما شمسُ الظهيرةِ نارُهُ وكأنما شجَرُ البسيطةِ عودُهُ

وله يستنجز المعتمد بن عباد وقد لزم باب قصره عاماً كاملاً ^٤ :

١ ديوان ابن حمديس : ٨٩ .

٢ ديوانه : ٥٥٩ (عن الذخيرة) .

٣ ديوانه : ٥٤٤ (عن الذخيرة) .

٤ ديوانه : ١١٠ .

أيا مولى الصنع الجميل إذا انتشى
وفي كل أرض من نداء حديقة^١
أفرد بالحرمان من كل عاطل
أتني على بُعد النوى منك دعوة^٢
فجاءك من أهل البديع مصرف^٣
وكان عليه الخلق ليلاً يجوبه
رفعت بأظعاني إلى ما تحده^٤
ويا مُسدي النيل الجزيل إذا صفا
تضوع مسكاً نورها وتفتحا
تطوق من نعماك ثم توشحها
أثارت بنات السير حولاً ولقحها^٥
مهار القوافي^٦ في امتداحك قرحاً
إليك فلمّا لاح وجهك أصبحا
علاك فوقع ممسكاً أو مسرّحاً

ثم تصرفت الليالي والأيام ، اللعبة بالأنام ، واقتضت بالمعتمد الحال ،
إلى الاعتقال ، بسجن أغمات ، وسمع الصقلي هذا شعر المعتمد الذي قد
تقدم إنشاده حيث يقول فيه :

قضى الله في حمص الحمام وبعثت
تراه عسيراً أم يسيراً نناله^١
هنالك عنّا للنشور قبور
إلاّ كل ما شاء الإله يسير

فأجابه الصقلي أبو محمد بأبيات منها قوله * :

أتأس من يوم يناقض أمسه^١ وشهب الدراري في البروج تدور^٢
ولما رحلتم بالندى في أكفكم^٣ وقلقل رضوى منكم^٤ وثير

١ الديوان : قطعت لها بالعزم نجداً وصحصحا .

٢ الديوان : ويتال من أهل القريض . . . يهادي القوافي .

٣ الديوان : وأصحابي . . . تجده .

٤ القسم الثاني : ٧٥ وديوان ابن حمديس : ٢٦٧ .

٥ ديوان ابن حمديس : ٢٦٨ - ٢٦٩ والذخيرة ٢ : ٧٦ .

رفعتُ لساني بالقيامةِ قد دنتُ فهذهي الجبالُ الراسياتُ تسيرُ

وله من قصيدة في القاضي ابن القاسم بسلا^١ :

لكلِّ محبِّ نظرةٍ تبغثُ الهوى ولي نظرةٌ نحو القتولِ هي القتلُ
أترتد^٢ بالتكريهِ رسلِ نواظري ومن شيسمِ الإنصافِ أن تكرمَ الرسلِ

ومنها :

ركبتُ نوى جوابةِ الأرضِ لم يعشُ لراكبها عيس^٣ تخبُّ ولا رحل
أسائلُ عن دارِ السّماحِ وأهليه ولا دارَ فيها للسّماحِ ولا أهل
ولولا ذرى ابن القاسمِ الواهبِ الغنى لما حطَّ منها عند ذي كرمٍ رحل
تُخَفِّضُ أقدارُ اللّثامِ بلؤمِهم وقدرُ عليٍّ من مكارمهِ يعلو
فتى لم يفارق كفهْ عقدُ مينةٍ ولا عيرضةُ صونٍ ولا مالهْ بذل
له نعيمٌ تخضّرُ منها مواقعُ ولا سيّما إن غيّرَ الأفقَ المحل
ورحبُ جنابٍ حين ينزلُ للقرى فصلُ خطابٍ حين يجتمعُ الحفل
ووجهٌ جميلُ الوجه تحسبُ حرّةً حساماً له من لحظِ سائليهِ صَقْلُ
مروعةً أموالهْ يعطائهِ كأنَّ جنوناً مسّها منه أو خبيلُ
وأي أمانٍ أو قرارٍ لخائفٍ على رأسه من كفتِ قاتله نصل

١ الديوان : ٥٥٧ (عن الذخيرة) ومنها أربعة أبيات في المسالك .

٢ ص : تريد (دون أعجام اللّيا) .

٣ المسالك : عنس .

٤ لعل صوابه : حينما يبذل القرى أو : حين يستنزل القرى .

ومنها :

لقد بهّرتْ شُهْبَ الدَّراري منيرةً ماثرُ منكم لا يكاثرها الرمل
ورثتم تراثَ المجدِ من كلِّ سِنْدٍ على منكبيه من حقوقِ العلا ثِقْلُ
فمن قمرٍ يُبقي على الأفقِ بعده هلالاً ومن ليثٍ خليفته شَيْبُ
وأصبحَ منكم في سلا الجور أخرساً وقام خطيباً بالذي فيكم العدل
ملكْتُ القوافي إذ توخيتُ مدحكم وبأربِّ أذوادٍ تملكها فحل

وله من أخرى في تميم أمير المهديّة ويتفجّع على دخول الروم صقلية ،
أولها ٢ :

تدرّعتُ صبري جُنّةً للنوائب فإن لم تُسَلِّمْ يا زمانُ فحاربِ

يقول فيها :

بلادٌ جرى فوق البلادَةِ ماؤها فأصبحَ منه ناهلاً كلُّ شارب
فطِمتُ بها عن كلِّ كأسٍ ولذّةٍ وأنفقتُ جُلَّ العمرِ في غيرِ واجب
يبيتُ رئاسُ السيفِ في ثِنبي ساعدي معاوضةً من جيدِ غيداءِ كاعب
وما ضاجعَ الهنديّ غيرُ مثاسمٍ مضاربُهُ يومَ الوغى في الضرائب
إذا كان لي في السيفِ أنسُ ألفتهُ فلا وحشةٌ عندي لفقدِ الحبايب
وكنْتُ وقدّتي في الصبا مثلُ قدّه عهدتُ إليه أنّ منه مكاسبي

١ كذا هو في ص ولعله : « بالهدى » أو ما أشبه .

٢ ديوان ابن حمديس : ٢٨ .

فإن كان لي في المشرفي مآرب^١
 بهيشك أي الفجعتين استربتها^٢
 تغذّي باخلاقي قديماً^٣ ولم تكن^٤
 ويا ربّ نبت تعتريه مرارة^٥
 جهلت فجربت الذي أنا عالم^٦

ومنها :

وكم عزمات كالسيوف صواق^١
 فلي في سماء الشرق مطلع كوكب^٢
 ألفت اغترابي عنه حتى تكاثرت^٣
 متى تسمع الجوزاء في الجوة منطقي^٤
 ليالي بالمهديتين كأنها الآ^٥
 إذا شئت أن أرمي الهلال بلحظة^٦

ومنها :

ولو أن أرضي حرّة^١ لاتبععتها^٢
 بعزم يقده^٣ السير ضربة لازب

-
- ١ الديوان : أتخسني أنسى وما زلت ذاكرأ .
 ٢ الديوان : صغيرأ .
 ٣ الديوان : علمت بتجريبي أموراً جهلتها .
 ٤ ص : حلا من ضلوعي بين زند الكواكب .
 ٥ وجه من معنى ، وأحسبه « يعد » كما في الديوان .

ولكن^١ أرضي لا عدمتُ فكاكها^١
لئن ظفرتُ تلك الكلابُ بأكلها
أحينَ تنفاني أهلها طوعَ فتنةً
وأضحتْ بها أهواؤهم وكأنما^٢
تخبُّ بهم قُبَّ يطيلُ صهيلُها
مؤلفة الآذانِ تحتَ [إلاهم]

من الأسرِ في أيدي العلوجِ الغواصب
فبعد سكونٍ للعروقِ الضوارب
يضرَمُ فيها نارهُ كلُّ حاطب
مذاهبهم فيها اختلافُ المذاهب
بأرضِ أعاديبهم نياحِ النوادب^٣
كما حرّفتْ بالبري أقلامُ كاتب

وله من أخرى أولها :

شفاؤك في نوى تُنضي الركابا
فلا تنقَع من الدُّنيا بحِظْ
فشرُّ ليوث [هذي الأرض] ليثٌ
سأسري تحتَ نجمٍ من سناني
وينجدني على الحدَثانِ عَضْبٌ

ونُجْحُك عن سرى تطوي اليبابا
إذا لم تحوهِ يدك اغتصابا
يُشاركُ في فريسته الذئبابا
إذا نجم من الأنصارِ غابا^٤
يفلُلُ قرعُهُ النوبَ الصَّعابا

١ الديوان : كيف لي بفكاكها .

٢ ص : وكأنها .

٣ ما حذفه ابن بسام قبل هذا البيت يشوه السياق ، ففي ما قبله كان ابن حمديس ينمى على قومه
تشوهم في فتنة قسمتهم وأوهنت قوتهم ، وفي هذا البيت وما يليه يشيد بما كان لهم من بطولات
قبل تلك الفتنة .

٤ ديوانه : ١٤ ومطلما مختلف ، وهو :

ألا كم تسمع الزمن العتابا تخاطبه ولا يدرى الخطايا
والأبيات الثلاثة الأولى هنا ليست في رواية الديوان .

• الديوان : عن الأبصار .

٦ قراءة غير دقيقة لما في ص ، وأقرب الصور المشبهة « الحدفا » .

يمانيّ إذا^١ استمطرتُ صوباً
 كأنّ شعاعَ عينِ الشمسِ فيه
 به من عارضِ المُهجاتِ صاباً
 وإن كانَ الفرندُ به ضباباً
 ومنها :

وكنّا في مواطننا كراماً
 ونطلّع في مطالعنا نُجوماً
 تعافُ الضيمَ أنفسنا وتابى
 تُعيدُ لكلّ شيطانٍ شهاباً
 إذا رُميَ الوليدُ بهنّ شاباً
 وأحسابُ تَكَرَّمَتْنَا اِكْتِسَاباً^٣
 ولم تَسَلَمْ لَنَا إِلَّا نَفُوسُ
 ولم تَحُلْ الكواكبُ من سقوطِ
 ولكن لا يُبَلِّغُهَا الترابا
 ومن أخرى^٤ :

بلى جرّاً أذبالَ الصبّا فتصابى
 قصرتُ^٥ زماني بالشمولِ مُسِنَّةً
 وأوجفَ خَيْلاً في الهوى وركاباً
 وبالروضِ كَهلاً والفتاة كعاباً
 يقول فيها :

وأقصر أيامَ الفتى يومُ الذِّةِ
 صفا ما صفا بالعيش منه فطاباً^٦

١ الديوان : يمان كلما .

٢ الديوان : صروف .

٣ الديوان : نكرمها اِكْتِسَاباً .

٤ الديوان : ٥٤ ، ٣٩٥ (والثانية نقلاً عن الذخيرة وهي تكاد تكون رواية مستقلة) .

٥ الديوان : قطعت (٥٤) .

٦ من هنا حتى آخر القصيدة ما تستقل به رواية الذخيرة .

لِيَايَ لَا تَرْمِي الرَّمِيَّ وَإِنْ تُصِيبْ
 وَعَصْبَةُ لَهْوٍ غَادِرُوا الْمَهْمَّ جَانِباً
 يَدِيرُونَهَا رَاحاً كَأَنَّ بَكَاسِيهَا
 تَنَافَرُ لِمَسِّ الْمَاءِ وَهُوَ يَرَوْضُهَا
 فَأَحْبَبُ بِذَلِكَ الْعَيْشَ عَيْشاً ذَكَرْتُهُ
 وَلَيْلٍ تَخْوِضُ النِّيرَاتُ ظِلَامَهُ
 سَرَيْتُ بِمَحْبُوكٍ مِنْ الْقُبِّ كُلَّمَا
 مِنَ الْجَنِّ فَاسْمِ اللَّهِ إِمَاماً وَضَعْتَهُ
 تَرَى ضَحْكَ الْإِصْبَاحِ فَوْقَ جَبِينِهِ
 تَخَالُ الثَّرِيَا رَأْسَهُ وَهُوَ مُلْجِمٌ
 يَحْرَفُ بِالتَّأْوِيلِ ٣ أَذْنًا كَأَنَّمَا
 سَمَا الدَّرُّ فِي أَرْسَافِهِ عَنْ زَبْرَجِدٍ
 هُوَ الطَّرْفُ فَارْكَبْ مِنْهُ فِي ظَهْرِ طَائِرٍ
 إِلَى قَمَرٍ تَسْرِي إِلَيْهِ كَأَنَّمَا
 كَأَنِّي سَرْتُ فِي حَشَا اللَّيْلِ دَاخِلٍ
 فَبْتُ مَرُوءِي مِنْ مُجَاجَةٍ بَارِدٍ
 كَانَ قِطَافَ اللَّثْمِ مِنْ ثَغْرِ رَوْضِهِ

بِسَهْمِكَ خَوْداً فَالشَّبَابُ أَصَابَا
 فَلَمْ يَأْتَفُوا إِلَّا السَّرُورَ جَنَابَا
 إِذَا لَيْسَتْ دَرَعُ الْحَبَابِ حُبَابَا
 تَتَفَرَّكُ كَالْبَكْرِ الْفَرُوقِ لِعَبَابَا
 وَبِالْعَصْرِ عَصراً وَالصَّحَابِ صِحَابَا
 كَأَوْجِهِ غَرَقَتِي يَغْتَرِفُنَّ عِبَابَا
 دَعَا شَاوَهُ وَحْيُ الْعَيْنَانِ أَجَابَا
 مَكَانَ قَطِيعٍ طَارَ عَنْكَ وَغَابَا
 وَقُبَيْضُ ١ مِنْ لَيْلٍ الْمَحَاقِ إِهَابَا
 إِذَا الْجُرِّي ٢ لَمْ يَلْبِسْ طَلَاهُ سَخَابَا
 بَرَى قَلَمًا مِنْهَا يَخْطُ كِتَابَا
 يَغَادِرُ بِالْوُطْءِ الصَّخُورَ تَرَابَا
 تَنْتَلُ كُلٌّ مَا أَعْيَا عَلَيْكَ طَلَابَا
 عَلَيْهِ سَمَاءُ اللَّهِ تَغْلِقُ بَابَا
 عَلَى حَبَّةِ الْقَلْبِ الْمُصُونِ حِجَابَا
 غَزَا ذَكَرَهُ قَلْبُ الْغَيُورِ فَذَابَا
 تَكْسَبُ مِنْ طَلِّ الْغَمَامِ رِضَابَا

١ هكذا في ص ؛ وله وجه ، والأحسن ما أثبتته في الديوان « وقمص » .

٢ ص : الجو .

٣ ص : بالتأويل .

ومنها :

ولم أرَ كالدنيا خَوْناً لصاحبٍ فقدتُ الصبا فابيضَ مسودٌ لمتي
ولا كصابي بالشبابِ مصابا كأنَّ الصبا للشيبِ كان خِضابا

ومن أخرى ^١ :

أَمَطَتْكَ هَمَّتْكَ العزيمةَ فاركبِ ما بالُ ذي النظرِ الصحيحِ تقلبُ
في عَيْنِهِ الدنيا ولم يتقلبِ فاطوِ العجاجَ بكلِّ بعملةٍ لها
عَمُومُ السفينةِ في سرابِ السببِ شرقَ لتجلو عن ضيائكِ ظلمة ^٢
فالشمسُ يمرضُ نورها بالمغربِ والماءُ يأجنُ في القرارةِ راكداً
فإذا علتكَ قذاته فتسرَّبِ طالَ التغرُّبُ في بلادٍ خُصِّصَتْ
بوخامةِ المرعى وطرقِ المشربِ [١١٨] فطويتُ أحشائي على الألم الذي
لم يَسْفِهْه إلاَّ وجودُ المذهبِ إنَّ الخطوبَ طرقتني في جَنَّةٍ
أخرجتني منها خروجَ المذنبِ

ومنها :

من سالمَ الضعفاءِ راموا حربَه فالبسُ لكلِّ الناسِ شَكَّةَ محَرَبِ
كلُّ لأشراكِ التحيلِ ناصبِ فاخليبِ بني دنياءَ إن لم تغليبِ
من كلِّ مَرَكُومِ الجهالةِ مبهمِ فكأنما هو قطعة من غيَهبِ
لا يكذبُ الإنسانُ رائدُ عقله ^٣ فامرُرْ نَمَجَ وكنْ عذوباً تُشربِ

١ الديوان : ٥٣٧ (عن الذخيرة) ومنها في المسالك ثمانية أبيات .

٢ من سبائك

٣ فبقية في نسخة أخرى : « إن الرائد لا يتركب أفعى » .

ولربَّ محتقرٍ تركتُ جوابه
لا تحسبني في الرجال بغائنه
أصبحتُ مثلَ السيفِ أبلى غمدَه
إنَّ يعلُه صدأُ فكم من صفحةٍ
والليث يأنفُ عن جوابِ الثعلبِ
إني لأقمصُ كلَّ لقوةٍ مرقبِ
طولُ اعتقالٍ^١ نجادِه بالمنكبِ
مصقولةٍ للماء تحت الطحلبِ

ومنها :

كم من قوافٍ كالشوارد صُرْتُها
ودقائقٍ بالفكرِ قد نظمتُها
وصلتُ يدي بالطبعِ فهو عقيدُها
نفستُ البديعُ بسحره في مقولي
لو أننا طيرٌ لقليلٍ لخبرنا
وإذا اعتقدتُ العدلَ ثم وزنتني
إني لأغمدُ من لساني مُنصلاً^٢
عن مثلِ جَرَجَرَةٍ الفنيقِ المصعبِ
ولو آهَنَ لآلئُ لم تثقُبِ
فقليلُ إيجازي كثيرُ المسهبِ
فنطقْتُ بالجَادِي والمتذهبِ^٣
غرَدَ وقيلَ لشرنا لا تنعبِ
رجحتُ حصاتي في القريضِ بكبكبِ
لو شئتُ صممتُ وهو دامي المضربِ

ومن أخرى ٣ :

تظنُّ مزاراً^٤ البدرِ عنها يعزُّني
وبين رحيلي والإيابِ لحاجها
إذا غاب لم يبعدْ على عينِ مُبصِّرِ
من الدهرِ ما يُبلي رتيمةَ خنصرِ

١ المسالك : اعتلاق .

٢ ص : فنقطت بالجاري وبالمشلهب .

٣ الديوان : ٥٥٠ (عن الذخيرة) ومنها في المسالك أربعة أبيات .

٤ في ص صورة : من ان (دون إعجام) .

ولا بد من حملي على النفس خطئة
وتطرحني بالعزم من غير فترة
وما هي إلا النفس تفتي حياتها
أغرك تلويح بجسمي وأني
وما هي إلا لفحة^٢ من هواجر
وأنكرت المام المشيب بلمتي
وما كان ذا حذر غراب شيبتي
وأبقت صروف الدهر مني بقية
وما ضعفتني للحوادث نكبة

ومنها :

وحمرأ لم تسمح بها نفس بائع
أقامت مع الأحقاب حتى كأنها
فلم يبق منها غير جزء كأنه
إذا قهقه الإبريق للكاس خلته
وطاف بها غمر الوشاح كأنما
قصرت بكل كل يوم لهوته

تعلق وردي في اغترابي بمصدري
سفائن بيد في سفائن البحر
مصرفة في كل سعي مقدر
لكالسيف تعلو منه غين جوهر
تخلصت منها كالنضار المسجر^٣
وأي صباح في دجى غير مسفر
فلم طار [عن] شخصي لشخص منفر
مذكرة مثل الحسام المذكر
ولا لان في أيدي الحوادث عنصري

لسوم ولم تنظف بها يد مشتري
خبيثة كسرى أو دفينه قيصر
توهم معنى دق عن ذهن مفكر
يرجع صوتاً من عقاب مصرصر
يقلب في أجفانه طرف جؤذر
ومهما يطب يوم من العيش يقصر

١ ص : عين .

٢ ص : نفحة .

٣ ص : المشعر .

٤ المسالك : لأبقت .

ومن أخرى في المعتمد^١ :

أَتُنْكَرُ ضِعْفاً أَمْرَضَ الْحَدَقَ النَّجْلا
وَقَدْ أَكْثَرْتَ فِينَا لَوَاحِظَهَا قَتْلًا^٢

يقول فيها :

أَقَانِدَهَا قَبَّ الْأَيَّاطِلِ لَمْ تَدْعُ
حَمِيَّتَ حِمَى الْإِسْلَامِ إِذْ ذَدَّتْ دُونَهُ
لَنْ قُلْتَ فِيهِ صَحَّ تَأْلِيفُ سُودِدٍ
لَهُ عِنْدَ أَعْدَاءِ إِغَارَتِهِ ذَحَلًا
هَزَبَرَأْ وَرَشَّحَتْ الرِّشِيدَ لَهُ شِبْلًا
فَبَارِعُ نَقْلِ مِنْ شِمَائِلِكَ اسْتَعْمَلِي

ومنها في صفة القصر :

وَيَا حَبْذَا دَارٌ يَدُ اللَّهِ مَسَحَتْ
مَقْدَسَةً لَوْ أَنَّ مُوسَى كَلِمَتَهُ
إِذَا فَتَحَتْ أَبْوَابَهَا خَلَّتْ أَمَّا
وَقَدْ نَقَلْتِ صِنَاعُهَا مِنْ صِفَاتِهِ
فَمَنْ صَدْرُهُ رَحْبًا وَمِنْ نُورِهِ سَنًا
نَسِيتُ بِهِ إِيوَانَ كَسْرِي لِأَنَّهُ
كَأَنَّ سَالِمَانَ بْنَ دَاوُدَ لَمْ تُسَبِّحْ
كَأَنَّ عَيُونَ السَّحَرِ نَافِلَةٌ لَهُ
عَلَيْهَا بِتَجْدِيدِ الْبَقَاءِ فَمَا تَبَلَى
مَشَى قَدَمًا فِي أَرْضِهَا خَلَعَ النُّعْلَا
تَقُولُ بِتَرْحِيبٍ لِدَاخِلِهَا أَهْلًا
[إِلَيْهَا] أَفَانِيًّا فَأَحْسَنْتِ النُّقْلَا
وَمِنْ صَبِيئِهِ فِرْعَا^٣ وَمِنْ حِلْمِهِ أَصْلَا
أَرَانِي مِثْلًا مَا رَأَيْتُ لَهُ مِثْلًا^٤
أَوَامِرُهُ لِلْجَنِّ فِي شَيْدِهِ مَهْلَا
عَلَيْهِنَّ فَضْلًا مِنْ بَدَائِعِهِ فَضْلًا^٥

١ الديوان : ٣٧٥ .

٢ ورد بدل هذا المطلع في الديوان :

أَغْمَرَ الْهَوَى كَمْ ذَا تَقَطَّعَنِي عَذْلًا قَتَلْتَ الْهَوَى حِلْمًا أَتَقَطَّعَنِي جَهْلًا

٣ ص : بدعاً .

٤ الديوان : أَرَانِي لَهُ مَوْلَى مِنَ الْفَضْلِ لَا مِثْلًا .

٥ الديوان : عَلَى كُلِّ بَانٍ غَايَةٌ مِنْهُ أَوْ فَضْلًا .

فكان مكان القول يبعث^١ وصفه
تري الشمس فيه [ليقة] تستمد^٢ها
تجوز^٣ له الأمواه بركة جدول
إذا اتخذتها الشمس مرآة وجهها
وقد توج البهو البهي بقبة
تجمعت الأضداد فيها مصانعا
وأغرب ما أبصرت بعد ملكها
ولما عشنا من توقد نورها
فيا دار أغضى الدهر عنك وأكثر

رقيقاً وأذن الدهر تسمعه جذلي
أكف أقامت من تصاويرها شكلا
تخال الصبا منه مشطبة نصلا
أجالت عليها من مداوسها^٣ صقلا
فقل في عروس في [جلايبها] تجلي
ولم أر خلقاً قبلها جمع الشمال
بها مترع^٤ بعدي الشجاعة والبذلا
نخذنا سناه في نواظرنا^٥ كحلا
أسودك نسلا^٦ فيك تختل^٦ النسلا

١ الديوان : فجاء . . . نبعث .

٢ الديوان : تجوز .

٣ ص : مدارسها .

٤ ص : منزع تعدي .

٥ ص : نواظرها .

٦ ص : تختل .

ومن شعره في أوصاف شتى

قال ١ : [١١٩]

نفوسنا بالرجاءِ مُتَنَسِّكَةٌ والموتُ للخلقِ ناصبٌ شَرِكَةٌ
تُبْرِمُ أجسامنا وتنقضنا طبائعُ في المزاجِ مشتركة
لولا انتشاقُ الهواءِ متُّ كما تموتُ مع فَتَقْدِ مائها السمكة
ننشأ بالبعثِ بعد ميتتنا أما يُعيدُ الزجاجُ من سبكه
ما أغفلَ الفيلسوفُ عن طرقِ ليستُ لأهلِ العقولِ مُسْلِكَةٌ
من سلمَ الأمرَ للإلهِ نجا ومن عدا القصدَ واقعَ الهلكة

وقال ٢ :

جاءَ به ملائِكٌ من صافيةٍ معمورةٍ منها أقاليمُ الفرجِ ٣
حلَّ وكاءُ شدِّه عن مذبحٍ ٤ طلَّ دمَ العنقودِ منه وسفح
حتى إذا ما صبَّ منه ريئنا سدَّ على التبرِ الذي كان فتح ٥

١ الديوان : ٣٥٩ (عن الذخيرة) .

٢ الديوان : ٨٥ .

٣ جاء في موضعه بيت آخر في الديوان .

٤ الديوان : مدمج .

٥ الديوان ، ريقاً ، سد على ذوب العقيق ما فتح .

تري نجيع البرق^١ منه راشعاً
مدامة^٢ للروح أخت^٣ برّة^٤
قد علمت مزاجها فصرفها
يوم^٥ كأنّ القطر فيه لؤلؤ
تقدح^٦ نار^٧ من زناد برقه
لما جرت فيه الصبا علية^٨
كأنما الكافور نثر^٩ ثلجنا
حتى أتى الليل^{١٠} بصحو لم يكن^{١١}
كأنما خلف^{١٢} منه قشعم^{١٣}
وقد محاصب^{١٤} الدياجي قحمر^{١٥}
كأنه من ودج الليل رشح^{١٦}
أخذة^{١٧} ثاراتها من الترح^{١٨}
يجبر^{١٩} ما هاض ويأسو ما جرح^{٢٠}
ينظم للروض عقوداً أو وشح^{٢١}
ويطفئ^{٢٢} الماء^{٢٣} سريعاً ما قدح^{٢٤}
رق^{٢٥} الهواء فيه للنفس وصح^{٢٦}
أوندف البرس لها^{٢٧} قوس^{٢٨} قزح^{٢٩}
يغتبق^{٣٠} الغيث به كما اصطبح^{٣١}
يسندى علينا ريشه إذا جنح^{٣٢}
ديناره^{٣٣} في كفة^{٣٤} الغرب رجح^{٣٥}

١ الديوان : الزرق .

٢ الديوان : يتأى بها سرورنا عن الترح .

٣ الديوان :

قد علمت مزاجه فصرفها يجرحه نمت يأسو ما جرح

٤ هذا البيت مع اثنين آخرين وردت في الواقي في نظم القوافي ، الورقة : ٩ ؛ (مخطوطة ليدن) .

٥ الديوان : يقدح ناراً . . . الماء .

٦ الديوان : لنا .

٧ الديوان :

حتى علا الجو دجى لم يغتبق فيه الحيا من الثرى كما اصطبح

٨ الديوان :

غراب ليل فوقنا مخلق يقبض عنا ظله إذا جنح

٩ ص : كف .

حتى إذا ردَّ حذاءُ عَدُوهِمْ
 نَبَّهَ ذا هذا وكلُّ طرفُهُ
 يسألُ في تقويمِ جيدٍ مائلٍ
 وجاءهُ السَّاقِي بِكوبٍ مفعمٍ
 يا عاذلي^١ في الرَّاحِ كم سَيْئَةٍ
 أغشَّ خلقَ الله عند ذِي هوى
 حتى إذا فكَّرَ عن بصيرةٍ
 من كان في وادي الرَّقادِ قد سرح
 يلمَحُ طرفَ السكرِ من حيثُ لمَح
 لو [لم] يسامح في الحميَّةِ لسمح
 لو شاء أن يسبِّح فيه لسبح
 تجاوز الرحمن عنها وصفح
 من عَرَّضَ الرشدَ عليه ونصح
 ذمَّ [من] الأفعالِ ما كان مدح

وقال^٢ :

ومشمولةٍ راحِ كأنَّ حبابها
 لها من شقيقِ الروضِ لون كأنما
 شربتُ^٣ على برق كأنَّ ظلامه
 إذا ما بدا في الكاسِ درٌّ مجوفٌ
 إذا [ما] بدا في الكاسِ منه مطرَفُ
 إذا احمرَّ فيه أسودٌ باتَ يرعفُ

وهذا من قول المعري^٤ :

إذا ما احتاجَ أحمرَّ مستطيلاً
 حسبتَ الليلَ زنجياً جريحاً

وقال أبو محمد أيضاً^٥ :

١ الديوان : يا لائمي .

٢ الديوان : ٥٥٤ (عن الذخيرة والمسالک) .

٣ ص : سريت .

٤ شروح السقط : ٢٤٠ .

٥ الديوان : ٥٤١ (عن الذخيرة ، ومنها بيتان في المسالك) .

ما زلتُ أَشْرَبُ كاسَهُ من كَفِّهِ
 حتَّى انجلى الإصباحُ عن إظلامِهِ
 والشهبُ في غُربِ السماءِ سواقطُ
 ورضابُهُ نَقْلٌ على ما أَشْرَبُ
 كالسَّترِ [يُرفَعُ] عن مَليكَ يحجبُ
 كَبَناتِ ماءٍ في غديرٍ تَرسُبُ

وقال في صفة نهر^١ :

ومطرِدِ الأجزاءِ تحسبُ^٢ مَتْنَهُ
 جريحٍ بأطرافِ الحصى كلِّما جرى
 كأنَّ حُبَاباً ريعَ تحتَ حَبَابِهِ
 شربنا على حافاتِهِ دَوْرَ سَكْرَةٍ
 كأنَّ الدجى خطَّ^٣ المجرةَ بيننا
 كلفتُ بشرى للصُّبحِ^٤ مبكراً
 صباً أعلنتُ سرَّ القلدى في^٥ ضميره
 عليها شكا أوجاعَهُ بخبرِهِ
 فسارَعَ يلقي نَفْسَهُ في غديرِهِ
 وأقتل سكرأ^٦ منه عينا مديهِ
 وقد كُتِلَّتْ حافاتُها بيدوره
 وكم بركاتٍ للفتى في بكوره

وله في شمة^٧ :

قناةٌ من الشَّمعِ مركوزةٌ
 تَحرقُ بالنارِ أحشاءها
 لها حربةٌ طُبعتْ من لُهبُ
 فتدمعُ مقلَّتُها بالذهبِ

١ الديوان : ١٨٦ .

٢ الديوان : يصقل .

٣ الديوان : صبا أعلنت للعين ما في .

٤ ص : وأقبل سكرأ .

٥ ص : حط .

٦ الديوان : بكاسات الصُّبح .

٧ الديوان : ٢٤ و سرور النفس : ٤٣٣ .

تمشى لنا نورها في الدجى كما يمشى الرضى في الغضب
فأعجب^١ لآكلة جسمها بروح يشاركها في العطب
وله فيها^٢ :

مصفرة^٣ الجسم وهي ناحلة تستعذب العيش مع تعذبها
تطعن صدر الدجى بغالية صنوبري لسان كوكبها
إن تلفت روح هذه اقتبست من هذه فضلة تعيش بها
كحيتة باللسان لاحسة ما أدركت من سواد غيبها
وقال^٤ :

صدت^٥ وبدر التم مكسوف به فحسبت أن كسوفه من صدها
فكانه مرأة^٦ قين أحميت فمشى احمرار النار في مسودها
وقال^٧ :

سكن القلب هوى ذي صلف زاده فيه سكوناً حرر كنه
فهو كالمركز يبقى ثابتاً كلنا دار عليه فلكه
وقال^٨ :

-
- ١ الديوان : عجبت .
 - ٢ الديوان : ٥٤١ (عن الذخيرة والمساك) .
 - ٣ الديوان : ١٤٣ (والبيت الأول من الذخيرة والمساك) ومنها بيتان في الشريشي ١ : ٣١١
منسوبان لابن الصباغ الصقلي .
 - ٤ الديوان : ٥٥٦ (عن الذخيرة) .
 - ٥ الديوان : ٥٥٥ (عن الذخيرة) .

يَوْمٌ كَانَ نَسِيمُهُ نَفَحَاتُ كَافُورٍ وَمَسْكٍ
وَكَانَ قَطَرٌ سَمَائِهِ دَرَّ هَوًى مِنْ نَظْمٍ سَلَكَ
مَتَغَيَّرٌ غَيِّمًا وَصَحْه وَأَمْثَلَمَا حَدَّثَ عَنْكَ
كَالطُّفْلِ يُنْحَنَعُ ثُمَّ يُنْمَ نَعُ ثُمَّ يَضْحَكُ ثُمَّ يَبْكِي [١٢٠]

وقال ١ :

وَحَمَامٍ سَوْءٍ وَخِيَمِ الْهَوَاءِ قَلِيلِ الْمِيَاهِ كَثِيرِ الزَّحَامِ
فَمَا لِلْقِيَامِ بِهِ مِنْ قَعُودٍ وَلَا لِلْقَعُودِ بِهِ مِنْ قِيَامِ
حَنِيَّاتُهُ عَطْفَاتُ الْقَسِيِّ وَقَطْرَاتُهُ صَائِبَاتُ السَّهَامِ
ذَكَرْتُ بِهِ النَّارَ حَتَّى لَقَدْ تَخَيَّلْتُ إِيقَادَهَا فِي عِظَامِي
فِيَارِبَ عَفْوَكَ عَنْ مَذْنَبٍ يَخَافُ لِقَاءَكَ بَعْدَ الْحَمَامِ

وقال ٢ :

قَبَسٌ بِكَفِّ مَدِيرِهَا أَمْ كَوْكَبٌ يَنْشَقُّ مِنْهُ عَنِ الصَّبَاحِ الْغِيْهَبُ
وَأَرِيحُ مَسْكٍ فَاحٍ عَنْ نَفْحَاتِهَا فَذَوَائِبُ الظُّلُمَاءِ مِنْهُ تَطْيَبُ
قَالُوا الصُّبُوحُ فَقُلْتُ قَرَّبَ كَاسِهِ إِنِّي لِمَهْدِيهَا [بِهَا] أَتَقَرَّبُ
لَا تَسْقِي اللَّبْنَ الْحَلِيبَ فَإِنَّ لِي فِي كُلِّ دَالِيَةٍ ضُرُوعًا تُحَلِّبُ
وَذَخِيرَةً لِلْعَيْشِ مَرَّةً لِعَمْرِهَا عَدَدٌ يَشُقُّ عَلَى يَتَدِي مِنْ يَحْسَبُ
دَبَابَةً فِي الرَّأْسِ يَصْعَدُ سَكْرُهَا فَتَجِدُّ مِنَّا بِالْعُقُولِ وَتَلْعَبُ

١ الديوان : ٥٥٩ (عن الذخيرة) .

٢ الديوان : ٥٤٢ (عن الذخيرة) .

دارت بعقلي سَورةٌ من كاسها حتى كان الأرض نحى لولبُ
 باكرتها والليلُ فيه حُشاشةٌ يستلها بالرفقِ منه المغرب
 والجوُّ أقبَلَ في تراكبِ مُزْنِه قُزَحٌ بعطفةِ قوسه يَتَنَكَّبُ
 صابتُ فأضحكتِ النديمَ بأَكُوسِ عهدي به من نقطهنَّ يقطب
 والبشرُ في شُربِ المدامةِ فارتقب منها سرورَ النفسِ ساعة تعذب^١

فصل في ذكر الوزير الحكيم أبي محمد المصري^٢

شيخُ الفتيان ، وآبدةُ الزمان ، وخاتمةُ أصحابِ السلطان ، وكان رحل
 إلى مصرَ واسمُهُ خامل ، وسماؤه عاطل ، فلم ينشب أن طرأ على الأندلسِ
 وقد نشأ خلقاً جديداً ، وأجرى إلى النباهة طلقاً بعيداً . فتَهَادَتْهُ الدول ،
 وانتهت إليه التفصيلاتُ والجمل . وكلّما طرأ على ملك فكأنّه معه ولده ،
 وإيَّاه قَصَدَ ، فجرى مع كلِّ أحد ، وتموّلَ في كلِّ بلد ، وتلوّنَ في

١ كذا في ص ، وأحسب صوابه : « تقرب » .

٢ هو عبد الله بن خليفة القرطبي ، المعروف بالمصري ، قال ابن سعيد : لطول اقامته بمصر ،
 وأنكر ابن حيان أن يكون ابن خليفة (وكان ابن جار له) قد تعدى في رحلته العدو ،
 وأنحى عليه بالذم عند الحديث عن الشعراء الذين أنشدوا قصائدهم في الاعذار الذنوبي (ص :
 ١٣٧ ، ١٣٩) وقد دافع عنه الحجاري في المسهب ، وذمه ابن اللبانة في كتابه « سقيط الدرر »
 لأنه لم يكن وفياً للمعتمد بعد خلع (انظر ترجمته في المغرب ١ : ١٢٨ وفيها اعتماد كثير على
 الذخيرة ؛ وراجع أيضاً الخريدة ٢ : ١٩٣ والمسالك ١١ : ٦٦ ؛ وأجرى ذكره في القلائد :
 ٦ والمطمح : ١٥ وله أشعار في النفع) .

العلوم^١ تلون الزمان ، وتلاعب بالملوك بأفقنا تلاعب الرياح بالأغصان ، حتى ظفر به المأمون بن ذي النون ، فشدّ عليه يد الضنين ، فوجد كنفاً سهلاً ، وسلطاناً غفلاً ، فسرّ وساء ، وارتمى في أيّ الدواوين شاء ، وكان بالطب أكلف ، وعليه أوقف ، فتعلق بسببه ، حتى اشتهر به ، ولم يكن من النفوذ فيه حسباً استذاع عنه الخبر ، خلا أنه كان — زعموا — بصيراً بطب النظر ، وكان مع ما يحمله من هذا الفن حسن البيان مليح المجلس ، حاضر الجواب كثير النادر ، راوية^٢ للشعر والمثل السائر ، نسابة للمفاخر ، عارفاً بالمثالب والمناقب . وقفت له على شعر مجموع ، عاطل أكثره من حلي البديع ، وكان بالجملة روضة أدب ممتعاً للمجلس ، وهيهات أن يأتي الدهر بمثله . وقد وصفه ابن حيان ، في فصل قد أثبتته في أول هذا القسم من الديوان^٣ .

فلما انصرفت الدولة الذنونية ، تميّز أبو محمد إلى اشبيلية ، فأنس المعتمد بمكانه ، وجعل له حظاً من سلطانه ، ولم يزل في من يتردد عليه ويغشاه ، حتى أشجاه من الخلع — حسباً وصفناه — ما أشجاه . وبقي أبو محمد على حاله ، مشتملاً بفضل جدّه وإقباله ، غير مستريب بدهره ، ولا منكر لشيء من أمره ، ممتعاً بآلاته ، مقبلاً على لذاته^٤ ، إلى أن توفي سنة ست وتسعين منتصف رجب الفرد .

وعلى ذكره ، فقد أجريت طرفاً من نظمه ونثره ، منبهاً على مكانه ، ومُشهِداً على ما وصفت من شأنه .

١ المغرب : العالم .

٢ ص : رواية .

٣ انظر ما تقدم : ١٣٧ ، ١٣٩ .

٤ ص : لذاته .

فصل له من رقعة خاطب بها المعتمد بن عباد ، وقد خرج عنه إلى مالقة ،
قبل القبض عليه ، واستفتحها بهذين البيتين ^١ :

رحلتُ وفي القلبِ جمرُ الغضا
كما تهجرُ النفسُ حرَّ الطعامِ

وهجري لكم دون شكّ صوابُ
إذا [ما] تساقطَ فيه الذباب

وهذا المعنى مشهور ، قد اندرج منه في تضاعيف هذا التصنيف كثير ،
مثل قول بعضهم :

وَتَجْتَنِبُ اللَّيْثُ وَرُودَ حَوْضٍ إِذَا كَانَ الْكَلَابُ يَلْعَنُ فِيهِ
كَمَا سَقَطَ الذَّبَابُ عَلَى طَعَامٍ فَتُرَكُّهُ وَنَفْسُكَ تَشْتَهِيهِ ٢

كُتِبَتْ وَقَلْبِي مُتَقَلِّبٌ عَلَى جَمْرِ الْغَضَا ، أَحْرَّ مِنَ الرَّمْضَا ، وَصَلْتُ
فَقَطُّعْتُ ، وَسَاحَتْ فَقُوبِحْتُ ، وَارْتَفَعَ عَلَيَّ الْبَاطِلُ فَمَا سَوَّحْتُ ، حَمَيْتُ
بِقَرْطَةِ أَهْلِكَ وَبَنِيكَ ، وَحَفَدْتُكَ وَذَوِيكَ ، أَصْبَيْتُهُمْ فِي مَنْزِلِ عَالِي الْحَيْطَانِ ،
وَتَبَّقَ الْأَرْكَانَ ، فِي شَهْرِ كَانُونٍ ، دُونَ كَنٍّْ وَلَا كَانُونٍ ، وَلَا مَا يَدْفَعُ عَنْهُمْ
رَيْبَ الْمُنُونِ ، أَكْفُ الرِّزَايَا تَصَافِحُهُمْ ، وَتُجَوِّبُ الْمُنَايَا تَضَاجِعُهُمْ ، لَا يَمْنَعُهُمْ
مِنَ الْقَرِّ شَعَارٌ ، وَلَا يَخْجِيهِمْ مِنْهُ [٢١] ، فَانْفَذْتُ الْفَرَشَ وَآلَتَهَا ، وَمَا يَتَعَاقُ
بِجَهَاتِهَا ، وَافْتَقَدْتُ بِالطَّرْفِ ، وَفُتِّقْتُ بِالْتَحْفِ ، وَصَنَنْتُهُمْ صَوْنَ الدَّرِّ
وَالسَّوَادِ فِي الْأَحْدَاقِ ، وَالْأَضْوَاقِ فِي الْأَعْنَاقِ ، وَمَنْ عِنْدَكَ

٣ : النظر المغرب ١ : ١٣١ والشريشي ٣ .

٢ مقتبس من قول الأول :

إذا وقع الذباب على طعام نبت يدي ونفسي تشهيه

يعلم هذا ولا ينكره ، ويشكره ولا يكفره ، وما كانت لك عليّ نعمة فأرعاها ،
ولا سطوة فأخشاها ، وإنما فعلت ذلك بالجوهرية التي ركبها الله في نفسي ،
والطبع الذي جبل عليه حسّي :

ولكنّ أشخاصَ المعالي خفيّةٌ على كلِّ عينٍ ليس تُبصرُ باللبّ
فهل سبق لأحدٍ مثلُ هذا الوفاء ، أو كان له شكلُ هذا الولاء ، فإن قيل
إن السموأل أتى بمثله وشكله ، فليس الخبر كما ظن ، ولا الأمر كما احتسب .

ومن شعره في أوصاف شتى

قال :

أقام لي بلسان الخُلْفِ أعذارا	ريمٌ إذا رمتُ أن أحظى بموعدهِ
أصار قلبي لخيّل المهجرِ مضمارا	وإن تلتفتُ لاستتزالِ سورتِهِ
خطّت يدُ الشوقِ في الأحشاء أسطارا	إذا تذكّرتُ أياماً لنا سلفتِ
ودمعهُ فوق روضِ الوردِ قد حارا	قال الوشاةُ ودمعُ العينِ منحدرٌ
أما ترى الدرّ بالمرجانِ قد جارا	يا مُجريّ الدمعِ من عينيهِ في ذهبِ
من العجيبِ فؤادٌ يحرقُ النارا	النارُ يحرقها قلبي بزفرتِهِ

وقال :

إلى سوادِ القلبِ والخطيرِ	يا ناظراً قد سلّ من ناظري
زادك [زاد] الكلفِ الساهرِ	طيفك لما نامَ عن زويتي

ظَلَمْتَ أَضْحَى لِي بِلَا مَرِيَّةٍ مَوْثِرًا فِي خَدِّكَ النَّاصِرَ
مَا أَرْفَقَ اللَّهُ بِأَهْلِ الْهَوَى إِذْ صَيَّرَ الْجَوْرَ عَلَى الْجَائِرِ

وقد تقدم مثل هذا المعنى لعبد الجليل حيث يقول^١ :

دَعَوْتُ دَعَاءَ مَظْلُومٍ عَلَيْهِ فَعَلَّقَ مِنْ عِذَارِيهِ الذُّنُوبَا

وقال^٢ :

الْحُبُّ دَاءٌ دَوَاؤُهُ الْقُبْلُ	وَالرُّسْلُ بَيْنَ الْأَحْبَةِ الْمَقْلُ
يَا حَفِظَ اللَّهُ لَيْلَةَ سَلَفَتِ	حَيَّتْ بِبَدْرِ سَمَاوِهِ الْكَلَلُ
بَتْنَا وَرَاحُ الْعَفَافِ ^٣ تُلْحَفُنَا	بُرْدَ وِفَاءٍ وَالشَّمْلُ مَشْتَمَلُ
اِثْنَانِ مِنْ شِدَّةِ التَّعَانُقِ قَدْ	صَارَا كَفَرْدٍ بِالرُّوحِ يَتَّصِلُ
لَوْ أَنَّ جَوْدَ السَّمَاءِ أَمْطَرْنَا	لَمْ يُصِبِ الْأَرْضَ نَحْنُ بِلَلُ
حَتَّى إِذَا غُرَّةُ الصَّبَاحِ بَدَّتْ	وَجَفْنُهُ بِالْعَبِيرِ مَكْتَحِلُ
فَارَقْنِي وَهُوَ خَائِفٌ وَجِيلٌ	نَشْوَانٌ مِنْ خَمْرَةِ الصَّبَا ثَمَلُ
عَيْنَايَ مِنْهُ قَرِيرَةٌ أَبَدًا	وَالنَّارُ بَيْنَ الضُّلُوعِ تَشْتَعِلُ

وقال :

قَالُوا الصَّدِيقُ شَقِيقُ النَّفْسِ قُلْتُ لَهُمْ إِنَّ الصَّدِيقَ مَعَ الْعَنْقَامِ قَدْ طَارَا

١ انظر القسم الأول : ١٤٥ باختلاف في الرواية .

٢ المغرب ١ : ١٢٩ - ١٣٠ .

٣ ص : ونار الحجاب ؛ وأثبت ما في المغرب .

اسمٌ لعمري بلا جسمٍ ولا نَفَسٍ إلاً كلاماً بزورِ القولِ قد سارا
فما ترى غيرَ من يسقيك من يده أرباً وفي قلبه قد أضمر النارا
فنادمِ الكُتُبَ ما عُمِرتَ إنَّ لها عندي وعيشيكَ أسراراً وأخبارا

ومن قصيد له في ابن حماد بلقين أوله :

الرأي يسبقُ وَقَعَ الصارمِ الذِّكْرُ والعزمُ يفصلُ بينَ الخُبْرِ والخَبْرِ
والناسُ قد جمعوا في أصلِ خلقتهم لكنهم فترقوا في اللَّبِّ والنظرِ
كالنَّورِ أولُّهُ نارٌ وبينهما من التفاضلِ ما يَخْفَى على البشرِ
كما تهْدَى ابنُ حمَّادٍ وقد طَلَعَتْ طلائعُ السَّعدِ تحدوها يدُ القدرِ
والناسُ قد رجَّموا الأقوالَ من حَذَرٍ وقال بعضهمُ هذا من الغررِ
حتى إذا أظلمَ الخطبُ المهمُّ لهم جَلَوَتْهُ بصباحِ البيضِ والسمَرِ
ليس الجسومُ لها صبرٌ ولا جِلْدٌ وإنما الصبرُ بالأرواحِ والفكرِ
لا تَلْقَ دهرَكَ إلا راكباً خطراً فإنما تُبْلَغُ العلياءُ بالخطرِ

بيته الثاني ، من متداولات المعاني ، ومنها قول الأول ² :

الناسُ أخفافٌ وشَتى في الشَّيَمِ وكلُّهُمْ يجمعهم بيتُ الأَدَمِ

وأخذه التهامي فقال ³ :

١ ص : البلاد .

٢ المعاني الكبير : ١٢٥٣ واللسان (أدم) وفصل المقال : ١٩٧ والصدقة والصديق : ٢٨

٣ ديوان التهامي : ٥٧ .

الناس متفقون في « إيرادهم وتفاضل الأقسام في الإصدار

وقوله : « ليس الجسوم لها صبر » . . . البيت ، هو شبيه بقول الآخر :

فالعبدُ أصبرُ جسماً والحرُّ أصبرُ قلباً

وقال من أخرى [يمدحه] ويذمُّ بني رباح :

أبا المنصور ما للدهر عَيْنٌ	سوالك فوارها فهو الصلاحُ
ولا تشعْرَضْنِ ^١ إلى رباحٍ	فأعدى ما على العينِ الرياحُ
إذا حَلَفْتَ رِياحُ فاتهما	ورأسُ الحنثِ ما حَلَفْتَ رِياحُ
قَبِيلَةٌ لها في اللؤمِ بأسٌ	وعند المكرَماتِ لها جِماحُ
سبالُ اللؤمِ لا كانت سبالُ	وجوهُ الذلِّ والحدُّ الوَقاحُ
أناسٌ في مفارقهم قرونُ	ولكن بالفِقاخ هو النطاحُ
ولا تتزوجنَّ لهم بينتِ	فللسودانِ عندهمُ مراحُ
بأرجلهنَّ يستغفرنَّ دأباً	فأرجلهنَّ في الدعواتِ راحُ

وذكرتُ^٢ بمعنى هذا البيت الأخير منها خبراً أورده بعضُ الرواةِ

عن شاعرٍ أنشدَ زُبَيْدَةَ بنتَ جعفرٍ شعراً قال فيه : [١٢٢]

١ ص : تعرض .

٢ ابن خلكان ٢ : ٣١٥ والمفوات النادرة : ٣٧ وغرر الخصاص : ١٤٣ (ط / ١٣١٨)

والبيتان وحدهما في عيار الشعر : ٩٢ .

أزبيدةُ ابنةَ جعفر طوبى لزاثيركِ المثابِ
تعطينَ من رجلِكِ ما تُعْطِي الأَكْفُ من الرّغابِ

فجعل عبيدُها يقرعون رأسه فقالت : دعوه فإنه أراد خيراً فأخطأ ،
وهو أحبُّ إلينا ممن أراد شراً فأصاب ، سمع قولهم : شمالكِ أُنْدَى من
يمين فلان فظن [أن هذا مثل ذلك] ^١ .

وله من أخرى يستأذن في الجواز إلى الأندلس :

فيا أثلاثَ الجَزَعِ من مَرَبَعِ الحمى فؤادي على تلك الرسومِ ينوحُ
فعلَّ أبي ^٢ المنصورُ يُدْني بِسَعْدِهِ ركباني منها إنه لَسَتْرُوحُ

ومنها :

فسرَّ إنما العلياءُ شخصُ مصوَّرٌ وأنت له دونَ البريةِ روح
أثبتَ بآيٍ ^٣ أعجزتُ كلَّ عالمٍ كأنك من بعد المسيح مسيح
ولو جيتُ للانصافِ ما جيتُ مادحاً لأنَّك من نَجْرِ السَّماحِ صريح
ومن أصبحتُ [فيه] المكارمُ جوهرأ بلا عَرَضٍ فالمدحُ فيه قبيح
ولكن رأيتُ الشعرَ يثبتُ ذكرُهُ فلا غَرَوُ أن يُهدى إليك مديح

١ بياض في ص ، وأثبت ما عند ابن خلكان .

٢ المعروف : « أبا » ولكني أبقيته على حاله ، إذ لعل الشاعر هنا يحاكي قول كعب بن سعد
الغنوي (وهو شاهد نحوي) « لعل أبي المغوار منك قريب » .

٣ ص : بآية .

وله من أخرى في باديس بن حبوس^١ :

رَسَخَتْ أَصُولُ عِلَاكُمْ تَحْتَ الثَّرَى وَلَكُمْ عَلَى خَطِّ الْمَجْرَةِ دَارُ
تَبْدُو شَمُوسُ الدَّجْنِ مِنْ أَطْوَاكُمْ وَتَفِيضُ مِنْ ثِنْيِ^٢ الْبَنَانِ بِحَارُ
إِنَّ الْمَكَارِمَ صُورَةٌ مَعْلُومَةٌ أَنْتُمْ لَهَا الْأَسْمَاعُ وَالْأَبْصَارُ
ذَلَّتْ لَكُمْ قِيمَتُ الْخِلَاقِ مِثْلَمَا ذَلَّتْ لَشَعْرِي فَيْكُمْ الْأَشْعَارُ
فَمَتَى مَدَحْتُ وَلَا مَدَحْتُ سِوَاكُمْ فَمَدَحْتُكُمْ [فِي] مَدْحِهِ إِضْمَارُ

وهذا من قول أبي نواس^٣ :

وإنْ جَرَّتِ الْأَلْفَاظُ يَوْمًا بِمَدْحِهِ لَغَيْرِكَ إِنْسَانًا فَأَنْتَ الَّذِي نَعْنِي

وأخذه المتنبي فقال^٤ :

وظَنُّونِي مَدَحْتُهُمْ قَدِيمًا وَأَنْتَ بِمَا مَدَحْتُهُمْ مُرَادِي

والمصري^٥ أيضاً القائل ، من قصيدة كأخواتها طويلة دون طائل ، أولها :

دَعِي لَوُؤْمِي فَمَا أَنَا بِالْمَلِيمِ وَلَا مِنْ هَجَرِ سَلَمَى بِالسَّلِيمِ

يقول فيها :

١ المغرب ١ : ١٣٠ .

٢ المغرب : بين .

٣ زهر الآداب : ٩٢٣ والصناعتين : ٢٠٨ والوساطة : ٣١٨ وديوان أبي نواس : ٦٦ .

٤ ديوان المتنبي : ٨٠ .

وإن شئت اختبَارَ الناسِ جهراً
فَجَرَّبَ مَنْ تَشَأْ مِنْهُمْ عِيَاناً
فإن لم [تُلَفِّ] ذلك مستحيلاً
فقلْ إني دعيّ في نزارٍ
رأينا معشراً لبسوا ثياباً
لهم دورٌ مشيدةٌ []
ولم تكُ بالتجاربِ بالعليم
وقد أصبحتَ في بُردَي عديم
وترعى منه في مرعى وخيم
ولإني ضدّ لقمان الحكيم
مجدّدةٌ على عِرْضِ رميم
وأفعالٌ مُحيلاتُ الرسوم

ومن المدح :

وما يحتاجُ يومَ الحربِ جيشاً
وإن أبقى لهم فرعونُ سحرأ
فإن عِداهُ كالزَّرْعِ الحطيم
ففي يدهِ عصا موسى الكليم

وقد تقدم إلى هذا المعنى أبو نواس بقوله ، ونذكر خبراً يتعلّق بذيله ^١ :
كان أبو نواس قويّ البدنه ، ويرتجلُ كلَّ ما يقولُ ولا يُروّيه ، فقال له
الخصيبُ يوماً وهو يمازحهُ بالمسجدِ الجامع ، أنت في الشعرِ غيرُ مدافعٍ
ولا منازع ، ولكنك لا تخطبُ ، فقام من فوره يقولُ مرتجلاً :

منحتكم يا أهلَ [مصرَ] نصيحتي
رماكم أميرُ المؤمنينَ بحية
فإن يكُ باقي سحرِ فرعونَ فيكمُ
ألا فخذوا من ناصحٍ بنصيبٍ
أَكولُ لحياتِ القلوبِ شروب
فإن عصا موسى بكفّ خصيب

١ انظر الخبر والشعر في بدائع البداه : ٣٣٣ وديوان أبي نواس : ١٠٣ .

٢ بدائع : لحيات البلاد .

ثم التفت إليه وقال : والله لا يأتي بمثلها خطيبٌ مِصْقَعٌ ، فاعتذر إليه وأقسم أنه ما قال ذلك إلاّ مازحاً .

وقول المصري : « معشراً لبسوا ثياباً » . . . البيت مع الذي بعده ، ألمّ فيه بقول منصور الفقيه :

لبس الثياب وتشيد القصور وفي تلك الثياب علتها أنفُسُ خَرِبَةٍ
لأَضْرِبَنَّ رجائي ألفَ مَقْرَعَةٍ فيكم وأصلبُ آمالي على خَشْبِهِ

وقال المصريُّ في ابن مجاهد من قصيدة ، يرثي مهراً أخذ له ، وحكي أن الذئب أكله :

وقد أقمْتُ لدهري وهو يظلمُنِي حتى وصلتُ عليّاً سيدَ العربِ
وإن يكنْ ليس منهم في أرومتِهِ فإنّه منهمُ في المجدِ والحسبِ
يا مَنْ إليهِ شكُوناهُ فقال لنا شكوى القتلِ [إلى] الخطيئةِ السلبِ

ومنها :

يا وبيحَ قلبي من دهرٍ تعمَدَنِي بالنائباتِ فلاذتْ بي يدُ النوبِ
حتى بمهرٍ مضيمٍ الكشحِ ذي هيفٍ كأنَّ أجزاءهُ جأبٌ على نَسَبِ
حلوا الصَّهْلَ له في صَوْتِهِ فِتْنٌ كأنه حينَ يَشْدُو بالثَقِيلِ ربي
لولا تشكُّلُهُ في حينِ خلْقَتِهِ بالخيلِ أضْحى مع العِقبانِ في نصبِ
يا يوسفَ الخيلِ يا مَقْتُولَ إِخْوَتِهِ قلبي لفقدك بينَ الحربِ والحَرْبِ
إن كانَ يَعْقُوبُ لم يَقْنَعْ بكذبِهِ [في لاقنَع منهم بالدمِ الكذب [١٢٣]

ومنها^١ :

وما التناسب إن لم تكن أنفُسُ القربى ذوي نسب

وهذا من قول القائل :

..... إذا لم يرافقها انتسابُ قلوبِ

وقال من أخرى^٢ :

..... نفحة الخد جائلُ
لئن كنتَ من درِّ القلائدِ عاطِلاً
فإنَّ الطِّباءَ المشبهيكِ عواطلُ
وكلُّ رسولٍ قد بعث مماتلُ
شَمولاً لها من وجنتيه شمائلُ
سقاني وخذُ الفجرِ يلطمُهُ الضُّحى
بهاراً فأجدي ما علينا الرسائلُ
وأنتَ بمفروضِ الزكاةِ تماطلُ
عليك زكاة من جمال وغرة

ومنها :

فصاح وشاحٌ هز إليك ولكن لم تجبهُ الخلاخل
رعى الله دهرأ قد نعمنا بطيبه
لياليه من شمس الكؤوسِ أصائلُ
لدى روضة غناء غنت قيانها
وجاوبت الألحان منها البلابلُ
ونرجسها [در] على التبر جامد
وقهوتها تبر على الدر سائلُ

١ طلست أجزاء من الورقة هنا فلم أتمكن من قراءة ما وضعت نقطاً في موضعه .

٢ منها بيتان في النسخ ٣ : ١١٨ .

وإن سأل الأقوام عن عرض منزلي فإني ما بين السماكين نازل
وأنتي قد قلدت سيف مآثر له من عليّ المكرمات حمائل
إلى أبيات غير هذه من قصيدة طويلة اهتمت فيها أبو محمد قصيدتي أبي
الطيب والمعري^١ اللتين في وزنها ورويها ؛ وقوله : « عايك زكاة من جمال ... »
البيت ، من قول المعري أيضاً^٢ :

لغيري زكاة من جمال فإن تكن زكاة جمال^٣ فاذكري ابن سبيل
وعلى [ذكر] هذه الزكاة فما أملح ملح البستي في تلك الفقهيات
حيث يقول :

أقول لشادين في الحسن فرد	يصيد بلحظه لحظه الكمي
ملك الحسن أجمع من نظام	فأد زكاة منظر كالبهي
وذلك أن تجود لمستهام	برشف من مقبل كالبهي
فقال أبو حنيفة لي إمام	ويؤنسي لا زكاة على الصبي

وقال الحصري الكفيف في مثله :

وظبي غريب هز أعطافه اللين وسمته ريحان المحب الرياحين

١ قصيدة أبي الطيب مطلعها : « دروع لملك الروم هذه الرسائل » (الديوان : ٣٦٤) وقصيدة المعري : « ألا في سبيل المجد ما أنا فاعل » (شروح السقط : ٥١٩) .

٢ شروح السقط : ١٠٤١ .

٣ ص : جميل .

٤ ص : عزيز .

أقولُ له والحبُّ يُفْثِي برخصةٍ عليك زكاةٌ [ما] ونحن مَساكِينُ
فقال ولم يعلمْ زكاةً أَرَدْتُهَا وكيف أَوْدَيْهَا ولم يحنِ الحَيْنُ
فقلتُ زكاةُ الحسنِ أعني فقال لا أوديكُ^١ فالعشاقُ [ليس] لهم دينُ

جملة من مقطوعات المصري في فنون مختلفة

في صفة قصر طليطلة^٢ :

قَصْرٌ يُقَصِّرُ عن مَدَاهُ الفرقدُ عَذُبَتْ مَصَادِرُهُ وطابَ المورِدُ
نشر الصباحُ عليه ثوبَ مكارمِ فعليه ألويةُ السعادةِ تُعَقَدُ
وكانتما المأمونُ في أرجائِهِ بدرِ تمامِ قابِلَتُهُ أسْعَدُ
وكانتما الأقداحُ في راحاتِهِ درُّ جمادٍ ذابَ فيه العسجدُ

وله في صفة البركة والقبّة عليها^٣ :

شمسيةُ الأنسابِ بدريةُ يحارُّ في تشبيهِها الخاطرُ
كانتما المأمونُ بدرُ الدُّجَى وهي عليه الفلكُ الدائرُ

وله في صفة عود :

١ ص : أعطيك .

٢ نفح الطيب : ١ ٥٢٩ .

٣ نفح الطيب : ١ ٥٢٩ .

يا حبذا العودُ فكم من فتيٍّ باحَ له اليمُّ بأسراريتهِ
 هنتُ عليه الطيرُ رطباً وقد غنتُ به لما قسا جاريه
 فهو على أخلاقِها قد جرى وهي على أخلاقِهِ جاريه

وبيته. الثالث كقول ابن قاضي ميلة^١ :

جاءتْ بعودٍ يُناغيها ويُسعيدُها فانظرْ بدائعَ ما خُصَّتْ به^٢ الشجرُ
 غنتْ على عودِهِ الأطيَّارُ مُفصِّحةً^٣ غصّاً فلمّا ذوى غنّى به البشرُ
 فلا يزالُ عليه أو به طربٌ^٤ يهيجُهُ الأعجمانُ^٥: الطير والوتر

وقال المصري من جملة أبياتِ خاطبَ بها صاحب المدينة يشفعُ للفقير
 البرّ الطليطي :

يا ماجداً أصبحَ من رفعةٍ منزلهُ تحتَ نجومِ الفلكِ
 هذا الفقيه البرُّ ما ذنبُهُ لقد غدا قُبُرةً في الشركِ
 أيُؤخذُ المسكينُ مع فتيةٍ قد عقدوا الأمرَ لحلِّ التَّككِ
 وقارعوا بالبَيْضِ بيضَ الخصى وطاعنوا الأشرارَ [في] المعتركِ

١ ابن خلكان ٥ : ٣٤٨ . والمسالك : ٣٠٤ والثريشي ٣ : ٢٠٥ .

٢ ابن خلكان : ما يأتي به .

٣ ابن خلكان : ساجعة .

٤ ابن خلكان : عليه الدهر مصطخب .

٥ ص : الأصنام .

وهذا مثل ما أنشدني لنفسه أبو بكر الخولاني المنجم ، مما خاطب به بعض الحكماء يشفع للقلمندر^١ ، وقد أخذ في مثل ذلك سكرانا :

إن درء الحدود بالشبهات لحديث رواه [كل] الثقات
ما أراه إلا تناول تفنا حافنمت عليه في الطرقات [١٢٤]
نفحات التفاح والراح والأنثرج للمرء جيداً مشتهات
فتلك الشمائل المخجلات السروض غب الغمام الماطلات
وبعلم إليه مذ كنت تعزى وبصبر تعزى له^٢ وأناة
اعف عنه وأعفه من ثمانين تدمي أعطافه المائسات
وأقل ذنبه وعشرته فهو بمرآه من ذوي الهيئات
وقال :

وشادن طالبتنه قبله فأظهر الإعراض والصدأ
وأرسل الدر على عسجد من سبج فانتظما عقدا
فقلت إذ أبصرته باكياً نرجسة العين سقت وردا
وهذا كقول [الآخر] :

١ هو أبو الأصينغ عبد العزيز البطليوسي ، وكان طبيباً مستهتراً بالخمر وكان يقول : أنا أولى الناس بالآل يترك الخمر لأنني طبيب أحبها عن علم بمقدار منفعتها (انظر المغرب ١ : ٣٦٩ والنفع ٣ : ٥٢ وكتب لقيه فيه « القلندر » ، وورد عند العماد في الخريدة ٢ : ٢٥٨ من لقيه « القمندر » ولكنه كناه أبا بكر) .
٢ ص : إليه .

كَأَنَّ تِلْكَ الدَّمْعَ قَطْرُ نَدَى^١ تَسْقُطُ مِنْ نَرْجِسٍ عَلَى وَرْدٍ

وَقَالَ فِي صَبَاهُ فِي طَرِيقِ بِلَادِ الْمَشْرِقِ وَقَافِلًا^٢ مِنَ الْحِجَازِ^٣ :

أَلَا يَا هِنْدُ قَدْ قَضَيْتُ حُجَّتِي	فَهَاتِ ^٤ شَرَابَكَ الْعَطِيرَ الْعَجِيبَا
فَقَدْ ذَهَبَتْ ذُنُوبِي فِي اللَّيَالِي ^٥	فَقُومِي الْآنَ نَقْتَرِفِ الذُّنُوبَا
خَلَطْنَا مَاءَ زَمْزَمَ فِي حِشَانَا	بِمَاءِ الْكَرْمِ ^٦ فَامْتَزَجَا قَرِيبَا
وَطَافَ بِهَا غَزَالُ ^٧ كَسْرُوِي	طَيِّبُ النَّفْسِ يَدْعُوهُ طَيِّيبَا
أَطَاعَتَهُ الْجِسْمُ فَسَاعَدَتْهُ	كَذَلِكَ يَكُونُ مَنْ مَلَكَ الْقُلُوبَا
بَدَا غُصْنًا وَأَطْلَعَ بَدْرَ تِسْمِ	وَأَضْمَرَ فِي مَآزِرِهِ الْكَثِيبَا
نَرَاهُ فِي تَوَاصُلِهِ بَعِيدًا	وَنَلْقَى وَعْدَهُ أَبَدًا قَرِيبَا

وَقَالَ^٥ :

أَيَّ هَلَالٍ أَطْلَعَ فِينَا	مَطْلَعُهُ الطُّوقُ وَالْحَيُوبُ
كَحَيْلٍ طَرَفٍ ثَقِيلٍ رَدْفٍ	مَبْسَمُهُ ^٦ اللَّؤْلُؤُ الرُّطِيبُ
يَقُودُنَا كَيْفَ شَاءَ طَوْعًا	لَأَنَّ ^٧ أَعْوَانَهُ الْقُلُوبُ

١ المغرب ١ : ١٣٠ ومنها ثلاثة أبيات في الشريشي ٥ : ٣٠٥ .

٢ صوابه : فهااتي .

٣ المغرب : في طوافي .

٤ الشريشي : المزون .

٥ المغرب ١ : ١٣٠ .

وله في بعض إخوانه وقد عذّر غلام كان يهواه :

يا ذا الذي عذّر خلّ له أتحتَ عيشَ العزّ معنى الهوان
لم ينبتِ الشعرُ على خدّه بل دبّ في أعضائه عقربان
رفقاً على نفسك لا تُفْنِها فجوهرُ الأنفُسِ شيءٌ يَصان
وسقّه من مُزّةٍ عتقت لتقتضي الحبّ بلا ترجمان

وله في غلام وسيم رمدت عيناه :

قال خلّتي وجفوني لا تغطّي مقلتيها
سُفِّمُ عينيّ أراه^١ بعثَ السقم إليها
أم ترى توريد خدّي نفّسَ الوردَ عليها
قلتُ لا أدري ولكنّ أنا مِن قتلِي يديها

وقال :

رَمِدَتْ عيني فجاءوا دور رأبي بطبيب
ومضّيبُ العينِ أعمى في مداواةِ القلوب
رمدِي من فَتَقْدِ خِلّتي فأكحلوني بالحبيب

وما أحسن ما قال بعض أهل عصري : وقد تقدم إنشاده :

إذا رمدتْ بحمرته عيون^٢ شفاها منه إثمْدُ عارضِيه

١ ص : أراني .

في ذكر أبي محمد ابن الطلاء المهدي^١

أحدُ أضيافِ المعتمد ، وقد أُجريتُ ذكره في ما مرَّ من هذا المجموع^٢ ،
ووصفت أن شعره عاظمٌ من حلي البديع ، وأفرط في باب الاستعارة
وأبعد ، وخرجَ فيها إلى حيزِ الإضحاكِ بما برد ، كقوله متغزلاً :
• بِقُرَاطٍ حُسْنِكَ لَا يَرْنِي عَلَى عَيْلِي •

وكقوله في الوزير الأجل أبي بكر بن زيدون :
شِبْلِيَّةٌ وابنُ زيدونها أتى في قِراءٍ على شينها
وسمعه ينشد المتوكل شعراً قال فيه :

• أَفَاقَتْ بِكَ الْأَقْطَارُ مِنْ بَرَصِ الْبَلَوَى •
ومن أشبه شعره في المعتمد قوله من قصيدة أولها :
فَتَحَتْ سَعُودُكَ كُلَّ بَابٍ مَغْلَقٍ فَتَهَنَّ ذَلِكَ وَابِقُ يَصْلُحُ مَا بَقِيَ
يقول فيها ومدح ابن عمار حين دخوله بمرسية وخروج بني طاهر منها
حسبما وصفتها :

١ ذكره ابن سمي في رايات المبرزين : ١١٠ (غ) باسم « عبد الله » وأورد له بيتين في
حرشوفة نقلًا عن كتاب « زمان الربيع » للحشفي ، وانظر المسالك ١١ : ٤٥٧ .
٢ انظر القسم الأول : ٨٤٢ .

إِنَّ ابْنَ عَمَّارٍ حَكِيَّ عَمْرُو الْقَنَا
 لَمَّا وَصَلَتِ الْمَغْرِبَ الْأَقْصَى بِهِ
 بِمَصْرَفِ الْجَيْشِ اللَّهَامِ بِحِكْمَةٍ
 يَسْرِي بَنِيَّةَ خَالِصٍ : مَنْ خَلَفَهَا
 وَيَصِيدُ عُنْقَاءَ الْأَمَانِيِّ الَّتِي
 فَبَجُودِهِ وَيَبْأَسِهِ وَيَجِيْشِهِ

ومنها :

يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ السَّعَادَةُ أَطْبَقَتْ
 هَبْطَ الْمَطُوقُ جَبْرِئِيلُ مَنْظَمًا
 مَا غَيْرَكَ الْمَلِكُ الْمَطُوقُ وَحْدَهُ
 مَا دَوْلَةُ إِلَّا وَنَادَتْ بِعَلِّهَا
 فَلْيَعْرِفْ بِالْجُودِ كُلُّ مَشْعُودٍ ١
 الْأَرْضُ كَالشَّطْرَنْجِ فَادْعُ مَلُوكَهَا
 يَا يَوْسُفِي الْحُسَيْنِ وَالصَّدَقِ اسْتَمِعْ
 نَادَتُكَ هَيْتَ لَكَ الْبِلَادُ بِأَسْرِهَا
 وَلَوْ اسْتَطَاعَتْ مَصْرُ إِذْ لَمْ تَدْنُهَا

جَفَنًا عَلَيْكَ فَبْتُ بِجَفْنٍ مُطْبَقٍ
 لَكَ دَرٌّ كُلِّ كَرَامَةٍ فَتَطَوَّقِ
 أَبْدَأْ بِرُوحِ الْقُدُسِ فَاغْتَقِ وَارْتَقِ
 وَافَاكَ مَقْتَضُ الْبِلَادِ فَطَلَّقِ [١٢٥]
 وَيَقَرَّ بِالْإِنْصَافِ كُلِّ مَمْخَرَقِ
 مَا الرِّخُّ فِي حَرَكَاتِهِ كَالْبَيْدِقِ
 أَحْلَى مَحَاوِرَةٍ ٢ وَإِنْ لَمْ تُنْطَقِ
 فَتَنْجَحْ ، أَسِيرُكَ مَنْ يَنَادِي غَلَقِ
 جَعَلْتُ تَقُولُ عَشَقْتُ مَنْ لَمْ يَعْشَقِ

١ ص : مشعوث .

٢ ص : مراوحة .

وجميلٌ صنْعِكَ في البلادِ وأهلها مِغْنِيطُسٌ فَيَجْذِبُ قُوَّتَهُ ثِقِلُ
لكفالكِ أُنْدَلَسُ فَنَفْسُ كُلِّ مَنْ تُرْضِيكَ طَاعَتُهُ وَإِلَّا خَنْقُ
من حمصٍ تَفْتَحُ حَمَصَ غَيْرِ مُدَافِعِ عنها وتَفْتَحُ جِلْدَافاً من جَلَقِ

وأخبرني أبو بكر الخولاني المنجم قال : كتب إليّ أبو محمد المهدي
بهذه الأبيات يستهدي مشروباً^١ :

قل للوزير فتى خولانٍ خولني علمي بفضلِكَ مَسِيْزاً فهو ميزاني
رصدتُ في فَلَكَ الأشواقِ بدرَ هوى له رقيبٌ ثَقِيلٌ مثلُ كيوانِ
فابحث إليّ براحٍ مثلَ ريقته فمثّلها كان يُسْقَى عند رضوانِ

ويا بعد ما بين هذا وبين [قول] بعض أهل عصرنا ، وهو أبو حاتم
الحجاري يستهدي أيضاً مشروباً من الحكيم أبي الأصبغ البلنسي^٢ بقرطبة :

يا من سقاني الكؤوسَ سائغةً وكأسُ أخلاقِهِ غدا أسوغُ
ساعدني للمبيتِ ذو هَيْمَفٍ وذو لسانٍ مستعذبٍ ألثغُ
أبلغتُ في وصفه [على] سَنِي لكنْ رأيتُ السكوتَ بي أبلغِ
وقلتُ والسرُّ لا أبوحُ به من حقِّ هذا الحديثِ أن يَمْضِغِ
ما [إن] ترى ساعةَ الخلوِّ به وقد بداني الشيطانُ أن يَنْزِغِ

١ منها بيتان في المسالك ١١ : ٤٥٧ - ٤٥٨ .

٢- لعله : البطليوسي ، أي القلمندر الذي مر التعريف به آنفاً ص : ٣٥٧ .

والليلُ قد أُسْبِغَتْ ذَوَائِبُهُ على هلالِ فروعِهِ أُسْبِغَ
قهقهتهُ أثناءَ ذاك من ضحكٍ قهقهةَ الحمامِ يا أبا الأصْبَغِ
فَرِشْ جناحي^١ وما قرأتَ فقلْ قوالبُ السحر هكذا تفرغُ

وقال أبو حاتم في مثله :

يا سيدي والنهارُ تبصُّرُهُ منسجمَ الدَّمْعِ مُطْلَقَ الأفقِ
وعنديَ البدرُ قد خلوتُ به وفوقَ خديه حمرةُ الشفقِ
جاذبته الحبلَ فاستقاد وكم برينةَ جرِّيَ الحموحِ في الطلقِ
والخمرُ نعم العتاد سائغةُ لشاربيها مسكيةُ العبقِ
وقد هز زناكَ كي تَوَجَّهَهَا في الشعرِ هزَّ القضيبي في الورقِ

وقال الأديب أبو محمد بن صارة الشنبري^٢ :

أعندك^٣ أنَّ البدرَ باتَ ضجيعي فقضيتُ أوطاري بغيرِ شفيعِ
جعلتُ ابنةَ العنقودِ بيني وبينه فكانت لنا أمّاً وكان رضيعي

١ ص : جوانحي .

٢ النفع ٣ : ٥٨ وانقسم الثاني من الذخيرة : ٨٣٧ .

٣ ص : أعينك .

فصل في ذكر الأديب الفقيه أبي بكر

ابن الحسن المرادي القروي

وإثبات قطعة من أشعاره ، وطريف أخباره

وكان أبو بكر هذا فقيهاً فطناً ، وشاعراً لساناً ، ممن جمع براعة الفقهاء ، وبراعة الشعراء النبهاء ، وتصرفاً تصرف المطبوعين ، وتكلماً باللسنة المجيدتين ، أشعاراً كصفحات البدور ، ودواوين كأتناج البحور ، وتقلب أبو بكر بين السهول والحزون ، تقلب الميل بين أطباق الجفون ، وقلبت دولة من دول ملوك الطوائف بالأندلس إلا وقد ابتغى إليها وسيلة ، وأعمل في المهجوم عليها حالاً وحيلة ، فتنزوي عن مكانه انزواء الخائف من الرصد ، وتغص باحسانه غصص العين بالرمد ، ثم كرت إلى أمراء المرابطين بالمغرب فانخرط في أسلاكهم ، وعرض بنفسه على أملاكهم^١ ، ووقع آخراً منهم إلى محمد بن يحيى بن عمر ، فاقتعد صهوة منبره ، وولي قضاء معسكره ، وأخذ ينجد وينجور ، وطفق يدبر ويدبر ، وإنما أراد أن يسلك في حمل دول المرابطين ، مسلك عبد الله بن ياسين ، ولم يدرك أنها أقدار محتومة ، وحظوظ مقسومة ، فلم يحصل إلا على بُعد السفر ، وانقطاع العين والأثر ، وتوفي رحمه الله بدكول من بلاد الصحراء ، حيث لا يروق وجه النهار ، ولا يحمّد صوب القطار .

وقد أخرجتُ مما وجدتُ من شعره ونثره ، ما يستخفُّ رواسي الجبال ،
ويستوفي ضروب [السحر] الحلال .

فصل له من رقعة كتبها عن بعض الأمراء جواباً عن كتاب ورد من
بعض العمال الجهال يهول فيه : وقفنا على كتابك الذي طال فقصر ،
وكبر جرمه فصغر ، صدّرته بنون التعظيم . وسطرته بمجديك الحديث
والقديم ، وخاطبتنا فيه بالألفاظ الحمائية ، التي تخاطب بها غوغاء الرعيّة ،
ارجع - أصلحك الله - عن هذا الأدب . وتأدّب في خطابك لذوي الرتب ،
فقد أطعنا فيك [١٢٦] سلطان الحكم : لانتسابك إلى اسم العلم .

واجتاز على مدينة مرسية في مدة رياسة الكاتب الماهر ، أبي عبد الرحمن
ابن طاهر ، فأنزله هنالك بدارٍ اتفق أن يدخلَ فيها قبل أن تُفرش له ، وابنُ
طاهر قصد ذلك ، ليرى ما يأتي من بديته هنالك . فكتب إلى ابن طاهر رقعةً
قال فيها : بيد أني نزلتُ هذا المنزل الحديد بالرحل القديم ، نزول السفّر ،
بالبلد القفر ، فهو معمورٌ ، إلّا أنه بور . وما هو إلّا أنه مُحيلٌ ٢ قليلُ
السكون والغموض ، كثير البراغيث والبعوض . لفقد الستور ، ويرضي
البراغيث فقد السرير : الطول والعرض ، والسماء والأرض ، فقد كثر
رطبه ، وقلّت نمارقه وبسطه ، قراعتي ٣ في أكنافه : ﴿ منها خلَقناكم
وفيها نُعيدُكم ومنها نُخرجُكم تارةً أخرى ﴾ (طه : ٥٥) .

١ ص : خاطب .

٢ ص : غيل .

٣ ص : فراني .

وبلغه عن بعض الشعراء بمصرية أنه هجاه . فبعث إليه رجلاً كان
يتصرف له يعرف بابن المقدم فصفعه فاستعلى عليه ابن طاهر . فكتب إليه
المرادي بأبيات منها قوله :

تعرضني كلبٌ بهجويٌ مخذلٌ^١ كفي السكارى أو هراً المبرسمِ
فأنفذتُ من وقتي إليه سحائباً من الصفعِ يحدو وقدّها ابنُ المقدمِ
فحامتُ عليه كالجرادٍ تساقطت من الجوّ في أنوارِ روضٍ معممِ
وغنى دويّ النعلِ في صحنِ رأسه « ألا عسم صباحاً أيها الربعُ واسلم »

وكان بالمرية مؤدّبٌ يسمى وليد بن عبد الوارث وينيز بالبصري كان
يقول بقدم الحروف . فألف المرادي في ذلك رسالةً راداً عليه وقصيدة
قال فيها :

لا درّ درّ سخافنة شعاء جاء بها الوليدُ
كفرٌ تكادُ له الجبا ل على ثقاتها تميدُ^٢
قلّ للرئيس الأحوـ ي ورأيه أبدأ سديد
حقّ المؤدّب فادّعى من بينهم ما لا يجيد
مكتّموه من الكلا م وجهله أبدأ يزيد
وتركتموه مسرّحاً أين السلاسلُ والقيودُ ؟
أغلا الحديدُ بأرضكم أم ليسَ يمكنه الحديدُ

١ ص : محول .

٢ ص : مقالتها (دون إعجام التاء) تبديد .

وكانت بينه وبين الشيخ أبي محمد عبد العزيز التونسي مناقضة في مسائل
من العلم ، فسافر المرادي عن أغمات ، وكتب عند رحلته إليه بهذه
الآبيات :

قلْ لعبد العزيز يكثرُ من بعدِ يَ ما شاءَ منه قِيلاً وقالاً
وتشجعْ ما غبتُ عنكَ فإننا قد ضربنا لك الأمثالا
« وإذا ما خلا الجبانُ بأرضٍ طلبَ الطعنَ وحده والتزالا ،

وسايرَ المراديُّ يحيى بن بانو^١ بسجلماسة . فاتفقَ أن سقطَ كاتبٌ له
كان يكنى بأبي الأصبع عن دابته ، وقام بأثرٍ جرحٍ في وجهه ، ثم اتفقَ
أن سقطَ إثرَ ذلك أيضاً المراديُّ وقامَ دونَ أثرٍ عليه ، فقال أبو الأصبع :
وهذا الفقيه أيضاً قد سقطَ ؛ فقال المرادي من جملة أبيات :

فشتانَ بين وقوعي أنا وبين وقوعِ أبي الأصبعِ
فذاك سقوطُ يشجُّ الوجوه وهذا سقوطٌ كما ينبغي

١ يحيى أحياناً « فانو » (انظر البيان المغرب ٤ : ١٠٣) .

الأديب أبو الحسن البغدادي المعروف بالفكيك^١

من جملة هذه الطائفة الطارئة المذكورة^٢ ، على الجزيرة - ومع بديهة كانت له قوة ، توفي على الرويّة ، استهدم^٣ عدة قصائد ، لغير واحد ، من أهل الشام والعراق ، وغيرها من تلك الآفاق ، وكان مع ذلك حلّو الحوار ، مليح التندير ، يُلهمي ويضحك من حضر ، ولا يضحك هو إذا ندر . وفيه يقول النحلي^٤ :

لو بيع يوماً فكيكٌ وبينَ فكيه دُرّة
ضربتُ من يشتريه بخربة ألفَ مرّة

وكان الفكيك قصيراً دميماً، ورأيتُه يوماً قد لبس طاقاً أحمر على بياض ، وفي رأسه طرطوراً أخضر، وقد عمّمْ عليه عمّة لازوردية، وهو ينشد بين يدي المعتمد شعراً قال فيه :

وأنتَ سليمانُ في مُلكِهِ وبينَ يديكَ أنا المهددُ

فأضحك من حضر :

١ انظر نفع الطيب ٣ : ١١٩ (وفيه نقل عن الذخيرة) ونقل المقرئ حكاية المضحك البغدادي في مجلس المنصور بن أبي عامر وسماه « الفكيك » ، وهو خطأ لأن الفكيك لا يمكن أن يكون قد أدرك عهد المنصور (انظر ما تقدم في هذا القسم ص : ٢٨)

٢ ص : المذكورين .

٣ استهز في .

٤ ترجمته في القسم الثاني : ٨٠٩

وسمعته أيضاً ينشد في جملة قصيدة في المعتمد^١ :

أبا القاسم الملكُ المعظمُ قدَرُهُ سواك من الأملاكِ ليس يعظمُ
لقد أصبحتُ حمصاً بعدك^٢ جنةً وقد أبعدت عن ساكنيها جهنمُ
ولي بحماك الربع عامٌ وأشهرُ أزخرفُ أعلامَ الثناء وأرقمُ
وأنفقتُ ما أعطيتني ثقةً بما أوَمِّلُ فالدينارُ عندي درهمُ
وقلبي إلى بغداد يصبو وإنني لنشرِ صباها دائماً أتنمُ

وكنْتُ يوماً بدارِ أبي بكر الخولاني المنجم باشبيلية مع لمة من الأدباء ،
فأفضى بنا الحديثُ إلى ما للشعراء من مُلح التضمين [١٢٧] في المديح والمجاء ،
فأنشد بعضهم ما حضره من تضمينات الحمدوي^٣ في الطليسان وشاة سعيد ،
وأنشد آخر قولَ القائل في الحسن بن وهب . وتضمن بيت مهلهل^٤ :

وسألتني عن الحسن بن وهب وعمّا فيه من كرمٍ وخيرٍ
فقاتٌ هو المهدّب غير أني أراه كثير إرخاءِ الستور
وأكثرُ ما يغنيه فتاهُ حسينٌ حين يخلو بالسرور
« فلولاً الريحُ أسمع من بحجرٍ صليلَ البَيْضِ تُقرَعُ بالذكور »

١ النفع ٣ : ١١٩ .

٢ بعدك : لم يبق منها في ص إلا « لك » .

٣ ص : الحمدي ، والحمدوي (ويرد في المصادر « الحمدوني ») هو اسماعيل بن ابراهيم بن

حمدويه وكان كثير النظم في طليسان بن حرب وشاة سعيد (انظر طبقات ابن المعتز : ٣٧١

والأغاني ١٢ : ٦١ والوأي ٩ : والقوات ١ : ١٧٣ وابن خلكان ٧ : ٩٥) .

٤ زهر الآداب : ٢٣٤ والفيث ٢ : ١٢٣ .

وأنشد بعضهم قول الآخر ، وضمن بيت النابغة فقال ^١ :

يا سائي عن خالدٍ عهدي به رطبُ العِجانِ وكُفَّتهُ كالحلمدِ
« كالأقحوانِ غداةٍ غيبَ سَمائِهِ جفَّتْ أعالِيه وأسفلُهُ ند »

فدخل الفكيك ونحن من هذا الحديث المستطرف على طرف ، فقال :
أحسنُ من جميع ما أنشدتم أبياتٌ زعم أنه قالها في البديع يهجوهُ وهي :

رأيتُ البديعَ على أربعٍ وقد عاينته عيون البشرِ
يقولُ وقد شرَّعتْ خلفه كَماءُ الفحولِ رماحَ الكَمَرِ
« فلا وأبيك ابنة العامريِّ لا يدَّعي القومُ أنني أفر »

فكان الجماعة لم تنجبه لكثرة حمقه ، وفجاجة خلقه ، ثم حركت الفكيك
أريحية العُجب لسكوتِ أهلِ المجلس عنه هنالك ، فكأنَّه غاظني ذلك ،
وقلت : لم تأتِ أنت بشيء ، ومن حَضَرَ لم يصمتْ عنك ، وإنما أردت أن
تخذو حذو كاتب بكرٍ حيث يقول وضمن بعض أبياتٍ لامرئ القيس ،
فقصرت عنه وهو قوله ^٢ :

حديثُ أبي الفضل شيءٌ نكُرٌ إذا ما تذكَّرْتُهُ أَفْشَعِيرُ
مررتُ به وعليه الغلامُ ومن خلفه ذنبٌ مستطر

١ الفيت : (نفسه) والإيجاز والإعجاز : ٨٧ وقد نسب فيه لأبي الحسن اللحام الحراني ، كما نسب
في رفع الحجب ١ : ٩٧ لابن الرومي ، وانظر الذخيرة ١ : ٣٠٨ .

٢ ما جاء مضمناً في الأبيات فهو من قصيدة لامرئ القيس في ديوانه : ١٥٣ وما بعدها .

« فلا وأبيك ابنة العامري » ما هاب مني ولم يزدجر
فقال وقد قامَ عنه الغلام وماذا عليك بأن تنتظر
فقال أرى رجلاً واقفاً فقال هُبْلَتْ أَلَا تنتصر
« فلو أن قيساً وأشباعها وكندة حولي جميعاً صبر »
لما رمت أو تنقضي حاجتي « ولا يدعي القومُ أني أفر »
فوليتُ عنه على خجلةٍ « فتوباً نسبُ وتوباً أجر »
وراكبه فوقه مثلما « أكبَّ على ساعديه النمر »

فلما انتهيتُ إلى آخر هذا الوصف ، سكت ولم ينطق بحرف .

ومن شعر الفكيك - على زعمه - قوله من قصيد أوله ١ :

معاهدهم حَلَّتْ رُبَاكِ عُهُودُ وَحَلَّتْ عَقُودَ الْمَزْنِ فِيكَ رَعُودُ
وأبكتْ عيونَ السحبِ فيكَ رَوَائِحُ تَضاحِكُ أَغْوارُ بها ونجود
وحاكتْ لكِ الْأَنْواءُ كُلَّ مُلَأَةٍ عليكِ بها من رَقَمِهِينَ برود
بها نثرت كَفُّ الصبا لؤلؤ الندى فَمِنْهَا بِأَجْيَادِ الْغُصُونِ عَقُود
وحَيَّا نَسِيمُ الْوَدِّ آرامَ رَمْلَةٍ وَحَيَّا حَواءَ عَالِجٍ وَزُرُود
فَكَمْ مِنْ عَمِيدٍ فِيهِ قَلْبَ قَلْبِهِ على جَمْرِ نارِ الشوقِ وهو عَمِيد

ومنها :

١ منها أبيات في النفع ٣ : ١١٩ - ١٢٠ .

وقفنا بركبِ الوجدِ نبكي معالماً
وقبّد إنسانَ العيونِ جمالُها
بكي بعدهمُ حولاً وأوسعَ عذره
وذريّ^١ على ربعِ العقيقِ دموعه
شهدتُ وما تغني شهادةُ عاشقٍ
ومنها :

إذا قابلوه قبلوا تُربّ أرضيه
وقد حازهم نقصٌ وأصبح قدره
سهرت وأحداقُ النجومِ رقودُ
وقد هزّ منك الله للملّكِ صارماً
وربعكُ مخضّرٌ به ينبُتُ الغنى
وله من أخرى^٤ :

لأَيّةٍ حالٍ حالٍ عن سُنّةِ العدلِ
ولا خَطَرَتْ ذكري سُلُوٍ بخاطري
ولم أصغِ يوماً في هواه إلى العذلِ
ولا طَمِعَتْ نفسي لما عنه لي يُسلي

١ ص : وأوشح .

٢ ص : وروى ، وأثبت ما في النسخ .

٣ ص : قال .

٤ منها أبيات في النسخ ٣ : ١٢٠ .

إذا كان لا يرضيك إلا منيتي
وليل كأن الأنجم الزهر نرجس^١
على زهرات كخمل القطر مرهها
كأن عليل^٢ الطل فوق عيونها
وكم عطر الروض^٣ النسيم كأنه
يجرد من غمد الندى صارم الحيا
وكم ميسم من جود يمناه عاجل
تملكت رقتي بالعوارف منعماً
وأنسيتني أرض العراق ودجلة^٤
فيا قاتلي من قتلتني أنت في حل^٥
به في رياض فتحتها يد^٦ الطل^٧
سقتها ندي المزن^٨ عللاً على نهل^٩
دموع التصابي حرن في الأعين النجل^{١٠}
نسيم^{١١} نشيد الملك في الحزن والسهل^{١٢}
فتضرب^{١٣} يمناه به عنق^{١٤} البخل^{١٥}
لراجي نوال منه في جهة المطل^{١٦}
وأغنيتني بالحدود عن كل ذي فضل^{١٧}
وربعي حتى ما أحن^{١٨} إلى أهلي [١٢٨]

وكان يرهق في دينه ، فأفضت به الحال ، في اشيلية إلى الاعتقال ،
فمن شعره في المعتمد وهو مسجون :

أيا ابن عبادة الملك الذي يده^١
أضحى مديحك في درع العلا عطرأ^٢
وكنتم أحسد^٣ إما^٤ كنتم أنشد^٥
فمن رأى شاعراً في السجن مطرأ^٦
ناديت^٧ حلمك والأقدار^٨ حائمة^٩
من فيضها الرزق^{١٠} بين الخلق مقسوم^{١١}
به تنفّس مشور^{١٢} ومنظوم^{١٣}
فالיום ها أنا بين الناس مرحوم^{١٤}
في ظلمة وهو بالبهتان^{١٥} مظلوم^{١٦}
كصاحب الخوت نادى وهو مكظوم^{١٧}

١ ص : عليا : النفع : بقاء .

٢ ص : ما .

فاحلل بيمنك^١ ربق الأسرع عنقي فأنْتَ بالفضل والإفضالِ موسوم

ومن أخرى في ذلك :

يا محيياً بنداه مَيّتَ آمالي	ومصلحاً في فسادِ الدهرِ أحوالي
إني لأعجبُ من سجنٍ به أَمِيتُ	نفسي من الخوفِ في عريّسِ رثبال
ولم أر فيه مثلَ السيفِ أغمده	من انتضاه لأشعاري ^٢ وأقوالي
أمسي وحوالي رجال في الكبول [وهم]	مقترّنونَ بأصفادٍ وأغلال
كم قاتلٍ لي وأثوابي مدنسةٌ	وقد غدوتُ مذالاً مثلَ أذبال
أصرتَ ترفلُ في الأسمالِ قلتُ لهم	أسمالي اليوم بين الناسِ أسمى لي

الأديب أبو زكريا يحيى بن الزيتوني من مدينة فاس^٣

أحد من وفد أيضاً على هذا البلد أيام ملوك الأندلس ، وله شعرٌ بديع ،
وتصرفٌ مطبوع ، وكان حاضر الجواب ، ذكيّ الشهاب ، قال له ابن
زيدون أبو الوليد يوماً ، وهو بين يدي المعتضد وكأنّه استجابه ، أو أرادَ
أن يفحّمه ويخجله : أفاسي أنت يا أبا زكريا ؟ يوهم أنه يسأله عن بلده ،

١ ص : بيمنك .

٢ ص : لأشعار .

٣ ترجمته في جذوة الاقتباس ٢ : ٥٣٦ نقلا عن الذخيرة ، وانظر المسالك ١١ : ٤٥٨ .

وخبأ له^١ فيها شيئاً فهمه يحيى بصفاء خلده . وأجابه سريعاً بفضل توقده ، فقال : منسوبٌ - أعزك الله - فأعجب به عبّاد ؛ ولجّ ابنُ زيدون فقال : نعم الفتى أبو زكرياء ، وفهم ابن الزيتوني تصحيحه ، فصدمه بمثله ، ورماه بشكله ، فقال له - وقبل يده - : عبدك أعزك الله ، فخرج أبو الوليد وتشوّر ، واستخف الطرب جميع من حضر^٢ .

ومن شعره في المعتضد يستنجزه :

سفينة الوعدِ في بحرِ الوفا وقَفَّتْ فامنن بريحٍ من الإنجاز تجريها
وله من قصيدة أولها :

فُكَّتِ الهلالُ بهذا الجمال فتَواسيه وجرحت باللحظ الغزال فآسيه
يقول فيها :

لم أفنِ دمعاً في سواه ولا جرى قلمٌ بغير ثناه في قرطاسه
فلقيتُ من كلني به ما لم يكن لاقى سُحيمٌ من بني حَسحاسيه
ما البحرِيُّ وإن أرقَّ نسيبه وأجادَ وصفَ الرّوضِ في بطياسيه^٣
وأني بتشبيهاً حُسنِ نسيمه ونوادِرِ بصفاتِ عَيْنِ طِماسه

١ ص : وخاله .

٢ حاول ابن القاضي المكتاسي حل هذا الحوار عن طريق التصحيح ، حلاً جزئياً ، ولعله وفق في بعضه فليراجع (عبدك : عندك ، نعم : نعم ، الفتى : الفسا... الخ) .

٣ بطياس : قرية من حلب (انظر ديوان البحرِي : ٢١٤ ، ١١٣٥) .

بأرق من شعري وأحسن موقعا منه الينافي في حلّ أنفاسه
طماس كان ابن أخي ابراهيم بن العباس^١ ، وكان البحري يتولع
بوصف عوره .

[فصل في ذكر] الأديب أبي بكر بن العطار ، الياسي الدار^٢

ويابسة من الجزائر الشرقية ، وهي من الأندلس في سمت دانية ، وهو
من جملة من لقيته وأنشدني شعره ، ولم أحفظ منه عند تحريري هذه النسخة
إلا أبياتا من قصيدة في المعتمد أولها :

بحدّ عزمك نصّلت القنا السّلبا قدما وأجتجت في ماء الطبا لها

يقول فيها في صفة البحر وجواز المعتمد له في وجهته إلى أمير المسلمين
وأنشدها يوم أنشده عبد الجليل قصيدته البرمكية المتقدمة الذكر :

كيف اضطربت به قدست^٣ من جبل لو دكت الأرض من حوايه ما اضطربا

١ اسمه أحمد بن عبد الله بن العباس وهو عم أبي بكر الصولي (انظر ديوان البحري: ١١٢٧ والحاشية)

٢ انظر المسالك ١١ : ٤٥٨ والمغرب ٢ : ٤٧٠ أبو بكر العطار (يحذف كلمة ابن) والنفع

٤ : ١٠ وفي عنوان المرقعات : ٣٠ من اسمه عبد الله بن محمد العطار ولا أظنه هو لأن

المترجم به اسمه في النفع « محمد » ولعبد الله العطار أيضاً ترجمة في المسالك ١١ : ٤٣٢

وهو من شعراء الأندلس ، فهو على هذا ليس من يابسة .

٣ ص : قد سدت ، والتصويب عن المسالك .

وضاق حتى لو استنهضت طَرفَكَ أن
 وكان كالسيفِ أَلَقَتْ^١ فوق صفحته
 وكان من بعض ما أهدت مكارمهُ
 من كل أشوس سامي الطرفِ منجردٍ
 إلى نجائبٍ خوصٍ في حقائبها
 يهوي بمتخذٍ الماذي من دَرَقٍ
 إذا استطالَ رماحَ الخطِّ قَوْنَسُهُ
 فدُسُ^٢ [فديتَ] بخيلِ الله أنديةً
 واجلُ الظلامِ بوقادِ الفرندِ كأنْ
 يروقُ مضطرباً ماءُ الصقالِ به
 ولا تردَّ حديدَ الهندِ ذا وضوحٍ
 تفرُّ منه الليالي الغرُّ عن لعسٍ
 ولا تحلَّ يداً من كعبِ ذابلةٍ

ومنها :

فالأرضُ تَقْلَقُ من جيشٍ قفلت به
 جيشٌ إذا ما [قتامُ] النقعِ جَلَلَتْهُ

يَحْتَابُ طامِحَهُ في وثبةٍ وثبا
 مدارجُ [الريح] من تكسيره^٢ شُطبا
 سوابقُ^١ لو تباري بارقاً لكبا
 قيدِ الأوابدِ سَبَّاقٍ لما انتدبا
 ماشت من شرفٍ يستنفد الحقبا
 إذا استخفَّ الكماةَ البَيضُ واليلبا
 سما فأدرك من أطرافها العذبا
 للشركِ تصطامِ الأوثانِ والصُّلبا
 في صفحته [جمعت] المامواللهما [١٢٩]
 كأنه جدولٌ هبَّتْ عليه صبا
 حتى يرى بنجيمِ الكفرِ مختصبا
 تحالُ إفرندة من فوقه شنباً
 إلّا لتملأها نهذاً وقد كعباً

والجوُّ يعرُّ فيه من قنأ وظبا
 كانت سيوفُك نارا والعدا حطبا

١ ص : ألفت .

٢ ص : تكسره .

من كل ملتئم والبيض سافرة^١
جمت مياه وجوه القوم فاتخذوا
وليس ينفك^٢ من سحب تظلاته^٣

ومنها في صفة الزورق :

يبدو على الموج أحياناً وتضميره^٤
أمطاك^٣ عزمك منه متن ساجدة

وله من أخرى^٤ :

أقسمت بالزرق والهندية الدلق
لأنت بدر سماء الممالك تحرسه^١
وأنت يا فتوح عن فتح خصيت به
جاء البشير به تذكو ذلائله^٢
فراق أعيننا [ما] في صحيفته
والجيش قد جعلت أبطاله^٣ مرحاً
هزت نواصيتهما لما قفقت بها

والشمس قد كُست من قسطل حجبا
من الحياء على أبقارها نقبا
إن لم تكن رهجا كانت دخان كبا

كالأينم يعتسف^٢ الأهضام والكثبا
خلت الحباب على لباتها لها

والأعوجية والمهرية التلحق
شهب الأسنه عن إصغاء مسترق
وعم كلاً عموم العارض الغدق
كأنما المسك مذرور على الطرق
كأنه شعير في عارض يفتق
تختال عن خيلاء السبق العتق
قب البطون لما فيها من التلحق

١ المسالك : تنفك . . تظللها .

٢ ص : تستعف .

٣ التفح : أمطيت .

٤ منها بيتان في المغرب والمسالك .

هي البحور ولكن في كواثبها^١ عند الكريمة منجاة من الغرق
إذا تسعرت الهيجاء أحمدها ما في معاطفها من ندوة العرق
وله من أخرى^٢ :

يا حبذا شهب الذوابل ما اعتلى
والبيض سافرة الوجوه كأنما
تشدو بهام المشركين فيعتري
والبحش مضطرب البنود كأنه
ثابت في طلب العدو مغاوراً
فصدرت والإسلام فوق جبينه
والكفر منحطم الفقار بعنقه
فتسّموا قلل الجبال وعنده
هيهات يعجزه العدو لو أنه
وإذا أقام على الرضى في بلدة
من نور وجهك فوقها لألاء
لحدودهن من اللقاء حياء
أذن الهدى لغنائها إصغاء
تحت العواصف لجة خضراء
حتى اشتكى التأويب والاسراء
وضح تضاعف عن سناه ذكاء
خضع وفي أجفانه إغضاء
أن البسائط والجبال سواء
فوق اليفاع فريدة عصماء
ربّ النبات بها وماج^٣ الماء

١ الكواثب : جمع كاثبة وهي من الفرس قدام المرج .

٢ أورد العمري منها ثلاثة أبيات .

٣ ص : وضاح .

فصل في ذكر [ابن القابلة السبي^١]

وأنشدت لعبد الله بن القابلة السبي^٢ :

الشيبُ في مفرقٍ حلا وعقدَ عهدِ الملاحِ حلا
وكان كالآبنوسِ رأسي فاحتله عاجبهُ فحلتي
وحرمتُ وصلي الغواني وقُتُنَ قتلُ العميدِ حلا

وكان ابنُ القابلة^٣ هذا يوماً مع ابنِ عبادة بالمرية ، فنظر إلى غلامٍ وسيمٍ شديدٍ البياض يسبحُ بالبحر ، وقد تعلّق بأحدِ المراكب ، وبقي نصفُ جسده بالماء ، فقال له ابن عبادة :

انظرْ إلى البدرِ الذي لاحَ لك

فقال ابن القابلة :

١ سقط عنوان الفصل من ص ، وهذا قد يفسر كيف أن العمري في المسالك لم ينتبه إلى أن ابن بسام قد انتقل إلى ترجمة جديدة ، ولهذا أدخل العمري بيتي شعر لابن القابلة في ترجمة ابن العطار الياسي ؛ وحين أراد أن يترجم لابن القابلة عقد له ترجمة مستقلة (١١ : ٢٢٩) واعتمد في هذه الترجمة على عنوان المرقصات : ٣٠ وهي قاصرة على ثلاثة أبيات له وردت أيضاً في الدرة المضية : ٨٧ ؛ واسم ابن القابلة عبد الله ، ولا بد من أن نفرق بينه وبين ابن قابلة آخر ليس سبياً وهو محمد بن يحيى الشلطي (المغرب : ١ : ٣٠٠)

٢ الشريشي ١ : ٦١ .

٣ انظر القصة في بدائع البدائع : ٨١ والنسخ ٣ : ٦١٠ ، ٤ : ١٣ .

في وسطِ اللّجةِ يجلو الحلّكُ

قد جعل الماء مكانَ السما واتخذ الفلّك مكانَ الفلّك

وأنشدت له ^١ :

ووجهٍ محبٍّ ^٢ رقّ حسناً أديمه يرى الصنبُ فيه وجهه حين ينظرُ
تعرّضَ [لي] عند اللقاء به رشاً تكادُ الحميتا من عيانه تعصرُ
ولم يتعرّضْ كي أراه وإنما أرادَ يريني أن وجهي أصفر

وأنشدت له يصف القتلى ^٤ :

تركتهم نهبَ الفلاة وحشيتها شعورهم شعث وأوجنتهم غبرُ
تظلُّ سباعُ الطير عاكفة بهم على جثثٍ قد سلّ أنفُسها الذعرُ
وقد عوّضتهم من قبورٍ حواصلًا فيا من رأى ميتاً يطيرُ به قبر

وهذا كقول التهامي ^٦ :

١ انظر المرقصات والدرة المضية والمسالك والغيث ٢ : ٢٥٩ . ورفع الحجب ١ : ١٨٣ .

والشريشي ٤ : ٧٨ .

٢ ص : وجه محبي ؛ في أكثر المصادر : ووجه غزال ؛ الغيث : ووجه مليح .

٣ في المصادر : تقطر .

٤ منها بيتان دخلا في ترجمة ابن العطار الياسي في المسالك ١١ : ٤٥٩ .

٥ ص : لم عل جثة .

٦ لم يردا في ديوانه .

حمتهم قبور من ذئاب وأنسر تروح بأشلاء الدفين وتفتدي
فمن حامل فوق البسيطة ملحداً وآخر يهوي في السماء بملحد

قال ابن بسام : إلى هذا المكان انتهى ما انتخبته من أشعار هذه الفرقة
الوافدة من المشرق ، على بلاد هذا الأفق . ونتلوه إن شاء الله بأخبار من
وعدنا أن نأتي بذكره من أعيان أهل الآداب . وأعلام الشعراء والكتاب ،
ممن كان [١٣٠] بالمشرق ومعاصراً لطبقة هذا الكتاب ، وقد قدمت السبب في
اجتلاب أخبارهم ، وانتخاب أشعارهم . . .

ملحق القسم الثاني (قراءات النسختين ك ل) ١

١١ : ٨	هي كانت قاعدة (ك)
١١ : ١٥ - ١٦	لأولي العقول وذوي العلوم (ك)
١٣ : ٣	ولا مشيراً إليه (ك ل)
١٨ : ١٨	إلا وبه شيء راتب (ك)
٢٠ : ٦	فهتكت أستارها وخربت ديارها (ك)
٢٠ : ٩ - ١٠	هذه الغزاة : : وتجاوز البلاء برعيته (ك)
٢١ : ٨	واستخرجوا بذلك ما ادخروه (ك)
٢١ : ١٣	فلا يقاثل الأعداء (ك)
٣٢ : ٨	فمن ذلك قوله وذكر فتح رندة (ك)
٣٩ : ٥	بأي شيء صنع (ك)
٤٠ : ١	لم تُجره الوفادة (ك)

١ انظر القسم الثاني ص: ٨٥٥ في وصف هاتين النسختين ، ولم أذكر في هذا الملحق ما تخل به كل نسخة منهما ، ولا ما تشترك فيه مع النسخ الأخرى ، [فعل وجه الجملة تلتقي (ك) بالنسختين (ط د) كما تتفق (ل) مع النسختين (م س)] ولم أدرج في هذا الملحق أيضاً القراءات التي لا وجه لصحتها فذلك عبء لا مجال له هنا ، وإنما أثبت قراءات محتملة أو بعض زيادات تنفرد بها النسختان ، وهذه الزيادات - فيما عدا بضعة مواطن - لا تضيف كثيراً إلى المعنى ، ولكن لإثباتها أمر تفرضه أمانة التحقيق . لهذا أرجو القارئ ألا يعتبر هذا الملحق في معظمه تصويهاً لأخطاء ، وإنما هو وفاء بمتطلبات العمل ، والتزام بالدقة العلمية .

- لا يجد إلا رائثاً (ك) ٤٢ : ١
- زاد في (ك) بعد السطر السابع : ٤٨ :
- فالتنفس جازعة والعين داعية
والصوت منخفض والطرف منكسر
وبعد السطر العاشر :
- قوم نصيحتهم غش وجههم
بغض ونفعهم ان صرفوا ضرر
يميز البغض في الألفاظ إن نطقوا
ويعرف الحق في الألفاظ إن نظروا
(وانظر ديوان المعتمد : ٣٨)
- وحذراً من حضور الوفاة (ك) ٥٦ : ٩
- قبل القبر ومرغ جبينه (ك) ٥٨ : ٤
- رواهما الرواة على روي اللام (ك) ٥٩ : ١٢
- وعند ذلك أيضاً قال (ك) ٦٨ : ١
- ما أعجب الحادث (ك) ٦٨ : ٨
- زاد في (ك) بعد السطر : ٨٠ : ١٢
- يا ضيف أفقر بيت المكرمات فخذ
في ضم رحلك واجمع فضلة الزاد
ويا مؤمل وادبهم ليسكنه
خف القطين وجهف الزرع بالواد
وأنت يا فارس الخيل التي جعلت
تختال في عدد منهم وأعداد

لما دنا الوقت لم تخلف له عسدة	
وكل شيء لميقات وميعاد	
والنوح يتبعها (ك)	٨١ : ٣
عبد الله بن أبي سعيد (ك)	٨١ : ١٥
وصحت منابته في الكرم (ك)	٨٦ : ٨
ومن كلام المحدثين مما أجروه فجرى (ك)	٩٢ : ٨
من تأويل الدواوين (ل)	٩٦ : ٥
تقول في كل معنى (ك ل)	١٠٧ : ٩
غربت ألبابنا (ك ل)	١٠٩ : ٣
وقال أبو عامر (سقطت لفظة الوزير في ك ل)	١١١ : ٣
وذوي الرياسة والفهم (ك)	١١٣ : ٣
وقد أخرجت من نظمه ونثره ما يشهد بنبله وفهمه (ل)	١٢٥ : ٨
وقد اقتضبت من الرسالتين بعض فصول (ك)	١٢٧ : ٥ - ٦
فإن لكل واحد منها (ل)	١٢٨ : ٢
وقوام أمرها به (ل)	١٣٠ : ١٢
ولما أن قرأته (ك ل)	١٣٠ : ١٥
فليس يرغب في الحرام (ل)	١٣٨ : ١٨
بالله من شيطانك استعذ (ل)	١٤٢ : ٣
كما تجاوب أطيّار بأشجار (ك ل)	١٥٠ : ١٠
عاطني أكّوس المدام (ل)	١٥١ : ٣
وأختار ذيبا (ل)	١٥١ : ٦
سهل للناس هذا السبيل (ل)	١٥١ : ١٢

وما يتشبت بهذه الأسباب (ك ل)	١١ : ١٥٢
يخرج بي عن المقصود (ك)	٩ : ١٥٥
خذ جري للنعيم فيه (ك)	١١ : ١٦٥
إلى البدر صاحبي (ك)	١١ : ١٧١
فتعطيني العطاء المضاعفا (ك)	٩ : ١٧٧
يخر وجلباب الدجى يتمزق (ل)	١٥ : ١٧٨
كل مرأى ومسمع (ك)	١٧ : ١٨٣
بمرأى عينك نفس أريب (ك ل)	١٧ : ١٩٣
أو كانت للمجد روضة (ل)	٤ : ١٩٤
وإماماً في سائر التعاليم محفوداً (ك ل ؛ قلت :	٩ : ٢٠٠
والمحفود : المعظم الذي يخدمه إخوانه)	
ويصف الشعر (ل ؛ قلت : اقرأ : الشقر وهو	٥ : ٢٠١
شقائق النعمان أيضاً)	
وقد يحرم الرامي المصيب فريضة (ك ل)	١٥ : ٢٠٧
أبي الأصبح بن سيد (ك ل)	١٤ : ٢٠٩
صنعة ثوبها (ك)	٥ : ٢١٤
والكريم إلى سكنه (ل)	١٣ : ٢٢٠
وهي أن أكبر بناته (ك)	٩ : ٢٢٧
تسدّ به بعض خلقتها (ك ل)	١٠ : ٢٢٧
ما وجدت من شعر (ل)	١٥ : ٢٢٩
وتخلى للمعتضد عن أوبة (ل)	١٣ - ١٢ : ٢٣٤
جلالاً وخلالاً (ل)	١٨ : ٢٣٤

وقد علم ما كنا عليه قبل (ل)	٧ : ٢٤٢
قد تحصنوا بالخلق (ل)	٤ : ٢٤٣
ويستبيح الذمار (ك ل)	١٥ : ٢٥٣
تحتفل وتحتشد (ك ل)	٣ : ٢٥٩
الغوي المجيء والمذهب (ك ل)	٦-٥ : ٢٧٥
وتقاصر من غلوه (ك ل)	٣ : ٢٧٧
ورد كتابك منبثاً (ل)	٩ : ٢٨٣
من يرتسم بهذا الشأن (ل)	٥ : ٢٨٦
ولا طفت ولا سعيت (ك)	١٤ : ٢٨٧
يا رسول الله حرمة عبادي بك (ل)	١٦ : ٢٨٧
أسباب الحياة والحيا (ك ل)	٤ : ٢٩١
عليك ظليل (ل)	٥ : ٢٩٢
ولا نجم (ل)	٥ : ٢٩٨
ووصل من مقطوع أنسابها (ل)	٨ : ٢٩٨
يوم تقطع الأنساب والأسباب (ل)	١١-١٠ : ٢٩٨
ولا انسحبت عليه للزمن (ل)	٢ : ٣٠٥
ومطالع علمك (ل)	١٢ : ٣٠٥
ما خصصته به (ل)	١١ : ٣١٠
الدمث الخليقة (ل)	١٣ : ٣١٠
وكريم الاعتداد (ل)	١٣ : ٣١١
الحسيب الأريب أخيك (ل)	١٨-١٧ : ٣١٥
وللآمال في تراخي مدته (ل)	١ : ٣١٦

والله يعوضك منه الغزاء (ك)	٣١٦ : ١٠
لا شيء أعرف من عقل (ل)	٣٢٨ : ١٥
وقد خطبت وخطبت (ل)	٣٢٩ : ٨
ومددت إلى اجتلاء السرور عيني (ل)	٣٣٠ : ٩
وأرب قصي عن فأبرمه (ل)	٣٣٧ : ١٤ - ١٥
وحوم به جناح (ل)	٣٣٩ : ٧
لا يسمن ولا يغني (ل)	٣٤٠ : ١٢ - ١٣
لن تجدوا في غيري مرشفا (ل)	٣٤٢ : ١١
ونجباء الأولاد (ل)	٣٤٤ : ١١
قاس من الأيك أو رطيب (ل)	٣٥٢ : ١
ولا أخفض من الجهارة (ك ل)	٣٥٢ : ١٢ - ١٣
وتستدر جلموداً (ل)	٣٥٣ : ٦
ولا شره المكتسب (ل)	٣٥٦ : ٩
وفي فصل منها (ك)	٣٥٩ : ١
أنا من فرط بري (ك ل)	٣٦١ : ٨
ولو شكت له نبو المتزل (ل)	٣٦٦ : ١٤
ويحوز المعنى الآتم (ك)	٣٦٧ : ٤
رغبة بنفسه عن نحلة (ل)	٣٦٩ : ١٣
نسخ الغدر اقتضاء وفائه (ك)	٣٨٢ : ٢
ما وجدته من شعره (ك)	٣٨٨ : ١
عند وقع المصائب (ك)	٤٠٤ : ١
تدعى بشميس مصفرة (ل)	٤١٤ : ٧

- ٤١٤ : زاد في (ك) بعد سطر : ١١ أبياتاً في هجاء ابن
عمار للمعتمد ، ولا ريب في أنها دخيلة على
الأصل ، لأنها من فاحش الهجاء الذي يتحاشاه
ابن بسام ، وهو قد قال : « وبعده ما أضربت عنه »
- ٤١٥ : ٢ بنظر اشبيلية (ل)
- ٤٢٥ : ٤ ونأى لأبصار العداة (ك)
- ٤٢٦ : ٤ قل لبرق الغمام ظهر البريد (ك)
- ٤٣٠ : ١ على ابن عمار الخائن (ك)
- ٤٣٢ : ٦ من كان تقدم فيه إليه (ك ل)
- ٤٤٠ : ١٢ ولا أمثري في أنها (ك) ... ومن أبلغ حججهم (ك ل)
- ٤٤١ : ٤ - ٥ يتعابرون به أشد منه (ل)
- ٤٤٧ : ٣ بكى صاحبي لما رأى الدرب دونه : . البيت (ك ل)
- ٤٤٨ : ٩ ابن ذريع (ك)
- ٤٤٩ : ٢ - ٣ دفن بمقبرة الروم (ل)
- ٤٥٠ : ١٣ يداعب ابن جهور (ل)
- ٤٥٠ : ١٥ الشهود لما تدعي (ل)
- ٤٥١ : ١ فجئنا ابن جهور (ل)
- ٤٥٤ : ٣ أم حمت الخطوب الموردا (ل)
- ٤٦٢ : ١ ولم أسمع بهذا البيت (ل)
- ٤٧٢ : ١٠ فجلس المعتمد يوماً على تلك البحيرة (ل)
- ٤٧٧ : ٥ - ٦ وسأخذ فيما بعد بطرف (ل)
- ٤٨١ : ١٢ في حساها الغني والألمعي (ك ل)

أبو الحسين بن الجعد (ك)	٣ : ٤٨٧
خافق وجل (ك)	١٢ : ٤٩١
من أهل بلدنا وعصرنا (ل)	٧ : ٤٩٤
يؤتى الأمن من حيث يبتغى (ل)	١٤ : ٤٩٤
من نعت الأصحاب (ك ل)	٣ : ٤٩٦
بوجوه اللوم مخضوب (ل)	٧ : ٤٩٦
أشكو لديك الندى (ل)	٦ : ٤٩٩
في سلطانها النكد (ل)	١٣ : ٥٠١
وقال أبو محمد الايادي (ل)	١ : ٥٠٧
بطشة تنسي الأعادي (ل)	٥ : ٥١٠
زاد في (ل) بعد البيت الثالث :	: ٥١١
وأعتبني الزمان فصرت أردى بما أحيا سقاماً واعتللاً	
ومن عجائبه قول جنوب (ل)	١٠ : ٥١٣
تأوي له وتثوب (ل)	١٢ : ٥١٦
زمان ممهتي الصفحتين ضروب (ل)	٢ : ٥١٧
ترقرق عنها الملك (ل)	٧ : ٥١٩
في صفحة شمعة (ل)	٤ - ٣ : ٥٢٠
بالقصر المبارك (ل)	١٢ : ٥٢٠
ولم نظلم (ل)	٧ : ٥٣٤
صديقنا الفاضل أبي الحسن (ل)	١٣ : ٥٣٧
شغفت بها (ل)	١ : ٥٣٩

والا زياد يحوك الخطب (ل) ؛ قلت : وهذه	٣ : ٥٣٩
قراءة جيدة)	
فتبقى سمحة القياد (ل)	٤ : ٥٤٢
لكن أخبرك عن حال (ل)	١٣ : ٥٤٢
المستعين بن هود أعزه الله (ل)	٦ : ٥٤٥
خذك أزهر (ل)	٧ : ٥٤٩
فصعد وتولى (ل)	٧ : ٥٥١
ويزيد على الأيام (ل)	٧ : ٥٥٢
عند الملك الطاهر (ل)	١١ : ٥٥٢
من يمرّ به التسيم (ل)	٢-١ : ٥٥٣
أمتلها فأمّ لها ، وقدّم رجاءها (ل)	٥ : ٥٥٣
أو يدور بنا عليك مدارا (ل)	١٤ : ٥٥٥
وتأني فعلاً وأشرق حسناً (ل)	١٦ : ٥٥٥
حين خططت هذه الحروف (ل)	٣ : ٥٥٩
وختمتها بهذه الأبيات (ل)	٧ : ٥٥٩
له من قصيد أوله (ل)	٢ : ٥٦٤
ونازعتهم حتى فلات (ل)	٩ : ٥٦٥
يتيح الجنى (ل)	١٤ : ٥٦٩
كل فعل يقصر (ل)	١١ : ٥٧٦
بفصول الانعام والاجلال (ك)	١ : ٥٧٧
بهذه العين أبصرت (ل)	٦ : ٥٧٧
لما يجعل المَعذِر في حيز الاعتذار (ل)	١١-١٠ : ٥٧٧

ومن النثر أبرعه (ك)	١ : ٥٨٠
المنتب الذي إليه متتحاه (ك)	٦ - ٥ : ٥٨١
فأحاله هذا بلحناً (ل)	٨ : ٥٨٣
قد عظم الله شأنه (ل)	٦ : ٥٨٥
اعطاء سائل (ك)	١ : ٥٨٧
ابق للعليا تشيد (ل)	٧ : ٥٩٣
مذحيل منك بأذني (ك) ؛ قلت : اقرأ : مذحلّ (ل)	١٥ : ٥٩٧
كم قلت فيه (ل)	٢ : ٦٠١
ولقد أباح لك الهوى (ل)	١ : ٦٠٤
فصكت ضلوعي ... صكة (ل)	٤ : ٦٠٥
ما في الليل من درن (ك)	١٧ : ٦١٩
إما من الجبن أو من شدة الفشل (ك)	٣ : ٦٢١
وبصرع أقراناً (ك)	١٤ : ٦٢١
بعض أهل عصري (ل)	١٤ : ٦٢٤
للين لباس (ل)	٨ : ٦٢٦
يشق علينا ترك مدحك (ك)	١٣ : ٦٢٧
برح الهوى (ل)	١٣ : ٦٣٣
وهيم بأسمائهم السلطان هنيهة (ك ل)	٥ : ٦٣٧
أنظره وهو في السما ينظر (ل)	٧ : ٦٣٨
والأعيان الأدباء ... في الدولة المؤرخة ...	١٠ - ٨ : ٦٣٩
المحيط الرومي والأندلس (ل)	
خمسين مجلداً (ك ل)	١٠ - ٩ : ٦٤٠

في جملة ما سرد (ل)	٧ : ٦٤١
بذلك الألوان (ك ل)	٨ : ٦٤١
ابن شرف القروي (ل)	١٦ : ٦٤١
كتب بهذا القصيد (ل)	١٣ : ٦٤٣
لأنه أنبأ أنه يسهره (ل)	٨ : ٦٤٤
إلا مع وفور النوم (ل)	١٠ : ٦٤٤
فشمرت عن ساق (ك)	١١ : ٦٤٦
على قديم الزمان (ل)	٧ : ٦٤٨
لا على المتصل عنك الآن (ك ل)	١٣ : ٦٤٩
لدهي في جبلته (ك)	٨-٧ : ٦٥٠
وثغره مشغوراً (ل)	١٠ : ٦٥٠
وفرد العصر (ل)	٦ : ٦٥٢
وأخذ بأعنان السماء (ك ل)	٤ : ٦٥٣
وهي من الجزيرة (ل)	٥ : ٦٥٥
رحمه الله يومئذ مشغول (ل)	٤ : ٦٥٦
حسبما تخلص الخبر عنها (ل)	١٠ : ٦٥٦
والأجل يتفحمه (ك)	١٢ : ٦٦١
أسطولاً ضخماً (ل)	٢ : ٦٦٢
ليلة الجمعة [...] من صفر المؤرخ (ل)	١١ : ٦٦٣
في نفر من أصحابه (ك)	١٢ : ٦٦٣
من رؤوس جماعته (ل)	١٦ : ٦٦٣
يبري ظبة السيف (ك)	٣ : ٦٦٩

وهو اليوم ببلدة يابرة (ل)	٩ : ٦٦٩
والأفواهَ ريتاً (ل)	٨ : ٦٧٠
رحمي النسب والأدب (ل)	٧ : ٦٧١
وأبى لفظها ومعناها (ل)	٦-٥ : ٦٧٢
إن كان للكلام إمارة (ل)	٢-١ : ٦٧٣
ما يربي على الديمة (ل)	١٤ : ٦٧٣
اقرأ : وأغوص رباها على الأفراح	٩-٨ : ٦٧٦
لقد حيا نفوسنا بها (ل)	١٠ : ٦٧٦
وأبقى من أرواحها (بعد «أرواحها» لفظة في ل لم أستطع قراءتها)	١٤ : ٦٧٦
في وجوه مائها (بعدها لفظة غير واضحة في ل)	١٥ : ٦٧٦
فأعدي ، واشتكى من الفقر فأشكي ، والممحل :	٥ : ٦٧٧
أنس من السقيا ببعثة الحيا فقال : يا رباها فرحاً بسقياه (ل)	
ما حاسنتُ البقيعَ المزهرَ بحرّة (ل)	٩ : ٦٧٧
مشكورة أياديه (ل)	١١ : ٦٧٧
المصلي بالسابق ، وتطلق الضحى الشارق (ل)	٢ : ٦٧٨
وتجهز كتائبك إلى عديد قليل ، وبديد قليل (ل)	١٧ : ٦٧٨
وما حسبتها إلا تيمة (ل ؛ وكذلك من : ١٦)	٤ : ٦٧٩
ونظمي في ضنك معانيها (ل)	٧ : ٦٧٩
فصل من ترسيل (ل)	٤ : ٦٨٠
إذ الصباية أزكى عتاد (ل)	٢ : ٦٨١

عن كل طبع (ل)	٧ : ٦٨١
من اجتباؤه بأبرّ قسم (ل)	١٢ : ٦٨٢
تفرد بالخلافة (ل)	١٧ : ٦٨٢
تلك الشماثل الواعدة الصادقة (ل)	١٩ : ٦٨٢
[ورحمت] في الأدنا (اقرأ : الأدباء) (ل)	٨ : ٦٨٥
برز العوالي (ل ؛ قلت : والرز : الصوت)	٥ : ٦٨٦
وان يسلم فقد تركت به (ل)	٣ : ٦٨٧
حباً عليها جآجيا (ك ل ؛ جمع جؤجؤ)	١ : ٦٨٨
على استنجاز طبعي (ل)	٦ : ٦٩٠
راعوا قديم ولائي . . . وما أطرت (ل)	١٣ : ٦٩٥
مثل التاء في الترخيم (ك)	١٢ : ٦٩٦
فلم تبقَ فيها (ل)	١٠ : ٧٠٥
بما خلف الدروع (ك)	١٢ : ٧١٠
بقرية لب على وادي أنه (ل)	٣ : ٧١٢
إلا أن قول أبي محمد أولى بالتقدم منه قول بشر (ل)	١٤ : ٧١٣
والبيض والسمر مثل . . . (ك)	٣ : ٧٢١
وانتدبت بلعفر وابنه (ل)	٣ : ٧٢٣
سحقاً ليومكم سحقاً (ل)	٩ : ٧٢٣
ويح السماح وويح الناس (ل)	١٣ : ٧٢٣
وردها يدعو إلى صدر (ل)	٥ : ٧٢٤
سلام منتصب للأجر (ل)	٦ : ٧٢٤
شنى وذو عبر (ل)	٧ : ٧٢٤

التطيلي في قصيدة يرثي بها السينائي وقتل غيلة فقال (ل)	٧٢٤ : ٨
فأعقب عنها آخر الدهر (ل)	٧٢٥ : ٢
وانثالت في يدك (ل)	٧٢٩ : ١٣
وان لم يكن فشبع وريّ (ل)	٧٢٩ : ١٤
الذي شرف قدره على الأقدار (ل)	٧٣٠ : ٨
إن عنتى سواي وعرها (ل)	٧٣١ : ٣
ولترى أين أقع وتأمر بما أصنع (ل)	٧٣١ : ١٩
يبسط نفسى (ل)	٧٣١ : ٢٠
يا قلب ذب كمداً (المورد)	٧٣٥ : ٨
تأملتني أم المجد (ل والمورد)	٧٣٦ : ٨
سيعديها فيعطفها (المورد)	٧٣٦ : ١٦
خير من الهجر في جهد (المورد)	٧٣٦ : ٢١
ان كنت 'لست' بذى نقص (اقرأ : بغض كما في المورد) (ل)	٧٣٧ : ٧
إلا فت في عضدي (المورد)	٧٣٧ : ٨
من خبل ومن كمد (ل)	٧٣٧ : ١٣
نفثت بالسحر في عقد (ل)	٧٣٧ : ١٥
منه الأسى في السهل والجلد (ل والمورد)	٧٣٨ : ١٤

١ مجلة المورد ٦ : ٢/١٩٧٧ ص : ٣٠١ - ٣٠٤ استدراقات د. محمد مجيد السعيد على ديوان التطيلي .

ووجه الدهر أسحم مظلم (المورد)	١٩ : ٧٣٨
كأنهن العندم (المورد)	٢ : ٧٣٩
تبيينوا ألا أطبق فترحموا (ل والمورد)	٥ : ٧٣٩
وتظلمون يبهدكم (ل والمورد)	٧ : ٧٣٩
اقرأ : فأبت بدمعي ... وأبت بما في مقلتيها	٥ : ٧٤٣
بدت رقة الشكوى على عصفاته (ل)	٩ : ٧٤٣
بالبرس يشب بين القوس (ل)	٧ : ٧٤٧
ليس شعري بمنقص (ل)	٨ : ٧٤٩
مكذوبي النهى والتجارب (ل)	٣ : ٧٥٠
وعدي له الأيام الا نواهب (؟) (ل)	١٩ : ٧٥٠
خاطب بها الوزير الفقيه أبا الحسين (ل)	٦ : ٧٥٤
بعض الريش إلى جناحي (ك)	١٤ : ٧٥٥
وأقرئك من أثناء تلك الدولة (ل)	١٧ : ٧٥٥
ولا أفر إلا لنعمائك (ل)	٧ : ٧٥٦
والله تعالى يبقيك لي ويمليك (ل)	١٠ : ٧٥٦
ومؤديه ناصح مملوكك (ل)	١٢ : ٧٥٦
من علامات الكرام أنه شبيه (ل)	١١ : ٧٥٧
قال الله تعالى فيه (ل)	٣ : ٧٥٩
وجدته أمراً من الزيادة (ل)	٥ : ٧٥٩
من النسر الأشغى (ل)	١١ : ٧٥٩
له بين وردك وباسمينك (ل)	٧ : ٧٦٠
وتنسى على منابر أدواحك (ل)	٨ - ٧ : ٧٦٠

أولى الأمة بذلك نوح (ل)	٥ : ٧٦٢
وهو الوسع المحمود (ل)	٧ : ٧٦٥
بأبيات قال فيها (ل)	١٠ : ٧٦٥
موشومة ، إذا ما تأملتها كالسفن (ل)	٩ : ٧٧١
ولم يترك من بعضها (ل)	١ : ٧٧٣
ثم انبسط أبو بكر (ل)	١٠ : ٧٧٣
وتعاور أطوارها وتناوبها (ل)	٩ : ٧٧٦
إلى هذا النسب الكريم (ل)	٥ : ٧٧٧
فابدعوه بالتحية (ل)	٩ : ٧٧٨
والغريب مثل المنكوب (ل)	١٠ : ٧٧٨
وعلى الطائر أن يغشى أخاه ويراجع (ل)	١٥ : ٧٧٨
على أني إنما أتكبر (ل)	١ : ٧٧٩
ويشرع في وداد (ك ل) ويكشف . . : عن أصل هذا التهاجر (ل)	٣-٢ : ٧٧٩
فذكرك بصفائك (ل)	٦ : ٧٧٩
رواية (ل) في ترتيب الأبيات هي الصحيحة وهي كما يلي :	: ٧٧٩
أبا أيوب والأيام لا تبقى على حال [وان المرء منها بين ادبار واقبال] لئن رحت رخيَّ البال ذا جاه وذا مال ومركوب وغاشية وأقام وأذبال جميع الشمل ملقى الرحل بين الأهل والآل	

وأصبحتُ مقللاً رهنَ إقبال وإذلال	
فإنك حد (الأبيات)	
كسبيل ما وردني الآن به كتابك (ل)	٧٨٣ : ٨
خان بعض الثقات (ل)	٧٨٣ : ١٤
منع الجواز إليها (ل)	٧٩٠ : ١٢
رفعت راياته (ل)	٧٩٢ : ١٥
فلم يتزّن (ل)	٧٩٤ : ٩
بعد السطر السادس ورد في (ل) : وقال آخر :	٧٩٥ :
والثريا في الجو كالعنقود	
رهينة بانصداع الشمل (ل)	٧٩٦ : ٧
ممن نظم الدر المفصل وطبق المفصل (ل)	٧٩٧ : ٢
على الله الثناء (ل)	٨٠٠ : ٩
وللبروق مجامر (ل)	٨٠٠ : ١٥
لم يبقَ للظلم في أيامكم (ل)	٨٠٥ : ٢
تأمن* وتمكف* (ل)	٨٠٥ : ٤
وأنهم في قولهم كاذبون (ل)	٨٠٧ : ٥
قل لي أبا مروان (ل)	٨٠٧ : ٨
إليه واستبسل عساه يلين (ل)	٨٠٧ : ١٢
دراهم ملوك أفقنا (ل)	٨٠٩ : ٤
ماورد (ل : بماء ورد) كان بين يديه (ل)	٨١٠ : ٨
من وثاقه وأذن الله بانطلاقه وله في ذلك قصيدة (ل)	٨١٥ : ٨
يقول فيها (ل)	٨١٦ : ١٢

بعد البيت الرابع (س : ٤) في ل ورد البيت :	٨٢٤ :
أدامت حمامات على فقد إلفها	
وينكر أقوام عليّ دوامي	
ليت الزمان من العثار يقال (ل)	٨٢٧ : ٨
على جيد ما جد (ل)	٨٣٠ : ٩
ومما راعني لم أصدق (ل)	٨٣٢ : ٨
مما انتحاه (ل)	٨٣٤ : ٧
أوحش حلولا من الليل (ل)	٨٣٥ : ٢
وفي مثل ذلك يقول (ل)	٨٣٦ : ٨
أعندك أن البدر بات (ل)	٨٣٧ : ٢
لم أدر (ك) ما جيد الهوى (ل)	٨٣٩ : ١٣
ووسطى في نظام المكرمات (ك)	٨٤٢ : ١٢
حتى حسبنا أديم الماء (ل)	٨٤٣ : ١٢
في غير ما موضع (ل)	٨٤٦ : ٦
يسير بالعدل والأحكام (ل)	٨٤٧ : ١٠
وله من أخرى (ل)	٨٤٩ : ٢
من سروهم شبه الأحجال	٨٤٩ : ٣
في (ل) بعد السطر السابع :	٨٥٠ :
أنا يا ابن حمدين وتلك مقالة	
برئت شهادتها من التجريح	

فهرس الكتاب

١ - فهرس الأعلام

أدريس بن اليماني ١٤٠	- ١ -
أذفونش بن برمند ٨٤	
أذفونش بن فرذلند ١٥٦ ، ١٤٩	آدم ١٧٧
١٥٨ ، ١٥٩ ، ١٦١ ، ١٦٢ ،	ابن أبي دواد ٣١
١٦٣ ، ١٦٤ ، ١٦٥ ، ١٦٧ ،	ابن أبي الزلازل (الحسين بن
١٦٨	عبد الرحيم) ١٧٨
ابن أذين (صاحب الخيل) ١١٧	ابن أبي سمرة الدارمي ١٠٠
الاسكندر ٣٦١	ابراهيم (النبي) ١٧٩ ، ٢١٧
أسماء (في شعر) ٢٨١	ابراهيم الموصلي ١٣٦
أسماء بنت غالب ٦٥	ابراهيم بن العباس الصولي ٣٧٦
اسماعيل بن ذي النون : انظر :	ابراهيم بن محمد ، انظر : ابن السقاء
الظافر ابن ذي النون ناصر الدولة	أحمد البصري (الناهي) ٢١٧
الأسود بن يعقوب ١٩٧ ، ٢٠١	أحمد بن أبي طاهر ٢٩٣
أشجع السلمي ٣٠٦	أحمد بن زياد ٥٧
أشعب الطمع ٢٢٥	أحمد بن فارس المنجم ٧٩
الأصمغين الناصر ٥٧ ، ٥٨	أحمد بن المعتصم ٣٧
أبو الأصمغين البلنسي الحكيم ٣٦٢ ،	الأحنف بن قيس ٣٧
٣٦٣	الأخطل ١٩٧ ، ٢٠٣
أبو الأصمغين الكاتب ٣٦٧	أدريس بن عبد الله العلوي ٣٠٦

ابن الأعرابي ١٢٥	ابن بسام ٧ ، ١٦ ، ٢٠ ، ٢٣ ،
امرؤ القيس بن حجر الكندي ٢٠	٤٤ ، ٥٧ ، ٧٠ ، ١٢٦ ، ١٤١ ،
٣٣ ، ١٤٠ ، ١٩٤ ، ١٩٧ ،	١٤٢ ، ١٤٧ ، ١٤٩ ، ١٦٣ ،
١٩٨ ، ٢٣٣	١٦٩ ، ١٧٥ ، ١٨١ ، ٢٢١ ،
أوس (والد أبي تمام) ١٧٩	٢٣٦ ، ٢٤٩ ، ٢٦٥ ، ٢١٠ ،
إياس القاضي ٣٧	البستي ، أبو الفتح ٢٥٧ ، ٣٥٤ ،
أيوب (النبي) ٢١٥	بشار بن برد ٩٧ ، ٢٠٤ ،
- ب -	بطليموس ١٨٣
باديس بن جبوس ١٢٥ ، ١٧٧ ،	بقراط ٣٦٠
١٩٥ ، ١٩٦ ، ٣٥٠ ،	أبو بكر الخولاني المنجم ٣٥٧ ،
١٨٣ باقل	٣٦٢ ، ٣٦٩
البيضاء ، أبو الفرج ٢٥	أبو بكر المرادي القروي ، أبو الحسن
البحثري (الوليد بن عبادة) ١٩٨ ،	(٣٦٤ - ٣٦٧)
٢٠٧ ، ٢٨٥ ، ٢٩٤ ، ٣٠٧ ،	البكري ، أبو زيد ٥٥
٣٧٦ ، ٣٧٥	بلال بن رباح ١٩٤
ابن بدر ١٧	بلقين بن حماد ٨٩ ، ٣٤٧ ،
بديع الزمان الهمداني ١٩٦ ،	٣٤٩
٢٧٠ ، ٢٥٢	بنفسج العامرية ٤٨
البر الطليطلي الفقيه ٣٥٦	بهار العامرية ٤٧
أبو البركات العلوي ٢٥	- ت -
ابن برلوصة ، أبو عمر ١٦١	تبع ٢٧١

- أبو تمام (حبيب بن أوس) ١٣ .
 ١٤ . ٣٧ ، ١٤١ ، ١٧٥ .
 ١٧٦ . ١٧٧ . ١٧٩ . ١٩٧ .
 ٢٠٦ . ٢٠٧ . ٢٢٣ . ٢٣٠ .
 ٢٣٤ . ٢٣٥ . ٢٩٤ .
 تميم بن أبي بن مقبل ٢٠٢ : ١٩٧
 تميم بن بلقين ٢٨١ ، ٢٨٠
 تميم بن جميل السدوسي ٣٨
 تميم بن المعز ٨٩ ، ٣٢٦ ،
 ٣٢٧
 التهامي أبو الحسن ٢٩٧ ، ٣٤٧ ،
 ٣٨١
 ابن التياتي ١٩ .
- ث —
- ثابت بن محمد الجرجاني ، أبو الفتوح
 (١٢٤ — ١٢٦)
 الثعالبي ، أبو منصور ٨ ، ١٣ ،
 ٢٥ ، ٩٩ ، ٢١٧ .
- ج —
- ابن جابر ١٢٨ ، ١٣٢ ، ١٣٦ .
- جالينوس ١٨٣
 ابن جدار المصري ١٩٨
 الجرجاني (راوية مقامة) ٢١٢ .
 ٢١٣
 جرول (الخطيئة) ١٨٣ ،
 ١٩٧ ، ٢٠٢
 جرير بن الخطفي ٩٨ ، ١٩٧ ،
 ٢٠٣ ، ٢٣٤
 أبو جعدة نهشل ١٩٤ ، ١٩٥ ،
 ١٩٦
 جعفر الصقلي ٦٧
 جعفر بن عثمان المصحفي ، انظر :
 المصحفي
 جعفر بن علي ٢٠٩
 جمل (في شعر) ٢٢٩ ، ٢٦٠
 جميل بشينة ١٩٧
 أبو جنيس ، انظر : الرمادي يوسف
 ابن هارون
 ابن جهور ، أبو الوليد ٢٣٩ ،
 ٢٤٠ ، ٢٤١ ، ١٤٣ ، ٢٤٤ ،
 ٢٤٥
 ابن جهور ، عبد الملك ٢٤٤
 جوذر الفتي ٥٨

- ح -

حاتم الطائي ١٨٣ ، ١٥٨ ، ٣٦١

أبو حاتم الحجاري ٣٦٢ ، ٣٦٣

حاجب بن زرارة ١٧٩

الحاكم الفاطمي ٩١ ، ٩٤

حبيب الصقلي ٣٤

حبيب بن أوس : انظر : أبو تمام

ابن الحديد ، أبو بكر : ١٥١ ، ١٥٢ ، ١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٥٦

ابن حزم ، أبو محمد ١٢٥ ، ١٢٦

حسان بن ثابت ١١٦ ، ١٧٣ ، ١٩٧ ، ٢٠١

ابن حسداي ، أبو الفضل ٢٥٣ ، ٢٥٤

الحسن بن هانيء ، انظر : أبو نواس

الحسن بن وهب ٢٢٣ ، ٣٦٩

ابن حسون ، أبو مروان ٢٨٢

الحسين الفتي ٣٦٩

الحسين بن الضحاك ٣٢٢

الحسين بن علي ١٩٣

الحصري الكفيف (علي بن عبد الغني ، أبو الحسن) (٢٤٥ -

٢٨٣) ٣٥٤

الحطيئة ، انظر : جرول

الحكم (الأول الأموي) ٣٠٤

أبو الحكم الحاجب ٢٥٢

الحكم المستنصر ٥٦ ، ٦٠ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٧ ، ٧٩ ، ١٤٢

الحكيم المصري (عبد الله بن خليفة ،

أبو محمد) ٢٩٠ ، ١٣٦ ، ١٣٧ ، ١٣٩ ، ١٤١ ، ٣٤٢ -

(٣٦٠

ابن حلزة ، الحارث ١٩٧ ، ١٩٩

الخلواني ، أبو الحسن (عبد الكريم

ابن فضال) (٢٨٤ - ٣٠٠)

الحمادان ١٩٦

ابن حماد ٣٠٢

ابن حمام ، أبو اسحاق ٢٤٥

الحمدي (اسماعيل بن ابراهيم)

٣٦٩

ابن حمديس (أبو محمد عبد الجبار)

(٣٠٢ - ٣٤٢)

ابن حمود ١٤٤	ابن خلصة الشلووني ٢٦٨
الحميدي ، أبو عبد الله ١٢٢ ،	خلف بن حسين (والد ابن حيان)
١٢٣	٧٦ ، ٧٥ ، ٦٧ ، ٥٢
أبو حنيفة ٣٥٤	خليدة (امرأة) ٣١٥
ابن حيان المؤرخ ٩ ، ٢٠ ، ٥٠ ،	خليفة المورته (والد الحكيم المصري)
٥٦ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ٦٢ ، ٦٣ ،	١٣٧
٦٨ ، ٧٠ ، ٧١ ، ٧٣ ، ٧٥ ،	خيران العامري ١١
٧٩ ، ٨٢ ، ٨٤ ، ٨٥ ، ١٢٧ ،	- د -
١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٣٢ ، ١٣٣ ،	ابن الدب ، أبو جعفر (أحمد بن
١٣٤ ، ١٣٨ ، ١٤٠ ، ١٤١ ،	سعيد) ١٠ ، ١١
١٤٢ ، ١٤٤ ، ١٤٥ ، ٢٣٨ ،	ابن دراج القسطلي ١٧٠ ، ١٩٨ ،
٢٣٩ ، ٢٤٠ ، ٢٤٣ ، ٣٤٣ ،	٢١١ ، ٢٩٦
- خ -	ابن دريد أبو بكر ٣٢
خارجة السهمي ٢٢٦	دريد بن الصمة ١٩٧ ، ٢٠١
خالد (في شعر) ٣٧	دعبل الخزاعي ١٩٧ ، ٢٠٥
خالد القسري ١٩٠	أبو دلف العجلي ٣١
خالد بن هشام ٦٧ ، ٦٨	الدميني (ابن الدمينه) ١٩٧
الخالدي . أبو بكر ٢٥٦	أبو دواد الإيادي ١٤٧
الخيزر أرزي (نصر بن أحمد)	- ذ -
١٢٣ ، ١٩٨ ، ٢٠٩	ذو الرمة ١٩٧ ، ٢١٩ ، ٢٢٠
الحصيب ٣٥١	

ابن ذكوان القاضي ، أبو العباس	ابن الرومي ٣٧ : ١٩٨ ، ٢٠٨ ،
٤٢ ، ٥٠ ، ٧٥	٢٤٧ ، ٢٩٨ ، ٣٢١
ذو النون (جد بني ذي النون) ١٤٢	أبو الريان (بطل مقامة) ١٩٧ ،
أبو ذؤيب الهذلي ١٩٧ ، ٢٠٣	١٩٨ ، ٢١١
٢٤٧	
ذو الإسرائيلي ١٣٦	- ز -
- ر -	زاوي بن زيري ٨١ ، ٨٢
	الزبرقان بن بدر ١٨٣
	زبيدة بنت جعفر ٣٤٨ ، ٣٤٩
الراعي (عبيد بن حصين) ١٩٧ ،	الزبيدي ، أبو بكر ١٤ ، ١٥
٢٠٢	ابن زرارة ٢٢
رائق (أخو صبيح) ٧١	زرقاء اليمامة ١٨٣
الرباب (في شعر) ٢٧٢ ، ٢٧٨	زهير بن أبي سلمى ١٩٧ ، ١٩٩
الرشيد (هارون) ٢٦٢ ، ٣٠٦	ابن الزيات (صاحب طرسوس) ١٢٦
ابن رشيق ، أبو علي ٢٤ ، ٨٩ ،	ابن الزيات الوزير (محمد بن عبد
١٠٣ ، ١٧٠ ، ١٧١ ، ٢٢٥ ،	الملك) ٥٢ ، ١٧٥ ، ١٧٦
٢٣٠ ، ٢٩١	زياد بن أبي سفيان ٢٦٤
الرضي (الشريف) ٢٣٤ ،	زيادة الله بن مضر الطنبلي ١٩
٢٤٨	زيد الخيل ١٧٨ ، ١٩٧ ، ٢٠٢
ابن الرقاق العاملي ١٩٧	ابن زيدون ، أبو بكر ٣٦٠
الرمادي يوسف بن هارون أبو جنيس	ابن زيدون ، أبو الوليد ١٧٢ ،
١٢٠ ، ٢٩٦	٣٧٤ ، ٣٧٥
الرماح بن ميادة ١٩٨ ، ٢٠٤	

زيري (والد زاوي) ٨٢

- س -

سحبان وائل ١٨٣

سحيم (عبد بني الحسحاس) ١٩٧

٣٧٥

سعاد (في شعر) ٢٢٩

سعدى (في شعر) ٢٢٩

سعدان المؤدب ٤٣

سعيد (صاحب الشاة) ٣٦٩

سعيد بن حميد ٣٠٧

أبو سعيد السيرافي ١٤

ابن السقام (ابراهيم بن محمد أبو

الحسن) ٢٣٧ (٢٣٨ -

(٢٤٥

سقراط ١٨٨

سلامة بن جندل ١٩٧

السلامي ، أبو الحسن ١٠٦ .

١٢١

سلمى (في شعر) ٢٢٠ : ٣٥٠

سليمان (المستعين) ١٠ : ٥٥ .

١٤٣ ، ١٤٢

سليمان (النبي) ٢٤٢ ، ٣٣٤ ،

٣٦٨

سليمان بن حسان النصيبي ٢٣٠

سليمان بن عبد الملك ٣٦

سليمان بن محمد الصقلي (١١٩ -

(١٢٤

السموأل ١٨٣ : ٣٤٥

السميسر ٢٢٧

سيبويه ١٤ : ٢٥٠

سيرين (جارية) ١٧٣

سيف الدولة ٢٣ ، ٢٤

- ش -

ابن الشامي صاحب الخمس ٢٩١ ،

٢٩٢ . ٢٩٦ . ٣١٨

شانحة بن غرسية ٤٥ ، ٧٣ ،

٧٤ . ٨٠ . ٨٤ . ٨٥ ، ٨٦

شانحة بن فردلند ١٦٠

ابن شرف ، أبو عبد الله ٢٣ ،

٢٤ . ١٢٧ ، ١٣٩ ، ١٤٠ ،

(١٦٩ - ٢٤٥) ٢٨٥

شروان شاه ٨٨ : ١١٣ : ١١٤

صريع الغواني ١٩٧ ، ٢٠٥ ،

٢٢٦

ابن صفوان ١٨٣

صمصام الدولة (صاحب صقلية)

٣١٨

الصنوبري ١٩٨ ، ٢٠٨

صيدح (ناقة ذي الرمة) ١٩٧ ،

٢١٩ ، ٢٢٠

ششند ١٦٥ ، ١٦٧ ، ١٦٨

شعيب ٨٣

ابن شماخ ٢٨٨

ابن شهيد ، أبو عامر ٤٠ ، ٤١ ،

٤٢

ابن شهيد ، أبو مروان ٢٦ ،

٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩

- ص -

- ض -

ابن ضابط ، أبو الوليد ٤٤

- ط -

الطائيان (أبو تمام والبحري) ١٩٦

طارق بن زياد ٥٦

طالوت ٢٢٣

ابن طاهر ، أبو عبد الرحمن ٢٢٠

٣٦٦ ، ٣٦٥

الطبري ٣٠٣

الطبري (يزيد بن الطبرية) ١٩٧

ابن الطراوة ، أبو الحسين (سليمان)

٢٤٩ (ابن محمد)

الصابي ، أبو اسحاق ٢٥

الصاحب بن عباد ٢٧٣

ابن صارة الشنتريني ٣٢٢ ، ٣٦٣

صاعد بن الحسن البغدادي (٨ -

٥٦)

ابن الصباغ الصقلي (أبو عبد الله

محمد) (٣٠٨ - ٣٢٠)

صبح أم هشام ٥٩ ، ٦٠ ، ٧٠ ،

٧٢ ، ٧١

صدقة بن يوسف الفلاحي ٨٨ ،

٩١

الصدوق (أبو بكر) ١٤

ابن صروم ١٣٥

أبو العباس السكري الاسكندراني

١٤٤

عباسة (في شعر) ١٧

ابن عبد البر الكاتب ١٦١ ،

١٧٤ ، ١٧٥

عبد الجبار بن حمديس ، انظر :

ابن حمديس

عبد الجليل بن وهبون ، انظر :

ابن وهبون

عبد الحميد الكاتب ٢٥٢ ، ٢٧٣

ابن عبدربه ١٩٨ ، ٢١٠

عبد الرحمن الناصر ، انظر : الناصر

عبد الرحمن بن قاسم الشعبي ،

انظر : أبو المطرف الشعبي

عبد الرحمن بن محمد بن عيسى ،

انظر : ابن عيسى القرطبي أبو

أبو زيد

عبد الرحمن (شنجول) بن المنصور

٤٦ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ٨٦

ابن عبد الرؤوف ، أبو عبد الله ٣٠٤

عبد العزيز التونسي ، أبو محمد

٣٦٧

طرفة الفتي ٥٠ ، ٥١ ، ٥٢

طرفة بن العبد ٣٨ ، ١٩٧ ،

١٩٨

الطرماح ١٩٧ ، ٢٠٤

ابن الطلاء المهدي ٢٨٨

(٣٦٠ - ٣٦٣)

طماس ٣٧٥

أبو الطيب المتنبي ، انظر : المتنبي

- ظ -

الظافر بن ذي النون ناصر الدولة

اسماعيل ١٤٢ ، ١٤٣ ،

١٤٤ ، ١٤٥

- ع -

العاصمي النحوي (محمد بن عاصم)

١٤ ، ٣٣

عامر بن الطفيل ١٩٧ ، ٢٠٢

ابن عبادة ٣٨٠

العباس بن الأحنف ١٢٠ ، ١٢٢

١٩٨ ، ٢٠٦ ، ٢٣٧ ، ٢٤٦

عبد العزيز بن محمد السوسي
(١٢٦ - ١٢٧)
عبد العزيز بن الناصر ٥٧ ، ٥٨
ابن عبد العزيز ، أبو بكر ٢٩٧
ابن عبد العزيز صاحب بلنسية ١٥٦
عبد الغني (ابن الحصري)
٢٧٤ ، ٢٧٧
عبد الكريم بن فضال الحلواني ،
انظر : الحلواني
عبد الله بن مسلمة الوزير ١٠ ، ١١
عبد الله بن ياسين ٣٦٤
عبد الملك الجزيري ، أبو مروان
٣٥ ، ٣٦ (٤٦ - ٥٢)
٦٩ ، ٧٤
عبد الملك المعافري (جد المنصور)
٥٦
عبد الملك بن مسلمة ٥٢
عبد الملك المظفر بن المنصور ٥٠
٥١ ، ٥٢ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ٧٤
٧٥ ، ٧٦ ، ٧٧ (٧٨ - ٨٦)
ابن عبدون ٤٤
عبد يغوث بن وقاص الحارثي ٣٨

عبد ٢٦٣
عبيد بن الأبرص ١٩٧
عبيد الله بن بدر ٧٥
عبيد الله بن طاهر ٣٠٧
العتابي (كلثوم بن عمرو) ٩٧
عثمان بن جعفر المصحفي ٦٥ ،
٦٧
أبو العرب الصقلي (مصعب بن
محمد) (٣٠١ - ٣٠٨)
ابن العربي ، أبو بكر ١٢٢
عرقوب ٢٢٥
عروة بن حزام ٢١٩ ، ٢٢٠
ابن العريف ، أبو القاسم ١٤ ،
١٥ ، ١٧ ، ١٩ ، ٢٠
عزيز ٨٣
العُشي (من الشعراء) ١٩٧ ،
٢٠١
ابن العطار اليباسي ، أبو بكر
(٣٧٦ - ٣٧٩)
عطية (والد جرير) ٢٠٣
عفراء ٢٢٩
عفراء بنت مالك العذري ٢١٩ ،
٢٢٠

عقيل (أحد نديمي جذيمة) ١٩٤	عمارة الصقلي ٣٤
عقيل بن أبي طالب ٢٢٥	عمر بن الخطاب ٢٢٠
علقمة الفحل ١٤٠	أبو عمر الزاهد ٣٢
علقمة بن علاثة ٢٠١	عمران (في شعر) ١١٩
علي (غلام) ١٠٣	عمرو القنا ٣٥١
علي بن أبي الرجال ٢٢٢ . ٢٦٠	عمرو بن العاص ٢٢٦
علي بن أبي طالب ٢١٨ ، ٢٢٠ ، ٢٢٥	عمرو بن معديكرب ٣٧ ، ١٧٩
علي بن الجهم ٣٩ ، ١٩٧ ، ٢٩٦	عمرو بن كلثوم ١١٩ ، ٢٠٠
علي بن حمزة ١٢٦	ابن العميد ٢٥٢ ، ٢٧٣
علي بن العباس الايادي ١٩٨ ، ٢١١	عنرة العبيسي ٥٣ ، ١٩٧ ، ١٩٩
علي بن عبد الغني الحصري ، انظر : الحصري الكفيف	ابن عياش الوزير ٢٧
علي بن القاسم بن عشرة ٣٢٥	ابن عياش اليهودي ٢٥٣
علي بن مجاهد العامري ٨٩ ، ٢٦٣ ، ٢٦٥ ، ٢٦٦ ، ٢٦٧	ابن عياض ٢٨٣
٢٦٨ ، ٣٥٢ ، ٣٥٤	عيسى (بن مريم) ١٨٤ ، ٢٤٩ ، ٢١٥
علي بن وداعة ، أبو الحسن ٥٣ ، ٥٤	عيسى بن سعيد بن القطاع ٥٠ ، ٥١ ، ٥٢
ابن عمار ، أبو بكر ٤٣ ، ٢٩٨ ، ٣٠٦ ، ٣٦٠ ، ٣٦١	ابن عيسى القرطبي ، أبو زيد ١٣٠
	- غ -
	غالب (مولى الناصر) ٦٣ ، ٦٤ ، ٦٥

الفكيك البغدادي ، أبو الحسن
(٣٦٨ - ٣٧٤)

- ق -

ابن القابلة السبتي (أبو محمد)
٢٨٦ (٣٨٠ - ٣٨٢)

قابوس بن وشمكير ٢٥٢

القادر يحيى بن ذي النون ١٢٧ ،

١٢٨ ، ١٤٢ ، ١٤٩ ، ١٥٠ ،

١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٥٦ ،

١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٥٩ ، ١٦١ ،

١٦٢ ، ١٦٣ ، ١٦٧ ، ١٦٨

القارظان ١٩٣

أم القاسم (في شعر) ٩٨

ابن قاضي ميعة ٣٥٦

القالي : أبو علي البغدادي ٩ ، ١٥ ،

القائم الخليفة العباسي ٨٨ ، ٨٩

القراطيسي الكوفي ١٢١

قريط بن أنيف العنبري ١٩٠

ابن قزمان ، أبو مروان ١٩٦

قس بن ساعدة الايادي ٢٦٤

القسطلي : انظر : ابن دراج

غالب بن صعصعة ٢٠٣

غانم بن وليد المخزومي ٢٥٢

غرسية بن شانجة ٣٥ ، ٤٥

غرسية بن فردلند ١٦٠

أبو الغزور (؟) الأعرابي ١٢

الغريض المغني ٢٧

غيلان ، انظر : ذو الرمة

- ف -

فان (فتي المنصور) ٣٤

فائق الفتي ٥٨

الفتح بن المعتمد ٣٢٧٨

أبو فراس الحمداني ١٩٨ ، ٢٠٩

فرتني ٢٧٢

ابن الفرج ، أبو سعيد ١٤٥ ،

١٥١ ، ١٥٢

ابن الفرج : أبو عامر ١٣٠

فردلند ١٤٦ ، ١٤٧ ، ١٦٦

الفرزدق ٣٦ ، ١٩٧ ، ٢٠٣ :

٢٢٦

فرعون ٣٥١

ابن القطاع ، انظر : عيسى بن سعيد

القعيني ، أبو حفص ٣٠٨ ، ٣١٠ ، ٣١٣

القلمندر ٣٥٧

قيس الأخيلية (٩) ٣١٠

القيسان ١٩٤ ، ٢٠٤

قيصر ٢٧٠ ، ٣٣٣

- ك -

كاتب بكر ٣٧٠

كافور الأخشيدي ٥٠

كثير عزة ١٩٧ ، ٢٧٤

ابن كثير ١١٨

كسرى ٢٧٠ ، ٣٣٣ ، ٣٣٤

كسرى أنو شروان ١٢٧

كشاجم ١٠٨ ، ١٩٨ ، ٢٠٨

كعب بن مامة الإيادي ٤٢ ،

١٨٣ ، ١٨٥

الكك البغدادي ٢٨

الكميت الأسدي ١٩٧ ، ٢٠٤

الكندي ، انظر : امرؤ القيس

- ل -

ابن اللبانة ، أبو بكر الداني ٢١٧

لبنى (في شعر) ٢٧٨

لبنى (صاحبة ابن ذريح) ١٩٤

ابن لبون ١٤٥

ليبد بن ربيعة ١٨٤ ، ١٩٧ ،

١٩٩ ، ٣٧٢

لقمان الحكيم ٣٥١

لقمان بن عاد ٢٦٤

ابن لنكك البصري ٢٩٣

ليلي الأخيلية ٢٠١

ليلي العامرية ١٩٤

- م -

مالك (أحد نديمي جذيمة) ١٩٤

مالك بن أنس ٢٨٠

المأمون العباسي ٢٤

المأمون بن ذي النون ٢٣ ، ٢٤ ،

٢٩ ، ٩٠ ، ١١٢ ، ١٢٦ ،

١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٣١ ،

١٣٢ ، ١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٣٥ ،

صاحب الخمس	١٣٦ ، ١٣٩ ، ١٤١ ، ١٤٥ ،
محمد بن أبي عامر ، انظر : المنصور	١٤٧ ، ١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٥٠ ،
الكبير	١٥٠ ، ١٥١ ، ١٦٠ ، ١٧٠ ،
محمد بن اسماعيل ٦٦	١٧٠ ، ٢٩٧ ، ٣٤٣ ، ٣٥٥ ،
محمد بن أفلح ٦٣	المتنبي ، أبو الطيب ١٤ ، ٢٠ ،
محمد بن زريق ١٢٦	٢٣ ، ٢٤ ، ٣٧ ، ١٢٦ ،
محمد بن زكي الأشبوني ١٣٩	١٩٨ ، ٢١٠ ، ٢١٧ ، ٢٢٤ ،
محمد بن طغج ٥٠	٢٩٥ ، ٣٠٧ ، ٣٥٠ ، ٣٥٤ ،
محمد بن عبد الرحمن (الأمير	المتوكل بن الأفتس ١٥٧ ،
الأموي) ١٤٢	١٥٩ ، ١٦٠ ، ١٦١ ، ٣٦٠ ،
محمد بن عبد الملك الزيات ، انظر :	ابن المثنى ، أبو الحسين ١٢٣
ابن الزيات الوزير	ابن مثنى ، أبو المطرف ١٤٠ ،
محمد بن عبد الواحد البغدادي ،	١٤٨ ، ١٤٩ ، ٢٦٧ ،
أبو الفضل (٨٧ - ١١٩)	مجاهد العامري (أبو الجيش) ١١ ،
محمد بن سلمة ٦٦ ، ٦٧	١٣ ، ١٢٥ ، ٢٦٥ ،
محمد بن وضاح ٥٧	مجنون بني عامر ٣١
محمد بن يحيى بن عامر المرابطي	ابن محفور ١٤٥ ، ١٤٦ ،
٣٦٤	المحلقي ٢٠١
ابن المذلق ٢٠١	محمد (الرسول) ١٧٣ ،
مرة بن محكان السعدي ٣٨	١٨٧ ، ٢٠١ ، ٢٤٩ ،
مروان بن أبي حفصة ٢٠٤	محمد السقاء (والد الأمين) ٢٣٩
١٤٤	محمد بن ابراهيم الصقلي صاحب
مروان بن الحكم	الخمس ، انظر : ابن الشامي
أبو مزبد ١٢	

المسيح ، انظر : عيسى بن مريم	أم معبد ٢٠٢
ابن المشاط ١٥٤	المعتز العباسي ٢٦٢
المصحفي (جعفر بن عثمان) ٥٨	ابن المعتز ٣٨ ، ١٩٨ ، ٢٠٧ ،
٥٩ ، ٦٠ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٤ ،	٢٦٩ ، ٢٩٣
٦٥ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ٦٩ ،	المعتصم العباسي ٣١ ، ٣٩
٧٠	المعتضد عباد ١٧٠ ، ١٧١ ،
مصعب بن الزبير ٣٨	١٧٢ ، ١٧٤ ، ١٧٧ ، ١٨٠ ،
مصعب بن محمد ، انظر : أبو	١٩ ، ٢٢١ ، ٢٧٣ ، ٣٧٤ ،
العرب الصقلي	٣٧٥
المضراس بن ذي النون ١٤٢	المعتمد بن عباد ١٠٦ ، ١٦٦ ،
أبو المطرف الشعبي (عبد الرحمن	٢٦١ ، ٢٦٢ ، ٢٧٢ ، ٢٧٣ ،
ابن قاسم) ٢٨١ ، ٢٧٩ ،	٢٩٨ ، ٣٠١ ، ٣٠٢ ، ٣٠٣ ،
٢٨٢ ، ٢٨٣	٣٠٤ ، ٣٠٥ ، ٣٠٥ ، ٣٢٠ ،
المظفر ، انظر : باديس بن حبوس	٣٢٣ ، ٣٢٤ ، ٣٣٤ ، ٣٤٣ ،
المظفر بن أبي عامر ١٥٧	٣٤٣ ، ٣٤٤ ، ٣٦٠ ، ٣٦٨ ،
المظفر بن المنصور ، انظر : عبد	٣٦٩ ، ٣٧٣ ، ٣٧٦
الملك المظفر	المعري ، أحمد بن سليمان ٨٨ ،
المظفر بن الأفطس ١٩٣ ، ١٤٧	٩٠ ، ٢٣٧ ، ٢٤٦ ، ٢٥٩ ،
معاوية بن أبي سفيان ١٨٦ ، ٢٢٥ ،	٢٥٩ ، ٢٩٥ ، ٣٣٨ ، ٣٥٤ ،
٢٦٤	المعز بن باديس ٨١ ، ٨٨ ،
معبد المغربي ٢٧	٨٩ ، ٩٥
معبد بن الصمة (أخو دريد) ٢٠٢	معز الدولة المرداسي ٨٨ ،
	١١٠ ، ١١١

٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ ،	معز الدولة (بن علي بن مجاهد)
٣١ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٤ ،	٢٦٧
٣٥ ، ٣٦ ، ٤١ ، ٤٥ ، ٤٦ ،	معز الدولة ابن المظفر ، انظر :
٤٧ ، ٤٨ ، ٥٠ ، (٥٦ -	المقتدر بن هود
٨٠ ، ٨١ ، ٨٢ ، ٨٤ (٧٨	المغامي ١٦٨
منتدس بن غندشلب ٨٤	ابن مغيث ١٦٣
المهدي بن عبد الجبار ٧٨	المغيرة بن الناصر ، ٥٧ ، ٥٨ ،
مهلهل بن ربيعة ٣٦٩	٦٥
موسى (الكليم) ١٧٩ ، ٢٨٧ ،	مفرج العامري ٥١ . ٥٢
٣٢٧ ، ٣٣٤ ، ٣٥١	المقتدر بن هود ٢٦٣ ، ٢٦٥ .
موسى بن نصير ٥٦	٢٦٦ . ٢٦٧ ، ٢٦٨ ، ٢٧٠ .
مؤمل ١٥٣	٢٧١ ، ٢٧٢ ، ٢٧٣
مؤمن بن سعيد ٤٣	ابن المقدم ٣٦٦
مية (صاحبة ذي الرمة) ١٩٧ ،	الملك الضليل ، انظر : امرؤ القيس
٢١٩ ، ٢٢٠	منشا بن ابراهيم ٩٣
ميسور الصقلي ٣٤	المنذر اللخمي ٢٦٢
ميمون بن قيس الأعشى ٢٠١	منصور الفقيه ٣٥٢
- ن -	المنصور الصغير (حفيد ابن أبي
	عامر) ٢١٨
النايفة الجعدي ٢٠٠	المنصور الكبير (محمد بن أبي عامر)
النايفة الذبياني ٢٠٠ ، ٣٠٦ ،	٩ ، ١٤ ، ١٦ ، ١٧ ،
٣٧٠	١٨ ، ١٩ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٣ ،

٢٣٠ ، ٢١٨ ، ٢١٠ ، ١٩٨

هدبة بن الحشرم ٣٨

أبو هريرة ١٨٨ ، ١٨٧

هشام (ابن أخي المصحفي) ٦٦

هشام بن الحكم ٥٤ ، ٥٥ ،

٥٧ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٦٠ ، ٦٤

٦٥ ، ٧٠ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ٧٥ ،

٧٨ ، ٨٢ ، ٨٣ ، ١٩٠

هند ٣٥٨

- و -

الوأواء الدمشقي ٢٩٠

الواساني ٩١

واضح الفقي العامري ٨٤ ، ١٤٢

وليد بن عبد الوارث البقري ٣٦٦

ابن وهب ٣٥

ابن وهبون ، عبد الجليل ١٠٦ ،

٢٨٦ ، ٣٤٦ ، ٣٧٦

- ي -

يحيى (حفيد المأمون بن ذي النون)

انظر : القادر بالله

٥٧ الناصر الأموي ، عبد الرحمن

٦٨ ، ٢٦٣

نجم الوصيف ٣٤

أبو النجم العجلي ١٧٨

النحلي ، أبو الوليد ٣٦٨

نرجس العامرية ٤٨

نسيم (غلام البحري) ٣٧٥

نصيب ١٩٧ ، ٢٠٤

نعم (في شعر) ٢٦٠

النعمان بن المنذر ٢٦٢

النوايف (من الشعراء) ١٩٧

أبو نواس (الحسن بن هانيء)

٢٢ ، ٢٣ ، ١٨١ ، ١٩١ ،

١٩٨ ، ٢٠٥ ، ٢١٦ ، ٢٨٧ ،

٣٢٢ ، ٣٥٠ ، ٣٥١

نوح ٨٣ ، ١٩٤ ، ٢٧٥

- ه -

هاروت ٢٥٧

هارون (غلام) ٢٥٧

هايمان ١٦٦

ابن هانيء الأندلسي ٩٩ ،

يوسف	١٦١	يحيى بن بانو	٣٦٧
يوسف (النبي)	٢٢٣ ، ٣٥٢	يحيى بن حمود	١٢٥
يوسف بن تاشفين	١٦٩	يحيى بن خالد البرمكي	١٢
يوسف بن علي	٩١ ، ٩٨٢	يحيى بن الزيتوني ، أبو زكريا	(٣٧٤ - ٣٧٦)
يوسف بن القلاس البطليوسي	١٥٨	ابن يحيى ، أبو الحسن	٢٣٦
يوسف بن هارون الرمادي ، انظر :		يزيد بن الصعق	٥٥ ، ٥٦
الرمادي		يعقوب (النبي)	٣٥٢
يوشع	٢١٦	يعقوب الكندي الفيلسوف	٣٧

٢ - فهرس الأماكن

الأندلس	٧ ، ٨ ، ١٠ ، ٤
	٥١ ، ٥٥ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ٦٤
	٦٥ ، ٧٨ ، ٧٩ ، ٨١ ، ٨٢
	٨٤ ، ٨٦ ، ١٢٥ ، ١٣٩
	١٧٠ ، ١٧٢ ، ٢٤٦ ، ٢٤٩
	٢٦٢ ، ٢٧٠ ، ٢٨٨ ، ٢٩٦
	٢٩٦ ، ٣٤٢ ، ٣٤٩ ، ٣٦٢
	٣٦٤ ، ٣٧٤ ، ٣٧٦ ، (وانظر
	أيضاً : الجزيرة)
ايوان كسرى	٣٣٤
- ب -	
البحر المحيط	٢٣٦
برشلونة	٨٤
بطلبيوس	١٦١
بطيئاس	٣٧٥
بغداد (مدينة السلام)	٨٧ ، ٨٨
	٩٥ ، ١١٤ ، ٢٦٢ ، ٣٦٩
- ١ -	
آنة (نهر)	٦٢
أبو قبيس	١٧٠
الأبلق الفرد	١٨٣
أثينيا	١٨٨
أرملاط	٢٧
اسبيجاب	١٢٥
الاسكندرية	٨٨
اشبيلية	٢٠ ، ١٧١ ، ١٧٢
	١٨١ ، ٣٤٣ ، ٣٦٠ ، ٣٦٩
	٣٧٣ ، (وانظر أيضاً : حمص
	المغرب)
أغمات	٣٢٤ ، ٣٧٦
افريقية	٨١ ، ٨٨ ، ١٢٣
	٢٠٩
اقليش	١٤٢
المرية	٣٦٦ ، ٣٨٠

بلنسية ٨٩ ، ١٥٠ ، ١٥١ ،

١٥٦ ، ١٥٧ ، ٢٢٧ ، ٢٩٧ .

- ت -

تدمر ٢٧٠

تهامة ١٨٠

- ث -

ثبير ٣٢٤

الثغر الجوفي ٦٢

- ج -

جرجان ٢١٢ ، ٢٢٦

الجزائر الشرقية ٥٢

الجزيرة (الأندلس) ٨ ، ١٦٦ .

١٦٧ ، ١٦٨ ، ١٦٩ ، ٣٦٨

الجزيرة (صقلية) ٢٩٣

(وانظر أيضاً : صقلية)

جلق (الأندلس) ٣٦٢

جلق (الشام) ٣٦٢

جليقية ٦٢ ، ٦٧ ، ٧٣ ، ٨٥ .

١٦٦

الحمل (يوم) ٢١٨

جيرون ٩١

- ح -

الحامة (حصن) ٦٢

الحجاز ٣٥٨

حجر ٢٢٠ ، ٣٦٩

حزوى ٢١٩ ، ٢٢٠

حلب ٨٨ ، ١١٠ ، ١١١

حصن الغرب (اشبيلية) ١٢٠

٢٢١ ، ٢٣٠ ، ٣٢٤ ، ٣٦٢ ،

٣٦٩ : (وانظر أيضاً : اشبيلية)

حمص الشام ٣٦٢

الحنيات ٢٦١ ، ٢٧٨

حومل ٢٦٠

- خ -

خفان ١١٦

- د -

دار الخدمة ٢٤١

دار اللذة ٢٤٣ ، ٤٤٤

دارين ٣١١

دانية ٨٩ ، ٢٥٠ ، ٢٦٣ ،

٢٦٤ ، ٢٦٥ ، ٢٦٧ ، ٣٧٦

٣٧١	زرود	٣٧٣ ، ١٠٦	دجلة
٣٥٨	زمزم	٣٦٤	دكول
٦٨ ، ٦٦	الزهراء	٩١	دمشق
- س -		٢٢٠ ، ٢١٩	الدهناء
٧٨	سبنة	٢٧	دير عما
١١١	السيبية	- ذ -	
٣٦٧	سجلماسة	٢٢٠	ذات البين
٢٦٤ ، ٥٢	سرقسطة	٢٣٤ ، ٢٢٠ ، ١١٧	فو سلم
٣٢٥	سلا	- ر -	
٢٢٧ ، ١٢٣ ، ٨٩	سوسة		
٢٣٩	سويقة بن أبي سفيان		
- ش -		٦٦	الرصافة
٤٠	الشاذياخ	٣٢٤ ، ٢٦٠ ، ١٩	رضوى
٣٦٨ ، ١٨٤ ، ٢٥ ، ٧	الشام	١٨٣	الرها
١٩٤	شامة	٢٣٣	روطة (?)
١٣٢	الشحر	٢٨٠ ، ٦٠	رية (كورة)
الشرق . انظر : المشرق		٢٨٣ . (وانظر أيضاً : مالقة)	
٢٨٠	شرق الأندلس	- ز -	
٣٠٦	شقورة	٢١١ ، ٢٠٩	الزاب
٥٥	شلطيش	٤٧ ، ٢١ ، ١٥	الزاهرة
١٦٣	شيمتور	٥٢ ، ٥١	

العدوة ١٣٧	- ص -	
العدوة القصوى ٦٠	صبرة ٢٣٨ ، ٢٦١ ، ٢٧٨	
العذيب ١١٧	صفين ٢٢٥ ، ٣١١	
العراق ٧ ، ٢٥ ، ٣٦ ، ١٩١ ،	صقلية ٥٥ ، ٢٩١ ، ٢٩٦ ،	
٣٦٨ ، ٣٧٣	٣٢٦ (وانظر أيضاً : الجزيرة)	
عسفان ٢٢٠	- ط -	
العقيق ٣٧٢	طرابلس الغرب ٨٩	
عكاظ ٣١٥	طرسوس ١٢٦	
- غ -	طيزنا باذ ٢٧	
الغرب ١٠١ (وانظر أيضاً : المغرب)	طفيل ١٩٤	
غرناطة ١٢٥	طليطلة ٧٣ ، ٨٩ ، ١٤٢ ،	
غليسية ٨٤	١٤٧ ، ١٥٠ ، ١٥١ ، ١٥٢ ،	
- ف -	١٥٣ ، ١٥٨ ، ١٦٠ ، ١٦٢ ،	
فارس ١٩٩	١٦٣ ، ١٦٤ ، ١٦٥ ، ١٦٦ ،	
فاس ٣٧٤	١٦٧ ، ٣٥٥	
الفرات ٣٨	طنجة ٢٤٦ ، ٢٨٣	
فيفاء ١١٩	الطور ١٧٩	
- ق -	طيبة ٢٨٠ (وانظر أيضاً المدينة ،	
قرطبة ٩ ، ١٦ ، ٣٤ ، ٤٣ ،	يثرب)	
٤٥ ، ٤٦ ، ٥٥ ، ٦٢ ،	- ع -	
	عالج ٢٩٠ ، ٣٧١	

كونكه (قونكه) ١٤٢ ،	٦٦ ، ٧٢ ، ٧٤ ، ٧٥ ، ٧٧ ،
١٥٤ ، ١٥٩	٨٥ ، ٨٦ ، ١٤٩ ، ١٥٢ ،
- ل -	١٦٩ ، ١٩٤ ، ٢٣٦ ، ٢٣٨ ،
ليونه ٨٥	٢٣٩ ، ٤١٢ ، ٢٦٢ ، ٣٦٢ ،
- م -	القسطنطينية ٨٦
مالقة ١٤٤ ، ٢٥٢ ، ٢٧٩ ،	قشتيلة ٤٥ ، ٧٣ ، ٨٤ ، ١٦٣ ،
٢٨٠ ، ٢٨١ ، ٢٨٢ ، ٣٤٤ ،	قطربل ٢٧ ، ٢١٨ ،
(وانظر أيضاً : رية)	قلعة رباح ٦٢
١٩ متالع	قلمرية ٨٤
١٩٦٣ مجريط	قونكه : انظر : كونكه
٨٨ (وانظر أيضاً : طيبة ،	القيروان ٨٩ ، ١١٥ ، ١١٦ ،
يثرب)	١٦٩ ، ١٧٠ ، ٢٢٢ ، ٢٢٧ ،
مدينة سالم ٤٥ ، ٦٣ ، ٧٤ ،	١٣٣ ، ٢٣٥ ، ٢٣٦ ، ٢٣٧ ،
٧٥ ، ٨٤ ، ٨٦	٢٤٦ ، ٢٦١ ، ٢٧٧ ، ٢٧٨ ،
مدينة السلام : انظر : بغداد	٢٩٢
المربد ١٢٣ ، ١٢٤	- ك -
مرسية ٢٢٠ ، ٣٦٠ ، ٣٦٥ ،	كاظمة ١٠٩
٣٦٦	كبكب ٣٣٢
مسجد قرطبة الجامع ١٦٩	الكعبة ١٨٢
٢٣٩ ، ٢٤٤ ، ٢٤٥	كلواذى ٢٧
مشرف ٢١٩	الكوفة ١٩٣

- ه -	المشرق ١٢٠٨ : ٢٣ : ٢٦
الهرمان ١٨٣	٤٠ ، ٤٧ ، ٦١ ، ١٠١
الهند ٣٦ : ٢٨٩ : ٢٩٧ : ٣١١	١١٩ ، ٣٦٨
- و -	مصر ١٧ ، ٥٠ ، ٨٨ ، ٨٩
وادي اشبيلية ١٨١	٩١ ، ١٤١ ، ٣٤٢ ، ٣٥١
وبذة ١٥١ ، ١٥٤	٣٦١
- ي -	معرة النعمان ٨٨
يابرة (يا بورة) ٣٢	المغرب ١٢ : ٥٦ : ٨١ ، ٨٨
يبرين ٣١١	المغرب الأقصى ٣٦١
يثرب ١٩٧ (وانظر أيضاً :	المكرم (مجلس) ١٢٧ ، ١٣٢
المدينة ، طيبة)	١٤٧
يذبل ٢٦٠	منعج ٢٢٠
يللم ١٨٦	المنية المصورة (?) ١٦٤
اليحامة ٢٢٠	المهدية ٣٢٦ ، ٣٢٧
اليح ١٢	- ن -
	نجد ١٠٢
	نجران ٣٨ ، ٢٥١
	نعمان ٢٩٠ ، ٣١١
	نقران ٢٥١
	النيل ١٨١ ، ١٨٢ ، ٢٩٠

٣ - فهرس للطوائف والقبائل والأمم

- ت -	- ١ -
تغلب ١٩٧ ، ٢٠٠	آل أبي عامر ٧٥
نيم ٣٨ ، ٩٠ ، ١٢٦	الأساود ، انظر : السودان
تميم ٣٨	بنو أسد ٣٨ ، ٢٣٧
- ث -	الأعراب ٣٢ ، ٣٩
بنو ثعل ٩٤	الافرنجة ٨٤ ، ٨٥
- ج -	بنو أمية (الأموية) ٩ ، ٥٧ ،
الجاهليون (الشعراء) ٣٠٦	٧٧ ، ١٤٣ ، ١٤٤ ، ٢٦٢
جديس ١٥٧	أوس بن تغلب ٣٩
جذام ٢٧١	إياد ٢٤٧
جشم ٢٠١	- ب -
الجلالقة ٧٩	باهلة ١٨٦
بنو جهور ٤٣ ، ٢٤٣	البرابر (البرابرة) ٥٥ ، ٧٩ ،
- ح -	١٢٥
بنو حمام ٣١٥ ، ٣٢٠	البرابرة العلويون ٨١
بنو الحديد ١٥٥	البغداديون ١٧

البروم ٢٥ ، ٨٦ ، ٢٦٥ ،

٣٢٦

بنو رياح ٢٣٧ ، ٢٣٨ ، ٣٤٨

- ز -

بنو زرارة ١٩٧

زغبة ٢٣٦ ، ٢٣٧

- س -

سعد ٢٣٧

سعد العشيرة ١٩١

سلول ١٨٦

سليم ٥٣ ، ٥٤

بنو سهل ٢٢٦

السودان ٢٨ ، ٥٢ ، ٧٤ ، ٢٣٧

السودان الرقاصة ٧٤

- ش -

بنو الشامي ٣١٨

- ص -

الصقلب (الصقالبة) ١١ ،

٣٤ ، ٦١ ، ٧١ ، ١٢٩

بنو الحسحاس ٣٧٥

بنو حماد ٢٦٥

حمير ١٨٥

- خ -

الخفافون ١٣٧

خولان ٣٦٢

- د -

الدائرة ٢٤١

الدولة الجهورية ٢٣٨ ، ٢٣٩

الدولة العامرية ٧٠ ، ٧٨ ، ١٤٢

الدولة المظفرية ١٧٧

الديلم ٦١

- ذ -

بنو ذي النون ١٤٢

- ر -

ربيعة ٥٣ ، ٥٤ ، ١٩١

ربيعة الفرس ٨

الرقاصة ٢١٤

صنهاجة ٨٢	عنس ١٨٦
- ط -	- غ -
بنو طاهر (الأندلسيون) ٣٦٠	غسان ٢٠١
الطرائقيون ٤١	بنو غومس ٧٣ ، ٨٥
ملوك الطوائف ١٥٨ ، ١٦٥ ، ١٦٦ ، ١٧٠ ، ١٨١ ، ٢٤٦ ، ٢٦٦ ، ٣٦٤	- ف -
- ع -	فزارة ٥٣ ، ١٩٧
عاد ٢٧٠	- ق -
بنو عامر (القبيلة) ٣١ ، ١١١	بنو قرة ٢٣٦ ، ٢٣٧
بنو عباد ٢٦٢	قريش ١٤٤ ، ١٩١
بنو (ولد) العباس ٢١ ، ٥٧ ، ٦١	القوالون ١١٠ ، ١٢٢
العباسية ٢١٠	قيس ٣٧١
بنو عبيس ٣٦	- ك -
آل عثمان (المصحفيون) ٦٦	كندة ٣٧١
العجم ٦٩ ، ٧٩	- ل -
العدنانية ٥٣	نحم ٢٦٢
العرب ٩ ، ٢٠ ، ٣٣ ، ٥٣ ، ١٨٦ ، ٢٠٧ ، ٣٥٢	- م -
عكل ١٨٦	مالك بن حنظلة ٢٠٣
بنو العنبر ١٩٠	

- ه -	المحدثون (من الشعراء) ١٤١ ،
	٣٠٦ ، ٣١٦ ، ٢٠٤
١٤٤ الهاشميون (بنو هاشم)	المخضرمون ٣٠٦ ، ٢٠٤
٢٨٣	المرابطون ٣٦٤
هذيل ٢٤٧	المريديون ١٢٤
١١٦ الهرايز (الموايز ؟)	بنو مروان (المروانية) ٥٧ ،
بنو هلال ٢٣٦	٨٦ ، ٢٠٣ ، ٢١٠
الهنود ٨٧	المسلمون ٨٦ ، ٨٥ ، ٧١ ،
الهوازنة ٢٥٧	١٤٥ ، ١٥٠ ، ١٦٧ ، ١٦٨ ،
بنو هود ٢٧٢	١٩١
- و -	المصريون ١٢١
	مضر ٣٠٣ ، ١٩١ ، ١٨٥
٢٠٩ ، ١٨٣ وائل	بنو مناد ٢٦٥
بنو وهب ٢٢٣	المولدون (من الشعراء) ٣٠٦
- ي -	- ن -
بنو يربوع ٢٢٦	نزار ٣٥١
٣٠٣ ، ١٩١ يمن	النصارى (جموع النصرانية)
	١٦٨ ، ١٦٧ ، ٨٤ ، ٦٦ ، ٦٢

٤ - فهرس الكتب المذكورة في المتن

- ١ - أبكار الأفكار لابن شرف القيرواني ١٧١ ، ١٧٧ ، ١٧٩
- ٢ - الاستظهار والمغالبة على من أنكر فضل الصقالبة لحبيب الصقلي ٣٤
- ٣ - أعلام الكلام لابن شرف القيرواني ١٧١ ، ١٧٩
- ٤ - ألف غلام للثعالبي ٩٩
- ٥ - الانجيل ١٨٤
- ٦ - الدالية (قصيدة) لابن الجهم ٢٦٠
- ٧ - رسالة للمرادي في الرد على البكري ٣٦٦
- ٨ - الرصافية (قصيدة) لابن الجهم ٢٠٦
- ٩ - سهم الشهم (قصيدة) للحصري ٢٥٠
- ١٠ - الفصوص لصاعد البغدادي ٩ ، ١٥ ، ١٦
- ١١ - قراضة الذهب لابن رشيق ٢٣٠
- ١٢ - كتاب سيبويه ١٤
- ١٣ - المعلقات ٢٠٠
- ١٤ - مكفرات ابن عبد ربه ٢١٠
- ١٥ - النكت للصغاني (كتاب وهمي) ١٥
- ١٦ - النوادر لأبي علي القالي ١٥
- ١٧ - النيمة للثعالبي ٨ ، ٨٩

٥ - فهرس القوافي

- أ -

٢٩٧	التهامي	الكامل	سماء
٢١٩	ابن شرف	الطويل	وفياء
١١٦	حسان	الوافر	لحاء
٢٩٤	البحثري	الكامل	الأعداء
٣٧٩	ابن العطار اليايسي	الكامل	لألاء
٢٥٤	الحصري الكفيف	مجزوء الرمل	الخطاء
١٩٩	ابن حلزة	الخفيف	ضوضاء
٢٧٤	الحصري الكفيف	الكامل	بالإيماء

- ب -

٣٣٩	ابن حمديس	المتقارب	لهب
٣٢٩	ابن حمديس	الطويل	وركابا
٣٢٢	أبو نواس		كوكبا
١١٢	أبو الفضل البغدادي	البسيط	شربا
٣٧٦	ابن العطار اليايسي	«	لهبا
٣٥٢	منصور الفقيه	«	خربة
٣٤٦	ابن وهبون	الوافر	الذنوب

٣٥٨	الحكيم المصري	الوافر	العجيبا
٣٢٨	ابن حمديس	الوافر	اليابا
٢٥٦	ابن هانيء الأنداسي	الكامل	تصابي
٢٩٨	ابن الرومي	السريع	أنجبا
٢٧٤	الحصري الكفيف	الخفيف	قضايا
٣٤٨	—	المجث	قلبا
٩٠	المعري	الطويل	وأدرب
٩٠	المعري	»	وتشرب
١٠١	ابو الفضل البغدادي	»	غرب
٣٠٧	عبيد الله بن طاهر	»	لعازب
٣٠٧	المتنبي	»	ذهاب
١٧٦	أبو تمام	البسيط	سلب
٣٠٧	سعيد بن حميد	»	ويرتكب
١١٨	أبو الفضل البغدادي	»	مصلوب
٢٥٣	الحصري الكفيف	مخلع البسيط	غريب
٣٥٨	الحكيم المصري	مخلع البسيط	والحيوب
١٣	أبو تمام	الكامل	المركب
٦٩	المصحفي	»	يتقلب
٣٠٧	البحري	»	يسلبوا
٣٣٩	ابن حمديس	»	أشرب
٣٤١	ابن حمديس	»	الغيب
٢٧٧	الحصري الكفيف	المجث	ربيه

١٢	صاعد	المتقارب	والكوكبُ
٣٤٤	الحكيم المصري	المتقارب	صوابُ
٣٢٦	ابن حمديس	الطويل	فحاربِ
١٨٠	أبو الأسود الدؤلي	»	بلييب
٣٥١	أبو نواس	»	بنصيب
٣٥٣	—	»	قلوب
١٠٨	كشاجم	»	حرب
٢٨٥	البحثري	»	الصبّ
٣٤٥	—	»	باللب
٢١٥	ابن شرف	»	مكروب
٢٢٥	ابن شرف	البيسط	عرقوبِ
٢٢٣	—	»	الكذب
٣٠٠	البيسي	»	والحرب
٣٠٥	أبو العرب الصقلي	»	والأدبِ
٣٥٢	الحكيم المصري	»	العرب
١١٥	أبو الفضل البغدادي	الوافر	الثياب
٣٠٥	أبو العرب الصقلي	»	والطلاب
٢٧٠	الحصري الكفيف	»	الغريب
٩٦	أبو الفضل البغدادي	الكامل	حجاب
١٠٧	—	»	تغرب
٣٣١	ابن حمديس	»	المطلب
٢٥٦	أبو بكر الخالدي	»	بخصابه

٣٤٩	—	مجزوء الكامل	المثاب
٣٥٩	الحكيم المصري	الرمّل	بطبيب
١١٩	أبو الفضل البغدادي	السريع	هي
٢٩٤	—	»	بالصاحب
٨٦	صاعد	المنسرح	بالكتب
٣٤٠	ابن حمديس	»	تعذبها
٢٠	—	الخفيف	عتابي
٣٢٣	ابن صارة	الخفيف	بجباب
٣١٢	—	الخفيف	والكروب
٢٢٧	ابن شرف	المجتث	المجيب
٩٨	—	المتقارب	مصاب
٢٧٢	الحصري الكفيف	»	الكاذب
٢٤٧	ابن الرومي	»	انيابها

— ت —

٣٩	تميم بن جميل	الطويل	أُتلفتُ
٢٧٧	الحصري الكفيف	البسيط	ماتوا
٢٩٢	الخلواني	الكامل	زفراته
٧٠	المصحفي	الكامل المرفل	متّ
٢٦٩	الحصري الكفيف	مجزوء الرمل	المكرّماتُ
٣٨٩	مرة بن محكان	الطويل	اشمعلتِ
٢٥٧	أبو بكر الخولاني	الخفيف	الثقات

- ث -

٢٢٧	ابن شرف أو ابن رشيق	الكامل	حديث
٢٤٩	الحصري الكفيف	مخلع البسيط	خبث

- ج -

٩٥	أبو الفضل البغدادي	الكامل	مضرجا
٢١٧	الناهي	السريع	والزيج
٢٧٤	الحصري الكفيف	مجزوء الوافر	الفرج
٢٩٠	-	السريع	عالج
١٠٢	أبو الفضل البغدادي	الكامل	الديباج
٣٢٦	-	المنسرح	المهج

- ح -

٣٣٦	ابن حمديس	الرجز	الفرخ
٣٢٣	ابن حمديس	السريع	المراح
٣٢٤	ابن حمديس	الطويل	صحا
٢٦٨	الحصري الكفيف	الوافر	فلاحا
٣٣٨	المعري	الوافر	جريح
٢٣٦	ابن شرف	الطويل	جراح
٣٤٩	الحكيم المصري	الطويل	ينوح
٢٨١	الحصري الكفيف	المديد	نازحه
٣٤٨	الحكيم المصري	الوافر	الصلاح

٢٧٥	الحصري الكفيف	الوافر	تنوح
٣٧	ابن الرومي	البسيط	تلويح
٥٤	صاعد	الوافر	الرماح
٩٨	جرير	الوافر	مراحي
٢٤٨	—	الوافر	الرياح
٢٥٩	المعري	المجث	براح
٢٥٩	الحصري الكفيف	المجث	بطاح

- خ -

٢٧٥	الحصري الكفيف	مجزوء الخفيف	أخـ
-----	---------------	--------------	-----

- د -

٢١٨	ابن هانيء الأندلسي	الرمل	فحسد
١٠٢	أبو الفضل البغدادي	الطويل	نجد
٢٣٧	العباس بن الأحنف	البسيط	أبدا
٢٣٢	ابن الزبير أو غيره	الوافر	سودا
٢٦٩	الحصري الكفيف	الكامل	زادا
٣٥٧	الحكيم المصري	السريع	والصد
٢٨٥	الحلواني	الخفيف	شديدا
٣٧١	الفكيك	الطويل	رعود
٢٢٤	المتني	الطويل	بد
٢٨٨	الحلواني	مخلع البسيط	السواد

٢٠٨	الفردق	الوافر	العبيد
١٠٦	السلامي	الوافر	تقاد
٣٥٥	الحكيم المصري	الكامل	المورد
٣٢٣	ابن حمديس	الكامل	عوده
٣٦٦	أبو بكر المرادي	مجزوء الكامل	الوليد
٣١٣	ابن الصباغ الصقلي	الرجز	قمد
٣٦٧	الفكيك	المتقارب	المهدد
١٢٤	الحبزي أرزي	المتقارب	تجحدوا
٣٨٢	التهامي	الطويل	وتغتدي
٢٩٥	عدي بن زيد	«	مقتد
٢٩٤	أبو تمام	«	حامد
٣٦	الفردق	«	شاهد
١٣	—	«	القد
١٤	المتنبي	«	القد
١٠٠	ابن أبي سمرة	«	صدها
٢٨٦	الحلواني	المديد	جلدي
١٧٢	ابن رشيق	البسيط	ومعتضد
١٠٤	أبو الفضل البغدادي	«	الحادي
٢٨٦	ابن القابلة السبي	مخلع البسيط	اعتقادي
١٢٣	—	مخلع البسيط	فؤادي
٣٥٠	المتنبي	الوافر	مرادي
٢٤٧	—	«	إياد

٢٣٦	الحصري الكفيف	الوافر	الحداد
١٨١ ، ١٥٦	صاحب العلوي	«	بعيد
٣٧٠	أبو الحسن اللحام	الكامل	كابلحمد
٢٢٣	أبو تمام	«	المولود
٣٥	صاعد البغدادي	«	صاعد
١٠٠	الصنوبري	«	قده
٣٤٠	ابن حمديس	«	صدها
٢٥٩	الحصري الكفيف	مجزوء الرجز	بالأتمد
١٠٠	أبو الفضل البغدادي	السريع	عبده
٣٤٨	—	المنسرح	ورد
٣١٧	—	المتقارب	قصده
٢٦١	الحصري الكفيف	المتدارك	جلدي

— ذ —

٢٦	ابن شهيد أبو مروان	المنسرح	أفذاذا
----	--------------------	---------	--------

— ر —

٣٧٠	كاتب بكر	المتقارب	اقشعر
٣٧٠	الفكيك	«	البشر
٣٤٥	الحكيم المصري	البسيط	أعدارا
٣٤٦	الحكيم المصري	«	طارا
٢٩٧	الحلواني	الوافر	نهارا

١٢٠	الرمادي	الكامل	فأدراها
١٠١	أبو الفضل البغدادي	مجزوء الرمل	خمارا
٢٣١	ابن شرف	السريع	امهارها
٢٧١	الحصري الكفيف	المنسرح	محتضره
٣٦٨	النحلي	المجث	دره
٢٢	صاعد	الطويل	وقتير
٢٨٤	الحلواني	"	تسير
٣٢٤	المعتمد	"	قبور
٣٢٤	ابن حمديس	"	تدور
٢٦٠	الحصري الكفيف	"	فيزدار
٣١	المجنون	"	عمرو
٢٣٠	أبو تمام	"	القفر
٣٨١	ابن القابلة السبتي	"	غبر
٢٢٠	ابن شرف	"	مسفر
٣٨١	ابن القابلة السبتي	"	ينظر
٢٣٤	ابن شرف	"	الضرائر
٩٧	العتابي	البسيط	تقصير
٢٨٥	الحلواني	"	القمر
٢٩٨	الحلواني	"	والقمر
٣٥٦	ابن قاضي ميلة	"	الشجر
١٠٦	ابن وهبون	"	فينهصر
٩٧	بشار	الوافر	قصار

٣٥٠	الحكيم المصري	الكامل	دار
٢٩٥	المتنبي	«	أنصار
٣٠٦	أشجع السلمي	«	حذار
٤٨	ابو مروان الجزيري	«	وتحار
٩٨	منصور الفقيه أو غيره	«	كبير
٢١٨	—	«	وأنز
٢١٥	ابن شرف	مجزوء الرمل	بدر
٣٥٥	الحكيم المصري	السريع	الخطار
١٣	—	الخفيف	الأسفار
١٠٥	أبو الفضل البغدادي	الطويل	والبدري
٢٧٠	الحصري الكفيف	«	الغضنفر
٣٣٢	ابن حمديس	«	مبصر
١١٣	أبو الفضل البغدادي	«	الحوافر
١١٨	» » »	«	كثير
٣٣٩	ابن حمديس	«	ضميره
٣٠٢	أبو العرب الصقلي	البسيط	خطر
٢٥	صاعد	«	معبار
١١٨	أبو الفضل البغدادي	«	الازاهير
١٢٠	الأعمى التطيلي	«	قدر
٢٢٢	ابن شرف	«	العسر
٢٢٣	—	«	الذكر
٣١٤	القعيني	«	القصر

٢٩٨	ابن عمار	البيسط	والقمر
٢٣٧	المعري	»	الخصر
٣٤٧	الحكيم المصري	»	والخبز
٣٢١	ابن حمديس	»	والخفر
٤٣	مؤمن بن سعيد	»	سقر
٣٥٩	—	الوافر	وخير
٣٣	—	»	بخبشار
١٩١	—	»	السري
٣٤٨	التهامي	الكامل	الاصدار
٢٥٦	الخصري	»	والمعدور
٢٩٣	ابن المعتز	الكامل المرفل	الدهر
٢٩٣	ابن أبي طاهر	مجزوء الكامل	الغبار
١٧٩	أبو النجم العجلي	الرجز	شعري
٢٥	البيضاء أبو الفرج	»	منقارها
١٧٢	ابن شرف	مجزوء الرجز	بنارهم
٣٤٥	الحكيم المصري	السريع	والخاطر
٢٥	أبو البركات العلوي	»	بمنقار
١٠٢	أبو الفضل البغدادي	»	العطر
٢٨٧	الحلواني	المنسرح	الكبر
١٣٦	الحكيم المصري	»	السحر
٢٩	المنصور بن أبي عامر	الخفيف	أبكار
٣٠	ابن شهيد أبو مروان	»	الجاري

٢٨٦	ابن وهبون	المتقارب	خير
١٠٥	أبو الفضل البغدادي	»	اضطرار

- ز -

٢١٤	ابن شرف	الكامل	فأوجزا
٢٨٥	ابن شرف	»	عززا

- س -

٢٥٨	الحصري الكفيف	الوافر	يسوسا
١٧	—	المتقارب	حراسها
١٧	صاعد	»	نفاسها
٢٥٢	الحصري الكفيف	»	وقابوسه
٢١	صاعد	مجزوء الرمل	وجليس
٩٦	أبو الفضل البغدادي	الطويل	اللمس
٣٠	ابن شهيد أبو مروان	الكامل	الكنس
٤٨	أبو مروان الحزيري	»	الرجس
٣٧	أبو تمام	»	اياس
٣٧٥	ابن الزيتوني	»	ماسه
١١٨	أبو الفضل البغدادي	السريع	أجناس
١٠٠	» » »	»	نفسه

- ص -

١٦	صاعد	السريع	الفصوص
١٦	-	»	يغوص
١١٥	أبو الفضل البغدادي	الكامل	منغص
١٨٢	ابن شرف	البسيط	الققص

- ض -

٢٨٣	الحصري الكفيف	الطويل	قاض
٢٧٩	الحصري الكفيف	الطويل	ينضي
١٧٢	ابن شرف	السريع	بغضهم
٢٢٧	السميسر أو غيره	المجتث	غموضي

- ط -

٩٥	أبو الفضل البغدادي	الطويل	محطها
٢٧٦	الحصري الكفيف	المنسرح	لقطا
٢٣٠	سليمان بن حسان	الوافر	تقط

- ع -

٢٣٣	امرؤ القيس	الطويل	أروعا
٨٩	الصاحب أبو القاسم	المتقارب	ساعه
٣٠٦	الناطقة الذبياني	الطويل	واسع
١٧٦	أبو تمام	»	أبايعه

١٧٦	ابن الزيات	الطويل	بائع
٣١٤	القعيني	البيسط	أودعه
٢٨٢	الحصري الكفيف	الكامل	المربع
٢٩٨	الحلواني	المتقارب	تسمع
١٠٥	أبو الفضل البغدادي	الطويل	منعي
٢١٦	ابن شرف	»	يوشع
٣٦٣	ابن صارة	»	شفيع
٤٩	—	الوافر	بالصرع
٢٢٦	ابن شرف	الكامل	يربوع
٤٩	أبو مروان الجزيري	»	نياعه
١٩٤	—	»	الوداعه
٢٩٥	أبو الفضل البغدادي	السريع	الطالع
١٤٨	الشريف الرضي	الخفيف	بسمعي

- غ -

٣٦	أبو حاتم الحجاري	المنسرح	اسوغ
٢٥٣	الحصري الكفيف	المجنت	البلغ
٣٦٧	أبو بكر المرادي	المتقارب	الأصبع

- ف -

٢٣٠	ابن هانيء	الطويل	تُطفا
٤٢	ابن شهيد أبو عامر	المنسرح	صدفا

١٨	صاعد	الطويل	خائف
٣٣٨	ابن حمديس	الطويل	مخوف
١٠٨	—	الطويل	الختف
٢٢٦	ابن شرف	البسيط	صاف
٢٥٥	الحصري الكفيف	الوافر	تكافي
٢٢١	ابن شرف	الكامل	طوافي
٢٨٨	ابن الطلاء	السريع	تتف
٤٤	ابن عبدون	المجتث	عرف

— ق —

٢٢٦	ابن شرف	مجزوء الكامل	السوابق
٥٦	قيس بن زهير	المتقارب	الصعق
١١٠	—	البسيط	وميثاقا
٣٦	أبو مروان الجزيري	المتقارب	المقدقة
٢٢٦	ابن شرف	الطويل	سوابق
٢٣٢	»	»	ويطرق
٢٣٦	»	»	أفأويق
٢٢٤	»	الوافر	الطبق
٢١	صاعد	البسيط	وأوراق
٤٦	أبو مروان الجزيري	الكامل	الأوثق
٢٨٠	الحصري الكفيف	المتقارب	الشقيق
٢٣	المتني	الطويل	ومشرق

٢٦٩	ابن المعتز	الطويل	بعقيق
١٠٧	أبو الفضل البغدادي	البسيط	كالفلق
١٠٩	أبو الفضل البغدادي	»	السرق
٣٧٨	ابن العطار اليايسي	»	اللاحق
٢١	صاعد	الوافر	العقيق
٣٦٠	ابن الطلاء	الكامل	بقي
٢٦٨	الحصري الكفيف	»	أخلاقه
١٢٢	العباس بن الأحنف	السريع	يخلق
٩٦	أبو الفضل البغدادي	المنسرح	الفلق
٣١٢	ابن الرومي	»	والحدق
٣٦٣	أبو حاتم الحجاري	»	الأفق
٢٢	ابن زرارة	الخفيف	صديقي
١٠٤	أبو الفضل البغدادي	الخفيف	بالإشراق

- ك -

٣٥٦	الحكيم المصري	السريع	الفلك
٣٨١	ابن القابلة السبتي	»	الحلك
٣١١	ابن الصباغ الصقلي	الوافر	سواكا
٢٨	ابن شهيد أبو مروان	الرميل	مستهلكا
٢٨٧	الحلواني	المنسرح	الفتكة
٣٣٦	ابن حمديس	»	شركة
٢٥٢	ابن الطراوة	الطويل	عالك

٣٤٠	ابن حمديس	الرميل	حركه
٣٤١	ابن حمديس	مجزوء الكامل	ومسك
١٢١	السلامي	المنسرح	ملك
٣٢٢	الحسين بن الضمحاك	و	الفلك

- ل -

٣٣٤	ابن حمديس	الطويل	قتلا
٣٠٦	أبو العرب الصقلي	الطويل	الأناملا
٣٠٢	»	البيسط	حملا
٣٨٠	ابن القابلة السبتي	مخلع البيسط	حلا
١٠٣	أبو الفضل البغدادي أو غيره	الكامل	وبلا بلا
١٠٧	أبو الفضل البغدادي	الكامل	أعزلا
٣٢٠	ابن حمديس	الكامل	المندلا
١١٣	أبو الفضل البغدادي	الكامل	قليلا
٢٢٧	ابن شرف	الخفيف	يصلى
٣٦٧	أبو بكر المرادي	الخفيف	وقالا
٢٤٧	العباس بن الأحنف	المتقارب	جميلا
٢٥٩	المعري	الطويل	والحمائل
٣٥٣	الحكيم المصري	الطويل	حبائل
٢٦٩	ابن المعتز	الطويل	الليل
١٤٠	ابن شرف	الطويل	غفل
٣٢٥	ابن حمديس	الطويل	القتل

١١٠	أبو الفضل البغدادي	الطويل	سؤال
٣٠٢	—	البسيط	والدول
٤٠	ابن شهيد أبو عامر	مخلع البسيط	نبيل
١١	صاعد	الكامل	زليل
٢١٧	ابن اللبانة	»	تعديل
١٠٨	أبو الفضل البغدادي	الرجز	مثالته
٢٥٦	الحصري الكفيف	المنسرح	مغسول
٣٤٦	الحكيم المصري	»	المقل
٩٩	أبو الفضل البغدادي	المجتث	الجمال
٢٦٠	الحصري الكفيف	الطويل	حومل
٣٠٨	عبد الله بن حجاج	»	حابل
٣٣	امرؤ القيس	»	مرجل
٩٠	الحكيم المصري	»	وبل
٣٧٢	الفكيك	»	العذل
٣٥٤	المعري	»	سبيل
٣٧٤	الفكيك	البسيط	أحوالي
١٨٢	أبو نواس	»	بالنبيل
٢٢٢	ابن شرف	»	الأسل
٣٦٠	ابن الطلاء	»	عللي
٢٠	المتنبي	الوافر	قبلي
٢٥١	المتنبي	»	دليل
٢٢٤	ابن شرف	»	سبيل

١٢٧	عبد العزيز السوسي	الكامل	الأجلال
٢٣٥	أبو تمام	الكامل	بحالي
٣٥	صاعد	»	مذلل
٢٣٣	ابن شرف	»	متأمل
٢٣٤	جرير	»	يسأل
٢٣٤	أبو تمام	»	الأوّل
١٢٠	ابن الرومي	مجزوء الكامل	بمثاله
٢١٨	ابن شرف	الرمّل	ينجلي
٢١٨	ابن شهيد أبو عامر	الرجز	خليلي
١٤	أبو تمام	»	وهزله
٩١	الواساني	المنسرح	الحمل
١٠٤	أبو الفضل البغدادي	المتقارب	الأقل

- م -

٣٤٧	-	الرجز	الشيم
٢٥٥	الحصري الكفيف	السريع	سقيم
١١٧	أبو الفضل البغدادي	المتقارب	سلم
٧٠	المصحفي	الطويل	تندما
٢٧٠	الحصري الكفيف	الطويل	تهدّما
١٠٣	ابن رشيق	مخلع البسيط	حساما
٢١٦	أبو نوابس	الخفيف	التحكيم
٢٩٢	الحلواني	»	السقيما

٢١٧	المتنبى	الطويل	ينجم
٢٩٧	الحلوانى	"	يحلّم
٣٦٩	الفكيك	"	يعظم
٦٩	المصحفي	البسيط	والندم
٦٩	أبو مروان الجزيري	"	الكرم
٢٩١	الحلوانى	"	الظلم
٣٧٣	الفكيك	"	مقسم
٢٧٣	الحصري الكفيف	مجزوء الرمل	الكريم
٣٠٤	الطنبى	الخفيف	الكلام
٣٧	الفرزدق	الطويل	المغارم
٢٩٩	الحلوانى	"	المباسم
٣٠٣	أبو العرب الصقلي	"	والمتوسم
٣٦٦	أبو بكر المرادي	"	المبرسم
٩٧	أبو الفضل البغدادي	"	الدهم
٢٣٤	الشريف الرضي	البسيط	سلم
٢٠٠	—	"	كلثوم
١٢٠	سليمان الصقلي	الوافر	الحمام
٣١٨	ابن الصباغ الصقلي	"	المرام
٣٥٠	الحكيم المصري	"	بالسليم
٢٧٨	أبو نواس	مجزوء الوافر	معلمه
٢٩٤	ابن لنكك	الكامل	الأيام
١٦	—	"	غمام

٢١٦	ابن شرف	الكامل	كالتهويم
٩٨	ابن الرقاع	»	القاسم
٣٢٣	ابن صارة	»	مرامها
٣٤١	ابن حمديس	المتقارب	الزحام

- ن -

٣٥٩	الحكيم المصري	السريع	الهوان
١٩٠	قريط بن أنيف	البسيط	هانا
٢٥٧	الحصري الكفيف	مجزوء الرمل	فتونا
٢٥٩	الحصري الكفيف أو المعتمد	مجزوء الرجز	جاهنا
٤٧	أبو مروان الجزيري	السريع	منه
٢٢	صاعد	المنسرح	أنا
٢٥٨	الحصري الكفيف	مجزوء الخفيف	للهاوزنة
٣٥٤	الحصري الكفيف	الطويل	الرياحين
١٢١	العباس بن الأحنف	البسيط	الحسن
١١٦	أبو الفضل البغدادي	الوافر	خزون
٢٣٧	ابن شرف	»	دقين
١١٦	أبو الفضل البغدادي	الكامل	سلطان
٢٩٤	الحلواني	»	ندمانه
٢٥٨	الحصري الكفيف	السريع	وسلاطين
٢٨٩	الحلواني	»	العين
٩٧	أبو الفضل البغدادي	الخفيف	الظنون

٢٥٨	الحصري الكفيف	الخفيف	ياسمين
١٢	أبو الغزور الاعرابي	الطاويل	وتنصرفان
١٢٥	—	»	فيأتلغان
١٢٦	—	»	هجان
٢٢٠	عروة بن حزام	»	تنطحان
٢٧٦	الحصري الكفيف	»	القمران
٢٩٩	—	»	يدان
٣٥٠	أبو نواس	»	نعني
٢٥٢	الحصري الكفيف	البسيط	ألفاني
٢٢٥	ابن رشيق	»	ضنين
٢٨٩	الحلواني	»	ويغريني
٣٦٢	ابن الطلاء	»	ميزاني
١٠٣	أبو الفضل البغدادي	مجزوء الوافر	مرتهن
١٠٣	علي (غلام أبي الفضل)	»	يخن
٢٥٦	ابن الرومي	الكامل	الشبان
٢٩٩	الحلواني	»	وهوان
٢٣٠	—	»	زمانه
٢٥٤	الحصري الكفيف	مجزوء الكامل	لساقي
٣١١	ابن الصباغ	الهمزج	دارين
٢٥٧	الحصري الكفيف	السريع	فاتي
٣١٦	—	»	جون
٢٩٠	الوأواء	المنسرح	أين

١٠٦	أبو الفضل البغدادي	الخفيف	استبطاني
١٠٨	»	»	وان
٣٦٠	ابن الطلاء	المتقارب	شينها

- ه -

١٢٢	القراطيسي	السريع	الولاه
٢٨٨	الحلواني	»	راحتيه
١١٩	سليمان الصقلي	الطويل	كربها
٣٧٥	ابن الزيتوني	البسيط	تجربها
٣٥٩	الحكيم المصري	مجزوء الرمل	مقلتيها
٢٨٣	الحصري الكفيف	السريع	وماضيها
٢٨٧	الحلواني	المتقارب	شفاها
٣٤٤	-	الوافر	فيه
٣٥٩	-	»	عارضيه
١٢١	ابن يونس	الكامل	عليه
٣٨	ابن المعتز	»	وبديه
٢٢	صاعد	مجزوء الكامل	فيه

- ي -

٣٨	عبد يغوث	الطويل	لسانيا
١١٤	أبو الفضل البغدادي	»	وباديا

١٦١	مالك بن الريب	الطويل	وراثيا
٢٣٢	—	السريع	جاره
٣٥٦	الحكيم المصري	»	بأسراره
٢٩	ابن شهيد أبو مروان	الخفيف	الرزايا
٢٥٨	الحصري الكفيف	مجزوء الخفيف	علانيه
٤٣	ابن عمار	المتقارب	الثنايا
٣٥٤	البستي	الوافر	الكمي

فهرس المحتويات

•	مقدمة المحقق
	ذكر الكتاب الوزراء والأعيان الأدباء والشعراء الوافدين على جزيرة الأندلس والطارئين عليها من أول المائة الخامسة من الهجرة
٧	حتى ٥٠٢
٨	فصل في ذكر الأديب اللغوي أبي العلاء صاعد بن الحسن البغدادي
١٠	فصول من نثره في أوصاف شتى
١٤	جملة أخبار نوادر جرت له مع المنصور بن أبي عامر
٢٠	[استطراد بذكر حادثة جرت لابن بسام]
٢١	[رجع إلى أخبار صاعد]
٢٣	[استطراد بذكر من حاولوا معارضة المتنبي]
٢٥	[عود إلى ذكر صاعد]
٢٧	[أخبار ابن شهيد أبي مروان]
٣٠	[عود إلى صاعد]
٣٤	[فان ونبهاء الصقالبة]
٣٤	[رجع إلى أخبار صاعد]
٣٦	[الفرق بين البديهة والارتجال نقلاً عن العمدة]
٤٠	[بديهة الأندلسيين]
٤٥	إيجاز الخبر عن أسير غرسية

٤٦ مقتل أبي مروان الجزيري [وبعض أخباره]

٥٣ رجع ما انقطع [من خبر صاعد]

٥٦ تلخيص التعريف بدولة ابن أبي عامر

ذكر دفاع ابن أبي عامر العدو صدر الدولة وقيامه

٦٢ بالجهاد دون الجماعة وتوصله بذلك إلى تدبير الملك

٦٣ مظاهره غالب لمحمد بن أبي عامر على المصحفي

٧٠ جمل وجوامع من كبار الأحداث بالدولة العامية

٧٣ وفاة المنصور بن أبي عامر

٧٨ قيام عبد الملك ابنه بالدولة

٨٧ فصل في ذكر الوزير أبي الفضل محمد بن عبد الواحد البغدادي الدارمي

٩١ [هجاء الواساني لعلي بن يوسف ومنشأ بن إبراهيم]

جماعة من أشعار أبي الفضل في أوصاف شتى - النسيب

٩٥ وما يناسبه

٩٨ [استطراد بذكر أشعار في الشيب]

٩٩ [عود إلى شعر أبي الفضل]

١٠٥ ما أخرجه من شعره في سائر الأوصاف

١١٠ من قصائده المطولات في المدح وما يتعلق به

١١٥ من مقطوعاته في الإخوانيات وغيرها

فصل في ذكر طائفة من الشعراء المقلين الطارئين على الأندلس من

١١٩ المشرق

١١٩ منهم : سليمان بن محمد الصقلي

- فصل في ذكر الأديب أبي الفتوح ثابت بن محمد
الخرجاني ١٢٤
- فصل في ذكر الأديب عبد العزيز بن محمد السوسي ١٢٦
- [فصل لابن حبان في الصنيع الذنوبي] ١٢٧
- مجلس الأنس في ذلك الصنيع ١٣٥
- فصل في ذكر الشعراء في الاعذار الذنوبي ١٣٨
- جملة من أخبار بني ذي النون وذكر أولية أمرهم ١٤٢
- ذكر الخبر عن بعض ما تنهى إليه المأمون من تشييد
البنيان ١٤٧
- ذكر الخبر عن مال حفيد المأمون الملقب بالقادر ١٤٩
- مقتل الفقيه أبي بكر بن الحديدي ١٥٢
- فرار حفيد ابن ذي النون من طليطلة ودخول المتوكل ١٥٧
- خروج المتوكل من طليطلة ورجع ابن ذي النون إليها ١٦١
- بقية الحديث عن شؤون ابن ذي النون بطليطلة
وإسلامها لظهيره الطاغية أذفونش ١٦٣
- فصل في ذكر الأديب الكامل أبي عبد الله محمد بن شرف ١٦٩
- جملة من نثره مع ما يتشبه به من شعره ١٧١
- [استطراد بذكر ابن الزيات وأبي تمام] ١٧٥
- رجع [إلى نثر ابن شرف] ١٧٧
- فصول من نثره في أوصاف شتى ١٨٣
- ومن ترسيله ١٩٣
- مقامة ابن شرف في الشعراء ١٩٦

- ٢١٢ مقامة له أخرى
- ما أخرجه من شعر ابن شرف في أوصاف شتى -
- ٢١٤ النسيب وما يناسبه
- ٢١٨ من قصائده المطولة في المدح وما يتشبه به
- ٢٢٤ سائر مقطوعات له في أوصاف شتى
- ٢٢٧ مراثيه لأهل القبروان
- ٢٣٨ جملة من أخبار ابن السقاء القرطبي
- ٢٤٥ فصل في ذكر الأديب أبي الحسن علي بن عبد الغني الحصري
- ٢٤٧ جملة ما أخرجه من نثر الحصري
- ما أخرجه من شعره في أوصاف شتى - النسيب وما
- ٢٥٥ يتشبه به
- ٢٦٠ شعره في المديح
- ٢٦٥ ذكر الخبر عن دانية وكيف تغلب عليها المقتدر
- ٢٦٨ مقطوعات للحصري في أوصاف شتى
- ٢٧٠ ما أخرجه من مراثيه مع ما يتشبه بها
- ٢٧٩ من شعره في الفقيه الشعبي وابن حسون
- ذكر الأديب أبي الحسن عبد الكريم بن فضال القيرواني المشهور
- ٢٨٤ بالحلواني
- ٢٨٤ النسيب وما يناسبه
- ٢٩١ ما أخرجه من قصائده المطولة في المديح وما يتشبه به
- ٣٠١ فصل في ذكر الأديب أبي العرب الصقلي
- ٣٠٨ فصل في ذكر الأديب الكاتب أبي عبد الله محمد بن الصباغ الصقلي

٣٢٠	في ذكر الأديب أبي محمد عبد الجبار بن حمديس الصقلي
٣٣٦	من شعره في أوصاف شتى
٣٤٢	فصل في ذكر الوزير الحكيم أبي محمد المصري
٣٤٥	من شعره في أوصاف شتى
٣٥٥	جملة من مقطوعات المصري في فنون مختلفة
٣٦٠	في ذكر أبي محمد ابن الطلاء المهدي
٣٦٤	فصل في ذكر الأديب الفقيه أبي بكر ابن الحسن المرادي
٣٦٨	الأديب أبو الحسن البغدادي المعروف بالفكيك
٣٧٤	الأديب أبو زكريا يحيى بن الزيتوني
٣٧٦	الأديب أبو بكر بن العطار الياضي
٣٨٠	في ذكر ابن القابلة السبي
٣٨٣	ملحق القسم الثاني (قراءات نسختي ك ل)
٤٠١	فهارس الكتاب
٤٠٣	فهرس الاعلام
٤٢١	فهرس الأماكن
٤٢٧	فهرس القبائل والأمم والطوائف
٤٣١	فهرس الكتب المذكورة في المتن
٤٣٢	فهرس القوافي
٤٥٧	فهرس المحتويات

بعمونه نعال
انجز طبع هذا الكتاب

بدار الثقافة

ص.ب. ٥٤٣ - بيروت

الذخيرة في محاسن أهل الجيرة

تأليف

أبي الحسن علي بن بسام الشنتريني (٥٤٢)

القسم الرابع - المجلد الثاني

تخنيق
الدكتور إحسان عباس

دار الثقافة

للطباعة والنشر والتوزيع

بيروت - لبنان

١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م

الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة

٤

فأول من أبدأ به منهم من رسخت أصوله في تربة التقديس والتسييح . والتفت فروعُه بأجنحة الملائكة والروح . مَنْ عُيِدَ الرحمن في زمانه . وَخُلِعَتِ الأوثانُ بين صارمه وسنانه . صلى الله عليه أتم صلاة وأزكاها . وأغريها من رضوان الله وأدناها . وعلى أهل بيته أولى الناس ينصح جيوننا . وأحقهم بطاعة فلوينا . وأرجأهم لحط خطايانا وذنوبنا .

فصل في ذكر الشريف أبي القاسم المرتضى

ذي المجدين علم الهدى^١

وابتات جملة من شعره الذي شرف بقائله وطائله ،
وعرف بجلالة ناظمه ، وأصالة مباديه وخواتمه .

كان هذا الشريف المرتضى إمام أئمة العراق ، بين الاختلاف والاتفاق ، إليه فزع علمائها ، وعنه أخذ عظمائها ؛ صاحب مدارسها ، وجماع شاردها وأنسها ، ممن سارت أخباره ، وعرفت به أشعاره ، ومجّدت في ذات الله مآثره وآثاره ؛ الى تواليفه في الدين ، وتصانيفه في أحكام المسلمين ، بما يشهد أنه فرع تلك الأصول ، ومن أهل

(١) مولده سنة ٣٥٥ ووفاته سنة ٤٣٦ . وقد تفرد في علوم كثيرة مثل علم الكلام والفقه وأصوله والأدب والنحو ومعاني الشعر واللغة وله عدد كبير من الكتب . وديوانه يقع في ثلاثة مجلدات ؛ انظر ترجمته في انباء الرواة ٢ : ٢٤٩ ومعجم الأدباء ١٣ : ١٤٦ وابن خلكان ٣ : ٣١٣ (وفيه نقل عن الذخيرة) ودمية القصر ١ : ٢٧٩ وتاريخ بغداد ١٢ : ٤٠٢ وتنمة اليتيمة ١ : ٥٣ والمنتظم وابن الاثير والذهبي (وفيات ٤٣٦) وتلخيص مجمع الآداب ١/٤ : ٦٠٠ ومرة الجنان ٣ : ٥٥ ولسان الميزان ٤ : ٢٢٣ وبغية الوعاة : ٢٣٥ والشذرات ٣ : ٢٦٥ وعبر الذهبي ٣ : ١٨٦ والتجويد الزاهرة ٥ : ٣٩ وروضات الجنات : ٣٨٧ والدرجات الرفيعة : ٤٥٨ والذريعة ٢ : ٤٠١ وابن كثير ١٢ : ٥٣ وللدكتور عبد الرزاق محيي الدين دراسة عنه بعنوان « أدب المرتضى » (بغداد ١٩٥٧) ؛ ويعتمد ابن بسام هنا في الاكثر على كتاب « طيف الخيال » (القاهرة : ١٩٦٢)

ذلك البيت الجليل ؛ وقد أخرجت من شعره ما لا يمكن لحاقه ، ولا يُنكر تبرُّزه
وسباقه .

جملة من شعره في أوصافِ شتى

في وصفِ الطَّيْفِ

[قال]^١ :

ما زال يخدعني بأسبابِ المنى^٢ حتَّى حسبتُ بأنَّه حقاً معي
أحبُّ إليَّ وقد تغشَّى ناظري
ولقد عجتُ على المسافةِ بيننا
أفضى إلى شعثٍ لقوا هاماتهم
هجعوا قليلاً ثم دَعَدَعُ^٣ نَوْمَهُمْ
وقال :^٤

وزورٍ تخطَّى جنوبَ الملا
أتاني هدواً وعينُ الرقيبِ
وأحبُّ به^٥ يُسْعِفُ الهاجعين
وعهدي بتمويه عينِ المحبِّ
فلما التقينا برغمِ الرقادِ
فناديتُ أهلاً بذا الزائرِ
مطروفةً بالكرى الغامرِ
وتَحَرَّمَهُ مقلَّةُ الساهرِ
ينمُّ على قلبه الطائرِ
موه قلبِي على ناظري

١ طيف الخيال : ١٢٠ والديوان ٢ : ٢٢٢ (طيف الخيال = ل ، والديوان = ن)

٢ ل ن : الكرى

٣ هذا البيت مقدم في : ل ن .

٤ في الاصل : زعزع

٥ ل = ١٢١ ؛ ن : ٢ : ٦٢ والشريشي ٢ : ٢٣٠ - ٢٣١

٦ ل ن : وأعجب به

قال الشريف المرتضى ^١ : قلت هذه الأبيات في سنة أربع ^٢ وثمانين وثلاثمائة ، وتداول أهل الأدب إنشادها ، واستغربوا هذا المعنى ، وشهدوا أنه مخترع لم يسمع ، فلما تصفحت ديوان شعراخي لاستخراج ما يتعلق بوصف الطيف في هذا الوقت وهو سنة اثنتين ^٣ وعشرين واربعائة وجدت هذه البائية بخطه على ظهر الجزء الثاني من شعره ^٤ :

إن طيفَ الخيالِ زارَ طُرُوقاً والمطايا بين القنَّانِ وشُعْبِ
زارني واصلاً على غيرِ وعدٍ واتنسى هاجراً على غيرِ ذنب
كان قلبي إليه رائدٌ عيني فعلى العينِ مِنَّةٌ للقلب
كان عندي أن الغرورَ لطرفي فاذا ذلك الغرورُ لقلبي
فلستُ أعرفُ كيفَ جَرَّتِ الحالُ في خبرها ، وهل قصدَ رحمه الله إلى نظمها حتى لا يخلو شعره من هذا المعنى ، أو أنيبي سماعه مني ، وقذفَ به خاطره وجرى على هاجسه ، وكثيراً ما يلحقُ الشعراءُ ذلك فيتواردون في بعضِ المعاني المسبوقِ إليها ، وقد كانوا سمعوها فأَنسوها ، فالخواطرُ مشتركة ، والمعاني معترضةٌ لكلِّ خاطر ، وكيف جرى الأمرُ فيها فان العنصرَ واحد ، وأينا سبقَ إلى معنى فالآخرُ بالتَّجَرُّ والسَّنَخِ إليه سابقٌ وبه عالق .

وقال المرتضى ^٥ :

أَمِنْكَ سَرَى طَيْفٌ وَقَدْ كَانَ لَا يَسْرِي ونحن جميعاً هاجعون على الغَمْرِ
تَعَجَّبْتُ مِنْهُ كَيْفَ أَمَّ رُكَابَنَا وَأَرْحَلْنَا بَيْنَ الرَّحَالِ وَمَا نَدْرِي

١ ل : ٩٤ - ٩٥

٢ ل : في سنة نيف

٣ ل : نيف .

٤ ديوان الرضي ١ : ١٧٢ والشريشي ٢ : ٢٣١

٥ ل : ١٢٢ - ١٢٤ : ن ٢ : ٦٧

وكيف اهتدى والقاع بيني وبينه
وأفضى إلى شعث الحقائق عرسوا
وقوم لقوا أعضاد كل طليحة
سروا وساك الرمح فوق رؤوسهم
وبات ضجيعاً لي ونحن من الكرى
أضم عليه ساعدي إلى الحشا
ولماعة القطرين^١ مناعة القطر
على منزلٍ وغرٍ ودوية قفر
بهم ملاهّن النعاس من السكر
فما هوموا إلا على وقعة النسر
كبأنا تروينا العتيق من الخمر
وأفرشهُ ما بين سحري إلى نحري

قال المرتضى : قلت : « مناعة القطر » ، وهي على الحقيقة ممنوعة ، لأقابل
بين لماعة ومناعة ، والمعنى مع ذلك صحيح / [١٣١] وإنما قلت : سأك الرمح^٢
لضيق الشعر . ومعنى : « لقوا أعضاد كل طليحة » أي توسدوا أذرع المطي كلالاً
وتصعلكاً .

قال ابن بسام^٣ : ومثله قول ذي الرمة^٤ :
رمى الإدلاج أيسر مرفقيها بأشعث مثل أشلاء اللجام
يعني نفسه [و] أنه عرس على إحدى ذراعي ناقته ، وخص اليسرى لتكون وجوههم
ووجه الإبل في ناحية واحدة فيكتلوا بأبصارها^٥ [لأنها أبصر وأسهر] ولو توسدوا
أيا من المطي كانت وجوههم إلى أعجازها ؛ وفي الاكتلاء لعين المطية يقول الآخر^٦ :
أنخت قلوصي واكتليت بعينها وأمرت نفسي أي أمري أفعل
وقال ذو الرمة أيضاً^٧ :

١ في الأصل : القرطين ؛ ولماعة القطرين : السحابة .

٢ يعني كان حقه أن يقول : الساك الرامح

٣ النص منقول عن شرح الأمالي : ٢٠٠

٤ ديوان ذي الرمة ٢ : ١٣٩٨

٥ في الأصل : فيكتلون بأبصارهم ، وما بين معقنين زيادة من السط .

٦ السط : ٢٠٠

٧ ديوان ذي الرمة : ٢٩٠ (مكارتي)

جَنَحْنَ عَلَى أَرْدَافِهِنَّ وَهُمَّوَا سُحَيْرًا عَلَى أَعْضَادِهِنَّ الْمِيَّاسِرِ
وقال أيضاً^١ :

رجيعة أسفارٍ كأنَّ زمامَهَا [شجاع] لدى يُسْرِى الذراعينِ مُطْرِقُ
كأنَّ الزمامَ إنما يكونُ في الشَّقِّ الذي يضطجعُ عليه ، وقد بينَ ذلك أبو حية بقوله :
[...]^٢ أَيْمَنَ الكَشْحِينَ مِنْهُ إِلَى يُسْرِى يَدَيَّ حَرَجٍ أُمُونِ
وإنما يتوسَّدُ القومُ أَيْمَانَهُمْ لِمَكَانِ السِّلَاحِ مِنْ أَيْسَرِهِمْ ، وَأَنْ مُعَرَّسَهُمْ لَيْسَ بِمَكَانٍ
طَمَآنِينَةٍ وَلَا وَضَعَ السِّلَاحِ مِنْ أَيْسَرِهِمْ .

وقوله : « فَمَا هُمَّوَا إِلَّا عَلَى وَفْعَةِ النَّسْرِ » ، بين مسامطة السهاك لقمة الرأسِ
من وقعه زمانٌ طويل . ومثله مما أنشده أبو علي البغدادي^٣ ، إلا أَنَّهُ في ذكرِ
الشعري والنسر ، قولُ أَيْمَنِ بْنِ خُرَيْمٍ :
أَتَانِي بِهَا يَحْيَى وَقَدْ نَمَتْ نَوْمَةً وَقَدْ غَابَتِ الشَّعْرَى وَقَدْ جَنَحَ النَّسْرُ

وقد أنكر أبو عبيد البكري عليه هذه الرواية وقال^٤ : الصحيح في المعنى :
« وَقَدْ طَلَعَ النَّسْرُ » ، لِأَنَّ الشَّعْرَى الْعُبُورَ إِذَا كَانَتْ فِي أَفْقِ الْمَغْرِبِ كَانَ النَّسْرُ
الْوَاقِعُ طَالِعًا مِنْ أَفْقِ الْمَشْرِقِ عَلَى نَحْوِ سَبْعِ دَرَجَاتٍ ، وَكَانَ النَّسْرُ الطَّائِرُ لَمْ يَطْلُعْ ؛
وَإِذَا كَانَتْ الشَّعْرَى الْعُمُيْصَاءَ فِي أَفْقِ الْمَغْرِبِ ، كَانَ النَّسْرُ الْوَاقِعُ حِينَئِذٍ غَيْرَ مَكْبَدٍ ،
فَكَيْفَ أَنْ يَكُونَ جَانِحًا ، وَكَانَ النَّسْرُ الطَّائِرُ حِينَئِذٍ فِي أَفْقِ الْمَشْرِقِ طَالِعًا عَلَى
نَحْوِ سَبْعِ دَرَجَاتٍ أَيْضًا ؛ فَرَوَايَةُ أَبِي عَلِيٍّ لَا تَصِحُّ أَلَبَّةً ، فَكَأَنَّ النَّسْرَ الْوَاقِعَ نَظِيرُ
الشَّعْرَى الْعُبُورِ ؛ قَالَ الشَّاعِرُ :

وَإِنِّي وَعَبَدَ اللَّهَ بَعْدَ اجْتِمَاعِنَا لِكَالنَّسْرِ وَالشَّعْرَى بِشَرْقٍ وَمَغْرِبٍ

١ ديوان ذي الرمة : ٣٩٤ (مكارنتي)

٢ الكلمة قد كُشِطَتْ وَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا إِلَّا الْحَرْفُ الْأَوَّلُ وَهُوَ التَّاءُ ؛ وَلَمْ يَرِدِ الْبَيْتُ فِي شَعْرَ أَبِي حِيَةَ الْمَجْمُوعِ .

٣ آمالي القاضي ١ : ٧٧

٤ انظر التنبيه : ٣٨ والسمط (شرح الأمالي) : ٢٦٢

يلوح إذا غابت من الشرق شخصه وان تلح الشعرى له يتغيب
وقال أبو نواس^١ :

وخمارٍ نبهتها بعد هجعة وقد لاحت الجوزاء وانغمص^٢ النسر
فقلت : من الطراق قلنا عصابة خفاف الأداوى تستقى لهم الخمر

قال ابن بسام : وأبو عبيد البكري هذا كان آخر علماء أفقنا بالأوان ، وأولهم
بالبراعة والاحسان ، حتى كأن العرب استخلفته على لسانها ، والأيام ولته زمام
حدثائها ، وقد ذكرت [له] في القسم الثاني من هذا التصنيف^٣ ، عدة من التواليف
في شتى الفنون ، تشهد أنه تلقى راية المعارف باليمين .

وقال المرتضى من قصيدة أخرى^٤ :

ألا يا ابنة الحيين مالي ومالك وماذا الذي يتأبني من خيالك
هجرت وأنت لهم إذ نحن جيرة وزرت وشحط دارنا من ديارك
فما نلتقي إلا على نشوة الكرى بكل خداري من الليل حالك
يفرق في ما بيننا وضح الضحى وتجمعنا زهر النجوم الشوايك
وما كان هذا البذل منك سجية ولا البذل يوماً خلّة من خلالك
فكيف التقينا والمسافة بيننا وكيف خطرنا من بعيد ببالك
ولما امتطيت الليل كنت حقيقة بغير الهدى لولا ضياء جمالك

١ متابع للسمط ، وانظر ديوان أبي نواس : ٢٧٣

٢ السط : وانغمص : الديوان : وانحدر

٣ موضع ترجمة أبي عبيد في القسم الثاني من الذخيرة : ٢٣٣ ولم يرد فيها ذكر لتصانيف أبي عبيد لأن النسخ
المعتمدة قد أخلت بإيرادها ، وهذه الحالة هنا تثبت أن ابن بسام كان قد أدرج له ترجمة مستوفاة ، ولعله فعل ذلك
في مرحلة متأخرة من إعداداته للكتاب ؛ ويجدر القول أن للبكري عدة مؤلفات هامة ذكرت بعضها في حواشي ترجمته في
القسم الثاني .

٤ ل : ١٢٤ ، ن : ٢ : ٣٧٠ وحامسة ابن السجري : ١٨١

٥ ل : الوصل

وهذه أبيات غريبة الطَّرَح ، بدوية السُّنَخ .

وقال من أخرى ^١ :

يا طيفُ زُرْنَا إنْ نَشَطْتَ لَنَا فالركبُ بالأبواءِ قد نَزَلَا
عُدَّ النهارَ مطيَّةً لَغَبْتُ وخِذِ الظلامَ مع السُّرى جملاً
ودعِ التعلُّلَ فالحيبُ إذا ملَّ الوصالَ تطلُّبَ العِلا
عَجَلُ سُرَّاكِ إلى مضاجعنا وإذا خَظرتَ ^٢ فلا تغبِ عَجلاً
من أينَ يعلمُ من نحاذرُهُ قَطَعَ الخيالُ الحبلَ أمْ وصلاً

وقال ^٣ :

يا طيفُ أَلَا زُرْنَا بسوادٍ لما تضرَّعنا حيالَ الوادي
ما كانَ ضَرَكَ والوشاةُ بمعزلٍ عنا جميعاً لو طَرَقَتْ وسادي
والريُّ فيكَ وقد صَدِيتُ فقلْ لَنَا مَنَّا علينا كيف يَنْقَعُ صاد
ومن أَجلِ أَنَّكَ تسعفينَ على الكرى أهوى الرقادَ ولاتَ حينَ رقاد
يا زورةً من باخلٍ بِلِقَائِهِ ^٤ عَجَلْتُ عطيتُهُ على الميعاد
تركَ البياضَ لآمنٍ وأتى به فَرَّقَ الوشايةَ في ثيابِ حداد

وقال ^٥ / [١٣٢]

أَلَا [يا] أيَّها الحادي قفِ العيسَ على الوادي
وَأينَ الطيفُ من ظميا ءَ أُمسى وهو معتادي

١ ل : ١٢٦ ؛ ن ٣ : ٤٦

٢ ل ن : حضرت

٣ ل : ١٢٧ ، ن ١ : ١٦٠ والشهاب : ٦٦

٤ ل : برقاده

٥ ل : ١٣١ ، ن ١ : ٢٦٥

جفا صباحاً ووافاني صريعاً بين أعضاد^١
تلاقينا بأرواح وفارقنا بأجساد
قال المرتضى : الأرواح لا يصح لها في الحقيقة التلاقي والتزاور ، لكن الشعراء
لما رأوا الأجساد في طيف الخيال لم تلتق ولا تدانت ، نسبوا التلاقي إلى الأرواح
تعويلاً على مَنْ جعلَ النفسَ لها قيامٌ بنفسها ، وأنها غيرُ الجسد ، وأنَّ التصرفَ لها ،
فجرينا على هذا الطريق ، وإن كان باطلاً بالتحقيق .

وقال ٢ :

زارني والرقادُ مني ومنهم داخلٌ في العيونِ من كلِّ بابِ
زُورَةٌ زُورتَ عليَّ ولو كانت يقيناً لما شَفَتْ بعضَ ما بي
وقال ٣ :

قل لطيف الخيال ليلة هومنا بنجدٍ هلاً طرقتَ هزيعاً
والمطايا من الكلالِ على رَمَلٍ زُرودٍ قد افترشن الضلوعاً
ما على من يحلُّ بالقُورِ لوبا ت لنا طيفُهُ بنجدٍ ضجيعاً
خادعونا بالزُورِ منكم عن الحقيق فما زال ذو الهوى مخدوعاً
واطلبوا إن وجدتم كاتماً للسرِّ منكم فقد وجدنا المذيعاً
وقال ٤ :

وليلةً بتنا بالأبريقِ جاءني على نشوة الأحلام وهناً رسولها
خيالٌ يُريني أنها فوق مضجعي وقد شطَّ عني بالفؤيرِ مقلها

١ ل ن :

جفا صباحاً ووافاني صريعاً بين رقاد
وأغناق المطايا من كلال بين أعضاد

٢ ل : ١٣٤ والشهاب : ٧١ ولم يردا في الديوان .

٣ ل : ١٣٦ ن : ٢ : ٢٠٤

٤ ل : ١٣٨ ن : ٣ : ٣٦ - ٣٧

فيا ليلةً ما كان أنعمَ بثَّها تنازحَ غاوبها ونام عذوها
وما ضرَّني منها وقد بتُّ راضياً يباطلها أن بان صباحاً بَطُوها
فلما تجلَّى الليلُ بالصَّبحِ وامتَّ دياجيرُ مرخاةٍ عليها سندوها
أفقتُ فلم يحصلْ عليَّ من الذي خُدِعتُ به إلا ظنُونُ أُجِيلها

قال المرتضى ^١ : وهذه الأبيات ما تراه ، مما لا تقدِّرُ على جَحْدِهِ من
الفصحاحة والطلاوة والبدويَّة التي يُوجدُ طعمُها في فصيح الكلام ؛ وإنما جعلتُ
الطيفَ رسولها لأنه مذكَّرُ بها ومترجمٌ عنها ، فجرى مجرى الرسول . وكان عندي
أنني سابقٌ إلى وصفِ الطيفِ بالرسولِ حتى وجدتُ أشجعَ السلمي يقول :

حيّ طيفاً أناك بعد المنامِ يتخطى إليك هولَ الظلامِ
شحطَ الحيُّ من سعادٍ ومنا رُسلُ بيننا من الأحلامِ
وقال البحرى ^٢ :

إذا أرسلتُ طيفاً يذكّرني الهوى رددتُ إليها بالنجاح رسولها
وقال المرتضى ^٣ :

وزورٍ زارني والليلُ داجٍ [وقد ملأ الكرى منّا العيوناً]
يريتي أنه ثاني وسادي مضاجعةً وزُورٌ ما يرينا
تعمتُ بباطلٍ ويودُّ قلبي وداداً لو يكونُ لنا يقيتنا
وقال ^٣ :

حللتِ بنا والليلُ مُرخٍ سدُولُهُ فألاً وضوءُ الصبحِ في العينِ مُشْرِقُ

١ ل : ١٣٩ - ١٤٠

٢ ديوان البحرى : ١٧٩٧

٣ ل : ١٥٣ ؛ ن : ٣ ؛ ٣٠٥ والشريشي : ٢ ؛ ٢٣٠

٤ ل : ١٦٢ ؛ ن : ٢ ؛ ٣٠٦

فأَحْبَبُ به من طارقٍ بعد هدأةٍ
ولما تفرَّقنا ولم يكُ بيننا
تطائرٌ وصلٌ غرنا فكأنه
وقال ١ :

ألم خيالٌ من أُميمةَ طارقُ
ألم بنا لم نذرٍ كيف لمامه
فلله ما أُولَى الكرى من دُجَّةٍ
نعمنا به حتى كأنَّ لقاءنا
فما زارني في الليلِ إلاَّ وصُبحنا
وكيف ارتضيتَ الليلَ والليلُ ملبسُ
تُخِيلُ لي قُرْباً وأنتَ بنجوةٍ
وقال ٢ :

ضنَّ عني بالنزْرِ إذ أنا يقظا نٌ وأعطى كثيرُهُ في منامي
والتقينا كما اشتهينا ولا عَيْبٌ سوى أَنَّ ذاكَ في الأحلامِ
وإذا كانتِ الملاقاةُ ليلاً فالليالي خَيْرُ من الأيامِ
وقال ٣ :

وسَّدني كَفُهُ وعانقني
وباتَ عندي إلى الصباحِ وما
ونحنُ في سَكْرَةٍ من الوَسَنِ
شاعَ التقاءُ لنا ولم يبين

١ ل : ١٧٠ : ن ٢ : ٣٠٧
٢ ن ٣ : ٢٧٠ : ل : ١٧٤ - ١٧٥ وابن خلكان ٣ : ٣١٤
٣ ن ٣ : ٣٤٢ : ل : ١٧٥

خادعني ثم عدَّ خَدَعَتُهُ
فان تكن زورةً مُهَوِّمَةً
وإن يكن باطلاً فكم باطلاً
[وقال] ١ :

يا خليلي من ذؤابة قيسٍ
غنياني بذكرهم تطرباني
وخذ النوم من جفوني فاني
للتصابي رياضة الأخلاق [١٣٣]
واسقياني دمعي بكأس دهاق
قد خلعت الكرى على العشاق

فصل في ذكر الوزير أبي القاسم

الحسين بن علي المغربي

واجتلاب سابق أشعاره ، ورائق أخباره ٢

كان أبو القاسم نجماً مطالعاً الدُّولُ ، وبحراً عُبَّاه القول والعمل ، وروضةً تقوت القلوب نفحاتها ، وتقيد الأبصار صفاتها وموصفاتُها ، أما العلماء فعيالٌ عليه ، وأما العظماء فلعبٌ في يديه ، وأما الأقاليم فبعضُ شيعته وأنصاره ، وأما الأقاليم فبين إيرادِهِ وإصداره ، وأما مكانه من العلم الحديث والقديم ، وسبقه إلى غايتي المنثور والمنظوم ، وإقدامه على المهالك ، وتلاعبه بالأملالك والممالك ، فأشهر من الصباح ، وأسير من الرياح .

١ ن ٢ : ٣٤٢ وابن خلكان ٣ : ٣١٤

٢ وردت ترجمة الوزير المغربي (٣٧٠ - ٤١٨) في تنمة الينمة ١ : ٢٤ ودمية القصر ١ : ٩٤ والمنتظم ٨ : ٣٢ وتهذيب ابن عساكر ٤ : ٣٠٩ ومعجم الأدياء ١٠ : ٧٩ وتاريخ ابن الأثير ٩ : ٣٦٢ وابن خلكان ٢ : ١٧٢ - ١٧٧ وبغية الطلب ٥ : ١٤ - ٣٠ واعتاب الكتاب ٢٠٦ ورجال النجاشي ٥٥ والاشارة الى من نال الوزارة ٤٧ ولسان الميزان ٢ : ٣٠١ ، وراجع في أخباره أيضاً ذيل ابن الفلاني ٦١ : ٦٤ وصفحات متفرقة من انعاظ الحنفا (ج ٢) والدرة المضية ٦ : ٣٠٩ - ٣١٢ والنجوم الزاهرة ٤ : ٢٦٦ ؛ وقد ذكره ابن القارح في رسالته وحكى شيئاً من أخباره معه (انظر رسالة الغفران ٥١ - ٥٨) وقد علّق ابن العديم على ذلك بقوله : وكان بين أبي القاسم ابن المغربي وبين علي بن منصور (ابن القارح) ما يوجب ألا يقبل قوله فيه .. (بغية الطلب ٥ : ١٩)

ومن أوابد أخباره ، وخالد آثاره ، كتابه المترجم بـ « المنخل » في اختصاره « إصلاح المنطق » لابن السكيت ^١ ، فانه غاية لا يتعاطاها إلا من بهر عتفه ، واشتهر سبقه ، وطريقه لا يتوخاها إلا من رسخت في العلم قدمه ، وترامت به إلى معالي الأمور هممه ؛ ومما يعجب من أمره ، ويرفع الصوت بجلالة قدره ^٢ : « أنه استظهر القرآن وعدة من الكتب المجردة في اللغة ، ونحو خمسة عشر ألف بيت من مختار الشعر [القديم ، ونظم الشعر] وتصرف في النثر ، وبلغ من الخط إلى ما يقصر ^٣ عنه نظراؤه ، ومن علم الحساب وجميع الأدوات ^٤ إلى ما يستقل بدونه الكاتب ، وذلك كله قبل استكماله أربع عشرة سنة ، واختصر ذلك الكتاب فتناهى في اختصاره ، وأوفى على جميع فوائده ، حتى لم يفته شيء من ألفاظه ، وغير من أبوابه ما أوجب التدبير تغييره للحاجة الى الاختصار ، وجمع كل نوع [إلى] ما يليق به . »

ولما أوقع الحاكم بأبيه وأهل بيته ونذر دمه ، خرج من مصر معتقداً لعلو همته ، ناشداً لضائع ذمته ، فأتى مكة فحمل أبا الفتوح ^٥ على القيام بها ، وقرب له ما كان يستبعد من طلبها ، وجسره على أخذ ما كان بها من محاريب الفضة والذهب ،

١ بحث ابن المغربي بالمختصر إلى أبي العلاء المعري فكتب اليه الرسالة الاغريقية يشي على اختصاره وينبه على فضله ، وما قاله ، « ووقفت على مختصر إصلاح المنطق الذي كاد بسات ألباب ، يغني عن سائر الكتاب ، فعجبت كل العجب من تقييد الاحمال ، بطلاء الاحمال ، ... شرفاً له تصنيفاً شفى الريب ، وكفى من ابن قُرب ، ودل على جوامع اللغة بالاجماء ، كما دل المضر على ما طال من الأساء... » (رسائل أبي العلاء : ١٨ وصبح الاعشى : ١٤ : ١٨٢) ولأبي العلاء رسالة أخرى إلى ابن المغربي تعرف بالمنيع (انظر الرسائل ص : ٣)

٢ ما بين اقواس صغيرة يكاد ان يكون نص ما كتبه والد الوزير المغربي في ابنه ، على ظهر مختصر اصلاح المنطق ، ونقله ابن العديم في بغية الطلب ٥ : ١٧ وما بين معقفين زيادة منه ، وما جرى إصلاحه فانما تم اعتياداً عليه ، وكذلك هو عند ابن خلكان .

٣ في الأصل : نقص

٤ ابن العديم : ومن حساب المولد والجبر والمقابلة وجميع الأدوات ..

٥ هو الحسن بن جعفر العلوي ، وقد جوز له الوزير المغربي أخذ مال الكعبة وضربه دراهم ، وتلقب بالراشد بالله ، وإلى بعض هذا يشير ابن القارح بقوله : « وبغضي له - شهد الله - حياً وميتاً أوجب أخذه محاريب الكعبة ، الذهب والفضة وضربها دنائير ودراهم وسهاها الكعبة .. » (رسالة الغفران : ٥٨ ، وانظر بغية الطلب ٥ : ٢٤)

فضر بهادنانير ، وفرّقها على من تبعه من تُوْبانِ العرب ، ثم سار يدعو إليه ، وَيَسْفِرُ بينه وبين من عسى أن يأتي عليه ، حتى دخل الرملة وصعد منبرها ، فتلا من غير استفتاحٍ لتحميد ولا صلاةٍ على النبي عليه السلام قولَ الله تعالى : ﴿ إِنَّا فَرَعُونَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا أَهْلَهَا شِيَعًا ﴾ وأوماً بيده إلى مصر ، يعني الحاكم ﴿ يَسْتَضَعِفُ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسْهِدِينَ . ونريدُ أنْ تُنَمَّنَ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا فِي الْأَرْضِ ﴾ (القصص : ٤) ثم عاد إلى أبي الفتوح المذكور ، وهزّه لذلك ، فألقى سيفه كهُمَا ، وسحابه جهُمَا ، فخرج إلى العراق ، ودخل الكوفة متقرباً لسلطانها ، ثم خافه وزيرُ قرواش^١ فتقربَ إليه بالمال ، وأشارَ عليه بالترحال ، فصار إلى ميّافارقين ، وأميرها يومئذٍ نصرُ الدولة أحمد بن مروان الكردي ، فتقلدَ وزارته بعدَ طولِ مقام ، وبُعِدَ مرام ، وخلع المرقعة والصوف ، ولبس المسك والشفوف ، فهتك سِتْرَ الحياء ، وخلع رِبْقَةَ الرياء ، فصار كما قال في نفسه ، وقد ابتاع غلاماً تركياً كان يهواه ، قبل أن يبيعه منه مولاه^٢ :

تَبَدَّلَ مِنْ مُرَقَّعَةٍ وَنُسْكَ بِأَنْوَاعِ الْمَسْكَ وَالشَّفُوفِ
وَعَنَّ لَهُ غَزَالٌ لَيْسَ يَحْوِي هَوَاهُ وَلَا رِضَاهُ بَلْبَسَ صُوفٍ
فَعَادَ أَشَدَّ مَا كَانَ انْتِهَاكًا كَذَاكَ الدَّهْرُ مُخْتَلَفُ الصُّرُوفِ
ثم رُوسِلَ بعدُ بوزارةِ الموصل^٣ ، فسار إليها ، وتقلدَ لحيته وزارةَ المستولي عليها ، فملك زِمَامَهَا ، وصرفَ أيامَهَا ، ودَوَّخَ معاملَهَا وأعلامَهَا ، وأتى على ما كان بها من رَمَقٍ ، وجرى من العسفِ بأعظم أهلها من أبعَدِ طَلَقٍ ؛ ثم راسَلَتْهُ وزارةُ بغداد وأميرها يومئذٍ أبو علي بن سلطان الدولة أبي شجاع بن بهاء الدولة بن عضد

١ هو المعروف بابن أبي الوزير الكافي ، وكان وزيراً ومديراً لدولة قرواش بن المقلد ، ويقول ابن العديم ان هذا الوزير قدم إلى ابن المغربي مالا كثيراً كي يرحل عن الموصل فسار عنها إلى ديار بكر (بغية الطلب : ٥ : ٢٦)

٢ الأبيات في بغية الطلب : ٥ : ٢٦ واعتاب الكتاب : ٢٠٦ والشريشي : ٥ : ٣٠٥ وتاريخ المسيحي : ٢٣٤ ب

٣ كان ذلك بعد وفاة ابن أبي الوزير الكافي .

الدولة بن ركن الدولة أبي عليّ، فتبجح ذروتها، واقتعد لَوْفِيهِ صَهْوَنَهَا، فانتظمت له الأيام، وَحَمَدَ على يديه النقضُ والإبرام، وبلغ الحالَ التي تَصَغُرُ عنها النعمُ، وتَقْصُرُ دونها الهمم. ثم إن أبا عليّ أوقع بمن كان يتهمه من الأتراك، وكان قد نهاه الوزير، وأشار عليه بما يقتضي التدبير، فأبى إلا ركوباً لرأسه، وإدلالاً بنفسه، فاضطرب العسكرُ اضطراباً اضطرهما جميعاً الى الهرب، وأفضى بهما إلى استجارة أمير العرب.

حَدَّثَ تحريراً غلامُهُ قال: عهدي بالوزير وهو خارجٌ، وقد لبس ثياباً رثَةً، وعلى وجهه منديلٌ قد لَفَّه فيه لثلاً يمتازُ/ [١٣٤] من جملة العامة، وقد أقبل عليّ واستقبلني في الدهليز ينشدني لنفسه في الحال^١:

مَرَّسْتُ مَنِي الْعِلَا بِأَمْرِي^٢ قَدْ عَلِقَ الْمَجْدُ بِأَمْرَاسِي
يَسْتَنْجِدُ النُّجْدَةَ مِنْ رَأْيِهِ وَيَسْتَقِلُّ الْكُثْرَ مِنْ بَاسِهِ^٣
أَرَوْعُ لَا يَرْجِعُ^٤ عَنْ تِيهِهِ وَالسِّيفُ مَسْلُولٌ عَلَى رَاسِهِ

وقد قيل إن إخراجهُ المَلِكَ معه إنما كانت حاجةً في نفسه قضائها، وخطةً من مكروه أَلَزَمَهُ إِيَّاهَا، إبقاءً على جلالَةِ المقدار، وأنْفَقَ من الانفرادِ بغيرِ الفرار، ثم إن أبا عليّ ثاب سلطانُهُ، وراسله شيعُهُ بالحضرةِ وأعوانُهُ، فعاد إليها، وأقام أبو القاسمُ بالموصل وقد كثر أتباعه، وملأ البلادَ [عيانه] وسماعه، فأقام بها يسيراً، واستشعرَ من صاحبه تقصيراً، فاستأذنه في الرجوع إلى ميفارقين، فحلّها، وتلقاه نصرُ الدولة بالاصطناع، وأَقْطَعَهُ صامتَ الأموالِ وفاشي الضياع، ثم رُوسِلَ ثانيةً

١ الأبيات في دمية القصر ١ : ٩٦ ومعاهد التنصيص ٣ : ٣٣ وإعتاب الكتاب : ٢٠٧

٢ دمية : قارعت الأيام مني امرأة

٣ روايته في دمية القصر :

يَسْتَنْزِلُ الرِّزْقَ بِأَقْدَامِهِ وَيَسْتَدِرُّ الْعُرْزَ مِنْ بَاسِهِ

٤ دمية : لا ينحط

من بغدادَ للوزارة ، واستأذن نصرَ الدولة ، فخلى بينه وبين مراده ، ولم يجدُ بُدّاً من إيساعده ، ووفاءً بانجازِ ميعاده ، فلما برزتُ قبابُهُ ، وكادتُ تستقلّ ركابه ، خُوفَ نصرُ الدولة عاقبةَ مكره ، وأشيرَ عليه بالرأي في أمره ، فسقاهُ شربةً كانت آخرَ زاده ، ووفاءً بانجازِ ميعاده ، وتقدّم حين أحسَّ [بالموت] بحمله إلى الكوفة ليُدفنَ في حجرِ أعدّها هنالك بازاء قبرِ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، فسيرَ بتابوته مسيرةَ شهر ، بين أيدي الحتوف ، وتحت أظلال السيوف ، أكرومةً ختم بها مجده ، وأحدوثه أبقاها في الناس خالدةً بعده .

وقد أجريتُ من نشره الرائقة فصوله ، ونظمه المتقنة فروعهُ وأصولهُ ، ما يعطرُ الزهرَ شذاه ، ويروقُ النجومَ الزهرَ مرآه .

فصل من رسائله

لما دخل البطيحةَ وبها أبو القاسم هبةُ الله بن عيسى^١ [وزير] مهذبِ الدولة ، وكان من أفاضل أهلِ وقتهِ ، فدخل إلى ابنِ المغربيّ رجلٌ يُعرفُ بسليمانَ ابنِ الربيع ، وسلمَ إليه قصيدةً قد بُنيتْ على السؤالِ عن ألفاظٍ من اللغة على جهةِ الامتحانِ لمعرفته ، فلما وقف عليها امتعضَ في الحال ، وأحفظه ما لقيَ من التعديّ والسؤال ، ونسبَ ذلك إلى فعل أبي القاسم وزيرِ مهذبِ الدولة البطيحيّ ، فكتب عقيبَ الوقوف^٢ على ذلك لوقته جواباً أثبتُ بعضَ فصوله ، لطوله ، بعدَ هذه الأبياتِ المذكورة :

يا أفضَلَ الأدباءِ قو لا تعارضُ الشكوكُ
لا العلمُ ناءٍ من حجا ك إذا نطقَت ولا فِرُّوكُ

١ ذكر ابن الأثير (٩ : ٢٥٢) أنه توفي سنة ٤٠٦ وقال فيه : « كان من الكتاب المفلّين ، ومكاناته مشهورة . وكان مدحاً ، ومن مدحه ابن الحاجج » .

٢ ص : عقب الدولة .

عرضتُ مسائلُ أنت للفتوى بمشكلها دُرُوكُ
 ما الحيّ والحيوتُ أم ما جلبحُ نضوُ بروكُ
 أم ما ترى في برقعِ رقصاءَ مجهدا حبيك
 أم ما الصرّثقُ والزّريرُ وما الملمعةُ النهوكُ
 ولك الدرايةُ والبصيرةُ في مداحيها السّهوكُ
 وأبْنُ لنا ما خططُ أبداً بأمرغةٍ معيك
 أو ما اعتنانةُ فوهِدٍ فيه الملامةُ لا تحيك
 أم ، ما ترُقْلُ [هَبْرَج] يرتبُ مرُسَنهُ هلوكُ
 ولربَّ ألفاظٍ أتتك وفي مطاويها حلوكُ
 فارفقْ بنشرك طيها وانظر بدوقك ما تلوكُ
 هذا وقد لَيمتُ فُوادي خِرْمَلُ هِرْطُ ضحوكُ
 دعكْنّةَ نظرْنّةَ في خيسِ غانظها شكوكُ
 تغدو وخرفعها المذْيُـلُ لُ في طوائفهِ سُدوكُ
 وأراكَ ما لك مشبهُ في ما علمتَ ولا شريك
 حقاً لقد حُزّتْ العلو مَ حيازةَ العلم الضريك

فأجابه ابنُ المغربي برقعةٍ قال فيها : وقفتُ على ما ذكرتَ أن بعضَ أهلِ
 الأدبِ كلّفَكَ المسألةَ عن شعري وجدتهُ ، لا أحبُّ أن أقولَ في صناعته شيئاً ، مشتملاً
 على ألفاظٍ من حوشي اللغة لا يتّساعِلُ بمنّلتها أهلُ التحصيل ، ولا يتوفّرُ على تأملها
 إلّا كلُّ ذي تأملٍ عليل ، لخروجها عما ينفعُ في الأديان ، ويعترضُ في القرآن ،
 ولما ينتها ما يجري في المذاكرة ، وتُستخدم فيه المحاوره ، وزاد في عجبني منها صدرها
 عن البطيحة وفيها الأستاذ الفاضلُ هبةُ الله بحرُ الأدبِ الذي عذبتُ مواردهُ

١ ص : من الأستاذ ، ولعلها « مثل الأستاذ »

ومصادره ، وريُّ العقول الظماء ، وطبُّ الجهلِ المستغمر الداء ^١ ، والبابُ الذي يفتحُ عن الدهر تجربةً وعلمًا ، والمرأةُ التي تُتَصَفَّحُ بها أوجهُ الأيام / [١٣٥] إحاطةً وفهماً .

وفي فصل : فان كان الغرضُ في هذه الأبياتِ الخرابِ ، المقفرة من الصواب ، طلبَ الفائدةِ ، فقد كان يجبُ أن يُنَاحَ عليه بِمُقْفَلِها ، وَيُقَصَّدَ إليه بِمُغْضِلِها ، فعندهُ مفتاحُ كلِّ مسألةٍ مُقْفَلَةٌ ، ومصباحُ كلِّ داجيةٍ مُشْكَلَةٌ ؛ بل لستُ أشكُ أن هذا السائلَ لو جاوره صامتاً عن استخباره ، وعكفَ على ذلك الجَنَابِ كأنما لجأ في طيِّ إضماره ، لأعداه رقةً نسيمِ أرضه ، وهذبَ ^٢ خاطره التقاطُ لفظه ، حتى يغنيه الجوارُ عن الحوار ، والاقترابُ عن رَجْعِ الجواب ؛ وان كان قصدَ الامتحانِ للمسؤول ، وتعرُّضَ لهذا الموقفِ الزُّحُولِ ، فذلك أعجبُ : كيف لم يتأدَّبَ بآدابه الصالحة ، ويعتشي إلى هدايته الواضحة .

وفي فصل : وكيف لم يعلمَ هذا العريضُ المكلفُ - بما أُعْطِيَ من سعادة مكائرتِهِ ، وسبق ^٣ إليه من بركة صحبته - أن هذا التعريض كما قال المخزومي لعبد الملك بن مروان وقد ^٤ لقيه في طريق الحجاز : بئستُ تحيةُ الغريبِ من القاطنين ، ولوَمَتُ هديَّةُ الوافِدِ من المقيمين ، وقد كان حقُّ الغريبِ بينكم أن يكثرَ قليلُهُ ، وَيُسَدَّ ذريعه ، وَيُعَارَ من معالي الصفاتِ ما يُؤْنِسُ غُرْبَتَهُ ، ويصدقُ مَحِلَّتَهُ . وعلى أَنَّهُ لو كان قد احتبى للجدالِ ، وركبَ للنزالِ ، لما كان في عزوبِ ^٥ كلماتٍ من حوشي اللغةِ عن ذكره ، ما يدلُّ على قِصَرِ باعه ، وقِلَّةِ اطلاعه ، ويا عجباً للفراغِ

١ ص : المستغمر الداء .

٢ ص : وهديت .

٣ ص : وسبق .

٤ ص : بالهاء .

٥ ص : غشوب .

كيف يسوّغ لهذا المغترّ أن يجاري بخلوّ ذرّعه تفسّم أفكاره ، وكيف أنساه اجتماع شمله بعدّ دياره ، وكيف أذهله حضور أحبته عن مغيب أفلاذ كبدي ، وكيف طرفت نواظره سكرة الحظّ عن تصوّر ما يجنّ خلدي . وكيف لم يدر ما لي من الحافظ مفسّمة ، وظنون مرّجة ، وقد تكلفت الإجابة لما تضمّنته الأبيات انقياداً لمرادك ، ومقتصر الرأي على إسعادك ، أجر أقلامي جرّاً وهنّ نواكل ، وأنبّه قرائحي وهنّ في غمرات الهموم ذواهل :

قال السائل : « إن المسؤول درّوك لتلك الفتوى ، ومستحقّ بها للرتبة العليا » ودروك لا يجوز هنا لأنّ فعولاً لا يكون من أفعال ، ولو جاز ذلك لجاز « حسون » من « أحسن » و « جمول » من « أجمل » . وما نحبّ استيفاء القول في هذا الزلل ، ولا نستفتح كلامنا بالمناقشة في السّهو والخطل . ولعلّ القائل أوهم حملاً على قراءة حفص ﴿ في الدرك الأسفل من النار ﴾ (النساء : ١٤٥) فظن أن الدرك بوزن فعل ، وأنّ فعلاً مصدر فعل يفعل ، ولم يجعله من الدرك ، لأنّ الفتح عندهم لا يخفف ، لا يقولون في جمل « جمل » ، وذهب عنه أن يكون اسماً مبنياً مثله وإن لم يكن مخففاً منه كما قالوا : « دركة ودركة في حلقة الوتر التي تقع في فُرْضة القوس ، فخففوا وحركوا ، وعلى أنها لو كانتا مصدرين لجاز أن يبنيا على الشذوذ ولا يحمل عليهما ما يُبنى من الفعل ، لأنّ الشذوذ ليس بأصل يقاس عليه . ولعله اغترّ بقولهم : « درّاك » - بالشّد - وهو شاذّ لأنهم قد [بنوا] أفعال من فعل ، وهو قليل ، قالوا فطرته فأفطر ، وبشرته فأبشر ، فجاز على هذا درّكه فأدرّك ، قال سيبويه : وهذا النحو قليل في كلامهم . ولعله ذهب إلى قولهم : « درّاك » مثل « نزال » فظنّ أنه يقال منه « درّك » كما يقال من « مناع » و « نزال » : منع ونزّل . وذهب عنه [أنه] قد جاء الرباعي في هذا الباب ، قالوا : قرقار وعرعار ، في

١ ص : فرض .

٢ ص : بفعل

معنى قرقر وعرعر. فأما الفرق بين الرباعي والثلاثي ، فسيبويه يرى إجازة « فَعَالٍ » في موضع فعل الأمر الثلاثي كله ، ويمتنع في الرباعي إلا مسموعاً ، وقال غيره من النحويين : بل هما ممنوعان إلا مسموعين ، واعتمد سيبويه في الفرق على كثرة الثلاثي ، وقلة ما جاء في الرباعي . أولعله أصغى إلى قول الآخر^١ :

إن يكشف الله قناع الشك فهو أحق منزل بِدَرْكِ
فذهب إلى أن « دَرْكاً » مصدر ، ولم يعتقد أنه كما قرأ حَفْصُ بالاسكان . أولعله علق سمعه [قول] العتبي :

إذا قلت أوفى أدركته دروكة فيا موزع الخيرات بالعُذر أقصر
وما أعرف له حجة أقوى منه . أولعله أراد بقوله : دروك من الدرك مثل : لغوب ، وهي لغة تكلمت بها العرب .

ثم بدأ السائل فسأل عن « الحي » ، ولم أقب على صحة سؤاله لأنني وجدت الأبيات مكتوبة بخط عليل ، وإن كان سأل عن « الحي » - بكسر الحاء - فقد أنشد أهل العلم قول العجاج^٢ :

وقد نرى إذ الحياة حي واذ زمان الناس دَغْفِلِي
فقال الحي من الحياة ، والحي / [١٣٦] جمع حي . وأما كونه على معنى الحياة فوزنه على فعل باختلاف .

١ ورد في اللسان (درك) :

نظفر من حاجتي ودرك فذا أحق منزل بترك

وفي التاج :

إن يكشف الله قناع الشك بظفر من حاجتي ودرك

فذا أحق منزل [بترك]

٢ ديوان العجاج : ٤٨٦ واللسان والتاج (دغفل) : والدغفلي من العيش : المخصب الواسع .

قال ابن بسام : ومدَّ أبو القاسم في هذا الجواب أطنابَ الإطناب ثم قال :
« والحَيَّوتُ » الحية وَزُنُهُ فَعَلَوْتُ ، والتاء فيه زائدة ، وكثيراً ما تُزَادُ خامسةً مثل
عفريت ، وإنما هو عفري .

و « الجَلْبَجُ » العجوزُ الكبيرةُ ، وأنشدوا : « إِنِّي لِأَقْلِي الجَلْبَجَ العجوزا »
و « بَرِّقَ » : السماءُ الدنيا ، قال أمية بن أبي الصلت ^١ :

وكانَ بَرِّقَ والملائكُ حولها سَدِرُ تَوَاكَلَهُ قوائمُ أربعٍ ^٢
و « الصَّرْنَقُ » : الشديدُ الخالصُ ولا يكونُ فَعَنْلَلْ إلا وصفاً لا اسماً ، قال
جران العود ^٣ :

ومنهنَّ غُلٌّ مُقْمِلٌ لا يَفْكُهُ من القومِ إلا الشَّحْشَحَانُ الصَّرْنَقُ
و « الزَّرِيرُ » الذكيُّ والمتحدِّرُ ^٤ ، وكان شيخنا أبو أسامة ^٥ يخالفُ جميعَ
اللغويين فيه ويقول : هو الزَّرِيرُ ، ومنه اشتق اسم « زُرَّارَة » ، وقولُ أبي أسامة
أصح .

و « الملمعة » الفلاة التي يَلْمَعُ فيها الآل ، وفي مَثَلٍ : « أَكْذَبُ من
يَلْمَعُ ^٦ » وهو السراب ، ومنه الألمعيُّ ، كأنه يلمعُ العواقب بدقة فطنته ، وأما

١ ديوان أمية : ٣٥٨ واللسان (سدر) وتحيى قافية البيت أحياناً « أجرد » و « أجرب » وقال ابن بري : صوابه
« أجرد » والفصيحة دالية ، والجرد : الملاسة .

٢ السدر : البحر ، ولم يسمع به إلا في شعر أمية ، توأكلته : تركته ، والقوائم هنا : الرياح .

٣ ديوان جران العود : ٨

٤ في اللسان والتاج أن الزرير هو الذكي الخفيف .

٥ هو جنادة بن محمد بن الحسين الأزدي الهروي (- ٣٩٩) كان كثيراً من حفظ اللغة ، أخذ عن الأزهرى وغيره ،

وقتلته الحاكم العبيدي (انظر ابن خلكان ١ : ٣٧٢ ومعجم الادباء ٧ : ٢٠٩ وبغية الوعاة ٢ : ٤٨٨)

٦ انظر المثل في الدرة الفاخرة : ٣٦٢ (وفيها تخريجه) .

اللودعيّ فهو الذي يتلذّع من شدة ذكائه . ويقال ألعت الوحشيّة وغيرها اذا بان
لضرعها سِقَالٌ وبريقٌ باللبن ، قال الأعشى ^١ :

مُلْمَعٌ لَاعَةٌ الفؤادِ إلى جحشٍ فَلَاهُ عنها فبئسَ الفالي ^٢

ويقال إن « لاعة » فعلة ومذكرها لَاعٌ ، وفي الحديث : هَاعُ لَاعٌ ، وقيل بل لاعة
بوزن فاعلة ، كان الأصل « لاعية » من اللعو ، وهو أشدُّ الحرص ، وبين الخليل
وأهل النحو فيه خلاف يشقّ إحصاؤه .

و « التّهوك » و « التّهيك » و « التهاكة » معروفة .

و « البصيرة » الترسُّ ، قال الأسعر الجعفي ^٣ وليس بالأسعر ^٢ المازني :

راحوا بصائرُهم على أكتافهم وبصيرتي يعدو بها عتدُ وأى ^٤

والبصيرة : الدم ؛ [والبصيرة : الدية] ومعنى البيت على هذا أنهم أخذوا
الديات ولم آخذ ، فركبتُ يعدو بي فرسي لطلبِ الثأر ، ويكونُ هذا مشبهاً لقولهم :
.....^٥ ورحتُ أجرُ ثوبِي أرجوانٍ

١ بيت الأعشى في اللسان والتاج (لوع) وديوانه : ٨

٢ قال الأصمعي : الملمع التي قد استبان حملها في ضرعها فأشرق ضرعها باللبن ؛ وقال أبو عبيدة : ملمع : نتوج
مقرب ، لاعة الفؤاد اراد لاعة الفؤاد أي مستخفة من الحزن ، ورجل هاع لاع وهائع لائع مشتاق إلى الشيء .
والفالي : الطارد .

٣ في ص : الأسعر ؛ والأسعر الجعفي - ضبطه الآمدي بالسين المهملة - هو مرثد بن أبي حمران ، وأورد له بيتين من
قصيدته التي منها هذا البيت التالي وهي قصيدة اصمعية (الأصمعيات : ١٥٦) وانظر اللسان (عتد . وأي)
والمعاني الكبير : ١٠١٣ والوحشيات رقم : ٥٧

٤ العتد : الفرس الحاضر المعد للركوب ؛ الواذ : السريع المشدد الخلق ؛ وقال ابن قتيبة في شرح البيت ، البصيرة ،
الدفعة من الدم أي دماؤهم قد خرجت فصارت على اكتافهم وبصيرتي في جوفي يعدو بها فرسي ، يريد أنهم جرحوا ،
ويقال بل أراد أن الذي طلبوه من الدحول على اكتافهم لم يدركوه بعد ، فهو ثقل عليهم ، وبصيرتي أي دخلت قد
أدركت به .

٥ لم أستطع قراءة هذا النطر ، وصورته في ص : عدا دل داء لمن حجة .

كلانا اختار فانظر كيف تَبَقَّى أحاديثُ الرجالِ على الزمانِ
والبصيرة في هذا الموضع : الحق .

و « المداحي » مُفَاعِلٌ من الدَّخُو وهو البَسْطُ ، والدَّخُو أيضاً النكاح .
و « السَّهوك » من السَّهَكِ وهو السَّحْقُ ، ويقال : ريح سَيَّهوكُ وَسَيَّهوجُ ، اذا
كانت شديدةَ المرورِ والهبوب .

و « الخمطط » ^١ هو الْكُحْكُحُ ، وهو الشيخُ الكبير .

و « المَرْغُ » الرِيقُ ، يقال أحرق ما يجافي مَرْغَهُ ، أي ما يمسك ريقه ، والمرغ :
التراب ، في غير هذا .

و « مَعِيكَ » فعيلٌ بمعنى مفعول من المَعَكَ ، وهو كالكنى .

وسأل عن الفَوَّهْدِ ، والفَوَّهْدُ والتَّوَهْدُ : الغلامُ الممتلئُ شباباً ، وأنشدوا ^٢ :

تَحِبُّ مِنَّا مُطْرَهَفًا فَوَّهْدًا عِجْرَةً شَيْخِينَ غَلَامًا أَمْرًا
ينشد بالثناء والفاء .

و « القَلْفِيعُ » ^٣ الطينُ الذي يتقلَّعُ عن الكمأة ، وفيها خلاف .

و « الهَبْرَجُ » من صفة بقر الوحش .

و « يرتبُّ » يفتعل ، من رَبَّ الأمرَ ، أصلحه .

و « المرُسَن » موضع الرسن .

١ لم أجد هذه اللفظة وأقرب الصور لها « لطلط » وهي بمعنى الكحكح .

٢ اللسان (طرهف) فهد (والمطرهف : الحسن التام ، والفوهد والتوهد والقلهد : الغلام السمين الذي قد راقق الحلب .

٣ لم ترد في الآبيات ، فلعل فيها سقطاً .

و « الهلوكُ » الفاجرة لأنها تتهالك في مشيتها أي تتأيل وتتهادى .
و « لَذِمَ » بالمكان والذم ، مثل لزم وألزم .
و « الخِرْمِلُ » المرأة الفاجرة ، وقيل الحمقاء ، قال مزرد ^١ :

* إلى خِرْمِلٍ شَرُّ النساءِ الخرامِلُ *

و « الهِرْطُ » النعجة المسنة و [اللحم المهزول] في غير هذا ، والهَرْدُ : الشقُ
و « دَعَكْتُهُ » أصله السَّمَنُ والفتوة ، وهو ما لا يُسأل عنه ، لأن كلَّ ما زيدت
فيه النون في هذا الموضع يدلُّ لفظه على اشتقاقه كما تدل سمعته ونظرته على السمع
والنظر ، ودَعَكْتُهُ من الجلادة ، كأنه من الدعاك ^٢

و « الخيسُ » الغابة ، وفي غير هذا الموضع اللحية .

و « الغانِظُ » فاعلٌ من الغنِظ وهو الكَرْبُ ؛ قال عمر بن عبد العزيز : في
الموت غنِظ ليس كالغنِظ وكِظٌ ليس كالكِظ ، وهما الكربُ .
و « الخِرْفَعُ » ^٣ القليل من كل شيء .
و « المذيلُ » المكمل .

و « الطوائفُ » الأيدي والأرجل .
و « السَّدوكُ » لا أومِنُ به لأنه يقال / [١٣٧] سدك سَدَكاً وسَدَكاً ، فان جاء
فيه سدوكاً فهو شاذٌ قليل ، وهو اللزوم .

قال ابن المغربي : هذا ما حَضَرنا من القولِ ، ولولا أَتْنَا لا نودَّ أن نُنْهَى عن

١ روايته في ديوان مزرد : ٤٨

إلى صبيّةٍ مثل الغالي وخرمِلٍ

٢ ص : الدعاء .

٣ الخرفع : القطن وقيل ثمر العشر .

خُلِقَ ونَاتِي مثله ^١ لسألنا مستفيدين ، نثراً لما فيه من شفاء البيان ، لا نظماً لما فيه من التعاطي والطغيان ، فسألناه عن اللغة ان كان عُنيَ بها : عن العَلَّاقِ بالعين ، فهو بالغين معروف ^٢ ، وعن المِصْمَةِ بكسر الميم ، فهو بفتحها مشهور ، وعن هندي لا تضاف الى الأحامس ^٣ فان ذلك معروف ، وسُكِّرَى بضم السين فهو بفتحها معروف . وعن الدَّوْن بالواو فهو بالياء معروف ، وعن الفَرْنَ بالفاء فهو بالعين مذكور ، وكم في الكلام أفعلة أسماء فهو في الصفات معروف ، وما النديم في الناس فانه في الجهاد معروف ، وما الشاهد على جواز أفلج بالجيم فانه بالحاء معروف .

هذا ان كانت اللغة عنده مهمة ، فان قال إن النحو هو المهم عنده قلنا : فما جمع على أفعلة أغفله سيبويه فلم يلحقه بكتابه أحد من النحويين ، وهل ذلك الجمع إن كنت عارفاً به مطرد أو محمول على مكانه في اللفظ ؟ وعلى أي شيء خفض ﴿ وقيله يا رب ﴾ في قراءة حفص ، لا على ما أورده أبو علي الفارسي ، فانه لم يسلك مذهبه في التدقيق عليه ؟ ولم منع سيبويه من العطف على [عا] ملين ، وهو في سورة الجاثية بنصب ﴿ آيات ﴾ ، ورفع لا يتجّه إلا عطفاً على عاملين ، فان كان أخطأ الأخفش فمن أين زل ؟ وان كان أصاب فكيف تجوز له مخالفة الكتاب ؟ وهل قول سيبويه في النسبة إلى أُمَيَّة أموي - بفتح الهمزة - صواب أو سهو استمر عليه وعلى جميع النحويين بعده ؟ ولم قيل معدي كرب ، ولم تحمل الياء في لغة من أضاف ولا من جعلها اسماً واحداً إلا على ما أورده النحويون ، فلهم فيه أقاويل غير متجهة . وهل مذهبهم في أن سُدَى وهُدَى مصدران صحيح أم لا ؟ وهل

١ فيه إشارة إلى قول الشاعر :

لا تنه عن خلق وتأتي مثله
عار عليك إذا فعلت عظيم

٢ ذكر ابن دريد في الجهرة (٣ : ٣٩٦) الغلاق وقال انه اسم موضع ، ولم يذكر الغلاق .

٣ يقال لقي هند الأحامس اذا مات أو وقع في الداهية . وإضافتها إلى غير الأحامس مثل هند الهنود ، وهند بني سعد وما إلى ذلك ، ولكنني أعتقد ان ابن المغربي يشير الى ما هو أدق من ذلك .

بيض في قولهم : حمزة بن بيض اسم أم جَمْعُ ، وما معناه في اللغة ووزنه في النحو مسموعاً لا مقيساً على ما ذكرناه نحن في هذه الرسالة ؟ ولم اختاروا « أن » مع عسى وكرهوه مع كاد ؟

فان قال : لست أتشأغلُ بعلوم المؤدين ، وإنما آخذُ بمذهب الحافظ ، إذ يقول : علمُ النسبِ والخبرِ علمُ الملوكِ ، قلنا له : فمن أبو خَلْدَةَ^١ فان أبا جِلْدَةَ^٢ معروف ، ومن العاضُ وما اشتقاقه^٣ فان العاصَ معروف ، ومن حَبْشِيَّةٍ - مفتوح الأول مخفف - فانه بالتشديد وضم أوله معروف^٤ ؟ ومن عمرو بن معدي كرب غير صاحب : « أَمِنْ رِيحَانَةَ الداعي السميع »^٥ فان هذا معروف ؟ وما اسم امرئ القيس على الصَّحَّة لا على هذا الظاهر وعلى أن في اشتقاقه كلاماً طويلاً فان هذا معروف ؟ ومن الزُّبَيْرِ غير الأسدي واليهودي فكلاهما معروفان ؟ ومن الزُّبَيْرِ بفتح الزاي فانه بضمها معروف^٦ ؟ ومن القائل :

وقابلة لجلجتها فَرَدَدْتُهَا لدى الفرش لو نَهْنَهْتها قَطَرْتُ دما
أرجلُ أو امرأة ؟ وهل صفية الباهلية قلب ام مولاة ؟ وهل المستشهد بشعره في « غريب المصنف » أبو كعب بالباء أو التاء ، وفي أي زمان كان ، وأيهما كان اسمه

١ الحاء غير معجمة في ص : وخلدة هي بنت طلق الهامي ، حدثت عن أبيها ، وخلدة بنت العرياض بن كلاب ، روت عن عمها (الاكمال ٣ : ١٨٢)

٢ أبو جلدة بكسر الجيم مسهر بن النعمان ، وشاعر يشكري وآخر عجلي (الاكمال ٣ : ١٨٢)

٣ العاض بن ثعلبة بن سليم الدوسي ، وقال الوزير المغربي هو بلا تشديد (تبصير المنتبه : ٨٩٠) وهو من عضا بعضو الجرح أي كان بصيراً بالجراح .

٤ هنالك حبشية بن كعب بن ثور من مزينة (تبصير : ٤٨٦) وحبشية بن سلول ، وهذا الثاني يقرأ أيضاً بفتح الحاء وتخفيف الباء (تبصير : ٤٠١)

٥ صدر بيت لعمر بن معد يكرب الزبيدي ، وعجزه : « يورقي واصحابي هجوع » (ديوانه : ١٣٦) ؛ وهناك رجل آخر بهذا الاسم وهو عمرو بن معد يكرب الزبيدي الاكبر جاهلي قديم (المؤلف : ٢٣٣)

٦ الأسدي هو الزبير بن العوام ، واليهودي هو الزبير بن باطا من بني قريظة أسلم ابنه عبد الرحمن (الاكمال ٤ : ١٦٦) وهناك الزبير بن عبد الله الكلبي وقد عاش آخر خلافة عمر (الاستيعاب : ٥١٠) ؛ وأما الزبير - بفتح الزاي - فهو ابن عبد الله بن الزبير شاعر ابن شاعر (الاكمال ٤ : ١٦٥ - ١٦٦) .

ومن أي شيء اشتقاقه ؟ ومن التَّطْفُ الذي يُضْرَبُ به المثل فيقال : كنز النطف^١ ؟
ومن العكمص ، لا أسأل عن تفسيره فانه في اللغة معروف^٢ ؟ وكذلك ذو طلال^٣ ،
وما خَوَّعَى فأنَّ جَوَّعَى معروف ، وهل أخطأ ابن دريد في هذه اللفظة أم أصاب^٤ ؟
وما تقول في عدنان غير الذي ذكره محمد مولى بني هاشم فانه معروف^٥ ؛ وهل
يخالف فيه أم لا ؟ وحبيب والد ابن حبيب العالم رجل أو امرأة ، وهل هو لغية أم
لرشرة^٦ ؟ ومن أجدد بالجميل فهو بالحاء كثير^٧ ؟ ومن زَبَد بالباء فهو بالنون
معروف^٨ ؟ ومن روى عنه عليه السلام : « لا يمنع الجار جاره أن يجعل خشبه في
حائطه »^٩ وقال « خشبة واحدة » وقالوا كلهم : خَشَبُهُ مضاعفاً ؟ ومن يكثر ذكر
الحضرمي في شعره من العرب^{١٠} ؟ والنبيذ المشروب : هل كان معروف الاسم أم لا

١ هو النطف بن خبيري أحد بني سليط بن الحارث (انظر قصة احتيازه الكنز في نهار القلوب : ١٣٩ وشرح العيون :

٥٥ - ٥٤)

٢ العكمص : الحاد من كل شيء أو الكثير أو الشديد الغليظ وبه كنى أبو العكمص التميمي (التاج : عكمص)

٣ ص : ذو أطلال ؛ ولم يبين ما يريد هـنا ، وذو طلال : ماء قريب من الريدة وقبل هو واد لفظان (معجم البكري :

٨٩٢)

٤ جوعي المعروف هو مؤنث جائع وقال ابن دريد في الجمهرة (٢ : ١٠٥) إن جوعى موضع وأثبتها البكري عنه ، وذكر
أنها خوعى بالحاء المعجمة في شعر امرئ القيس (معجم البكري : ٤٠٤)

٥ محمد مولى بني هاشم هو محمد بن حبيب نفسه وهو يذكر أن في الازد عدنان بن عبد الله بن الازد وقال غيره انه

عدنان (الاكمال ٦ : ١٥٣ - ١٥٥)

٦ حبيب اسم أمه ويقال إن اباه غير معروف .

٧ أجدد بن عبيان شهد فتح مصر (تبصير ١ : ٣)

٨ زيد بن سنان بفتح الزاي ، وزند بن الجون ابو دلامة وزند في نسب عدنان (الاكمال ٤ : ١٦٨ - ١٦٩)

٩ ورد الحديث في البخاري (مظالم : ٢٠ وأثرية : ٢٤) وسلم (مساقاة : ١٣٦) وسنن أبي داود (أقضية :

٣١) وابن ماجه (أحكام : ١٥) والموطأ (أقضية : ٣٢) ومسند أحمد ١ : ٣١٣ ، ٣ : ٤٨٠ ؛ قلت : خشية

(بالافراد) هي رواية أبي ذر ورواه غيره « خشبه » بالهاء - بصيغة الجمع ؛ وقال عبد الغني بن سعيد : كل الناس

يقولونه بالجمع إلا الطحاوي (وانظر مزيداً من التفصيلات في ارشاد الساري ٤ : ٢٦٦)

١٠ الحضرمي : النعل المصنوعة بحضرموت . وأراها ترد كثيراً في شعر كثير الى مرهفات الحضرمي المعقرب « (ديوانه :

٢٦٥) ، و « بأقدامهم في الحضرمي الملسن » (ديوانه : ٢٥٢) الخ ...

عند العرب^١ ؟ ومن روى عن ظئر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنها قالت في شارفها : « وكانت لا تغذي أحداً » وما معناه^٢ ؟ ومن تفرّد من أهل العلم بنصر ذي الرمة وتغليط الأصمعي في قوله : إيه عن [١٣٨] أمّ سالم ، لا على ما قاله النحويون من التعريف والتذكير ، فان ذلك معروف^٣ ؟ ومن قال عن المتنبئة إنها سجّاح مثل قَاطِمٍ ومن قال سجّاح مثل غمام غير مبني^٤ ؟ ولم سميّ خليل الشاعر : خليل عيين^٥ ؟ ومن عُمَيّ التي تنسب اليها الصكّة فيقال « صكّه صكّة عُمَيّ » ، وهل ذكر في شعر ومن ذكره^٦ ؟ ومن هو الذي تنسب اليه العرب الصلال ومن ذكره من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ ومن كرب المنسوب اليه معدي كرب^٧ ؟

١ التسمية معروفة ولكن الدلالة مختلفة ، إذ كانت اللفظة تدل على كل ما نبذ في الدباء والمزفت فاشتد ، ولكنه كان شيئاً غير الخمر ولهذا نجد القلمس يقول في الخمر :

أروي بها نفسي فتحيا بشر بها ولا أشتي شرب النبيذ من التمر

٢ ذلك هو حديث عبد الله بن جعفر عن حليلة السعدية وكانت قدمت المدينة تطلب ولداً ترضعه وبمعها شارف- وهي ناقة مسنة ؛ فلما قدر لها أن تكون مرضعة للرسول درّ ثدياها ودوّت الشارف « وقام صاحبي إلى شاري تلك فاذا بها حافل فحلب ما شرب وشربت حتى رويتنا » وذلك بعد أن قالت : « ما يجدي في ثديي ما يغنيه ولا في شارفنا ما يغذيه » (أسد الغابة ٥ : ٤٢٧)

٣ قال ذو الرمة « وقفنا فقلنا إيه عن أمّ سالم » - بكسر الهاء - قال الأصمعي : أخطأ ذو الرمة إنما كلام العرب إيه (بالتونين) وقال يعقوب بن السكيت أراد إيه (بالتونين) فأجراه في الوصل مجراه في الوقف وكذلك قال ثعلب ، كما قال الزجاج انه ترك التونين للضرورة ولكن أبا علي الفارسي انتصر لذي الرمة وقال : اما هذا فالأصمعي مخطيء فيه .. ديوان ذي الرمة : ٧٧٩ واللسان والتاج (إيه)

٤ يقول الأزهري وابن دريد والجوهري وغيرهم من اللغويين انها « سجّاح » مثل قَاطِمٍ ؛ ولم أعر على من أجاز أن تكون مثل « غمام » .

٥ قيل سمي بذلك لأنه كان يسكن أرضاً بالبحرين تعرف بعينين (الشعر والشعراء : ٣٧٣)

٦ الصكّة : شدة الهاجرة ، يقال : لقبته صكّة عمي وصكّة أعمى وهو اشد الهاجرة حرّاً ، وقال بعضهم : عمي اسم رجل من العبا ليق أغار على قوم في وقت الظهيرة فاجتاحهم ، ويقال هو تصغير أعمى مرخاً ، وأنشد ابن الأعرابي :

صكّها عينا الظهيرة غائراً عَمَيّ ولم يعلن إلا ظلالها

٧ معد يكرب اسم عيني يرد في النقوش ، وهو سبأ ي محض ، ولا تنطبق عليه التفسيرات التي يوردها لغويو عرب الشمال .

وهل أصاب المبرد في نسبة الأبيات الجيمية :

لما دعا الدعوة الأولى فأسمعني أخذت بُرْدِي واستمرتُ أدراجي
أم أخطأ^١ ؟

فان قال إنه صاحبُ سِيرٍ وآثارٍ وأحكام ، قلنا : أرشدك الله ، وما معنى قوله عليه السلام : « من سعادة المرء خفة عارضيه » وهو عليه السلام لم يكن خفيفَ العارضين ، لا على ما فسرهُ المبردُ فإنه لم يأتِ فيه بشيء^٢ ؟ ومعنى قوله عليه السلام : « تسحروا فإنَّ في السحور بركة »^٣ ونحن نرى [أنه] ربما أهاض وأتخم ، وأضرَّ وأبشم ؟ ومعنى قوله عليه السلام : « اتقوا النار ولو بشقِّ تمر »^٤ ولو سرق سارق [كيلجة] تمر فتصدق بنصفها كان مستحقاً للنار عند أكثر المسلمين ؟ وما معنى قوله عليه السلام : « لا يزال الأنصار يقلّون ويكثر الناس »^٥ ؛ ولو شئنا لعددنا أشخاصهم أكثر مما كان في البادية والحاضرة ؟ ومعنى قوله « ان امرأ القيس حاملُ لواءِ الشعراء الى النار »^٦ وهل يثبت الخبر أم لا ؟ ولم قال : « ان من الشعر

١ نسب المبرد هذه الأبيات للراعي (الكامل ١ : ٢٨١) وفي ظنه انها للراعي النميري ، وبين الآمدي الأمر في المؤلف : ١٧٧ إذ قال انها للراعي الكلبي واسمه خليفة بن بشير بن عمير بن الأخوص .

٢ اورد المبرد هذا الحديث في الكامل (٢ : ١٢٩) وقال : ليس هذا يناقض لما جاء في إعفاء اللحي وإحفاء الشاربين .

٣ ورد الحديث في النسائي (صيام : ١٨) وابن ماجه (صيام : ٢٢) والدارمي (صيام : ٩) ومواضع متعددة من مسند أحمد ، منها ٢ : ٣٧٧ ، ٤٧٧ ، ٣ : ٣٢ ، ٩٩ (انظر معجم الفاظ الحديث)

٤ ورد في البخاري (أدب : ٣٤ ، زكاة : ١٠ ، رقاق : ٥١ ، توحيد : ٣٦) ومسلم (زكاة : ٦٦ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ٨٠) والترمذي (قيامة : ١ ، زهد : ٣٧) والنسائي (زكاة : ٦٣ ، ٦٤) وابن ماجه (مقدمة : ١٣ ، زكاة : ٢٨) والدارمي (زكاة : ٢٤) ومسند أحمد ١ : ٣٣٨ ، ٤٤٦ ، ٤ : ٢٥٦ ، ٢٥٨ ، ٢٥٩ ، ٣٧٧ ، ٦ : ٧٩ ، ١٣٨ .

٥ الحديث في البخاري (الجمعة : ٢٩) ومناقب : ٢٥ ومناقب الانصار : ١١)

٦ ترده الكتب الأدبية ، انظر مثلاً الشعر والشعراء : ٦٧ وليس في الأحاديث المتعلقة بامرئ القيس ما هو قويّ مقبول منها .

لحكمة»^١، ثم قال عليه السلام : « أوتيت جوامع الكلم »^٢ وهل تخرج الحكمة من جوامع الكلم ؟

فان قال : إنما أفنيت عمري في القرآن وعلومه ، وفي التأويل وفنونه قلنا : اذن يكون التوفيقُ دليلك ، والرشادُ سبيلك : صفُ لنا كيف وقعَ التحديُّ بهذا المعجز لیتم بوقوعه الإعجاز ، وأخبرنا عن صفةِ التحديِّ : هل كانت العربُ تعرفه أم لا ، أم كان شيئاً لم تجرِ عاداتُها به فكان إقصاها عنه ، بل لأنه التماس ما لم تجرِ المعاملة بينهم بمثله ، ثم يُسألُ عن التحديِّ هل لقي بمعارضة بان تقصيرها عنه أولم تكن بمعارضة ، ولكن القوم عدلوا إلى السيف كما عدل المسلمون مع تسليمهم ولم يعارضوه . ثم يسأل عن قوله تعالى ﴿ لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً ﴾ (النساء : ٨٢) وفيه من الناسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه ما لا يكون أشدَّ اختلافاً منه^٣ ؛ ويسأل عن قوله تعالى ﴿ وغرايب سود ﴾ (فاطر : ٢٧) وما معنى الزيادة في الكلام ، والغرايبُ السودُ هي الغرايب ، فان قال تأكيداً فقد زلَّ ، لأنَّ رجحانَ بلاغةِ القرآن إنما هو إبلاغُ المعنى الجليِّ المستوعبِ إلى النفسِ باللفظِ الوجيز ، وإنما يكون الاسهابُ البليغُ في كلامِ البشر الذين لا يتناولون تلك الرتبةَ العاليةَ من البلاغة ؛ على أنه لو قال تأكيداً لخرج عن مذهب العرب ، لأنَّ العربَ تقول : أسودُّ غريب ، وأسودُّ حالكٌ وحلكوكٌ، فتقدم السوادُ الأشهر ثم

١ ورد في البخاري (ادب : ٩٠) والترمذي (ادب : ٦٩) وابن ماجه (ادب : ٤١) والدارمي (استئذان : ٦٨) ومواضع كثيرة من مسند أحمد منها ١ : ٢٦٩ ، ٢٧٣ ، ٣٠٣ ، ٣٠٩ ... الخ .

٢ حديث أعطيت جوامع الكلم في مسلم (مساجد : ٥ - ٨ واشربة : ٧٢) والبخاري (تعبير : ١١) والترمذي (سير : ٥) ومسند أحمد ٢ : ١٧٢ ، ٢١٢ ، ٢٥٠ ، ٢٦٤ ... الخ وحديث « بعثت بجوامع الكلم » في البخاري (جهاد : ١٢٢ وتعبير : ٢٢ واعتصام : ١) والنسائي (جهاد : ١ وتطبيق : ١٠٠)

٣ يرى الزمخشري ان عدم الاختلاف هنا معناه عدم التناقض والتفاوت في مستوى النظم والبلاغة والمعاني ، وصدق الخبر .. (الكشف ١ : ٥٤٦ - ٥٤٧) .

تؤكدده ، وهذه الآيةُ تخالفُ ذلك ، فإذا بطل التأكيد في المعنى^١ ؛ وما معنى ﴿فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ (النحل : ٢٦) وهل يكون سقف من تحتهم فيقع لبسٌ يحتاج إلى إيضاحه بذكر فوق وتحت^٢ ؟ ونحوُ منه قوله تعالى ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ (النحل : ٥٠) وهل لهم ربٌّ من تحتهم ؟ وما معنى فوق ها هنا ، وهل تدلُّ على اختصاص مكان^٣ ؟ وما معنى قوله ﴿كَلِمَحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾ (النحل : ٧٧) وما هذا الأقرب^٤ ؟ وما معنى قوله ﴿فَهِىَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ (البقرة : ٧٤) وهل شيء أشدُّ قسوةً من الحجارة^٥ ؟ وما معنى قوله ﴿إِلْهَيْنِ اثْنَيْنِ﴾ (النحل : ٥١) وهل بعد قوله (إلهين) إشكال بأنهم أربعة فيستفيد بقوله اثنين ثبات المعنى^٦ ؟ وما معنى قوله ﴿أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى﴾ (البقرة : ٢٨٢) هَلَّا كان أوجز وأشبه بالمذهب الأشرف في العربية ؟ وما معنى قوله ﴿أَوْ يَأْخُذْهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (النحل : ٤٧) ومن أين تُناسبُ الرَّأْفَةُ والرحمةُ هذا الأخذَ الشديد على التخوف الذي يقتضي العفو والغفران^٧ ؟

١ قال الزمخشري : فان قلت : الغريب تأكيد للأسود ، يقال اسود غريب وأسود حلكوك .. ومن حق التأكيد أن يتبع المؤكد كقولك أصفر فاقع وأبيض يقق وما أشبه ذلك قلت : وجهه أن يضمر المؤكد قبله ويكون الذي بعده تفسيراً لما أضمر كقول النابغة « والمؤمن العائذات الطير » وإنما يفعل ذلك لزيادة التوكيد حيث يدل على المعنى الواحد من طريقي الاضمار والاطهار جميعاً (الكشف ٣ : ٣٠٧)

٢ الوجه في « فوق » هنا في قوله « وهو الفاهر فوق عباده » أي أنهم يخافون ربهم غالباً قاهراً لهم (انظر الكشف ٢ : ٤١٣) ؛ وقوله « كلمح البصر أو هو أقرب » أي كما تبالغون أنتم حين تستقربون شيئاً (نفسه : ٤٢٦) ؛ وقوله « إلهين اثنين » الوجه فيه : ان الاسم الحامل لمعنى الافراد والتثنية دال على شيئين على الجنسية والعدد المخصوص فاذا أريد التأكيد على ان المقصود هو العدد شفع بما يؤكد فقيل إلهين اثنين او رجل واحد .. الخ (نفسه : ٤١٣) ويأخذهم على تخوف أي وهم متوقعون وقيل هو أن يأخذهم على أن ينتقصهم شيئاً بعد شيء في أنفسهم وأموالهم وبذلك تكون الرأفة والرحمة حيث يحلم عنهم ولا يعاجلهم مع استحقاقهم (نفسه : ٤١٦) .

٣ ان قلت لم قيل أشد قسوةً وفعل القسوة مما يخرج منه إفعال التفضيل وفعل التعجب قلت : لكونه أبين وأدل على فرط القسوة ، ووجه آخر وهو أن لا يقصد معنى الاقوى ولكن قصد وصف القسوة بالشدّة كأنه قيل اشتدت قسوة الحجارة وقلوبهم أشد قسوة (الكشف ١ : ٢٩٠) ولم يورد الزمخشري توجيهها لتكرير كلمة « إحداها » في الآية ٢٨٢ من سورة البقرة ، وذهب أبو حيان الى أنه أبهم الفاعل في أن تضل بقوله « إحداها » ولهذا أبهم الفاعل في=

وعلى أن هذا السائل لو علم لسأل عن الصناعة التي أنا بها مُرتَسِمٌ ، وبشرطها مُلتَزِمٌ ، لا في الترسُّلِ / [١٣٩] فاني ما صَحِيتُ به ملكاً ؛ ولكن في صناعة الخراج ، فكان يجبُ أن يقولَ : ما البابُ المسمَّى المجموع من الجماعة^١ وأين موضعهُ منها ، وأي شيء قد يكون فيه ولا يحسن ذكره في غيره ؟ وأن يقولَ : ما الفائدة في إيراد المستخرج في الجماعة ومن كم وجه يتطرق الامتثال عليها بالغاية منها ؟ وأن يقولَ : ما الحكم في متعجلِ الضمان قبل دخول يدِ الضامن ، وأي شيء يجبُ أن يوضع منه إذا أراد الكاتبُ الاحتسابَ به للضامن من النفقات ، وخاصة من جاري العامل ، وفيه أقوالٌ تحتاجُ إلى بحثٍ ونظر ؟ وأن يقولَ : إنَّ عاملاً ضمنَ أن يرفعَ عمله بارتفاع مالٍ إلا أنه لم يضمنَ استخراجَ جميعه ، وضمنَ استخراجَ ما يريدُ على ما استخرج منه خمسَ سنين إلى سنته بالقسط ، كيف يصحُّ اعتبارُ ذلك ، ففيه كمينٌ يحتاجُ إلى تفصيله وتأمله ؟ وأن يقولَ : لِمَ يُقدَّمُ المبيعُ على المستخرج ، والمبيعُ إنما هو من المستخرج ، وكيف يصحُّ ذلك ؟ وأن يقولَ : أي غلطٌ يلزمُ الكتابَ وأي غلطٌ لا يلزمه ؟ وأن يقولَ : متى يجبُ الاستظهارُ للسلطانِ في صناعة الخراج ومتى لا يجوزُ الاستظهارُ له ؟ وأن يقولَ : متى يكون النقصُ في مال السلطانِ أسدً في صناعة الكتابة من الزيادة ، ولست أعني نقصَ الارتفاع مع العدل ، وعادلَ زيادةٍ مع الجور ، فذلك ما لا يُسألُ عنه ، وأن يقولَ : ما بابُ من الارتفاع إذا كُثِرَ دَلٌّ على قِلَّةِ الارتفاع ، وإذا قلَّ دَلٌّ على جِمام الارتفاع ووفوره ؟ وأن يقولَ : متى تكونُ مشاهدة الغلطِ أحسنَ في صناعة الكتابة من عديمه ؟ وأن يقولَ : كم نسبةُ جاري العمل من مبلغ الارتفاع وأول من قرَّره ورثبه ؟ وأن يقولَ : ما رتبتان من رُتبِ الكتابة إذا اجتمعتا لكاتبٍ بطلت أكثر حججه في احتساباته ؟ وأن يقولَ : هل يطردُّ في أحكام

= « فتذكر » فكرر إحداها ، إذ كل من المرأتين يجوز عليها الضلال والاذكار فلم يرد بإحداها معينة (البحر المحيط^{*}

(٣٤٩ : ٢)

١ الموافقة والجماعة حساب جامع يرفعه العامل عند فراغه من العمل . ولا يسمى موافقة ما لم يرفع باتفاق ما بين الرافع والمرفوع اليه . فان انفرد به احدهما سمي محاسبة (مفاتيح العلوم : ٣٨) .

الكتابة حملها على مناصبة أحكام الفقه أم لا ، وهل يذهب [إلى ذلك] أحد من متقدمي الكتاب ، وما الحجّة فيه ، وبالله التوفيق .

قال ابن بسام : وهذا المجموع إنما هو لسان منظوم ومنثور ، لا ميدان بيان وتفسير ، أورد الأخبار والأشعار لا أفك معّاها ، في شيء من لفظها ولا معناها ، ولو ذهبت فيه إلى إيضاح مبهم ، وإعراب مستعجم ، لكانت هذه الفصول أولى ما فتحت مقفله ، وأكد ما أوضحت مشكله ، على أنني قد ألمعت فيه ببعض تنبيه ، بين ذكر أجريه ، ووجه عذري أريه .

فصول من سائر ترسيله

فصل له من رقعة : وقفت على كتابك ولم أزل أثنى ، كأنني قد ظفرت باليد التي بعثته ، وأضمه كأنني أضمت الجوانح التي نفثته ، وكأنني كلما أدبته إلى الكبد المذبذبة ببعدي ، وأمررتني على العين المطروفة بفقدك ، سحبت على النار ذيل السحاب ، وسقيت عطش الحب كأس الرضاب ، وأعرت أخا سبعين ظل الشناب ، فأرخت يوم قدومه لأجعله موسماً للسرور ، وعيداً باقياً على الدهور ، أرتقب السعد عنده كل عام ، وانتظر الفرج منه من كل غرام ؛ واتفق ورود في أشرف فصول الدهر حسباً ، وأكرم مفاخر الأيام نسباً ، حين ابتدأ الربيع يزخرف بروده ، والروض ينظم عقوده ، وكنت أعرف هذا الفصل باعتدال منهاجه ، وصحة مزاجه ، وأنه لو كان الزمن شخصاً لكان له مقبلاً ، ولو أن الأيام غوان لكان لها حلياً وحللاً ، لأن الشمس تخلص فيه من ظلمات حوت السماء ، خلاص يونس من ظلمات حوت الماء ، فاذا وردت الحمل وانعت أحب أوطانها إليها ، وأعز مساكنها عليها .

وفي فصل منها : فيا حسن تلك الصحيفة ومدادها ينتهب بالأفواه ، ويزيد بالتقبيل لعساً في الشفاه ، ويا عجباً كيف حفظ مع بعد العهد نشر عرك ، وكيف

علقَ مع تراخي الأيام طيبَ كفك ، وكيف جاءَ كائنكَ كَتَبَتُهُ من أُمِّ . وأنفَذَتُهُ وبيننا خطوةً قَدَمَ ، وكيف لم يغيره ما قطعَ من مهاولِ قفار ، وليلٍ ونهار ، وعدوٍ كاشع ، ورفيقٍ لامع ، فأنعمَ به من ريحانةِ أَلْفَاظٍ دامتْ لدوتتها ، وباكورةٍ وصاليٍ سلمتْ غَضُوضَتَها ^١ ، ومسحةٍ يدٍ بقيَ أثرُها أرجا ، وروضةٍ كلم دام على الصيف بهجتها ^٢ .

وفي فصل منها : فامّا سُؤالكَ عَنِّي فما يُشبهُ سيرَتَكَ الحسنَى ، ولا يليقُ بطريقَتِكَ المثلى ، كيف تسألني والإجابةُ معك ؟ وكيف تستخبرُني ومحلُّ الخبرِ والاستخبارِ عندك ؟ / [١٤٠] ومتى سمعتَ بجوابِ جَسَدٍ رهينة ؟ وأين رأيتَ طَاحَ عينٍ لوحظها مقيدةٌ كليله ؟ ألم أفارقكَ وقلبي عندك أعشار ، وأضلعي منه قفار ؟

وفي فصل : وردتُ الموصلَ التي خالف اسمُها معناها ، وكانت مَقْطَعاً بيننا لولا خُدْعُ الأمانى ، وَفَصْلاً لولا المرجو من عفو الليالي ، فوجدتُ هواءَها يعطلُ سوقَ بقرَاطٍ اعتدالاً وطيبة ، وماءَها يُسلي عن مجاجِ النحلِ استمراءً وعذوبة ، وصقعها قد تَبَعَّدَ رقةً ولطفاً ، وجوهاً قد تزندقِ تنعماً وظرفاً ، تكادُ تُثْقِلُهُ عقودُ الغانيات ، ويُخْجِلُهُ تتابعُ اللحظات ، كلُّ شِماله نسيم ، وكلُّ جَنُوبه حياءٌ عميم ، ورأيتُ أرضَها أطيَّبَ الأرضِ خيما ، وأزَيَّنَها أديماً ^٣ ، تُنْسَجُ بالسُّنْدُسِ الأخضر ، وتفتُرُ عن الأقحوانِ الأحمر ، والفيتُ بِنانِها هو الذي حمده اللهُ في تنزيله ^٤ ، وأحبهَ لنا أن نكونَ مثلهُ جهاداً في سبيله ، مَرْصُوصاً بِوَقَاحِ الجلمد ، ملاءماً بينه بالشَّيدِ الممرّد ، قد حُصِّنَ ظاهره على باطنه عن تداخلِ الإبر ، ومساكنِ الذرّ ، يزلُّ عنه ظُفْرُ الطائرِ ، وتتدحرجُ عليه أحداقُ ^٥ الناظر ، وتَغْنَى به العروسُ عن الماويّ المنيرِ ^٦ ، وتستبينُ

١ ص : غضاضتها ، وهو عند بعض اللغويين جائز ، وأنكره علي بن حمزة ، والالتزام به هنا غير ذاهب مع السجع

٢ كذا وردت العبارة في ص ، ولعلها « دام على الصيف زهرها بهجاً » أو ما أشبهه .

٣ ص : ديماً .

٤ يعني أنه بِنانِ مرصوص يشد بعضه بعضاً (انظر الآية ٤ من سورة الصف) .

٥ ص : اكدها . ٦ الماوي : حجر البلور أو المرأة .

به الجفونُ منابتَ الشكيرِ من أهدابها والغمير ، متلافيةً أقطارها على رجالٍ كأنهم
أنسِلَاءُ عادٍ وثاقةُ أجسام ، وصلابةُ أحلام ، وبُعدُ مَرام ، لطفوا عن بدويةِ الشام
وغلظته ، وجمدوا عن ذُوبِ العراقِ وخلايته ، قد عُقِدَتْ ألسنتُهُم بالصدقِ فما ينتشرُ
الباطلُ من عَذَاباتها ، وصَحَّتْ غرائسُهُم في المودّةِ فما يُحْتَنَى الغدرُ من ثمراتها ، إن سلماً
فسلماً وإن حرباً فحرباً ، لا يعرفون تدليسَ الأخلاق ، ولا تمويهَ النفاق ،
وشعراؤهم^١ ملء اليمين ، وكتّابهم أثرُ بعد عينٍ ، أدبهم [حسن]^٢ على قلةِ
الميلوكيِّ فيه ، وعلمهم مُتَقَنٌ لمن تأملَ أدقَّ مسربٍ^٣ في فِتْنِ معانيه ، قد مُحِصَّ
تهذيبُ المحنِ شرارَهُم وأوهنَ خيارَهُم ، بلَدُهُم أطلالُ ، وأحوالُهُم آل ، قويُّهم يئنُّ
ضعفاً ، وضعيفُهُم يماطلُ حتفاً ، بَقِيَتْ عليهم أسْهُالُ النعمِ وذهب الدهرُ باجسامها ،
وانجلت عنهم ظِلُّ المحنِ وهم يتأوهون من غيرِ آلامها ، إلا أن فيهم بقيةً نقيّةً ،
وفيهم موضعٌ تداركُ إن رُزِقوا سيرةً مرضيّةً ، فلولا ما أَرْجُوهُ من مداواةِ أسقامهم ،
وإعادةِ صالحِ أيامهم ، لفضاني الانتاء بمعايشتهم قبل معاناتهم ، وبملاحظتهم قبل
مقاساتهم ، لكنّي أعلمُ أن من يحيي العظامَ وهي رميمٌ ، ويبعثُ^٤ الروضَ وهو
هشيمٌ ، وينشئُ [...] بعد ما كانت قفارا ، ويجعلُ من الشجرِ الأخضرِ
نارا ، قادرٌ على أن يجعلَ ثوابَ نيتيَ فيهم معونتي على ما أنويه لهم ، وجزاءَ تأمليَ بهم
بلوغِ الغرضِ في تداركِ رَمَقِهِمْ .

وفي فصل : لو أطقْتُ تفصيلَ المجل ، وإيضاحَ المُشكِلِ ، لجرتُ لك به
يدي طَلَقَ الجموح ، ولأغنتكَ أسبأهُ عن الوترِ الصّدوح ، إلا أن القلبَ عليلٌ ،
والخاطرَ كليلٌ ، والزمانَ ببلوغِ الأملِ بخيلٌ .

١ ص : وسفراؤهم .

٢ ليس في موضعها بياض في ص .

٣ ص : متقن من مسرباً .

٤ و ص : ويبلى (دون اعجام) .

وفي فصل من أخرى إلى ذي السعادتين ^١ : للرياسة كُلف لا يستقلُّ بها إلا المهذبُ الكاملُ ، ولا يخطو تحت أثقالها إلا الأوحدُ الفاضلُ ، ولا يبلغ ذوائبَ أعاليها ، إلا مَنْ شربَ الأجاجَ من ماءٍ واديها ، ولا يلذُّ بملكها إلا من أغلى المهرَ من كريم مساعيه ، ولا يفضُّ ختامها إلا من جعل منازلَ الخطوب سلكاً لعقود أيامه ولياليه ، ولذلك قيلَ ما أنشدته استبصاراً ، وأنا إلى إirاده أبينُ إصراراً :

لا تحسبِ المجدَ قمرًا أنتَ آكلُهُ لن تبلغَ المجدَ حتى تلعقَ الصِّبراً ^٢

وإنَّ سياسةَ الأقوامِ فاعلمْ لها صعداءُ مَطْلَعُهَا طويلُ ^٣

ويظلموا فنرى الألوانَ مسفرةً لا خوفَ ذلٍّ ولكن فضلُ أحلامِ
ويحتاجُ الرئيسُ إلى أعوانٍ يُظهرُ بهم كمينَ مكارمه ، ويُضي فيهم وبهم ماضي عزائمه ، فلولاً الطالبُ لعاش الكريمِ مطوياً على حَسراتِ أوطارِهِ ، ولولاً الخاطيءُ لما وجدَ الحليمُ لذةَ حلمه ووقاره ، وكلِّما كان التابعُ أبعدَ مذهباً في معناه ، كان المتبوعُ أشدَّ جدلاً بظهورِ مناقبه وعلاه .

وفي فصل : وقد كانت مني كبائرُ تكَنَّفَتْها معاذيرُ لا أشينُ وجهَ العفوِ بإيرادها ، ولا أنتقصُ جملةَ الصَّفَح والغفران بتعدادها ، في أنْ لم أفتتحْ مناسكي بالسَّعي إلى حضرتِهِ ، ولم أبدأ من مطالبِ شرعي بالتوفُّر على / [١٤١] خِدْمَتِهِ ، وقد عَلِمَ الله

١ ذو السعادتين هو الحسن بن منصور أبو غالب وكان وزيراً للسلطان البويهبي بهاء الدولة ثم وزر بعده لسلطان الدولة (٤٠٩) ثم ثالثة لمشرف الدولة (سنة ٤١٢ : وتوفي في هذه السنة نفسها) .

٢ من أبيات تنسب لرجل من بني اسد (شرح المصنوع : ٤٧٣)

٣ ورد البيت غير منسوب في اللسان والتاج (سعد) : وإكمة ذات صعداء : يشتد صعودها على الرافعي .

أنَّ ذلك ليس من اعتلال بصيرة بشرف الانتماء إليه ، ولا انخفاضِ همّةٍ عن سعادة
المثول بين يديه ، ولا إمعانٍ في البدويّة - وإن كنت من أهلها - حتى أذهل عن
مطلع النّير الأعظم من الأفق الذي سكنتُ ظله ، ومفيض الفرات الأعذب من
البلد الذي استوطنتُ محله ، ولا أنْ ذكّره لم يكن في تلك الأوطان زينة الأعياد ،
وحلية البلاد ، وأنس الحاضر والبادي ، وبلغة المسافر والحادي ، ولا أني لم أكن
ذكي الخاطر بتلاوة مآثر آلائه ، ومستشفياً بنسيم الريح من أرضه وسماه ، ومُعجباً
بما جمع الله فيه لعُفاة أهل الأدب ، بل السّراة أهل الرتب ، ومعنى قول القائل :

يأتيك عن فهم الثناء عطاؤه عفواً وتلك عطية المستبصر
كرمٌ تكشف عن حلى آدابه كالبحر يكشف غمره عن جوهر

وفي فصلٍ من أخرى : ولما أزعجتني الأقدارُ إلى هذا المقرّ الجليل على
اضطرارٍ باد ، بنبو ذلك المهاد ، وردتُ مطروف الناظر ، كليل الخاطر ، فقصدتُ مع
ذلك خدمته - في وروده الأول - باللقاء أو استطلاع الإذن بالمكاتبة ، فأعجلهما
مسيره الميمون ، فأحلتُ بذلك على الجدّ الظنون ، والزمن الخوون ، ثم كتبتُ
مستبدهاً في هذه الرقعة بأمور يشف عنها الكتمان بصادق ظنه ، وينم بها السرُّ
والاختفاء إلى نجى ذهنه ، فلم أبشر بقدومه حتى أنذرتُ بصدّره ، وقد كان من
الحق أن أسير في أثره ، وأنفذ في تصيد العزّ بملاحظة غرته ، واستلام حضرته ،
ولكني أهديتُ من ضعفٍ عذري وقوّة ذنبي زينة إلى حلمه ومسامحته ، ورجوتُ أن
يضيف إلى الإغضاء عن زلتني ترضياً لي بما حرّمته طول هذه المدة من خدمته ، فان
حقّق مخيلة الظن في الإغضاء فيفضله ، وإن أعرض عن كلّ من تغرّب عليه
الشمس لجُرْمي فيعدّله ، وإن يك ظني صادقي^١ فسينخدع لي انخداع ذوي
الإنعام ، ويتغابن في صمتي عن^٢ إيجابه تغابن الكرام ، بأريحيته اللدنة الأعطاف ،

١ ص : صادقي .

٢ ص : قيمتي من .

ورياسته الموطاة الأكناف .

ومن جواب ذي السعادتين له : للسؤدد محل يدعو إلى نفسه ، ويسفر عن شمسهِ ، ويأبى أن يتقلقل به مهاده ، أو يتملّل بقرارهِ وساده ، أو يكون إلا لمن وطأ له [كنفاً] ، وألأن بحمله معطفاً ، واستقل بأعباء تكاليفهِ ، وأغمض بدائع أفكارهِ في تضاعيفهِ ، ونص^١ المذكيات في مضمارهِ ، واستبرد المصطلّى من أواره ، وغدا لفارده عشرّاً ، وشرح للعناء^٢ فيه صدراً ، وكان كما قيل : إن رأى حسنة قال ، أو رأى سيئة أقال ؛ فقد أحسن القائل :

إمّا يربني مفصل^٣ فقطعته فيوشك أن يدوى لذلك سائره
وإنما نصصت على الموقع الأنبي من حضرته ، ودللت عليه بناره وسمته ، ليأذا بقوة الدواعي منه في تمثّل ما أجراه الاتفاق على ضدّ المراد ، وثناه القدر الغالب فيه عن غرض الاعتقاد ، وسنن الارتياذ .

وفي فصل منه : حتى بدا مطلع الأمل من حيث شيمته ، وصدق اليقين بتلك الأوصاف اللائقة ، والفضائل الشائقة الرائقة ، ما تصوّرتّه وتحقّقتّه ، وذّرّ البدر^٤ الكامل بالكتاب العرب عن جميع أدوات الفضل ومعانيهِ ، وبوارع الأدب^٥ النبيل ومعاليهِ ، فأكرّم به من واصل بالمعنى في مّوضع العتب ، ووافد بالحسنى على الأساءة بالذنب ، وأعجب بما حواه من رائع البلاغة وبارع العبارة ، ومستكرم المائة ، ومستغنم الاطالة . ولقد أخبر من أنباء السلامة في النفس المحروسة ما ضاعف المسرة ، وضاعف الغبطة والخبرة ، وأشار فيما عداها إلى ما أسال العبرة ، وأشعر الحسرة ، ولله تعالى في مثل ذلك الطاف توضح عن حُسن عواقب

١ ص : ونصل .

٢ ص : للهاء .

٣ ص : ما يربني مفصل .

٤ ص : وذّرّ البدر .

٥ ص : ووارع الأب .

التفويض ، وتقوم باكرام الانابة والتعويض . وقد استرهن عندي بمبتدا التطول
بالمكاتبة يداً ، اقتضى اعتدادي بها وشكري لها بما يبرهن عن توافقتنا في الصفاء ،
وتشاكلنا في الإخاء ، وسيدي يطيع في ذلك بواعث كرمه ، ونوازع شيمه .

فأجابه ابن المغربي برقة قال فيها : ألقى إلي كتاب كريم يكتفي شرف
الهمة بخيال عنوانه ، ولا يُبلغ بشق النفس شكر ظاهره فضلاً عما في طي جنانه ،
ففضضت عن الروض العازب ، والتقطت منه فرائد الكواعب ، ووجدت فيه نسيم
الشباب ، وتعللت به في عطف الأيام / [١٤٢] السالفة العذاب ، ووجدته قد
احتوى من عقائل الفصاحة وكرائم البلاغة على ما يُعدي المعجم العبي فينطق
متخيراً ، ويُشده الناطق البليغ فيللس متحيراً ، وظننت أن العشاق لو أُعيروا من
الفاظه مزاجاً للمرشف ، وهبوا من أنفاسه عطراً للسوالف ، لصالوا بحُجج تجل
عن تسمية المعاذير ، وتصبغ الخطأ بلمع الصواب المنير ، ولو أنهم جعلوه رمي سُهْمَة
الفراق لكفت عواذها ، وأخذة لأعين الرقباء لطفرت [من] مآقيها ، ولو أن الحمام
أصغت إليه لعاد نوحها شذواً ، ولو أن الليالي تدرت به لصارت دجاًها غدواً ، وعجبت
مما حمل على مُنتي الضعيفة من منن كنت قبلها نضو العزيمة فكيف [أنهض] بها ،
ومن مبار يكاذ ينعني فادح أثقالها أن أستار مرفقها ، فلو أن ذلك الكتاب الجليل
صدر إلي من عدوي لاهترزت ببدايع ما فيه ، ولو أنه تاه عن إنعام علي لغالطتني
عدوبة لفظه عن مرارة معانيه ، فكيف وقد جاءني عن الأيام عُتبي ، وجعل قلبي
لخاطر الجدل نهياً ، ولست ألم بشكره عن هذه العاطفة الكريمة فأوهم أنها مما تتناوله
أفكاري الكليّة ، ولا أتعرض لحمدّها فأحبط أجري في الاعتراف بالتقصير عن
مواهبها الجزيلة ، ولكن أوقيتها ، ما وجب من إظهار العجز فيها .

وفي فصل منها :

* وأين الثريا من يد المتناول *

لو أُعِنْتُ بما تلاقى عليه [...] من خواطر ملتبهة المطالع ، وألسنة معروفة المقاطع ،
لما ازداد هذا الدينُ عليَّ إلّا توثّقاً ، ولا استجدَّ هذا الحقُّ إلّا تعلقاً ،
* دَعَ ذا وعدَّ القولَ في همم^١ *

أنا الآن من التشوّقِ إلى خدمته لو وجدتُ إليها سبيلاً ، وأعملتُ نحوها
رحيلاً ، وقد كنتُ ارتحتُ للفقرة التي تضمنها كتابهُ العالي من ذكر التفويضِ
والتعويض ، ورأيتُ أنها لو صدّرتُ عن الحسنِ البصريِّ لما زادتُ^٢ على ما غشّاها
في عيني من البهائمِ وجلالةِ الصدق ، ولقد انتفعتُ بها ورجوتُ يُمنَ نقيبتها
[وَحُسْن] عاقبتها . وجملة ما أَقْتَرَحُهُ أن يتصوّر فيّ ما يتصوّر في بعضِ الأقربين
من خادمٍ يُضْطَنَعُ فيجرى من الحنوِّ عليه مُجرى خواصِّ الأهلِ وأداني الأصحاب ،
فله الرأيُ العالي في إنزالي حيثُ أنزلتُ نفسي من الاختصاصِ بجهته ، فأما المكاتبةُ
فقد تقدّم القولُ في اقتناعي منها بمثلِ طيفِ الخيال ، أو رضائي أن يخطرَ ذكري
بالبال ، إن شاء الله .

وطار للشريف أبي طاهر بازٍ كان يتصيد به ، فكتب إليه : بلغني خبرُ الغادرِ
المفارق ، والباسقِ الآبق^٣ ، فشاركتهُ في الاستيحاشِ [مِنْ فراقِهِ] لما كان يُبدِعُ
من مصايدِهِ ، ويقرب عن مطارده ، ورأيتُهُ قد شابَ فضائلُهُ بهذا الغدر الذي يُسبِي
عن تذكاره ، والإباقِ الذي يُنسي محاسنَ آثاره ، والنكثِ الذي ختم به عواقبَ
عهده ، وبغضِ إلينا ، بل إلى سيدنا ، استخدامِ أمثاله من بعده ، لأنَّ أحقَّ الناسِ
بكرَاهَةِ الغدر من كان الوفاءَ رضيعَ لبانه ، والحفاظُ منبتَ أصولِهِ ومنشأَ أغصانه ،

١ صدر بيت لزهير بن أبي سلمى ، وعجزه : « خير الكهول سيد الحضرة » (شرح ديوانه : ٨٨)

٢ ص : رددت .

٣ ص : الاربق .

وكأنني بفقده وهو عند الدَّراج من أنعم الأعراس ، ومن الوحشة منه وهي بين سراب الطيور من ألدِّ الأيناس ، لأنها أريحتْ بعده من حَتْفها العاجِل ، وَسَمَّها القاتِل ، وأجلها القاصر ، ووجَلها الحاضر ، وعُقِلَ قوادِمُها وخوافيها ، ودهشة نواظرها ومآقيها ، والكوكب المنقُص على مسارحها ، والسهم القاصِد إلى مذابحها ، والآفة التي كانت حُرِمَتْ بها حُسْنُ الرِياضِ المونقة ، وشكَلَتْ بَرْدُ الغدرانِ المغدقة ، وتَنَغَّصَتْ مشاهدة هذا الجوّ الرقيقِ الشَّمالِ ، اللازورديِّ الغلائِل ، حتى صارت لا تلتدُّ بوكرِ تَبْنِيهِ ، ولا يَفْرَحُ تُغْذِيهِ ، علماً بأنَّ لها منه مُفَرِّقُ العدد ، وفاجعُ الوالدِ بالولد ؛ ولو علمتْ هذه الأطيَّارُ الشَّامِتةُ بِنِفاذه ، السالكةُ سبيلَ الأشرِّ بافتقاده ، بما يُعِدُّه سيدنا لها من ذي ظَفَرٍ مظفر ، ومُنْسَرٍ للطيرِ مُنْسَرٍ ، وخَلَفٍ صالح ، وجارحٍ جارح ، أشدَّ لها منه اصطلاماً ، وأَسَدَّ إلى مقاتِلِها سهاماً ، لعلمتْ أنَّ كثرَها استجماعٌ^٢ له ، وأن وفورها توفير عليه .

وفي فصل منها : وما ألومُ هذا المارقَ على مِلِّله وانحياشه ، لأنَّه كان قد تعودَ أن يصيدَ بمقدار قُوَّتِهِ ومعاشِهِ ، فصار سيدنا يستخدمه بهمةَ تَطَلُّبِ الغاية البعيدة ، وتستسهل/ [١٤٣] المشقة الشديدة ، التي هزَّها جِدَّ ، وجَوَّرها قَصْدُ ، ولعبُها ارتياض ، يتصيرُ من لم ينقُدْ إليها سريعا ، [إذا] ضراوة على اقتناص من لم ينتهِ إلى أوامرها مطيعاً ، فلم يُطَقْ على ذلك جَلداً ، ولم يحدِّ بهذا الأمر الفادِحَ يدأ ، فما أشدَّ بَسْطِي لعذره ، ومعرفتي بسببِ غَدْرِه ، وأملُ أن يتذكَّرَ ما كان له بفنائِهِ من نعيمٍ ، خياله بين غِيبِهِ ، وطيبِ عيشٍ ، تذكُّره أجدى له من حماقيه ، فتدعوهُ عواطفُ التَّربية والإيثار ، وتزولُ عنه عوارضُ السَّهْوِ والاعترار ، فيعودُ إلى رسمه ، ويعودُ من جُرْمِهِ ، ويرجعُ وقد أدَبَتْهُ النكبةُ ، وهذَّبَتْهُ الغربة .

١ ص : المناقض .

٢ ص : استجمام .

وكان في ذلك الأوان بمدينة [تكريت ، رئيس]^١ ممن يشار إليه ، ويعولُ قومه عليه ، فرأى في منامه^٢ النبي عليه السلام مع علي بن أبي طالب ، وحضاه على الاسلام ، ووجد في الانجيل ما دَلَّه على البشارة بمحمد عليه السلام ، فاستدعي إلى الحضرة ببغداد ، وطيفَ به في سائر البلاد ، فكتب إليه ابنُ المغربي رقعةً قال فيها :

ويعلمُ الله ما ورد علي وعلى كافة من حضر من المسلمين من السرور بما أبان الله^٣ من آية قطعَتْ عذرَ الجاحدين ، [حجة] استهلكَتْ شبهَ العاندين الجاهلين ، لا أن هذا الدين - بحمد الله - مفتقر من بعض حواشيه ، إلى بينة تزيد فيه ، ولا أن الاستدلال الصادق كان ترك شبهة إلا فضحها ، ولا معجزة إلا أوضحها ، وزائغاً إلا قومه ، وجاهلاً إلا علمه ، وركناً للباطل إلا خفضه ، وعقداً للشرك إلا نقضه ، إلا أن المخالفين قد شغلت الدنيا أكثرهم عن التأمل ، وحجبت العادات خواطرهم عن التأول ، فبعد بالحجج السالفة ذكرهم ، واشتد إلى البراهين المستحدثة فقرهم ، فكان أبلغ [برهان] إقبال مثله إلى المحجة عن غير رغبة استفزته ، ولا رهبة هزته ، ولا محاسدة أغرته ، ولا مناظرة عزته ، بل أطلق عنان عقله ومدَّ به راشداً حتى وقفه على الصراط المستقيم ، واستتلاه قاصداً حتى أوردَه إلى المنهج السليم ، فوردت النعمة بتخييره صافية غير مكدرة ، والمنحة في استثنائه واقية غير مقصرة ، فهناك الله الاسلام ما لا يزال يتولاه به من إيضاح مناره ، وتبليج أنواره ، وإدامة صبحه

١ يياض في ص، وزدته من تاريخ المسيحي : ٢٣٥ ب والرئيس المشار اليه هو أبو مسلم مشرف بن عبيد الله ، وكان يعرف بالمطران الكبير ، رئيس البعاقية ؛ ويذكر المسيحي أن أسلام الرجل تم يوم الخميس السابع من جمادى الأولى سنة سبع [...] وأبرهانة وأن الوزير المغربي أرسل اليه هذه الرسالة من ميفارقين ؛ وقد أورد المسيحي جانباً من الرسالة لم يورده ابن بسام ، وانقطع فيها بضياع الأوراق ما أوردته صاحب الذخيرة ما عدا سطرين منها .

٢ ص : منها .

٣ المسيحي : سروراً بما أتى الله جلَّت قدرته .

٤ زيادة من المسيحي .

ضاحكاً تتصدّع عنه دياجيرُ الشبهات ، وتنجلي منه ملابسُ الضلالات ، وهنا الله الشيخ ما رآه له أهلاً من هذا السناء الذي تقفُ دونه همُّ المعالي ، وتضيءُ به ظلمُ الليالي ، وغرسَ عنده التوفيقَ الذي يسترهن لواءَ النعمة ، ويضمنُ بقاءَ العصمة .

وفي فصل من أخرى : ولولا أنني إذا أردتُ المواصلَةَ بنفسي ثَقَلْتُ ثقلين بالزيارة ، وبالدالة^١ المستعارة ، لما استنيتُ والله على لساني قلبي ، ولا استنطقتُ يدي قبلَ فمي ، ولكن الاضطرار يقود وأتبعُ ، والزمان يقولُ فأستمع .

وله من رقعة [في] فتح : ولما تقاربتِ الفتان إذا بعدونا في عُدّةٍ قد اشتملتُ منهم على كلّ سهمٍ في كنانتهم ؛ قد استكثروا من علوجٍ لا يحشون^٢ حومةَ اللقاء ، ولا يشتون على مقارعةِ الأكفاء ، فلما اجتمع أعداءُ الله وقلوبهم بالذعر متفرقة ، وأقدموا وأقدامهمُ القهقراءَ راجعة ، وكانت لنا عيونٌ تجثمُ على مدارجِ أنفاسهم ، وطلائعُ تقبضُ على مسارحِ الحاظهم .

وفي فصل منها : وبأدَرَّتْهُمْ فتیان بني عامرٍ على الجردِ الصلادم^٣ ، قد برّوا الجنّ تعجلاً للطراد، وتخففوا من الرماح تقصيراً للبعاد، فوكزوهم بالرماح وكزاً ترك الدروع منهم غلائل ، وأمانى الحياة فيهم قلائل، فلم يترك القتلُ منهم إلا أنفساً عافتها كرامُ السيوف، وآخرين عزين، تكفكفُ عنهم الرحمُ العطوف، يتمسكون بأنفسهم حوزاً ، ويعتدون ذلَّ الفرار عزاً ، وافترقوا إلى أوطانهم يرقبون الليل كما يرتقبُ الصباح ، ويدلجون بكلِّ ماشٍ من الخيل بجناح ، وكان أميرهم في بلهنية الاستهامة بهم ، وقلة الفكر فيهم ، قد بات يعملُ كاسه ويلهي جلّاسه ، وغدا سكران

١ غير واضحة تماماً في ص .

٢ يحشون : يدخلون

٣ ص : الصوارم

٤ ص : عن

٥ ص : عريّة (دون اعجام)

على فرسٍ جموحٍ يبادرُ النهابَ وهي أنفسهم ، ويحاولُ الغنائمَ وهي مُهْجُهُمْ ،
فرَقَصَتْ به الفرسُ فصادف ذلك الأجلَ المكتوبَ له . فجزى الله هذا الحيَّ من آلِ
عامرٍ أهناً الجزاءِ عاجلاً ، وأدومَهُ أجلاً ، وثنى بيني عمنا الأقربين ، وعشيرتنا
المستخلصين ، خفاجةً ، وكذلك الجيران ، وأهل البلدِ والأعيان [١٤٤] وألفاف^١
كانتُ أسباؤهم نكرةً ، فعَرَفْتُها المواقفُ الحميدة ، وطوائف عاطلة حَلَّتْها الخطا
البعيدة ، وخاملة نبَّه عليها شكرُ السيوف لأيدٍ منهم وَصَلَتْ قصارها ، وأَوْصَلَتْ في
زحامِ الوردِ حوارها .

وفي فصل له : وكلما هممتُ بمفاتحتِهِ اعترضتني خَجَلَةُ المتأَرَكَةِ ، واستوقفتني
غفلةُ المجانبة ، وخانتُ يدي قلبي ، فلم تَشْفِهِ باظهارِ ضميره ، ولم تحسنِ النيابة
عنه في الاعتذارِ من تقصيره .

وهذه أيضاً جملةٌ من شعره في أوصافِ شتى

قال :

عجبتُ هندُ من تَسْرُعِ شيبِي قلتُ هذا عقبي فطامِ السرورِ
عَوَّضتني يدُ الثلاثين من مســـــــكٍ عذارِي رشاً من الكافورِ
كان لي في انتظارِ شيبِي حساباً غَالَطْتُني فيه صروفُ الدهورِ

والبيت الثاني منها كقول الوزير أبي محمد ابن عبدون :

يا دهرُ ذنبكَ عندي غيرُ مكفورِ على مَ عَوَّضتَ مِنْ مسكي بكافورِ

وقال ٢ :

١ ص : والقات

٢ منها أربعة أبيات في دمية القصر ١ : ٩٤ وثلاثة في الشريشي ٣ : ١٢٠ والأبيات ٩،٧،٦،٣،٥،٤،٢،١٠ في ريحانة

الألباء ٢ : ٤٧٦

عَلَّمْتُ مَنْطِقَ حَاجِيَّتِهِ وَالْيَيْنُ يَنْشُرُ رَايَتَيْهِ
 وَعَرَفْتُ آلَاتِ النِّعَمِ بِقَبْلَةٍ فِي عَارِضِيهِ
 وَلَقَدْ أَرَاهُ فِي الْخَلِيْجِ يَشْقَى مِنْ جَانِبِيهِ
 وَالْمَاءُ مِثْلُ السِّيفِ وَهُوَ فِرْنَدُهُ فِي صَفْحَتِيهِ
 لَا تَشْرَبُوا مِنْ مَائِهِ أَبَدًا وَلَا تَرِدُّوا عَلَيْهِ
 قَدْ ذَابَ فِيهِ الْحَسَنُ [مِنْ] حَرَكَاتِهِ أَوْ مَقْلَتِيهِ
 وَالسَّلَامُ أَسْلَمُ فَاحْذَرُوا مِنْ فِتْرَةٍ فِي نَظَرِيهِ
 صَبَغْتُ بِيَاضَ النِّيلِ حَمْرَةَ وَرْدَةٍ [فِي] وَجْهِتِيهِ

وقال :

تَمَنَّعَ أَنْ رَأَى زَغْبَا بَعَارِضِهِ قَدْ التَّهَبَا
 وَتَاهَ عَلَيَّ أَنْ أَبَدْتُ عَقَابُ صُدْغِهِ ذَنْبَا
 وَقَدَّرَ أَنَّهُ سَبَبُ يَقْطَعُ بَيْنَنَا النِّسْبَا
 وَلَا وَاللَّهِ لَا أَلُو لِحَقِّ عِنْدَهُ طَلْبَا
 وَلَا خَلَّيْتُ فِي كَفَيْتِهِ قَلْبًا طَالَ مَا انْتَهَبَا
 أَمَا عَيْنَاهُ عَيْنَاهُ اللَّائِيَانِ أَبَاحَتَا الرِّيَا

وقال وقد كسفت الشمس :

لَمِثْلِ ذَا الْيَوْمِ يَا مَعْدَبَتِي كَانَتْ تَرْجِيْكَ أَخْتُكَ الشَّمْسُ
 قَوْمِي أَخْلَفِيهَا فِي ذَا الْكَسُوفِ فَفِي وَجْهَكَ عَنْهَا إِنْ أَوْحِشْتَ [أُنْسُ] ٢
 وَغَالِطِي حَاسِبَ النُّجُومِ فَإِنْ لَجْتُ وَغَابَتْ أَصَابَهُ لَبْسُ

١ الشريشي والدمية : الغدير .

٢ موضع هذه اللفظة في ص : « خلف » .

وقال:

يَوْمُ الْكَسُوفِ جَلَا عَلَى بَصْرِي
قَامَتْ فَأَرْخَتْ مِنْ ذَوَائِبِهَا
فَسَأَلْتُهَا لِمَ قَدْ لَبَسْتَ دَجِيَّ

قَمَرًا أَحَارَ الْجَنِّ وَالْإِنْسَا
وَتَجَلَّلَتْ مِنْ شَعْرِهَا لَبْسَا
قَالَتْ أَسَاعِدُ أُخْتِي الشَّمْسَا

وقال:

قَالُوا كَسُوفُ الشَّمْسِ مَقْتَرَبُ
يَقْتِي بِكَاسِفِهَا وَكَاشِفِهَا
مَنْ لَوْ يَشَاءُ أَعَادَ مَشْرِقَهَا
هِيَ شُعْلَةٌ مِنْ نُورِهِ فَاذَا

قُلْتُ ادَّخَرْتُ لِدَفْعِ نَائِبِهَا
وَبِفَضْلِ مَا حِيَهَا وَكَاسِبِهَا
مَتَبَسِّمًا لَكَ مِنْ مَغَارِبِهَا
مَا شَاءَ أَظْلَمَ أَوْ أَضَاءَ بِهَا

وقال ١:

أُورِ كَأْسَ الْمَدَامِ فَإِنْ قَلْبِي
حَلَلْتُ بِيَابِلٍ وَأَرَدْتُ الْآ

أُتِيحَ لَهُ عَنِ التَّقْوَى ارْتِحَالُ
أَهِيَمَ بِسِحْرِهِمْ هَذَا مُحَالُ

وقال ٢:

دَنَفُ بِحَمَصَ وَبِالْعِرَاقِ طَبِيبُهُ
مَا نَالَهُ إِلَّا الَّذِي هُوَ أَهْلُهُ
لَزِمَ السَّهَادَ تَحِيْرًا وَتَلَدْدًا
زَعَمَ الْفِرَاقَ دَعَا بِهِ فَأَجَابَهُ

يُضْنِيهِ عَنْهُ بَعَادُهُ وَيَذِيْبُهُ
إِذَا غَابَ عَنِ بَلَدٍ وَفِيهِ حَبِيبُهُ
وَتَأْسَفًا إِذَا أُوْبِقَتْهُ ذُنُوبُهُ
وَنَعَمُ دَعَاهُ فَلَمْ أَرَادَ يَجِيبُهُ

١ تاريخ المسيحي : ٢٣٣/أ

٢ الشريشي ٣ : ١٢٠

وهذا كقول الآخر :

أَنْظَعُنْ عَنْ حَبِيبِكَ ثُمَّ تَبْكِي عليه فمن دعاكَ إلى الفراقِ
وقال آخر :

كَذَبْتُكَ نَفْسُكَ لَسْتَ مِنْ أَهْلِ الْهَوَى تشكو الفراقَ وأنتَ عَيْنُ الظالمِ
وقال ابن المغربي ^١ :

ولما احتوى بدر الدجى صحنُ خَدَه تحير حتى ما درى أين يذهبُ
تبلبلَ لما أنْ تَوَسَّطَ خَدَهُ وما زال من بدر الدجى يتعجبُ
كانَ انعطافَ الصدغِ لأمِّ أَمالِها أديبٌ يجيدُ الخطَّ أيَّانَ يكتبُ
وهذا المعنى كقول الآخر ، وأنشدُ القطعة بكمالها ، استيفاءً لجمالها :

تعلَّم العطفَ من صدغيه فانعطفا وكان من شأنه ألا يفى فوفى
دبَّ العذارُ على ميدانِ صفحته حتى إذا همَّ أن يسعى به وقفا
كانه كاتبٌ عزَّ المدادُ به أراد يكتبُ لأمًّا فابتدا ألفا
وقال ابن المغربي :

حبيبُ سرى يستقبلُ الليلَ وَخَدَهُ ويسبقُ آرامَ الصريمِ وأُسْدَهُ
فلا الأنسُ من أمثاله الأدمِ عاقَهُ ولا الذعرُ من أعدائه الغُلْبِ صَدَهُ
يخوضُ إلى الليلِ ما بلَّ عطفه ويفرج غيلَ الدوحِ ما حلَّ عقدَه

المصراع الأول منه كقول المعري ^٢ :

١ الأول والثالث في الشريفي ٥ : ٢٢٣

٢ شروح السقط : ١٢٢٣

عجبتُ وقد جرتِ الصرّة رِفْلَةً وما خَضِلْتُ مما تَسَرَّبْتُ أَذْيَالُ^١
 [١٤٥] / وقد طلعتُ في الرأسِ مَنِّي رَايَةً ثكلتُ بها هزلَ النعيمِ وجَدَّهُ
 كلوحُ مشيبٍ لو يكونُ^٢ تَبَسُّماً كما زعموا ما [إن] بكى القلبُ عنده
 وما زَهَرَاتُ الشيبِ فيه ظوالمُ كذا العشبُ يأتي يانعُ الزهرِ بعده
 أخذتُ من الدهرِ التجارِبَ جَمَلَةً وقبلَ أشدِّي ما بلغتُ أشده

قوله « كلوح مشيب » ينظر إلى قول ابن الرومي^٣ :

لم يضحكُ الشيبُ من فَوْدِيهِ بل كلحا سَمَّ القبيحَ من الأسَاءِ ما قُبُحا
 ان كان ابنُ المغربي قد نَقَصَ معناه ، وطمسَ سنه ، فقد زاد فيه ما ذهب
 ببعض جنائته ، ومحا كثيراً من إساءته . وكان الناسُ قديماً وحديثاً يستعِرونَ
 لبياضَ المشيبِ التَّبَسُّمَ ، حتى جاء ابن الرومي بحرُ الإبداع ، وعذبةُ لسانِ
 الاختراع ، فقال بيته المتقدم فأسكتَ به القائلين ، ودفع في صَدْرِ المتقدمين ، وبينَ
 أنه ربما كان الفضلُ للآخر ، وأبقى السالفُ للغابر . وأرى أَوَّلَ من نحا هذا
 المنحى ، وسلك بالمشيب هذه المحجّة المثلى ، حيث استعار الضحكَ للشيب ، غير
 مبالٍ إلى ما في ذلك من العيب ، دعبل حيث يقول^٤ :

لا تعجبي يا عبدَ من رجلٍ ضحكَ المشيبُ برأسه فبكى
 فاستعار الجناح ، وغدا على ألسنة الرواة وراح ، وتتابع فيه الشعراءُ فأبدأوا
 فيه وأعادوا ، ونقصوا وزادوا .

١ الرِفْلَة : الطويلة الذيل ؛ الصرّة : مجتمع دجلة والفرات ؛ خَضِلْتُ : ابتَلْتُ .

٢ ص : يكن .

٣ ديوان ابن الرومي : ٥٦٣

٤ ديوان دعبل : ١١٧ وروايته : لا تعجبي يا سلم (وفي الديوان تخريج مستفيض)

وقال ابن المغربي :

ولما دعوتُ الكأسَ تؤنسُ وحشتي لبعدك زادتنى اشتياقاً إلى القربِ
ومالت بأعطافٍ لها أريحيةً فقرُبِكَ أحلى من جناها إلى القلبِ
فأنت مزاجُ العيشِ إن كان صافياً وأنت المعيرُ الصفو في كَدَرِ الشربِ

وقال في غلام تركي وسيم ، كان به يهيم :

غزال لم الأيسُ قبله التبريحَ والكمداً
أظنُّ عِداهُ حانيةً لعشقي مذ كذا رسداً

وقال :

يا أهل مصرٍ قد عاد ناسِكُكُمْ بالكَرْخِ بعد التقى إلى الفَنَكِ
جَمَشَ قلبي [مُقَرَّاطُ] غَنِجٌ بدا لقلبي فيه من النسكِ
رمى فؤادي بسهمٍ مقلتهِ وكيف يُخْطِي مولدُ التركِ

وذكرت بمعنى البيت الثاني من هذه قول كشاجم ، وإن لم يكن به ، فيتعلقُ

بسببه ٢ :

يقولون تُبْ والكأسُ في يد أغيدٍ وصوتُ المثاني والمثالثِ عالٍ
[فقلت لهم لو كنتُ أزمنت توبةً وشاهدت هذا في المنام بدا لي]

وقال ابن المغربي ٣ :

حبيبٌ مللتُ الصبرَ بعد فراقهِ على أنني علّفته وألفتهُ
محا سنٌ يأسِي شَخْصَهُ من تفكرِي فلو أنني لاقيتهُ ما عرفتهُ

١ الشريشي : ٥ : ٣٠٥

٢ انظر زهر الآداب : ٦١١ والشريشي : ٥ : ٣٠٥

٣ تاريخ المسيحي : ٢٣٤/أ

وقال :

اللّٰه يعلم ما إثمُ همتُ به إلا وبَغْضَهُ خوفي من النار
وإن نفسي ما هامتُ بمعصية إلا وقلبي عليها عاتبُ زار

وله في غلام نصراني :

رغبتُ في ملّة عيسى وما يخيبُ من يرغبُ في ملّته
رغبتني في دينه شادنُ رأيتُهُ يخطرُ من بيعته
صنعُ حكيمٍ ما أرى أنّه يسلطُ النارَ على حكمته
إن كان ذا من ساكني نارِهِ فنارُهُ أطيبُ من جنته

ومن مرثية له في الشريف أبي الحسن ، صهره :

يا ناعيَ الدين والدنيا أشدّ بهما في حيث سألَ بآلِ الله وادّيه
هذي معالي قریشٍ غاضَ آخرها ومجدها شَمَ زارَ التُربَ باقيه
قل يا أبا حسنٍ والقولُ ذو سعةٍ^١ لولا حجابُ من الثُرياءِ^٢ يثنيه
آخرُ الدهرِ أم تُخنى عواطفُهُ ويفصلُ البينَ أم يُرجى تلافيه
كلّاً لقد فاتَ منك الوصلُ أمله مذ شيدَ الحدثَ المأهولَ بانيه
هتيتَ ربعاً برغلمِ المجدِ تسكنُهُ تلقى أباكَ علماً في مغانيه
إن أخلُ بعدك بالدنيا أروّضها فقد خلا بضميرِ النبعِ باريه
هل كنتَ تعلمُ إذ عودتني أبداً حُسنَ التصبّرِ أني فيك أفنيه

وهو القائل^٣ :

١ ص : في سعة

٢ الثرياء : الأرض ، أو الثرى والندى

٣ الأبيات في ياقوت ١٠ : ٨٢ والمنظّم ٨ : ٢٣ وابن خلكان ٢ : ١٧٦

كنتُ في سَفَرَةِ البطالة والغَيِّ زماناً^١ فحانَ منه قدومُ
تبتُ عن كلِّ مأثمٍ فعسى يُحْيِي بهذا الحديثِ ذاكَ القديمِ
بعد سبعٍ^٢ وأربعينَ لقد ما طلتُ إلاَّ أنَّ الغريمَ كريمَ

انتهى ما أثبتته لأبي القاسم من فصوص نشره ، وملح شعره ، وأختم ذكره
بخبر يتعلق بكرمه ، ومحاسن شيمه^٣ : كان يوماً بداره ببغداد في نوروز سنة ثمانى
عشرة وأربعمائة ، وهو اذ ذاك وزيرها ، وله تديرها ، فدخل عليه وجوهُ أمراء الديلم
والاسفهلارية من الأتراك على طبقاتهم ، ووضعت الهدايا بين يديه على رَسْمِ
الفرس ، فلما/[١٤٦] خفَّ المجلس وتعلَّى النهار ، استؤذن عليه للديلمى مهيار ،
فأذن له ودخل ، فلما مثل بين يديه وسلم قال : أيدك الله ، هذه البضاعة التى معنا
كانت كاسدة ، وقد وجدنا لها نفاقاً بحضرتك ، فقال : هات ما معك ، فأنشده
قصيدته التى أولها^٤ :

* عسى مُعْرِضُ وجهه مُقْبِلُ *

وهي قصيدة نيفَ فيها على المائة ، وقد أثبت ما أخرجت منها في موضعها من
هذا القسم ، فجعل ينشدها وابنُ المغربي يستعيد أبياته النادرة فيها ، ويكثر إعجابه
بها ، ويجمع كفيه ويبسطهما ويقول : أحسنت والله ، أجدت والله ، إلى آخرها . فلما
فرغ أشار له إلى دراهيم ودنانير كانت بين يديه دون باقي الهدايا ، ففتح مهيار كفه
الأيسرَ وجمع بيده اليمنى حتى ملأ كفه الأيسر ، ثم فتح كفه الأيمن وجمع بيده
اليسرى إلى أن لم يبق في الموضع دينار ولا درهم ، ونهض ؛ وسئل مهيار بعدُ عن

١ ياقوت : كنت في سفرة الغواية والجهل مقياً

٢ ياقوت : بعد خمس .

٣ بقية الطلب ٥ : ٢٩ ، ١٩

٤ ديوان مهيار ٣ : ١٢٤ وعجز البيت : فيوهب للآخر الأول .

زنة ما حصل له يومئذ فقال : كانت الدنانير ألفاً ومائة مثقالٍ وعشرين ، والفضة ثمانية آلاف درهم .

فصل في ذكر الفقيه الحافظ

عبد الوهاب بن نصر المالكي البغدادي^١

ناصر دين المالكية ، وإيراد قطعة من شعره

الذي هو حلاوة الأمان ، وبشر وجه الزمان

كان أبو محمد في وقته بقية الناس ، ولسان أصحاب القياس ، وهو أحد من صرّف وجوه المذهب المالكي ، بين لسان الكنانيّ ، ونظير اليونانيّ ، فقدّر أصوله ، وحرّر فصوله ، وقرّر مجلّه^٢ وتفصيله ، ونهّج فيه سبيلاً كانت قبله طامسة المنار ، دارسة الآثار ، وكان أكثر الفقهاء ممن لعله كان أقرب سنّداً ، وأزحّب أمداً ، قليل مادة البيان ، قليل شبّاق اللسان ، قلما فصلّ في كتبه غير مسائل يلقفها ولا يثقفها ، ويؤبّها ولا يرتبها ، فهي متداخلة النظام ، غير مستوفاة الأقسام ، وكلّهم قد أجر ما اجتهد ، وجزء ما نوى واعتقد .

وقد وجدت له شعراً معانيه أجلى من الصبح ، وألفاظه أحلى من الظفر بالأنج : وتبت به^٣ بغداد ، كعادة البلاد ، بذوي فضلها ، وعلى حكم الأيام في محسني أهلها ، فخلع أهلها ، وودّع ماءها وظلّها . وقد حدثت أنه شيعة يوم فصل

١ ترجمة عبد الوهاب المالكي في طبقات الشيرازي : ١٦٨ وتاريخ بغداد ١١ : ٣١ والمنتظم ٨ : ٦١ وترتيب المدارك ٤ : ٦٩١ والديباج المذهب : ١٥٩ ومراة الجنان ٣ : ٤١ وابن خلكان ٣ : ٢١٩ والمروية العليا : ٤٠ وابن كثير ١٢ : ٣٢ والشذرات ٣ : ٢٢٣ والفوات ٢ : ٤١٩ والزركني ٢ : ٢٠٢ وتبيين كذب المفتري : ٢٤٩ والنجم الزاهرة ٤ : ٢٧٦ وورد في دمية القصر (١ : ٢٩٥ - ٢٩٧) ترجمة أبي نصر عبد الله بن علي بن نصر المالكي ، ولعل صوابه « عبد الوهاب بن علي » إذ نسب له الباخرزي أبياتاً نسبت لعبد الوهاب في أكثر المصادر .

٢ ص : حصله .

٣ ص : بعد

عنها ، من أكابرها ، وأصحاب محارباها ، جملةً موفورة ، وطوائف كثيرة ، وأنه قال لهم عندما وقفهم للتوديع ، وعزم عليهم في الرجوع : والله يا أهل بغداد لو وجدت بين ظهرانكم رغبين كلَّ غداةٍ وعشيّةٍ ، ما عدلتُ ببلدكم بلوغَ أمنيّةٍ ؛ والخبزُ عندهم يومئذٍ ثلاثمائة رطل بمِثقال . وزعموا أنه ارتجل يومئذ هذه الأبيات^١ :

سلامٌ على بغدادَ في كلِّ موطنٍ وحقٌّ لها منِّي السلامُ المضاعفُ
لعمركَ ما فارقتها قالياً لها وإنني بشطّئي جانيها لعارف
ولكنها ضاقتُ عليَّ برحبها ولم تكنِ الأرزاقُ فيها تساعف
فكانت كحلٍّ كنتُ أهوى وصاله وتناى به أخلاقه وتخالف^٢

وبلغني أنه اجتاز في وجهته تلك بمرّة النعمان ، وبها يومئذ أبو العلاء أحمد بن سليمان ، فضيّفه ، وكتب إليه بما أثبتته في موضعه ، وفي ذلك يقول أبو العلاء^٣ :

والمالكيُّ ابنُ نصرٍ زار في سَفَرٍ بلادنا فحمدنا النأيَ والسَفَرُ
إذا تفقّه أحيا مالكاً جدلاً وينشرُ الملكُ الضليلَ إن شعرا

واستقرَّ الفقيه أبو محمدٍ بمصر ، فحملَ لواءها ، وملاً أرضها وسبأها ، واستتبع سادّتها وكبراءها ، وتناهتُ إليه الغرائبُ ، وانثالت في يديه الرغائبُ ، فمات لأوّل ما وصلها ، من أكلةٍ اشتهاها فأكلها ؛ زعموا أنه قال وهو يُقَلَّب ، ونَفْسُهُ [قد] تصعّد وتَصَوَّب « لا إله إلا الله ، إذا عشنا متنا » . وكانت وفاته بها رحمه الله سنة اثنين وعشرين وأربعمائة .

وقد أخرجت من شعره ما يروقُ العيونَ ، ويفوقُ المنثورَ والموزونَ . ومن شعره

١ وردت في أكثر المصادر التي جاءت فيها ترجمته : وقيل إن الأبيات ليست له ؛ وانظر الشريشي ٤ : ٣١٧

٢ ترتيب المدارك : وتجانف .

٣ شروح السقط : ١٧٤٠ وابن خلكان : ٢٢٠ والقوات : ٤٢٠ والشذرات : ٢٢٤

مما أنشده أبو المطرف المالقي^١ :

لا تتعجل قطيعتي فكفَى يوماً يدُ الدهر بيننا تَقْطَعُ
عما قليل تحين^٢ فرقتنا ثمت لا ملْتَقَى ولا جَمَعَ

واستقضي بمدينة اسعرد^٣ ، فبلغه عن أحد أدباؤها أنه قال عنه / [١٤٧] كلاماً
معناه : القاضي - أعزّه الله - مجيد ، في كل ما يريد ، إلا أنه ربما فتر قوله إذا شعر ،
فقال عبد الوهاب :

أبغى رضاكم جاهداً حتى إذا
إنني لأصبح من تحن خائفاً
فالى م صبري للتعصب منكم
لو شئت أمنتني القريض من الذي
فيظل بي متملاً متنغصاً
لكنني أرعى الوداد وإن غدا
وأظل يملكني الحنو عليكم
وأجل قدرى في المودة أن أرى
أظن بغدادى طبع خالص
هيهات إن من الظنون كواذباً
إن تعتذر منها تجدني قابلاً

أملت حُسْنَى عاد لي منكم أذى
وَسَلْمَكُمْ من حربكم متعوذاً
وإلى م إغضائي الجفون على القذى
أنا خائف ولكان لي مستنقذاً
من كان قبل الشر بي متلذذاً
غيري به متشدقاً متطرماً
وأكف عائر أسهمي أن ينفذاً
بعد الحفاظ لعهدهم أن ينبذاً
يلقى هزيم من اغتدى متبغداً
والحزم أولى في الحجى أن يحتدى
أورمت تجديد الوداد فحبذاً

١ السريسي ٢ : ١١٣ - ١١٤

٢ ص : بحر

٣ اسعرد (وتكتب أيضاً : أسعرد ، اسعرت ، سعرت) إلى الجنوب من ميفارقين (انظر تقويم البلدان : ٢٨٨ - ٢٨٩)

٤ ص : منسوخاً

٥ المطرود : الصلف المتكرر بما لم يفعل

طبعي التجاوز عن صديقٍ إن هفا
فتجنَّبْن عَتْبِي وَعُدْ لِمُودَتِي
واعلمْ بأنِّي لستُ غافِرَ زَلَّةٍ
ذو الحلم إن سألتهُ لك منصفُ
يا شاعراً ألفاظه في نظمه
خذا فقد نظمتها لك حكمةً
حتى تظلَّ تقولُ من عَجَبٍ بها

وقال ١ :

ونائمةٍ قبلتها فتنبهتُ
فقلتُ لها إني فديتكِ غاصبُ
خذيها وحطِّي^٢ عن أئيمٍ ظلامه
فقلت قصاصُ يشهدُ العقل أنه
وقالت ألم أخبرُ بأنك زاهدُ
فباتت يميني رهن^٣ هميانٍ خصرها

وقال ٤ :

ومحجوبةٍ في الخدر عن كلِّ ناظرٍ
أقولُ لها والعيسُ تُحدِّجُ للنوى
ولو برزتُ بالليل ما ضلَّ مَنْ يسري
أعدِّي لفقدي ما استطعت من الصبر

١ أوردتها ابن خلكان والفوات والشذرات ومرآة الجنان وابن كثير .

٢ في رواية : وكفي

٣ في رواية : وهي ... وهي

٤ وردت ثلاثة أبيات منها في ياقوت ١٠ : ٨٨ وابن خلكان ٢ : ١٧٣ منسوبة للوزير المغربي : وأربعة في الشريشي

١ : ٢٩٩ للقاضي عبد الوهاب .

سَأُنْفِقُ رِيعَانَ الشَّبِيحَةِ آتِفاً
أَلَيْسَ مِنَ الْخُسْرَانِ أَنَّ لِيَالِيَا
وَإِنَّا لَفِي الدُّنْيَا كَوَاكِبُ لَجَّةٍ
وقال ١ :

حَمِدْتُ إِلَهِي إِذْ بُلِيتُ بِحَبَّهَا
نَظَرْتُ إِلَيْهَا وَالرَّقِيبُ يَخَالِنِي
وقال :

لَا تَتْرِكِ الْحَزَمَ فِي شَيْءٍ تَحَاذَرُهُ
الْعَجْزُ ذُلٌّ وَمَا بِالْحَزَمِ مِنْ ضَرَرٍ
وقال :

لَسْتُ وَإِنْ كُنْتُ مَعْنَى بِهِ
بَلْ رَاضِيًا مَا كَانَ مِنْهُ وَإِنْ
مُرُّ الْهَوَى أَطِيبُ مِنْ عَذْبِهِ
مَا صَدَقَ الْحَبَّ أَمْرُو لَمْ تَبِتْ
يَسْتَعَذِبُ التَّعْذِيبَ فِيهِ وَإِنْ
لَا بَاغِيًا مِنْهُ نَوَالًا وَلَا
وقال :

اللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي يَوْمَ بَيْنَهُمْ نَدِمْتُ إِذْ وَدَّعْتَنِي غَايَةَ النَّدَمِ

١ انظر حاشية : ٢ في ابن خلكان : ٢٢١ ونسبها ابن خلكان نفسه في ٤ : ٣٨١ لأبي حفص الشطرنجي .

تراحمت في فؤادي للنوى حرقُ تراحمَ الدمعِ في أجفانٍ منسجمِ
ثم انشيتُ وفي قلبي لفرقتهم وقعُ الأسنةِ في أعقابِ منهزمِ

وكتب يخاطب المستنصر بالله صاحب مصر : حصنَ الله المؤمنين من الشيطانِ
[بجنن] الطاعة ، وذرهم من قرَّ وسواسه سراييل القناعة ، ووهبهم من نعيمه مدداً
ومن توفيقه رشداً ، وصيرهم إلى منهجِ الاسلام وسيله الأقوم ، وجعلهم من الآمنين
فيا هم عليه موقوفون ، وزينتهم بالتثبت فيما هم عنه مسؤولون ﴿وما ربك بظلامٍ
للعبيد﴾ (فصلت : ٤٦)

كتابي إليك من الحبِّ بازاءِ مصرك ، وفناء برِّك ، بعد أن كانت بغداد لي
الوطنَ ، والألفةَ والسكنَ ؛ ولما كنتُ على مذهبٍ صحيح ، ومتجرٍ ربيع ، كُثرتُ
عليَّ الخوارج ، وشقَّ [على] الماء ارتقاء المناهج ، ﴿ولينصرنَّ الله من ينصره ، إن
الله لقويُّ عزيزٌ﴾ (الحج : ٤٠) فأتيت مكة - حرسها الله - لكي أقضي فرضَ
الحج ، من عَجٍّ وثَجٍّ ، أسألُ الله تعالى القبولَ ، وكيف وإنما يتقبلُ الله من المتقين ؛
وقد كنتُ عندي ذا سنةٍ ودين ، مُحِبًّا في الله تعالى وفي النبيين ، وفي محمدٍ صلى الله
عليه وسلم والمهدين ، فورد الناطقون ، وأتى المخبرون ، بخبرٍ ما أنت عليه ،
فذكروا أنَّكَ مُدْحِضٌ لمذهبِ مالك ، موعدُ [١٤٨] لصاحبه باليمِّ المهالك ، هيهات
هيهات ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ . ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾
(الزمر : ٣٠-٣١) فأبيتُ القبولَ على أمرٍ لم يصحَّ بيانه لكثرة الكذب في الدنيا ، وإذا
لا يحلُّ لمسلمٍ أن يموتَ طوعاً ، فأردتُ الكشفَ عن ذلك بكتابٍ منك ، والسلامُ على
من اتبع الهدى .

جواب المستنصر بالله : حَرَسَ الله مهجتك ، وطَوَّلَ مُدَّتَكَ ، وقَدَّمَ أَمِيرَ
المؤمنين إلى المنية قبلك ، وخصَّه بها دونك ، ورد كتابك المكرم ، وأتى خطابك
المعظم ، يُفَصِّحُ البكم ، وَيُنْزِلُ العُصَمَ ، هَبَّتْ عليه رياحُ البلاغةِ فتمقتة ، ووَكَّفتُ

عليه سحائب البراعة فرَّقَتْهُ ، فإِيا له من خطِّ بهي ، ولفظٍ شهِي ، تذكر فيه حُسْنَ
ظنونك بنا ، وثبتُ مآثرنا ، فلما أن عرَّست بازائها ورد من فسَحَ عليك ، فخذُ
بظاهر ما كان عندك وَرِدْ ، ودَعْ لرَبِّكَ عِلْمَ ذاتِ الصدور ، والسلام .

ومن شعره أيضاً قوله^١

أهيمُ بذكرِ الشَّرْقِ والغربِ دائماً وما بي شَرِقُ للبلادِ ولا غربُ
ولكنَّ أوطاناً نأتُ وأحبَّةً فعُدْتُ متى أذكرُ عهدَهُمُ أصْبُ
إذا خطرتُ ذكراهُمُ في خواطري تنائرُ من أجفاني اللؤلؤِ الرطبِ
ولم أنسَ من ودَعْتُ بالشَّطِ سُحرةً وقد غرَّدَ الحادون واستعجلَ الركبِ
أليفان هذا سائرُ نحوِ غربِةٍ وهذا مقيمُ سارٍ عن صدْرِ القلبِ

وقال^٢:

ومحطوطةِ المتينِ مهضومةِ الحشا مُنعمَةٌ الأطرافِ تَدْمِي من اللمسِ
إذا ما دَخَانُ الندِّ من طيِّبها علا [على] وجهها أبصُرْتُ غيماً على الشمسِ

وقال :

رحلتُم فكم من أنةٍ بعد زَفَرٍ مبيَّنةٍ للناسِ شوقي اليكُم
فان كنتُ أعتقتُ الجفونَ من البكا فقد رَدَّها في الرقِّ حزني عليكم

وقال :

يأبى مقامي في مكانٍ واحدٍ دهرُ بتفريقِ الأحبَّةِ مولعُ
كفكفٍ قسيكُ يا فراقُ فأنه لم يبق في قلبي لسهمك موضعُ

١ الأبيات التالية عدا الثالث في ابن خلكان : ٢٢١ والمنازل والديار : ١١٩/أ ووردت في القسم الرابع من الذخيرة :
١٠١ منسوبة لأبي الفضل البغدادي .

٢ وردا في هذا القسم الرابع : ٩٦ منسوبة لأبي الفضل البغدادي .

وقال^١ :

تذكرَ نجداً والحمى فبكى نجدا
وحَيْثُ أَنْفَاسُ الْخِزَامِيِّ عَشِيَّةً
فأظهر سلواناً وأضمرَ لوعةً
ولو أنه أعطى الصبابة حقها
ولم أنسه والسكرُ يفتلُ قدَّه
وقال :

بالكرخ من جانبِ الغربيِّ عن لنا
ذوابتاه نجادا سيفِ مقلتهِ
ضفيرتاه على قتلي تضافرتا

وقال :

من بعد ودي رمتُم أن تهجروا
وزعمتمُ أن الليالي غيَّرتُ
إن شئتمُ أن تُنصفوني في الهوى
رُدُّوا الفؤادَ كما عهدتُ إلى الحشا

وقال :

أتبكي على بغدادَ وهي قريةٌ
لعمركَ ما فارقتُ بغدادَ عن قلى
إذا ذكَّرتُ بغدادَ نفسي تقطَّعتُ
كفى حزناً إن رُمْتُ لم أستطعُ لها

١ وردت ص : ١٠٢ من هذا القسم منسوبة لأبي الفضل البغدادي .

وقال^١:

تَمَلَّكَتْ يَا مُهْجَتِي مُهْجَتِي وَمَا كَانَ ذَا أَمَلِي يَا مَلُولُ
فَجَذُّ بِالْوَصَالِ فَذُنُكَ الْنَفُوسُ وَفِيكَ تَعَلَّمْتُ نَظْمَ الْكَلَامِ
أَيَا غَائِباً حَاضِراً فِي الْفُؤَادِ وَأَسْهَرْتَ يَا نَاطِرِي نَاطِرِي
وَلَا خَطَرَ الْهَجْرُ فِي خَاطِرِي فَلَسْتُ عَلَى الْهَجْرِ بِالْقَادِرِ
وَلَقَبَنِي النَّاسُ بِالشَّاعِرِ وَسَلَامٌ عَلَى الْغَائِبِ الْحَاضِرِ

وقال :

وَكُلُّ مَوَدَّةٍ فِي اللَّهِ تَبْقَى وَكُلُّ مَوَدَّةٍ فِي مَا سِوَاهِ

وقال :

أَمْنَزِلْتِي سَلْمِي وَحَسْبِي رُبَاهِمَا فَمَجْتَمَعِي وَادِيهِمَا بِأُثَالِ
سَلَامٌ عَلَى تِلْكَ الْمَعَاهِدِ إِنَّهَا مَهَبٌ جَنُوبِي أَوْ مَصَابُ شِمَالِي
لِيَالِي لَا أَخْشَى حَزُونََ قَطِيعَةٍ وَلَا أَمْشِي إِلَّا فِي سَهُولٍ وَضَالِ
فَقَدْ صَارَ حَظِّي مِنْ جَمِيعِ لِقَائِكُمْ تَعَرُّضَ بَرْقٍ أَوْ طَرُوقِ خِيَالِ

وقال :

يَا أَمْلَحَ النَّاسِ بِلَا مَرِيَةٍ مِنْ غَيْرِ مُسْتَنْئَى وَلَا مُسْتَعَادِ
مَا زَادَنِي صَدُوكَ إِلَّا هَوًى وَالشَّرُّرُ [مِنْ] عَيْنِكَ^٢ إِلَّا وَدَادِ
فَاحْكُمْ بِمَا شِيتَ فِيهِ الرُّضَى وَكُنْ كَمَا شِيتَ فَأَنْتَ الْمَرَادِ

١ وردت منسوبة للوأواء الدمشقي في الشرحي ١ : ١١٢ وهي في ديوانه : ٩٩ ومنها ثلاثة أبيات في البيتمة ١ : ٢٩٦ له أيضاً .

٢ ص : وسود عينيك .

وما عسى تبلغه طاقتي وإنما بين ضلوعي فؤاد
وقال :

فؤادي فرّ من جسدي إليكم فضمّوا الجسم أو ردّوا فؤادي
فجئت اليوم أطلبه لديكم فما في ردّو حرج عليكم
وقال :

يا لهف نفسي على شيئين لو جمعا [١٤٩] كفاف عيش يقيني كل مسألة
عندي لكنت إذن من أسعد البشر وخدمة العلم حتى ينقضي عمري
وقال ١ :

أشكو الذين أذاقوني مودّتهم حتى إذا أيقظوني في الهوى رقدوا
واستهضوني فلما قمت منتصباً بحمل^٢ ما حملوا من ودّهم قعدوا
لأخرجن من الدنيا وحُبكم بين الجوانح لم يشعر به أحد
ألقت بيني وبين الحب معرفة ما تنقضي أبداً أو ينقضي الأبد
وقال :

ولما رأيت العيش أزعج للنوى عزمت على الأجمان أن تترقفا
فخذ حُجّتي من ترك قلبي سالماً وجيبي ومن حقّيهما أن يمزقا
يدي ضعفت عن أن تمرّق جيها ولو كان قلبي حاضراً لتمرّقاً
وقال :

حرق سوي قلبي ودّعه فأنني أخشى عليك وأنت في سودائه
جاورته سوء الجوار فسؤته لما حلت فناءه بفنائيه

١ هذه الأبيات للعباس بن الأحنف (ديوانه : ٨٤) والبيت الأول منها - في الأقل - لا يمكن أن يكون للقاضي عبد الوهاب لوروده في مصادر سابقة لعصره مثل الأغاني والشعر والشعراء : وقد ورد في الذخيرة : ٥١٤ منسوباً للعباس ابن الأحنف .

٢ ديوان العباس : بثقل : ص : معتدلاً بحمل ... فقدوا

وقال :

في النَّفْسِ ضَيْقٌ وفي الفؤاد سَعَةٌ
البخلُ لا أَسْتَطِيعُ أفعْلُهُ
فآلَةُ الجودِ غيرُ مُتَّسِعَةٍ
والجودُ لا أَسْتَطِيعُ أن أدعه

وقال :

قَضَتُ أَيامُنَا سَهْمًا صحيحاً
كَأَنَّ عَلَيَّ لِلْإِعْدَامِ دَيْنًا
لَمَنْ يَأْوِي إِلَى فهِمٍ سَقِيمٍ
فَلَا زَمَنِي مِلَازِمَةُ الْغَرِيمِ

وقال :

يَحْتَاجُ مَنْ كَانَ فِي مَوَاعِدِكُمْ
أَمْوَالُ قَارُونَ يَسْتَعِينُ بِهَا
إِلَى ثَلَاثٍ مِنْ غَيْرِ تَكْذِيبِ
وَعَمْرٍ نُوْحٍ وَصَبْرٍ أَيُّوبِ

وقال :

طَوَّلْتُ لِلنَّفْسِ فِي الْأَمَانِي
لَمَّا رَأَيْتُ الشَّبَابَ وَلَّى
أَيَقَنْتُ [أَنِي] عَلَى فَنَاءٍ
يَا طَوَّلَ شَوْقِي إِلَى أَنْاسٍ
فَحَسَرْتِي الْيَوْمَ حَسْرَتَانِ
وَطَالَعَ الشَّيْبَ قَدْ عَلَانِي
مَشَمَّرَ الذِّلَّ غَيْرَ وَانٍ
خَلَفَنِي عَنْهُمْ التَّوَانِي

وقال :

أَنَا فِي الْغُرْبَةِ أَبْكِي
لَمْ أَكُنْ يَوْمَ خُرُوجِي
عَجَبًا لِي وَلِتَرْكِي
مَا بَكَتْ عَيْنُ غَرِيبٍ
مَنْ بِلَادِي بِالمَصِيبِ
وَطَنًا فِيهِ حَبِيبِي

وقال^١ :

بَغْدَادُ دَارٌ لِأَهْلِ الْمَالِ وَاسِعَةٌ
وَلِلصَّعَالِيكِ دَارُ الضَّنْكِ وَالضِّيقِ

١ ورد البيتان في ابن خلكان : ٢٢١ وترتيب المدارك : ٦٩٤ والقوات : ٤٢٠ والديباج : ١٦٠ وابن كثير : ٣٣

والشرطي : ٤ : ٣١٧

أصبحتُ فيها مهاناً في أزقتها^١ كأنني مصحفٌ في بيتِ زنديق

وقال :

جَرَّدَ عَزِيمَةً مَاضِي الِهِمِّ مَعْتَزِمٌ وَدُونَ نَيْلِ الَّذِي تَبْغِيهِ لَا تَنَمِ
وَلَا يَصْدُنُّكَ عَنْهَا خَوْفُ حَادِثَةٍ فَأَنَّمَا الْمَرْءُ رَهْنُ الْمَوْتِ وَالسَّقَمِ
مَا قَدَّرَ اللَّهُ أَتِ كُنْتَ فِي سَفَرٍ أَوْ فِي مَقَرِّكَ بَيْنَ الْأَهْلِ وَالْحَشَمِ

وقال :

إِنْ يَكُنْ مَا بَكَ هَزْلٌ فَالَّذِي بِي مِنْكَ جِدٌّ
جَمَلَةٌ تَغْنِي عَنْ التَّفْسِيرِ : مَا لِي عَنْكَ بَدٌّ

وقال :

إِنْ تُرِيدَ الْوَصْلَ فَهَذَا أَنَا وَإِنْ تُرِيدُ هَجْرِي لَكَ الْأَمْرُ
مَا أَنَا مُحْتَاجٌ وَلَا وَامِقٌ فَوَاحِدٌ وَضَلُّكَ وَالْهَجْرُ

وقال :

لَمَّا تَشَرَّنَ عَلَى عَمَدٍ ذَوَائِبُهَا يَكَادُ مِنْهَا فَتِيْتُ الْمَسْكِ يَنْتَشِرُ^٢
تَقُولُ يَا عَمَّتَا كَفَيْ ذَوَائِبُهُ وَيَحْيِي ضَنْيْتُ وَأَخْفَى جِيْدِي الشَّعْرُ
مِثْلَ الْأَسَاوِدِ قَدْ أَعْيَا مَوَاشِطُهَا فِيهِ تَضَلُّ مَدَارِيهَا وَتَنْكَسِرُ
تَدْعُو عَلَى شَعْرِهَا لَمَّا أَضُرَّ بِهَا يَا لَيْتَهُ كَانَ [فِيهِ] الْجَعْدُ وَالْقِصْرُ

وقال :

رَحَلْتُ وَخَلَّيْتُ الْفَوَادَ لَدَيْكُمْ رَهِيناً وَإِنْ لَمْ تَخْلُ مِنْهُ الْأَضَالِعُ
فَإِنْ أَنْتُمْ ضَعِيعْتُمُوهُ أَسَأْتُمْ وَمَا الْحَقُّ إِلَّا أَنْ تَصَانَ الْوُدَائِعُ

١ ربيب المذارك - مضاعفاً بين أظهرهم

٢ ص سقى

وقال :

أطال بينَ الديارِ ترحالي
إن بُرْتُ في بلدةٍ مشيتُ إلى
كأنني فكرةَ الموسوسِ ما
وقال يتشوق إلى بغداد^١ :

خليلي في بغدادَ هل أنتم لي
وهل أنا مذكورٌ بخيرٍ لديكما
وهل ذرَفْتُ عند النوى مقلتنا كما
وهل فيكما مَنْ إنْ تنزَّلَ منزلاً
«أجدُّ لنا طيبَ المكانِ وحسنهُ
كما بيَ عن شوقٍ شديدٍ اليكما
على أدمعٍ منهلةٍ فتأملاً
ولا تياساً أن يجمعَ الله بيننا
«فقد يجمع الله الشيتين بعدما
فدى لك يا بغداد [أهلًا] منزلاً
ولا مثلَ أهليها أرقَّ شمائلًا
وكم قائلٍ لو كان ودُّكَ صادقاً
«يقيمُ الرجالُ الأغنياءُ بأرضهمُ
على العهدِ مثلي أم غدا العهدُ باليا
إذا ما جرى ذكرُ بمن كان نائيا
عليَّ كما أُمسي وأصبحُ باكيا
«أنيقاً وبستاناً من النورِ حالياً»^٢
مُنَى فتمنينا فكنت الأمانيا»^٣
كأنَّ على الأحشاء منه مكاويا
كتابي تبني آثارها في كتابيا
كأحسنِ ما كتبا عليه تصافيا
يظنان كلَّ الظنِّ أن لا تلاقيا»^٤
ولم أرَ فيها مثلَ دجلةٍ واديا
وأعذبَ ألفاظاً وأحلى معانيا
لبغدادَ لم ترحلْ ، فكان جوابيا
وترمي النوى بالمعسرين المراميا»^٤

١ وردت الأبيات ١٢ - ١٤ من هذه القصيدة في المرقبة العليا : ٤١ وترتيب المدارك : ٦٩٤

٢ يضمن ويجري بعض التحوير في قول الشاعر :

ولما نزلنا منزلاً طله الندى

أجدُّ لنا طيب المكان وحسنه

..... (البيت)

٣ مضمن أيضاً من شعر المجنون .

٤ الأبيات الثلاثة الأخيرة مضمنة من شعر إياس ابن القائف (الحماسية رقم : ٤٠٦ في شرح المازوقي) وإن لم يرد البيت الأوسط في الحماسية المذكورة .

«وما هجروا أوطانهم عن ملالةٍ ولكن حذاراً من شحات الأعاديا»
«إذا زرتُ أرضاً بعد طولِ اجتنبها فقدت حبيبي والديارُ كما هيا»

وقال :/[١٥٠]

وماذا عليكم لو مَنَنْتُمْ بزورقٍ فأجزلتُم فيها علينا التفضلاً
فان لم تكونوا مثلنا في اشتياقنا فكونوا أناساً يعرفون التجملاً

وقال^١:

هبني أسأتُ كما زعمتَ فأينَ عاقبةُ الأخوةِ
ولئن أسأتُ كما أسأتُ فأينَ فضلكَ والمره

وقال :

ولما حدا الحادي بعيسٍ أحييتي ونادى غرابُ البينِ بالبينِ يهتفُ
بكيتُ دماً حتى لقد قال قائلُ ترى ذا الفتى من جَفَنٍ عينيه يُرَعَفُ

وقال :

قلتُ لها يوماً وأبصرتها بسياسةٍ في كنهها نرجسُ
ما أقبحَ الصدِّ فقالت: بلى، أقبحُ منه عاشقُ مفلس

وقال :

متى أخفِ الغرامَ يَصِفُهُ جسمي بألسنةِ الضننى الخرسِ الفصاحِ
فلو أن الثيابَ فُحِصْنَ عني خفيتُ خفاءَ خَصْرِكَ في الوشاحِ

وقال^٢:

قطعتُ الأرضَ في شَهْرِي ربيعٍ إلى مصرٍ وعدتُ إلى العراقِ

١ ورد البيتان في الصداقة والصديق : ٢٠٦ (دون نسبة)

٢ وردت في ابن خلكان : ٢٢١ وتنسب للوزير أبي القاسم المغربي في دمية القصر ١ : ٩٦

فقال لي الحبيبُ وقد راني سُبوقاً [للمضمر] العتاقِ
ركبتُ على البراقِ ؟ فقلتُ كلاً ولكتني ركبتُ^١ على اشتياقي

فصل في ذكر الأديب الأريب

أبي عبد الله بن قاضي ميلة^١

وهو من طراً ذكره ، وانتهى إلى شعره ، إذ ضرب في الأدب بأعلى قِدْح ، وافتَرَّ عنه على أَوْضَحِ صُبْح ، وأقام دَوْحَهُ على سوقه ، وبنى المنازل^٢ على سواء طريقه ، ورأيتُ أبا علي بن رشيْق قد ذكره في ما اندرج من كلامه في شعراء « الأَنْمُوذَج » ، وأعرب عن فضائله ، وأوضح ما لم يخفَ من دلائله^٣ ، ولعلَّ بعض من يتصفح كتابي هذا يقول : إن شعراء الأَنْمُوذَج مائة شاعر وشاعرة ، وأكثرهم كان في المائة الخامسة من الهجرة ، وتقاربت موالِدُهُمْ ، وتشابهت مصادرهم ومواردهم ، أفلا ذَكَرَهُمْ عن آخرهم ، وماله اقتصرَ على بعضهم دون سائرهم ؟! فبعضُ الجواب أني كثرت بهذا الكتاب عَدَدِي ، وجردته في محاسنِ أهل بلدي ، ثم عرضتُ بعد معارضته أبا منصور ، بذكري مَنْ هنالك من شاعرٍ مشهور ، واجتلابِ ما يتعلق بذلك من خبرٍ ماثور ، فأشرتُ إلى ذكر من كان في هذا الوقت المورَخ من طالِه طَلَّقه ، وأشرق أفقه .

١ سباه ابن خلكان (٦ : ١٥٩) عبد الله بن محمد التنوخي وكنيته أبو محمد : وفي أحد أصول ابن خلكان « أبو عبد الله محمد بن محمد » : وقد ترجم له في المسالك ١١ : ٣٠٤ (وفيه نقل عن الذخيرة والآنموذج) ومذكره في كتاب التعريف بالقاضي عياض : ٧٢ : وميلة التي ينتسب إليها تقع في الجزائر .

٢ المسالك : طار .

٣ المسالك : وابتنى منازل .

٤ قال فيه ابن رشيْق (كما نقل العمري) : هو شاعر لسن مقتدر يؤثر الاستعارة ، ويكثر الزجر والعبافة ويسلك طريق ابن أبي ربيعة وأصحابه في نظم الأقوال والحكايات (واستشهد على ذلك بقائتيه) .

٥ ص : كان .

ولأبي عبد الله أشعارٌ شاردة سارت على السنة الأنام ، وكُتبت في جبهات^١ الأيام ، غير أنه لم يقع إليّ منها عند تحرير هذه النسخة إلا ما أثبت . فمن ذلك ما حدّث به أبو محمد بن خليفة المصري^٢ قال : لما ولي ابنُ البواب وزارة المعز بن باديس سأله أبو عبد الله أمراً كلفه ، فمطله فيه حتى صرفه ، فكتب إليه^٣ :

أقولُ له إذ طيَّسَتْهُ رياسَةُ أتتْ غفلةً مهلاً فقد غلِطَ الدهرُ
ترَفَّقْ يراجعْ فيكَ دهرُكَ عَقْلُهُ فما سُدتْ إلا والزمانُ به سكر
فما برحتْ أيامُهُ أن تصرَّمتْ وما عندنا شكرٌ ولا عنده عذر

وأنشد أيضاً له المصري المذكور^٤ :

جاءت بعودٍ تناغيه فيتبعها^٥ فانظرْ بدائعَ ما يأتي به الشجرُ
غَنَّى على عودها الأطيَّارُ مفصَّحةً رطباً فلما عسا^٦ غَنَّى به البشرُ
فما يزالُ عليه أو به طربُ^٧ يهيجُهُ الأعجمانِ الطيرُ والوتر

قال ابن بسام : وهذا في ما وصف ، كقول ابن شرف^٨ :

سقى الله أرضاً أنبتت عودك الذي زكت منه أغصانُ وطابت مغارسُ
تغنَّى عليه الطيرُ والعودُ أخضرُ وغنَّى عليه الناسُ والعودُ يابسُ

١ المسالك : جبهة .

٢ وردت ترجمته في الأول من القسم الرابع : ٣٤٢ .

٣ المسالك : ٣٠٤ .

٤ وردت الأبيات أيضاً في الأول من القسم الرابع : ٣٥٦ وقد خرجتها هنالك .

٥ ابن خلكان : ويسعدُها

٦ ابن خلكان : غنت عليه ضربوب الطير ساجعة ، حباً فلما ذوى .

٧ ابن خلكان : فلا يزال عليه الدهر مصطخب .

٨ ورد بيتا ابن شرف عند ابن خلكان (٥ : ٣٤٨) برواية أخرى ، وانظر الشريشي ٣ : ٢٠٥ .

وأنشد أيضاً له المصري ١ :

أشقى لجدك أن تكون أدبياً أو أن يرى فيك الورى تهدياً
إن كنت مستوياً ففعلك كله عوج وإن أخطأت كنت مصياً
كالنقش ليس يصح معنى ختمه حتى يكون بناؤه مقلوباً
وأنشد له أيضاً ٢ :

لدياك نور ولكنّه ظلام يحار به المبصر
فان عشت فيها على أنها كما قيل قطرة تُبَر
فلا تعمرن بها منزلاً فان الخراب لما تعمّر
ولا تذخرن خلاف التقى فيفنى ويبقى الذي تذخر
وظن أناس بأن قد سموا فقالوا علونا ولم يشعروا
كذا البحر يطفو عليه القذى ويرسب في قعره الجواهر

وكان لابن قاضي ميلة صديقان فتقاطعا وندما ، واتفق أن بنى أحدهما منزلاً ،
ف قيل لصاحبه : لست تجد وقتاً لمراجعة صديقك أحسن من تهنتك له بهذه الدار
الجديدة ، فركب إليه وهنأه ، وكان على صاحب المنزل قباء ديباج فيه صور
طواويس ، فكرر بصره فيها ذلك القاصد ، فقال له صاحبه : أعجبك
هذه / [١٥١] الصور؟ قال : أجل ، فوهب الثوب له صاحب المنزل ، فقال له
القاصد : وأنا عندي طواويس حية تصلح لهذه الدار ، فلبس صاحب المنزل القباء
غلاماً وسياً له اسمه نحير ، كان صديقه يهواه ، وأهداه إليه ، وأخذ صديقه
الطواويس وأهداها مع غلام له اسمه بديع كان صاحب المنزل أيضاً يكلف به ،

١ الثاني والثالث في المسالك : ٣٠٤ ووردت لابن رشيق في ديوانه : ٣٧ وانظر الذخيرة ١ : ٤٤٨ والغيت ٢ : ١١٤

والشرشي ٥ : ١٢٧

٢ الشرشي ٣ : ١٠١ (أربعة أبيات)

فبلغ ذلك الاكحل تأييد الدولة^١ صاحب صقيلية^٢ ، فأمر الشعراء بصفة ذلك ، فمن شعر ابن قاضي ميلة فيهما هنالك ، من جملة قصيدة :

ولله يومكم إذ أتاك . مبتهجاً بتمام البناء
فأنفذ في حضنٍ نحريه طواويسَ موشية في قباء
فما جنك الليل حتى بعثت بديعاً بكل بديع المكاء
بأحسنٍ متخذٍ في البيوت وأطرفٍ مكتسبٍ في القباء
تقابلتما لاختلاف الصفات ولولاهما لاختلاف الهواء
ويعلي الذنابي مدلاً بها على رأسه كانتصاب اللواء
فتلحظ مرأى يروق العيون ويقضي لواصفه بالغناء
هدايا أقمتم لا يصالها ظباء تجرُ ذيول البهاء
وما عاين الناس من قبل ذا طواويسَ [فوق] أكفُ الظباء
ومنها :

وعاينَ رجليه في معزلٍ من الحسن حلَّ عقود البكاء
فيهدمُ جلوته بعدما أقام لها محكمات البناء
ومن سامَ بالنفس عينَ التام نازعه النقصُ حظَّ النماء
فيا قَمَرِي سؤددٍ قابلاً وجوهَ السنا بوجوه السناء
إذا الدهرُ رفعَ قدريكما فقد سُرِبَل الدهرُ ثوبَ العلاء
ومن شعره^٣ :

قالت الحسناء لما أن رأت أدمعي ترفضُ في ما ابتدرا
ليس هذا الدمعُ ما خبرته أنا من يهدي إليك الخبرا

١ أحد امراء صقيلة من بني أبي الحسين الكلبيين : انظر دوره في حكم الجزيرة في « العرب في صقيلة » : ٤٧ - ٤٨ وصفحات متفرقة من المكتبة الصقلية .

٢ هذا وجه من الوجوه التي يكتب بها هذا الاسم .

٣ وردت ما عدا الثاني في المسالك : ٣٠٥

رقاً في خديّ من ماء الصبا
تأخذُ اللحاظ منه ربهَا
وله من قصيد فريد يقول فيه^١ :

ولما التقينا مُحرمينَ وسيرنا
نظرتُ اليها والمطايا كأنها
وقالت أما منكنَّ من يعرفُ الفتى
أراه إذا سرنا يسير أماننا
فقلتُ لتربّيهَا أبلغها بأنتي
وقولا لها يا أمَّ عمرو أليس ذا
تفاءلتُ في أن تبذلي طارف الهوى
وأما دمَاءُ الهدي فهو تواصلُ
وفي عرفاتٍ ما يخبّرُ أنني
وتقبيلُ ركنِ البيتِ إقبالُ دولةٍ
فأبلغنها ما قلتهُ فتبسمتُ
بعيشي ألم أخبركما أنه امرؤ
فلا تأمنا ما اسطعمتا كيدَ نُطقِهِ
لئن كنت ترجو في مني الفوزَ بالمنى
وقد أنذر الإحرامُ أن وصلنا
فهذا وقذي بالحصى لك منذر
فبادر^٢ نفاري ليلةَ النفرِ إنه

رونقُ يُعشي سناه البصرا
فاذا جاز التناهي قصرا

بليبك يُطوى والركائبُ تعسفُ
غواربها منها معاطسُ رُغفُ
فقد رابني من طول ما يتشوّف
ونوقفُ أخفافَ المطايا فيوقف
بها مستهَامُ قالتا: نتلطف
منىً والمنى في خَيْفِهِ ليس تخلف
بأن عنّ لي منها البنانُ المطرف
يدوم ورأي في الهوى يتألف
بعارفةٍ من نيل وصلك أسعف
لنا وزمانُ بالمودةِ يعطف
وقالت أحاديثُ العيافة زخرف
على لفظهِ بُردُ الكلامِ المفوف
وقولا ستدري أينما اليوم أعيف
فبالخيف من إعراضنا تتخوف
حرامُ وأنا عن مزارِكِ نصدف
بأن النوى بي عن ديارك تقذف
سريعُ وقل من [في] العيافة أعرف

١ اورد ابن خلكان ٦ : ١٥٩ هذه القصيدة كاملة ومنها ثلاثة عشر بيتاً في المسالك ، وسبعة عشر في رفع الحجب ٢ :

٤٨ وأحد عشر بيتاً في الشريشي ٤ : ٢٦١ وفي الرواية اختلافات يسيرة لا داعي لانتباها .

٢ المسالك وابن خلكان : فحاذر .

ومن مليح الزجر وغريب الفأل قول أبي حية^١ :

جری يومَ رحنا عامدين لأرضها سنیحُ فقال القومُ مرَّ سنیحُ
فهبابَ رجالٍ منهمُ فتعتفوا فقلتُ لهم : جارِ إليَّ ربيع
عقابُ بأعقابٍ من الدار [بعد] ما نأتُ نيةً بالطاعنين طروح
وقالوا حماماتُ فحُمَّ لقاؤها وطلحُ فزیرتُ والمطيُّ طلیح
وقال صحابيٌ هدهدٌ فوقَ بانهٍ هدیَّ وبيانُ بالنجاح يلوح
وقالوا دُمُ دامت موائقُ بیننا ودام لنا حلُّ الصفاءِ صریح
لَعیناکَ يومَ البینِ أسرُعُ واكفاً من الفَنَنِ المطورِ وهو مَرُوحُ

وقال ذو الرمة^٢ :

رأيتُ غراباً ساقطاً فوقَ قضبةٍ من القضبِ لم ینبُتْ لها ورقٌ خُضرُ
فقلتُ غرابُ لاغترابٍ وقضبة لقضبِ النوى هذي العیافة والزجر

وقال آخر^٣ :

دعا صُرْدٌ يوماً على عُصْنِ بانهٍ وصاح بذاتِ البین منها غرابها
فقلتُ أتصريدُ وشحطُ وغربةٍ فهذا لعمري نأیها واغترابها

ومن قصيدة جحدر^٤ :

ومما هاجتني فازددتُ شوقاً بكاءُ حمامتين تجاوبان/ [١٥٢]

١ هو أبو حية النميري ، انظر شعره في الأمالي ١ : ٦٩ (وقارن بشرح الامالي : ٢٤٣) وزهر الآداب : ٤٧٧ ورفع
الحجب ٢ : ٤٨ ومنها أبيات في الشريشي ٤ : ٢٦١ وديوان أبي حية (المورد : ١٩٧٥ ، العدد الأول : ١٣٧)
٢ زهر الآداب : ٤٧٨ ونقل المبرد ان الرواة لم يروها في ديوانه ، وانظر ديوانه : ٦٦٧ (مكارنتي) ورفع الحجب
٢ : ٤٨ والشريشي ٤ : ٢٦٠ (لجران العود)

٣ زهر الآداب : ٤٧٨

٤ وردت الأبيات الثلاثة الأولى من قصيدة جحدر في رفع الحجب ٢ : ٤٨ والقصيدة في معجم البلدان (حجر) .
والنسخة الاستانبولية من منتهى الطلب وتهذيب ابن عساكر ٤ : ٣٦ والخزانة ٤ : ٤٨٣ ورفع الحجب ١ : ٥٠

تجاوبتا بلحنٍ أعجميٍّ على عودين من غَرْبٍ وبان
فكان البانُ أن بانَتْ سُلَيْمى وفي الغَرْبِ اغترابٌ غيرُ دان

وفي هذه القصيدة يقول :

فيا أخويَّ من كعبِ بن عمرو أَقِلاًّ اليومَ إن لم تسعداني
يحاذرُ سطوةَ الحجاجِ ظلماً وما الحجاجُ ظلماً لجان
وكان من آخر خبره معه أنَّ الحجاجَ جَوَّعَ له أسداً ثم سلَّطَهُ عليه ، فبادر
جحدرٌ إليه وقتل الأسدَ ، فعفا عنه الحجاج لما رأى من جرأته ، واتخذته من
صحابته .

وحكى المدائني قال^١ : خرج كثير من الحجاز يريد مصر ، فلما قرب منها
رأى غراباً على شجرة ينتف ريشه ، فتطير من ذلك ومضى لوجهه ، فلقبه رجل من
بني لهب فقال : يا أخا الحجاز ، مالك كاسف اللون ، هل رأيت شيئاً أنكرته ؟
قال : أجل ، غراب على بانة ينتف ريشه وينعب ، قال : إنك تطلب حاجة لا
تدركها ، فقدم مصر والناس منصرفون من جنازة عزة ، فقال :

رأيتُ غراباً ساقطاً فوقَ بانةٍ ينتفُ أعلى ريشه ويطايرة
فقلتُ ولو أني أشاء زجرته بنفسي للنهدي هل أنت زاجره
فقال غرابٌ لاغترابٍ من النوى وفي البان بين من حبيب تجاوره
فما أعيفَ النهدي لا درَّ درّه وأزجره [للطير] لا عزَّ ناصره

ومن مليح الزجر^٢ قولُ أبي نواس وقد اجتمع إخوانه واختفوا عنه ، ووجهوا

١ متابع لزهر الآداب : ٤٧٩ - ٤٨٠ وانظر عيون الاخبار : ١٤٧ وديوان كثير : ٤٦١ - ٤٦٢ وفيه تفريغ الأبيات ،
ويضاف إليه ربيع الأبرار : ٢٩٦/أ والبيت الأول في اللسان (تشش) وشرح النهج ٤ : ٤٣٣ (ط . ١٣٢٩)
والشرطي ٤ : ٢٦٠

٢ بإيجاز عن زهر الآداب : ٤٩٢ وانظر الشرطي ٤ : ٢٦٠

رسولاً إليه بظهر قرطاسٍ أبيضَ لم يكتبوا فيه شيئاً ، وخزموه بزير وختموه بقارٍ ،
ورمى بالكتاب من وراء الباب ، فاستعلم موضعهم وأنشدهم :

زجرتُ كتابكم لما أتاني يرُّ بسانح الطير الجواري
نظرتُ إليه مخزوماً بزير^١ على ظَهْرٍ ومختوماً بقار
فقلتُ الزيرُ ملهيةٌ وهو وقلتُ القارُ من دنِّ العقار
وقلتُ الظهرَ أهيفَ قرطياً^٢ يحرُّ العقلَ منه باحورار
فهِمْتُ إليكم طرباً وشوقاً فما أخطأتُ داركمُ بدارٍ^٣
فكيف ترونني وترونَ زجري ألسْتُ من الفلاسفةِ الكبار
ومن أبدع ما لأبي عبد الله وأغربه ، وأحلى الكلام وواطئه قوله من كلمة ،
يعني السيفَ ، وقد رويت لغيره^٤ :

حيث التقى أسدُ العرينِ وشادنٌ^٥ تحت اللحافِ وصارمٌ وسوارُ
قالت أرى بيني وبينك ثالثاً ولقد عهدتك بالدخيل تغار
أأمنتُ نَشَرَ حديثنا فأجبتُها هذا الذي تُطَوِّى به الأسرار
وقوله أيضاً^٦ :

وتعجبني الغصونُ إذا تشَّتْ ولا سِيما وفيهنَّ الشَّارُ
إذا اهتزتْ^٧ نهودٌ في قدودٍ فقلْ للحلمِ قد ذهب الوقارُ

١ الزير : الكتان (وهو أيضاً أحد أوتار العود)

٢ زهر الآداب : يحيل : الشريشي : بحار .

٣ الشريشي :

فطرت إليكم يا أهل ودي بقلب من هواكم مستطار

٤ المسالك : ٣٠٥ والشريشي : ٤ : ٣١

٥ الشريشي : وظبية

٦ ورد البيتان في المسالك : ٣٠٥

٧ المسالك : هزت .

فصل في ذكر أبي الحسن علي بن محمد التهامي

وابتات جملة من شعره^١

كان مشتهر الاحسان ، ذربَ اللسان ، محلىً بينه وبين ضروب البيان ، يدل
شعره [على] فَوْزِ القِدْحِ ، دلالة برد النسيم على الصبح ، ويُعَرِّبُ عن مكانه من
العلوم ، إعراب الدمع^٢ عن سرِّ الهوى المكتوم .

جملة من شعره في أوصاف شتى

المدح وما يتصل به من النسب

له من قصيدة أولها^٣ :

فؤادي الفداء لها من قُبِّ طوافٍ على الآلِ مثلَ الحبيبِ

يقول فيها :

كَأَنَّ [على] الجَوْ فضفاضةً مساميرها فضةٌ أو ذهب
كَأَنَّ كواكبَهُ أَعْيُنُ تُراعي سنا الفجر أو ترتقب
فلما بدا طَفِقَتْ هَيَّيَّةً تُسْتَرُّ أحداقُها بالهدب
وشَقَّتْ غلائلَ ضوءِ الصَّبَاحِ فلا هُوَ بادٍ ولا محتجب

ومنها :

أبا قاسمٍ حُزَّتْ صَفْوُ الكلامِ وغادرتَ ما بعده للعرب
وليس كلامُكَ إِلَّا النجومُ علوتَ فنأثرتها من كتب

١ كان على صلة بالوزير المغربي ، وله فيه مديح . وقد استخدمه حسان بن مفرج (الذي ثار على الفاطميين بتحريض
الوزير المغربي) رسولاً إلى عرب بني قرة بركة لتحريضهم على الثورة ، فقبض عليه في مصر وسجن ثم قتل سنة
٤١٦ : ترجمته في تنمة اليتيمة ١ : ٣٧ وابن خلكان ٣ : ٣٧٨ (وهو ينقل عن الذخيرة) وغير الذهبي ٣ : ١٢٢
والشذرات ٣ : ٢٠٤ و مرآة الجنان ٣ : ٢٩ وقد وصف ابن خلكان ديوانه بأنه صغير وأن أكثره نخب .

٢ ص : الربيع ٣ ديوان التهامي : ١٥ - ٢٠

رَأَيْتَ الفَصَاحَةَ حَيْثُ النَّدَى وهل ينظمُ الروضَ إلا السحب
وقد شَرُفَ الغَيْثُ إِذْ بَيْنَهُ وبين بنانِكَ أدنى نسب
ومنها في صفة القلم :

وَأُرْعَنَ أَخْرَسَ مِنْ كَثْرَةِ اللَّسِّ غَاتِ بِأَرْجَائِهِ وَاللَّجَبِ
يَلْقَى النُّجُومَ بِأَمْثَالِهَا من الْبَيْضِ مِنْ فَوْقِهَا وَالْيَلْبِ
إِذَا وَاجَهَ الشَّمْسَ رَدَّ الشَّعَاعَ واعترضَ الرِّيحَ سَدَّ الْمُهَبِ
ثَبَّتَ بِأَرْقَشَ ذِي زِينَةٍ^٢ تُجَلَّى الْخُطُوبُ بِهِ وَالْخُطْبُ/[١٥٣]
إِذَا مَا جَعَلَتْ لَهُ لَهْذَمًا من النَّفْسِ طَالَ الرِّمَاحَ السُّلْبُ
وَطَالَتْ بِهِ مَفْخَرًا أَنَّهُا وإياه في الْأَصْلِ بَعْضُ الْقَصَبِ
تَقَلَّمَ أَقْلَامُكَ الْحَادِثَاتِ فْتَبْرًا^٣ وَتَهْتَمُّ نَابَ النُّوبِ
وله من أخرى^٤ :

وَكَيْفَ لَا تُذَرِّكُهُ نَشْوَةٌ واللَّحْظُ رَاحُ وَجْنَى الرِّيقِ رَاحُ
لَوْ لَمْ تَكُنْ رِيْقُهُ خَمْرَةً لَمَا تَشَّى عَطْفَهُ وَهُوَ صَاحُ
يَسْمُ عَنْ ذِي أَشْرِ مِثْلَمَا يَلْتَقِطُ الظَّبْيُ بِفِيهِ الْأَفَاحُ
أَفْلَتَهُ مِنْي وَقَدْ صَدَّتْهُ بِرَقْدَةٍ صَوْتُ مَنَادِي الْفَلَاحُ
فَنَحْنُ فِي نَوْمٍ وَفِي يَقْظَةٍ بَيْنَ دَنُوٍ مِنْهُمْ وَانْتِزَاحُ
وَمَوْقِفٍ لَوْلَا التَّقَى لَا لَتَقَى فِيهِ نَجَادِي وَنِظَامُ الْوَشَاحُ
ومنها :

وَجَهْلٍ مُشْتَبِهٍ طُرُقُهُ كَأَنَّمَا هُنَّ خُطُوطُ قُرَاحُ

١ الديوان : وإن واجه الريح .

٢ الديوان : ريقة .

٣ الديوان : قسراً .

٤ ديوان التهامي : ٢٢

وهذا تشبيهه مخترع ، ومعنى مبتدع .

كأنما أشباحُ أنضائنا قسيُّ نبعٍ وكأننا قداح
حتى اجتلينا بعدَ طولِ السرى بغرةِ الكاملِ وجهَ الصباح
فقال لي صبحي أبدُرُ الدجى فقلتُ لا بل هو بدرُ السباح
يُنبيكَ عن سُودده بِشرُهُ مخايلُ السُودِدِ خُرسُ فصاح
واصطلح الناسُ على فضلهِ واختلفوا بعدُ فليس اصطلاح
ومنها :

إن لمسَ الطُّرسَ بأطرافِها فاضَ نوالاً وبياناً وساح
وشقَّ من لؤلؤهِ أوفرَ اللؤلؤِ هنَ الكلماتِ الفصاح^١
وهذه القصيدة مدح بها أبا القاسم بن المغربي المتقدم الذكر .
وله من أخرى^٢ :

لو جادهنَّ غداةَ رُمنَ رواحا غيثُ كدمعي ما أرذنَ براحا
ماتت لفقْدِ الظاعنين ديارَهُم فكانَهُم كانوا بها أرواحا
وهذا كقول ابن الرومي وقد تقدم^٣ :

فقد ألفتُهُ النفسُ حتى كأنَّهُ له جَسَدُ إن بانَ غودِرَ هالكا
متوارشي مرضِ الجفونِ وإنما مرضُ الجفونِ بأن يكنَّ صحاحا
من كانَ يكلفُ بالأهله فليزُرْ وَلَدِي هلالِ زغبة ورياحا
لا عيبَ فيهم غيرُ شحِّ نساينَهُم ومن السباحةِ أن يكنَّ شحاحا

١ الدوان : السبا

٢ في الدوان :

لؤلؤ هن الكلمات الفصاح

وسمى من لؤلؤه أبحرا

٣ دوان الهامي : ١٠

٤ لم يرد البيت نفسه فيما تقدم . وإنما ورد بيتان آخران من قصيدة ابن الرومي هذه في ١ : ٢٠٨

طَرَقَتْهُ فِي أَتْرَابِهَا فَجَلَّتْ لَهُ
أَبْرَزْنَ مِنْ تِلْكَ الْعَيُونِ أَسِنَّةٌ

ومنها في المدح :

يرمي الكتيبةً بالكتابِ إليهمُ
من نِقْصِهِ دُھْماً وَمِنْ مِيَاتِهِ
سَاسَتْ أَقْصَالِيمَ الْوَرَى أَقْلَامُهُ

وله من أخرى^١ :

بعثتُ إليك بطيفها تعليلاً
فأتاك وَهْناً وَالظَّلَامُ كَأَنَّهُ
وَإِذَا تَأَمَّلْتَ الْكَوَاكِبَ خَلَّتْهَا
أَهْدَتْ لَنَا مِنْ خَدَّهَا وَرُضَايَا
وَرَدّاً إِذَا مَا شَمَّ زَادَ غَضَاظَةً
وَجَلَّتْ لَنَا بَرْداً يُشْهِي بَرْدُهُ
بَرْداً يَذِيبُ وَلَا يَذُوبُ فَكَلَّمَا

وهذه كقول ابن الرومي ، وقد تقدم^٢ :
ريقُ إِذَا مَا ازْدَدْتُ مِنْ شَرِّهِ

ومنها في ذكر القلم :

يلقي العدا من كُتْبِهِ بكتائبٍ
فترى الصحيفةَ حَلْبَةً وَجِيَادَهَا
فِي كَفِّهِ قَلَمٌ أَتَمُّ مِنَ الْقَنَا

وهناً من العُرَرِ الصَّبَاحِ صَبَاحاً
وَهَزَزْنَ مِنْ تِلْكَ الْقُدُودِ رَمَاحاً

فيرونَ أَحْرَفَهُ الْخَمِيسَ كَفَاحاً
زَرَدّاً وَمِنْ أَلْفَاتِهِ أَرْمَاحاً
فَأَجَمَّ أَطْرَافَ الْقَنَا وَأَرَامَاحاً

وخضابُ ليلِكَ قد أراد نصولاً
نَظَّمَ النجومَ لرأْسِهِ إكْلِيلَا
زَهْراً تَفْتَحُ أَوْ عَيُوناً حَوْلَا
[ورداً] تَحِينَا بِهِ وَشَمُولَا
ولو أَنَّهُ كَالْوَرْدِ زَادَ ذَبُولَا
نَفْسَ الْحَصُورِ الْعَابِدِ التَّقْبِيلَا
شَرِبَ الْمُتِمُّ مِنْهُ زَادَ غَلِيلَا

رياً ثناني الريُّ ظمّانا

يَجْرُزْنَ مِنْ زَرَدِ الْحُرُوبِ ذَبُولَا
أَقْلَامُهُ وَصَرِيرُهُنَّ صَهِيلَا
طُولَا وَهْنٌ أَتَمُّ مِنْهُ طُولَا

١ ديوان التهامي : ٢٩

٢ الذخيرة ١ : ٣٦٣

قلم يَقلَم ظُفَرَ كُلِّ مُلَمَّةٍ ويرُدُّ حَدَّ شَبَاتِهَا مفلولا

ومنها :

يدعو النبي من الجدود وحيدراً ومن العمومة جعفرأ وعقيلأ
نسبُ ترى عنوانه في وجهه لا شبهة فيه ولا تأويلا

ومن أخرى^١ :

وأراد الخيال لثمي فصيّرت لثامي دون المرافف سترا
أصر في الكأس من رضابك عني حاش لله أن أرشف خمرا
ولو أن الرضاب غير مدام لم تكوني في حالة الصحو سكرى

[ومنها في ذكر القلم] :

وإذا راش بالأنامل منه قلمأ واستمد ساء وسراً
قلمأ دبّر الأقاليم حتى قال فيه أهل التناسخ إمرا
يتبع الرمح أمره إن عشرين ذراعاً بالرأي تخدم شبرا
ومن شعره مما يتعلق بأوصاف طيف الخيال ، وله أغراض غريبة ، وألفاظ

عجبة ، قال^٢ :

عَبَسَنَ من شَعَرٍ في الرأسِ مبسَمِ ما تَفَرَّ البِيضُ مثلُ البِيضِ في اللَمِ
فقبلتني توديعاً فقلت لها كفي فليس ارتشاف الخمر من شيمي / [١٥٤]
لو لم يكن ريقها خمراً لما انتطقت بلؤلؤ من حباب الثغر منتظم
ولو تيقنت غير الراح في فمها ما كنت ممن يصد اللثم بالثم
وزاد ريقها برداً تحدرها على حصي برد من ثغرها شيم

١ ديوان النهامي : ٣٦

٢ ديوانه : ٦ وهي في مدح الأمير نصر الدولة بن مروان الكردي .

ومعنى البيت الثاني من هذه كقول أبي الحسن الرضّي^١ :

وقبلته فوق اللثام فقال لي هي الخمر إلا أنها بفدام
وتشبيه أرياق الملاح بالراح أكثر من أن يحصى ، وأشهر من أن يتقصّى ، ولكن
التهامي ولد معنى حسناً ، وجرّ هاهنا للبلاغة رسناً ، بقوله : « لو لم يكن ريقها
خمرًا .. » البيت .

وفيهما يقول :

إنني لأطْرِفُ طرفي عن محاسنها تَكْرُمًا وأكفُ الكفَّ عن أمم
ولا أهمّ ولي نفسُ تنازعني أستغفرُ الله إلا ساعةَ الحلم

ومعنى هذا البيت حسن ، ولكن أبا الطيب كان أملكَ لشهوته ، وأعفَّ في حين
خَلَوَتِهِ ، حيث يقول^٢ :

يردّ يداً عن ثوبها وهو قادر ويعصي الهوى في طيفها وهو راقد
ألا تسمعُ كيف عفَّ في الكرى ، وأتى من حُسْنِ اللفظ وبراعة القسمة بما
ترى ؟ وقد أثبت في أخبار ابن الأبار^٣ ، في هذا المعنى عدة أشعار .

وقال التهامي^٤ :

أهدى لنا طيفها نجداً وساكنه
فباتَ يجلولنا من وجهها قمراً
وراعها حرَّ أنفاسي فقلتُ لها
وزاد دُرَّ الثنايا دُرَّ أذمُعها
فما نكرنا من الطيفِ الملمِّ بنا
حتى اقتتنصنا ظباءَ البدو والحضرِ
من البراقع لولا كُلفَةُ القمرِ
هوأي نازُ وأنفاسي من الشررِ
فالتفَّ منتظمٌ منه بمنتشر
ممن هويناه إلا قلةَ الخفرِ

١ لم أجده في ديوان الرضّي .

٢ ديوان المتنبي : ٣١٠ والذخيرة ٢ : ١٤٠

٣ انظر القسم الثاني من الذخيرة : ١٣٥ - ١٤٤

٤ ديوان التهامي : ٤١ .

فسرتُ أعشُرُ في ذيلِ الدجى وهلاً
وللمجرة فوق الأرضِ مُعترَضُ
وللثريا رقودُ فوق أرحلنا
كأنَّ أنجمَهُ والصبحُ يُغمضها
فروغَ السربِ لما ابتلَّ أكرعه
ولو قدَرَنَ وثوبُ الليلِ منخرقُ
ومنها :

لو لم يكن أقحواناً ثغرُ مبسمها
يا ربَّ معنى بعيدِ الشأو أسلكهُ
لفظاً يكونُ لعقد القولِ واسطةً
إن الكتابةَ سارتُ نحو أنمله
تردَّ اقلامُهُ الأرماعَ صاغرةً
وفي كتابك فاعذر من يهيمُ به
الطرسُ كالوجه والنوناتُ دائرة
وله من أخرى^١ :

قولا له هل دار في حوْبائه
ريمُ إذا رفع الستائرَ بيننا
نمُ الضياءُ عليه في عَسَقِ الدجى
أهدى لنا في النومِ نجداً كلَّهُ
وسفرن في جنح الدجى فتشابهتْ

والجو روضُ ورُهِرُ الليل كالزهرِ
كأنها حبُّبُ تطفو على نهر
كأنها قطعة من فروة النمر
قسراً عيونُ غَفَت من شدة السهر
في جدولٍ من خليج الفجر منفجر
بالصبح رَقَعَهُ منهنَّ بالشعر

ما كان يزدادُ طيباً ساعة السحر
في سِلْكٍ لفظٍ قريبِ الفهم مختصر
ما بين منزلة الإسهاب والخصر
والجودَ فالتقيا فيه على قدر
عكساً كعكسِ شعاعِ الشمس للبصر
من المحاسنِ ما في أحسن الصور
مثلُ الحواجبِ والسينات كالطُررِ

أن القلوبَ تحومُ حولَ خبائه
أعشاني اللألاءُ قبل^٢ روائه
حتى كأنَّ الحسنَ من رقبائه
بيدوره وغصونه وظيفائه
في الليل أنجمُ أرضِهِ وسبائه

١ ديوان التهامي : ٨٨ وقد مرَّ منها بيان نسبنا إلى يماخي عبد الوهاب المالكي (ص : ٥٢٤)
٢ الديوان : دون .

وجلا جيناً واضحاً كالبدر في تكويره وبعاده وضيائه
حتى اذا حطّ الصباحُ لثامه ومضى الظلامُ يجرُّ فضلَ ردائه
حيّاً بكأسِ رضابه فرددتها نفسي فداءً رضابه وإبائه
قلبي فداؤك وهو قلبٌ لم تزل تذكي شهابَ الشوق في أثنايه
جاورتُهُ شرَّ الجوارِ وزرته لما حللتَ فناءه بِفَنائه
حرقَ سوى قلبي ودَعُهُ فانني أخشى عليك وأنت في سودائه

ومعنى هذا البيت مشهور ، وقد أجرينا منه طلقاً فيما تقدم .

ومن مراثيه قصيدته التي أولها :

حُكْمُ المنيّةِ في البرية جارٍ ما هذه الدنيا بدارٍ قرارٍ
يقول فيها :

إنّي وُترْتُ بصارمٍ ذي رونقٍ أعددته لطلابةِ الأوتار
يا كوكباً ما كان أقصرَ عمره وكذلك عمرُ كواكبِ الأسفار
وهلالَ أيامٍ مضى لم يستدِرْ بداراً ولم يُمهَلْ لوقتِ سرار
عجلَ الخسوفُ عليه قبل أوانه فمجاه قبل مظنةِ الإبدار
واسْتُلَّ من أترابه ولدائِهِ كالقلمة استلت من الأشفار
فكانَ قلبي قبره وكأنه في طيه سرٌّ من الأسرار
أشكو بعادك لي وأنت بموضعٍ لولا الردى لسمعت فيه سراري
والشرقُ نحو الغربِ أقربُ شقّةً من بُعدِ تلك الخمسة الأشبار/ [١٥٥]

ومنها :

قَصُرْتُ جفوني أم تباعدَ بينها أم صوّرتُ عيناً بلا أشفار
لو كنت تُمنعُ خاضَ دونك فتية منا بحارَ عواملٍ وشفار

فَدَحَوْا فُؤَيْقَ الْأَرْضِ أَرْضاً مِنْ دَمٍ ثُمَّ انْتَبَهَوْا فَبَنَوْا سَمَاءَ غِبَارٍ
قَوْمٌ إِذَا لَبَسُوا الدَّرَوَعَ حَسَبَتْهُمْ سُحُباً مُزَّرَّةً عَلَى أَقْمَارِ
ومن هنا أخذ ابن عبد البر الشنتريني قوله في صفة الاكواس :

كَأَنَّهَا وَشِعَاعُ الشَّمْسِ دَاخِلُهَا قُمْصٌ مِنَ الْمَاءِ قَدْ زُرْتُ عَلَى لَهَبِ
وَتَرَى سَيْوْفَ الدَّارَعِينَ كَأَنَّهَا خُلُجٌ تَمَدُّ بِهَا أَكْفُ بَحَارِ
لَوْ أَشْرَعُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ طَوْلِهَا طَعَنُوا بِهَا عَرْضَ الْقَنَا الْخَطَّارِ
وَكَأَنَّهَا مَلَأُوا عِيَابَ دُرُوعِهِمْ وَغَمُودَ أَنْصُلِهِمْ سَرَابَ قِفَارِ
فَتَدْرَعُوا بِمَتُونِ مَاءٍ جَامِدٍ وَتَقْنَعُوا بِحِبَابِ مَاءٍ جَارِ
يَتَزَيَّنُ النَّادِي بِحَسَنِ وَجُوهِهِمْ كَتَرِيزِ الْهَالَاتِ بِالْأَقْمَارِ
مِنْ كُلِّ مَنْ جَعَلَ الْقَنَا أَنْصَارُهُ وَكَرُمَنْ فَاسْتَعْنَى عَنِ الْأَنْصَارِ
وَاللَيْثُ إِنْ سَاوَرْتَهُ^١ لَمْ يَعْتَمِدْ إِلَّا عَلَى الْأَنْيَابِ وَالْأَظْفَارِ
وَإِذَا هُوَ اعْتَقَلَ الْقَنَاةَ حَسْبَتْهَا صِلَاً تَأْبَطُهُ هَزْبُرُ ضَارِ
شَابَ الْقَذَالُ وَكُلُّ غَصْنٍ صَائِرٌ فِينَائُهُ الْأَحْوَى إِلَى الْإِزْهَارِ
وَتَلْهُبُ الْأَحْشَاءُ شَيْبَ مَفْرَقِي هَذَا الشِّعَاعُ^٢ شَوَاطِئُ تِلْكَ النَّارِ
ومن أخرى^٣ :

أَبَا الْفَضْلِ طَالَ اللَّيْلُ أُمُّ خَانَتِي صَبْرِي فَخَيْلَ لِي أَنَّ الْكَوَاكِبَ لَا تَسْرِي
يقول فيها :

وَلَا حُزْنَ إِلَّا يَوْمَ فَارَقْتُ شَخْصَهُ وَرَحْتُ بِيَعُضِ النَّفْسِ وَالْبَعْضُ فِي الْقَبْرِ
وَأَعْلَمُ أَنَّ الْحَادِثَاتِ بِمَرَصِدٍ لَتَأْخُذَ كُلِّي مِثْلَ مَا أَخَذَتْ شَطْرِي
أَحِينَ نَضَا ثَوْبَ الطُّفُولَةِ نَاسِلًا كَمَا نَسَلَ الرِّيشُ اللَّوْأَمُ عَنِ النَّسْرِ

١ الديوان : الطبا . ٢ الديوان : الضياء .

٣ الديوان : بارزته . ٤ ديوان التهامي : ٧٧

وخلى رضاع الشدي مستبدلاً به
وألقي تيمات الصبا وتباشرت
وقامت عليه للعلاء شواهد
طواه الردى طي الرداء فأصبحت
وقالوا سيئسليه التأسي بغيره
ومنها :

بضرب يطير البيض من حرّ وقعه
ولما تُصَفّ في نصره الله طعنة
فلا تسألوني عنه صبراً فأنني
وإلا تكن قلبي فأنك بعضه
شعاعاً كما طار الشرار عن الجمر
إلى ضربة كالتبر فوق شفا نهر
دفنت به قلبي وفي طيه صبري
قددتكما قدّ الهلال من البدر

قوله : « أحين نضا ثوب الطفولة .. » كقول المعري^١ :
ترى أعطافها ترمي حمياً كأجنحة البُرّاقِ رَمَتْ نُسَالَا

وقوله : « كما استشهد العضب السريجي بالأثر » كقوله أيضاً^٢ :

* كالسيف دلّ على التأثير بالأثر *

وقوله : « كالتبر فوق شفا نهر » معناه مشهور ، إلا أنّ التهامي لم يُتهم فيه
ولا أنجد ، ولا اضطلع بأعباء ما تقلد ، ولا قام ولا قعد ، وأعلق منه بنسبه الذي
يقول :

* عليهنّ من وقّع السيوفِ حواجب *

وقال آخر :

* فنضربهم شكلاً ونطعنهم نقطاً *

١ شروح السقط : ٤٧

٢ شروح السقط : ١٣٩ و صدر البيت : بين بالبشر عن إحسان مصطنع .

وقال آخر ، وإن كان في اللفظ] وكان بين أجزاء البيت تباعد :
 طعنُ كما فَهَقَ الغديرُ يومَهُ ضربُ كحاشيةِ الرداءِ طويلُ
 وهذا كثيرٌ وهو من متداولاتِ المعاني ، ومنه قول أبي العشائر الحمداني :
 أأخا الفوارسِ لو شهدتَ موافقي والخيل من تحت الفوارسِ تَنَحُّطُ
 لقرأتَ منها ما تَحُطُّ يدُ الوغى والبيضُ تُشَكِّلُ والأسِنَّةُ تنقطُ
 وكان أبو الطيب يستحسنه له على قلةِ رضاه ، بقولٍ سواه .

ومن سائر شعره في أوصاف مختلفة

قال من قصيدة^٢ :

تحوَّلَ الدهرُ أحوالي وبدلني	داراً بدارٍ وجيراناً بجيرانٍ
وربَّ أمرٍ رمتني الحادثاتُ به	أرنبو إليه وحالي فيه حالان
إذا نظرتُ بعين الهزل أضحكني	وإن نظرتُ بعين الجد أبكاني
يظلم الكريمُ فلا يُسقى وقد ظفرتُ	كفُ اللئيمِ بسيحانٍ وجيحان
تأملِ القَدَرَ المحتومَ وارضَ به	فانما وَزَنَ الدنيا بميزان
فظلَّ يزدادُ فيها كلُّ منتقص	علاً ويهبطُ منها كلُّ رجحان
كم من رجالٍ إلى الأديان قد نصبوا	وربما صيدتِ الدنيا بأديان
كم عُمِّرَتْ بالحنأ خالي منازلهم	عمارةَ الكتبِ من فقهه وقرآن
وباقلُ الخطِّ سبحانه المقال فهل	كباقلٍ في نشاء أو كسحبان
تراه مجفو نادٍ مستضام يد	مستخبلاً وهو في أثواب لقمان [١٥٦]
ما ذُئِبُهُ غيرُ نفسٍ لا تساعده	على لباسٍ رياء غير صَوَان

١ البيعة ١ : ١٠٤

٢ لم ترد في ديوان التهامي .

قوله : « ويهبط منها كلُّ رجحان » ، كقول ابن الرومي^١ :
 قالت علا الناسُ إلا أنتَ قلتَ لها كذاك يسفلُ في الميزانِ ما رجحا
 وذكرت بذكره باقلاً وسحبانَ ، قولَ أحمد بن سليمان^٢ :
 إذا وصف الطائيَّ بالبخلِ مَادِرُ وعيرٌ قُصّاً بالفهاهةِ باقِلُ
 وقال السُّهّا للشمسِ أنتَ خفيّةُ وقال الدجى للصبح لوئكَ حائلُ
 فيا موت زُرْ إن الحياةَ ذميمةُ ويا نفسُ جدّي إن دهرَكَ هازلُ
 وقوله : « يظلم الكريم فما يسقى .. » البيت ، معنىً قد طوي ونشر ، وعرف
 حتى أنكر ، ومنه قول بعض أهل عصرنا وهو الوزير أبو محمد بن عبد الغفور ، من
 شعر اندرج له في رسالة خاطب بها بعضَ أهل وقتهِ^٣ :

وأَصْرَفُ عَنِ وِرْدٍ وقد غمر الندى خفيفَ عذارٍ والهبنقةَ الألحى
 ومن عجبٍ أن يُقَطَّعا كلُّ نُخَّةٍ^٤ وأمنعَ لِلْقُرْصِ الذي قاتنني ملحا

وقال التهامي^٥ :

ألا قاتلَ الله الحمامَ فانها بكتُ فَشَجْتُ قلباً طروباً إلى هندِ
 وما ذكره هنداً وقد حال دونها قنا الخطُّ أو بيضُ رقاقٍ من الهندِ
 وأسدُّ على جُرْدٍ من الخيلِ ضَمَّرَ وهيهات من تحميه أُسدُّ على جردِ
 وبيداء^٦ تكبو دون إيرادها القطا ويوهي السرى فيها قوى الحازمِ^٧ الجلدِ

١ ديوان ابن الرومي : ٥٦٣ وقد مرَّ في القسم الأول من الذخيرة : ٣٥٠

٢ يعني أبا العلاء المعري ، انظر شروح سقط الزند : ٥٣٣ - ٥٣٨

٣ انظر القسم الثاني من الذخيرة : ٣٦٦

٤ في الأصل : عمر الربا .

٥ في الأصل : لجة .

٦ ديوان التهامي : ٢٠٢

٧ الديوان : وبهاء

٨ الديوان : الضيفم

مطوحة لولا الدراري^١ ما درى دليل^٢ بها كيف السبيل^٣ إلى الرشد^٤
سباريت^٥ ما فيهن زائد لراكب^٦ سوى ما حوت فيها الأداحي^٧ من رُبْد^٨
كبهما^٩ كلفت^{١٠} المطي^{١١} اعتسافها^{١٢} إلى الحسب الزاكي إلى الكرم العِد^{١٣}
إلى الأسدِ الضرغام في حومة^{١٤} الوغى إذا احمر^{١٥} في غاب القنا حدق^{١٦} الأسد^{١٧}
من [الأجائين] الذين جيادهم^{١٨} بأحشاء^{١٩} من عاداهم^{٢٠} أبداً تَرْدِي^{٢١}
نجوم بني قحطان في طخية^{٢٢} الدجى إلى عَدَدِ^{٢٣} عِد^{٢٤} والسنة^{٢٥} لُد^{٢٦}
وقال^{٢٧} :

بين كريمين مجلس^{٢٨} واسع^{٢٩} والود^{٣٠} حال^{٣١} تقرب^{٣٢} الشاسع^{٣٣}
والبيت^{٣٤} إن ضاق^{٣٥} عن ثمانية^{٣٦} متسع^{٣٧} بالوداد^{٣٨} للتاسع^{٣٩}

فصل في ذكر مهيار الديلمي^{٤٠}

وذكر جملة من شعره ، مع ما يتعلق بذكره

كان شاعر العراق وَفْتُهُ لَا يُدَافَعُ ، وَلِسَانُ تِلْكَ الْآفَاقِ لَا يَنَازَعُ ، سِيلُ
أَصْبَحَتْ مِنْهُ الْمَذَانِبُ تَلَاعًا مِثْنًا ، وَبَدُرُ تَجَلَّتْ بِهِ الْغِيَاهِبُ قَدِيمًا وَحَدِيثًا ، أَحَدٌ مِنْ
خُلِيٍّ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمِيدَانِ هُنَالِكَ فَجَرَى وَحَدَهُ ، وَسَبَقَ مِنْ قَبْلِهِ إِلَى غَايَةِ الْإِحْسَانِ فَمَا
ظَنُّكَ بَمَنْ بَعْدَهُ ، وَقَدْ أَخْرَجْتُ مِنْ شِعْرِهِ مَا يَعْلَلُ الرِّفَاقَ ذِكْرَاهُ ، وَيَمْلَأُ الْآفَاقَ سَنَاوَهُ
وسنائه .

١ الديوان : الفصد

٢ الديوان : بأحياء .

٣ لم يرد البيتان في ديوانه .

٤ هو أبو الحسين (أو أبو الحسن) مهيار بن برزويه ، كان مجوسياً وأسلم - فيما يقال - على يد الشريف الرضي ، سنة
٣٩٤ هـ ، أقرأ ديوان شعره بجامع المنصور ببغداد ، وكانت وفاته سنة ٤٢٨ : انظر ترجمته في تاريخ بغداد ١٣ : ٢٧٦
والمنتظم ٨ : ٩٤ ودمية القصر ١ : ٢٨٤ وابن الأثير ٩ : ٤٥٦ وابن خلكان ٥ : ٣٥٩ وعبر الذهبي ٣ : ١٦٧ وابن
كثير ١٢ : ٧٦ والشذرات ٣ : ٢٤٢ والنجوم الزاهرة ٥ : ٢٦ ، ويقع ديوانه في أربعة أجزاء (ط . دار الكتب
المصرية : ١٩٢٥ - ١٩٣١) .

جملة من شعره في اوصاف مختلفة

قال من قصيدة^١ :

مَنْ عَذِيرِي يَوْمَ شَرْقِيٍّ الْحَمَى مِنْ هَوًى جَدًّا بِقَلْبِي^٢ مَزْحَا
نَظْرَةً عَارَتْ فَعَادَتْ حَسْرَةً قَتَلَ الرَامِي بِهَا مَنْ جَرَحَا
لَا تُعَدُّ إِنْ عَدْتَ حَيًّا بَعْدَهَا طَارِحاً عَيْنِكَ فِيهَا^٣ مَطْرَحَا
فَدَ تَذَوَّقْتُ الْهَوَى مِنْ قَبْلِهَا وَأَرَى مُعَذِّبَهُ قَدْ أَمْلَحَا
سَلُّ طَرِيقَ الْعَيْسِ مِنْ وَادِي الْغَضَا كَيْفَ أَعْسَفْتُ لَنَا رَأْدَ الضَّحَى
لَا لَشَيْءٍ^٤ غَيْرَ مَا جِيرَانِنَا خَلَفُوا نَجْدًا^٥ وَحَلُّوا الْأَبْطَحَا
يَا نَسِيمَ الرِّيحِ مِنْ أَرْضِ الْحَمَى^٦ شَدَّ مَا هَجَتْ الْجَوَى وَالْبَرْحَا
يَا نَدَامَايَ بِسَلْعٍ هَلْ أَرَى ذَلِكَ الْمَغْبِقَ وَالْمُصْطَبَحَا
أَذْكُرُنَا ذِكْرَنَا عَهْدُكُمْ رَبِّ ذَكَرَى قَرَّبْتُ مَنْ نَزَحَا
وَارْحَمُوا^٧ صَبًّا إِذَا غَنَّى بِكُمْ شَرَبَ الدَّمْعَ وَعَافَ الْقَدَحَا
رَجَعَ الْعَاذِلُ عَنِّي آيَسًا مِنْ فَوَادِي فِيكُمْ أَنْ يَفْلَحَا
لَوْ دَرَى ، لَأَحْمَلْتُ نَاجِيَةً رَحْلَهُ ، فِي مَنْ لِحَانِي مَالِحَا
[قَدْ شَرَبْتُ الصَّبْرَ عَنْكُمْ مَكْرَهًا وَتَبِعْتُ السَّقَمَ فِيكُمْ مُسْمِحًا]^٨
وَعَرَفْتُ الْهَمَّ مِنْ بَعْدِكُمْ فَكَأَنِّي مَا عَرَفْتُ الْفَرَحَا

١ ديوان مهبأر ١ : ٢٠٢ وقد نظمها سنة ٤١٤

٢ في الأصل : بقلبي .

٣ الديوان : فينا

٤ كذلك هي في أصل الديوان ، وجعلها المحقق : « أَعْسَفْتُ » .

٥ الديوان : أَلْشَيْءَ .

٦ الديوان : نَفَضُوا نَجْدًا

٧ الديوان : مِنْ كَاطِمَةٍ .

٨ الديوان : وَاذْكُرُوا .

٩ زيادة من الديوان لاتصال السياق .

ما سمعتم^١ في السرى من قبلهم بآبن ليلٍ ساءة أن يصبحها
أراه قلب المثل : « عند الصباح يحمد القوم السرى » .

صوحت ريحانة العيش به فمن الراعي نباتاً صوحاً
انكرت تبديلاً أحوالي ومن صحب الدنيا على ما اقترحا
شد ما منى غروراً نفسه تاجر الآداب^٢ في أن يربحا
والمنى والظن باباً أبداً تغلق الأيدي إذا ما فتحا
قد خبرت الناس خبري شيمي بخلاء وتسموا سمحا
وتولجت على أخلاقهم^٣ داخلاً بين عصاهما واللحا
يشتهون المال أن يبقى لهم فلماذا يشتهون المدحا
وهذا كقول الآخر :

أبو حسن يشهى المديح ويعجز عن صلة المادح
كبكر تشهى لذيذ النكاح وتفرق من صولة الناكح [١٥٧]
رجع :

ما تبالي ما قضت حاجاتها ما دمي من خفها أو قرحاً
عود البدر وقد قابله غرة مات بها مستصباحاً
وراء البحر أوفى جمّة منه بالنائل لما طفحاً
أنتم استزلتم عنها يدي بعد ما ظن بها لن تسمحاً^٤
وقال^٥ :

١ الديوان : سمعنا .

٢ في الأصل : الأحباب

٣ في الأصل : أعلامهم .

٤ الشعر في أمالي القاضي ٣ : ١٢٧ وتشبيهات ابن أبي عون : ٢٩٠ ونسب فيه لابن هرمة وكذلك في المختار : ٢٩٠
وحامسة ابن السجري : ٢٦٩ وانظر ديوان ابن هرمة (جمع المعبيد) : ٢٦٣ - ٢٦٤ وفيه تخريجات كثيرة .

٥ الديوان : بعدما عز بها أن أسما .

٦ ديوان مهيار : ٣ : ٣٢٧

بكر الوابل^١ تحدوه النعامي
 وتمشّت فيك أرواح الصبا
 وإذا مغنى خلا من زائر
 ففضى عهد^٢ الهوى أن تصبحي
 أجتدي المزن وماذا أربي
 وقليل قيل أن أدعو لها
 أين سكائك لا أين هم
 صدعو^٣ بعد التمام فعدت
 وتلقوا كل حيران بليد
 يا لؤاة الدين عن ميسرة
 فسقائك الري يا دار أماما
 يتأرجن بأنفاس الخزامي
 بعد ما فارق أو زير لماما
 للمحيين مناخاً ومقاما
 أن يجود المزن أطلالاً رماما
 لا يراني الله أستجدي الغماما
 أحجازاً يموها أم شاما
 بهم أيدي المرامي تترامي
 يسأل الجندل عنهم والרגاما
 والضنينات وما كن لثاما

والمصراع الأول من هذا البيت كقول أبي الفرج الوأء^٤ :
 يطل كل العباد دينهم وهو ملي بذلك الدين

ومنها :

قد وقفنا بعدكم في ربكم
 سعد الراكب تحت [به]
 تطأ العسف فتدمي خفها
 تنزرى أنفاً في خلقها
 وقضينا استلاماً والتاماً
 جسة تحبط وهذا وإكاما
 جهات الأرض شجاً ولطاما
 أن تطيع السوط أو ترضى الزماما

١ الديوان : العارض .

٢ الديوان : حفظ

٣ في الأصل : صدعت

٤ ديوان الوأء : ٢٢١ .

٥ في الأصل : تتبرا .

وبجرعاء الحمى قلبي فَعُجْ
وترجلُ فتحدّثُ عَجَباً
قلُ لجيرانِ الغضا آوِ على
نصلَ العامُ وما تنساکمُ
حملوا ريحَ الصّبا نشرکمُ
وابعثوا أشباحکمُ لي في الكرى
وقف الظامي على أبوابکم
ما يبالي من سقيتنَّ لمي
واعجبوا من أن يرى الظلمُ^١ حلالاً
أشتكيكمُ وإلى من أشتكي
أنتمُ والدهرُ سيفُ وفمُ
كلما عاتبتُ في حظي دهري
وإذا استصحتُ خلاً فكأنني
لمتُ أيامي على الغدر فقد
ولزمتُ الصمتَ لا أشكوهمُ
دفع الله وحامى عن أنا[س]^٢
كان دهري هرماً قبلهمُ

بالحمى واقراً على قلبي السلاما
أنّ قلباً سار عن جسم أقاما
طيب عيشٍ بالغضا لو كان داما
وقصارى الوجد أن نسلخ^٣ عاما
قبل أن تحمل شيحاً أو ثاماً
إن أردتم^٤ لجفوني أن تناما
أفيضي^٥ وهو لم يقضِ أواما
منعكن الماء عذباً والمداما
شاربٌ وهو يرى الخمر حراما
شمل الداء فمن يُري^٦ السقاما
لا يملأن ضرباً وكلاما
زادني العتبُ لحاجاً وعُراما
منه جردت على حتفي حساما
زادت الإجرام حتى لا ملاما
بعد أن أفنيتُ في العذل الكلاما
مذرعوني لم يضيعوا لي سواما
فأعادوه بما أبدوا غلاما^٧

١ في الأصل : يصلح .

٢ الديوان : أذنتم .

٣ في الأصل : فتقضى .

٤ في الأصل : القتل : والظلم : ماء الاسنان .

٥ الديوان : أنتم الداء فمن يشفي .

٦ الديوان : رجال

٧ سقط هذا البيت من الديوان .

كَفَّنِي جودَهُمْ أَنْ أَجْتَدِي وَأَبَى عَزْهُمُ لِي أَنْ أَضَامَا

وقال من أخرى^١ :

لَا عِدَاكِ الْغَيْثُ يَا دَارَ الْوَصَالِ كُلُّ مُنَحَلٍّ الْعَرَى وَاهِي الْعَزَالِ

ومنها :

وَالْغَوَانِي أَزْفَاتُ لَفْمِي وَيَدِي مَرْتَبَكَاتُ^٢ فِي حِبَالِ
كُلْ هَيْفَاءَ يَمِينِي طَوْقَهَا فَحْمَةُ اللَّيْلِ وَقِرْطَاهَا شَالِي

وقال^٣ :

أَتَرَاهَا يَوْمَ صَدَّتْ أَنْ أَرَاهَا عَلِمْتُ أَنِّي مِنْ قَتْلَى هَوَاهَا
أَمْ رَمَتْ جَاهِلَةً الْحَاطِظَهَا لَمْ تَمِزْ عَمْدَهَا[لِي] مِنْ خَطَّاهَا
سَنَحْتُ بَيْنَ الْمَصْلَى وَمَنَى مَسْنَحَ الظَّبِيَّةِ تَسْتَقْرِي طَلَاهَا

وقال^٤ :

ضَرَبُوا بِمَدْرَجَةِ الطَّرِيقِ قَبَائِهِمْ يَتَقَارِعُونَ بِهَا عَلَى الضَّيْفَانِ
وَيَكَادُ مُوقِدُهُمْ يَجُودُ بِنَفْسِهِ حَبُّ الْقَرَى حَطْباً عَلَى النَّيْرَانِ

وقال من قصيدة أولها^٥ :

دَعَوْهَا تَرْدٌ بَعْدَ خَمْسٍ شُرُوعَا وَرَاخُوا عَلَائِقَهَا وَالنُّسُوعَا
وَلَا تَحْبَسُوا خُطْمَهَا أَنْ تَطُولَ الْحَيَاضَ وَأَيْدِيَهَا أَنْ تَبُوعَا
وَقُولُوا دَعَاءَ لَهَا لَا عَقْرَتٍ وَلَا امْتَدَّ دَهْرُكِ إِلَّا رُبْعَا

١ ديوان مهباز ٣ : ١٣٣

٢ الديوان : آذنان لفمي ... مرتسنات .

٣ ديوانه ٤ : ١٨٩

٤ ديوانه ٤ : ٥١

٥ ديوانه ٢ : ٢٢٢

فقد حَمَلْتُ ونَجَتْ أنفُساً
حَمَلْنَ نَشَاوَى بكأسِ الغرامِ
أَحَبُّوا فُرَادَى ولكنهم
حَمَوْا راحةَ النومِ أجفانهم
وباتوا بأيديهم يسندون
وفي الركب إن وصلوا للاحقين
من الراقصات بِحَبِّ القلوب
قَصَائِدُ لم يَصْطَفَيْنَ المِياهُ
إذا الحسبُ اعْتَزَّ من خِنْدِفِ
خَرَقْنَ نقوباً لنا في السجوفِ
فَقَمْتُ أناشدهنَّ العهودَ

كرائمَ جُبْنَ الأمانِي سريعا
كلُّ غدا لأخيه رضيعا
على صيحةِ البين ماتوا جميعا
وشدُّوا على الزفراتِ الضلوعا
فوقَ الرِّحالِ جُنُوباً وقوعا
عقائلُ يَشْفِين تلك الصدوعا
حتى يصيرَ الحليمُ الخليعا
ولم يحترشنَ اليرابيعَ جوعا
مَسَحْنَ ذَوَائِبَهُ والفروعا/ [١٥٨]
جعلن العيونَ عليها رفوعا
لو يستطعن الكلام الرجيعا

قوله : « خرقن نقوباً .. » البيت ، اهتممه من قول العتبي^٢ :

وكنَّ إذا أبصرنني أو سمعن بي بَدَرْنَ فرَقَعْنَ الكوى بالمحاجرِ

وأخذ هذا المعنى أبو الشبل^٣ من شعراء الدولة العباسية فقال^٤ :

رَأَيْنَ الشَّيْبَ قَدْ أَلْبَسَنِي أَهْمَةً الْكُهْلِ
فَأَعْرَضْنَ وَقَدْ كُنَّ إِذَا قِيلَ أَبُو الشَّيْبِ

١ في الديوان : يصطبغن . وهو خطأ ؛ واصطفان المياه : اقتسامها لشح في الماء .

٢ هو أبو عبد الرحمن محمد بن عبيد الله بن عمرو ، شاعر بصري راوية ينسب الى جده عتبة بن أبي سفيان ، وتوفي سنة ٢٢٨ (انظر ابن خلكان ٤ : ٣٩٨ وفي الحاشية مصادر ترجمته) والبيت ورد عند ابن خلكان ٤ : ٣٩٩ ومعجم

المرزباني : ٣٥٧ والأغاني ١٤ : ١٩٢

٣ أبو الشبل عاصم (أو عصيم) بن وهب له ترجمة في طبقات ابن المعتز : ٣٨٠ والأغاني ١٤ : ١٨٤ وكان حياً في أيام المتوكل ، وكان كثير الغزل ماجناً .

٤ الأبيات في الأغاني ١٤ : ١٩١

تَسَاعَيْنَ فَرَقْنِ السُّكُوى بِالْأَعِينِ النَّجْلِ
ومن أناشيد المبرد^١ :

سَدَدَنْ خِصَاصَ الْبَيْتِ حِينَ دَخَلْتُهُ
بِكُلِّ [لَبَانٍ] وَاضِحٍ وَجِبِينَ
وقال مهيار^٢ :

لَعَلَّهُمْ لَوْ وَقَفُوا أَبْلَ هَذَا الْمَدْنَفُ
يَا قَلْبُ هَلْ أَنْتَ مَعِي^٣ أَمْ مَعَهُمْ مُنْصَرَفُ
يَا حَادِي الْأَطْعَانِ أَرُودُ^٤، بَعْضَ مَا تَعْتَسِفُ
فَانِ [فِيَا] بَيْنَهَا^٥ أَفْنَدَةً تَحْتَطِفُ
عَلَى النِّقَا الْمَطْلُولِ مِنْهَا غُصْنُ مَهْفُفِ
إِيهِ عَلَى رِيحَانِهِ لَوْ كَانَ مِمَّا يَقْطِفُ
فَلَا بَرَا وَجَدِي بِهِمْ وَلَا أَفَاقِ الشَّغْفِ^٦

وقال من أخرى^٧ :

مُشْتَبَهُ أَعْرِفُهُ وَإِنَّمَا
يَا صَاحِبِي عَوْنًا وَإِنْ أَيَّاسْنِي
قَفْ بَاكِيًا فِيهَا فَاِنْ كُنْتَ أَخِي
يَا زَمَنًا مَرًّا كَمَا اقْتَرَحْتُهُ
مُغَالِطًا قُلْتُ لَصَحْبِي : دَارُ مَنْ
مِنْ جَلَدِي^٨ قَوْلِي لَخَوَّارٍ : أَعَيْنُ
مُؤَانِسًا^٩ فَبِكْهَا عَنْكَ وَعَنْ
بِالنَّعْفِ إِنْ عَادَ الصَّبَا فَعُدْ إِذَنْ

١ الكامل ٢ : ٢٨٤ وروايته : سددن خصاص الخيم لما دخلته .

٢ ديوان مهيار ٢ : ٢٨١ .

٣ الديوان : هل أنت يا قلب معي .

٤ أُرود : تمهل ، وفي الأصل أُرور .

٥ الديوان : فان بين سوقها .

٦ لم يرد هذا البيت في الديوان .

٧ ديوان مهيار ٤ : ٤٧

٨ الديوان : وإن أشفني مع جلدي .

٩ الديوان : أخاً مؤاسياً .

وحاملي على السرور حاملُ
قد كتب الهجرُ على عارضه
في كفه وطرفه سيفَ الفتن
ما أقبحَ الهجرانَ بالوجه الحسن
ما قلِّلتُ^١ عن مثلها هامةً دن
يديرُ مما اختار عسجديةً

وقال يمدح الوزير ابن المغربي من قصيدة^٢ :

وقفنا وأتعب لي الرقاب
وفي الركب من ثعلٍ من يدقُ
يسقط الغضا^٣ ظلُّ يثلُّ
إلا على سهمٍ المقتل
وأونسُ ماتت لهنّ الذحولُ
وحلمَ فيهنّ من يجهلُ
محسدة العين شهلُ اللحاظِ
يصبغها ميلها الأكل
مهاوي قلائدها إن هوينَ
بطاءً على غررٍ تنزل
أحقاً تقنّصني بالحجازِ
في شكّتي رشاً أعزل
عددتُ سنيّ لها والبياضُ
لدعواي في عدها مبطل
وأقبلتُ أستشهدُ الأربعينَ
لو أن شهادتها تُقبلُ
وقالوا رداءً جميلُ عليكَ
ألا ربما كرهَ الأجلُ
وما الشيبُ أولُ مكروهةٍ
بمحبوبة أنا مستبدل
تمرّن جنبي بحملِ الزمانِ
فكلّ ثقلاته أحمل
يردُّ يدي عن منالِ المنى
وكفّي من باعِه أطولُ
وتعقلُ ناشطُ عزمي الهمومُ
والماءُ يجسُّهُ الجدولُ
وما الحظُّ في أدبٍ مُفصحٍ
ومن دونه تشبُّ مجلُّ
يرومُ الفتى رتبةً وهو [حيث]
يَجعلُهُ مالهُ يُجعلُ

١ الديوان : قطعت .

٢ ديوان مهيار : ٣ : ١٢٥ .

٣ الديوان : اللوى .

٤ سقط هذا البيت من الديوان .

تَشْرَفُ بِحَظٍّ فَاِنْ الْحَظُّوَظُ
وَوَافٍ الْمَوَاسِمَ - ضَخَمَ الْعِيَابِ
حَمَى اللَّهَ لِلْمَجْدِ نَفْساً بغيرِ
وَحْيًا عَلَى ظُلُمَاتِ الْخُطُوبِ
وَتُقْبَلُ بِالرِّزْقِ قَبْلَ السُّؤَالِ
ومنها :

تَخْطَى بِلاَ قَدَمٍ تَسْتَزِلْ
مِنَ الْقَوْمِ تُنْجِدُ أَيْمَانَهُمْ
لَهُمْ غُرُرٌ أَرْضِيَّةٌ
وَيَوْمٍ تَوَاكَلُ فِيهِ الْعَيُونُ
تُعَارِضُ فِيهِ الْكِمَاةُ الْكِمَاةُ
بَطْعَنٍ كَمَا [شُقَّ] ٢ جِيبُ الْقَمِيصِ
ومنها :

وَتَحْتَكُ طَرْفُ يَطِيشُ الْمِرَاحُ
كَأَنَّ الْأَبَارِيقَ طَافَتْ عَلَيْهِ
شَجَاهُ غِنَاءُ الطُّبَا فِي الطُّلَى
إِذَا فَاتَ سَعْيُكَ [شَاءَ] وَالرِّيَّاحُ
يَضْجُ النَّدَى خَصَاماً فَانْ
وَيَخْتَلِفُ النَّاسُ حَتَّى إِذَا
بَسَطْتَ يَدَيْنِ يَدَا تَأْخُذُ النَّفْسُ فَوْسَ بِهَا وَيَدَا تَبْذُلُ
فِيْمَنَّاكَ صَاعِقَةً تُتَّقَى وَيُسْرَاكَ بَارَقَةً تَهْطُلُ

١ هذا البيت والذي يليه لم يردا في الديوان .
٢ زيادة بحسب المعنى ، اذ البيت لم يرد في الديوان .

ولم تَرْ أنواءَ من قبلها
فذاك وتفعُلُ مالا تقولُ
أُعِيذُكَ بالكلماتِ التي
فما يسعُ الجوُّ ما قد وسعتَ
ليهنِ الوزارةَ أنْ رُوِّجَتْكَ
غدَتْ بك مُحَصَّنَةً لا تحلُ
وتعلمُ إن نازعتُ للرجالِ
لئن جثَّتها عانساً قد أبرَّ
فمن معجزاتك أنَ الشبابَ
وإن كنتَ آخرَ خطَّابها
فضاحكٌ بغداد بعد الخطوبِ
طلعتَ عليها طلوعُ الصباحِ
ومنها :

فهل أنت مُنْتَشِلِي من نيوبِ
ومن عيشَةٍ كلُّ أعوامِها
فَصُنْ بك وجهيَ عَمَّنْ سواكَ
فكم راش مثلك مثلي فطارَ
وقدماً وفي لزهيري وزادَ
فسار به الشعرُ فيما سمعتَ
وحسَّانُ أُمِّسَتْ رِقاهُ الصَّعَابِ
تعرفَ رِيحَ عطاياهمُ
وأبصرَ نِعماءَهمُ نازحينَ

دهرٍ يدمِّي ولا يَدُمِّلُ
وإن أخصبَ الناسُ، بي محل
فما مثل وجهيَ يستبدلُ
وإن كان مثلك لا يَغْفَلُ
من هَرِمٍ واهبٍ مجزلُ
من مَثَلٍ باسمه يرسلُ
من آل جفنة تَسْتَنْزِلُ
وقد جاء يحملها المرسلُ
وبابٌ لواحيظِهِ مُقْفَلٌ^١

١ يشير إلى أن حسان كان قد أضرَّ في شيخوخته ، ولكنه عرف ببصيرته أنَّ جيلة بن الأَهم كان قد أرسل إليه عطاءً وهذا يا .

ملوك مضوا بالذي استعجلوا وطاب لهم ذكر ما أجلوا
وما فيهم جامع ما جمعت إذا أنت حصّلت أو حصلوا
رمى الشعراء عناني إليك ففت وأرساغهم تُشكّل
وسرهم أنهم يعملون بزعمهم وأنا . أعمل
ولو أقنع الخبر بالسيف كان أحق بضرب الطلي الصيقل
بسطك لي سال وادي فمي ولا ينني الكلم الأفضل
[فسومتها مهرة لا يعرض بغير يدي شذوها مسحل]^٢
محرمة السرج إلا عليك تشرف منك بمن تبعل
كان عبيداً تغطي بها ومسح أعطافها جرول

فصل في ذكر أبي منصور عبد الملك بن اسماعيل الثعالبي الخراساني^٣

والايتان بطرق من خبره وحيد أثره

كان أبو منصور - وقته - راعي تلعات العلم ، وجامع أشات النثر والنظم ،
أسوة المؤلفين في زمانه ، وإمام المصنفين بحكم قرانه ، سار ذكره سير المثل ،
وضربت إليه أباط الإبل ، وطلعت دواوينه في المشارق والمغارب ، طلوع النجم في

١ الديوان : ذكر .

٢ زيادة من الديوان ليتصل سياق الأبيات .

٣ ترجمته في ابن خلكان ٣ : ١٧٨ (وفيه نقل عن الذخيرة) وعبر الذهبي ٣ : ١٧٢ ونزهة الالباء : ٢٤٩ ودمية القصر

(ط . حلب) : ١٨٣ والشذرات ٣ : ٢٤٦ ومعاهد التنصيص ٣ : ٢٦٦ وانظر مقدمتي محققي كتابي التمثيل

والمحاضرة ولطائف المعارف ، ففيها محاولة لعدّ كتبه ، ودراسة عن الثعالبي بعنوان « الثعالبي ناقدًا وأديبًا » للاستاذ

محمد عبد الله الجادر ، بغداد ، ١٩٧٦ .

٤ ابن خلكان : رأس .

الغياهب ، وتواليفه أشهر مواضع ، وأبهر مطالع ، وأكثر راو لها وجامع ، من أن يستوفيهما عدُّ أو صفُّ ، أو يُوفيهما حقوقها نظمٌ أو رصف ، وقد أخرجت من نشره فصولاً أدرجها في أثناء كتبه ، ومن نظمه جملاً وتفصيلاً أعرب بها عن تفرق طبعه وتدفق أدبه ، تشارك الأرواح في الأجساد ، وتقعّد للاقتراح بالمرصاد .

من ذلك فصول من كلامه في صدر كتابه « فقه اللغة »^١ :

مَنْ شرح الله صدره للإيمانِ اعتقد أنَّ محمداً عليه السلام خيرُ الرسل ، والاسلامَ خيرُ الملل ، والعربَ خيرُ الأمم ، والعربيةَ خيرُ اللغات ، والاقبالَ على تفهمها من الديانة ، إذ هي أداة العلم ومفتاحُ التفقه في الدين ؛ ثم هي لإحراز الفضائل ، والاحتواء على المروءة وسائر المذاهب كالينبوع للماء ، والزَّئِد للنار . ولو لم يكن في الإحاطة بخصائصها ، والوقوف على تصاريفها ، إلا قوةُ البيان^٢ في معرفة إعجاز القرآن ، وزيادة البصيرة في إثبات النبوة ، اللذين هما عمدة الدين^٣ ، لكفى بهما فضلاً يحسن أثره ، ويطيب في الدارين ثمره ، فكيف وأيسرُ ما خصَّها الله تعالى به من ضروب المباح يُكِلُّ أقلام الكتَّبة ، ويُتعب أنامل الحسَّبة .

وفي فصل^٤ :

قبض الله لها خَزَنَةً وحفَظَةً من خواصِّ الناسِ وأعيان الفضل وأنجم الأرض ، فنسوا^٥ في خدمتها الشهوات ، وجابوا الفلوات ، ونادموا لاقتنائها الدفاتر ، وسامروا القباطر ، وكدّوا في حصْرِ لغاتها طباعهم ، وأسهرُوا في تقييد شواردها

١ فقه اللغة : ١

٢ فقه اللغة : وسائر أنواع المناقب .

٣ فقه اللغة : اليقين .

٤ فقه اللغة : الإيمان .

٥ فقه اللغة : ٣

٦ فقه اللغة : تركوا

أجفانهم ، فعظمت الفائدة ، وعمت المصلحة ، وكلما بدأت معالمها تتنكر ، وعرض لها ما يشبه الفترة ، ردّ الله تعالى لها الكرة ، فأهبّ ريحها ، ونفّق سوقها ، بصدرًا من أفراد الدهر أديب ، ذي صدر رحيب ، وقرينة ثاقبة ، ودراية صائبة/[١٦٠] يجب الأدب ، ويتعصب للعرب^٢ ، فيجمع شملها ، ويكرم أهلها ، ويستدعي التأليفات البارعة في تجديد ما عفا من رسوم طرائفها ولطائفها ، مثل الأمير السيد الأوحّد أبي الفضل [الميكالي] :

هيهات لا يأتي الزمان بمثله إن الزمان بمثله لبخيل
وما عَسَيْتُ أَنْ أَقُولَ فِي مَنْ جَمَعَ طَرَائِفَ الْمَحَاسِنِ ، وَاسْتَوَى عَلَى غَايَاتِ الْمُنَاقِبِ ، فَإِنْ ذَكَرَ كَرَمَ الْمَنْصَبِ ، وَشَرَفَ الْمُنْتَسَبِ ، كَانَتْ شَجَرَتُهُ الْمِيكَالِيَّةُ فِي قَرَارَةِ الْمَجْدِ وَالْعِلَاءِ ، أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ، وَإِنْ وُصِفَ حُسْنُ الصُّورَةِ الَّتِي هِيَ أَوَّلُ السَّعَادَةِ ، وَعَنْوَانُ الْخَيْرِ وَسِمَةُ السِّيَادَةِ ، كَانَ فِي وَجْهِهِ الْمَقْبُولُ الصَّبِيحِ ، مَا يَسْتَنْطِقُ الْأَفْوَاهَ بِالتَّسْبِيحِ ، لَا سِوَا إِذَا تَرَفَّقَ مَاءُ الْبَشَرِ فِي غُرَّتِهِ ، وَتَفَقَّقَ نُورُ الشَّرَفِ بَيْنَ أَسْرَتِهِ . وَإِنْ مُدِّحَ حُسْنِ الْخَلْقِ فَلَهُ أَخْلَاقُ خُلُقِنَ مِنَ الْكَرَمِ الْمُحَضِّ ، وَشَيْمٌ تَشَامُ مِنْهَا بَارَقَةُ الْمَجْدِ ، فَلَوْ مُزِجَ بِهَا الْبَحْرُ لَعَذَّبَ طَعْمَهُ ، وَلَوْ اسْتَعَارَهَا الزَّمَانُ لَمَّا جَارَ عَلَى حَرِّ حَكْمِهِ ، وَإِنْ حُدِّثَ عَنِ التَّوَاضُّعِ كَانَ أَوَّلَى بِقَوْلِ الْبَحْتَرِيِّ^٥ مَنْ قِيلَ فِيهِ :

دَنُوتَ تَوَاضَعًا وَعَلُوتَ مَجْدًا^٦ فَشَأْنُكَ انْحِدَارٌ وَارْتِفَاعٌ

١ فقه اللغة : معارفها .

٢ فقه اللغة : بفرد

٣ فقه اللغة : للعربية .

٤ فقه اللغة : أطراف

٥ ديوان البحتري : ١٢٤٧

٦ الديوان : وبعثت قدراً .

كذاك الشمس تبعد ان تسامى ويدنو الضوء منها والشعاع
فأما سائر أدوات الفضل وآلات الخير وخصالُ المجد فقد قسم الله تعالى له
منها ما يباري الشمس ظهوراً ، ويجاري القطر وفوراً . وأما فنون الأدب فهو ابن
بجدتها ، وأخو جملتها ، وأبو عذرتها ، ومالكُ أزمَتها ، والله هو إذا غرس الدرَّ في
أرض القراطيس^١ ، ودرز^٢ بالظلام رداء النهار ، وألقت بحارَ خواطره جواهر البلاغة
على أنامله ، فهناك الحسنُ برمته ، والاحسانُ بكليته ، فلو كنتُ بالنجوم مصدقاً
لقلتُ : إِنَّ عطارداً تأتق في تدبيره ، وقصرَ عليه معظمَ همته ، ووقف في طاعته ، عند
أقصى طاقته . ومن أراد ان يسمع سرَّ النظم ، وسحر الشعر^٣ ، ورقية الدهر ، ويرى
صوبَ العقل ، وذوبَ الظرف ، ونتيجة الفضل ، فليستشذ ما أسفر عنه طبعُ مجده ،
وثمره^٤ عالي فكره ، من ملح تترج بأجزاء النفوس لنفاستها ، وتُشرب بالقلوب
لسلاستها :

قوافٍ اذا ما رآها المشوق هزَّ لها الغانياتُ القدودا
كسَوْنَ عبيداً ثيابَ العبيد وأضحى ليبدُ لديها بليدا
وفي فصل^٥ :

وايمُ الله ما من يومٍ أسعفني فيه الزمانُ بمواجهةٍ وجهه ، وأسعدني بالاقْتباسِ
من نُوره ، والاعترافِ من بحره ، فشاهدتُ ثمارَ المجدِ والسؤدد تنثرُ من شائله ،
ورأيتُ فضائلَ أفرادِ الدهر عيالاً على فضائله ، وقرأتُ نسخةَ الفضلِ والكرم^٦ من

١ فقه اللغة : القراطيس

٢ فقه اللغة : وطرز .

٣ فقه اللغة : الشعر .

٤ فقه اللغة : وأثمره .

٥ فقه اللغة : ٤ وليس بين هذه الفقرة وما تقدّم حذف .

٦ فقه اللغة : الكرم والفضل .

الحاظه ، وانتهبتُ فرائدَ الفوائدِ من ألفاظه ، إلا تذكرتُ ما أنشدنيه لابن الرومي^١ :
لولا عجائب صنع الله ما نبتت تلك الفضائل في لحم ولا عصبٍ
وأنشدتُ فيما بيني وبين نفسي قول الطائي^٢ :

فلو صَوَّرْتَ نفسك لم تَزِدْها على ما فيكَ من كرمِ الطباعِ
وثَلَّثْتُ بقول كشاجم^٣ :

ما كان أحوجَ ذا الكمالِ إلى نقصٍ يوقِّيه من العين
وربَّعتُ بقول المتنبي^٤ :

فان تُفَقِرِ الأنامَ وأنتَ منهم فان المسكَ بعضُ دم الغزالِ
وفي فصل^٥ :

فاستغرقتُ أربعةَ أشهرٍ هناك بحضرته ، وتوفرت على خدمته ، وما رمتُ في أكثرِ
الأوقاتِ في الليل والنهار عاليَ مجلسه ، وتعطرتُ عند ركوبه بغبار موكبه ، فبالله يميناً
قد كنتُ غنياً عنها لو خفت [حشاً] فيها أني ما أنكرتُ طَرَفاً من أخلاقه، ولم أشاهدُ
إلا شرفاً ومجداً من أحواله ، وما رأيته اغتاب غائباً ، أو سبَّ حاضراً ، أو حرم
سائلاً ، أو خيَّبَ آملاً ، أو أطاع سلطانَ الغضبِ والحردِ ، أو تصلىَ بنارِ الضجرِ
وبطشَ بَطْشَ المتجبرِ ؛ وما وجدتُ المآثرَ إلا ما يتعاطاه ، والمآثمَ إلا ما يتخطَّاه ،
فعوَّذتُهُ بالله تعالى من كلِّ طَرَفٍ عائن ، ومن كلِّ صدرٍ خائن ، هذا ولو أعارتني

١ ديوان ابن الرومي : ١٩٦ .

٢ ديوان أبي تمام : ٣٤٠ وشرح العيون : ٣٢٤ ، ٣٣٠ .

٣ مرغير منسوب في الذخيرة ٢ : ٦٨٠ .

٤ ديوان المتنبي : ٢٥٨ والذخيرة ٢ : ٦١٨ .

٥ فقه اللغة : ٥

خطباء إِيَادَ ألسنتها ، وكتابُ العراقِ أيديها ، في وصف أياديه التي اتصلت عندي اتصالَ السعود ، وانتظمت لديَّ انتظامَ العقود ، فقلت في ذكرها طالباً/ [١٦١] أمدَّ الإسهاب ، وكتبتُ في شكرها مادّاً أطنابَ الإطناب ، لما كنتُ بعد الاجتهاد إلا مائلاً في جانب القصور ، متأخراً عن الغرضِ المقصود ، فكيف وأنا قاصرُ البلاغة^١ ، قصيرُ باعِ الكتابة ، وعلى ذلك فقد صدئ فهمي لبعدي - كان - عن حضرته ، وتكدَّر ماءُ خاطري لتطاولِ العهدِ بخدمته .

وفي فصل ٢ :

وما عدلتُ بمؤلفاتي عن اسمه ورسمه ، إخلالاً بما يلزمني من حقِّ سيّوده ، بل إجلالاً [له] عما لا أرضاهُ للمرورِ بسمعه ولحظه ، وتحامياً لِعَرَضِ بضاعتي المزجاةِ على قُوَّةِ نقده ، وذهاباً بنفسي عن أن أهديَ للشمسِ ضوءاً ، أو أزيدَ في القمرِ نوراً ، أو أكونَ كجالبِ المسكِ إلى أرضِ الترك ، والعودِ إلى بلادِ الهند ، والعنبرِ إلى البحرِ الأخضر .

وفي فصل له ٣ :

ان خير الكلام بعد حمد الله والصلاة على رسوله ما شغل بخدمته مَنْ جمعَ الله له عُدَّةً^٢ الملكِ إلى بسطةِ العلم ، ونورَ الحكمةِ إلى نَفَادِ الحكم ، وجعله مبرزاً على ملوكِ العصر ، ومدبّري الأرضِ وولاةِ الأمر ، بخصائص من العدل ، وجلائل من الفضل ، ودقائق من الكرم المحض ، لا يدخلُ أيسرُها تحت العادات ، ولا يُدْرَكُ أقلُّها بالعبارات ، ومحاسنِ سيرِ تحرُّسها أسنَّةُ الأقلام ، وتدرسها ألسنة اللبالي

١ فقه اللغة : قاصر سعي البلاغة

٢ فقه اللغة :

٣ التمثيل والمحاضرة :

٤ التمثيل : عزة .

والأيام ، وهذه صفةٌ تغني عن تسمية الموصوفٍ لاختصاصه بمعناها ، واستحقاقه إياها ، واستثنائه على جميع الملوك بها ، ويعلم سامعها ببديهة السماع أنها للأمير شمس المعالي خالصة ، وعليه مقصورة ، وبه لائقة ، وعن غيره نافرة ، إذ هو بمعاينة الآثار ، وشهادة الأخبار ، واجتماع الأولياء ، وإصفاق الأعداء ، كافلُ المجد ، وكافي الخلق ، وواحدُ الدهر ، وغرة الدنيا ، ومَفْرُغُ الوري ، وجَنَّةُ العالم ، ونكتة الفلك الدائر ، فبَلَّغَهُ الله تعالى أقصى نهاية العمر ، كما بَلَّغَهُ أبعاد غاية الفخر ، ومَلَكَهُ ازمّة الارض ، كما ملكه أعنة الفضل ، وأدام حُسْنَ النظر للعباد والبلاد بإدامه أيامه التي هي أعيادُ الدهر ، ومواسمُ اليُمْنِ والأمن ، ومطالعُ الخير والسعد ، وزاد دولته شباباً ونمواً ، كما زاده في السنّ علواً ، حتى تكون السعاداتُ وَقْدَ بابه ، والبشائرُ قَرَى سمعه ، والمسارُ غذاءَ نفسه ، ويتراعى به الإقبالُ إلى حيث لا يبلغه أمل ولا يقطعه أجل .

وفي فصل ٣ :

هذا الكتاب أخرجتُ بعضه من غُررِ نجوم الأرض ، ونكتِ أعيانِ الفضل من بلغاء العصرِ في النثر ، وحللتُ بعضه من نظم أمراء الشعر الذين أوردتُ مَلَحَ أشعارهم في كتابي المترجم بـ « يتيمة الدهر » ، فلفقتُ جميع ذلك وَسَقْتُه ، وجردته وَسَقْتُه ، وأنفقتُ عليه ما رزقته ، وعملتُه بكدِّ الناظر ، وجهدِ الخاطر ، وتعبِ اليمين ، وعرقِ الجبين ، وتعمدتُ فيه لذةَ الجدة ، وروثَ الحداثة ، وحلاوة الطراوة ، ولم أشبهُ بشيءٍ سوى كلام أهل العصر إلا في قلائلٍ وقلائدٍ من ألفاظٍ [الجاحظ] وابن المعتز ، تخللتُ أثناءه ، وتوسَّطتُ تضاعيفه ، ولم أُخلِ كلماته التي هي وسائطُ الآداب .

١ ص : ومشاهدة .

٢ التمثيل : وحسنة .

٣ سحر البلاغة : ٥ .

٤ في الاصل : من .

٥ في الاصل : الألباب .

وصياقلُ الألبابِ ، وما تشتهي أنفسُ الأدباءِ وتلذَّ أعينُ الكتابِ ، من لفظٍ فصيحٍ ، أو معنى صريحٍ^١ ، أو تجنيس أنيسٍ ، أو تشبيه بلا شبيه ، أو تمثيل بلا مثيل ولا عديل ، أو استعارة أو طباق ، على ذي رونق باقٍ . فمن مرَّافقِ هذا الكتابِ قُرْبُ متناوَلِهِ من الكتابِ ، إذا وشَّوا ديباجَ كلامهم بما يقتبسونه من نوره ، وسباحة قياده لأفراد الشعراء إذا رصَّعوا عقودَ نظامهم مما يلتقطونه من شذوره . فأما المخاطبات والمحاورات فانها تتبرَّجُ بغيره من غرره ، وتتوجُّ بدوق من درره .
وفي فصل^٢ :

وقد كانت تجري في مجلسه العالي نكتٌ من أقاويلِ أئمة الأدب في أسرار اللغة وجوامعها ، ولطائفها وخصائصها ، مما لم ينتهوا إلى جمع شملها ، ولا توصَّلوا إلى نظمها ، وإنما اتجهت لهم في أثناء التأليفات ، وتضاعيف التصنيفات ، لمعُ يسيرة كالتوقيعات ، وفقرُ خفية كالإشارات ، فيلوح لي - أدام الله عزه - بالبحث على أمثالها ، وتحصيل أخواتها ، وما ينخرط في سلكها ، وأنا ألوذ بأكتاف المحاجة ، وأحوم حول المدافعة ، وأرعى روض الماطلة ، لا تهاوناً بأمره الذي أراه كالمكتوبات ، ولا أميزه عن المفروضات ، ولكن تفادياً من قصور سهمي عن هدفٍ إرادته ، وانحرافاً عن الثقة بنفسي في عمل [١٦٢] ما يصلحُ لخدمته ، إلى أن اتفقت لي في بعض الأيام التي هي أعيادُ دهري ، وأعيانُ عمري ، مواكبةُ القمرين بمسيرة ركابه ، ومواصلة السعدين بصلة جنابه^٣ في متوجَّهه إلى فيروزباد ، ومنها إلى حداد^٤ ، بعض قرأه من الشامات ، عمرها الله بدوام عمره ، فلما :
أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا وسالت بأعناق المطي الأباطح^٥

١ سحر البلاغة : أو معنى بدیع .

٢ فقه اللغة : ٧ .

٣ في الأصل : جناحه .

٤ فقه اللغة : خدای زاد

٥ الشعر والشعراء : ١٣ وفي تخريج البيت انظر السط : ٧٧ (الملحق) وديوان كثير : ٥٢٥ .

وعدنا إلى العادة عند الالتقاء في تجاذبِ أهذاب الآداب ، وفُتقِ نوافج الأخبار والأشعار ، أفضتُ بنا شجونُ الحديث إلى هذا الكتاب ، فقال لي - صدق الله قوله ، ولا أعدم الدنيا طَوْلَه - : إنك إن أخذتَ فيه أجدتَ وأحسنْتَ ، وليس إلا أنت ، فقلت : سمعاً سمعاً ، ولم أستجز لأمره دفْعاً ؛ فأقام لي في التأليف معالِمَ أقفُ عندها ، وأقفو حدّها ، وأهاب [بي] إلى ما اتخذته قبلةً أصلي إليها ، وقاعدةً أبني عليها : من التمثيل والتنزيل والتفصيل والتقريب والتقسيم والترتيب ، وانتجعتُ من الأئمة الخليل والأصمعي وأبا عمرو والكسائي وأبا عبيد وأبا زيد ، ومن سواهم من شيوخ العلماء ، وظرفاء الأدباء ، الذين جمعوا فصاحة البلغاء إلى إتقان العلماء ، ووعورة اللغة إلى سهولة البلاغة ، وأفتبس^١ من أنوارهم :

وأجتني من ثمارِ قومٍ قد أفقرتُ منهمُ البقاغُ

ومن كلامه في صدر كتاب اليتيمة

لما كان الشعر عمدةً الأدب ، وعلمَ العرب الذي اختصّت به على سائر الأمم ، وبلسانهم جاء كتابُ الله المنزل ، على النبيّ منهم المرسل ، عليه السلامُ الأجزل ، كانت أشعارُ الاسلاميين أرقَّ من أشعارِ الجاهليين ، وأشعارُ المحدثين [أطفَ من أشعار المتقدمين] ثم كانت أشعارُ العصرين أجمعَ لنوادر المحاسن ، وأنظَمَ للطائِفِ البديع من أشعار سائر المذكورين ، لانتهاؤها إلى أبعِدِ غاياتِ الحُسْنِ ، وبلوغها أقصى نهايةِ الجودَةِ والظُرفِ ، تكاد تخرجُ من باب الایجاز^٢ إلى الاعجاز ، ومن حدّ الشعرِ إلى السحر ، وكأن الزمانُ أدخِر لنا من نتائج خواطرهم ، وثمرات قرائحهم ، وأبكار افهامهم ، أتمَّ الألفاظ والمعاني استيفاءً لأقسام البراعة وأوفرها [نصيلاً] من كمالِ الصنعة ورونقِ الطراوة .

١ فقه اللغة : وأجتني .

٢ اليتيمة : الاعجاب .

ولذلك ما ساد النبي محمد كل الأنام وكان آخر مرسل

وقد سبق مؤلفو الكتب الى ترتيب المتقدمين والمتأخرين ، فكم من كتاب فاخر عملوه ، وعقد باهر نظموه ، لا يشينه إلا نبو العين عن إخلق جدته ، وبلى برده ، [ومع] السمع لمردداته ، وملالة القلب لمكرراته ، وبقيت محاسن أهل العصر التي معها رؤاء الحداثة ، ولذة الجدة ، وحلاوة قرب العهد ، وازدياد الجودة على كثرة النقد ، غير محصورة في كتاب يضم نشرها ، ويشد أزرها .

وقد كنت تصدّيت لعمل ذلك في سنة أربع وثمانين وثلاثمائة ، والعمر باقباله ، والشباب بمائه ، فافتتحته باسم بعض الوزراء ، مجرياً إياه مجرى ما يتقرب به أهل الأدب ، إلى ذوي الأخطار والرتب ، ومقياً ثمار الورق مقام نثار الورق ، وكتبته في مدة تقصر عن إعطاء الكتاب حقه ، ولا تتسع لتوفيته شرطه ، وارتفع كعجالة الراكب ، وقضيت به حاجة في نفسي وأنا لا أحسب المستعيرين يتعاورونه ، والمستحسنين يتداولونه ، وحين أعزته بعض بصري ، وأعدت فيه نظري ، تبينت مصداق ما قرأته في بعض الكتب : « إن أول ما يبدو من ضعف ابن آدم أنه لا يكتب كتاباً فيبيت عنده ليلة إلا أحب في غدها أن يزيد فيه أو ينقص منه » هذا في ليلة واحدة فكيف في سنين عدة ؟! ورأيتني أحاضر بأخوات كثيرة ومآذات غزيرة حصّلت إلي بعد ، فقلت : إذا كان هذا الكتاب له موقع من نفوس الأدباء ، ومحل من قلوب الفضلاء ، فلم لا أبلغ فيه المبلغ الذي يراد ، ويستوجب من الاعتداد ؟ ولم لا أبسط فيه عنان الكلام ، وأرمي في الإشباع والاتمام [هدف] المرام ؟ فجعلت أثبته وأحموه ، وأفتتحه فلا أختمه ، وأنتصفه فلا أتمه ، والأيام تعجز ، وتعد ولا تنجز ، إلى أن أدركت عصر السن والحنكة ، فاختلست لمعة من ظلم الدهر ،

١ اليتيمة : والمنسوخين .

٢ اليتيمة : المبلغ الذي يستحق حسن الاحماد ، ويستوجب من الاعتداد أوفر الاعداد .

وانتهزت رقدةً من عين الزمان ، واغتنمت نبوةً من أنياب النوائب ، واستمرت في تقرير هذه النسخة الأخيرة ، وتحريرها من بين النسخ الكثيرة . فهذه تجمع من بدائع أعيان أهل الفضل ، ونجوم الأرض من أهل العصر / [١٦٣] ما لم تأخذ الكتب العتيقة غرره ، ولم تقتض عذره ، ولم ينقض قدم العهد زبره .

والشرط في هذه النسخة إيراد لبّ الباب ، وحبّة القلب ، وناظر العين ، ونكتة الكلمة ، وواسطة العقد ، ونقش الفص ، فان آخرت متقدماً وقدمت متأخراً فعذري فيه أن العرب قد تبدأ بذكر الشيء والمقدم غيره ، قال تعالى ﴿ فمّنكم كافر ومنكم مؤمن ﴾ (التغابن : ٢) وقال حسان بن ثابت ، وذكر بني هاشم :

بهايلُ منهم جعفرُ وابنُ أمِّه عليٌّ ومنهمُ أحمدُ المتخيرُ
وقال الصلتان العبدَي :

فملّتنا أتنا مسلمونَ على دينِ صديقنا والنبي
وفي فصل منه^٢ :

كان الخوارزمي في ربّعانِ عمره ، وعنفوانِ شبابه^٣ قد دوّخ بلادَ الشام ، وحصل في حضرة سيف الدولة بحلب ، مجمع الرواة وأهل الأدب ، ومطرح الغرباء والفضلاء ، فأقام بها مع أئمة الأدباء بين علمٍ يدرسه ، وأدبٍ يقتبسه ، ومحاسن ألفاظٍ يستفيدها ، وشوارد أشعارٍ يصيدها ، وانقلب عنها أحد أفراد الدهر ، وأمرأٍ النظم والنثر ، وكان يقول : ما فتّق طبعي ، وشحد فهمي ، وصقل ذهني ، وأرهف حدّ لساني ، وبلغ هذا المبلغ بي ، إلا تلك الطرائف الشامية ، واللطائف الحليّة ،

١ ديوان حسان : ٩٩ (وفيه التخرّج)

٢ البيّمة : ٢٦

٣ البيّمة : وعنفوان أمره .

التي عَلِقْتُ بحفظي ، وامتزجت بأجزاء نفسي ، وغصنُ الشبابِ رطيب ، وَبُرْدُ
الحدائثِ قشيب .

وفي فصل ٢ :

كان بنو حمدان ملوكاً أَوْجُهُهُمْ لِلصَّبَاحَةِ ، وأَلْسِنَتُهُمْ لِلْفَصَاحَةِ ، وأيديهم
لِلسَّاحَةِ ، وعقولهم لِلرَّجَاحَةِ ، وسيفُ الدولة مشهورٌ بسيادتهم ، واسطةُ قِلاَدَتِهِمْ ؛
عُرَّةُ الزَّمانِ والعصور ، وَمَنْ به سِدادُ الثَّغور ، وسَدَادُ الأُمُور ، وكانت وقائعُه في عُصَاةِ
العرب تكفُّ بأسها وتفلُّ أنبيائها ، وتُذِلُّ صِعَابُهَا ، وتكفي الرعيةَ سوءَ آدابها ،
وغزواته تدركُ من طاغيةِ الرُّومِ الثَّارَ ، وتحسُّ شَرَّهُمُ المِثَارَ ، وتُحَسِّنُ في الإسلامِ
الآثَارَ ، وحضرتهُ مقصدُ الوفود ، ومطلعُ الجود ، وَقِبْلَةُ الآمالِ ، ومحطُّ الرِّحالِ ، وموسمُ
الأدباء ، وقبلةُ الشعراء ، ويقالُ إنه لم يجتمعُ بِيابِ أحدٍ من الملوك - بعد الخلفاء -
ما اجتمع ببابه من شيوخِ الشَّعرِ ، ونجومِ الدَّهْرِ ، والسلطانُ سوقُ يَجْلِبُ إليها ما
ينفق لديها ؛ وكان أديباً شاعراً محبباً لجيدِ الشعرِ ، شديدَ الاهتزازِ لما يُمدَحُ به ، فلو
أدركَ ابنُ الروميَ زمانَهُ ما احتاج أن يقول :

ذهب الذين يهزمهم مَدَاحُهُمْ هَزَّ الكِماةِ عواليَ المَرانِ
كانوا إذا امتدحوا رأوا ما فيهِمْ فالاريجية منهم بمكانِ
وفي فصل ٣ :

كان أبو فراسٍ قَرَدَ دَهِرِهِ ، وشمسَ عَصَرِهِ ، أدباً وفضلاً ، وكرماً ومجداً ،
وبلاغةً وبراعةً ، وفروسيةً وشجاعةً ، وشعره مشهورٌ سائرُ بَيْنِ الحَسَنِ والجَوْدَةِ
والسَّهولَةِ والمُجْزَلةِ والعذوبةِ والفخامةِ والحلاوةِ والمِثاقَةِ ، ومعه رِواءُ الطَّبِيعِ وَسِمةُ الظَّرْفِ
وعزةُ المَلِكِ ، لم تجتمع هذه الخلالُ قبله إلا في شعر ابنِ المعتز ؛ وأبو فراس بعدُ أشعُرُ

١ البيتة : ورداء .

٢ البيتة : ١ : ٢٧

٣ البيتة : ١ : ٤٨

منه عند أهل الصنعة ونقّدة الكلام . وكان الصاحب يقول : بدىء الشعر بملك -
يعني امرأ القيس - وختم بملك - يعني أبا فراس - .

وأطلت^١ عنان الاختيار في محاسن كل شيء حسن^٢ لا سيما روميّاته التي رمى
بها هدف الإحسان ، وأصاب شاكلة الصواب . ولما خرج نير^٣ الفضل من سراه ،
وأطلق أسد الحرب من إساره ، لم تطل أيام فرحته ، ولم تسمح النوائب بالتجافي
عن مهجته ، ودلت قصيدة قرأتها للصابي في تأيينه على أنه قُتل في وقعة كانت بينه
وبين بعض موالي أسرته ؛ وما أحسن وأصدق قول أبي الطيب :

فلا تَنَلِّكَ الليالي إنَّ أيديها إذا ضربن كسرن النبع بالغرب
ولا يُعِنُّ عدوّاً أنت قاهره فانهن يَصِدُنَّ الصقر بالحرب

وفي فصل :

كان المتنبي نادرة الفلك ، واسطة عقد الدهر ، في صناعة الشعر ؛ شاعر
سيف الدولة الذي جذب بضبعه ، ورفع من قدره ، ونفّق من سيف شعره ، وألقى
عليه شعاع سعادته حتى سار ذكره مسير الشمس والقمر ، وسافر كلامه في البدو
والحضر ، وكادت الليالي تنشده ، والأيام تحفظه ، كما قال^٤ :

وما الدهر إلا من رواق قصائدي إذا قلت شعراً أصبح الدهر منشدا
فسار به مَنْ لا يسير مسامراً وغنّى به من لا يغني مغردا/[١٦٤]

١ البيتة ١ : ١٠٢ - ١٠٣

٢ البيتة : من محاسن شعر أبي فراس ، وما محاسن شيء كله حسن .

٣ البيتة : قمر .

٤ ديوان المتنبي : ٤٢٦

٥ البيتة ١ : ١٢٦

٦ ديوان المتنبي : ٣٦١

وقد ألفت الكتب في تفسيره وجلاء^٢ مشكله وعويصه ، وكسرت الدفاتر على ذكر جيده ورديشه ، وتكلم الأفاضل في الوساطة بينه وبين خصومه ، والإفصاح عن أبحار كلامه وعونه ، وتفرقوا في مدحه وذمه ، والقدح فيه والتعصب له وعليه ، وذلك أدل دليل على وفور فضله ، وتقدم قدمه ، وتفرده على أهل زمانه ، بملك رقاب القوافي ورق المعاني ، والكمال من عدت سقطاته ، والسعيد من حُسبت هفواته .

واتخذ^٣ الليل جلاً وفارق بغداد متوجهاً إلى ابن العميد ، ومراماً للمهلي ، فورد أرجان فطمع صاحب في زيارته باصبهان ، وإجرائه مجرى مقصوده من رؤساء الزمان ، وهو إذ ذاك شاب وحاله حويلة ، ولم يكن استوزر بعد ، فكتب يلاطفه في استدعائه ، فلم يقم له المتنبي وزناً ، ولا أجابه عن كتابه ، وقصد عضد الدولة ، فأسفرت سفرته عن بلوغ الأمانة ، وورود مخرج المنية . واتخذ صاحب غرضاً يرشقه بسهام الوقعة ، ويتبع سقطاته في شعره وهفواته ، وينعى عليه سيئاته ، وهو أعرف الناس بحاسته ، وأكثرهم استعمالاً إياها في مخاطباته .

وخطأ المتنبي في اللفظ والمعنى كثير ، ويتبع الفقرة الغراء بالكلمة العوراء ، ويفتح^٤ بذلك شعره ، وما أكثر ما يحوم حول هذه الطريقة ، ويعود لهذه العادة السيئة ، ويجمع بين البديع النادر والضعيف الساقط ، فبينما هو يصوغ أفرح حلٍ ، وينظم أحسن عقد ، وينسج أنفس وشي ، ويختال في حديقة ورد ، إذا به قد رمى بالبيت والبيتين في إبعاد الاستعارة وتعويض اللفظ وتعقيد المعنى ، فمحا تلك المحاسن وكدر صفاءها وأعقب حلاوتها مرارة لا مساغ لها ، واستهدف لسهام العائنين ، فمن متمثل بقول الشاعر :

١ البيتة ١ : ١٢٧

٢ البيتة : وحل

٣ البيتة ١ : ١٢٨

٤ البيتة ١ : ١٦٣

٥ كذا في الأصل ، وليست العبارة في البيتة ، ولعل الصواب « ويقبح »

أنت العروس لها جمال رائع لكنها في كل يوم تُصرَع
ومن مشبه إياه بمن يقدم مائدة تشتمل على غرائب المأكولات وبدائع
الطيبات ، ثم يُتبعها بطعامٍ وَضِرٍ وشرابٍ عكر ، أو من يتبخّر بالنّدّ المعشب المثلث
المركب من العود الهندي والمسك الأصهب والعنبر الاشهب ثم يرققه^١ بارسال الريح
الحبيشة ، أو بالواحد في عقلاء المجانين ممن ينطق بنوادر الكلام وطرائف الحكم ثم
يعتريه سكر الجنون .

وفي فصل ٢ :

أبو الفرج البيضا : نجم الآفاق ، وشامة الشام والعراق ، وظرف الطرف ،
وينبوع اللطف ، أحد أفراد الدهر ، في النظم والنثر ، ولقب بذلك للثغة^٢ [فيه] .

وكان نظيف اللبسة ، بهي الرّكبة ، مليح اللّغة ، ظريف الجملة ، وأخذت
الأيام من جسمه وقوته ، ولم تأخذ من ظرفه وملحه وأدبه ؛ ووردني كتابه سنة إحدى
وتسعين مشتملاً من النظم والنثر على ما أبدت^٣ به حال من بلغ ساحل الحياة ، ووقف
على ثنية الوداع ، ولست [أدري] بعد ما فعل الدهر به ، وأغلب ظني أنه [لحق]
باللطيف الخبير .

وفي فصل ٤ :

أبو الفرج الوأواء : من حسنات الشام ، وصاغة الكلام ، ومن عجيب شأنه
أنه كان بدار بطيخ دمشقي ينادي على الفواكه ، وما زال يشعر حتى جاد شعره وسار
كلامه ووقع فيه ما يروق ، ويشوق ويفوق ، حتى تعلّق بالعيوق .

١ في الأصل : يوقه .

٢ البيتة ١ : ٢٥٢

٣ البيتة : أثرت .

٤ البيتة ١ : ٢٨٨

وفي فصل^١ :

أبو محمد الواساني : أعجوبة الزمان ونادرته ، وفرد عصره وبقاعته ، وهو أحد المجيدين في الهجاء ، وكان في زمانه ، كابن الرومي في أوانه .

وفي فصل^٢ :

أبو محمد بن وكيع : شاعرٌ بديع^٣ ، وعالمٌ جامع ، قد برع على أهل زمانه ، فلم يتقدمه أحدٌ في أوانه ، وله كلُّ بديعةٍ تسحرُ الأوهام ، وتستعبدُ الأفهام .

وفي فصل^٤ :

السريّ الرفاء : وما أدراك ما السريّ ؟ صاحبُ سرِّ الشعر ، الجامعُ بين [نظم] عُقودِ الدرّ ، والنفسِ في عُقدِ السحر ، ولله دَرَه ، ما أعذبَ بحره ، وأعجبَ أمره !! وقد أخرجتُ من شعره ما يُكْتَبُ على جبهة الدهر ، ويُعلّقُ في كعبةِ الظرف^٥ ، وكتبت منه محاسنٌ وملحاً ، وبدائعٌ وطرفاً ، كأنها أطواقُ الحمام ، وصدورُ البزاقِ البيض ، وأجنحة الطواويس ، وسوالف الغزلان ، ونهودُ العذارى الحسان ، وغمزاتُ الحدقِ الملاح .

وفي فصل^٦ :

عضد الدولة : [كان] على ما مَكَّنَ له في الأرض ، وجُعِلَ إليه من أزمّةِ البسط والقبض ، وخُصَّ به من رفعةِ الشان ، وأُوتِيَ من سعةِ السلطان ، يتفرّغُ للأدب ،

١ البيتة ١ : ٣٥١

٢ البيتة ١ : ٣٧٢

٣ البيتة : بارع

٤ البيتة ٢ : ١١٧

٥ البيتة : الفكر

٦ البيتة ٢ : ٢١٦

ويتشأغل بالكتب/ [١٦٥] ويؤثر مجالسة الأدباء ، على منادمة الأمراء ، ويقول شعراً كثيراً يخرج منه ما هو من شرط الكتاب من الملح والنكت ، وما أدري كم فصل رائع قرأته للصاحب في وصف شعره ، وطلب أمد الإبداع في مدحه .

وفي فصل ١ :

الصايبي : أوحى العراق في البلاغة ، ومن تُشئ الخناصر به في الكتابة ، وتتفق له الشهادات ببلوغ الغاية من البراعة في الصناعة . وكان قد خنق التسعين في خدمة الخلفاء ، وخلافة الوزراء ، وتقلد الأعمال الجلائل ، مع ديوان الرسائل ، وحلب الدهر أشطره ، وذاق حلوه ومره ، ولا بس خيره ولا مس شره ، ورؤس ورأس ، وخدم وخدم ، ومدحه شعراء العراق في جملة الرؤساء ، وسار ذكره في الآفاق ، ودون له من الكلام البهي النقي العلوي ما تتناثر درره ، وتتكاثر غره ، وأراده الملوك على الاسلام ، وأداروه بكل حيلة ومنية جلييلة ، فلم يهدو الله للاسلام ، كما هداه لمحاسن الكلام ، وكان يعاشر المسلمين أحسن عشرة ، ويخدم الأكابر أرفع خدمة ، ويساعدهم على صيام شهر رمضان ، ويحفظ القرآن حفظاً يدور على طرف لسانه وسن قلمه .

وفي فصل ٢ :

عبد العزيز بن يوسف : أحد صدور المشرق ، وفرسان المنطق ، وأفراد الكلم ، وأعيان الممدحين المقدمين في الأدب والكتابة والبراعة والكفاية وجميع أدوات الرياسة . ونثره يُعرب عن أدب فضفاض ، وخاطر بالاجادة والاحسان فيأض .

وفي فصل ٣ :

القاضي التنوخي : من أعيان الأدب والعلم ، وأفراد الكرم وحسن الشيم ، وإن أردت فسبحه ناسك ، وإن أحببت فتفاحه فاتك ، أو اقترحت فمدرعة راهب ،

أو أشرت^١ فَحُبَّةُ شارب ، ريحانة الندماء ، و نارنجُ الطرفاء ، ويعاشرون منه مَنْ تطيبُ عشرته ، وتلينُ قشرته ، وتكرمُ أخلاقه ، وتحسن أخباره ، وتسيرُ أشعاره ، حتى نظمتُ حاشيتي البرَّ والبحر ، وناحيتي الشرق والغرب ، وكان له غلامٌ يسمى نسيماً في نهاية الملاحه واللباقة ، وكان يؤثره على سائرِ غلمانِه ، ويختصُّه بتقريبه واستخدامه ، فكتب إليه بعضُ من يأنس به^٢ :

هل عليّ لامُهُ مدغمٌ لاظطرارِ الشعرِ في ميمٍ نسيمٍ
فوقعَ تحته : نعم ، ولم لا ؟
وفي فصل^٣ :

أبو علي ابنه : هلالُ ذلك القمر ، وغصنُ ذلك الشجر ، والشاهدُ العدلُ لمجدِ أبيه وفضله ، والفرعُ المشيرُ لأصله ، والنائبُ عنه في حياته ، والقائمُ مقامه بعد وفاته ، وله كتاب « الفرج بعد الشدة » وناهيك بحسنه ، وامتناعِ فنِّه ، وما جرى فيه من الفأل يمينه ، لا جرمَ أنه أُسِيرُ من الأمثال ، وأسرى من الخيال .
وفي فصل^٤ :

ابن لنكك : فرد البصرة وصدُرُ أدبائها ، وفردُ ظرفائها في زمانه ، المرجوعُ إليه في لطائف الأدبِ وطرائفه ، وكانت حرفةُ الأدبِ تَمَسُّه وتَجَمُّشُهُ ، ومحنةُ الفضلِ تدركه فتخدشه ، ونفسه ترفعه ، ودهره يَضَعُهُ ؛ وأكثرُ شعره مُلَحٌّ وطرف ، خفيفةُ الأرواح ، تأخذ من القلوبِ بمجامعها ، وتقعُ من النفوسِ أحسنَ مواقعها ، وجلَّها في شكوى الزمانِ وأهله ، وهجاءِ شعراء عصره . ويشبه شعرُهُ في الملاحه وقلةِ مجاوزة البيتين والثلاثة شعرَ ابنِ فارس . وأقْدَرُ أنه بالجبال كهو بالعراق . وكان يقال : إذا رمى منصورُ الفقيه برجمِهِ قتل ، وكذلك ابن لنكك إذا قال البيتَ والبيتين أغربَ بما جلب وأبدعَ بما يصنع ، فأما إذا قصَّدَ فقلَّما ينجح ويفلح .

٣ البيتة ٢ : ٣٤٦

٤ البيتة ٢ : ٣٤٨

١ البيتة : أثرت .

٢ ورد في الذخيرة ، القسم الثاني : ١٣٣

وفي فصل ١ :

ابن نباتة : من فحول الشعراء في عصره وأحاديهم ، وصدور مجيديهم وأفرادهم ، الذين أخذوا برقاب القوافي وخوارق المعاني . وشعره مع قُرب لطفه بعيد المرام مستمر النظام، يشتمل من حرّ الكلام على غرر كقطع الروض غب القطر ، وفقر كالغنى بعد الفقر ، وبدائع أحسن من مطالع الأنوار ، وعهد الشباب ، في أرق من نسيم الاسحار وشكوى الأحباب .

وفي فصل ٢ :

السلامي : من أشعر أهل العراق قولاً بالاطلاق ، وشهادةً بالاستحقاق ، وعلى ما أجريت من ذكره ، شاهد عدل من شعره ، الذي كتبت من محاسنه نزهة العيون ورقى القلوب وسرّ النفوس . ولم يزل بحضرة صاحب بين خير مستفيض ، وجاه عريض ، ونعم بيض ، إلى أن أثر قصّد حضرة عضد الدولة بشيراز ، فجهّزه صاحب إليه وزوده كتاباً بخطه إلى أبي القاسم عبد العزيز بن يوسف قال فيه : « باعة الشعر أكثر من عدد الشعر ، ومن يوثق أن حليته التي يؤديها من نسج فكره أقل من ذلك ؛ ومن خبرته بالامتحان فأحمدته ، وفرّزته بالإحسان واختبرته ، أبو الحسن السلامي . وله بديهة قوية ، تُوفي على الروية ، ومذهب / [١٦٦] في الاجادة يهشّ السمع لوعيه ، كما يرتاح الطرف لرعيه ، وقد امتطى أمله - وخير له - الى الحضرة الجليلة رجاء أن يحصل في سواد أمثاله ، ويظهر معه بياض حاله ، فجهزت منه أمير الشعر في موكبه^٥ ، وحليت فرس^٦ البلاغة

١ البيتة ٢ : ٣٨٠

٢ البيتة : وملكوا رق .

٣ البيتة ٢ : ٣٩٦ ، ٤٠١

٤ في الأصل : واختبرته .

٥ في الأصل : مركبه .

٦ في الأصل : فارس

بمركبه ، وكتابي هذا رائدُهُ هذا إلى القطر ، بل مَشَرَّعُهُ إلى البحر » .

فاشتمل عليه جناحُ القبول ، ودُفِعَ إليه مفتاحُ المأمول ، واختصَّ بخدمة
عضد الدولة في مقامه وظعنه إلى العراق ، وتوفَّرَ حظُّه من صلاته وخلعه ، واللها تفتح
اللهي . وكان عضد الدولة يقول : « اذا رأيتُ السلاميَّ في مجلسٍ ظننتُ أنَّ عطارِدَ
قد نزل من الفلك إلى ، ووقف بين يدي » .

وفي فصل^١ :

ابن سكرة الهاشمي : شاعرٌ متَّسِعُ الباع ، في أنواعِ الإبداع ، فائقٌ في قولِ
الطرف والملمح ، وأحدُ^٢ الفحول والأفراد ، جارٍ في ميدان المجون والسخف ما أراد .

وفي فصل^٣ :

ابن الحجاج : وإن كان في أكثر شعره لم يستتر من العقل سَجَفٌ ، ولا بنى
جلُّ قوله إلا على سخف ، فانه من سَحَرَةِ الشعر ، وعجائبِ العصر ، وفردُ زمانه في
فَنِّه الذي شَهَرَ به ، لم يُسَبِّقْ إلى طريقته ، ولا لحُقْ شأوه في نمطه ، ولم يُرْ كاقْتداره
على ما يريده من المعاني التي تقع في طرزه ، مع سلاسة الألفاظ وعذوبتها وانتظامها
في سلكِ الملاحه ، وإن كانت مفصَّحةً عن السخافة ، مشوبةً بلغاتِ المكذِّينِ واهلِ
السطارة ، ولولا أن جِدَّ الأدب وهزله جَدُّ لصنَّتْ كتابي عن كثيرٍ من كلام من يمدِّ يدَ
المجون فيعركُ بها أذنَ الحزم ، ويفتح جرابَ السخف فيصفعُ به ففا العقل .

وفي فصل^٤ :

القاضي ابن معروف : شجرةُ فضلٍ عودُها أدبٌ وأغصانها علمٌ وشعرتها عقلٌ
وعروقها شرف ، تسقيها سماءُ الحرية ، وتغذيها أرضُ المروءة .

١ البيتة ٣ : ٣

٢ في الأصل : وصدور .

٣ البيتة ٣ : ٣١ .

٤ البيتة ٣ : ١١٢

وفي فصل ١ :

أبو الفرج الاصبهاني الأصل ، البغدادي المنشأ : كان من أعيان أدبائها
وأفراد مصنفها ، وله شعر يجمع إتقان العلماء وإحسان الظرفاء الشعراء .

وفي فصل ٢ :

الشریف أبو الحسن الموسوي : [يتحلّى مع محتده الشريف] ومفخره المنيف
بأدب ظاهر ، وفضل باهر ، وحظ من جميع المحاسن وافر ، ثم هو أشعر الطالبين مَنْ
مضى منهم ومن غير ، ولو قلت إنه أشعر قريش لم أبعد عن الصدق ، وقد شهد بما
أجريت من ذكره ، شاهد عدل من شعره العالي القَدَح ، الممتنع عن القَدَح ، يجمع
إلى السلاسة متانة ، وإلى السهولة رصانة ، ويشتمل على معانٍ يقرّب جناها ، ويبعد
مداها .

وفي فصل ٣ :

الصاحب بن عباد : ليس تحضرني عبارة أرضاها للإفصاح عن علو محلّه في
العلم والأدب ، وجلالة شأنه في الجود والكرم ، وتفردّه بغايات المحاسن والشميم ،
وجمعه أشتات المفاخر ، لأن قولي ينخفض عن أدنى فضائله ومعاليه ، وجهد وصفي
يقصر عن أيسر فواضله ومساغيه ، ولكنني أقول : كانت همته في مجدٍ يشيده ،
وإنعام يُجَدِّده ، وفاضلٍ يصطنعه ، وكلامٍ حَسَنٍ يسمعه أو يصنعه ، ولما كان نادرة
عطارد في البلاغة ، وواسطة عقد الدهر في السباحة ، جُلِبُ إليه من الآفاق وأقاصي
البلاد كلُّ خطاب جزل ، وقولٍ فصل ، وصارت حضرته مشرعاً لروائع الكلام ،
وبدائع الأفهام ، ومجلسه مجمعاً لصوب العقول وذوب العلوم ونثار الخواطر ودرر
القرائح ، فبلغ من البلاغة ما يُعدُّ في السحر ويكاد يدخل في حدّ الإعجاز ، وسار

١ البيمة ٣ : ١١٤

٢ البيمة ٣ : ١٣٦

٣ البيمة ٣ : ١٩٢

٤ في الأصل : العقول .

كلامه مسير الشمس ، [واحتفأ] به من نجوم الأرض وأفراد العصر وأبناء الفضل
وفرسان الشعر ما يُربي عددهم على شعراء الرشيد ولا يقصرون عنهم في الأخذ
برقاب المعاني وملك رقّ القوافي ، فانه لم يجتمع بباب أحد من الخلفاء ما اجتمع
بباب الرشيد من فحولة الشعراء .

وفي فصل^١ :

أبو دلف الخزرجي : شاعر كثير الملح والطُرف ، مشحوذ المدية في الكدية ،
خنق التسعين في الاضطراب والاغتراب ، وركوب الأسفار الصعاب ، وضرب صفحة
المحراب^٢ بالجراب ، وخدمة العلوم والآداب .

وفي فصل^٣ :

القاضي الجرجاني : فرد الزمان ونادرة الفلك ، وإنسان حدقة العلم ، وقبة
تاج الأدب ، وفارس عسكر الشعر ، يجمع خط ابن مقله إلى نشر الجاحظ ونظم
البحري ، وينظم عقد الاتقان والاحسان في كل ما يتعاطاه .

وهذه أيضاً جملة من شعره

زاره الأمير أبو الفضل الميكالي فكتب إليه^٥ :

لا زال مجدك للسالك رسيلا	وعلو جدك بالخلود كفيلا
يا غرة الزمن البهيم إذا غدا	هذا الوري لزمانه تحجيلا/ [١٦٧]
يا زائراً مدت سحائب طوله	ظلاً علي من الجمال ظليلا
وأنت بصوب جواهر من لفظه	حتى انتظمن لفرقي إكليلا

١ البيتة ٣ : ٢٥٦

٢ في الأصل : الحراب .

٣ البيتة ٤ : ٣

٤ البيتة : ودرة . ٥ زهر الآداب : ٣١٢

٦ زهر : أهل العلا .

بأبني وغير أبي هلال نورهُ
نقشتُ حوافرُ طُرْفِهِ في عَرَصَتِي
ولو استطعتُ فرشتُ مسقطَ خطوه
ونشرتُ روحي بعدما ملكتُ يدي
يستعملُ التسييحَ والتهليلا
نقشاً محوتُ رسومهُ تقبيلاً
يجفون عيناً لا ترى التكهيلاً
وخررتُ بين يدي هواهُ قتيلاً

وقال فيه ٢ :

لكَ في المفاخر معجزاتُ جمّة
بحران : بحرٌ في البلاغة شابهُ
كالنور أو كالسحر أو كالبدر أو
شكراً فكم من فقرة لك كالغنى
وإذا تفتّق نُورُ شعرك ناضراً
أرجلتَ فرسانَ الكلام ورضتَ أفـراسَ
ونقشتَ في فصّ الزمانِ بدائعاً
أبدأً لغيرك في الوري لم تُجمع
شعرُ الوليد وحسنُ لفظِ الأصمعي
كالوشي في بُردٍ عليه موشع
وإني الكريمَ بُعيدَ فقرٍ مدقع
فالحسنُ بين مرصّع ومرصّع
راسَ البديع وأنتَ أجدُّ مبدع
تُزري بآثارِ الربيع الممرع

وله إليه جواباً عن كتاب ورد عليه ٣ :

أنسيمُ الرياضِ حولَ الغدير مازجتهُ ربّنا الحبيب الأثير
أم وروُدُ البشير بالنجح من فـلـك أسير أم يُسر أمرُ عسير
في ملاء من الشبابِ جديدٍ تحتَ أيكٍ من التصابي نضير
أم كتابُ الأمير سيدنا الفر د فيا حبذا كتابُ الأمير
ونهارُ السرورِ ما أجتنيه في سطورٍ فيها شفاءُ الصدور
نمقتها أناملُ تفتّق الأنـوار والزهر في رياض السطور

١ زهر : بعيون عين .

٢ زهر الآداب : ١٢٧ واليتيمة ٤ : ٢٥٥

٣ زهر الآداب : ١٢٨ .

كالمنى قد جُعِنَ في التَّعَمِّ الغُـمِّ مع الأَمْنِ من صروف الدهور
يا أبا الفضل يا ابنه يا أخاهُ جُلَّ باريك من لطيف خبير
شيم يرتضعن دَرَّ المعالي ويعبَرْنَ عن نعيم العبير
وسجايا كأنهن لدى البشـرِ رضابُ الحيا بأُري مشور
ومحيّا لدى الملوك محيّا صادق البشر مخجل للبدور

فأجابه الأمير أبو الفضل بأبيات منها^١ :

وهدي زُفْتُ إلى السمع بكرٍ	تتهادى في حِلْيَةٍ وشذورٍ
عجب الناسُ إذ بدت من سوادٍ	في بياضٍ كالمسك في الكافور
نُظِمَتْ من بلاغةٍ ومعانٍ	مثلَ نظم العقود فوق النحور
كم تذكرتُ عهدَهَا ^٢ من عهدٍ	للتلاقي في ظلِّ عيشٍ نضير
فدُمْتُ الزمانَ إذ ضُنَّ عَنَّا	باجتماعٍ يضم شملَ السرور
ولئن راعنا الزمانُ [يبين]	ألبسَ الأُنْسَ ذَلَّةَ المهجور
فعسى الله أن يعيدَ اجتماعاً	في أمانٍ من حادثاتِ الدهور
إنه قادرٌ على ردِّ ما فا	ت وتيسيرِ كلِّ أمرٍ عسير

١ زهر الآداب : ١٣٨

٢ زهر : عندها .

فصل في ذكر الشيخ أبي اسحاق ابراهيم بن علي بن تميم المعروف بالحصري^١

واجتلاب جملة من كلامه

كان أبو اسحاق هذا صدرَ النديّ ، ونكتةَ الخيرِ الجليّ ، وديوانَ اللسان العربي ، راضَ صعباً ، وسلكَ أوديتهَ وشعابه ، وجمعَ أشناته ، وأحيا موائه ، حتى صار لأهله إماماً ، وعلى جدّه وهزله زماماً ، وطنتَ به الأقطار ، وشُدَّتْ إليه الأقتابُ والأكوار ، وأُنْفِقَتْ فيما لديه الأموالُ والأعمار ، وهو يقذفُ البلادَ بدررٍ صدفها الأفكار ، وسلوكِ ناظمها الليلُ والنهار ، عارضَ أبا بحرٍ الجاحظ بكتابه الذي وسمه بـ « زهر الآداب ، وثمر الألباب » ، فلعمري ما قَصُرَ مداه ، ولا قَصُرَتْ خطاه ، ولولا أنه شَغَلَ أكثرَ أجزائه وأنحائه ، ومرجَ يحبو حمى أرضه وسمائه ، بكلام أهلِ العصرِ دونَ كلامِ العرب ، لكان كتابُ الأدب ، لا ينازعه ذلك إلا من ضاق عنه الأمد ، وأعمى بصيرته الحسد . ثم أخذ^٢ بعد ذلك في إنشاءِ التواليف الرائقة ، والتصانيف الفائقة ككتاب « النور والنور »^٣ وكتاب « المصون من الدواوين »^٤ ، الى عدّة رسائل وأشعار ، أندى من نسيم الاسحار ، وأذكى من

١ ترجمة الحصري أبي اسحاق في معجم الادباء ٢ : ٩٤ - ٩٧ وابن خلكان ١ : ٥٤ والوافي للصفدي ٦ : ٦١ ومسالك الأبصار ١١ : ٣٠٩ وعنوان الأريب ١ : ٤٣ ؛ وقد اختلف في وفاته فقال ابن رشيقي كما نقل عنه ياقوت توفي سنة ٤١٣ وقال ابن بسام سنة ٤٥٣ ورجح ابن خلكان القول الأول دون ان يذكر سبباً لذلك ، ولعله اعتمد على ان ابن رشيقي أدرى بذلك من غيره؛ ونقل الصفدي عن كتاب الجنان لابن الزبير أن الحصري ألف زهر الآداب سنة ٤٥٠ .

٢ في المسالك : ثم غير ؛ ص : ثم أجد .

٣ يسميه الصفدي : نور الظرف ونور الطرف ، ويقول إنه اختصر فيه كتابه زهر الآداب ، وينقل التجاني في تحفة العروس : ١١٥ عما يسميه كتاب النورين للحصري وكذلك يسميه ياقوت ، ومرة اخرى ينقل التجاني عن نور الطرف : ١٢٨ ؛ وانظر عيون التواريخ (الفاتح رقم : ٤٤٤١) ٧ : ٥٧ ؛

٤ يسميه الصفدي : المصون في سرّ الهوى المكنون ، وعند ياقوت ، المصون والدّر المكنون ؛ ومن هذا الكتاب نسخة بخزانة شيخ الاسلام بالمدينة المنورة ، ذكرها الدكتور محمد بن سعد الرويشد في مقارنة أجزائها بين طوق الحيامة والمصون (مجلة الفيصل ، السنة الأولى ، عدد ١٠ ص ١٦ - ٢١) وانظر بروكلمان ١ : ٢٦٧ .

شميم الأزهار؛ وقد أخرجت من كلامه ما لا ينكر فضله ، ولا يُنْشَى مثله إلا مثله ، وكانت وفاته - فيما بلغني - سنة ثلاث وخمسين وأربعمائة .

فصول من كلامه اندرجت في تواليه ، من نثره ونظامه

فصل ١ :

ولبني على أهل البيت كلامٌ يعرضُ في حلّ البيان ، ويُنْقَشُ في فصّ الزمان ، ويَحْفَظُ على وجه الدهر ، ويفضّحُ عقائلَ الدرّ ، ويكتحلُّ بنور الشمس . ولم لا يطؤون ذبولَ البلاغة ، ويحزّون فضولَ البراعة ، وأبوهم الرسول ، وأمُّهم البتول ، وكلهم [١٦٨] قد غُدِّيَ بِدَرِّ الحلم ، وربّي في حِجْرِ العلم .

ما منهم إلا مُردّي بالحجى أو مُبشّر بالأحذية مؤدّم

وفي فصل ٢ :

البدیع : اسمٌ وافقَ مسأه ، ولفظٌ طابقَ معناه ، وكلامُهُ غَضُّ المكاسر ، أنيقُ الجواهر ، يكادُ الهواءُ يسرقُهُ لطفاً ، والهوى يعشقه ظرفاً . ولما رأى ابن دريد قد أغربَ بأربعين حديثاً وذكر أنه استنبطها من ينابيع صدره ، وانتخبها من معادن فكره ، وأبداها للأبصار والبصائر ، وأهداها للأفكار والضائر ، في معارض حوشية ، وألفاظٍ عنجهية ، فجاء أكثر ما أظهر تنبؤ عن قبوله الطباع ، ولا ترتفع له حجبُ الأسعاع ، وتوسّع فيها ، إذ صرّف ألفاظها ومعانيها ، في وجوه مختلفة ، وضروب متصرّفة ، عارضه بأربعمائة مقامةٍ في الكدية تدوبُ ظرفاً وتقطر حسناً ، لا مناسبة بين واحدةٍ منها لفظاً ولا معنى ، عطف مساجلتها ، ووصف مناقلتها ، بين رجلين يسمّى أحدهما عيسى بن هشام والآخر أبو الفتح الاسكندري ، وجعلها يتهاديان الدرّ .

١ زهر الآداب : ٥٦ والمسالک : ١٣٠

٢ زهر الآداب : ٢٦١ .

ويتنافان السحر، في معانٍ تُضجِكُ الحزين ، وتحركُ الرصين يطالعُ منها كل طريقة،
ويوقفُ منها على كل لطيفة ، وربما أفرد أحدهما بالحكاية ، وخصَّ بعضهما بالرواية .

وفي فصل^١ :

هذا كتابُ اخترتُ [فيه] قطعةً كافيةً من البلاغة في الشعر والخبر، والفصول
[والفقر]، مما حسن لفظه ومعناه ، واستدلَّ بفحواه على مغزاه ، ولم يكن شاردًا
حوشياً ، ولا ساقطاً سوقياً ، بل كان جميعُ ما فيه من ألفاظه ومعانيه :

في نظامٍ من البلاغة ما شـكَّ امرؤ أنه نظامُ فريدٍ^٢
حُزنٌ مستعملُ الكلام اختياراً وتجنبين ظلمة التعقيد
وركنُ اللفظ القريب فـأدركـن به غاية المراد البعيد

كتابٌ يتصرَّفُ فيه الناظرُ من نثره الى شعره ، ومطبوعه الى مصنوعه ، ومحاورته
الى مفاخرته ، ومناقشته الى مساجلته ، وخطابه المبهت ، الى جوابه المسكت ،
وتشبيهاته المصيبة ، الى اختراعاته الغريبة ، وأوصافه الباهرة ، الى أمثاله السائرة ،
وجذَّه المعجب ، الى هزله المطرب ، وجزله الرائع ، الى رقيقه البارع . وقد نزعتُ فيما
جمعتُ عن ترتيب التبويب ، وعن إبعاد الشكل عن شكله ، وإفراد الشيء من
مثله ، فجعلتُ بعضه مسلسلاً ، وتركتُ بعضه مرسلاً ، ليحصلَ محرَّرَ النقد ، مقدَّرَ
السردِّ ، قد أخذ بطرفي التأليف ، واشتمل على حاشيتي التصنيف . [وقد يعرُّ]
المعنى فألحقُ الشكلَ بناظره ، وأغلقُ الأولَ بآخره ، وتبقى منه بقيةٌ أفرقها في
سائره ، ليسلمَ من التطويل المملِّ ، والتقصير المخلِّ ، وتظهرَ في الجميع فائدةُ
الاجتماع ، وفي التفريق لذادةُ الإمتاع ، فيكملُ منه ما يوقنُ القلوبَ والأسماع ، إذ

١ زهر الآداب :

٢ الأبيات للبحترى في ديوانه : ٦٣٦ - ٦٣٧

كان الخروج من جدٍ إلى هزل ، ومن حَزْنٍ إلى سَهْلٍ ، أنفى للكلل ، وأبعد من الملل ؛ وقد قال أبو العتاهية^١ :

لا يضلحُ النفسَ إذ كانت مصْرِفَةً إلا التنقلُ من حالٍ إلى حالٍ
وفي فصل^٢ :

ومعلومٌ أنه ما انجذبت نفسٌ ، ولا اجتمع حسٌ ، ولا مال سرٌّ ، ولا جال فكر ، في أفضل من معنى لطيف ، ظهر في لفظٍ شريف ، فكساه من حُسْنِ الموقع قبولاً لا يُدْفَع ، وأبرزه يخالُ من صفاء السبكِ ونقاءِ السلكِ وصحةِ الديباجة وكثرةِ المائية في أجمل حُلَّة ، وأجل حلية .

والمعنى إذا استدعى القلوبَ إلى حفظه ، بما ظهر في مستحسنِ لفظه ، من بارع عبارة ، وناصع استعارة ، وعذوبة مؤرد ، وسهولة مقصِد ، وحسن تفصيل ، وإصابة تمثيل ، وتطابقٍ أنحاء وتجانسٍ أجزاء ، وتمكّن ترتيب ، ولطافة تهذيب ، مع صحة طبع وجودة إيضاح ، يثقفه تثقيف القداح ، ويصوره أفضل تصوير ، ويقدره أكمل تقدير ، [فهو مشرق في جوانب السمع] .

وان كنت^٣ قد استدركتُ على كثيرٍ ممن سبقني إلى مثلٍ ما أُجريتُ إليه ، واقتصرتُ في هذا الكتاب عليه ، لمح أوردتها كنوافٍ السحر ، وفقرَ نظماتها كالغنى بعد الفقر ، من ألفاظِ أهلِ العصر ، في محلول النثر ، ومعقود الشعر ؛ ولهم من لطائف الابتداع ، وتوليداتِ الاختراع ، أبكارٌ لم تفتزعها الأسماع ، يصبو إليها القلبُ والطرف ، ويقطرُ منها ماء الملاحاة والظرف ، وتمتزج بأجزاء النفس ، وتسترجعُ نافرَ الأنسِ ، تخللت تضاعيفه ، ووشحت تآليف ، وطرزَت ديباجه ، ورصعت تاجه ،

١ ديوان أبي العتاهية : ٣٢١

٢ زهر الآداب : ٣

٣ زهر الآداب : ٤

٤ في الأصل : ديباجاته .

ونظمت عقوده ، ورقمت بروده ، فنورها يرف ، ونورها يشف ، في روض من الكلم
مونق ، ورونق من الحكم مشرق .
وفي فصل^١ :

إلى هذا المكان أمسكت العنان . والإطناب في هذا الكتاب يعظم ويتسع ، بل
يتصل ولا ينقطع ، إذ كان غرضي فيه ، أن أُلِمَّع من معانيه ، ثم أنجر معه حيث
انجر ، وأمر فيه كيف/[١٦٩] مر ، وأخذ في معنى آخر غير موصول بشكله ، ولا
مقرون بمثله ، وقد أحل نظاماً وأفرد تواماً ، نشرأ لبساط الانبساط ، ورغبة في
استدعاء النشاط .

وهذا التصنيف لا تدرك غايته ، ولا تُبلِّغ نهايته ، إذ المعاني غير محصورة بعدد ،
ولا مقصورة إلى أمد ، وقد أبرزت في الصدر ، صحيفة العذر ، يحولُ فرندها ، ويشقُّ
رندُها ، ومن ركب مطية الاعتذار ، واجتنب خطية الإصرار ، فقد خرج من تبعه
التقصير ، وبرز من عهد المعاذير ، وإن أحق ما احتكم إليه ، واقتصر عليه ،
الاعترافُ بفضل الانصاف ، فليعلم من ينصف أن الاختبار ليس يُعلم ضرورة ،
ولا يوقف له على صورة ، فليكثر الإغماض ، وليقل الاعتراض ، ولو وقع الإجماع
على ما يرضي ويسخط ، ويثبت ويسقط ، لارتفع حجاج المختلفين في أمر الدنيا
والدين .
وفي فصل :

هو كليلُ الخاطر ، سقيمُ النفس ، صدى القريحة ، عديمُ الحس ، ذو طبعٍ
جاسٍ ، وفهم قاسٍ ، ولله درابن الرومي في قوله^٢ :

خفافيشُ أعشائها نهارُ بضوئِهِ ولأَمَها قِطْعُ من الليلِ غيبُ

١ زهر الآداب : ١٠٩١

٢ ديوان ابن الرومي : ١٥٧

بهائم لا تصغي إلى شدي معبدٍ فأما على جافي الحداء فتطرب
قد تعود لي الألسن بالسباب ، وعَمَزَ الأعين على الأصحاب ، واستعمل
الملق والكذاب ، فهو بين جاهل متغافل ، قد حُتِي قلبه ريناً ، وملىء لسانه ميناً ،
وبين من سائم غائمه تلذع ، وعقارب مكايده تلسع ، وبين مُعْجَبٍ متصلف ، باردٍ
متكلف ، لا يرى سيويه كان على شيء ، كما لا يرى الكسائي قبله :

وإذا ما تذاكرَ الناسُ معنىً من شهير الأشعار والمجهول
قال هذا لنا ونحنُ كَشَفْنَا عنه للمستدل والمُسئول^٢
فهو كما قال الخوارزمي : قد أسكرته خمر الكبر ، واستهوته غرة التيه ،
فخيل إليه أن كسرى حامل غاشيته ، وقارون وكيل نفقته ، وبلقيس إحدى
داياته ، وأن الشمس تطلع من جبينه ، والغمام يندى من عينه ، فهو يرى ببصر
جهله لا ببصيرة عقله ، وأن امرأ القيس ما بكى بالديار وعرصاتها ، ولا اغتدى
والطير في وكناتها ، ولا أحسن تقصيد القصائد ، وتقييد الأوابد ، وأن زياداً^٣ لم
توقد باليفاع ناره ، ولا أعتب النعمان اعتذاره ، وأن شعره لم يرق حتى يقال : الماء
أو أسلس ، ويجزل حتى يقال : الصخر أو أملس ، وأن زهيراً كان متعاطل الكلام ،
متداخل الأقسام ، غير مطبق للمفاصل ، ولا مُصِيبٍ للشواكل ، وأما طبقات
المخضرمين من الاسلاميين فلا يضربون إليه بِقَدَح ، ولا يفوزون عنده بِنُجَح .
فلو أتيناهُ بِمستطرفٍ من مُبدعاتِ الهزلِ والجِدِ
أرقٍّ من دمعٍ مهجورٍ مرهأءٍ ترميها يدُ البعدِ
لو قرعَتْ سمعَ يزيدٍ سلا بحسن ما يسمع عن هندٍ

١ ص : سير .

٢ ص : عيبه المسئول والمسئول .

٣ يعني النابغة الذبياني .

٤ ص : من ند .

أَعْرَضَ عَنْهَا ثَانِيًا عِطْفُهُ وَلَمْ يُعْرِهَا عِطْفَةَ الْوَدِّ
هَذَا وَقَدْ لَاحَ بِوَجْهِ الْحَجِيِّ مِنْهَا ضِيَاءُ الْقَمَرِ الْفَرْدِ
وَأَقْبَلْتُ تَحْتَالُ فِي حُلَّةٍ مَرَّتْ عَلَيْهَا طُرُزُ الْحَمْدِ
وَمَا يَضُرُّ الشَّمْسُ أَنْ أَصْبَحَتْ تُعْرِضُ عَنْهَا أَعْيُنُ الرَّمْدِ

وَمَنْ يَكُ ذَا فَمٍ مَرٌّ مَرِيضٍ يَجِدُ مُرًّا بِهِ الْمَاءُ الزَّلَالَا
وَفِي فَصْلٍ :

قَدْ تَقَارَبَتِ الصِّفَاتُ ، وَتَوَازَنَتِ الذَّوَاتُ ، وَتَكَاشَفْنَا لَمَّا تَعَارَفْنَا ، وَرَفَعَتِ الْخُلُودُ
حِجَابَ الْإِحْتِجَابِ ، وَحَطَّتِ الْخُلُطَةُ لَثَامَ الْإِكْتِمَامِ ، وَكُنَّا مَعَ طَوْلِ الْإِمْتِحَانِ
وَالْإِخْتِبَارِ ، وَمَدَقِ الْإِلْتِبَاسِ وَالْإِحْتِيَارِ ، نَقْنَعُ مِنْ ارْتِفَاعِ الْقِنَاعِ بِلَمْحَةٍ ، وَمِنْ اتِّقَادِ
الزَّيَادِ بِقَدْحَةٍ ، وَتُبْرِزُ الْعِبَارَاتُ ، مِنْ مَعَارِضِ الْإِشَارَاتِ ، وَغَوَامِضِ الْإِسْتِعَارَاتِ ،
فِي طَرَايِزِ الْأَرْمَازِ يَدْقُ عَنْ مَسْرِى السَّخْرِ ، وَيَرِقُّ عَنْ مَجْرَى الْخَمْرِ :

فِي تَعَايِيرِنَا « اللِّطَافُ اللَّوَاتِي هِيَ أَخْفَى مِنْ مُسْتَسْرِ الْهَبَاءِ »^١
« بَلْ مِنَ السَّرِّ فِي ضَمِيرٍ مُحِبٍّ أَدَّبَتْهُ عَقُوبَةُ الْإِفْشَاءِ »

وَنُخْتَلِسُ حُرُكَاتِ الْبَيَانِ ، فِي سَكَنَاتِ الزَّمَانِ ، كَمَا اخْتَلَسَ اللَّفْظُ الْمَحَبُّ
الْكُتُومَ . فَهَلُمَّ الْآنَ إِلَى التَّصْرِيحِ دُونَ التَّعْرِيزِ ، وَالتَّصْحِيحِ دُونَ التَّمْرِيزِ ،
وَتَعَالَ تَتَلَاظِفُ وَتَتَكَاشِفُ ، إِذْ قَدْ لَبَسْنَا ثَوْبَ الْأَمَانِ مِنَ الزَّمَانِ .

وَفِي فَصْلٍ ٣ :

١ ص : الضياع .

٢ استعار البيتين من ابن الرومي ، ديوانه : ٦٧

٣ الابيات في الشريشي ٥ : ٢٢٧

إذا بدا القلمُ الأعلى براحيته مطرَزا لرداءِ الفخرِ بالظلمِ
 رأيتَ ما اسودَّ في الأبصارِ أبيضَ في بصائرِ لحظها للفهمِ غيرُ عم
 كروضةٍ خطرتُ في وشي زهرتها وافترَّ نوارها عن ثغرِ مبتسم
 وتبرَّجتُ في حللها وحليتها ، وابتهجت بوسميتها/ [١٧٠] ووليها ، وكاد الهواءُ
 يسرقه لطفها ، والهوى يعتنقه ظرفا ، فاجتنيت ما اشتهيتُ من خزامها وعراها ،
 واجتليتُ ما رأيتُ من خيرها وبهاها ، ولثمتُ خدودَ وردها وسوسانها ، ورشفتُ
 ثغورَ أقاحها وحودانها ، والتقطتُ ما لا تُخلقُ الأيامُ بهجتهُ ، ولا تغيرُ الأعوامُ جدتهُ ،
 من نورٍ يُقطفُ بالأسماعِ والأبصارِ ، وزهرٍ يُتناولُ بالخواطرِ والأفكارِ ، وسرحتُ
 الطرفَ في ما يفوتُ الوصفَ ، من غرائبِ إبداع ، وعجائبِ اختراع ، لم تفتقرها
 الأسماعُ .

وفي فصل ١ :

أسهمني من واضح الفجر غرة الصباح ، وقسم لي من طائر الذكر قادمة
 الجناح ، وألبسني من التنويه ، ما لا يُعزى الى تمويه ، فأصبحتُ أجيلُ الجوزاءَ
 على يدِ قُصور ، والثناءَ على لسانِ قصير ، ولئن كبتُ جيادي ، عن مضمار مُرادي ،
 وعجزَ لساني ، عما حواه جناني ، فتمثلت بقول الزعفراني ٢ :
 لي لسانُ كائه لي معادي ليس يُنبِي عن كُنْهِ ما في فؤادي
 حكم الله لي عليه فلو أنصفَ قلبي عرفتُ قدرَ ودادي
 وقد علمتُ أنَّ شمسَ الخواطرِ ، إذا جرتُ في فلك الضائِر ، اتصل النورُ
 المبين ، وانفصل الشكُّ من اليقين .

وفي فصل :

١ ورد بعضها في المسالك : ٣١٠

٢ هو أبو القاسم الزعفراني ، وبيتاه في زهر الآداب : ٣٢٤ والأول في المسالك : ٣١٠

فتقنا نوافج الآراب ، عن مسك الآداب ، ونشرنا طرائف المطارف ، عن لطائف الزخارف ، وتسألنا من أثواب المذاكرة ، وتجاذبنا أهداب المحاضرة ، من سانح فكر ، وغرائب فقر ، ألد من سم بلا سهر ، إلى أن أفضينا إلى ذكر البيت المظلوم واجب حقوقه ، المسلوك به غير طريقه ، على أنه ورد من صفاء السلك ، وصحة الديباجة وكثرة المائنة في أجمل حلة ، وأجل حلية ، فكان كما قلت :

ومذهب الوشي على وجهه ديباجة ليست على الشعر
كزهرة الدنيا وقد أقبلت ترود في رونقها النضر
أو كالنسيم الغض غب الحيا يختال في أودية الفجر
هذا وهو بمحاورة الطبع للسمع ، ومباراة خاطر للنظر ، من غير إعمال الفكر ولا تدقيق النظر ، لكن بديهتك إذا أهداها قلبك إلى قلمك ، وأداها لسائك عن فهمك ، وأبدت بادرة ما أهديت إلى من عهدك به وهو محرر للنقد ، مقدّر على السرد ، أعرض عنه صفحا ، وطوى دونه كشحا ، حتى طال بلا طائل لديه ، ولا طلاوة عليه :

فقلت والقلب موقوف على حرق
أي القرائح يعفو لمع بارقها في عارض من ظلام الليل مرتكم
بحيث لا نحن من إقبال ذي أدب نحظى بنجح ولا إفضال ذي كرم
إذا كان من إليه تتحائم الخصوم في كل العلوم ، فتقف منه الأبواب على فصل الخطاب ، وفص الصواب ، ووجه الجواب ، يلحظ ما يجري لأبناء عصره ، وأنشاء دهره ، من سر البديع ، الزاهي على زهر الربيع ، والزاري بالوشي الصنيع ، بطرف أسقم من أجفان الغضبان ، ويعيره وجهاً هو لفرط التقطيب ، كوامق فاجأه شخص الرقيب ، أو غزل طالعه وفد المشيب ، فأى لب يصفو مزاجه ، وأي قلب يضيء سراجُه !

وهذه أيضاً جملة من شعره

حكى أبو علي بن رشيقي في كتابه المترجم : « الأتمودج » قال : كان أبو إسحاق الحصري قد نشأ على الوراق والنسخ لجودة خطه ، وكان منزله لزيق جامع مدينة القيروان ، فكان الجامع بيتة وخزانة ، وفيه اجتاع الناس إليه ومعه ؛ ونظر في النحو والعروض ، ولزمه شبان القيروان ، وأخذ في تأليف الأخبار ، وصنعة الأشعار ، مما يقرب في قلوبهم ، فرأس عندهم ، وشرف لديهم ، ووصلت تأليفاته صقلية وغيرها ، وانتالت الصلات عليه ، وله شعر كثير . ومن شعره مما أنشده ابن رشيقي^١ :

إنني أحبك حباً ليس يبلغه فهمي ولا ينتهي وصفي الى صفته
أقصى نهاية علمي فيه معرفتي بالعجز مني عن إدراك معرفته

وأنشد له :

ولقد تسمت الرياح لعلني فائرن من حرق الصبابة كامناً
وأدغن من سر الهوى مكتوما وكذا الرياح إذا مررن على لظى
أرتاح أن يعيش منك نسيا نار خبت ضمرنها تضريما

وله^٢ :

عليل طرف سقيت خمرا من مقلتيه فمت سكرا
ترقرقت وجنتاه ماء مازج فيه العقيق درا/ [١٧١]
يحرك الدل منه غصناً ويطلع الحسن فيه بدرا
[قد خط مسك بعارضيه خلقت للعاشقين عذرا]

١ البيتان في باقوت ٢ : ٩٦ وابن خلكان ١ : ٥٤ - ٥٥ والواقي ٦ : ٦١

٢ البيت الأول في المسالك : ٣١١ وما بين معقنين زيادة عنه أيضاً ؛ والابيات جميعاً في الشريشي ٥ : ٢٢٧

وقال ، مما لم ينشده ابن رشيق^١ :

تلاحظني صروف الدهر شزرا وفي عيني دموع ليس ترقا
أقلب في الدجى طرفاً قليلاً ولو نُشِرَ الذي أطوى عليه
أصمّ مسامع الدنيا عويلاً فيا مَنْ غاب عن عَيْني مَشُوق^٢
قرأتُ كتابك الأعلى محلاً فأحيانى وقد غودرتُ ميتاً
نقشتَ بحالكُ الأنقاسِ نوراً فدبّج من بسيط الفكر روضاً
لو استسقى الغليلُ به لرؤى هفا عطرُ الجنوبِ له نسيمُ
نثرتُ لنا على الكافور مسكاً فيا مَنْ تمسكُ الأوصافُ عنه
ومن يدعو القلوبَ إلى مناها ومن يجري اللآلى في أقاح
ويغرسُ في رياضِ الدلّ غصناً كأنَّ بخده ذهباً صقيلاً
أفرط فيك إن أفرطتُ وصفاً

كَأَنَّ عَلِيَّ^١ لِلْأَيَّامِ وَتِرا
وَفِي قَلْبِي صَدُوعٌ لَيْسَ تِبراً
إِذَا جَبُّ الظَّلَامِ عَلَيَّ زُرّاً
عَلَى مَنْ تَحْتَوِيهِ الْأَرْضُ طَرّاً
وَهَزَّ جَوَانِحَ الْأَيَّامِ ذِعْراً
يَرَى لِنَوَاهُ طَعْمَ الْعَشَقِ^٢ مَرّاً
لَدِي وَمَوْعِياً وَيداً^٣ وَقَدِراً
وَأُثَرَنِي وَقَدْ ضُمْنْتُ قَبْراً
[جلا] لَعِيوننا نوراً وَزَهْراً
أَنِيقاً مَشْرِقَ الْجَنَبَاتِ نَضْراً
أَوْ اسْتَشْفَى الْعَلِيلُ بِهِ لِأَبْراً
أَقُولُ إِذَا أَنْاسُمُ مِنْهُ نَشْراً
وَلَمْ تَنْثُرْ عَلَى الْقُرْطَاسِ حَبْراً
أَعْنَةً وَصَفْنَا نَظْماً وَنَثْراً
بِعَيْنِيهِ فَلَا تَأْتِيهِ قَسْراً
يَمَازُجُ ظَلْمُهُ بَرْداً وَخَمْراً
وَيُطْلَعُ فِي سَمَاءِ الْحَسَنِ بَدْراً
أَذَابَ عَلَيْهِ يَاقُوتاً وَدَرّاً
وَأَعْجَزُ عَنْكَ إِنْ أَعْجَزْتُ شِعْراً

١ منها أبيات في الشريشي ٥ : ٢٣٨

٢ كذا في ص ولعل الصواب « العيش » .

٣ الشريشي : شرقاً .

٤ ص : بنورك .

ولي قلبٌ عليك لما يلاقي
ولولا ما يؤملُ من لقاءٍ^١
سأسحبُ فيك أذيالَ الأمانِي
لعلَّ الدهرَ يُتِّعُ منك طرفي
وقال :

إفانِ ضمها الهوى في خلوةٍ
فاذا الرقيبُ مُطالعٌ عن غفلةٍ
فتفرَّقا عن ساكبٍ متحدِّرٍ
وكأنما الوقتُ الذي سَعدا به
ليتَ الذي خلقَ الرقيبَ أصابه
قوله في ما تقدم : « وكذا الرياح إذا مررنَ على لظى » .. البيت ، كقول ابن
الرومي :

لا تغرينَ جوى بلومٍ إنه
كالريح تغري النارَ بالإحراقِ
وقال يحيى بن هذيل القرطبي^٢ :

رَوْحني عاذلي فقلتُ له
أما ترى النارَ وهي خامدةٌ
مَهْ . لا تَزْدَنِي على الذي أجدُ
عند هبوبِ الرياحِ تَتَّقِدُ

وحكى أبو صفوان العتكي بصقيلية قال^٤ : كان أبو اسحاق الحصري يختلف
إلى بعض مشيخة القيروان ، وكان ذلك الشيخ كلفاً بالمعذرين [من] الغلمان ، وهو
القائل فيهم :

١ ص : اليك ، ولعلها « البين »

٢ ص : بقاء .

٣ وردا في القسم الأول من الذخيرة : ٦٢١ منسوين لابن اللهاني .

٤ وردت القصة والأبيات في الشريشي ٣ : ١١٧ وابن خلكان ١ : ٣٩٤ (نقلاً عن الذخيرة)

ومعذرينَ كأنَّ نبتَ خدودهم أقلامُ مسكِ تستمدُّ خُلوقا
قرئوا البنفسجَ بالشقيقِ ونظّموا تحت الزبرجد لؤلؤاً وعقيقا
فهمُ الذينَ إذا الخليُّ رآهمُ وجد الهوى بهمُ إليه طريقا

وكان يختلفُ إليه غلامٌ من أعيانِ أشرافِ القيروان ، وكان به كلفاً ، فبينما هو يوماً والحصري قد أخذ في الحديث إذ أقبل الغلام :

في صورةٍ كَمَلْتُ فخلتُ بأنّها بدرُ السماءِ لستةٍ وثمانِ
يُعشي العيونَ ضياؤها فكأنها شمسُ الضحى تَعشى بها العينانِ

فقال له الشيخ : يا حصري ، ماذا تقول في من هام بهذا القدّ ، وصبا بهذا الحدّ؟ قال له الحصري: الهَيَّانُ به والله غايةُ الظُّرفِ، والصبوةُ إليه من تمام اللطف ، لاسيما إذا شاب كافورا خذه ذلك المسك الفتيت ، وهجم على صبحه ذلك الليلُ البهيم ، والله ما خلتُ سوادهُ في بياضه إلا بياضَ الإيمانِ في سوادِ الكفرِ وغيبَ الظلماءِ في منيرِ الفجر . فقال : صِفْهُ يا حصري ، قال : مَنْ مَلَكَ رِقَّ القولِ حتى أنقادت له صعايبُهُ ، ودُلِّلَ له جموحه حتى سَطَعَ له شهابُهُ ، أقعدُ مني بذلك ، فقال : صفه ، فاني معملٌ فكري في ذلك ، فأطرقا ساعة فقال الحصري^٤ :

أورد قلبي الردى لأم عذار بدا
أسود كالكفر في أبيض مثل الهدى

فقال له الشيخ : أترأك/[١٧٢] اطلعت على [ضميري أو خضت بين جوانحي

وزفيري ؟ قال : لا ؛ ولمَ ذاك ؟] قال : لأنني قلت :

١ الشريشي : شام كافوره . ص : شيب

٢ ص : الكفران .

٣ ص : فاني نعمل ؛ وهي بعامية الاندلس والمغرب .

٤ ابن خلكان ١ : ٥٥ ، ٣٩٤ .

حرَّكَ قلبي فطارَ صولجُ لامِ العذارِ
أسودُ كالليل في أبيضَ مثلِ النهارِ

فصل في ذكر الأديب الكامل أبي علي بن رشيقي المسيلي^١

وسياقة طرف من غرائب أشعاره ، وعجائب أخباره

بلغني أنه ولد بالمسيلة وتادَّبَ بها قليلاً ثم ارتحل الى القيروان سنة ست وأربعمائة. وكان أبو علي ربةً لا يبلغها الماء، وغايةً لا يتأهلها الشدَّ والارخاء^٢، محله من العلم، محلُّ الصواب من الحكم، واقتدارُهُ على النثر والنظم، اقتدارُ الوتر على السهم، إن نظم طافَ الأدبَ واستلم، أو نثر هلَّلَ العلم وكبر، أو نقد سعى الطبعُ الصقيل وحفَّ، أو كتب سجد القلم الضئيل واقترب. ولم يكن لأهل إفريقية قديماً في الأدب نبعٌ ولا غربٌ، ولا من لسان العرب ورْدٌ ولا قَرَبٌ، يدلُّ على ذلك ما وصف به أبو علي البغداديَّ أهلَ القيروان، وقد أثبتَّه في موضعه من صدرِ هذا الديوان^٣. ورأيتُ ديواناً مجموعاً في أشعارِ قدماءِ أهلِ إفريقية هو بالكم أشبه، وفي لسان العجم أئوهُ وأثبَّه، هذا وأجنادها على قِدَمِ الدهرِ العربُ العاربة، وقوادها الأغالبةُ والمهالبة، فلما زال ملكها عن أيدي العرب، تدفَّقتُ بها بحورُ الأدب، وطلعتُ منها نجومُ الكتب، ورمتُ أقاصي البلاد، بمثل دُرَى الأطواد، وسمعنا بزهر الآداب، وأنموذج الشعرِ اللباب، وبفلان وفلان، من كلِّ فارس ميدان، وبحرٍ

١ ترجمة ابن رشيقي في الخريدة ٢ : ٢٣٠ وانباء الرواة ١ : ٢٩٨ ومعجم الأديباء ٨ : ١١٠ وابن خلكان ٢ : ٨٥ (وفيه نقل عن الذخيرة) ومسالك الأبيصار ١١ : ٢٢٧ وشذرات الذهب ٣ : ٢٩٧ وبغية الوعاة ٢٢٠ : ٢٢٠ وعنوان الأريب ١ : ٥٢ وللاستاذ حسن حسني عبد الوهاب كتاب بساط العقيق في تاريخ القيروان وشاعرها ابن رشيقي، وللدكتور عبد الرحمن ياغي كتاب عنه : وقد جمع شعره اليمني في التنفيم ياغي، ولا يزال كثير من شعره غير مضمَّن في هذين المجموعين وخاصة جانب غير قليل مما أورده ابن بسام.

٢ المسالك : وغاية لا تنالها الوجناء.

٣ راجع القسم الأول : ١٤ - ١٥.

بلاغه وبيان ، وقال أبو علي بن رشيقي ، وما أبو علي ؟ شعاع القمر ، وحديث السمر ، ومعجزة الخبر والخبر ، فات الأواخر والأوائل ، وأسكت المناظر والمائل .

ولما طلع نجم^١ النحوس ، بملك^٢ المعز بن باديس ، وخرج الى المهدي بساء^٣ كاسفة الأتجار ، وذمائم أقصر من ظمء الحمار ، كان أبو علي ممن انحسر في زمرة المحروبة ، وتحيز إلى فتنه المقلولة المنكوبة ، فأقام معه بها أنفة من الجلاء ، وإشفافاً من فرقة الأحبة والخلصاء ، وغشي المهدي أسطول الروم فأصبح البحر ثنايا ، تُطلع المنايا ، وأكاماً تحمل موتاً زواما ، فدخل يومئذ على تميم^٤ حين وضع الفجر ، وقد تم الذعر ، وضاق ذات الصدر ، فوجده في مصلاه والرقاع عليه ترد ، والشمع بين يديه يتقد ، فقام على رأسه يُشدد قصيدته التي أولها :

تثبت لا يخامرُك اضطرابُ فقد خضعت لعزتك الرقابُ
فقال له : مه ، أحال عهدك أم تغير ، أم قد أدبر بك الزمان في ما أدبر ؟
ويلك ! متى عهدتي لا أثبت ؟ إذا لم تجننا إلا بمثل هذا فمالك لا تسكت عنا ؟
وأمر بالرقعة التي كانت فيها القصيدة فمزقت ، ولم يقنعه ذلك حتى أدنوها إلى السراج فأحرقت ، فخرج ابن رشيقي يومئذ من عنده على غير طريق ، لا يعقل ما يبطأ ، ولا يدري إلى أين ينكفي ، وكان وجهه إلى صقلية ، وكان ابن شرف قد سبقه إليها ، ووفد قبله عليها ، وكان وقع بينهما بالقيروان ، [ما وقع] بين الخوارزمي وبديع الزمان ، من مناقضات ومعارضات ، شحذت الطباع ، وملأت العيون والأسماع ، وتجاوزت الإحسان والإبداع ، فلما اجتمعا يومئذ بصقلية تنمر بعضهما لبعض ، وتشوف أعلام البلد لما كان بينهما من إبرام ونقض ، وقصد ابن رشيقي

١ المسالك : نجوم .

٢ المسالك : بساء .

٣ المسالك : المعز : وهو أصوب

٤ المسالك : الشمع

بعضُ إخوانه وقال له : أنما علماً الإحسان ، وشيخاً أهل القيروان ، وقد أصبحتا بحالٍ جلاء ، وبين أعداء^١ ، والأشبهُ بكما ألا تَفْرياً أديكما ، ولا تُطعما الأعداءَ لحومكما ، فقد كان يحميكما السلطانُ ، ويمحو كثيراً من مساويكما الإخوان ، فقال له : إيتِ ابنَ شرف فخذْ عهدَهُ بذلك ، فلستُ أنا أراجِعُكَ فيما هنالك ، فأتاه وكان امرأً صِدْقٍ ، فوجده أجَنَحَ لِلسَّلم ، وأدنى إلى الحِلْم ، برىء إليه من صَبِيهِ وصَعَدِهِ ، وأعطاه على الوفاء بذلك صفقتي لسانِهِ ويده ، فكان ابنُ رشيق بعد ذلك ربما أعرِض وعَرَضُ^٢ ، وتَحَلَّبَ إلى شيء من تلك الهنات أو تلمظ ، وأما ابن شرف فلم يحلَّ ما عقد ، ولا حال عما عهد .

ولابن رشيق عدة تواليف في النظم والنثر ، نثف بها في عُقَدِ السحر ، ككتابه المترجم بـ « العمدة » و « كتاب الأتموزج »^٣ ، إلى عدة رسائل رائقة^٤ ، وبدائع فائقة . وأما الشعرُ فإنه أنسى [١٧٣] أهله ، وملك منه شَخْتَهُ وَجَزْلَهُ ، وقد أثبت من خبره ، وحميد أثره ، ما يملأ الآذان بياناً ، ويبهر العقول إحساناً .

جملة من أخباره مع ما يتخللها من أشعاره

حدث أبو عبد الله بن الصفار الصقلي قال : كنتُ ساكناً بصقيلية وأشعار ابن رشيق تردُّ عليّ ، فكنتُ أتمنى لقاءه ، حتى استغلبت الرومُ علينا ، فخرجتُ فاراً بمهجتي ، تاركاً لكلِّ ما ملكت ، وقلتُ : أجمعُ مع أبي عليّ ، فرقةً شائله وطيبُ مشاهدِهِ سيذهبُ عني بعضُ ما أجِدُ من الحزن على مفارقة الأهل والوطن ، فجئتُ القيروانَ ولم أقدمُ شيئاً على الوصول إلى منزله ، فاستأذنتُ ودخلتُ ، فقام

١ المسالك : الأعداء .

٢ المسالك : اعترض وتعرض .

٣ نشر العمدة عدة مرات دون تحقيق ، أما الأتموزج فمنه قطعة صالحة في مسالك الأبصار ، ونقول كثيرة في الوافي والفوات وبعض نقول في معجم البلدان ومعجم الأدباء .

٤ من رسائله : قراصة الذهب ، وقد نشرت بتحقيق جيد قام به الأستاذ الشاذلي بويحيى . (تونس ١٩٧٢)

إليّ وهو ثاني اثنين ، فأخذ بيدي ، وجعل يسألني ، فأخبرته عن أمري [...] بعد أن تمكن أنسي بمجالسته قال لي يوماً : يا أبا عبد الله ، إنّ ها هنا بالقيروان غلاماً قد برّح بي حبّه ، واستولى عليّ كَرْبُهُ ، منذ عشرة أعوام ، وأنا إذ عضّ هواه على كبدي ، وسطاً شوقه على جلدي ، ناهضُ إليه ، وحسبُك أنني ما اضطربتُ عنك منذ حين ، إلا أني أحدثُ نفسي بحديثه العذبِ المواردِ والمصادر ، وأغلّ لها بأخباره المحمودّة الأوائِلِ والأواخر ، فإن أنت ساعدتني على الشخوصِ إليه قَدَمْتَ عندي يداً لا يَعدّها إلا رضاه ، فقلت : سمعاً وطاعة ؛ وصرتُ معه حتى جئنا صناعةَ الجوهرين ، فإذا بغلامٍ كأنه بدرٌ تمامٍ صافي الأديم ، عطرِ النسيم ، كأنما يضحكُ عن درٍّ ، ويسفّرُ عن بدرٍ ، قد ركبَ كافورَ عارضيه غبارُ عنبر ، فحكى كتاباً مِسْكٍ على بياض ، يجرّحه الوهمُ بخاطره ، ويدميه الطرفُ بناظره ؛ فلما رآنا الغلامَ علّتهُ خجلةٌ سلبتُ وجهَ أبي عليّ ماءه ، فأنشدته قول الصنوبري^١ :

آيةٌ من علامةِ العشاقِ اصفرارُ الوجوه عند التلاقي
وانقطاع يكون من غير عيٍّ وولوعٍ بالصمتِ والاطراقِ

فقال لي : يا أبا عبد الله ، والله ما واجهته قط بوجهي إلا وعُشِّي عليّ ولكّني تثبّتُ^٢ بك ، وأنستُ إلى عذوبة لفظك ، مع أني لم أزودَ من وجهه القمر ، إلا متعةً بقده المثمر ، لتنكيسه رأسه عند طلوعي عليه ، فقلتُ : ولم ينكس رأسه ؟ والله ما رأيتُ أشبه بالبدرمه خدّاً ، ولا بالغصن قدّاً ، ولا بالدّرّ ثغراً ، ولا بالمسك من رياه نَشْراً ، فقال لي : يا أبا عبد الله ، ما أبصركَ بمحاسن الغلمان ، لا سيما من فضضتُ كفّ الجمالِ صفحته ، وذهبتُ وجنته ، وخافت على تفاح خدّه العيون ، فوكّلت بها الفتون ، يا أبا عبد الله : ينكسُ رأسه لأنني علّقتهُ وخدّه هلالِي ، وفرعه ظلامي .

١ ديوان الصنوبري : ٤٣٨

٢ ص : أثبتت .

ولحظهُ بابلِي ، وقَدَه قضِيي ، ورِدْفُهُ كَثِيبي ، وخصرُهُ سابري ، وصدرُهُ عاجبي ،
فكان فمي يشربُ كافوره بالشفق ، فيخرج ذلك صَدْرُ الغسق ، فوَكَل من بهيمه ،
رقبياً على فِصِّي أديمه ، فتوَهَم ذلك الطاهرُ الأخلاق ، والطيبُ الاعتناق ، أن ذلك مما
يُضْعِفُ أسبابَ محبته ، وَيُخْلِقُ رسومَ مودته . فقلتُ له : بحَقِّي عليك يا أبا عليٍّ إلّا ما
قلتُ في هذا المعنى شيئاً ، فأطرق قليلاً ثم قال^١ :

وأسمِرُ اللونَ عسجديَّ يكادُ يستمطرُ الجهاما
ضاقَ بحملِ العذارِ ذرعاً كالمهر لا يعرفُ اللجاما
ونكسَ الرأسَ إذ رآني كآبةً واكتسى احتشاما
وظنَّ أن العذارَ ممّا يزبحُ عن قلبي الغراما
وما درى أنه نباتٌ أنبتَ في جسمي^٢ السقاما
وهل ترى عارضيه إلا حائلاً قُلدتُ حُساما^٣

ومعنى هذا البيت الأخير كقول الآخر :

ومستحسنٌ وصلي جعلتُ وصالهُ شعاري فما أنفكُ دأباً أوأصيلهُ
كأنَّ بعينه إذا ما أدارها حساماً صقيلاً والعذارُ حائلهُ
قال أبو عبد الله الصقلي : قلم أزلُ أتكرّرُ على أبي عليٍّ والأطفه حتى
أطلعني على سرائره مع ذلك الغلام ، فوالله ما أطلعتُ له معه على ما يحاسبُ به من
قبيح فعلٍ ولا مذمومٍ . وكنتُ في خلالِ ذلك أختلفُ إلى ذلك الغلام الجوهري ،
فجلستُ يوماً إليه فجعلتُ أذكرُ له بعضَ ما ذكر لي أبو علي ، فرأيتُهُ قد تغيرَ لونه ،
وأطرقَ ساعةً ، ثم أخذَ سحاةً فكتبَ فيها : « بسم الله الرحمن الرحيم ، كتّانُ السرِّ
حليةُ القلب ، فان أزاله بقي عاطلاً » ثم طواها ودفعها إلي وقال : قد أودعتُ

١ ديوان ابن رشي : ١٦٨ والشريشي ٢ : ٣٣٥ ٢ الشريشي : قلبي .

٣ مرّهذا البيت من قبل ٣ : ٨٢٢ وروايته « وهل على عارضيه ... حائل » .

السحابة لفظاً موجزاً/ [١٧٤] ومعنى مُحَرَّزاً ، فاذا وردت على أبي علي فاعلمه أن المحب إذا كتم رُجِمَ ، واذا نشر [فُضِيح] فلا يعدُّ بعد هذا إلى إفشاء سرِّي ، فان نمَّ بحبي انتهيتُ عن زيارته والإمام به ، وعوضتُه من لذته بفيض الدموع ، وطول الخضوع ، حتى لا يجرع كأساً إلا مشوباً ، ولا يزرّ ثوباً إلا خضلاً بعبرة مقلته ، وأنا أقسمُ بحاجته إليّ ، وإدمانه بالبوح عليّ ، ألا أُخلى صدره من زفرة ، ولا ضلوعه من جمرة ، ولا جفونه من عبّرة . فجئتُ أبا عليّ ، فدفعتُ إليه السحابة وقرأها ، وأخبرتهُ كلامه ، فشهِقَ شهقةً توهمتُ أن ضلوعه تقضقضت ، وقال لي : أبهذا القسم أقسم ؟ قلتُ : نعم ، قال لي : أتريدُ أن أنظم لك منشوراً جئتني به حتى تتوهم أنه كلامه ؟ قلتُ : بحياتك إلا ما فعلت ، فقال ٢ :

لم باح باسمي بعد ما كتم الهوى زمناً وكان صيانتني أولى به
فلاً [منعن] جفونه طيب الكرى ولأمزجن دموعه بشرا به
وحياة حاجته إليّ وفقره لأواصلن عذابه بعذابه
قال أبو عبد الله : ثم استنشدته من شعره فيه فأنشدني عدة مقطوعات ، منها قوله ٣ :

وفاتر الأحاط في وجنة كأنها في الحُسن ورد الرياض
قلتُ له يا ظبي خذ مهجتي داو بها تلك الجفون المراض
فجاوبت من خده خجلة كيف ترى الحمرة فوق البياض

وقوله ٤ :

إن كنت تنكر ما منك ابتليت به وأن برء سقامي عز مطلبه

١ ص : بروز .

٢ الديوان : ٤٠ .

٣ الديوان : ٩٦ والشريشي : ٥ : ٢٣٠ .

٤ الديوان : ٣٣ والشريشي : ٥ : ٦٧ .

أَشْرَ بَعْدَ مِنَ الْكِبَرِيتِ نَحْوِ فَمِي وَانْظُرْ إِلَى زَفْرَاتِي كَيْفَ تُلْهِبُهُ

وقوله :

تَمْنَيْتُ تَقْبِيلًا عَلَيْهِ فَجَادَ لِي فَقُلْتُ لَهُ جُدْ لِي بِشَعْرِكَ إِنِّي

ومن جيد قوله^١ :

سَقَى اللَّهُ أَرْضَ الْقَيْرِوانَ وَصَبْرَهُ فِيهِمَا ثَوَى شَخْصٍ عَلِيٍّ عَزِيزُ
تَرَى أَنَّنِي فِي الْقَرَبِ مِمَّنْ أَحَبَّهُ عَلَى بُعْدِ مَا بَيْنَ الدِّيَارِ أَفُوزُ
وَإِنْ كَانَ إدْرَاكُ الْمُحِبِّينَ بَغِيَةً عَلَى مَذْهَبِ الْأَيَّامِ لَيْسَ تَجُوزُ

وقال فيه :

مُدْمَجُ الْخَصْرِ وَالْحَشَا يَتَشَّى إِذَا مَشَى
هُوَ بِدَرٍّ بِوَجْهِهِ وَبِأَجْفَانِهِ رَشَا
مَا عَلَيْهِ إِذَا الضَّنَا شَاعَ فِي الصَّبِّ أَوْ فُشَا
جَارَ قَاضِي صَبَاتِي وَهُوَ لَا يَقْبَلُ الرَّشَا

وقال فيه^٢ :

وَمَهْفَهْفٍ يَحْمِيهِ عَنِ نَظَرِ الْوَرَى غَيْرَانُ سَكُنَى الْمَلِكِ تَحْتَ قَبَابِهِ
أَوْمَى إِلَى أَنْ ائْتَنِي فَأَتَيْتَهُ وَالْفَجْرُ يَرْمُقُ مِنْ خِلَالِ نِقَابِهِ
فَلْتَمْتُ خَدًّا مِنْهُ ضَرَمَ لَوْعَتِي وَجَعَلْتُ أُطْفِي حَرَّهَا بِرِضَابِهِ
وَضَمَمْتُهُ لِلصَّدْرِ حَتَّى اسْتَوْهَبْتُ مِنِّْي ثِيَابِي بَعْضَ طَيْبِ ثِيَابِهِ
فَكَأَنَّ^٣ قَلْبِي مِنْ وَرَاءِ ضُلُوعِهِ طَرِبًا يَخْبِرُ قَلْبَهُ عَمَّا بِهِ

١ الديوان : ٩٠

٢ الديوان : ٢٧ والشريشي ٤ : ٣٠

٣ ص : فطار .

وينظر في هذا المعنى قول ابن المعتز :

يا ربَّ إخوانِ صحبتهمُ لا يدفعون لسلوِّ قلبا
لو تستطيعُ قلوبهمُ نَفَذَتْ أجسامهمُ فتعانتُ حبا

وقال ابن الرومي^٢ :

أعانقهُ والنفسُ بعدُ مشوِّقةٌ إليه وهل بعد العناقِ تداني
والشمُّ فاه كي تموتَ حرارتي فيشتدُّ ما ألقى من الهيان
كأنَّ الذي بي ليس يشفي غليله سوى أن يُرى الروحان يمتزجان

قال أبو عبد الله : وناولته يوماً تفاحةً فقال^٣ :

وتفاحيةً من كفٍّ ظبيٍّ أخذتها جناها من الغصنِ الذي مثلُ قُدِّهِ
لها لمسُ ردفه وطيبُ نسيمه وطعمُ ثنياه وحمرةُ خده
قال أبو عبد الله ، وأخبرني أبو عليّ قال : وعدني يومَ عيدٍ بالكُونِ عندي ،
فصليت وارتقبتُ مجيئه ، فاذا بالسَاءِ قد ارعدت وأبرقت فكتبت إليه والغيثُ
منهمل^٤ :

تجهمَّ العيدُ وانهلَّتْ مدامعه وكنْتُ أعهدُ منه البشرَ والضحكا
كأنما جاء يطوي الأرضَ من بُعدٍ شوقاً اليك فلما لم يجذك بكى
قال أبو عبد الله ، قال أبو عليّ^٥ : كنت [أوصي] غلاماً وضيعاً كان يختلف
إليّ وأحذره من كثرة التخليط ، فخرج يوماً في جماعة من أصحابه فأوقع به ،
فأخبرت بذلك فقلت :

١ الشريشي ٤ : ٢٩ وديوانه ١ : ٣٩٦ (بغداد) .

٢ الشريشي ٤ : ٢٩

٣ الديوان : ٦٤ والشريشي ٥ : ٢٥٤

٤ الديوان : ١٤٠ وابن خلكان ٢ : ٨٦

٥ نقلها الشريشي ١ : ٤١٦ ، وانظر الديوان ١٤٦

يا سوءَ ما جاءتْ به الحالُ إنْ كانَ ما قالوا كما قالوا
ما أحذقَ الناسَ بصوغِ الخنا صيغَ من الخائمِ خَلْخَالُ/[١٧٥]
وهذا المعنى : القولُ فيه طويل ، وقولُ ابنِ المعتزِ يناسبه في المعنى لا في
اللفظ ، وهو قوله^١ :

مضى مالكَ والمالُ تسعون درهماً فآبَ ورأسُ المالِ ثلثُ الدراهمِ
وقال أبو محمد بن صارة الشنتريني :

مِنْ كُلِّ مَنْ نِيكَ حَتَّى صَارَ مِنْ سَعَةٍ
كما تُحَلُّ يَدُ مِنْ عَقْدٍ تَسْعِينَا

قال أبو علي : وكنت أميل إلى قينة من قيان القيروان اسمها ليلي ، فعلقها
بعضُ خدامِ^٢ الحصون ، وكان يحسبُ خدمتها وكنسها منزلةً لا تتلم جاءَ متوليها ،
فنهيتها عنها فلم ينتهِ ، فقلت فيه^٣ :

ظَنَّ أَنَّ الْحَصُونَ مَلِكُ سَلِيمٍ وَلِيْلِي بَجْهَلِهِ بَلْقَيْسَا
وَلَهُ فِي الْعَصَا مَارَبٌ أُخْرَى حَاشَ لِلَّهِ أَنْ تَكُونَ لِمُوسَى

وهذا كقول إدريس من جملة أبيات :
فقال وَمَنْ هَذَا الَّذِي جَاءَ طَارِقاً فَقُلْتُ أَنَا مُوسَى وَهَذِي هِيَ الْعَصَا

ما أخرجته من سائر مقطوعاته في أوصافِ شتى

قال^٤ :

١ الشريشي ١ : ٤١٦

٢ الشريشي : خالد .

٣ الديوان : ٩١

٤ الديوان : ٧١ والشريشي ٣ : ٣٢٠ وابن خلكان ٢ : ٨٨

وبك استغثت^١ على الضعيف الموزي
وبعثت واحدة على النمرود

يا رب لا أقوى على دفع الأذى
ما لي بعثت علي ألف بعوضة
وله في بعض قضاة القيروان :

والطبل لا يضرب تحت الكسا
فامنعه أن يحكم بين النسا

أقولها لو بلغت ، ما عسى
قاضيكَ إن لم تخصيه عاجلاً

وقال :

إنني أشم عليك رائحة الدم
حتى وطئت بها فراش الأرقم
وأمنت جهلاً من وثوب الضيغم

يا سالكاً بين الأسنة والظبا
يا ليت شعري من رقاك بعوضة
أزحمت آساد الشرى في غيلها

وأنشدت له :

كقابس النار لم يشعر من الخجل
عني فقبلتها عشراً على مهل
فانما افتضح العشاق في القل

قبلت فاهها على خوف محالسة
ماذا على رصدي بالنار لو غفلوا
غضي جفونك عني وانظري أمماً

وقال^٢ :

يا مَنْ يتيه بعارضيه يريد بالعشاق شراً
ما كنت تصلح في الجديد فكيف تصلح بالطرى

وهذا كقول أبي بكر الخالدي^٣ :

ما كان ينفعه لدي شبابهُ
فعلام يجهد نفسه بخضابه

١ ابن خلكان : استغثت .

٢ المسالك : ٢٢٢

٣ لم يرد في ديوانه . وقد مر منسوباً له ٤ : ٢٥٦ .

وقال ابن رشيقي :

حَجَّتْ إِلَى وَجْهِكَ أَبْصَارَنَا طَائِعَةً يَا كَعْبَةَ الْحَسَنِ
تَمْسَحُ خَالاً مِنْكَ فِي وَجْنَةٍ كَالْحَجَرِ الْأَسْوَدِ فِي الرُّكْنِ

ولكشاجم في مثله^١ :

فَلَمْ يَزَلْ خَدُّهُ رَكْنًا أَطْوَفُ بِهِ وَالْخَالُ فِي خَدِّهِ يُغْنِي عَنِ الْحَجَرِ
وَأَنْشَدَتْ لَهُ^٢ :

إِنْ زَرْتُهُ يَوْمًا عَلَى خَلْوَةٍ أَوْ زَارَنِي فِي مَوْضِعِ خَالٍ
كُنْتُ لَهُ رَفْعًا عَلَى الْإِبْتَدَاءِ وَكَانَ لِي نَصَبًا عَلَى الْحَالِ
وهذا كقول ابن الميكالي^٣ :

أَفْدَى الْغَزَالَ الَّذِي فِي النُّحُو كُلَّمَنِي مُجَادِلًا فَاجْتَنَيْتُ الشَّهَدَ مِّنْ شَفَتَيْهِ
وَأُورِدَ الْحَجَجَ الْمَقْبُولَ شَاهِدَهَا مَنَظَرًا لِّرَيْنِي فَضَّلَ مَعْرِفَتِهِ
ثُمَّ اتَّفَقْنَا عَلَى رَأْيٍ رَضِيتُ بِهِ وَالرَّفْعُ مِنْ صَفَتِي وَالْخَفْضُ^٤ مِنْ صَفَتِهِ

وقال ابن رشيقي ، وهو من أملح ما له^٥ :

أَوْمَى بِتَسْلِيمَةٍ اخْتِلَاسٍ وَالنَّاسُ فِي حَوْمَةِ الْوُدَاعِ
أَحْلَى وَإِنْ لَمْ تَكُنْ سَمَاعًا مِنْ نَعَمِ الزَّمْرِ وَالسَّمَاعِ
وَأَفْتَرَّ عَنْ مَبْسَمٍ شَنِيبٍ تَحْتَمُهُ دَارَةُ الرِّبَاعِ

١ زهر الآداب : ٣٧٩ والحديث فيه عن المؤنث لقوله قبله :

فديت زائرة في العيد واصله والهجر في غفلة من ذلك الخبر

٢ نسبت الأبيات في زهر الآداب : ٧٢٠ لأبي الفتح البستي .

٤ زهر الآداب : مناظرًا

٥ زهر الآداب : محققًا

٦ زهر الآداب : والنصب .

٧ ديوان ابن رشيقي : ١٠٩ والمسالك : ٢٣٢

وقد نَوَتْ مقلته نوماً وددتْ لو كان في ذراعي
فكان لي موقفُ افتراقٍ وللهوى موقفُ اجتماع
وقال^١ :

هَمَّتْ عذاراهُ بتقييله فاستلَّ من عينيه سَيْفَيْنِ
وذلك المحمَّرُ من خدِّه دماءُ ما بين الفريقين
وقال^٢ :

غَنَّنِي يَا أَعَزَّ ذَا الْخَلْقِ عِنْدِي «حَيَّ نَجْداً وَمَنْ بَأَكْنَافِ نَجْدٍ»
وَاسْقِنِي مَا يَصِيرُ ذُو الْبَخْلِ مِنْهَا حَاتِماً وَالْجَبَانَ عَمْرَوُ بْنُ مَعْدِي
فِي أَوَانِ الشَّبَابِ عَاجِلُنِي الشَّيْءُ فَهَذَا مِنْ أَوَّلِ الدَّنِّ دُرْدِي
وقال^٣ :

اشْتَرَى خَنْجِراً لِقَتْلِي وَمَا ذَاكَ يَجْمَلُ
فَسَلُوهُ فَإِنَّ عَنْ مِثْلِ ذَا الشَّانِ يُسْأَلُ
كَيْفَ يَمْشِي بِخَنْجَرٍ مِنْ بَعِينِهِ يَقْتُلُ
وقال^٤ :

شَكُوتُ بِالْحَبِّ إِلَى ظَالِمِي فَقَالَ [لِي] مُسْتَهْزِئاً مَا هُوَ
قُلْتُ غَرَامُ ثَابِتُ قَالَ لِي أَقْرَأْ عَلَيْهِ «قُلْ هُوَ اللَّهُ»

وقال^٥ : [١٧٦]

مَعْتَدِلُ الْقَامَةِ وَالْقَدُّ مَوْرَدُ الْوَجْنَةِ وَالْخَدُّ

١ ديوانه : ٢١٤ والمسالك : ٢٣٢ والشرشي : ٤ : ٢٩٠

٢ ديوانه : ٦٢ والشرشي : ٣ : ٢٠٢

٣ المسالك (الأول والثالث) : ٢٣٢

٤ ديوانه : ٢٢٢ والشرشي : ١ : ١٥٣

٥ ديوانه : ٦١ والشرشي : ١ : ١٥٣ والأول والثاني في المسالك .

لو وضع الورد على خدّه ما عُرِفَ الوردُ من الورد
قل للذي يعجبُ من حسنه اقرأ عليه سورة الحمد
وقال :

ولقد قطعتُ الليلَ في دعةٍ من غير تأثيمٍ ولا ذنبٍ
بأعزَّ من بصري على بصري وأحبَّ من قلبي إلى قلبي
وقال :

تلفتُ فما أفرقُ بين قيراطٍ ودينارٍ
ذهابَ الزيتِ في القنديلِ بين الماءِ والنارِ
وقال ١ :

ومن حسانِ الدهرِ عندي ليلةٌ من العمر لم تترك لأيامنا ذنباً
خلونا بها ننفي القذى من عيوننا بلؤلؤة مملوءة ذهباً سكناً
وملنا لتقبيل الخدودِ ولثمها كمثل جياح الطيرِ تلتقطُ الحباً
وقال ٢ :

يا من يمرُّ ولا تمرُّ به القلوبُ من الحرقِ
بغمامةٍ من خدّه منها سرقِ
وكأنه وكأنها قمرٌ احاطَ به شفقِ
فاذا بدا وإذا مشى
شغل الجوانحَ والجوا رحَ والخواطرَ والحدقِ
وقال من قصيدة ٣ :

حسبي وحسبك من لومٍ وتثريبٍ بان الذي كان يغريني ويغري بي

١ ديوانه : ٣٢ والشريشي ٢ : ١٥١ وابن خلكان ٢ : ٨٧

٢ ديوانه : ١٢٨ والشريشي ٣ : ٢٣٧

٣ منها خمسة أبيات في ديوانه : ٣٤

أما الشبابُ فقد ودعتُ لذَّته
عرفتُ حالَ الليالي في تصرفها
وذللَّ الدهرُ صعبِي فاستكنتُ له
قرعتُ سنِّي على ما فاتني ندماً
فقد رددتُ كؤوسَ اللهوِ مترعةً
وربما أذكرتني صبوهُ سلفت
أنزَّهُ السمعَ والعينين في نَعَمٍ
من كلِّ لافظةٍ بالدرِّ باسمه
أيامَ تصحبني الغزلانُ آنسةً
إلا أباطيلَ أحلامٍ وتشيب
وشافهتنيُ أخواهَ التجاربِ
وطال ما كنتُ من تلك المصاعيبِ
من الشبابِ ومَن باللهو للشيبِ
على السقاة وكانت جُلَّ مشروبي
وُزقُ الحمام إذا غُتَّتْ بتطريب
ومنظرٍ غايةٍ بالحسن والطيب
عنه محلاةٌ نوعٍ منه مثقوب
هذا على أنني أعدى من الذيب

وقال^١ :

اختر لنفسك من تعا دي كاختيارك مَنْ تُصَادِقُ
إن العدوَّ أخو الصديقِ وان تخالفتِ الطرائقُ

وأخبرني بعض وزراء اشبيلية قال : جهَّز عباد بعض التجار إلى صقلية ، وكان ابن رشيق كثيراً ما يسمعُ بذكر عباد فيرتاحُ إلى جنابه ، ارتياحَ الكبير إلى شبابه ، فلما سمع بمقدم ذلك التاجر لزم داره ، وجعل يتردَّدُ إليه ويغشاه ، ويقترح عليه لقاء عباد ويتمناه ، والتاجرُ يعده ويمنيه ، ويقربُ له ذلك ويدنيه ، حتى إذا ساحتِ الرياح ، وأمكن في ميدان البحر المراح ، ذهب التاجرُ لطيته ، وخلي بين ابن رشيق وأمنيته ، وأخبر التاجر عباداً بذلك ، كأنه يتبجح له بما هنالك ، فبالغ عبادُ في نكاله ، وأمر باستصفاء أكثر ماله ؛ ثم رام ابن رشيق بعد ذلك ركوبَ البحر فحشن له مَسَّهُ ، ولم تساعده على ركوبه نفسه ، فقال^٢ :

١ ديوانه : ١٣٠ والشريشي ٢ : ٢١٦

٢ ديوانه : ٢٢٦ والمسالك : ٢٣٣

البحرُ صعبُ المذاقِ مُرٌّ لا جُعِلْتُ حاجتي إليه
أليس ماءً ونحن طينٌ فما عسى صبرنا عليه
ولأبي [علي] قصيدته المشهورة التي أولها :

من قُضِبَ نَعْمَانُ أم من كُثِبَ يبرين
الله في دمِ عَشْباقٍ مساكين
يقول فيها :

عيناك أمكنتِ الشيطانَ من خلدي
كم ليلةٌ بتُ مطوياً على حُرْقٍ
وكلما انصدعتُ من لوعةِ كبدي
يا ما اميلحه ظلياً ففتتُ به

ووجنتين هما تفاحتا قبلي
كأنَّ لمس بناني حين يلمسه
فتورُ عينيك ينهاني ويأمرني
أما لئن بعثُ ديني واشتريتُ به
سبحانَ من خلق الأشياءَ قاطبةً
ومنها :

يا أهلَ صبرةٍ والأحبابُ عندكم
إنني أدينُ بدين الحبِّ ويحكمُ
مولاي [لا] تشمتِ الأعداءُ بي وإذا
حاسبُ هواك بما أنفقتُ من عمري
لو كنتُ أملكُ نفسي يا معذبها

وكتب إلى المعز بن باديس وقد ولدت له ابنة/ [١٧٧]

معزُّ الهدى لا زال عزُّكَ دائماً وَرُيِّتِ الدنيا لنا بحياتكا

١ اضطرب الشطر، وصورته : قم يسقي بمثل نبات الزرايين .

أَتَنسِي أَنسَى يَعْلَمُ اللَّهُ أَنَّنِي سَرَرْتُ بِهَا إِذْ أُمُّهَا مِنْ هَبَاتِكَا
وَقَدْ كُنْتُ أَرْجُو أَنَّهَا ذُو بِلَاغَةٍ يَقُومُ مَقَامِي فِي بَدِيعِ صِفَاتِكَا
وَمَا نَحْنُ إِلَّا نَبْتُ جُودِكَ كُلْنَا وَكُلُّ نَبَاتِ الْأَرْضِ مِنْ بَرَكَاتِكَا
وَقَالَ ١ :

أَسْلَمْنِي حَبُّ سَلْيَانِكُمْ إِلَى هَوًى أَيْسَرُهُ الْقَتْلُ
لَمَّا بَدَأَ جَنْدُ مَلَا حَاتِهِ قَالَ الْوَرَى مَا قَالَتِ النَّمْلُ
قَوْمُوا ادْخُلُوا مَسْكَنَكُمْ قَبْلَ أَنْ تَحْطُمَكُمْ أَجْفَائُهُ النَّجْلُ
وَهُوَ الْقَاتِلُ فِي غِلَامٍ عَذْرُ يَعْرِفُ بَابِنَ الْكَنَافِ :

لَا مُ الْعَذَارِ بِخَدِهِ تَحْكِي أَصَابِعَ جَدِّهِ
قَدْ خَطَّهَا فِي حَائِطٍ خَوْفَ الْخَطَا مِنْ عَدِّهِ

ذَكَرَ الْخَبْرَ عَنْ خَرَابِ الْقَيْرِوَانِ

وَالْإِلْمَامَ بِشَيْءٍ مِنْ أَخْبَارِ آلِ زَيْرِي الْغَالِبِينَ عَلَيْهَا - كَانُوا - وَقَتَهُمْ
مَعَ مَا يَذْكُرُ بِهَا ، وَيَتَعَلَّقُ بِسَبَبِهَا

قَالَ ابْنُ بَسَامٍ : قَدْ قَدِّمْتُ [أَنِي] أَمْلَيْتُ هَذَا الْكِتَابَ بِخَاطِرٍ قَدْ خَدَعَتْ جَهْرَتَهُ ،
وَتَبَلَّدَتْ قَرِيحَتَهُ ، وَعَلَى حَالٍ مِنْ تَصَرُّفِ الزَّمَانِ ، وَإِلْحَاحِ الْحَدَّثَانِ ، يَتَسَبَّبُ تَسَبُّبًا
الْهَجْرَانِ ، وَيَتَلَوَّنَ تَلَوُّنَ الذَّعْرِ فِي عَيْنِ الْجَبَانِ ،

وَلِلْمَوْتِ خَيْرٌ مِنْ حَيَاةٍ كَأَنَّهَا مُعَرَّسٌ يُعَسُّوبُ بِرَأْسِ سَنَانٍ ٢

مَعَ أَنِّي لَمْ أَخْذْ هَذَا الْخَبَرَ عَنْ سَنَدٍ ، وَلَا اسْتَعْنْتُ فِيهِ بِكِتَابٍ لِأَحَدٍ ، إِنَّمَا
اخْتَلَسْتُهُ مِنْ ذِكْرِ أَجْرِيهَا ، أَوْ أَحَدُوثِهِ إِنَّمَا لَدَّتْنِي بَيْنَ أَنْ أَكْتُبَهَا وَأَمْلِيهَا ، وَالْحَدِيثُ

١ ديوانه : ١٤٢ وابن خلكان ٢ : ٨٨ (اعتاداً على الذخيرة)

٢ البيت الصخر أخى الخنساء ، انظر الأغاني ١٥ : ٦٣ وابن خلكان ٢ : ٨٤

طويل ، والمحصل قليل ، وإنما ألمع ها هنا شيء من أخبار مملكة آل زيري الصنهاجيين : كيف هبَّت رياحُها ، وأشرق صباحُها ، ثم نشرحُ بعضَ الأسبابِ التي خَصَّتْ آثارها ، وأحصتْ ليلها ونهارها :

لما تغلب آلُ عبيدِ الله الناجمين بافريقية على مصر ، فخلص له صميمها ، وأهاب له مُلكُها ونعيمها ، وأراد معد بن اسماعيل بن عبيد الله ، المتلقب من الألقاب السلطانية بالمعز لدين الله ، اقتعادَ صهوتها ، وإثباتَ قدمه على ذروتها ، دعا زيري بن مناد ، وهو يومئذ من صنهاجة بكان السنام من الغارب ، وبمنزلةِ الوجدان من نفسِ الطالب ، وكان له عشرةٌ من الولد : آسادُ شَرى ، وأقهارُ سُرَى ، فقال له : ادعُ لي بنيك ، فقد علمتَ رأيي فيهم وفيك ، وكان أصغرهم سنّاً ، وأهونهم عليه شأنّاً ، بلقّين بن زيري ، فدعا ولدهُ ما عداه ، والقدر لا يريدُ سواه ، وكانت من المعزّ - زعموا - اثارةٌ من علمِ الحدثان قد عَرَفَ بها مصائرَ أحواله ، وأهلَ الغناء من أعيانِ رجاله ، وكانت عنده لخليفته على افريقية إذا صار إليه ملك مصر علامةٌ يأنسُ بها أنس الكبير بذكر شبابه ، ويعرفها عرفانُ العاشق لديار أحبابه ، فنظر في وجوه بني زيري فأنكرها ، حين تفقَّدَ تلك العلامةَ فلم يرها ، فقال لزيري : هل غادرتَ من بنيك أحداً ، فلستُ أرى لمن ها هنا منهم أيّداً ولا يدا ، فقال له : إلا غلام ، وطفق يصغُرُ شأنه ، والمقدارُ قد عناه وأعانهُ ، ويطوي أخباره والاخبارُ تدور عليه ، فقال المعزّ : لا أراكَ حتى أراه ، فلستُ أريدُ سواه ، فلما رآه عرفه ، وفوض إليه من حينه واستخلفه ، فاستولى من وقته على الأمور ، وزاحتْ مهابته الأهواءُ في الصدور ، وبعدتْ أسفارهُ واشتهرتْ أيامه ، واشتمل على صرف الأيام والليالي نَقْضُهُ وإبرامه ، بلغ بغزواته سبنةً - في خيرِ طويل ليس من شرط ما أَلْفَتْ ، ولا في معنى ما صنفت - ثم أجاب صوتَ مناديه ، وخلعها على أعطافِ بنيه ، حتى انتهت منهم إلى المعزّ بن باديس ، منزف العشيرة ، وآخرِ ملوكها المشهورة ، فأولُ ما افتتح به شأنه ، وثبت به - زعم - سلطانه ، قتلُ الرافضةِ ومراسلةُ أمير المؤمنين ببغداد ،

فبعث إليه بعهدِهِ ، وجاءت الخلعة واللقبُ من عنده ، رأياً اغترَّ ببياديه ، وذُهِلَ عن عواقبه وبواديهِ ، واتصلت بالعبيدي وامرُهُ يومئذٍ يدورُ على الجرجرائي ، فاضطغنّها عليه ، وفوقَ سهامَ مكروهه إليه ؛ وكانت بطونُ من عامر بن صعصعة : زغبة وعديّ والأثبج ورياح وغيرهم من ألفافِ عامر ، تنزلُ الصعيدَ ، لا يُسمَحُ لها بالرحيل ، ولا يخلى بينها وبين إجازة النيل ، فأراهم الجرجرائي حينه ضجّةَ السوق ، وأفرَجَ عن لَقَمِ الطريق ، وأذنَ لهم في المعز ، أمنية طالما تحلبتُ/ [١٧٨] اليهسا أطماهم ، وعكفت عليها أبصارهم وأسماهم ، فغشاه منهم سيلُ العرم ، ورماه بنؤلول ابنة الرّقم ، وتهاون المعزُ بهم أولاً فشغلهم بخدمته ، وحملَهُمُ أعباءَ نعمته ، وهم في خلال ذلك يتمرّسونَ بجهاته ، ويدبّون إلى أنصاره وحماته ، ويطلون على مقاتله وعوراتهِ ، حتى بان لهم شأنه ، وهان عليهم سلطانه ، فجاهروه بالعداوة . وأرادوه على الاتاة ، وجرتُ بينهم أثناء ذلك حروب ، لم يحمدها غالبٌ ولا مغلوب ، ولا أَمْنُها بريء ولا مُريب ، أضربتُ عن خبرها لطوله ، ولأنه لم يبلغني عن مَنْ أتقُ بتحصيله ، كان من أفرأها لأديمه ، وألصقها بصميمه ، وقعةٌ حيدران سنة أربعٍ وأربعين ، فانها أوهنت بَطْشَهُ ، وثَلَّتْ عَرَشَهُ ، وأرَتْهُ البوارَ ، وضربتُ عليه الحصار ، وأحاط الأعرابُ بالقيروان يطؤون حريمها ، ويستعرضون راحلها ومقيمها ، حتى مآجَ بعضُها في بعض ، وتبرأت منها كلُّ سماءٍ وأرض ، فلما كان سنةً خمسين أعطى الدنية ، وناشدهم التقية ، واشترط المهدية ، وقد كان نظر في ماله ، وفكر في مَنْ بازائه من أقتاله ، فزفَّ إلى زعمائهم بناته وكن اللآلي وأمانِي الغالي ، فأصبحوا له أصهارا ، وقاموا دونه أنصارا ، فلما استحکم بأسه ، وأهَمَّتْهُ نفسه ، استجاش مَنْ قِيلَهُ ، واحتمل حُرْمَهُ وثَقَلَهُ ، وخلى الملك لمن حماه وحمله ، وجاء أصهارُهُ فكانوا بحيث يسمعون نثيمه ، ويمنعونه ممن عسى أن يكيدَه ويضيمه ، حتى بلغ المهدية فأقام بها أسقطَ من الشمس في الميزان ، وأهون من الغفْرِ على القَبان ، ولم يكن أحدٌ في زمانه يُهَيِّئُ بأساً في الملاحم ، ولا أطولَ يداً بالمكارم ، ولا أعنى بلسان العرب ، ولا

أحنى على أهل الأدب ، منه . ومن مشهور كرمه أنه أعطى المنتصر بن خزرون في دفعة مائة ألف دينار إلى ما وصله به من مركب ثقيل ، وزى نبيل . ثم لم يمكث بالمهدية إلا نحو عامين ، وانقضت أيامه ، وغافسه حمامه ، تعالى من لا ينتقل حاله ، ولا يتوقع زواله .

فصل في ذكر الشيخ أبي الفتیان العسقلاني^١

واثبات قطعة من شعره ونثره

أخبرني بخبر هذا الرجل الفقيه الحافظ أبو بكر محمد بن الوزير الفقيه أبي محمد ابن العربي ، وأنه فارقه حياً يرزق وهو بالسنة [...] . وأنا أقول : إنَّ أبا الفتیان هذا من فرسان هذا الشأن ، ومن أُعطي بسطةً في علمه وبيانه ، وخلي بين السحر ولسانه ، والذي أثبت من كلامه يضرح قذى العيون ، ويجلو وضغ الصبح المبين .

فصل له من رقعة :

مخايل السؤدد - أطال الله بقاء الشيخ - نُعثر على عقبه أخامص الكرام ، وترقم بمناقبه برود الأيام . فأدام الله تمكينه حتى يصبح سلك المجرة واهي النظام ، وتغير في البسيطة جبهة^٢ بهرام ، [ولا زال] يعقل بساحته الأمل الجامح ، وتستوقف المرشد والمصالح ، إذ كان مفترق المجد قد أصبح في علائه مجموعاً، وشامس الفضل سامعاً مطيعاً ، وقد قرن وليه هذه الأسطر برقعة سأل عرضها على الحضرة السامية - رفع الله منارها ، وعمر بوفود السعادة ديارها - وأن يتبعها من سديد مقاصده ما يهدي من أمها سبيل النجاح ، ويقضي لها بالمغنم وفوز القداح ، لا زال أفقه بنجوم

١ لعله مفضل بن حسن بن خضر العسقلاني الذي ذكره في الخريدة (الورقة : ٢٠١ من مخطوطة باريس رقم : ٣٣٢٨) وقال إنه قدم مصر في أيام الأفضل وأورد له مقطوعة من أربعة أبيات .

٢ ص : جهات

السعادة منيراً ، وسرب الحوادث عن ساحته مطروداً مدحوراً .

ومن أخرى :

أطال الله بقاء الحضرة السامية تجبر من كَسَرَ الزمان مهيضاً ، وتلزم^١ مسنواً
للمكارم [وا مفروضا ، حتى يصبح عقد الكواكب رفيضا ، وكف المقادر مكفوفاً
مقبوضاً ،

وتُطلع^٢ للعافين في فحمة الدجى
وتودع جأش الدهر عزَمِي مشمِ
سُطاً تسعُر الآفاق ناراً ورافة
ومقدرة لو زاحم الأفق جيشها
شملت الورى يا ابن المحسن مُسدياً
وأعلمت^٣ أغفال الزمان بأنعم
فأوريت زناً للمفاخر مُصلداً
أقمت لنا سوق القريض وقد عَفَت
فلولاك لم يلف الهداية ناظم
قضيت العلا لما أضيعت حقوقها
منيع المراقبي يستجار بعز
وتذعر أسراب الخطوب أو انساً
تقاضى سؤال المستمحين مث
وتدأب في حفظ الرعية ساهرا

بوارق [جود] تستطير وميضاً
يفل صحيحاً أو [يبل] مريضاً
ترد^٣ هشيم المكرومات أريضاً
لغودر مسدود اللهاة حريضاً
صنائع يبعثن الكسير نهوضاً
أعدن دُجَنات الحوادث ييضاً
ورفعت طرفاً للساح غضيضاً
معانيه صوناً أن يعود قريضاً
ولم يتوخ المادحون عروضاً/[١٧٩]
نوافل يُلوى دينها وفروضاً
إذا أزم الناب الضروس عضيضاً
كما ذعر الليث الهزير ربيضاً
تقضي ديوناً ملحقاً وفروضاً
إذا قيد النوم الجفون غموضاً

١ ص : ويلزم

٢ ص : يتلج

٣ ص : يرد

٤ ص : وعملت

فمثلك في حُكْمِ الرياسةِ معوز وكم من نقيضٍ لو طلبتَ نقيضا
 إذا ما سعى الأملاكُ خلفَكَ للعلا غدوتَ سماءَ والأنامُ حضيضا
 وله من أخرى :

شهر الصيام زائرٌ يُستَقْبَلُ وفدُ المغفرةِ باستقباله ، وتنحلُ ذنوبُ الأمةِ بنحول
 هلاله ، وآيبُ تَقْدُمُ غرائبُ الحظِ بقدومه ، ويعنقُ جزيلُ الأجرِ بينَ عَنَقِهِ ورسيمه ،
 جعله الله مطهراً من دَنَسِ الآثامِ ، وعرَّةً سائلةً في جَبْهَاتِ الأيامِ ، [جالياً] لَعَسَقِ
 المعاصي بوضاءةِ أيامه ، ومكفراً لما اقترف من الجرائمِ في عامه ، فطوبى لمن أقضَ في
 هذه المدة مضجعه ، واستعملَ منطقَهُ بما يُرضي الخالقَ وَمُسْتَمَعَهُ ، ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ
 الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ (فاطر: ١٠) والله جَلَّتْ أَسْمَاؤُهُ يجعلُ الحضرةَ
 الساميةَ سابقةً في هذا المضمار ، أمانةً من عوارض الكِبْوةِ والعِثار :

بقيتَ لعقدِ المعالي . نظاماً ولأكرمين جميعاً إماماً
 ويُجْجِلُ جودك وجهَ السماء برقاً خفوقاً وغيثاً سجاماً
 مقيماً بحيث يضيعُ التلادُ وتحفظُ للمكرماتِ الذماما
 وتودعُ الآوَكُ السابغات جيدَ الرياسةِ طوقاً تواما
 أيا ابنَ المكريم لا يعرفون عن دَرَّةِ المجدِ يوماً فطاماً
 ومنها :

وهيجاءٌ مثلِ أوارِ الحريقِ تصطلمُ الدارعين اصطلاماً
 تلثمُ خدَ الضحى عِثراً وتسفرُ فيها المنايا اللثاماً
 فجردتَ عزمك في الثائباتِ حصناً منيعاً وجيشاً لهاماً
 مساعٍ تشقُ جبينَ الضياء إذا اعتكر الدهرُ طراً ظلاماً
 ويهدي إليك أريجَ الثناء كما خطرَتْ في الرياضِ النعامى

فَعِشْ مَسْكَاً بَعْرَىً لِلْبَقَاءِ لَا يُحْدِثُ الدَّهْرُ فِيهَا انْفِصَامَا

ولا برح مَنْ جعلَ الأرضَ قراراً ، وأخرجَ من الشجرِ الأخضرِ نارا ، يُطْلَعُ في
سماؤها السعودَ [غير] الآفلة ، ويقرّ ببابها النعماء [غير] الناقلة ، ويجعلُ لكلِّ [ليلٍ]
يُمَدُّ جناحُهُ ، ونهارٍ تَقَلَّقَ إصباحُهُ ، متكفلاً لها بِجَدٍّ يلقي إليه زمامَ القَدَرِ تفويضاً ،
ويمنح الصخرةَ الصمَّاءَ ترويضاً .

في ذكر القاضي أبي محمد بن نعمة بن خليل^١

وإثبات جملةٍ من نثره ونظمه

وبالسَّنَدِ المتقدِّم وصلَ إليَّ خبره ؛ وهو أحدُ مَنْ يتصرَّفُ فيجيد ، ويبدىءُ بيدِ
الإحسانِ ويعيد ، جزلُ المقاطع ، سهْلُ المنازع ، وقد أثبتُ من كلامه ما تراه ،
وتستدلُّ على غرضه ومنحاه .

فصول من نثره مع ما ينخرط في سلكها من شعره

أطال الله بقاءَ الحضرةِ العاليةِ لغرائبِ مجدِّ تبندعها ، وفرائضِ جودِ تُشرَّعها ،
وحوادثِ أيامٍ تدلُّ صعابها ، ومستأنفِ سعودٍ يطرقُ جنابها ، وأدام أيامها التي هي
للدهرِ ثنائِمُ ، وفي المجدِ غنائمُ :

غررُ من الأيامِ يوضحُ فجرها والدهرُ من ظلمِ النوائِبِ قاتمُ
كم صرَّمتُ عني حوادثُ لم تكن منجاةً لولا الأجلُ الصارمُ

١ أغلب الظنُّ أنه القاضي أمير الدولة أبو محمد عبد الله بن أحمد بن خليل العسقلاني (وحدث تصحيف في لفظة
« أحمد » فتحوّلت إلى « نعمة » أو العكس) ؛ ذكره العماد في الخريدة (الورقة : ١٩) من نسخة باريس رقم :
٣٣٢٨ وقال إنه « من الكتاب الشعراء والبلغاء الرؤساء ، إلا أنه مقل مع الاجادة والاحسان . إنما يصنع ما يصنعه
تأدياً لا تكسباً ، وكان في عهد المستنصر » ؛ وأورد له شعراً في صارم الدولة ابن معروف صاحب عسقلان .

الموطد ، والنسب الى أعلى خندف عماداً ، وأوراها في موقفِ الفخرِ زنادة ، أرومة
الرسالة وجرثومة الخلافة ، إليها انتزع هاشم ، وعنها أُخِذَتِ المكارم ، فعبد
مناف بن النضر بن كنانة نؤابة الفخر :

هنالك أبناءُ الوغى وحماتها وشمَّ العطاء الغمرُ والعددُ الدثرُ
لهم أوجُه زُهرٌ وأنديَّة خضر وألوية حمرٌ وخطية سمرُ
فأما الفضائلُ المكتسبة فان مولاي الأجل ناظمُ أشاتها ، ومؤلفُ متنافراتها ،
فهو تارةً تحت عَذَبِ الأعلام ، وأخرى بين طروسِ وأقلام ، يستصغرُ عظيماتِ التدبير
ثقةً بحزمه ، ولا يغفلُ صغيراتِ الامور تضيي إلا عن علمه ، فأما الحلمُ والأناة
واستلذاذُ العفوفِ مع القدرة والمحافظةُ على سرِّ الخدمة فان الله تعالى وهبَ له من ذلك
ما سلَّمه إليه معانده ، وعرف فضيلته فيه حاسده :

مناقبُ نُظِمَتْ منها محامدُه وشيمةٌ عُرِفَتْ فيها عوائدهُ
وللندی غيرِ منزورٍ مؤمله وللردى [غير] معصومٍ معانده
يفديه وافدٌ ليلٍ أبَ زائره بنجحه وبخيلُ خابَ قاصده
فأما المواقفُ المشهودة ، والآثارُ المؤرخة المعدودة ، فانه فيها ملقى النصرِ ،
دائمُ الظفرِ ، ميمونُ التدبيرِ ، مسعودُ الرأي ، مُبَقِّعٌ عند الانتقام ، معتذرٌ مع سعة
الاتعام ، رحبُ الحمايل ، بسامُ المخايل :

يقصُرُ الناظم عن آلائه فيستعينُ بحلى الوسائلِ
لم يستعزَّ فيها له فضيلةٌ حاشا العلا ولا مقالَ الباطلِ
وإنما يكتبها عن مجده فيستهلُّ نسخةَ الفضائلِ
لم نرضَ أنْ أنالنا فصاحةً موهبةً إلا يبذلِ النائلِ
ولا زالتِ الحضرةُ الساميةُ تجدد من رسمِ الأدبِ دائرتهُ ، وتلبسُ من الثناء
نفائسه وجواهره .

ملكٌ تملكه الندى وتجمعت في راحتيه غمامٌ وسائم
فالروضُ يُجَدِّبُ وهو روضٌ ممرع والغيثُ يُقْلِعُ وهو غيثٌ دائم

وشتان ما بينهما : تلك سحائبٌ قد يُخْلِفُ بارقها ، وتُخَذِّرُ صواعقها ، وروضٌ
يُحِفُّ نباته ، وتتصوَّحُ زَهْرَاتُه ، ومكارمُ الحضرةِ العاليةِ تزيدُ جدَّةً على التكرار ، وتماثلُ
الفلَكُ الدَّوَّارَ ، وهي تباري الشمسَ [نهاراً] ، وتزورُ مزارَ الطيفِ سراراً :
مننٌ بعثنَ أهلةً مستورةً فطلعنَ في فلكِ العلا أقماراً
ومواهبٌ ومناقبٌ ومناهبٌ رَفَعَتْ له فوقَ السماءِ مناراً

ولما كانت الأوقاتُ الشريفةُ موسومةً بشيءٍ يُسْمَعُ ، ومرسومةً بدعاءٍ يُرْفَعُ ،
وأهْلَتْ هذه الأشهرُ المكرمةُ ، وجبَ على من حضر ، بل كافةً من يضمُّه الثغرُ ،
إخلاصُ الدعاءِ للحضرةِ العاليةِ ، بأن يمدَّ اللهَ عليها ظلاله المسدلةُ ، ويديمَ لهم ما
شملهم من تمامٍ/[١٨٠] المعدلةُ ، وأن يُسْعِدَ أنحاءَها في طاعةِ إمامها ، ويصرفَ
أعداءَها في حكمِ حسامها ، ويثبتَ لها من رأيِ سلطانها ما تستوفي به أقسامَ الفخرِ
جميعاً ، ويزيدَ لها أحداثَ الدهرِ خضوعاً :

فلقد خدمتَ بهمةٍ لا ترتضي إلا سميكَ صاحباً وضجيعاً
والجيشُ [أيقنَ] حين عاد بأنه ألقى بربعك معقلاً وريباً
وردوا غيراً من يمينك ريقاً وشرى محلٌّ في ذراك منيعاً
وسهرتَ دون هجوعهم بعزائمٍ تقضي وطرفٍ لا يذوق هجوعاً
هذا وكم من مارقٍ مرَّفته بيدٍ تُفيضُ مكارماً ونجيعاً

والحمد لله الذي جمع للحضرةِ العاليةِ شرائطَ السؤدد ، وخصَّها بالمجد

وله من رقعة تهنئة :

لقد عجبت أيامنا [حين أبصرت] بها أروعاً زينت بحسن علائق
إذا سهكت أعطافهن تضحكت بمسكين من أفعاله وثنائه
هذا الشهر-أدام الله تمكين الحضرة العالية - مضاه لها في شرف النسب ،
والطهارة من الريب ، والله يكرّر عليها مجازة ما ارتقت فيه ليلة القدر ، وانتشر في
السماء شعاع البدر ، في عز تسكن به الخطوب العرمة ، وتنقض معه الأحداث
المبرمة .

وفي فصل منها : أرواه الله من تسنيم ، وجعله من ورثة جنة النعيم ، يرتع
في رياض الفردوس النضر ﴿ في مقعد صديق عند مليك مقتدر ﴾ (القمر : ٥٥)
بعد ان يفني مدة الزمان عمرا ، ويوسع بنيه نوالاً غمرا ، ويجوز من المحامد ما تتطرز
به أردان الأيام ، وتتقوض فيه هضبات شام .

ومن أخرى في مثله :

أجزل الله بالحضرة الاثرية بركات هذا الشهر الشريف الذي تُقضى فيه
المناسك بالبيت العتيق ، وترد بعده أيام التشريق ، ولا زال يُلقى رحاله ، ويواصل
إلفها بكره وأصاله ، في عز رفيع سماكه ، حاكمة بالبقاء أفلاكه ، ومجد راسية
جباله ، وسعادة مقرطسة [بها] نباله .

إذا انقضت يوماً حبال سعادة غدت مُحصّدت كيف شاءت حباله
يضيء وصرف الدهر داج هلاله ويعرف في قحط السنين انهاله
وجاه نضير لا يخاف ذبوله ولا ينطفي بالعاصفات ذباله
والأرض [في] قبضته يقبض عنها أيدي العوارض ، ويسبغ عليها ملابس
إنعامه الفائض .

ومن أخرى/:(١٨١)

ولو علمَ الطُّرسُ الذي قد حَبَوْتُهُ قلائدَ من دَرِّ الكلامِ المنضدِ
لقاد إليك الشكر حتى تملَّه وحتى يقول السامعون له قد

طلعتُ عليَّ من الحضرة - لا زالتْ نجومُ السعدِ بأفاقها طالعة ، وركائبُ
الحوادثِ عن ساحتها طالعة - رقعةُ كريمةٍ أجلتْ ناظري في سطورها فقلت : سوسنُ
نُثرَ على أقحوان ، أو قلائدُ عنبرٍ نُظِمَتْ في أجياذِ غزلان ، وراودتْ خاطري على بروز
ذلك المرموز فقال : أما تستحي أن تسومني ذلك ، وقد أَثَمَدَتْ الخطوبُ ينبوعي ،
ومحتِ الحادثاتُ ربوعي ، فقلتُ : خيرٌ لا بدَّ من تأمله ، وأمرُ مطاعٍ لا مندوحةَ عن
تقبله .

وله من أخرى :

شهادةُ الخادم - حرس الله أيام الحضرة - شهادةٌ بسعادةٍ مستخدمه، ودلالةٌ
على تواصلٍ فضلِ الله وكرمه، كالأصل إذا زكا أورقت فروعه، والماء إذا استجمَّ
فاضت ينابيعه . وعرفتُ في هذه الساعة وفودَ قادم على عبدها الأمير شبلِ الدولة
يشري من إنعامِ الحضرةِ العاليةِ يده . ويورخ بآيامها الزاهرة مولده ، فشاركتُ
المذكورة في المسرةِ بهذه النعمة . اشتراكنا معاً في الخدمة ، وإني وإياه فيها فرسا
رهان ، أو كالأناملِ ضمَّها اليدان ، والذي له الأسماء الحسنَى يضاعفُ إحسانه
لديها ، ويجعل عواقبَ أمورِها أحسنَ من مبادئها ، حتى يلوذَ الكرمُ بجناها السعيد ،
ويعيشَ الأحرارُ في فضلها كما يعيشُ العبيد .

وله من أخرى :

يا ليتَ أنَّ سوادَ طُرْفِي نائلٌ ما نال من شَرَفٍ سوادُ مدادي
فعساه يطفئ لوعةً مشبوبةً ألقت عصاها في صميمِ فؤادي

وأقول حينئذ : أسعد الله الحضرة السامية بهذا الشهر الميمون ، وشحن صحيفتها بأجر غير ممنون ، ولا زالت الأيام تمرُّ بها جديدةً وترجع عنها بالية ، وهي في أثناء ذلك ضامنة لها عزاً ينشر في الأفق ذوائبه ، ومجداً يحلّي بالقميرين ترائبه ، وسعداً لا تخطيء سهامه ، ولا يُفَضُّ أبداً ختامه ، ورزقاً تعذبُ نطافه ، وتدرّ طولَ الزمانِ أخلافه ، ورضى من الله تعالى يورثُ جنّاتِ النعيم ، ويهدي إلى صراطِ مستقيم .

ولما وصلتُ الى هذا المكان من هذه السطور سلّمتُ إلى تحفة من الحضرة السامية كأنّها لونُ المحبِّ قصيدَ بالهجران ، أو نهودُ الكواعبِ ضُمُختَ بالزعفران ، وحين شممته وجدتُ ذاتَ طيبين : طيبُ الأرومة ، وطيب استفادته من اليد الكريمة ، وأستغفرُ الله ، أين البرُّسُ من الحرير ، والملاّبُ من العبير .

وفي فصل من أخرى :

المكارمُ - أطال الله بقاءَ مولاي الشيخ معمورَ الفناء ، ممتعاً بدوام العزِّ والنعماء - فروضُ مُهْتَبَلات ، ومساعٍ على الدهرِ مُتْجِحات ، وبضائعُ في اكتسابِ الشكرِ مُرْبِحات ، ولم يزلِ الحمدُ أكبرَ تجارته ، وتقليدُ المننِ للأعناقِ أنفَسَ ذخائره ، ومن تدرَّعَ أسبابَ رياسته ، وبهر الألبابَ بياهر فضيلةِ نباهته ، وبذَّ الأضرابَ بكمالِ ورعه ونزاهته ، [وإدنا من قديم فخرِ آبائه ، وطبَّقَ الأرضَ بفيضِ بحرِ عطائه ، وطاولَ بطولِ باعِ مُرُوتِهِ ، وتصدَّرَ بواسعِ صدرِ همّته ، وأصبحَ حليةَ الزمنِ القديم ، وغرّةَ لامعةٍ في وجه الدهرِ البهيم ، عمَّ الأنامَ نفعاً ، وأتى الجميلَ خلقاً وطبعاً ، وتداركَ بقيةَ الأزمانِ المشفية ، وجدَّدَ ما أخلقَ من الآمالِ المتعقّية ، فلا زالتْ قَدَمُهُ محدّوةَ رفاتِ الأعداء ، ويدهُ مضمومة أُرْمَةِ العلاء :

ولا زالَ محروساً من الخطبِ بالغاً الى غايةِ تجري فيقتصرُ المجري
ولا فقدتْ عينُ الرياسةِ شخصه ومَتَّعَ بالتأييدِ والنهي والأمر
وأدركَ من دنياه غايةَ سُؤْلِهِ ونالَ المنى في الآلِ والمالِ والعمر

وقد تعرضتُ لواسع رأفته ، فاستعطفتُ كريمَ عاطفته ، واسترجعتُ فائتَ حظي بمراجعته ، وأعوذُ بالله أن أستنصرَ به على الزمان فيخذلني ، وإلى جوره بعد الاستسلام بعدله فيسلمني ، ويطرحنِي معتمداً من يده ، ويسقطني بالجملة عن عدده ، ويصرفني عن باب تصرفِهِ بالحرمان ، ويدودني عن بحرِ جوده العذب مشتملَ الجوانح على غُلَّةِ الظَّمان ، ومتقدِّمُ المعرفةِ رحم ، والوفاء بالذمم كرم ، وقد ناديتُ من نداه - دام علاه - سميعاً ، وسألتُ منه جواداً لأمرِ الجود مطيعاً ، واستمطرتُ من/ [١٨٢] جوده غماماً غيرَ جهام ، وهزرتُ منه حساماً غيرَ كهام ، ومن أقعدته نكاية الأيام ، أقامته إغاثة الكرام .

ومن شعره

من قال ليس على الثرى مَنْ يَكْمُلُ	قد صار يختلق المحالَ وَيُبْطِلُ
متمحِّلُ فيما حكى مُتَقَوِّلُ	حكمتُ عليه معجزاتك أَنَّهُ
أبداً تحلُّ بحيثُ شئتَ وترحل	لا زلتَ في كَنَفِ السَّعُودِ وظلها
والشمس في أبراجها تنتقل	مثلَ الهلالِ يسيرُ في درجاته
للمجد يُلْتَمُ ركنها ويقبل	أصبحتِ يا دارَ المظفرِ كعبةً
جيدُ الساءِ من الغزالة يعطل	فالشهبُ ليس يُغْمُ مطلعها ولا
أبداً تزان بمجده وتجمَلُ	يا صارمَ الملك الذي أيَّامُهُ
أن الصوارم بالمكارم تصقل	صقلته أيدي المكرماتِ ولم تخل
لم يستصف وينيلُ من لا يسأل	ملكُ طفيليِّ السباح يضيفُ مَنْ
ذهبَ التنازعُ واستبانَ المشكل	مذ ورَّخوا عهدَ المعالي باسمه
لحلا إذا شربَ الزلالَ الحنظل	لو أنَّ مطبوعاً يفارقُ طَبْعَهُ
لهواتها فيعودُ وهو معسَلُ	ولما رأينا النحلَ تقضمُ علقماً

وهذا كقول المعري^١ :

والنخلُ يجني المَرَّ من ثُورِ الربى^٢ فيصيرُ شَهِداً في طريقِ رُضايهِ
يثني الرجالُ على القَتيلِ . بسيفهِ فكأنما يُحْيِي به مَنْ يَقتلُ
وإذا لظى الهِجاءِ لَئِمَ وَجْهُهُ أبصرتهُ تحت القنا يتَظَلُّ
حيثُ المغاويرُ الكَماةُ تَمِيدُ من نشواتٍ ما اعتصر الوُشيجُ الذَبَلُ
خمر تَرى مُهَجَّ الرجالِ دنانِها لكنَّها بالسَـمَـهـريـة تبذلُ
[وَزَعاقُ] ملحٍ لا يسوِّغُ لشارِبِ كدُّ وأنت السلسيلُ السدلُ
يا عادلاً في كُلِّ ما هو فاعِلُ ما بال كَفِّكَ في اللها لا تَعْدِلُ
أَفنى تَلاذَّ يديكَ عِلْمُكَ أَنَّهُ لا يَفْضَلُ الأَقوامَ من لا يُفْضَلُ

القاضي جلال الدولة بن عمار^٣

فصول من رسائله

مرحباً بطليعة السرور ، ومساعدة الدهور ، وبشير النُجَح والبركة في جميع الأمور ، هذه صفةٌ تخصُّ كتاباً وردني من مولاي الأمير - أطل الله بقاءه ، وأدام تأييده ونعماءه - على بُعْدِ عهدٍ بكتبه وأنبيائه ، بمعاندة الزمانِ لي فيه ، إلى أن أحكم أسباب البعدِ بيني وبينه ، مع تقاربِ قلوبنا وامتزاجها في حالي القربِ والبعد ، كما قال الباهلي :

وعاندني فيه ريبُ الزمانِ كأنَّ الزمانَ له عاشق

١ من قصيدة له في جواب شاعر مدحه اسمه محمد بن علي بن محمد أبو الخطاب الجيلي : انظر شروح السقط : ٧٢٠ .

٢ ص : يجني السور ... الوري .

٣ هو القاضي جلال الدولة (أو جلال الملك) أبو الحسن علي بن عمار تولى أمر طرابلس بعد وفاة عمه القاضي أبي طالب ابن عمار سنة ٤٦٤ فضبط البلد أحسن ضبط ، ولما توفي المستنصر الفاطمي (٤٨٧) وانقسم الولاء بين نزار والمستعلي ، كان جلال الدولة في صفِّ نزار ، فلما استتب الأمر للمستعلي قتل القاضي جلال الدولة بن عمار ومن أعانته (ابن الأثير ١٠ : ٧١ ، ٢٣٨)

وإني لأتذكرك وأتذكر أوقات المسرة بقربك ، والأنس بالاجتماع بك ، كما
يتذكر الشيخ الهُم شبابه ، والعاشقُ المفاقرُ أحبابه ، وأرغبُ الى الله في تسهيل أمرِ
تجمعنا كما نحب ، وأدعوه ربي ﴿ عسى ألا أكون بدعاء ربي شقياً ﴾ (مريم: ٤٨)
وما ذلك على الله بعزیز .

نعم سررتُ والله يا مولاي بكتابك وأنستُ بقراءته ، وأوجبتُ حقاً لحامله
وهششتُ والله إليه ، كما قال قيس^١ :

إذا ذُكرتُ ليلي هَشِيتُ لذكرها كما هَشَّ للشَّدي الدَّرورِ وليدُ

وفي فصل :

وأما ما ذكرته من التحركِ إلى جهتنا ، فهلم ، قرب الله دارك ، وأدنى مزارك ،
ورعى الله جواداً يحملك ، وطيبَ ريحاً تُوصلك ، وبارك الله في ليلٍ أُنهارٍ يفتُر عن
لقائك ، وييسمُ عن شهَيِّ مشاهدتك .

وله من أخرى :

وافي كتابك مطوياً على نُزّه^٢ تَنَسَّمَ الحَسَنِ بين السَّمعِ والبَصْرِ
جزلُ المعاني رقيقُ اللفظِ مونه كالماءِ يخرج ينبوعاً من الحجرِ

وصل كتابك يومَ عيدِ النحر فكان عيداً ثانياً ، وصادف أُسَيّ واهياً ، فكان له
مسنداً بانياً ، فارتحتُ له ارتياحَ الروضِ للمطر ، ولم أملَ بتكريرِ قراءته وهل تملُّ عينُ
من النظر ، فكم من معنىٍ بديع ، ولفظٍ مُحْكَمٍ صنيع ، وبراعةٍ أتى بها [قلمه]
شرعاً ، وبلاغيةً جاش بها بحرُه طبعاً لا تطبعاً ، « وليس بمنكرٍ سبقُ الجوادِ » ولا
بمتدعٍ جودُ العهاد ، وأما النظمُ فنظمَ صفاتِ الإحسان ، واستدعى نوافج

١ لم يرد في ديوان قيس (مجنون ليلي) .

٢ ص ، وإفاني ... برة .

الاستحسان ، وأما النثر ، فأبهى من منثور الزُّهر ، وأعلى قدراً من الدرّ والجوهر ؛
ولقد هزّنتني إلى لقاء مولاي لواعجُ شوقٍ تالد ، وبواعثُ وجدٍ خالد ، ودواعي أسفٍ
متضرم ، لم يُخلِّقِ البعدُ جديده ، ولا أذوى طولُ العهد عودَهُ ، ولا أنسى تقلُّبُ
الأحوالِ جهوده ، ولا نقضُ مرورِ الأيامِ مرائره ، ولا كدّرُ تكدُّرِ العيش / [١٨٣]
سرائره .

.....

[المجيد بن أبي الشخاء العسقلاني]^٢

.....

... الجاذبُ أشطائه ، وإنّما هو الآن يُرْخي حتى يجذب ، ويجمعُ لكي يشبّ .

وله من أخرى :

المودّاتُ إذا كانت متينةً العقود ، صادقةً المشهود ، موضوعةً على أصلٍ
عريق ، وأساسٍ وثيق ، لم تُجْزعْها^٣ الشُّبهةُ المُرْمِضةُ ، ولم تُزلزلها الأباطيلُ^٤

١ سقطت هنا - فيما أعتقد - صفحة - ضاعت بها بقية ترجمة جلال الدولة ابن عمار وأول ترجمة المجيد بن أبي الشخاء .

٢ هو الحسن بن محمد بن عبد الصمد بن أبي الشخاء أبو علي العسقلاني (ياقوت ٩ : ١٥٢) والحسن بن عبد الصمد (ابن خلكان ٢ : ٨٩) وقد أشار كلاهما إلى ترجمته في الذخيرة وأثبت ياقوت نقلاً عن ابن بسام أنه توفي سنة ٤٨٢ (وقع خطأ في الطبعة المصرية من معجم الأدباء : ٤٣٢) وكان يلقب بالمجيد ذي الفضيلتين ويقال إن القاضي الفاضل استمد من رسائله ؛ وذكره العماد في الخريدة في العسقلانيين في القسم التابع لشعراء مصر الورقة : ١٤ (نسخة باريس رقم : ٣٣٢٨) فقال : « مجيد كنعته ، قادر على ابتداع الكلام ونحته ، له الخطب البديعة ، والملح الصنيعة ، وكان قبل عصرنا في أيام الأقيس سنة سبعين وأربعمائة » وذكر العماد أنه رأى ديوانه عند صديق له بدمشق ؛ وللمجيد مختارات من شعره في الخريدة وجمموعة من رسائله وخطبه في الریحان والریعان وفي جمهرة الاسلام ذات النثر والنظام ؛ وقال ياقوت إن أكثر رسائله إخوانيات وأورد جملة منها ؛ وجعل المقرئ وفاته سنة ٤٨٦ (اعطاء ٢ : ٣٢٨)

٣ تجزعها : تدخل عليها الجزع .

٤ ص : الأباطيل ؛ وجمع باطل عند سيبويه « أباطيل » ، وعند غيره أن أباطيل جمع أبطولة ؛ وقد تردّ « أباطيل » إلى « أباطل » لحاجة الشاعر ، ولا ضرورة لذلك هنا .

المعتزلة ، وإن تناقلتها ألسنٌ مختلفة ، وعلَّتها برودٌ من اللفظ مُقَوِّفة ، ولما رأيتُ زيارةً مولاي قد صارت مُرَقَّعة ، وَجَنُوبٌ^١ مودَّته قد عادتُ مُرَوَّعة ، وصرتُ أرى قَوْلَهُ متناقضاً ، وماءَ البِشْرِ من وجهه غائضاً ، من بعد ما عهدتُهُ^٢ :

تبني طلاقَةً وجهه عن وجهه^٣ فتكاد تلقى النُّجَحَ قبل لقائه
وضياء وجهه لو تأملَهُ امرؤٌ صادي الجوانح لارتوى من مائه
لم أنجاسرُ على سؤاله عن العلة خوفاً أن يعيبَ عليَّ الارتبابَ بوجهه ، وتطرُقَ
سوءَ الظنِّ على عهده ، فسألتُ من يعلمُ دفايته ، ويخبرُ ظاهره وباطنه ، فأخبرني أنَّ
بعضَ الناسِ - ولم يُسمِّه - نقلَ إليه عني ، فشنَّ الغارة على وفائه ، وزلزلَ أواخي
ودَّه وإخائه ، فقلتُ : عتبٌ والله ولا ذنب ، وشكايَةٌ ولا نكايَةٌ ، وأنا أحاكمُ مولاي
إلى إنصافِهِ لا إسعافِهِ ، وعدليه لا فضليه ، وما كان أجدرُهُ برفضِ قولِ الماحلِّ^٤ ،
وتغليبِ الحقِّ على الباطل ، ولا يرى نفسه بصورة مَنْ تَسْتَخِفُّ حصاةُ الريحِ
الخافقة ، وتشعثُ من مودَّته الأقوالُ الماذقة . ولو انتقضتُ عندي المعاهد ، وقامت
عليَّ - وأعوذُ بالله - الشواهد ، لكان مولاي حريّاً أن يجري في كرم اللقائِ على
العادة ، ويتأدَّبَ بقولِ أبي عبادة^٥ :

أَبَيْتُ عَلَى الْخَلَّانِ إِلَّا تَحْنِيّاً يَلِينُ لَهُمْ قَلْبِي^٦ وَيَصِفُوهُمْ شَرُّبِي
وَإِنِّي لِأَسْتَبْقِيَ الصَّدِيقَ إِذَا نَبَا عَلَيَّ وَأَهْنَا مِنْ خِلَاتِقِهِ الْجُرْبِ^٧

١ ص : وشيوب ؛ وتقول العرب للاتنين إذا كان متصافيين ريحهما جنوب ، قال الشاعر :

لعمري لئن ربح المودة أصبحت شهلاً لقد بدلت وهي جنوب

٢ ورد البيتان التاليان في الخريدة : ١٥

٣ الخريدة : وده .

٤ ص : لاسعافه

٥ ص : القول الماجل ؛ والماحل : الساعي ، ومحل به : كاده بسعاية الى السلطان .

٦ هو البحرني ؛ والبيتان في ديوانه : ١٠٥

٧ الديوان : عطفي .

٨ أهنا : مخفف من أهنا أي أطلي بالقطران .

والآن فقد أَوْضَعْتُ وَأَوْجَفْتُ ، وتَأَلَّفْتُ مولاي واستعطفْتُ ، فان عادتُ ظلالُ
وَدَهْ مديدة ، وحبالُ كَرَمِهِ مَحْصُوفَةٌ جديدة ، فَحَسَنُ بتلك الشائِل ، أن تجمع شَمْلَ
الفضائل ؛ وإن تَمَادَى على هذه الهجرة ، ولم يَصُحْ من نَشَوَاتِ تلك السُّكْرَةِ .
فما ذاك من ذَنْبٍ عَلَيَّ اجْتَرَمْتُهُ إِلَيْهِ فيجزيني به حيثُ أَعْلَمُ
ولكنَّ إنساناً إذا ملَّ صاحباً وحاول صَرْمًا لم يزل يتجرَّم
والله جَلَّتْ قدرُهُ يجعلُ حفظ المودَةِ عنده أوجبَ الحَقِيقِ ، وأنفعَ العَلَقِيقِ ،
ويرفعُهُ عن السَّمَةِ بنقضِ المرائر ، وحليَةِ الجائرِ الغادر .

وسافر بعضُ أخوانه فَشَغِلَ عن وداعه فكتب إليهِ : ما أَخْرَنِي عن خِدْمَةِ
مولاي بالوداع أَنِّي متَأَخَّرُ في حَلْبَةِ ولانته، ولا عَارٍ من ملابس إخوانه وآلانه، ولوددتُ
لو صحبتُ رَكابَهُ السَّعِيدَ إلى الصَّعِيدِ ، وقطعتُ معه عَرْضَ المَهْمَةِ البعيدِ ، وَزَوَّدْتُ
من مجاورته قلباً معموراً بَوَدِهِ ، وَمِنْ مشاهدته طَرْفًا لا صَبْرَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ . وإنما حِزْنِي
أَمْرانِ كُلُّ منهما يَهْدِي العَذْرَ وَيَبْسُطُهُ ، [ويمحو] ^١ الذَنْبَ وَيَحْبِطُهُ ، وهو شغلي في إنشاء
التقليد [العلي] ^٢ وتحريره ، وفعل ما أَمَرْتُ به الحضرة السامية وتقريره ، ثم خوفي أن
أرى مولاي وقد حلَّ انطلاقه ، وأسمع [أن قد حان فراقه] ، وَتَعَقَّ غرابُ بَيْنِهِ فَقَضَّ
أضلعاً ، وأفاض نفوساً وأدمعاً ، فضعفتُ عن مشاهدة ذلك المقام ، وقصرت [عن
تحمل ذلك] الداءِ العُقَامِ ، وظللتُ أَشِيدُ ، والدموعُ هُمُحٌ ، والفؤادُ مُصَدَّعٌ :

وأخرنِي يومَ انطلاكَكَ أن أرى على جِمراتِ البينِ [قلبي يُلْدَغُ]
فؤادٌ إذا قِيلَ الفراقُ تساقطتْ خُفُوقاً أواخي صَبْرُهُ تتقطعُ

١ ص : مقصوفة ؛ والحبل المحصوف أو المحصف هو المحكم القتل .

٢ بياض في ص .

٣ ما يرد بين معقفين حتى آخر القطعة سببه عدم ظهور الكلمات في أواخر الأسطر ، في هذه الصفحة .

٤ ص : وأخبرني ، ولعلها أن تقرأ أيضاً « وأخبرني »

٥ صبره : قراءة تقديرية ، وصورة الكلمة في الأصل تشبه « هزة » .

وإنسي صليبُ العودِ في كلِّ حادثٍ ولكنَّ أعوادي [لنأيكَ خِرْوَع]

وإذا استنقذَ البينُ هذه النوبة ، وخفقتُ بمشيئةِ اللهِ رياحُ الأوبة ،
وهبتُ وجهي للشحوب ، وجسمي للنَّصَبِ واللغوب ، وهتمتُ ثنايا الأرضِ إيضاعاً
وإرقالاً ، وجعلتُ مسافةَ اللقاءِ لمسافةِ الوداعِ أميالاً ، وأطلتُ شكرَ الزمانِ على ما
يجدُّه لي من مسرَّةٍ قد خلَّعتُ بردها ، واستطلتُ عهدَها ، وأنشدتُ :

طربتُ وقد جاءَ البشيرُ بقربكم وذو الشوقِ عندَ أسمِ الحبيبِ طروبُ
وقمتُ إليه راشفاً من ترابه ثرىً لك يجلو رَشْفُهُ ويطيبُ
وما يَبْعُدُ ذلكَ في قدرةِ الله الذي يُخْرِجُ من الشجرِ الأخضرِ جذوةَ نار ، ويهبُ
القمرَ كمالاً بعدَ نقصٍ وسرار .

وله من أخرى/[١٨٤] يعاتبُ بعضَ القواد :

رأيتُ فلاناً^٢ عندَ نظرتِهِ لي بالأمسِ قد قَطَّبَ حاجبَهُ ، وزعزعَ مناكبَهُ ، وأوسعَ
الغلامِ من [...] ذيلِ كمِّهِ ؛ فقلتُ : ماله ؟ أنزِلَ إليه وحيً ، أم عُصِبَ به أمرُ
ونهيٌ ، أم حصلَ من الخلافةِ على وَعْدٍ ، أم أنسى له الأجلُ مُدَّةَ العهدِ ، أم قلَّ
عَقْلُهُ فعقَّ نفسَهُ وظلمها ، وجهلَ مقاديرَ الأشياءِ وقيمها ، واعتقدَ أنَّ الدنيا طوعُ
حكمه ، والقطرُ صائبُ فهمه ، أم رأى الملائكةَ المقرَّبينَ تتشفَّعُ به ، والحوارِ العينِ
تشكو لا عَجَ حَبِّهِ ، وثارَ الجنَّةِ تدلتُ إلى يده ، ونارَ جهنمِ تقتبسُ من زنده ، والكوثرُ
يُدُّ من مَعِينِهِ ، والسمواتِ مطوياتٍ بيمينِهِ ، والبراقُ قد أَمْتَطِيَّ لحضرته ، والفراقُ
[...] قوَّتِهِ ، فأجبتُ بأنَّ شيطانَ ظنِّي ماردٌ ، وتصوِّري فيه - أعزه الله - فاسدٌ ، ولا
حقيقةَ لشيءٍ مما توهمته ، وسددته من القولِ وأقمته ، فقلتُ : إذا لم يكن ذاكَ فما

١ الشق الأيمن من هذه الصفحة أكثره مطموس . ولذلك تعذرت قراءة بعض العبارات ، كما أن بعض القراءات المشبهة
مما لا أقطع بصحته .

٢ ص : فلان .

ذلك ؟ قيل : سَفَهُ في الرأي وأفَن ، وتغيَّر في الطينة وَعَفَن ، ظن أن الأحرارَ مِلْكُ عَهْدته ، والعالمَ مجموعُ في بُرْدَتِهِ ، فحين سمعتُ ذلك أَخَذَتْنِي لمولاي الحميةُ ، وهزَّت رأسي الأريحيةَ وقلتُ : معاذَ الله ، إنَّ دونه في الحِصَاةِ^١ والكيسِ بطليموس ، وفي الحكمةِ ارسطاليس^٢ ، وإن الحكمةَ تُسْتَنْجَحُ من ظنِّه ، والغيثُ يَرشَحُ من شَنِّه ﴿ من ذا الذي يشفع عنده إلا بأذنه ﴾ [البقرة : ٢٥٥] وإنه بحمدِ الله كما قيل :

خِرْقُ إذا أَفْضَى السَّاطُ به كَثَرَ العِثَارُ وطَبَّقَ الزَّلُّ
وإذا السَّرِيرُ سَمَا بقَعْدته غَرِيَتْ بظَاهِر كفه القُبْلُ

فهنالك سكنتِ الألسنُ الهادرة ، ووقفتِ المَرَادَةُ^٣ الغادرة ، وعاد مَنْ حَضَرَ يُثْنِي على مولاي ويقرِّطُهُ ، ويحملُ من شكره ما يؤوده ويبهظه^٤ ، فإن كانت هذه الوكالةُ واقعةً منه بالوفاق ، فيجعلُ ثوابي عليها انحلالَ العقدةِ من جبينه ، وزوالَ التمارضِ من جفونه ، وخفضَ الإصبعِ من سلامه ، وتركَ النزوةَ على غلامه^٥ .

وله من أخرى في مثله :

أرى^٦ سلامَ سَيِّدي قد تقاصرَ طويلُهُ ، وروضَ جَوْهٍ قد زاد ذبولُهُ ، وماءَ بشرِهِ
قد غاضتْ بحورُهُ ، ونشاطَ لقائه قد استمرَّ فتوره ، وما عهدتُهُ - أعزَّهُ الله - تزدهيه
الشبهة وتستخفُّهُ ، وتصدُّهُ عن كَرَمِ العهدِ وتكفُّهُ ، وينزلُ المِينُ من سمعِهِ بالمكانِ
المهيِّب ، ومن قلبه بالقابلِ المستجيب ، بل هو يَرْحُبُ إذا حَرَجَ المضيق ، ويرطبُ وقد
عَصَبَ الريق ، وتمرُّ به المُحْفِظَاتُ وهو راضٍ ، وتوقظُهُ المغايظُ وهو متغاضٍ .

١ الحِصَاة : العقل والرزانة .

٢ ص : ارسطاليس

٣ ص : المودة ؛ والمرادة : العتو والتمرد .

٤ ص : وينهضه

٥ ص : أعلامه .

٦ ص : أي

إذا أمرته مرةً من حفاظِهِ بسوءِ نهائِهِ خُلِقَهُ الباردُ العذبُ
فما الذي أعادَ فَلَقَهُ غاسقاً ، وصريحهُ ماذقاً ، فان يكُ عن مللٍ فؤادِهِ ،
وتشعبٍ وداده :

فكم أخِ غيَرِهِ يومِي السَّـمَقْبَلُ عن أُمِّي به الذاهِبِ
ملٌ فلم يعطفَ لبَّ الصبا السَّـحاني ولا حقَّ العلا الواجبِ
واستقرَّت الوزارةُ لبعضِ أصحابِهِ ثم توقف الأمرُ بعدُ فيها فكتب إليه :
الخيرةُ - أطال الله بقاءَ سيدنا - تجيءُ من غيرِ الأمرِ المختارِ ، وهي [مخبوءةٌ تحتِ
أستارِ الأقدارِ ، فكم سببِ اجتماعتِ فيه شوارِدُ الآمالِ ، ولبسَ ظاهرُهُ مسحةً من
الجمالِ ، كان المكروهُ منظوماً في تاجِهِ ، منظوياً في أثنائِهِ وأدراجِهِ ، وآخرَ ظهِرٍ للناسِ
بلونِ شاحبٍ ، ووجهٍ قاطبٍ ، كان ضامناً لابتسامِ الزمنِ ، وكافلاً بالأجلِ
الأحسنِ ، وبهذا أدبُ تعالى عباده ، وقال في الكتابِ المكنونِ ﴿وعسى أن تُكْرَهُوا
شيئاً وهو خيرٌ لكم ، وعسى أن تُحِبُّوا شيئاً وهو شرُّ لكم واللهُ يعلمُ وأنتم لا تعلمون﴾
(البقرة : ٢١٦) فلمح أبو عبادة هذا الأسلوبَ فقال في معناه ٢ :

والشيءُ مُنْعَهُ يكونُ بفوته ٣ أحظى ٤ من الشيء الذي تُعْطَاهُ
وإذا تُصَفِّحَتِ الأمورُ بعينِ البصيرةِ ، ونُظِرَتِ بالخواطرِ المستنيرةِ ، ونُفِذَتِ
بالألْبَابِ الصِّيرْفِيَّةِ لا الرَّائِفِيَّةِ ، عُلِمَ أن هذه الرتبةَ زليقةُ الصراطِ ، سريعةُ
الانحطاطِ ، يعلو الإنسانُ صهوتها ثم هو بعدُ راجلٌ ، ويتحلَّى بها وقتاً ثم هو مسلوبٌ

١ ص : ملكه .

٢ ديوان البحري : ٢٤٠٣ وقبل البيت .

هفأً وليس العيش ما تنساه
فما أرت لرجوت ما أخشاه

والعيش ما فارقه فذكرته
ولو أنسي أعطني التجارب حقها

٣ ص : يمنعه يكون بقرينه ، والتصويب عن الديوان .

٤ الديوان : أجدى .

عاطل ، وما لم يُوسَمَ بها فالخططُ تعتقبهُ ، والمنازل ترتقبهُ ؛ أجلٌ ، وهذه الدرجةُ كلما
خبرت الأقيامُ ، وتمادتِ الأيامُ^١ ، غاضَ معينها ، وزاد حينها ، فمنها الكمدُ ، ومن
سيدنا الصَّيْدُ ، ومنها الكَلَفُ ، ومنه / [١٨٥] التَّيَهُ والصِّلَفُ ، حتى إذا نَغَلَ الأديمُ ،
ورُعِيَ الهشيمُ^٢ ، وتشاقتِ^٣ الخططُ ، وجار الحكمُ وقَسَطَ ، دُعِيَ سيدنا لِشَغَبِ
المنصدع ، ووَصَلَ المنقطع ، وإيجادِ الممتنع ، فهناك يَقُومُ بالأمر ، ويسهل الحَزَنُ
والوعر :

مُبَارَكُ تَطَرَّدُ اللَّوَاءَ رُؤْيَتُهُ طَرَدَ الظَّلامِ فَرَنَدَ البُلْجَةِ الواري^٤
وزِيرُ مُلْكٍ خَلَّتْ^٥ فِي عَدَلِ سِيرَتِهِ صَحِيفَةُ الْمَلِكِ مِنْ إِثْمٍ وَأَوْزَارِ
يَذُبُّ عَنْهُ وَقَدْ رِبَعَتْ جَوَانِبُهُ بِرَأْيِهِ الْمَكْتَسِي أَوْ سَيْفِهِ الْعَارِي

وكان يوماً المجيدُ بمجلسِ الأُنْسِ ، ودَعَا بعضَ أصحابِ القلانس فلم يحضِرْ
لأجلِ الغِنَاءِ فكتب إليه : عَجِبْتُ لمولاي كيف أَسْنَدَ في التَخَلُّفِ إلى عذرٍ هَلْهَالِ ،
وسلكَ طريقاً صعبةَ المجال ، وجعل المانعَ له من الحضورِ أمراً يَقْوِي على الهمومِ ،
وَيَقْوَتُ النفوسَ فكيف الجسومِ ، ويمتزجُ بالقلبِ امتزاجُ تاموره ، وَيُطْلِقُ شكائِمَ
بهجتهِ وسروره ، فان يكُ ذلكَ لدينٍ وثيقٍ ، وَخُلِقَ بالتقوى خَلِيقٌ ، فما بلغ مولاي
من حِفْظِ الشريعةِ إلى هذه الرتبةِ ، ولا وُضِعَ قَدْرُهُ بعدُ على هذه الهَضْبَةِ^٦ . وإنما هو

١ ص : الأنام .

٢ نغل الأديم : فسد الجلد ؛ ورعي الهشيم : مثل على اللجوء إلى غير ذي الكفاية لعدم وجود من هو كفؤ ، كما قال الشاعر :

ولكن البلاد إذا اقشعرت وصوح نبتها رعي الهشيم

٣ ص : وساقت .

٤ ص : منازل .

٥ فيه قلب ، إذ حقه أن يكون طرد فرند البلجة الواري للظلام .

٦ ص : جلت .

٧ كناية عن أنه لم يصبح بعد مشهوراً .

الآن يُحْكِمُ أَمْرًا ، ويصيد بها إذا تعَقَلَ عمرًا^١ . وإن كان لَخُوفٍ^٢ من ثَقِيل ، وحذرٍ من غُلُول ، فما كان هناك إِلَّا مَنْ يَفْرُقُ السَّوَرَةَ^٣ ، ويستُرُ العَوْرَةَ^٤ ، فان حضر طُويَ هذا البساط ، وتَوَفَّرَتْ للمسرَّةِ أقبساط ، وإن تَفَادَم وتَغَاتَم دَلَكُ^٥ عليه شرحُ أمورٍ قديمة ، وظهورُ أنباء مكتومة ، وجاءنا من حديثِ البستانِ الحيرِيِّ ما يَغُضُّ من الطيَالِسِ والقِلَانِس ، ويُثْنِي يومَ الغبراء وداحس .

وله من أخرى في مثله :

لما هجر مولاي مجالسنا في الجامع وأوحَشَها^٥ ، وأطَالَ إليه ظمًا النفوس وعَطَشَها ، وأخلى مكانَهُ من طلعتهِ التي تُطْلِعُ علينا من السَّرِّ ما غَرِب ، وتَوَسَّسنا بغرائبِ الأنسِ والطَّرب ، وتصَرَّفَ فكري في ما اقتضى ذلك فلم أَعَثُرْ على أمرٍ عاذر ، ولا ظفرتُ بسببٍ ناصر ، ذهب وهمي إلى أنه استحدث ودوداً ، واستطرفَ [خِلاً] جديداً ، فتركَ هذا الأناجى حتى يَنْقَعُ أَوَامُهُ ، ويَبْرَدَ غَرَامُهُ ، وحين ثَوَّتْ هذه الظَّنَّةُ في نفسي أَفْذَتُ فلاناً لاستيضاح الخبر ، فحكى أنه الفى مولاي في الطبقة الدهيشية^(٩) فَدَهِشَ لما رآه من مجلسٍ حسنٍ ، ومقامٍ صَبَوحٍ وَفَتَنٍ ، وأمورٍ بديعة ، وأحوالٍ وسيعة ، وفاكهةٍ لا مقطوعةٍ ولا ممنوعة ، وظبيٍ قد كَحَلَ بالسَّحْرِ لَحَظَاتِهِ ، وأطلقَ العقاربَ على وَجَنَاتِهِ ، ونظم السلوكَ في ثغره ، وأُنْبِتَ ثَمَرَ الصَّبَا في صدره ، يدير على مولاي كأساً :

إذا أَخَذَتْ أطرافُهُ من بحورها رَأَيْتَ اللّجِينَ بالمدام يُدْهَبُ

١ ص : إذا لفعل ؛ ولعلَّ معناه : إنه يدير خبطةً لنيل منزلةٍ يصبح بها عمرو رغم دهائه دونه . ولفظة « يصيد » قد تقرأ « يصير » ، رغم وضوح الدال في الأصل .

٢ ص : للخوف .

٣ يعني يتجنب سورة السكر ، أي لا يعرب ؛ وفي ص : لعدف السررة .

٤ ص : إن تعادم وتغاتم وذلك : التفادم : التظاهر بالفدامة ، والتغاتم : التظاهر بالفتمة أي العجمة .

٥ ص : وأوحشنا .

٦ ص : هذه الأيام .

كَأَنَّ بِخَدْيِهِ الَّذِي جَاءَ حَامِلاً بِكَفِّهِ مِنْ نَاجِدِهَا [بَات] يُقْطَبُ

فَطَفَقْتُ مُتَعَجِّباً لِمَا وَصَفَهُ الْمَخْبِرُ ، وَحَمْدُ [ت] اللَّهِ عَلَى صِدْقِ الْحَسِّ وَالتَّقْدِيرِ ،
وَعَذَرْتُ مُوَلَايَ فِي التَّخَلُّفِ عَنِ الْجَامِعِ ، وَاسْتِيفَاءِ التَّهْلَةِ مِنْ هَذِهِ الْمَشَارِعِ ، وَأَوْسَعْتُهُ
مَلَاماً عَلَى التَّفَرُّدِ بِهَذِهِ الْحَسَنَةِ ، وَالْفَاحِشَةِ الْمُتَبَيِّنَةِ ، دُونَ الشَّيْخِ أَبِي الْحَسَنِ ، الَّذِي
يُنْحَازُ فِي فِعْلِهِ الْحَسَنَ ، وَيُضِلُّ فِي أَذْنَى ذَلِكَ السَّنَنِ ، اللَّهُمَّ إِلَّا أَنْ يَكُونَ خَافَ أَنْ
يَجْرِيَ هَذَا الصَّدِيقُ عَلَى طَاعَةِ شَيْطَانِهِ ، وَالْبَذَاءِ عَلَى إِخْوَانِهِ ، وَالتَّدْحَرِجِ عَنْ
مَوْضِعِهِ وَمَكَانِهِ ، لِيَتَأَبَّطَ فِي اللَّيْلِ شَرّاً ، وَيَسِيرَ إِلَى حَيْثُ تَسْكُنُ الْغَزْلَانُ سِرّاً ، وَقَدْ
قَرَّتْ أَعْضَاؤُهُمْ نَوْمًا وَسُكْرًا ؛ وَمَعَ هَذَا فَأَوْثَرُ مِنْ مُوَلَايَ أَنْ يُقْبَلَ عَلَى شَانِهِ ، وَيُخَفِّضَ
قَلِيلاً مِنْ عِنَانِهِ ، فَإِنَّ الْجَاهَ صَدْعُهُ لَا يُجْبَرُ ، وَالْمَلْقَى بِيَدِهِ إِلَى التَّهْلُكَةِ لَا يُعْذَرُ ، وَقَدْ
شَبَبْنَا عَنْ هَذِهِ الْحَالِ ، فَيَحْسَنُ الْمَتَابَ ، وَيَسْمَحُ بِرَدِّ الْجَوَابِ ١ .

وله من أخرى :

لَوْ رَأَيْتُ مُوَلَايَ وَقَدْ أُرْشِفَتْ الْخَمْرَةُ فَوَجَدْتَهَا مَرَارَةً تُدَمُّ وَلَا تُحَمَّدُ ، وَتَشِيرُ كَامِنَ
الْحُزْنِ وَالْكَمَدِ ، وَتَصَفِّحُ النَّدَامَ فَعَدَمْتُ مِنْهُمْ أَنْسَاءً عَنِ النَّازِلِ دُونَ الْخَاطِرِ ، وَعَدَمْتُ
تِلْكَ الْمَحَامِدَ وَالْمَآثِرَ . فَأَمَّا الْمَاءُ فَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي اتَّجَرَعْتُهُ وَلَا أَكَادُ أَسْبِغُهُ شَوْقاً إِلَى تِلْكَ
الْخِلَالِ الَّتِي هِيَ أَنْقَى مِنْهُ أَدِيمًا ، وَأَرْقُ نَسِيمًا ، وَأَمْسِكُ لِلنَّفُوسِ رَمَقًا ، وَأَكْثَرُ لَذْوِي ٢
الْحَاجَاتِ تَدْفِقًا :

خِلَافُ : إِمَّا مَاءُ كَرَمٍ ٣ تَرْقُرُقَا أَغَادَى بِهِ أَوْ مَاءُ مُزْنٍ تَصَفَّقَا
كَأَنَّ الصَّبَا جَرَّتْ عَلَيْهِ ذِيوَلَهَا أَصِيلاً وَفَارَّ الْمَسْكُ عَنْهَا تَفْتَقَا

١ ص : وَقُلْ شَيْئاً مِنْ هَذِهِ الْحَالِ .. وَيَسْمَحُ بِرَبِّ الْحَرَابِ .

٢ ص : ذَوِي .

٣ ص : إِمَّا مَاؤُكُمْ .

٤ ص : مَوْتِ .

وأما إرتياحي إلى الموالي السادة - حَرَسَ الله مُدَدَهُمْ ، وَكَثُرَ بِسَاحَةِ المَكَارِمِ عَدَدَهُمْ - فإرتياحُ مَنْ رَحَلَ وَتَرَكَ قَلْبُهُ عِنْدَهُمْ ، وَإِنِّي وَإِيَاهُمْ لِكَمَا قَالَ [الأول] :
 لَمْ أَلَقَ بَعْدَهُمْ قَوْمًا فَأَخْبِرَهُمْ إِلَّا يَزِيدُهُمْ حَبًّا إِلَى هُمْ
 وعلى القاضي السيد منهم السلام [١٨٦] خصوصاً ، لآتي أعلم عن صورة
 حاله في هذا الشهر ، واحتباس يده عن كأسٍ يجلبها ، وفمه عن قبلةٍ يسئلبها ،
 وقدمه من الحانة الخمرية ، وزيارة الغيد الحورية ، فإذا حَلَّتْ بِمَشِينَةِ الله أَنْشُوطَةُ هذا
 العِقَالِ ، وَأُطْلِعَ الله سُبْحَانَهُ عَلَيْهِ هَلَالَ شَوَالٍ ، فَأَنَسَ وَسَطُ القَوْمِ ، وَأَخَذَ بِثَأْرِهِ مِنْ
 أَيَّامِ الصُّومِ ، فَلْيَذْكُرْ هُنَاكَ صَدِيقًا لَمْ يَنْسَهُ وَقَدْ ضَرَبَ الْبَيْنُ رَوَاقَهُ ، وَأَطَالَ الْفِرَاقُ
 اعْتِيَاقَهُ . وَأَوْمِلْ مِنْ الله تَعَالَى أَنْ يَسْهَلَ مِنْ قُرْبِ الدَّارِ مَا يُعِيدُ سَبِيلَكَ الْمَسْرَةَ
 مَنْظُومًا ، وَالشَّمْلَ بِحَضْرَتِهِ السَّامِيَةِ مَلْمُومًا ، فَهِيَ الْحَضْرَةُ : تَهْبُ مِنْهَا رِيَّاحُ الْعَلَاءِ ،
 وَتَحْطُّ بِهَا حَقَائِبُ الْمَدْحِ وَالثَّنَاءِ ، وَتُبْدِعُ فِي إِسْدَاءِ الْمِنَحِ وَالْآلَاءِ .

والبيت الذي أنشده لزياد بن منقذ الحنظلي أخي المزار العدوي .
 قال ابن بسام^٢ : وأراه أَوَّلَ مَنْ اسْتَنَارَ مَعْنَاهُ ، وَمِنْهُ قَوْلُ الْآخِرِ مَا أَنْشَدَهُ

١ سيذكر ابن بسام في مايلي أن قائل هذا البيت هو زياد بن منقذ الحنظلي أخو المزار العدوي ؛ ونسبه البغدادي في
 الخزائن (٢ : ٣٩٤) إلى المزار نفسه ، وروايته :

وما أصحاب من قوم فاذا ذكرهم
 إلا يزيدهم حباً إليهم
 وزعم المصري أن المزار هو نفسه زياد بن منقذ ، ونقل ذلك البغدادي عنه (٢ : ٣٩٥) ، وجاء في بعض أصول زهر
 الآداب أنه أخو المزار ، حسبما ذكر ابن بسام ، وروى البيت كما جاء في الذخيرة (انظر زهر الآداب : ١٠٦٤) قال
 البغدادي (٢ : ٣٩٦) وزعم أبو تمام في الحماسة أن القصيدة التي منها البيت لزياد بن حمل بن سعيد بن عميرة
 (الحماسة رقم : ٥٧٧) وزعم الاصفهاني في الاغانى (١٠ : ٣٣٠) والخالديان في شرح ديوان مسلم ابن الوليد
 أن هذه القصيدة للمزار بن سعيد الفقعسي ، والصواب انها لزياد بن منقذ العدوي ، قاله ياقوت في معجم البلدان
 (مادة : صنعاء) قلت : ما ذكره عن الحماسة ثابت عند التبريزي ، وفي شرح المروزقي : قال زياد بن حمل ،
 وقيل زياد بن منقذ ، وكذلك هو عند البكري ، في شرح الأمالي : ٧٠ ، وانظر العيني : ٢٥٧ وشرح شواهد
 المغني : ٤٩ وحاشية البكري : ٧٠ ؛ وكان من مناسبة القصيدة أن زياد بن منقذ رحل الى صنعاء فلم يحمدها ،
 فقال ذلك الشعر يذمها ويشوق الى وطنه .

٢ يعتمد ابن بسام في اكثر هذا التعليق على زهر الآداب : ١٠٦٤ - ١٠٦٥ .

حبيب في حماسته ، ويزعم دعبل أن هذا الشعر له^١ :

ولما أبى إلا جاحاً فؤاده ولم يسأل عن ليلى بمالٍ ولا أهلٍ
تسلى بأخرى غيرها فاذا التي تسلى بها تُغري بليلى ولا تُسلي
وكان^٢ ابن عرارة^٣ السعدي مع سلم بن زياد بخراسان ، وكان له مكرماً ،
فتركه وصحب غيره فلم يحمداً أمره ، فرجع إليه وقال^٤ :

عتبتُ على سلمٍ فلما فقدته وجربتُ أقواماً بكيْتُ على سلمٍ
رجعتُ إليه بعد تجريب غيره فكان كبيراً بعد طولٍ من السقم
وأُشيد المبرد^٥ :

أُخ لي عاداه الزمانُ فأصبحتُ مذممةً فيما لديه المطالبُ
متى ما تُدَوِّقُهُ التجاربُ صاحباً من الناسِ تردُّدُهُ إليك التجاربُ
وأُشيد أيضاً^٦ :

حياةُ أبي العباس^٧ زين لقومه لكلِّ امرئٍ قاسى الأمور وجرباً
ونعتبُ أحياناً عليه ولو مضى لكنا على الباقي من الناسِ أعتبا

١ الحماسية رقم : ٤٩٧ (١٢٩٢) في شرح المرزوقي ؛ وشرح المصنوع : ٢٤٩ والزهرة : ٣٤ وأمالى القالي : ١ : ٢١٠
والحماسة البصرية : ٢ : ١٧٣ وديوان ابن الدمينية : ٩٤ والآل في شرح الأمالى : ٥٠٢ (للحسين بن مطير)
وديوان دعبل (تحقيق الأشر) : ٣١٩ وديوان الحسين بن مطير (جمع محسن غياض) : ٧٠ وفي المصدرين
الآخرين تخريجات أخرى .

٢ النقل عن زهر الآداب : ١٠٦٤

٣ زهر الآداب : ابن أبي عرادة .

٤ هما في زهر الآداب ، والأول منها في عيون الأخبار : ٤ : ٤ : لنهار بن توسة ، واعتاب الكتاب ، ١٧١ (دون نسبة)
والمستطرف : ١ : ٢٢٣ لابن عرارة ؛ وبهجة المجالس : ١ : ٦٥٧ (دون نسبة)

٥ زهر الآداب : ١٠٦٥ ونسبه للبحري ، ولم أجده في ديوانه .

٦ زهر الآداب : ١٠٦٥ والكامل : ٤ : ١٢٦ والثاني في عيون الأخبار : ٤ : ٤ : والعقد : ٣ : ٤٥٥ وبهجة المجالس : ٦٥٧

٧ الكامل : أبي العوام .

وقال مسلم بن الوليد^١ :

حياتُكَ يا ابن سعدانِ بن يحيى حياةً للمكارمِ والمعالِي
جلبتُ لك الثناءَ فكان عفواً ونفسُ الشكرِ مُطلَّقه العقالِ
ويُرجعني إليك وإن تناءت^٢ ديارِي عنكَ تجربةُ الرجالِ

ويتطرَّفُ هذا المعنى أيضاً قولُ ابنِ الرقاع^٣ :

وإذا نظرتُ إلى أميرِي زادني كلفاً به نظري إلى الأمراءِ

ومنه قول الرضي^٤ :

ما ساعدتني الليالي بعدَ بينكمْ إلا ذكرتُ لِيالينا بذي سَلَمٍ
ولا استجدَّ فؤادي في الزمانِ هوى إلا ذكرتُ هوى أيا منّا - القُدَمِ

ومن أخرى له عن الوزير الناصري^٥ إلى بعض القبائل : معلومٌ أنَّ الله تعالى
قد يَأْذُنُ لِلنَّعَمِ إذا خُصَّتْ بالشكرِ أن تستدني البعيدَ القصي ، وتستأنسَ النافرَ
الوحشي ، وإذا قُرِئَتْ بالكُفْرانِ يرحلُ منها القاطنُ ، وتستوحشُ المعاطنُ؛ ووصل إلى
ما كان منكم من الانحرافِ عن الحضرة السامية والتظاهرِ بالخلافِ عليها ،
فتحقَّقْتُ أنَّ الشيطانَ قد أَعْمَلَ فيكمْ كَيْدَهُ ، واستنفدَ في إضلالكم قُوَّتَهُ وَأَيْدَهُ ،
وَأَوْضَعَ بكم في مراعي وَبَيَّةٍ ، ودبَّ إليكم من طريقٍ خَفِيَّةٍ ، فزَيْنَ لَكُمْ غَيْرَ
الحَسَنِ ، وأوطأكم الجانِبَ الأَخْشَنَ ، ووسمكم في أحياءِ العربِ بإخفار الذَّمِّ ،

١ زهر الآداب : ١٠٦٤ - ١٠٦٥ والكامل ٤ : ١٢٦ وديوان مسلم : ٣٣٦ والثالث في المستطرف ١ : ٢٣٣

٢ الكامل وزهر الآداب : وإن نأت بي

٣ البيت في الشعر والشعراء : ٥١٧ وقام المتون ، ٣٣٩ - ٣٤٠ وقد أورده ابن بسام في القسم الثاني من الذخيرة : ١١٦

٤ ديوان الرضي ٢ : ٢٧٥ وقد ذكر ابن بسام أبيتاً من هذه القصيدة ١ : ٢٣٦٥ ، ١٤٠ ، ٣٧٩

٥ الديوان : ما ساعفتني ... بينهم إلا بكيت

٦ لم يتوجه لي على وجه الدقة من هو الوزير الناصري ، وما يزيد الأمر تعقيداً أنه يذكر « اللواء الحمداني » في هذه الرسالة . ولعله ناصر الدولة الحمداني الذي استولى على أكثر أمور مصر أيام المستنصر . وقتل سنة ٤٦٥ .

وَكُفْرَانِ النِّعَمِ . وَأَقُولُ مَا يَجِبُ أَنْ يَفْهَمَ : أَلَمْ تَصِلُوا إِلَى هَذِهِ الْبِلَادِ فَتَعْرِفُوا بِهَا
 الْعَيْشَ الْوَحْشِيَّ ، وَتَحْلُوا فِيهَا مَحَلَّ الْغَرِيبِ الْأَجْنَبِيِّ ، وَتَعِيشُوا عَيْشَ الْغُرَثَانِ
 الْخَمِيسِ ، وَتَحْطَفَكُمْ الْعَرَبُ تَحْطَفَ الْأَجْدَلِ لِلْقَنْيَصِ ، فَجَمَعْتَ الْحَضْرَةَ شَتِيَّتَكُمْ ،
 وَوَصَلْتُمْ مَبْتُوتَكُمْ ، فَلَيْتَ شِعْرِي مَا الَّذِي سَوَّلَتْهُ لَكُمْ أَوْهَامُكُمْ ، وَحَدَّثَتْكُمْ بِهِ
 أَحْلَامُكُمْ ؟! وَايْمُ اللَّهِ لَنْ أَنْقَلِبْتُمْ عَلَى الْجَنَابِ النَّاصِرِيِّ ، وَانْحَرِفْتُمْ عَنِ اللِّوَاءِ
 الْحِمْدَانِيِّ ، لِتَصْبَحَنَّ أَكْلَةً لِلْعَرَبِ ، يَحْطُونُ أَعْلَامَكُمْ ، وَيُرْزَلُونَ أَقْدَامَكُمْ ،
 وَيَحْمُونَكُمْ وَرُودَ الْمَاءِ الْمُبَاحِ ، وَيَمْنَعُونَكُمْ حَلَاوَةَ النَّعْمِ الْمُرَاحِ ، فَارْجِعُوا حُلُومَكُمْ
 الْعَازِبَةَ ، وَتَجَافُوا عَنْ ذُنُوبِكُمُ اللَّازِبَةَ ، وَارْجِعُوا^٢ إِلَى مَنْ أَمْتَدَّ عَلَيْكُمْ ظِلُّهُ وَالزَّمَنُ
 هَجِيرٌ ، وَصَفَا لَكُمْ وَرْدُهُ وَالْعَيْشُ كَدِيرٌ ، فَلَوْ قَدْ فَارَقْتُمْ جَنَابَهُ الْفَسِيحَ لَتَفَرَّقْتُمْ فِي
 الْأَرْضِ شَيْعًا ، وَنَبَتْ بِكُمْ مَقْرَأٌ وَمُضْجَعًا ، وَعَثَرْتُمْ عَثْرَةً لَا يَقَالُ لَهَا [لَعَا] . وَقَدْ قَلْتُ
 وَنَصَحْتُ ، وَبَيَّنْتُ وَأَوْضَحْتُ ، وَسَلَكْتُ مَسْلَكَ الْحَدِثِ الشَّفِيقِ ، وَبَقِيَ أَنْ يَمْنَحَ اللَّهُ
 حُسْنَ التَّوْفِيقِ .

ومن أخرى :

مَا اعْتَمَدَهُ سَيِّدُنَا بِالْأَمْسِ مَعَ عَبْدِهِ مِنَ الْإِكْرَامِ خَارِقٌ لِلْقَضِيَّةِ الْعَادِلَةِ^٣ ،
 وَمَحْسُوبٌ فِي الْأَوْضَاعِ الْحَائِلَةِ ، وَذَلِكَ أَنَّ كَانَ مِمَّا [لَا] يَرْفَعُ الصِّتَ وَيُبْعِدُهُ ، وَيُعْلِي
 الْجَدَّ وَيُسْعِدُهُ ، وَيُشْجِي الْحَاسِدَ وَيُغْصُهُ ، وَيَهْيِضُ جَنَاحَ الْعَدُوِّ/[١٨٧] وَيَقْصُهُ ،
 فَإِنَّ الرِّضَى بِهِ [يَعْدُ] أَفْصَاحًا بِالْفَهْمِ الْقَلِيلِ^٤ ، وَنُكُوبًا عَنْ مَحَجَّةِ التَّحْصِيلِ ، وَمَا
 إِخَالَ سَيِّدَنَا يَرْضَى لِعَبْدِهِ بِالْذُّخُولِ فِي هَذَا الْحِيزِ ، وَالخُرُوجِ عَنْ سِمَةِ الْمُحَقِّقِ
 الْمُمَيَّزِ ، وَلَيْسَ يَجِبُ - وَإِنْ اشْتَهَرَ بِالْعِلْمِ شَعْفُهُ ، وَزَادَ [عَلَى] ذَوِي الْآدَابِ حَنُوُّهُ
 وَتَعَطُّفُهُ - أَنْ يَشِيْمَ لَهُمْ حَدَّهُ ، وَيَهْضُمَ عَلَيْهِ وَجْهَهُ ، فَإِنَّ اسْتِهَامَ بِحَبِّ الْمَآثِرِ

٢ ص : وتصاموا عن ذُنُوبِكُمُ الْكَاذِبَةِ وَرَاجِعُوا .

٤ ص : أَفْصَاحًا بِالْعِلْمِ الْقَلِيلِ .

١ ص : فَتَعَدَمُوا

٣ ص : الْعَادِيَّةُ .

٥ ص : وَجَحْدَهُ .

والمساعي ، وقويت منه في إكرام أوليائه الدواعي ، وأنشدَ عند قراءة هذا الفصل :

* لقد جِئْتَ الملامَ لغير داعٍ *

ثم تجاوزتْ هِمَّتُهُ النهَجَ البعيدَ ، وفرعَ ذؤابة الطَّودِ المشيدَ ، واستحسن قولَ الوليد^٢ :

يُنْزِلُ أَهْلَ الآدَابِ مَنْزِلَةَ الِ أَكْفَاءِ إِنْ نَاهَزُوهُ^٣ فِي أدَبِهِ
لَمْ يُزْهِهِ عَنْهُمْ وَهُمْ سُوقُ فِي الْعَيْنِ وَطءُ الْمَلُوكِ فِي عَقِبِهِ
فَعَبْدُهُ يَسْأَلُ أَنْ يَخْتَصَرَ عَلَيْهِ فِي الْإِكْرَامِ ، وَيَقِفَ بِهِ دُونَ ذَلِكَ الْمَقَامِ ، فَالِلْمَحَةِ فِي
الْبَدْرِ تَضِيءُ السَّبِيلَ ، وَالْقَطْرَةُ مِنَ الْمَاءِ تَبْرُدُ الْغَلِيلَ .

ومن أخرى :

مَعْلُومٌ أَنَّ الزَّمَانَ قَدْ عَادَانَا بِعُجَابِهِ^٤ ، وَنَهَشَنَا بِأَنْيَابِهِ ، وَأَدَارَ عَلَيْنَا مِنْ صُرُوفِ
أَحْدَاثِهِ كَوْوَسًا ، وَجَعَلَ كُلَّ غَرِيبٍ لَنَا أَنْيَسًا ، وَلَمَّا خَرَجَ عَنْ حُكْمِ الْعَادَةِ ، وَسَلَكَ
فِي مَوْلَايَ غَيْرَ الْجَادَّةِ ، وَأَوْدَعَهُ عَوَارِفَ يَضِيقُ عَنْهَا بِأَعْيُنِ الْكِتَابِ ، وَقَذَفَ إِلَيْهِ أَقَاصِي
خَطُوبِ الْخَطَابِ ، عَلِمْنَا أَنَّهُ قَدْ أَصَابَ رُشْدَهُ ، وَأَوْجَبَ حَمْدَهُ ، وَأَطْلَعَ شَمْسَ النَّهَارِ
مِنْ مَشْرِقِهَا ، وَوَضَعَ تَاجَ الرِّيَاسَةِ عَلَى مَفْرِقِهَا .

ومن أخرى :

خَلَدَ اللَّهُ أَيَّامَ الْحَضرةِ الْأَفْضَلِيَّةِ^٥ ، مَا فَضَّلَتْ الْأَسْمَاءُ حُرُوفًا ، وَتَقَدَّمَتْ وَأَوْ

١ ص : واع .

٢ ديوان البحري : ٢٤٣

٣ الديوان : شاركوه .

٤ ص : بعجائبه

٥ يعني بالحضرة الأفضلية : الأفضل بن أمير الجيوش بدر الجمالي ، تولى الوزارة حين مرض والده سنة ٤٨٧ هـ زمن
الامام المستنصر ، وظل على الوزارة في أيام المستعلي ثم الأمر إلى أن اغتيل سنة ٥١٥ هـ (الإشارة الى من نال
الوزارة : ٥٧ - ٦٤ وابن خلدون ٤ : ٧٠) فان كان ابن أبي الشخباء قد توفي سنة ٤٨٦ هـ فهذه الرسالة مما أنشأه في
الأفضل قبيل توليه الوزارة ، يهنيه بابلاله من مرض .

العطفِ معطوفاً ، ولزمتِ الأفعالُ اشتقاقاً وتصريفاً :

يُلْقَى عليها الحمدُ موقوفاً وفي عَرَصاتها شُمُ الملوكِ وقوفا
وتعيد سَطَوْتُهَا سباءَ عداتها كِسْفاً وبدرَ سُعودِهِمْ مكسوفاً

ولَجَّ سمعُ العبدِ في هذه الساعةِ نبأَ جمعٍ عن أقبايعه ، وتصاممَ عن استماعه ،
تعاشياً عن صُبْحِهِ المين ، وتغليياً للشكِّ على اليقين ، وخوفاً على العزِّ الشامخ أن
يُصْحِبَ شَمُوسَهُ ، والمجد [الباذخ] أن تكوِّرَ شَمُوسَهُ ، والمحامدِ أن تُنْثَرَ كواكبُها ،
والمناقبِ أن تُتْرَلَزَلَ مناكبها . ولما تلاه الخبرُ بما أصمتَ ناعقهُ ، وكذَّبَ بارقهُ ، ونطق
بأنَّ الجسمَ الشريفَ قد التفعَّ شملةَ الإبلالِ ، وعاد مزاجُهُ الى الاعتدالِ ، أطال
العبدُ في الثَّرْبِ تعفيرَ خدِّه ، وبالغ في شُكْرِ اللهِ وَحَمْدِهِ ، فيا لها نعمةً عَدَلَتْ بها
أحكامُ الزمانِ الجائرة ، واهتدت ركائبُ الآمالِ الحائرة ، وأصبحَ الملكُ المستنصري
سائلَ الغرة ، ضاحكاً الأسرَّة ، [والحضرة] قد تمكنت في خطاياها ، وما نزعت بُردَ
شبابها ، وامتدَّت بعدَ القُلُوصِ أفيأؤها ، وأضاءت في ظلماتِ الخطوبِ آناؤها :

واللهُ أكرمُ أنْ [يعذبَ مهجةً]	غَذِيَتْ	بأخلاقِ العلا أعضاءها
فاذا طمت جسمَ الخطوبِ [عرامةً]	[أرصى على]	فيض الحياءِ حباؤها
لو كان يُنْكَرُ ملكُها [رُتَبَ] العلا	أحدُ	لكان شهودُها أعداؤها
ثابتُ بك الأَيَّامِ عن جهلاتها	وتوقَّرتُ	من أهلها سُفْهاؤها
وبعدلِ حُكْمِكَ زالَ عَنَّا ظلمها	وبنورِ	مجديك أشرقَتْ ظلماتُها
نارُ اعتزامك ما ييؤُحْ - ذكاؤها	وساءُ	عزَّك ما تغيبُ ذُكاؤها
وعِراضُ فضلكَ لم تضقْ أرجاؤها	وعفاةُ	جودك ما يخيبُ رجاؤها

فالحمدُ لله الذي منح الأمة من نعمةٍ أصبحت النوائبُ بها قد دَرَجَتْ أيامها ،

١ هذا البيت والتالي له وردا في الخريدة : ١٥/أ

وَهَدَّتْ مِنَ الْمَخَافِ أَعْلَامُهَا^١ ، وَالْبَخْلُ قَدْ هُدِمَ بِنْيَانُهُ الْمَرْصُوصُ ، وَالكَرْمُ قَدْ رِيشَ
جَنَاحَهُ الْمَقْصُوصُ . وَلَمْ يَبْقَ لَهُ سَحَابٌ إِلَّا وَهُوَ يُغْدِقُ وَيَهْمَعُ ، وَلَا مَنَادَى إِلَّا وَهُوَ
يَلْبِي وَيَسْمَعُ^٢ :

يَا مَاجِداً نَصَرَ الشَّرِيعَةَ حَيْثُ لَا
وَالنَّصَبُ مَنْصُوبُ اللِّوَاءِ وَشَائِعُ
عَمَّتْ عَوَارِفُهُ^٣ فَمَا مِنْ مَوْضِعٍ
سَائِلٌ بِهِ وَدُمُ الْفَوَارِسِ سَائِلُ
وَالْيَوْمُ قَدْ كَتَبْتُ سَنَابِكَ خَيْلِهِ
فَهَنَّاكَ تَلْقَى الصَّدْرَ لَا مَتَضَائِقُ
وَالشَّمْسُ تَهْوِي أَنْ تُقْبَلَ كَفَّهُ
فَاقْنَعُ بِمَا مَلَكَتْ يَدَاكَ مِنَ الْعُلَا

بِيضُ تُشَامُ وَلَا ذَوَابِلُ تُشْرَعُ
فِي أَهْلِهِ بَغْضُ الَّذِي يَتَشَيَّعُ
إِلَّا وَنَائِلُهُ إِلَيْهِ مُوَضِّعُ
يُسْقَاهُ ظِمَانُ التَّرَابِ فَيَنْقَعُ
تَقَعاً جِبِينَ الْأَفْقِ مِنْهُ مُقَنَّعُ
وَالرَّوْعَ لَا نَخْبَ الضَّلُوعِ مَرْوَعُ
فَتُذَادُ بِالسُّمْرِ اللَّدَانِ وَتَمْنَعُ
إِنْ كُنْتَ بِالشَّهْبِ الثَّوَاقِبِ تَقْنَعُ

فَأَمَّا حَالُ الْعَبْدِ فَعَلَى الْحَالَةِ الَّتِي يُؤْمَلُ مِنَ الْحَضَرَةِ الْعَلِيَّةِ كَشَفَ ضَبَابِهَا ،
وَانْتَكَاتِ أَسْبَابِهَا ، وَكَأَنَّهُ مِنَ الْعَبْدِيَّةِ يَقْتَضِي أَلَا يُغَيِّهِ مَزْنُ مَكَارِمِهَا ، وَلَا تَتَجَاوَزُ عَنْهُ
جَفُونُ مَرَاكِحِهَا ، فَيَصْبِحُ وَقَدْ حَفَّتْ بِهِ الشَّدَائِدُ / [١٨٨] وَضَاقَتْ عَنْهُ الْمَصَادِرُ
وَالْمَوَارِدُ ،

أَتَرَكْنِي يَا دَهْرُ فِي الْبُؤْسِ مَفْرَداً
إِذَا هِمُّ الْأَقْوَامِ شَابَتْ وَأَظْلَمْتُ
فِيَا قَاضِيَ الدِّينِ الَّذِي قَامَ حَافِظاً
وَمَالِكُ رَقِي مُفَرِّدُ فَيْكَ وَاحِداً
فَهَمَّائِهِ بِيضُ الْوَجْهِ خَرَائِدُ
حِمَاهُ وَكُلُّ وَاهِنُ الْعِزْمِ قَاعِدُ

١ ص : وصدت في ... عباها .

٢ الأبيات ٣ - ٧ من هذه المقطوعة وردت في الخريدة : ١٥ / أ - ١٥ ب

٣ الخريدة : مواهيه .

٤ الخريدة : نسجت

٥ ص : الحزم .

ومن سادَ أهلَ العصر طُراً وألقيتُ له في عِراضِ الفرقدِينِ وسائد
أناديكَ في نادٍ يحفُّ بِي الرَدَى وتنزلُ فيه النازلاتُ الشدائد
تخاطبني فيه الخطوبُ فصيحَةً ويُسهِرُ عيني ضيقُ العينِ باردُ
يطارحني صوتاً ، سروري ناقصُ إذا هو غنّاني وهَمِّي زائد

وللحضرة العالية الأفضلية ، الرأي العالي في انتياش العبد من هذه الغمائم ،
وكأنَّ ما تهبُّ له من العناية زكاةً عما ملأها الله من رزق الزمان ، ومكَّنه لها من
قواعد العزِّ والسلطان ، وتقرباً إليه جلَّ اسمه إذا انشقت [السماء] فكانت وردهً
كالدهان .

قوله : فهناك تلقى الصَّدْر .. البيت ، كقول المعتمد بن عباد^١ :

وأردتمُ تضيقَ صَدْرٍ لم يَضِيقُ والسُّمُرُ في تُغْرِ الصدورِ تحطُّمُ

وقال المعتمد أيضاً في صفة [مجلس] ، من شعر قد تقدَّم إنشاده^٢ :

هذي المدامُ وهذا النقلُ من جَسدي غنَّ لنفسك أشعاري بألحاني

وله من أخرى :

أطال الله بقاءَ الحضرة السامية الصارمِية^٣ ، ما عَظُمَ رجب في الإسلام ، وولج
الضياءُ في الظلام ، ووُشِّيتِ الطروسُ بأسنة الأَقلام :

تَرِدُ العُفَاةُ شرائعاً من جودها نُسيختُ بهنَّ شرائعُ الإعدامِ

١ ديوان المعتمد : ٦٧ وقلاند العقيان : ١٦ والذخيرة ٢ : ٥١

٢ القلائد : النحور .

٣ لا أراه تقدَّم في الذخيرة ، كما أنه ليس في ديوان المعتمد .

٤ يريد بالحضرة الصارمِية : صارم الدولة بن معروف ، وقد أورد ياقوت (٩ : ١٧٥) رسالة أخرى من ابن أبي
الشخياء إليه افتتحها بقوله : أطال الله بقاء الحضرة الصارمِية ، يجري القدر على حسب أهويتها ، ويعقد الظفر
بعزائم ألويتها .. الخ .

وترى قلاندَ حَمْدَهَا وثنائها منظومةً بترائب الأيام
وإذا عصتْ نُوبُ الزمانِ وخالفتْ وقفتْ لديك مواقفَ الخدام

إذ كانت أيامُ الحضرةِ العاليةِ شاهدةً لها بجودِ يرشُ أجنحةَ الكرامِ
المقصودة^١ ، ويقومُ بفرائضِ المجدِ المنصوبة ، وحلمٍ تُطْلِقُ القدرةَ عنائه ،
ويستعيرُ الجنانَ رُجَحَانَهُ ، وفاءً يعلمُ الدهرَ حفظَ العهودِ ، وينقلُ طَبْعَهُ إلى الخلقِ
المحمودِ ، ورأيٍ يقطعُ والسيوفُ مُعَمَّدةً ، ويسري والعودُ العتاقُ مقيّدةً ، وبشرٍ
يُجْجِلُ ضوءَ الشارقِ ، ويضيءُ في جبينها إضاءةَ البارقِ ، وجوداً تأمرُ مكارمهُ الزمانَ
لينتصرَ بالصارمِ ذي الفضائلِ ، لا الصارمِ ذي الحمايلِ ، وينتجعُ الأنواءَ المظفريةَ ،
فِيهْتَتِنُهَا لها بالشهرِ والسنةِ حفظاً للسنةِ المرتبةِ ، لا اعتماداً على القضيةِ المستوجبةِ ،
والله تعالى يديمُ أيامَهَا الزاهرةَ ، دوامَ نعيمِها المتظاهرةِ ، فإن ذلك يرويه القريبُ
والشاطرُ^٣ ، ويتمثلُ به المقيمُ والظاعنُ :

ومرّت بكَ الأيامُ وهي كوافلُ	بئيلِ الذي ترجوه منها ضوامنُ
فيا صارماً أئتت عليه عُدَاتُهُ	وأصدقُ مَنْ يُشْئِي العدو المباينُ
وفتُ بشروطِ الجودِ في المحلِ كَفُهُ	ومزنُ السحابِ الجودِ للأرضِ خائنُ
يُضَيِّفُ إلى إنعامِهِ بشرَ وجهه	كما جمعَ الحكمين في الحجِّ قارنُ
ولولا الذي قدمت من حسناته	لما وُجِدَتْ للدَّهْرِ فينا محاسنُ
فلا سرُّه ما بين عينيه ظاهرُ	ولا حقدُهُ ما بين جنبه كامنُ
صفتُ لك من صفوِ السُّعودِ مواردُ	وجادتُ عليك المُعْصَراتُ الهواتنُ
تُقَسِّمُ طولَ الدهرِ أمناً وخيفةً	فمالكِ مرعوبٍ [وعرضك آمن]

١ ص : المخصوصة .

٢ ص : ووجد

٣ الشاطر : البعيد الثاني

وله من أخرى :

أطال الله بقاء الحضرة السامية معمورةً بوفود السعادة ديارها ، مشـ[دودة
إلى] قصيدها أنساع العير وأكوأرها ، مفلولة عنها أنياب التوب وأظفارها ، ولا زال
من مدّ الظلّ ولو شاء جعله ساكناً ، يدّ عليها الظلّ ما سرى في الليل سفر ، وطلع
في السّماء غفر^٢ ، وخرج عن أيدي الكرام وفر^٣ ، وأنس بالركبان مهمه قفر :

يَطْوُعُ لها العاصي من الخطبِ عِزَّةً وَيَدْخُلُ قَسراً تحت أحكامها الدهرُ
ولا زال يُعلي في الخليقة أمرها على كلِّ أمرٍ من له النهي والأمر

وفي فصلٍ منها :

يا صارماً حاز الثناء بأنعمٍ لا تنقضي أوقاتهن فتقضي
لما انتضته يدُ الإمام تحققت هذي البرية حُسن رأي المنتضي
متواهن عن كل جرم طرفه فاذا رأى أكرومة لم يُغيض
علقت يداه بكلّ لدنٍ أسمر يوم اللقاء وكلّ غضبٍ أبيض
وتراه حين تضيق أثوابُ العلا متماساً في السؤدد المتفضض / [١٨٩]
يا عاشقَ العليا ومُبغضَ ماله نفسي فداؤك من محبٍّ مبغض
لا تسألني عن زمانٍ هل بدت لي منه صفحة مُقبلٍ أو مُعرضٍ
أنت الزمانُ فإنَّ وجدتكِ ساخطاً يسخطُ عليّ وإن رضيت فقد رضي
كم قَوَضْتَ يَنَّاكَ عَنَّا شدة لولاك بعد الله لم تنقوض
ونَهَضْتَ من ثقلِ المعالي بالذي لو سيم يذبلُ بَعْضُهُ لم ينهض
[وبقيت سُهرًا]^٢ كلَّ طرفٍ للعدا وتحلُّ هَضْبَ سعادةٍ [لم تُخَفِّضِ]

١ من قوله تعالى « ألم تر إلى ربك كيف مدّ الظلّ ولو شاء جعله ساكناً » (الفرقان : ٤٥)

٢ الغفر : منزل من منازل القمر ، ثلاثة أنجم صغار وهي من الميزان .

٣ بياض في ص .

[وتقف]^١ من إنعام الحضرتين ثاراً ، وتعيدُ جَدْبَ^٢ الزمانِ ربيعاً ، وتُفيضُ على بني الآمالِ ربيعاً ، فَقَدْ وَقَتْ لها حينَ خانتِ اليدُ بنانها ، وسُئِمَتِ الضلوعُ جَنَانها ، وصدحتْ بالكلمةِ العَلَوِيَّةِ على المنبر ، وسهامُ العدا تقع خلفاً وأماماً^٣ ، ورهجُ خيولهم يَسْحَبُ على الموت غماماً ، وكم لها من مقامٍ نتقَ قلوبَ العداقِ نتقاً ، وجمعَ قُطْرِي الرسالة فتقاً ورتقاً ، فلا قلصَ الله ظلّها عن هذا الثغر الذي يكادُ تراهُ بكرمها يورق ، ونبتُهُ بحسنها يُشْرِق .

ومن أخرى له :

شهرُ الصيامِ [ذو] فضلٍ مشهور ، ورتبتهُ علَتْ^٤ جميعَ الأيامِ والشهور ، فما تُنتَهِكُ للشرع فيه حرّماتُ ، ولا تُسمَعُ للأوتارِ نغماتُ ، ولا تنطقُ باللغو أفواه ، ولا ترشفُ رُضابُ الكؤوسِ شفاءً ، وإذا اعتُبرتْ أوقاتُ الحضرةِ المنصورة ، وُجِدَ أكثرها على هذه الصفةِ المذكورة ، إلّا أنّ الشهر اختصّه الله بشرفِ القضية ، وفرض صيامه على جميع البرية ، فلا زال على الحضرةِ العاليةِ عائداً ، ولها للأعمالِ الصالحةِ شاهدٌ ؛ تطلُعُ في لياليه الحسناتُ شمساً ، وتجمعُ بين الشفقِ والفلقِ تسبيحاً وتقديساً ، خاطرةً^٥ في جلايب عزِّ يعتلقُ الدهرُ بأسبابه ، وكرمٍ يَغْرُقُ البحرُ في عبابه ، ومجدٍ تعشو النيراتُ إلى أنواره ، وتعتصمُ الملوكُ الخائفةُ بجواره ، وتتربُّ بمكارمها الأيدي التربة ، وتثبتُ بسعدها بروجُهُم المتقلّبة ، ويجدون تراثها في أفواههم عسلاً ، وفي أجفانهم كحلاً ، ويرون وظائفَ النُوبِ عنهم تُرفعُ ، وأنفَ الحوادثِ تُجَدِّعُ :

١ يبدو أنه وقع في هذه الصفحة تقطيع تداخلت فيه نهايتا سطرين ، مما أحدث خللاً واضطراباً في النص

٢ ص : تعيد أحذب .

٣ ص : وأما .

٤ ص : ونبتها .

٥ ص : على .

٦ ص : ناظرة .

قد ودَّ هذا الشهرُ أنْ هلالُهُ
 ألبسته تقوى وألبسَ حُلَّةً
 وبرزتَ في جيشٍ تَغصُّ به الفلا
 لحبِّ شكتْ كفُّ البسيطةِ ثقلُهُ
 لا بدَّ تُعرَفُ بالعراقِ جِياذُهُ
 وعلى مطأها دارعون سيوفُهُم
 وتقيم شرع بني النبي بأرضِهِ
 لم ترضَ معروفَ العوارفِ نفسُهُ
 وإذا تَمَّتْ المالُ يُودَّعُ كَفَّهُ
 تركتْ سيوفك كلَّ خالع طاعةٍ
 ومن أخرى :

لقد أسعد الرحمنُ مَنْ بات ثانياً
 إذا ما الحيا جارك في حَلَبَةِ الندى
 وما يتساوى قطُّ بحرٍ وجدولُ
 وأنت سماءُ الملك وابنك شمسُهُ
 إذا لم تحطْ نظماً ونشراً بمدحِهِ
 فككتْ إسرائي مُنعماً وتركتني
 إليك عنائي رغبةً وثناءً
 رمى فوق فؤديهِ قناعُ حياءِ
 ولا كلُّ أعضاء الفتى بسواءِ
 وهل تُظَهرتْ شمسُ بغير سماءِ
 فما حيلةُ الكتاب والشعراءِ
 لآلائك الحسنَى من الأسراءِ

والذي جعلَ الأرضَ بساطاً يبسطُ قدرها في الآفاق ، ويجعلُ أيامها ينابيعَ
 الارزاق ، حتى لا ينطق بسوى شكرها لسان ، ولا يُرى لغيرها على أحدٍ إحسان .

١ ص : بالفراق .

٢ الأيدع : صبغ أحمر .

٣ ص : يودَّع .

وفي فصل من أخرى :

وحضر فلان ، وعليه من نعمته آثار قد حَلَّتْ عَطَلَهُ ، وسَدَّتْ خَلَلَهُ ، وظهر في زي^١ يكبت كلَّ عدولٍ وشامت ، وينطقُ بالمنةً عنه وهو صامت ، وقد سَيرَ من ذلك ما سَيرَ غوراً ونجداً ، ونظم في ترائب الأيام منها عِقْداً ، ولا زالتْ منته لذوي الآداب قاطرة ، وعراضه بلطائمِ الثناء عاطرة ، يتغايَرُ النثرُ والنظمُ على مدائحه ، وتفيض على العافين غروبُ مواهبِهِ ومناجحه . ولما اعتزم العودةَ إلى ذلك الظلِّ المديد ، والعيش الرغيد ، زَوَّدَتْهُ هذه الرقعةُ مستدعياً له الزيادةَ من كرم العادة ، والحظوظ السَّنيَّةِ المستفادَةِ .

ومن أخرى :

أُنْبِتُ - أطلال الله بقاءَ مولاي - بشيءٍ أنا فيه مكذَّبٌ ومصدِّقٌ ، ومدافعٌ ومحققٌ ، واحتجت بحكم ذلك الى مطالعته ، وعلم كنه حالته^١ ،

فالخِلُّ كالماء يُبْدي لي ضائِرَهُ مع الصفاءِ وَيُخْفِيها مع الكَدْرِ

عرفتُ أن هذا الراقصَ البغدادي قد رفض مودته خَلْفاً ، وسلك به من الخلافِ^٢ عسفاً ، فوصله وهجر ديوانَهُ ، وأرضاهُ وأسخطَ خِلالَهُ ، واستبدل فيه مصوناً من قدره ، واستدلَّ عزيزاً من تأتبه وَبِرِّهِ ، وصار يهبُ النفسَ بلمسةٍ [من] إهابه ، وجميعَ سَقْيِ النيلِ برشفةٍ من رضابه ، وينشدُ إذا تراكضت خيولُ اللهِو واللَّعبِ ، وغلظ عليه قولُ اللاحي المؤنب :

غَزَالِي تَمْتَعْتُ فِي قُرْبِهِ وَنَازَعَنِي الْكَاسَ حَتَّى غَلَبَ
إِذَا مَا تَنَفَّسَ فِي نَوْمِهِ تَنَفَّسَ عَنْ مِثْلِ مَا قَدْ شَرِبَ

١ كنه حالته : قراءة تقديرية ، اذ هذا الجانب من الصفحة قد طمس .

٢ الخلاف هنا بمعنى الخلاف .

فيا ليلٌ لَيْتَكَ لَا تَنْقُضِي وَيَا صَبْحُ لَيْتَكَ لَا تَقْتَرِبُ

فوجدتُ والله من إشاعةِ هذه الحال ما يجذُّه الخائفُ غاب واقبه ، والسليمُ عَدِمَ طبيبه وراقبه ، خوفاً على جاه مولاي أن يميل ، وَيَسْتَنَعِ فيه القالُ والقليل ، فيصلُ إلى من المصاب بذلك ما يُعْشِي الناظر ، ويخْذُلُ الناصر ، لاسيَّما والنسبُ حظه من الشرف الخطير ، وقسطُه من الإِعْظَامِ والتوقير ، والصغيرُ يُعَدُّ به كثيراً ، والحِصاةُ تُحْسَبُ معه ثبيراً ، ولو كان مولاي مدَّ على هذه السقطة سَجْفاً ، وشرب ذلك العُقَارَ مَرْجاً لا صِرْفاً ، لجاز أن تخفى القِصَّةُ ، وتَسَاغَ قليلاً هذه الغُصَّةُ ، فالعقلُ نعم الرقيب ، والليلُ نهارُ الأديب^١ . ويجبُ أن يتحقَّقَ مولاي أني ما أطلقتُ هذه اللفظة إلا وقد حَصَرَ الكتمان ، والتقتُ حلقتا البطان ، وسَمِعْتُ ما يُصِمْ الأذان .

وله من أخرى^٢ :

ما زال يختارُ الزمانُ ملوكه	حتى أصابَ المصطفى المتَّخيراً
قل للألى ساسوا الورى وتقدموا	قُدماً هلموا شاهدوا ^٣ المتأخراً
تجدوه أوسعَ في السياسة منكم	صدراً وأحمدَ في البواقب مَصْدرًا
إن كان رأياً شاوروه أحنفاً	أو كان بأساً نازلوه عنترا
قد صام والحسنات ملء كتابه	وعلى مثالِ صيامِهِ قد أفطرا
ولقد تخوَّفَكَ العدوُّ بجهدِهِ	لو كان يقدرُ أن يردَّ مقدراً

١ قوله « الليل نهار الأديب » فيه إشارة إلى قصة ليحيى البرمكي حين بلغه أن ابنه الفضل قد تشاغل بالذات عن النظر في أمور الرعية - وكان والياً بخراسان - فكتب إليه يلومه ، وضمن رسالته أبياتاً يقول فيها :
فكابد الليل بما تشتهي فانما الليل نهار الأديب

انظر ابن خلكان ٤ : ٢٨

٢ منها ثلاثة عشر بيتاً في الخريدة : ١٦ ب وأحد عشر في ابن خلكان ٢ : ٩٠ وقال ابن خلكان : وقد اقتصرنا منها على هذا القدر خوفاً من التطويل .

٣ الخريدة : هلم فشاهدوا .

٤ الخريدة والوفيات : رأي ... بأس .

إِنَّ أَنْتَ لَمْ تَبْعَثْ إِلَيْهِ ضُمَرًا
 تَسْرِي وَمَا حَمَلَتْ رَجَالٌ أَيْضًا
 خَطَرُوا إِلَيْكَ فَخَاطَرُوا بِنَفُوسِهِمْ
 عَجَبُوا لِحُلْمِكَ أَنْ^١ تَحُولَ سَطْوَةٌ
 لَا تَعْجِبُوا مِنْ رَقَةٍ وَقِسَاوَةٍ
 فَلِذَاكَ عَدَّكَ حِينَ يَعْرِضُ عَارِضٌ
 لَوْ رَامَ قُسْطَنْطِينَةُ لَا جَلْقًا^٢
 وَلَقَدْ قَضَتْ آيُ الْكِتَابِ لِكُلِّ مَنْ
 جُرْدًا بَعَثَ إِلَيْهِ كِيدًا مُضْمَرًا
 فِيهِ وَلَا اِدْرَعْتَ^٣ كِمَاءَ أَسْمَرًا
 وَأَمَرْتَ سَيْفَكَ فِيهِمْ أَنْ يَخْطُرَا
 وَزَلَالِ خُلُقِكَ كَيْفَ عَادَ مَكْدَرًا
 فَالِنَارُ تَقْدَحُ مِنْ قَضِيْبٍ أَخْضَرَا
 وَسَطَى الْبَنَانِ وَعَدَّ غَيْرَكَ خَنْصَرًا
 بِكَ لَمْ يَدْعُ فِي أَرْضِهَا مِتْنَصَرًا
 نَصَرَ الشَّرِيعَةَ أَنْ يِعَانَ وَيَنْصَرَا

فلا برحتِ الحضرة - حرس الله أيامها - تفتَرُّ عن مباسمها الحسان ، وتفتخرُ
 بمناقبها قبائلُ غَسَّانَ ، فلو شاهد أهلُ جَفْنَةٍ جِفَانَهَا ، وَأَهْلُ جَبَلَةٍ بَنِ الْأَيْهِمِ
 ضَرَائِبَهَا وَطِعَانَهَا ، لَعَلَمُوا^٤ أَنَّ اللَّهَ أَتَاكَ السَّاحَةَ وَالْبَسَالَةَ مُلَكًا مِنْهُمْ يَحْفَظُ مَا ضَيَّعَهُ
 النَّاسُ مِنْ عَهْدِهَا ، وَيَسْرَحُ مَا ذَخَرُوهُ مِنْ نَقُودِهَا ، فَمَا يَزِيدُ الْمَدْحُ مَنَاقِبَهُ ضِيَاءً ،
 وَلَا مَرَاتِبَهُ أَعْتِلَاءً ، وَإِنَّمَا هُوَ فِي ذَلِكَ كَالْمَسْكِ يَطِيبُ بِنَفْسِهِ^٥ طَبْعًا ، وَيَزِيدُ
 الْمَحَارِضَ^٦ تَضُوعًا وَنَشْرًا ، وَإِنْ أَطَالَ الْعَبْدُ فِي نَشْرِ فُضَائِلِهَا مِقْوَدَهُ ، وَاسْتَخْدَمَ فِي
 ذَلِكَ لِسَانَهُ وَيَدَهُ ، فَإِنَّمَا هُوَ كَمَنْ يوقِدُ فِي الشَّمْسِ دُبَالًا ، وَيَهْدِي إِلَى الْفَرَاتِ نَطَافًا
 أَوْشَالًا ، وَالَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا ، يَجْعَلُ أَمْدَادُ النِّعَمِ عَلَى

١ ص : ادعرت ؛ والتصويب عن ابن خلكان ، وفي الحريدة : اعتقلت ؛ وهو أدق .

٢ الحريدة : عجباً لحلمك إذ .

٣ ص : لا حلماً . ولم يرد هذا البيت في الحريدة

٤ ص : تعبر

٥ جفنة : الغسانيون .

٦ ص : لعلم

٧ ص : لنفسه .

٨ كذا في ص ، ولعله : ويزيد في المجامر .

٩ ص : امتداد .

الحضرة مُعَذِّقَةٌ ، ووفود المواهب بساحاتها مُحَدِّقَةٌ ، ويمتَعُ الدنيا بحاسنها التي يتطامنُ لها ذوو الأبصار ، وتتأرجحُ تأرجح القطر في جميع الأقطار .

وله من أخرى :

فولجتُ منزلاً قد استعار من قلبِ العاشقِ حرّاً ورَهْجاً ، ومن أخلاقِ مالِكِهِ ضيقاً وحرَجاً^١ ، كأنما زَفَرْتُ فيه النار ، ونُقِطَ على جذرائِهِ^٢ بالقار ، فجلستُ طويلاً إلى أن حضر الإخوان ، وقُدِّمَ الخوان ، فرأيتُ أرغفةً قد أُحْكِمَتْ في الصَّغَرِ والإِطافِ ، ولم تتعوذْ قطُّ من الأضيافِ ، قد مرَّت عليها أيام ، وعُيِّنَتْ بقولِ ابنِ بسَّامٍ^٣ :

أتانا بخبزٍ له يابسٌ كمثلِ الدراهم في خِلْقَتِهِ
إذا ما تنفَّستُ عندَ الخوانِ تطايرَ في البيتِ من خَفَّتِهِ

وثلاثة صحافٍ ، واسعةِ الأكنافِ ، بعيدةِ الأوساطِ من الأطرافِ ، قد جُعِلَ في قرارةِ كلِّ منها ما [لا يَدْفَعُ السَّعْبَ ، ولا تجدهُ/] [١٩١] اليدُ إلّا بالتَّعَبِ ، فجَلَّنا جَوْلَةً وعَيْنُهُ تطرفَ علينا شمالاً ويمينا ، وتتفقَدُ منا حركةً وسكوناً ، وقمنا ولم نقاربِ الكفافَ ، وقد ظنَّ بنا الإسرافَ ، فحضرنا مجلسَ المعاقرةِ فأديرَتْ علينا قهوةٌ قد خُصَّتْ باللونِ الكدرِ ، وكُثِرَتْ بالماءِ الخَضِرُ^٤ ،

كالْمُهْلِ تَغْلِي في البطونِ لو أنها يَوْمًا تُعَدُّ لكافِرٍ لم تَحْرُمِ
فَحَسَوْنَا أولاً وثانياً ، وَكَرَعْنَا منها حمياً أنياً ، وقلنا لعلَّ ما يحضر من الملهيات يُصْلِحُ فاسِدَها ، وينفِّقُ كاسِدَها ، ولم يكنْ بأسرعَ من أنْ افتتحتْ قَيْنَةُ يَحْرُمُ لها السباعُ ، وتستلذُّ الصممَ الأسباعُ :

١ ص : وحرِباً .

٢ ص : ولقط على جذرائه .

٣ هو علي بن بسام البغدادي (٣٠٢ - ٣٠٣) وقد مرَّ ذكره في عدة مواطن من الذخيرة ، انظر مصادر ترجمته في

٤ القسم الأول : ١٤٢ (الحاشية : ٣)

٥ الخضر : يريد ماء فيه طحلب ، للمبالغة ، والا فقد تقرأ « الخضر » .

تُكْدِرُ صَفَوَ الرّاحِ فِي شَدْوِهَا وَتَنْفِرُ الْأَنْقَارُ مِنْ ضَرْبِهَا
لَمْ تَكُنِ الْعَلْجَةُ مَطْبُوعَةً بَلْ كَانَ مَطْبُوعاً عَلَى قَلْبِهَا
فَسَمِعْنَا وَلَأْمَرَ اللَّهِ سَلَمْنَا ؛ فَحِينَ جَرَّ الظَّلَامُ عَلَيْنَا الذَّلِيلَ^٢ ، وَغَشَى النَّهَارَ
الْلَّيْلُ ، زُفْتُ إِلَيْنَا خَرِيدَةً رَأْسُهَا مَقْطُوعٌ ، وَوَسْطُهَا مَشْغُوبٌ مَرْقُوعٌ^٣ ، قَدْ حَفِظْتُ
عَنْ عَادِ عَهْدِهِ ، وَاسْتَعَارْتُ مِنْ يَأْجُوجَ قَدَّهُ ، تَبِصُ كَعْيُونِ الْجَنَادِ ، وَتُضِيءُ فِي
الظُّلُمَاءِ كَنَارِ الْحَبَاجِ ، فَقَوَّضْنَا خِيَاماً ، وَسَكَرْنَا هَمّاً لَا مُدَاماً ؛ فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَّ
مَوْلَايَ عَنْ هَذَا الْمَقَامِ وَمَنَعَهُ ، وَحَمَى عَمَّا حَضَرْنَاهُ مُسْتَمَعَهُ .

وله من أخرى إلى نفيس الدولة يستدعيه :

أنا - أدام الله تمكّن مولاي - كالماء تتفرّق أجزأؤه فيلتثم، وكعرق الفصاد
تُزْقُهُ الْمِبَاضِعُ فيلتحم ؛ وذلك أنه - أدام الله عزّه - ارتدّ عن شريعة الوداد ، ودانَ في
دينِ المحافظة بالإلحاد ، واستعمل [من] الجفوة ما ينفر الطّرفَ عَنْ هُجُوعِهِ ،
وَيُوحِشُ الصِّدْرَ مِنْ صُحْبَةِ ضُلُوعِهِ ، فقسوتُ عليه أيّاماً ، وأوسعتُهُ في النفسِ
مَلاماً ، ووجدتُ طعمَ السلوة طيباً ، والصبرَ من الصبرِ عنه ضَرْباً ، وتشخّصتُ لي
أَخْلَاقُهُ مَرَّةً الْمَقَاطِفَ ، خَرِبَةَ الْمَكَاسِرِ وَالْمَعَاطِفَ :

وَإِذَا أَفَاقَ الْجَحْدُ وَانْدَمَلَ الْهَوَى رَأَتْ الْقُلُوبُ وَلَمْ تَرَ الْأَحْدَاقُ

فَمَا هُوَ [إلا] أَنْ اجْتَمَعَتْ بِهِ الْيَوْمَ فِي الْمَجْلِسِ الْمَعْمُورِ حَتَّى هَبَّتْ عَلَيَّ رِيَا حُ
صِفَاتِهِ فَطَبَّتْ تِلْكَ الْكُلُومَ ، وَجَدَّدَتْ تِلْكَ الرُّسُومَ ، وَأَرَتْنِي الْمُخْفَرِ مِنْ عَهْدِهِ مَخْفُوراً ،

١ ص : الأنفار .

٢ ص : جرى ... الليل .

٣ ص : مشغوب مرفوع .

٤ ص : المضايح .

٥ ص : وأزيعته .

والمُحْصَى من ذنوبِهِ منسياً مغفوراً ، فاستحال السلو شَوْفاً مبرحاً ، والناضرُ من المَعْتَبَةِ
هشياً مُصَوِّحاً :

وما زال داعي الشوقِ حتى أَجَبْتُهُ بِطُروفَةٍ تَدْمَى لَوَاهِي الأناملِ

وَصَدَرَتْ هذه الرُّقْعَةُ وأنا أودُّ كَلْفاً ، لو كنتُ فيها أَلْفاً ، تفاؤلاً بعودةِ رياحِ
الألْفَةِ ، وتسكيناً للقلبِ من تَزَوَاتِ الرَّجْفَةِ :

من الوفاءِ وفاءً لا يُغَيِّرُهُ مرُّ الزمانِ بإعراضِ وإقبالِ

وعندي الآن ذاك الصديقُ الذي يخطفُ العقولَ ويذهِبُها ، ويُغيِّرُ على
الألبابِ وينتهبُها ، ويحطِّمُ الرماحَ كِرائُهُ ، ويؤمِّنُ في مضمارِ المسرَّةِ خوائُهُ ، وليس
والله تُتَصَوَّرُ لي الأقداحُ ، وتُلْتَمُ مراشفُ الراح ، إلّا ومولايَ يحاسيني كؤوسُها ،
ويجهِّزُ إليَّ خميسُها ؛ وأسألهُ أن تكونَ قراءةُ هذه الرقعةِ وقد ركبَ سَمَتَ الطريقِ ،
وقابلَ الأمرَ بالتحقيقِ .

وله من أخرى ، وقد قُبِضَ على الوزيرِ وقتَ الظهرِ ، وأُفْرِجَ عنه في العشاءِ
الآخرةُ :

من كَرَمِ اللهِ وجزيلِ إِسعافِهِ ، وجميلِ صُنْعِهِ وألطفِهِ ، أَنْ جُعِلَ سيدنا كالثُّجُومِ
تَغِيْبُ ثم يرتفعُ في غَدِ سَمَتِها ، أو كملَكَةِ الشطرْنِجِ يقالُ : قد فاضَتْ ثم تعيشُ
لوقتها ؛ وقُضِيَ لحضرته بأن تزلَّ الخطوبُ عنها زليلَ الترابِ عن مَتْنِ الصِّفا ،
وتتحامها النوائِبُ [في هبوطها] وطلوعها ، منذ خَطَرَتِ الشمسُ في الحِللِ الجَلَناريَةِ ،
إلى أَنْ صارت في [الثيابِ] السُّوسِيَّةِ . ونزلَ سيِّدنا إلى دارِهِ بالسَّعْدِ المُصْحِبِ ، وفي

الموكب المتلاغط للجب ، وترك الوزارة تدعوا من زانها وجملها ، لمن رقع هلهلها
وسملها^١ ، وإن أكتأبت ليغديه ، وعبقت أعطافها بلطائف مجده :

يضوعُ ثَرَاهَا بالنَّدَى فتخالها رياضاً وكانت قبلُ وهي صوانحُ
صفا جوها بعد الكدورِ بعذله وطابت حشاياها الظماء القوامح^٢

فالحمدُ لله على ما من من سرعة الإقالة ، وانقضاب تلك الحباله ، وتفضل به
من حُسنِ الرعاية والكفالة ، ولا زالت مواهبه - جلّت آلاؤه - تقع عند سيدنا من
وراء الاقتراح ، وتسخر له أعطاف الغدو والرواح .

وفي فصل من أخرى^٣ :

وصلت رقعة مولاي والصبح قد سلّ على الآفاق مقضبه ، وأزال بأنوار الغزاة
غيبهه ، فكانت بشهادة [الله]^٤/[١٩٢] صُبَحَ الآداب ونهارها ، وشارَ البلاغة
وأزهارها ، قد توشحت بضروب من الفضل تعطيه^٥ قاصية المدى ، وتجرّيه^٦ في مضمار
الأدب مُفرداً :

فكانَ روضَ الحزنِ تنشره الصبا ما ظلت من قرطاسها أتصفحُ

فأما ما تضمّنته من وصفي فقد صارت حضرته [السامية]^٨ تتسمّع في الشهادة
بذلك مع مناقشتها في هذه الطريقة ، وأنها لا تُوقِعُ ألفاظها إلّا في مواضع الحقيقة ،

١ كذا في ص ، ولعله « تدع »

٢ ص : وشملها .

٣ الظماء القوامح : قراءة تقديرية ، فالخط باهت كثيراً تصعب قراءته .

٤ أورد ياقوت (٩ : ١٥٧) هذه الرسالة وقال ان ابن ابي الشخباء كتب بها إلى أبي الفرج الموفقي جواباً عن رقعة .

٥ الكلمة مطموسة في الأصل ، واعتمدت في اثباتها على معجم ياقوت .

٦ ياقوت : تقصر .

٧ ياقوت : ويجري به .

٨ زيادة من ياقوت .

فإن كنت قد بهرجت عليها فلتراجع^١ في نقدها^٢ ، تجدني لا أستحق من ذلك الإسهاب فصلاً ، ولا أعدد للكلمة واحدة منكم أهلاً ؛ والله يُنْهَضُنِي لشكر هذا الإنعام الذي يقف عليه^٣ الثناء ويظلع ، ويحصر دونه البليغ المصقع :

هيهات : تُعْيِي الشمس كل مرامق ويعوق دون منالهِ العيوق

وفي فصل^٥ :

وأما الفصل الذي ذكر أنه ألفاه في رسائل الكتاب وهو : « وأما فلان فيحل في قومه محل العميد ، ويفرح بالضيوف فرح حنيفة بابن الوليد ، قدوره عمّارية ، وعطسات جواريه أسدية ، تراهن أبدأ يمشين في حلل الشباب ، ويهوين لو خلق الرجال خلق الضباب ، يتضوعن عن النثر العبقسي ، ويرتضعن مراضع ثعالة المجاشعي » . [وما أمرت حضرته السامية من ذكر ما فيه عندي ، فقد تأملته طويلاً ، وعشر الخادم فيه بما أنا ذاكره ، راغباً في الرضى بما بلغت اليه المقدرة وتحليل ذلك بسجوف الصّفح]^٧ .

قوله : « فرح حنيفة بابن الوليد » أشار الى ما قتل خالد بن الوليد المخزومي من بني حنيفة ؛ وقوله : « قدوره عمّارية » أشار الى قول الفرزدق^٨ :

١ ص وأصل ياقوت : فراجع

٢ ص : بعدها .

٣ ياقوت : عنده

٤ ياقوت ، الخطيب .

٥ انظر ياقوت ٩ : ١٥٨ - ١٦٣

٦ ياقوت : الذي أودعه الرقة الكريمة .

٧ هذه الزيادة من ياقوت ضرورية للربط ، وتوثيق نسبة الشرح إلى ابن أبي الشخاء لا إلى ابن بسام ، وفي إيراد هذه الشروح يعتمد ابن بسام الإيجاز .

٨ ديوان الفرزدق ١ : ٣٢٦

لو أن قِدرًا بَكَتْ من [طولٍ ما] حُسِبَتْ على الحفوف^١ بَكَتْ قَدْرُ ابنِ عَمَّارٍ^٢
مَا مَسَّهَا دَسَمٌ مَذْ فُضَّ مَعْدِنُهَا ولا رَأَتْ بَعْدَ نارِ القَيْنِ من نارِ

وقوله : « عَطَسَاتُ جَوَارِيهِ أَسَدِيَّة » فأراد قولَ الأوَّلِ في هجاءِ بني أَسَد :
إِذَا أَسَدِيَّةٌ عَطَسَتْ فَنَكَّهَا فإِنْ عَطَّاسُهَا طَرَفُ الْوَدَّاقِ^٣

وقوله : « يَهُودِينَ لَوْ خُلِقَ الرِّجَالُ خَلَقَ الضُّبَابُ » فذكرَ الجاحظُ أَنَّ للضُّبِ
أَيْرِينَ وللضُّبَةِ حَرِينَ^٤ ، وأنشد قولَ النَّمِيرِيِّ^٥ :

تَفَرَّقْتُمْ لَا زَلَمُ قِرْنٍ وَاحِدٍ تَفَرَّقَ أَيْرُ الضُّبِّ وَالْأَصْلُ وَاحِدٌ
وَأَنشَدَ قولَ القائلَةِ^٦ :

وَدَدْتُ بِأَنَّهُ ضُبٌّ وَأَنِّي ضُبِّيَّةٌ كُذِّبَتْ وَجَدْتُ خَلَاءَ

وَأَمَّا قَوْلُهُ : « يَتَضَوَّعْنَ عَنِ النَّشْرِ الْعَبْقَسِيِّ » فَإِنَّ مِنْ أَمْثَالِ الْعَرَبِ : هُوَ
أَخْسَرُ صَفْقَةً مِنْ شَيْخٍ مَهْوٍ^٧ ، وَمَهُوٌ بَطْنٌ مِنْ عَبْدِ الْقَيْسِ ، وَكَانَ مِنْ خَبْرِهِ أَنَّ إِيَادًا
كَانَتْ أَفْسَى الْعَرَبِ ، فَوَفَدَ وَافَدَهُمْ إِلَى الْمَوْسِمِ بِسُوقِ عَكَاظَ ، وَمَعَهُ حُلَّةٌ نَفِيسَةٌ

١ على الحفوف : قلة من الدسم ؛ وفي ياقوت : عن الحقوق (مع أن أصله : على)

٢ الديوان : ابن جيار ، وهذه الرواية يضطرب الاستدلال إذ يجب أن يقول « قدره جيارية »

٣ البيت في الاغانى ١٢ : ١٨١ منسوب لكثير عزة (ديوانه : ٣٨٩) وروايته : إذا ضمرية عطست .

٤ انظر الحيوان ٦ : ٧٢ وانظر أيضاً ٤ : ١٦٣ - ١٦٤

٥ ص : قول البحترى ؛ وأورده الجاحظ (الحيوان ٦ : ٧٢) دون نسبة ؛ وإنما رواية الخبر كله عن أبي خالد النميري

٦ لا البيت وحده ؛ وقال الجاحظ أن البيت مما أنشده الكسائي . وفي ياقوت (٩ : ١٦١) وأنشد الأصمعي لابن درماء :
فما رواه أبو خالد النميري .

٦ هي عند الجاحظ وياقوت حبي المدينة .

٧ المثل في الدرة الفاخرة : ١٤٠ (أحق من ..) والعسكري ١ : ٢٨٨ والزنجشري ١ : ٨٢ وثار القلوب : ١٠٦

واللسان (فسا) : واسم الشيخ عبد الله بن بيدة ، وفي نقل ابن بسام إيجاز مغل : فان الايادي نادى ألا إني رجل
من إياد فمن ذا الذي يشتري عار الفسومني ببردي هذين فقام الشيخ العبدى فقال : هاتهما ، فأترز بأحدهما
وارتدى بالآخر ، وحينئذ أشهد عليه الايادي من شهد الموسم بعكاظ .

فقال : يا معشرَ العربِ إني قد بعثُ فسَاءَ إِيَادٍ لُوَافِدِ عبدِ القيسِ بحلتي هذه ؛
وافترقا راضيين ، وقد شهد عليهما أهلُ الموسم ، فصارت عبدُ القيسِ أفسى العربِ .
وقيل لابن منذر^١ : كيف الطريقُ إلى عبدِ القيسِ ؟ قال : شَمٌّ ومُرٌّ ،

فإنَّ عبدَ القيسِ من لؤمها تفسو فسَاءَ رِيحُهُ يَعْْبَقُ
من كان لا يدري لها منزلاً فقلْ له يمشي ويستشق

وأما مراضع ثعالة فيقال : هو أَعْطَشُ من ثعالة^٢ ، رجلٌ من بني مجاشع ، كان
ضلَّ الطريقَ هو وابنُ عمٍّ له ، فعطشا ، فالتقم كلُّ واحدٍ منهما أيرَ صاحبه يشربُ
بوله ، فلم يُغنيا عنها شيئاً وماتا عطشاً ، فوجدا على تلك الحال ؛ ولذلك قال جرير
يعيرُ بني دارم^٣ :

رضعْتُم ثم بال على لحاكم ثعالة حين لم تجدوا شرابا

وقيل : ثعالة : الثعلب ، في تفسير هذا الخبر عن ابن حبيب ، وخالفه ابن
الأعرابي وحكى ما ذكرناه ، وأنشد أيضاً قول جرير^٤ :

ما كان يُنْكَرُ في غَزِيٍّ^٥ مجاشعٍ أَكَلُ الخَزِيرِ ولا ارتضاعُ الفَيْشَلِ
وله من أخرى يعزِّي بموتٍ ولدٍ فخرِ الدولة غريقاً^٦ :

١ هو محمد بن منذر شاعر بصري مات في أيام المأمون (الأغاني ١٨ : ١٠٣ والشعر والشعراء : ٧٤٧ وطبقات ابن
المعتز : ١١٩ ومعجم الأدباء ١٩ : ٥٥)

٢ ورد المثل في الدرة الفاخرة : ٣٠٩ والعسكري ٢ : ٧٠ والميداني ٢ : ٤٩ والزنجشري ١ : ٢٤٨

٣ ديوان جرير : ٨١٨ وروايته « ثم سال »

٤ ديوان جرير : ٩٤١ والدرة : ٣٠٩ والقناص : ٢٢٣ والمعاني الكبير : ٥٨٥ واللسان والتاج (فسل)

٥ الديوان : ندي ؛ ص : عدي

٦ وردت هذه الرسالة في جمهرة الإسلام ، الورقة : ٦٨ وأنها في رثاء ولد كافي الكفاة وبين التصين اختلاف ، كما أن
الرسالة في الجمهرة اوفى مما هي في الذخيرة .

غيرُ يدعٍ من الزمان - أطل الله بقاء [حضرة]١ سيدنا - أن تُنكَثَ حباله ،
وَتَصْرَدَ نبأه، وتراشَ في قصدِ الكرام سهامه [وَتُرْهَفَ نصالُه] وتفهُقَ بالعَدْرِ فجاجُه ،
ويمزجُ ٢ بالسُّمَّ أَجَاجُه، ويثَارُ في النفوس عجاجة ٣، ولذلك عرفتِ النفوسُ مواقعَ نُكْرِهِ،
وَأَنَسَتْ بغرائبِ عُدْرِهِ ومكره ، واطمأنتُ الضلوعُ وقد أصمت ضرائبه ٤ ، وهجعتُ
العيونُ وقد استيقظت نوابه ، فقلَّ ما يُرَاعُ رَوْعُ بما جناه ، وتجذَلُ نفسُ [١٩٣] بما
منحه وأقناه . فاذا اصطلم [يوماً] أنفُ المجد [و]جدع ، [وفطر قلوب المكارم
وصدع] ، وخرج عن العادة المألوفة فابتدع ، فهناك يحسنُ أن تُطْلَقَ بدمه الألسنُ ،
ويجبُ أن يُلقَى بجيشِ اللُّومِ اللَّجِبِ .

ولما طرق الفادحُ بمن لا أسميه تفادياً من تحقيقِ الخبرِ بمصرعه ، وصوناً له
من مَوْرِدِ الحمامِ وَمَشْرِعِهِ ، رأيتُ ٥ المحامدَ ذاتِ نورٍ خامد ، والمآثرَ ذاتَ عِقْدٍ
متناثر ، والقمرَ قد سئمَ هالتهُ ، والصُّبْحَ قد خلع ٦ الليلُ عليه غِلاَّتَهُ ، وشاهدتُ
الكتابةَ مقصورة المدود ، والبلاغةَ مخموشة الحدود ٧ والأدبَ قد اسودَّتْ سِجْنَتُهُ ،
واشدَّتْ على الزمنِ ٨ وامتدت إحنته ، إذ طرق بما يتجاوزُ القدرَ ، ويوحِشُ الأضالعَ
من صحبةِ الصَّدْرِ .

١ زيادة من جمهرة الإسلام .

٢ الجمهرة : وتجذع (أقرأ : وتجذح)

٣ قدمت هذه العبارة وقد تأخرت عن هذا الموضع في ص ، اعتماداً على جمهرة الإسلام وحفاظاً على تسلسل الاسجاع
وكانت في الاصل : ويثَارُ في قصص الكؤوس عجابه .

٤ الجمهرة : وأنس بعرف .

٥ الجمهرة : صوابه .

٦ الجمهرة : تباعداً .

٧ الجمهرة : رأى

٨ الجمهرة : ألقى .

٩ الجمهرة : شواهد البلاغة متصرمة المدود والكتابة مرسومة الحدود .

١٠ الجمهرة : على الدهر

شمسُ العلا عَرَبَتْ بِحَيْثُ تَرَى أبدأُ غروبَ الشمسِ والبدرِ
من برِّهْ بكَ أنْ يُخْطَأَ لَهُ جَنُّ بِقَرَبِ عَطَائِكَ الْغَمْرِ
وَكأنَّمَا هُوَ دُرَّةٌ دُفِنَتْ فِي جَنِّبِ مَا وَلَدَتْ مِنَ الْبَحْرِ
وَتَنَزَّهَتْ عَنْ أَنْ يَصَافِحَهَا سَمَكُ الصَّفِيحِ وَظِلْمَةُ الْقَبْرِ

فتعالى الله كيف اسْتَرَدَّ ذلك البدرُ قبلَ تمامِهِ ، وذبلَ ذلك الزَّهرُ في كِماه^١ ،
قبل أن تشرف بموكبه الأعلام ، وتَرَوَى من بِنَائِهِ الأَقلام ، وَيَعْبَقُ دَسْتُ الوِزَارَةِ
بنشره ، وَيُشَرِّرَ رَمِيمُ السِّيَادَةِ بَطْنَهُ ونشره ، وإِتِاحَ [للطروسِ] من أَلْفَاظِهِ الدَّرِيَّةِ مَا
يَفْضَحُ الْعُقُودَ الدَّرِيَّةَ ، وَتُعَسِّسُ مَعَهُ اللَّيَالِي البَدْرِيَّةَ .

وقبلَ يُرَى من جَوْدِهِ مَا رَأَيْتَهُ وَيَسْمَعُ فِيهِ مَا سَمِعْتَ مِنَ الْعَدْلِ
هَذَا وَاللهُ هُوَ الْمَصَابُ الَّذِي تَسْتَعِزُّ فِيهِ الْحُلُومُ هَفَوَاتِهَا^٢ ، وَتَفَارِقُ لَهُ الْقُلُوبُ
سُوَيْدَاوَاتِهَا ، وَتَسْتَخْفُ النُّفُوسُ حَمْلَ الْأَوْزَارِ ، وَتَأْنِفُ الْعَيُونَ^٣ مِنْ لِقَائِهِ بِالْدمُوعِ
الْغَزَارِ ، حَتَّى تَجْعَلَ ذَلِكَ دَابَّهَا ، وَتَخْضِبَ بِالنَّجِيعِ [أَهْدَابَهَا ، إِلَّا] أَنَّهُ نَزَلَ بِالْحَضْرَةِ^٤
مَنْ شَدَّتْ بِالتَّقْوَى^٥ مَرِيرَتُهُ ، وَتَسَاوَتْ فِي طَاعَةِ اللَّهِ عِلَانِيَتُهُ وَسِرِيرَتُهُ ، فَالْجَزَعُ لَا
يَصْبِحُ مَالَكُهُ ، وَالْخُطُوبُ لَا تَخْطُبُ تَهَالُكَهُ ، وَالنَّازِلُ يُطِيفُ مِنْهُ بِالْعَوْدِ الْبَازِلِ ، الَّذِي
يَتَحَقَّقُ أَنَّ الدُّنْيَا نَسِيمُهَا شَرَارٌ ، وَطَعْمُهَا مَرَارٌ ، وَالْمَقِيمُ فِيهَا مُوجِفٌ ، وَالرَّائِدُ مُنْبَتٌ
مُعْجِفٌ .

١ لم يرد هذا البيت في الجمهرة

٢ الجمهرة : ما وليت من النحر .

٣ الجمهرة : صم .

٤ الجمهرة : قبل إكمائه .

٥ الجمهرة : وتنبه الطروس من الفاظه الدرية بما يفضح .. الخ

٦ الجمهرة : النفوس فواتها

٧ الجمهرة : الجفون

٨ الجمهرة : نزل من الحضرة العالية .

٩ الجمهرة : شزرت (أو سورت) من التقوى .

وذكرتُ بهذا الفصل ما أنشدته لبعض أهل عصري يصف غلاماً وسيماً [عامً
فانحسر منه العزم ونجا]¹ بعد أن أشرف على الموت من جملة أبيات :

شجاني المقام الصَّعْبُ لما شهدتهُ	وقد ضاقتِ الأنفاسُ والنفْسُ تذهبُ
وقد بهتت فيه اللواحظُ إذ رَتَتْ	إلى دَرَّةٍ تطفو [أواناً] وترسبُ
كأنَّ خليجَ الماء كان مجرَّةً	وأنت بها شمسٌ تلوحُ وتغربُ
كُسيَتِ اصفرارِ الروضِ عند ذبوله	ولكن على الحالين مرآكُ أعجبُ
عدا الماء من ماء الصبا فيكَ غيرَ	وما خلتُ أن الماء للماءِ يَغْضَبُ
ستبقى بهذا النهرِ للناسِ عبرةً	مؤرَّخةً في الكتبِ تتلى وتكتبُ
وتبني على شاطبي نجاتك كعبةً	يحجُّ لها بالحبِّ مَنْ يتقربُ

وله من أخرى :

لدي² - أ طال الله بقاء مولاي الشيخ - نفسُ ترى التَّعَمُّ مع المهانةِ يُقْمَأُ ،
وتجدُ طَعْمَ العيشِ مع عَدَمِ الإنصافِ عُلْقَمَأُ ، ولو سُمُنْتها خروجاً عن هذا الأسلوب ،
ونزولاً عن ذلك الظهرِ المركوبِ ، لرأتِ الخروجَ من الصدرِ أخْفَ عليها محملاً ،
وأغْدَبَ لديها منهلأً :

* لكل امرئٍ من دهره ما تعودأُ *

وهذا بثٌ اقتضاه كثرةُ تعجَّبِ مولاي من انقطاعي عن الحضرة التي بأنوارِ
مجدها تَوَضَّحْتُ ، وفي بحبوبةِ عزِّها دُرْتُ وَسَرَّحْتُ ، وما أطلقَ من الألفاظِ التي لو
حاسبَ لسانهُ عليها لأَنِفَ من ذكرها ، واستغفر من إثمها ووزرِها ، وقبيحُ بمثله ممن

١ هذه القراءة بحسب المعنى لعدم وضوح الالفاظ في ص .

٢ هذا الشطر غير واضح في ص .

٣ ص : لسيدي

٤ صدر بيت للمتنبي ، عجزه : وعادة سيف الدولة الضرب في العدا .

أعطاه السؤددُ مقادتهُ ، وركبَ متنَ الشرفِ وجادتهُ ، أن يأكلَ لحمَ أخيه حياً ، ويرى غيبةَ خلطانه طعاماً مريئاً ، ولو عرف أصلَ ذلك وفَرَعَهُ ، وناجتُ به الحقيقةُ لسانه وسمَعَهُ ، فكيف أن يُزري وهو لا يدري ، ويتكلم وهو لا يعلم ، ويستحسن قواريضَ من القريض تترك شملَ المحامدِ مُفَرَّقاً ، وأديمَ الأعراضِ ممزقاً . ولقد كنتُ مُزْبِعاً على فراق العادة ، واتباعِ قولِ ابنِ ميادة^١ :/[١٩٤]

وَجِئْتُ لَهُمْ مِمَّا أَقُولُ قِصَائِدًا تَحْبُّ بِهَا صُهْبُ الْمَهَارَى وَجُؤُنَهَا

ورأيتُ أن أنبئه مولاي على ما أنكرته : أن يكونَ بين أمرين : إمّا أن يسألَ عن السببِ الموجبِ لبُعدي عن تلك الحضرة ، أو يمسكَ عن الخوضِ في مالا تحيطُ به الخبرةُ ، فلعلهُ إذا علم الحقيقةَ مهَّدَ المَعذرةَ ، وبرَّدَ لَفَحَاتِ اللومِ المستعرةَ ، وتبين^٢ أنني ما ثنيتُ عناني عن هذا الموردِ إلا وقد ترنَّقتُ مشارِعُهُ ، ولا زويتُ وجهي عن ذلك المنتجعِ إلا وقد ذوتُ مراتِعُهُ ؛ وبعد ذلك فبين أضلعي ولأءٍ تشتبكُ أوأصرُهُ والأنسابُ منفصمة ، ويشرقُ صباحُهُ وأسرَّةُ الشمسِ مُظْلِمَةٌ ، إذا حَفَّتْ به الحفائظُ رَقَّ نسيمه ، وتساوى في الإخلاصِ حديثُهُ وقديمه :

فَانْأَصَفْ فَإِنْ يَدًا تَوَلَّتْ كَسُورِي تَهْتَدِي لِمَكَانِ جِبْرِي
وَإِنْ أُخْرِمَ قِضَاءَ الْعَدْلِ أَرْجِعْ إِلَى كَنْفَيْنِ مِنْ هَجْرٍ وَصَبْرٍ

١ من قصيدة له أورد أبو الفرج أبياتاً عديدة منها (الأغاني ٢ : ٢٦٣ - ٢٦٤) ومطلعها :
ألا حياء الأطلال طالبت سنينها بحيث التقت ريد الجناح وعينها
إلا أن البيت لم يرد في الأغاني وانظر شعر ابن ميادة (جمع الدليمي) : ١٠١ (رقم : ١٥٣)
٢ ص : ويتبين .

انتهى

القسم الرابع من كتاب الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة وبكأله كمل جميع الديوان ، والحمد لله على ذلك كثيراً وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وإمام المرسلين وسلم تسليماً . وذلك ضحوة يوم الأحد السابع من شهر ربيع الثاني سنة ست وعشرين ومائة وألف عرفنا الله خيرها ، ووفانا بمنه سوء كل ضير .

وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً

والحمد لله رب العالمين

فهارس الكتاب

فهرس الأعلام

- ١ -

٥٤٢	ابن الأبار أبو جعفر
انظر: الحصري أبو اسحاق	ابراهيم بن علي الحصري
(٦٢٧ - ٦٦١)	ابن أبي الشخباء العسقلاني
٤٩٠	أحمد بن عجبان
انظر: المعري	أحمد بن سليمان
٦٤٩	الأحنف
٤٨٨	الأخفش
٦٠٥	ادريس بن اليان
٦٣١	ارسطاليس
٤٨٤	أبو اسامة (جنادة الهروي)
انظر: الحصري	أبو اسحاق الحصري
انظر: الصابي	ابو اسحاق الصابي
٤٨٥	الأسعر الجعفي
٤٨٥	الأسعر المازني
٤٧٣	أشجع السلمي
٥٨٢ ، ٥٦٨ ، ٤٩١	الأصمعي (عبد الملك بن قريب)
٦٥٧	ابن الأعرابي
٤٨٥	الأعشى
٦٤٣ ، ٦٤٠	الأفضل بن أمير الجيوش

٥٣٢	الأكل تأييد الدولة
٥٥٢	أمامة (في شعر)
٥٨٩ ، ٥٧٢ ، ٥١٦ ، ٤٩٢ ، ٤٨٩	امرو القيس (الملك الضليل)
٤٧٤	أميمة (في شعر)
٤٨٤	أمية بن أبي الصلت
٤٦٩	أمين بن خريم

- ب -

٦١١	باديس بن ميمون
٥٤٨ ، ٥٤٧	باقل
٥٨٥	البتول (فاطمة)
٥٨٢ ، ٥٨١ ، ٥٦٢ ، ٤٧٣	البحثري (ابو عبادة الوليد)
٦٤٠ ، ٦٣٢ ، ٦٢٨	
٥٣٢ ، ٥٣١	بديع (غلام)
٥٩٨ ، ٥٨٥	بديع الزمان الهمذاني
٦٥١	ابن بسام البغدادي
٤٩٦ ، ٤٨٤ ، ٤٧٠ ، ٤٦٨	ابن بسام الشنتريني
٦٣٦ ، ٦١٢ ، ٥٣٠	
٦٣١	بطليموس
٤٩٧	بقراط
٦٠٦	أبو بكر الخالدي
٥٩٨ ، ٥٨٩ ، ٥٧٠	أبو بكر الخوارزمي
٦٠٥ ، ٥٨٩	بلقيس
٦١٣	بلقين بن زيري
٥٣٠	ابن البواب الوزير

- ت -

انظر : الأكل	تأييد الدولة الأكل
٦٣٧ . ٥٦٤	أبو تمام (حبيب بن أوس)
٥٩٨	تيم بن المعز الصنهاجي
٥٧٦	التوخي القاضي
٥٧٧	التوخي ابو علي (الابن)
(٥٤٩ - ٥٣٧)	التهامي ابو الحسن (علي بن محمد)

- ث -

انظر : أبو منصور الثعالبي	الثعالبي
٦٥٧	ثعالة المجاشعي

- ج -

٥٨٤ . ٥٨١ . ٥٦٦	المحافظ (عمرو بن بحر)
٦٥١	جبله بن الايم
٥٣٥ . ٥٣٤	جحدر اللص
٤٨٤	جران العود النميري
٥٨١	الجرجاني (القاضي)
٦١٤	الجرجاني (الوزير)
٥٦٠	جروول (الخطيئة)
٦٥٧	جرير (الشاعر)
٥٧٠ . ٥٤١	جعفر الطيار
انظر : ابن الأبار	أبو جعفر بن الأبار
(٦٢٧ - ٦٢٥)	جلال الدولة بن عمار
انظر : أبو أسامة	جنادة بن محمد الهروي

- ح -

٥٤٨	حاتم الطائي
٤٧٦ ، ٤٧٧	الحاكم الفاطمي
٤٨٩	حبشية بن سلول
انظر : ابوتام	حبيب بن اوس
٤٩٠ ، ٦٥٧	ابن حبيب
٥٣٥	الحجاج (بن يوسف)
٥٧٩	ابن الحجاج (الشاعر)
٥٥٩ ، ٥٧٠	حسان بن ثابت
٥٠٣	الحسن البصري
انظر : ذو السعادتين	الحسن بن منصور الوزير
انظر : الوزير المغربي	الحسين بن علي المغربي
(٥٨٤ - ٥٩٧)	الحصري ابو اسحاق (ابراهيم بن علي)
انظر : جرول	الحطيئة
٤٨٢ ، ٤٨٨	حفص (الفارسي)
انظر : الأفضل بن أمير الجيوش	الحضرة الافضلية
٤٨٩	حمزة بن بيض
٤٦٩ ، ٥٣٤	ابو حية النميري

- خ -

٦٥٦	خالد النميري
٦٥٥	خالد بن الوليد
انظر : ابو بكر الخالدي	الخالدي
٤٩١	خليد عنين

٥٣٠ . ٥٣١

ابن خليفة المصري الحكيم

٤٨٥ . ٥٦٨

الخليل بن أحمد

- د -

٤٩٠ . ٥٨٥

ابن دريد

٥١١ . ٦٣٧

دعبل بن علي الخزاعي

٥٨١

ابودلف الخزرجي

- ذ -

٤٦٨ . ٤٦٩ . ٤٦١ . ٥٣٤

ذو الرمة

٤٩٩ . ٥٠١

ذو السعادتين (الحسين بن منصور)

- ر -

٥٨١

الرشيد (هارون)

٥٢٩ . ٥٩٣ . ٥٩٤ .

ابن رشيق . ابو علي المسيلي

(٥٩٧ - ٦١٢)

انظر : الشريف الرضي

الرضي

٦٣٨

ابن الرقاق العاملي

٥١١ . ٥٣٩ . ٥٤٠ . ٥٤٨ .

ابن الرومي

٥٦٤ . ٥٧١ . ٥٧٥ . ٥٨٨ . ٥٩٥ . ٦٠٤ .

ريحانة

٤٨٩

- ز -

٤٨٩

الزبير بن باطا

٤٨٩

الزبير بن عبدالله بن الزبير

٤٨٩	الزبير بن العوام
٥٩١	الزعفراني ابو القاسم
٥٥٩	زهير بن ابي سلمى
٥٨٩	زياد (النابغة الذبياني)
٦٣٦	زياد بن منقذ الحنظلي
٥٦٨	أبو زيد (اللغوي)
٦١٣	زيري بن مناد

- س -

٤٩١	سجاح
٥٤٨ ، ٥٤٧	سحبان
٥٧٥	السري الرفاء
٦٣٨	ابن سعدان بن يحيى
٥٧٩	ابن سكرة الهاشمي
٤٧٦	ابن السكيت
٥٧٩ ، ٥٧٨	السلامي (الشاعر)
٦٣٧	سلم بن زياد
٥٢٣	سلمى (في الشعر)
٥٣٥	سليمى (في الشعر)
٦٠٥	سليمان (النبي)
٦١٢	سليمان (في الشعر)
٤٧٩	سليمان بن الربيع
٥٨٩ ، ٤٨٨ ، ٤٨٣ ، ٤٨٢	سيبويه
٥٧٢ ، ٥٧١ ، ٥٧٠	سيف الدولة الحمداني

- ش -

٥٣٠ ، ٥٩٨ ، ٥٩٩	ابن شرف ابو عبدالله
٥٥٥	أبو الشبل (عاصم بن وهب)
٦٢٢	شبل الدولة
٥٠٣	الشريف ابو طاهر
٥١٣ ، ٥٤٢ ، ٥٨٠ ، ٦٣٨	الشريف الرضي
(٤٦٥ - ٤٧٥)	الشريف المرتضى

- ص -

٥٧٢ ، ٥٧٦	الصابي ابو اسحاق
٥٧٢ ، ٥٧٣ ، ٥٧٦ ، ٥٧٨	الصاحب بن عباد
٥٨٠	
٦١٨ ، ٦٤٣ ، ٦٤٤ ، ٦٤٥	صارم الدولة ابن معروف
٦٠٥	ابن صارة الشنتريني
٥٧٠	الصدیق (ابو بكر)
٥٩٩ ، ٦٠٠ ، ٦٠١ ، ٦٠٢ ، ٦٠٤	ابن الصفار الصقلي ابو عبدالله
٤٨٩	صفية الباهلية
٥٧٠	الصلتان العبدی
٦٠٠	الصنوبري
انظر : ابونعام حبيب بن اوس	الطائي
: حاتم الطائي	

- ظ -

٤٧١	ظمياء (في الشعر)
-----	--------------------

٤٨٩	العاثُ بن ثعلبة
٦١٠	عباد (المعتضد)
انظر : البحري	أبو عبادة
٥٤٥	ابن عبدالبر الشنتريني
٥٧٨ ، ٥٧٦	عبد العزيز بن يوسف
٥٤٨	ابن عبدالغفور ابو محمد
انظر : ابن الصفار الصقلي	ابو عبدالله بن الصفار الصقلي
انظر : ابو منصور الثعالبي	عبدالمملك بن اسماعيل
انظر : الأصمعي	عبدالمملك بن قريب
٤٨١	عبدالمملك بن مروان
(٥٢٩ - ٥١٥)	عبدالوهاب بن نصر المالكي
٥٠٧	ابن عبدون ابو محمد
٥١١	عبدة (في الشعر)
٤٧٠ ، ٤٦٩	ابو عبيد البكري
٥٦٨	ابو عبيد القاسم بن سلام
٥٦٠ ، ٥٦٣	عبيد بن الأبرص
٥٨٧	أبو العتاهية
٥٥٥ ، ٤٨٣	العتبي
٤٨٣	العجاج (الراجز)
٦٣٧	ابن عرارة السعدي
٦١٥	ابن العربي ابو بكر الفقيه
٥٣٥	عزة (صاحبة كثير)
٥٤٧	ابو العشائر الحمداني
٥٧٣ ، ٥٧٥ ، ٥٧٨ ، ٥٧٩	عضد الدولة البويهبي

٥٤١	عقيل بن ابي طالب
انظر : المعري	ابو العلاء المعري
٤٧٨ ، ٤٧٧	ابو علي البويهى (بن سلطان الدولة)
٤٨٨	ابو علي الفارسي
انظر : القالي	ابو علي البغدادي
٥٧٠ ، ٥٤٠ ، ٥١٣ ، ٥٠٥ ، ٤٧٩	علي بن ابي طالب (حيدرة)
انظر : التهامي ابو الحسن	علي بن محمد التهامي
انظر : جلال الدولة ابن عمار	ابن عمار
٦٥٦	ابن عمار
٤٨٧	عمر بن عبدالعزيز
٥٦٨	ابو عمرو (الراوية)
٦٠٨ ، ٤٩١ ، ٤٨٩	عمرو بن معد يكرب
٥٧٣	ابن العميد ابو الفضل
٦٤٩	عنبرة
٥١٣	عيسى (المسيح)
٥٨٥	عيسى بن هشام

- ف -

٥٧٧	ابن فارس
٥٨٥	ابو الفتح الاسكندري
٤٧٧ ، ٤٧٦	ابو الفتح (الحسن بن جعفر العلوي)
(٦١٨ - ٦١٥)	ابو الفتيان العسقلاني
٦٥٧	فخر الدولة كافي الكفاة
٥٧٢ ، ٥٧١	ابو فراس الحمداني
٥٨٠	ابو الفرج الاصفهاني

٥٧٤	ابو الفرج البيضا
٦٥٥	الفرزدق
انظر: الميكالي	ابو الفضل الميكالي

- ق -

٦١١ . ٥٨٩ . ٥٢٥	قارون
(٥٣٦ - ٥٢٩)	ابن قاضي ميعة
٥٩٧ . ٤٦٩	القالبي ، ابو علي البغدادي
٤٧٧	قرواش
٥٤٨	قس بن ساعدة
٦٢٦	قيس (ليلي)

- ك -

٥٣٥	كنير عزة
٥٨٩ . ٥٦٨	الكسائي
٥٨٩	كسرى
٦٠٧ . ٥٦٤ . ٥١٢	كشاجم
٦١٢	ابن الكفاف

- ل -

٥٦٣	ليبد بن ربيعة
٥٤٧	لقمان
٥٧٧	ابن لنكك
٦٠٥	ليلي (قينة)
٦٢٦	ليلي (العامرية)

٥٤٨	مادر
٥٢٠	مالك بن أنس
٦٣٧ . ٥٥٦ . ٤٩٢	المبرد
٥٧٢ . ٥٦٤ . ٥٤٧ . ٥٤٢	المتنبى أبو الطيب
٥٧٣	
انظر: ابن أبي الشخباء	المجيد بن أبي الشخباء
٦١٦	ابن المحسن
٤٧٧ . ٤٩٠ . ٤٩١ . ٤٩٢	محمد (الرسول)
٤٩٣ . ٥٠٥ . ٥٢٠ . ٥٤١	
٥٦١ . ٥٦٨ . ٥٦٩ . ٥٧٠	
٥٨٥ . ٦٤٧	
٥٣٥	المدائني
٦٣٦	المرار العدوي
انظر: الشريف المرتضى	المرتضى
٤٨٧	مزرد
٥٢٠	المستنصر بالله الفاطمي
٦٣٨	مسلم بن الوليد
٥١٧	أبو المطرف المالقي
٥٦٦ . ٥٧١ . ٦٠٤ . ٦٠٥	ابن المعتز
٦٤٣	المعتمد بن عباد
٥٧٩	ابن معروف القاضي
٥١٠ . ٥١٦ . ٥٤٦ . ٥٤٨ . ٦٢٥	المعري أبو العلاء (أحمد بن سليمان)
٦١٣	المعز الفاطمي (معد بن اسماعيل)
٥٣٠ . ٥٩٨ . ٦١١ . ٦١٣	المعز بن باديس

٦١٤	
٥٨١	ابن مقلة
انظر : امرؤ القيس	الملك الضليل
٦٥٧	ابن مناذر
٦١٥	المنتصر بن خزرون
	ابو منصور الثعالبي
٥٢٩ (٥٨٣ - ٥٦٠)	(عبد الملك بن اسماعيل)
٥٧٧	منصور الفقيه
٤٧٩	مذهب الدولة (صاحب البطيحة)
٥٧٣	المهلبى (الوزير)
٥١٤ (٥٦٠ - ٥٤٩)	مهييار الديلمي
٦٠٥	موسى (النبي)
٦٦١	ابن ميادة
٦٠٧ ، ٥٨٣ ، ٥٨١ ، ٥٦٦ ، ٥٦٢	الميكالى (ابو الفضل)

- ن -

٥٧٨	ابن نباتة السعدي
٤٧٨	نحرير (غلام الوزير المغربي)
٥٣٢ ، ٥٣١	نحرير (غلام)
٥٧٧	نسيم (غلام)
٤٧٩ ، ٤٧٨ ، ٤٧٧	نصر الدولة الكردي (احمد بن مروان)
٤٩٠	النطف
٥٨٩	النعمان اللخمي
(٦٢٥ - ٦١٨)	ابن نعمة بن خليل العسقلاني
٦٥٢	نفيس الدولة

النمرود
 أبو نواس
 نوح (النبي)
 ٦٠٦
 ٥٣٥ . ٤٧٠
 ٥٢٥

- ه -

هبة الله بن عيس الوزير
 هرم بن سنان
 هند (في الشعر)
 ٤٨٠ . ٤٧٩
 ٥٥٩ . ٥٠٣
 ٥٨٩ . ٥٤٨ . ٥٠٧

- و -

الواساني أبو محمد
 الواواء الدمشقي أبو الفرج
 الوزير المغربي (الحسين بن علي)
 ٥٧٥
 ٥٧٤ . ٥٥٢
 (٥١٥ - ٤٧٥) ٥٣٧ .
 ٥٥٧ . ٥٣٩
 ٦٣٨
 ٥٧٥
 الوليد أبو عبادة
 الوزير الناصري
 ابن وكيع أبو محمد
 انظر: البحري

- ي -

يحيى بن هذيل
 يزيد (بن الطثرية ؟)
 يونس (النبي)
 ٥٩٥
 ٥٨٩
 ٤٩٦

فهرس القبائل والأمم والطوائف

- أ -

٥٦٥ . ٥١٤ . ٤٧٩	الأترك
٦١٤	الأشج
٥٤٩	الاجايون
٥١٤	الاسفهلارية
٦١٤	الأعراب
٥٩٧	الأغالبة
٤٩٢	الانصار
٦٥٧ . ٦٥٦ . ٥٦٥	إياد
٦٥٦	أسد

- ت -

الترك : انظر الأترك .

- ث -

٥٥٧ ثعل

- ج -

٦٥٠ . ٥٥٩ بنو جفنة

- ح -

٥٧١ بنو حمدان

٦٥٥ حنيفة

٦٧٨

- خ -

٥٠٧	خفاجة
٦٢٠ ، ٥٥٥	خندف

- د -

٦٥٧	بنو دارم
٥١٤	الديلم

- ر -

٦١٣	الرافضة
٥٩٩ ، ٥٧١	الروم
٦١٤ ، ٥٣٩	رياح

- ز -

٦١٤ ، ٥٣٩	زغبة
٦١٣ ، ٦١٢	بنو زيري

- ص -

٦١٣	صنهاجة
-----	--------

- ط -

٥٨٠	الطالبيون
-----	-----------

- ع -

٦٥٢ ، ٤٩٨	عاد
-----------	-----

٦١٤ . ٥٠٧ . ٥٠٦	بنو عامر
٦٥٧ . ٦٥٦	عبد القيس
٦٢٠	عبد مناف بن النضر
٦١٣	العبيدون
٥٩٧	العجم
٦١٤	عديّ
٤٧٠ . ٤٧٧ . ٤٩٠ . ٤٩٣ .	العرب
٥٣٧ . ٥٦١ . ٥٦٢ . ٥٧١ . ٥٨٤ .	
٥٩٧ . ٦١٤ . ٦٣٨ . ٦٣٩ . ٦٥٦ . ٦٥٧ .	
٥٨٥	بنو عليّ
- ف -	
٥١٤	الفرس
- ق -	
٥٤٩	قحطان
٥١٣	قريش
٤٧٥	قيس
- ك -	
٥٣٥	كعب بن عمرو
- ل -	
٥٣٥	بنو لهب

- م -

٦٥٧

بنو مجاشع

٥٩٧

المهالبة

٦٥٦

مهو

- ه -

٤٩٠ ، ٥١٣ ، ٥٧٠ ، ٦٢٠ ،

بنو هاشم

٥٣٩

هلال

- ي -

٦٥٢

يأجوج

فهرس الأماكن

- أ -

٤٧٤	الأبارق
٤٧١	الابواء
٤٧٢	الأبريق
٥٢٣	أثال
٥٧٣	أرجان
٥١٧	أسعد
٦١٠	- أشبيلية
٥٧٣	أصبهان
٦١٣ ، ٥٩٧	أفريقية

- ب -

٥٠٩	بابل
٥٦٥	البحر الأخضر
٥٧٧	البصرة
٤٨٠ ، ٤٧٩	البطيحة
٥١٤ ، ٥٠٥ ، ٤٧٩ ، ٤٧٧	بغداد
٥٢٢ ، ٥٢٠ ، ٥١٦ ، ٥١٥	
٦١٣ ، ٥٥٩ ، ٥٢٧ ، ٥٢٥	

- ت -

٥٠٥	تكريت
-----	-------

- ث -

٦٤٩	ثبير
-----	------

- ج -

٥٢٠	الجب
٦٥٠	جلق
٥٤٧	جيحان

- ح -

٥٥٧ ، ٥٥٢ ، ٤٨١	الحجاز
٥٧٠	حلب
٥٠٩	حمص
٦١٤	حيدران

- خ -

٦٣٧	خراسان
٥٣٣	الخيف

- د -

٥٢٧	دجلة
٥٧٤	دمشق

- ر -

٤٧٧	الرملة
-----	--------

- ز -

٤٧٢	زروود
-----	-------

- س -

٦١٣	سبته
٥٥٠	سلع
٦٣٨	ذو سلم
٥٤٧	سيحان

- ش -

٥٧٤ ، ٥٧٠ ، ٥٥٢ ، ٤٩٨	الشام
٤٦٧	شعب
٥٧٨	شيراز

- ص -

٦١١ ، ٦٠٣	صبرة
٥١١	الصراة
٦٢٩ ، ٦١٤	الصعيد
٥٩٨ ، ٥٩٥ ، ٥٩٣ ، ٥٣٢	صقيلية (صقلية)
٦١٠ ، ٥٩٩	

- ع -

٥٠٩ ، ٤٩٨ ، ٤٧٧ ، ٤٦٥	العراق
٥٧٤ ، ٥٦٥ ، ٥٤٩ ، ٥٢٨	
٥٧٩ ، ٥٧٨ ، ٥٧٧ ، ٥٧٦	
٦٤٧	
٥٣٣	عرفات
٦٥٦	عكاظ

- غ -

٤٦٧	الغمر
٤٧٢	الغور
٤٧٢	الغويز

- ف -

٦٥١	الفرات
-----	--------

- ق -

٦٥٠	قسطنطينية
٤٦٧	القنان
٥٩٣ ، ٥٩٥ ، ٥٩٦ ، ٥٩٧	القيروان
٥٩٨ ، ٥٩٩ ، ٦٠٠ ، ٦٠٣	
٦٠٥ ، ٦٠٦ ، (٦١٢ - ٦١٥)	

- ك -

٥١٢ ، ٥٢٢	الكرخ
٤٧٧ ، ٤٧٩	الكوفة

- ل -

٤٧٤	اللوى
-----	-------

- م -

٥٩٧	المسيلة
-----	---------

٥١٦ ، ٥١٢ ، ٤٧٧ ، ٤٧٦	مصر
٦١٣ ، ٥٣٥ ، ٥٢٨	
٥١٦	معرة النعمان
٥٢٠ ، ٤٧٧ ، ٤٧٦	مكة
٥٣٣	منى
٦١٤ ، ٥٩٨	المهدية
٤٩٧ ، ٤٧٨ ، ٤٧٧	الموصل
٤٧٨ ، ٤٧٧	ميافاارقين

- ن -

٤٧٢ ، ٥٢٢ ، ٥٤٢ ، ٥٤٣	نجد
٥٥٠ ، ٦٠٨	
٦١١	نعمان
٥٠٨ ، ٦٤٨	النيل

- هـ -

٥٤٨ ، ٥٦٥	الهند
-----------	-------

- ي -

٦١١	يبرين
-----	-------

فهرس الكتب المذكورة في المتن

٤٧٦	اصلاح المنطق لابن السكيت
٥٠٥	الانجيل
٥٩٣ . ٥٢٩	الانموذج لابن رشيق
٥٩٩ . ٥٩٧	
٥٩٧ . ٥٨٤	زهر الآداب وثمر الألباب لأبي اسحاق الحصري
٥٩٩	العمدة لابن رشيق
٤٨٩	غريب المصنف لأبي عبيد القاسم بن سلام
٥٧٧	الفرج بعد الشدة للتوحي
٥٦١	فقه اللغة للثعالبي
٤٨٨	الكتاب لسيبويه
٥٨٤	المصون من الدواوين لأبي اسحاق الحصري
٤٧٦	المنخل (اختصار اصلاح المنطق) للوزير المغربي
	النور والنور (نور الظرف ونور الطرف)
٥٨٤	لابي اسحاق الحصري
٥٨٦ . ٥٦٦	يتيمة الدهر للثعالبي

فهرس القوافي

- الألف المقصورة -

٤٨٥	الأسعر الجعفي	الكامل	وأى
-----	---------------	--------	-----

- الهمزة -

٦٥٦	حبي المدنية	الوافر	خلاء
٦٤١	—	الكامل	أعضاؤها
٦٤٧	—	الطويل	وثناء
٦٢١	—	الطويل	علائه
٦٣٨	ابن الرقاع	الكامل	الأمرء
٦٢٨	ابن أبي الشخباء	الكامل	لقائه
	عبدالوهاب المالكي او	الكامل	سودائه
٥٢٤	ابو الحسن التهامي		
٥٤٣	التهامي	الكامل	خبائه
٥٩٠	ابن الرومي	الخفيف	الهباء
٥٣٢	ابن قاضي ميلة	المتقارب	البناء

- ب -

٥٣٧	التهامي	المتقارب	الحبب
٦٤٧	—	المتقارب	غلب
٦٠٩	ابن رشيق	الطويل	ذنباً
٦٣٧	—	الطويل	وجرباً
٦٥٧	جرير	الوافر	شراباً
٥٠٨	الوزير المغربي	الوافر	التهبا

	ابن قاضي ميلة او	الكامل	تهذبا
٥٣١	ابن رشيق		
٦٠٤	ابن المعتز	الكامل	قلبا
٦٣٠	—	الطويل	طروب
٥٤٦	—	الطويل	حواجب
٦٣٧	البحثري او غيره	الطويل	المطالب
٥٨٨	ابن الرومي	الطويل	غيه
٦٣٤	—	الطويل	يذهب
٦٦٠	—	الطويل	تذهب
	عبد الوهاب المالكي او	الطويل	غرب
٥٢١	ابو الفضل البغدادي		
٦٣٢	—	الطويل	العذب
٥٣٤	—	الطويل	غراها
٦٠٢	ابن رشيق	البسيط	مطلبه
٥٩٨	ابن رشيق	الوافر	الرقاب
٥٠٩	الوزير المغربي	الكامل	ويذيه
٥١٢	الوزير المغربي	الطويل	القرب
٦٢٨	البحثري	الطويل	شربي
٤٦٩	—	الطويل	ومغرب
٥٤٥	ابن عبد البر الشنتري	البسيط	لهب
٥٦٤	ابن الرومي	البسيط	عصب
٥٧٢	المتنبي	البسيط	بالغرب
٦٠٩	ابن رشيق	البسيط	يفري بي
٥٩٢	ابو اسحاق الحصري	الكامل	وتعّيب
٦٠٩	ابن رشيق	الكامل	ذنب

٦٠٢	ابن رشيق -	الكامل	به
٦٠٣	ابن رشيق	الكامل	قبابه
٦٠٦	ابو بكر الخالدي	الكامل	بخضابه
٦٢٥	المعري	الكامل	رضابه
٥٠٩	الوزير المغربي	الكامل	نائبها
٥٢٥	عبد الوهاب المالكي	مجزوء الرمل	غريب
٦٣٢	—	السريع	الذاهب
٥١٩	عبد الوهاب المالكي	السريع	حبه
٦٥٢	—	السريع	ضربها
٥٢٥	عبد الوهاب المالكي	المنسرح	تكذيب
٦٤٠	البحري	المنسرح	أدبه
٤٧٢	المرتضى	النجيف	باب
٤٧٦	الرضي	النجيف	وشعب
٥٧٠	الصلتان العبيدي	المتقارب	والنبي

- ت -

٥١٢	الوزير المغربي	الطويل	وَأَلْفَتْهُ
٥٩٣	ابو اسحاق الحصري	البسيط	صَفَتْهُ
٦٠٧	الميكالي او البستي	البسيط	شَفَتْهُ
٥١٣	الوزير المغربي	السريع	مَلَتْهُ
٦٥١	ابن بسام البغدادي	المتقارب	خَلَقَتْهُ

- ج -

٤٩٢	الراعي الكلبي	البسيط	أَدْرَاجِي
-----	---------------	--------	------------

- ح -

٥٣٨	التهامي	السريع	راخ
٥٤٨	ابن عبد الغفور	الطويل	الألحى
٥١١	ابن الرومي	البسيط	قبجا
٥٤٨	ابن الرومي	البسيط	رجحا
٥٣٩	التهامي	الكامل	براحا
٥٥٠	مهيار الديلمي	الرميل	مزاحا
٤٨٤	جران العود	الطويل	الصرنقح
٥٣٤	ابو حية	الطويل	سنيح
٥٦٧	كثير او غيره	الطويل	الاباطح
٦٥٤	—	الطويل	صوائح
٦٥٤	—	الكامل	اتصفح
٥٢٨	عبد الوهاب المالكي	الوافر	الفصاح
٥٥١	ابن هرمة	المتقارب	المادح

- د -

٥٢٣	عبد الوهاب المالكي	السريع	مستعاد
	عبد الوهاب المالكي او	الطويل	نجدا
٥٢٢	ابو الفضل البغدادي		
٥٢٢	عبد الوهاب المالكي	الطويل	بعدا
٥٧٢	المتنبي	الطويل	منشدا
٥١٠	الوزير المغربي	الطويل	وأسده
٥١٢	الوزير المغربي	الوافر	والكمدا
٤٨٦	—	الرجز	وفهدا
٥٩٦	ابو اسحاق الحصري	السريع	بدا

٥٦٣	—	المقارب	القدودا
٦٢٦	قيس	الطويل	وليد
٥٤٢	المتنبي	الطويل	راقد
٦٤٢	—	الطويل	واحد
٦٥٦	—	الطويل	واحد
	عبد الوهاب المالكي او	البسيط	رقدوا
٥٢٤	العباس بن الاحنف		
٦٢٠	—	البسيط	عوائده
٥٩٥	ابن هذيل او اللماي	المنسرح	أجد
٥٢٦	عبد الوهاب المالكي	مجزوء الرمل	جد
٥١٨	عبد الوهاب المالكي	الطويل	بالحد
٥٤٨	التهامي	الطويل	هند
٦٠٣	ابن رشيق	الطويل	والحد
٦٢٢	—	الطويل	المنضد
٦٠٤	ابن رشيق	الطويل	قده
٤٧١	المرتضى	الكامل	الوادي
٦٢٢	—	الكامل	مدادي
٦١٢	ابن رشيق	مجزوء الكامل	جده
٤٧١	المرتضى	الهنج	الوادي
٥٨٩	—	السريع	والجد
٦٠٨	ابن رشيق	السريع	والحد
٥٩١	الزعفراني	الخفيف	فوادي

- ذ -

٥١٧	عبدالوهاب المالكي	الكامل	أذى
٦٠٦	ابن رشيق	الكامل	الموذي

- ر -

٥٩٧	—	السريع	الغذار
٤٩٩	—	البسيط	الصبرا
٥١٦	المعري	البسيط	والسفرا
٥٩٣	ابو اسحاق الحصري	مخلع البسيط	سكرا
٥٩٤	ابو اسحاق الحصري	الوافر	وترا
٦١٩	—	الكامل	اقمارا
٦٤٩	ابن ابي الشخباء	الكامل	المتخيرا
٦٠٦	ابن رشيق	مجزوء الكامل	شرا
٥٣٢	ابن قاضي ميله	الرميل	ابتدار
٥٤١	التهامي	الخفيف	سترا
٤٦٩	اين بن خريم	الطويل	النسر
٤٧٠	ابو نواس	الطويل	النسر
٥٣٠	ابن قاضي ميله	الطويل	الدهر
٥٣٤	ذو الرمة	الطويل	خضر
٦٢٠	—	الطويل	الدثر
٦٤٥	—	الطويل	الدهر
٥٧٠	حسان بن ثابت	الطويل	المتخير
٥٠١	—	الطويل	سائر
٥٣٥	كثير عزة	الطويل	ويطايه
٥٢٢	عبدالوهاب المالكي	البسيط	نفر

٥٢٦	عبد الوهاب المالكي	البسيط	ينتشر
٥٣٠	ابن قاضي ميعة	البسيط	الشجر
٥٣٦	ابن قاضي ميعة	الوافر	الثمار
٥٣٦	ابن قاضي ميعة	الكامل	وسوار
٥٢٢	عبد الوهاب المالكي	الكامل	تخير
٥٢٦	عبد الوهاب المالكي	السريع	الأمر
٥٣١	ابن قاضي ميعة	المتقارب	المبصر
٤٦٧	المرتضى	الطويل	الغمر
	عبد الوهاب المالكي او	الطويل	يسري
٥١٨	الوزير المغربي		
	عبد الوهاب المالكي او	الطويل	الشزير
٥١٩	ابو حفص الشطرنجي		
٦٢٣	—	الطويل	المجري
٥٤٥	التهامي	الطويل	تسري
٤٦٩	ذو الرمة	الطويل	المياسر
٥٥٥	العتبي	الطويل	بالمحاجر
٤٨٣	العتبي	الطويل	أقصر
٥٠٧	ابن عبدون	البسيط	بكافور
٥٢٤	عبد الوهاب المالكي	البسيط	البشر
٥٤٢	التهامي	البسيط	والحضر
٥٤٦	المعري	البسيط	بالأثر
٦٠٧	كشاجم	البسيط	الحجر
٦٤٨	—	البسيط	الكدر
٦٢٦	—	البسيط	والبصر
٥١٣	الوزير المغربي	البسيط	النار

٦٣٣	—	البسيط	الواري
٦٥٦	الفرزدق	البسيط	عمار
٥٣٦	ابو نواس	الوافر	الجواري
٦٦١	—	الوافر	جبري
٥٠٠	—	الكامل	المستبصر
٥٤٤	التهامي	الكامل	قرار
٦٥٩	—	الكامل	والبدر
٦٠٩	ابن رشيق	الهزج	ودينار
٥٩٢	ابو اسحاق الحصري	السريع	الشعر
٥٠٧	الوزير المغربي	الخفيف	السرور
٥٨٢	الثعالبي	الخفيف	الأثير
٥٨٣	الميكالي	الخفيف	وشذور
٤٦٦	المرتضى	المقارب	الزائر
	عبد الوهاب المالكي او	المقارب	ناظري
٥٢٣	الوأواء الدمشقي		

- ز -

٥٠٣	ابن رشيق	الطويل	عزيز
-----	----------	--------	------

- س -

٥٠٩	الوزير المغربي	الكامل	والانسا
٦٠٦	ابن رشيق	السريع	الكسا
٦٠٥	ابن رشيق	الخفيف	بلقيسا
٥٣٠	ابن شرف	الطويل	مغارس
٥٢٨	عبد الوهاب المالكي	السريع	نرجس
٥٠٨	الوزير المغربي	المنسرح	الشمس

٥٢١	عبدالوهاب المالكي او ابو الفضل البغدادي	الطويل	اللمس
٥١٩	عبدالوهاب المالكي	البسيط	باس
٤٧٨	الوزير المغربي	السريع	بأمراسه

- ش -

٦٠٣	ابن رشيق	الخفيف	مشى
-----	----------	--------	-----

- ص -

٦٠٥	ادريس بن اليان	الطويل	العصا
-----	----------------	--------	-------

- ض -

٦٠٢	ابن رشيق	السريع	الرياض
٦١٦	-	الطويل	وميضا
٦٤٥	-	الكامل	فتننقضي

- ط -

٥٤٦	-	الطويل	نقطا
٥٤٧	ابو العشائر الحمداني	الكامل	تنحط

- ع -

٥١٧	عبدالوهاب المالكي	المنسرح	تقطع
٥٤٩	التهامي	المنسرح	الشاسع
٦١٩	-	الكامل	وضجيعا
٤٧٢	المرتضى	الخفيف	هزيعا
٥٢٥	عبدالوهاب المالكي	المنسرح	متسعة

٥٥٤	مهيار الديلمي	المقارب	والنسوعا
٦٢٩	ابن أبي الشخباء	الطويل	يلدُع
٥٢٦	عبد الوهاب المالكي	الطويل	الأضالع
٥٦٨	—	مخلع البسيط	البقاع
٥٦٢	البحثري	الوافر	وارتفاع
٤٨٤	أمية بن أبي الصلت	الكامل	أربعُ
٥٢١	عبد الوهاب المالكي	الكامل	مولع
٥٧٤	—	الكامل	تصرع
٦٤٢	—	الكامل	تشرع
٦٤٧	—	الكامل	يرفع
٦٠٧	ابن رشيق	مخلع البسيط	الوداع
٥٦٤	أبو تمام	الوافر	الطباع
٤٦٦	المرتضى	الكامل	معي
٥٨٢	الثعالبي	الكامل	تجمع

- ف -

٥١٠	—	البسيط	فوقى
٦٤١	—	الكامل	وقوفا
٥١٦	عبد الوهاب المالكي	الطويل	المضاعفُ
٥٢٨	عبد الوهاب المالكي	الطويل	يهتف
٥٣٣	ابن قاضي ميلة	الطويل	تعسف
٥٥٦	مهيار الديلمي	مجزوء الرجز	المدنفُ
٤٧٧	الوزير المغربي	الوافر	والشفوف

- ق -

٦٠٩	ابن رشيق	مجزوء الكامل	الحرقُ
٦١٠	ابن رشيق	مجزوء الكامل	تصادقُ
٥٢٤	عبد الوهاب المالكي	الطويل	تترقفا
٦٣٥	—	الطويل	تصفقا
٥٩٦	—	الكامل	خلوقا
٤٦٩	ذو الرمة	الطويل	مطرقُ
٤٧٣	المرتضى	الطويل	مشرقُ
٤٧٤	المرتضى	الطويل	فالأبارقُ
٦٥٥	—	الكامل	العيوق
٦٥٢	—	الكامل	الأحداق
٦٥٧	ابن مناذر	السريع	يعبقُ
٦٢٥	—	المتقارب	عاشقُ
٥٢٥	عبد الوهاب المالكي	البسيط	والضيقِ
٥١٠	—	الوافر	الفراقِ
	عبد الوهاب المالكي او	الوافر	العراقِ
٥٢٨	الوزير المغربي		
٦٥٦	كنير او غيره	الوافر	الوداقِ
٥٢٣	عبد الوهاب المالكي	الوافر	وضيقِ
٥٩٥	ابن الرومي	الكامل	بالأحراقِ
٤٧٥	المرتضى	الخفيف	الأخلاقِ
٦٠٠	الصنوبري	الخفيف	التلاقي

- ك -

٤٧٩	—	مجزوء الكامل	الشكوكُ
-----	---	--------------	---------

٥٣٩	ابن الرومي	الطويل	هالكا
٦١١	ابن رشيق	الطويل	بحياتكا
٦٠٤	ابن رشيق	البسيط	والضحكا
٥١١	دعبل	الكامل	فبكي
٤٧٠	المرتضى	الطويل	خيالك
٤٨٣	—	الرجز	الشك
٥١٢	الوزير المغربي	المنسرح	الفتك

- ل -

٥٢٨	عبد الوهاب المالكي	الطويل	التفضلا
٤٧٣	البحثري	الطويل	رسوها
٥٤٦	المعري	الوافر	نسالا
٥٩٠	المتنبي	الوافر	الزلا لا
٥٤٠	التهامي	الكامل	نصولا
٥٨١	التعالبي	الكامل	كفيلا
٤٧١	المرتضى	الكامل	نزلا
٤٦٨	كعب بن زهير	الطويل	أفعل
٥١١	المعري	الطويل	أذيال
٥٤٨	المعري	الطويل	باقل
٤٨٧	مزرد	الطويل	الخرا مل
٦٠١	—	الطويل	أواصله
٦٢١	—	الطويل	حباله
٤٧٢	المرتضى	الطويل	رسوها
٤٩٩	—	الوافر	طويل
٥٠٩	الوزير المغربي	الوافر	ارتحال

٥٤٧	—	الكامل	طويل
٥٦٢	—	الكامل	لبخيل
٦٢٤	ابن خليل العسقلاني	الكامل	يكمل
٦٣١	—	الكامل	الزلل
٦٠٥	ابن رشيق	السريع	قالوا
٦١٢	ابن رشيق	السريع	القتلُ
٦٠٨	ابن رشيق	الخفيف	يحملُ
٥٥٧	مهيار الديلمي	المتقارب	يمثل
٥١٢	كشاجم	الطويل	عالٍ
٥٢٣	عبد الوهاب المالكي	الطويل	بأثالي
٦٣٧	دعبل او غيره	الطويل	أهلِ
٦٥٩	—	الطويل	العذلِ
٥٠٣	—	الطويل	المتناولِ
٦٥٣	—	الطويل	الأناملِ
٦٠٦	ابن رشيق	البسيط	الخجل
٥٨٧	ابو العتاهية	البسيط	حالِ
٦٥٣	—	البسيط	واقبال
٦٣٨	مسلم بن الوليد	الوافر	والمعالي
٥٦٩	—	الكامل	مرسل
٦٥٧	جرير	الكامل	الفيشل
٥٥٥	ابو الشبل	الهزج	الكهل
٦٢٠	—	الرجز	الوسائل
٥٥٤	مهيار الديلمي	الرمل	العزالي
٦٠٧	ابن رشيق	السريع	خالِ
٥٢٧	عبد الوهاب المالكي	المنسرح	آمالي

٤٨٥	الأعشى	الخفيف	الفاقي
٥٨٩	—	الخفيف	والمجهول

- م -

٥٢٤	عبد الوهاب المالكي	الوافر	لديكم
٥٧٧	—	الرمل	نسيم
٤٨٩	—	الطويل	دما
٦٠١	ابن رشيق	مخلع البسيط	الجهاما
٥٩٣	ابو اسحاق الحصري	الكامل	نسيا
٥٥٢	مهيار الديلمي	الرمل	أماما
٦١٧	—	المتقارب	إماما
٥٢١	عبد الوهاب المالكي	الطويل	اليكم
٦٢٩	—	الطويل	أعلم
٦٣٦	زياد بن منقذ	البسيط	هم
٥٨٥	—	الكامل	مؤدم
٦٤٣	المعتمد بن عباد	الكامل	تحطم
٦١٨	—	الكامل	قاتم
٥١٤	الوزير المغربي	الخفيف	قدوم
٥٤٢	الرضي	الطويل	بفدام
٦٠٥	ابن المعتز	الطويل	الدراهم
٦٣٧	ابن عرارة السعدي	الطويل	سلم
٤٩٩	—	البسيط	أحلام
٥١٩	عبد الوهاب المالكي	البسيط	الندم
٥٢٦	عبد الوهاب المالكي	البسيط	تم
٥٤١	التهامي	البسيط	اللمم

٥٩١	—	البسيط	بالظلم
٥٩٢	—	البسيط	وحم
٦٣٨	الرضي	البسيط	سلم
٤٦٨	ذو الرمة	الوافر	للجام
٥٢٥	عبد الوهاب المالكي	الوافر	سليم
٥١٠	—	الكامل	الظالم
٦٠٦	ابن رشيق	الكامل	الدم
٦٥١	—	الكامل	تحرم
٦٤٣	—	الكامل	الاعدام
٤٧٣	اشجع السلمي	الخفيف	الظلام
٤٧٤	المرتضى	الخفيف	منامي

- ن -

٥٥٦	مهيار الديلمي	الرجز	من
٦٠٥	ابن صارة	البسيط	تسعيناً
٤٧٣	المرتضى	الوافر	العيونا
٥٤٠	ابن الرومي	السريع	ظلمانا
٦٤٤	—	الطويل	ضوامن
٦٦١	ابن ميادة	الطويل	وجونها
٥٥٦	—	الطويل	وجبين
٦٠٤	ابن الرومي	الطويل	تداني
٦١٢	صخر اخو الخنساء	الطويل	سنان
٥٤٧	التهامي	البسيط	بجيران
٦٤٣	المعتمد بن عباد	البسيط	بالحاني
٦١١	ابن رشيق	البسيط	مساكين

٥٢٥	عبدالوهاب المالكي	مخلع البسيط	حسرتان
٤٨٥	—	الوافر	أرجوان
٥٣٤	جحدر اللص	الوافر	تجاوبان
٤٦٩	ابو حية	الوافر	أمون
٥٥٤	مهيار الديلمي	الكامل	الضيفان
٥٧١	ابن الرومي	الكامل	المران
٥٩٦	—	الكامل	وثمان
٥٦٤	كشاجم	الكامل	العين
٦٠٧	ابن رشيق	السريع	الحسن
٦٠٨	ابن رشيق	السريع	سيفين
٤٧٤	المرتضى	المنسرح	الوسن
٥٥٢	الوأواء الدمشقي	المنسرح	الدين

- ه -

٥٥٤	مهيار الديلمي	الرميل	هواها
٦٣٢	البحثري	الكامل	تعطاه
٦٠٨	ابن رشيق	السريع	هو
٦١١	ابن رشيق	مخلع البسيط	إليه
٥٠٨	الوزير المغربي	مجنوء الكامل	رايته

- و -

٥٢٨	عبدالوهاب المالكي او غيره	مجزوء الكامل	الأخوه
-----	---------------------------	--------------	--------

- ي -

٥٢٧	عبدالوهاب المالكي	الطويل	باليا
٤٨٣	العجاج	الرجز	حي

مصادر التحقيق (١)

كتاب الآداب لجعفر بن شمس الخلافة ، القاهرة ، ١٩٣٠ .
الابانة عن سرقات المتنبي للعميدي تحقيق ابراهيم الدسوقي البساطي ، القاهرة
١٩٦١

ابن حمديس للسقا والمنشاي ، القاهرة ، ١٩٢٠ .
ابن حمديس للمستشرق فرانيسكو جبرائيلي (بالاطالية) ، روما
الاستيعاب في معرفة الاصحاب لابن عبدالبر ، تحقيق علي محمد البجاوي ،
القاهرة

أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير ، طهران ١٣٤٢
الاشارة الى من نال الوزارة لابن الصيرفي تحقيق عبدالله مخلص ، مصر ١٩٢٤
أنساب الاشراف للبلاذري (١/٤) تحقيق كستر ، القدس ١٩٧٢
الإنجاز والاعجاز للثعالبي (ضمن خمس رسائل) ط . الجوائب ١٣٠١
البحر المحيط لأبي حيان الجياني (ج ٢) مصر ، ١٣٢٩
بغية الطلب لابن العديم (صورة عن نسخة خطية بمكتبة الجامعة الاميركية في
بيروت)

تاريخ المسبحي (ج ٤٠) نسخة الاسكوريال
تبصير المنتبه لابن حجر العسقلاني تحقيق البجاوي والنجار ، مصر ١٩٦٤
التيان في شرح ديوان المتنبي للعكبري ، القاهرة ١٩٣٦
التعريف بالقاضي عياض لولده أبي عبدالله محمد تحقيق محمد بن شريفه
(الرباط)

الثعالبي ناقدًا وأديبًا لمحمود عبدالله الجادر ، بغداد ١٩٧٦
جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الاعلام بمدينة فاس لابن القاضي (الرباط
(١٩٧٣)

(١) لا يرد هنا إلا المصادر التي لم تذكر في المجلدين الثاني والثالث .

الخريدة للعماد الاصفهاني (مخطوطة المكتبة الوطنية بباريس رقم ٣٣٢٨)
دراسات في الأدب الاندلسي لاحسان عباس ووداد القاضي والبير مطلق (الدار
العربية للكتاب ، ليبيا - تونس) ١٩٧٦

الدرجات الرفيعة لعلي خان بن أحمد بن محمد الحسيني ، النجف ١٩٦٢
الدرة المضية لابن أيبك الدواداري (ج ٦ من كنز الدرر) تحقيق صلاح
المنجد القاهرة ١٩٦١

دمية القصر للباخرزي (ط . حلب)
ديوان ابن المعتز (١ - ٣) تحقيق الدكتور يونس احمد السامرائي ، بغداد
١٩٧٧ - ١٩٧٨ .

ديوان ابن هرمة تحقيق محمد جبار المعبيد ، النجف ١٩٦٩
ديوان امية بن ابي الصلت جمع وتحقيق عبدالحفيظ السطلي ، دمشق ١٩٧٤
ديوان الحسين بن مطير جمع الدكتور محسن غياض ، بغداد ١٩٧١
ديوان دعبل بن علي الحزاعي تحقيق محمد يوسف نجم ، بيروت ١٩٦٢
ديوان دعبل بن علي الحزاعي تحقيق عبدالكريم الاشتر ، دمشق ١٩٦٤
ديوان الشريف المرتضى (١ - ٣) تحقيق رشيد الصفار ، القاهرة ١٩٥٨
ديوان المزرد بن ضرار تحقيق خليل ابراهيم العطية ، بغداد ١٩٦٢
ذيل تاريخ دمشق لابن القلانسي ، بيروت ١٩٠٨
رسالة اعلام الكلام لابن شرف (في سلسلة الرسائل النادرة) القاهرة ١٩٢٦
رسالة الاعلام الكلام لابن شرف تحقيق وترجمة شارل بلا ، الجزائر ١٩٥٣
رسالة الغفران لابي العلاء المعري تحقيق بنت الشاطيء ، القاهرة (الطبعة
الثانية)

رسائل ابي العلاء المعري تحقيق مرجوليوث ، اكسفورد ١٨٩٨

رسائل البلغاء جمع محمد كرد علي ، القاهرة ١٩٤٦

رجال النجاشي طهران

روضات الجنات للخوانساري ، طهران ١٣٦٧

ريحانة الالبا للخفاجي (ج ٢) تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو ، القاهرة ١٩٦٧
سحر البلاغة للثعالبي ، وقف على طبعه احمد عبيد ، دمشق .

شرح ديوان زهير ، دار الكتب المصرية ١٩٤٤

شرح العكبري = انظر التبيان

شرح المضمون به على غير اهله لابن عبدالكافي ، القاهرة ١٩١٣

شرح المقامات للشريشي (ج ٥) تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، القاهرة
١٩٧٦

شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد (ط مصر ، ١٣٢٩)

شعر ابن اللبابة جمع محمد مجيد السعيد ، الموصل ١٩٧٧

شعر ابن ميادة جمع محمد نايف الدليمي ، الموصل ١٩٦٨

شعر عروة بن حزام جمع ابراهيم السامرائي واحمد مطلوب بمجلة كلية الآداب -
العدد الرابع ، بغداد ١٩٦١

صبح الأعشى للقلقشندي (ج ١٤)

صوان الحكمة المنسوب لابي سليمان المنطقي تحقيق عبدالرحمن بدوي ، طهران
١٩٧٤

طبقات الفقهاء للشيرازي تحقيق احسان عباس ، بيروت ١٩٧٠

طيف الخيال للشريف المرتضى تحقيق الصيرفي والايباري ، القاهرة ١٩٦٢

العرب في صقلية لاحسان عباس ، بيروت ١٩٧٤

عيار الشعر لابن طباطبا العلوي تحقيق زغلول سلام وطه الحاجري ، القاهرة
١٩٥٦

عيون التواريخ لابن شاکر الکتبي (ج ١٢) تحقيق فيصل السامر ونبيلة
عواد ، بغداد ١٩٧٧

عيون التواريخ لابن شاکر الکتبي (مخطوطة الفاتح رقم : ٤٤٤١)

غرر الخصائص الواضحة للوطواط ، القاهرة ١٢٩٢

فقه اللغة للثعالبي تحقيق السقا والايباري وشليبي ، القاهرة ١٩٣٨

- الكشاف في التفسير للزمخشري (ج ١ ، ٢) ط . مصر . ١٩٦٦
- مجالس ابي العباس ثعلب تحقيق عبدالسلام هارون ، القاهرة
- مذكرات الامير عبدالله تحقيق ليفي بروفنسال ، القاهرة ١٩٥٥
- مرآة الجنان لابي محمد اليافعي ، حيدر آباد الدكن ١٣٣٧ - ١٣٣٩
- المرقية العليا للنباهي تحقيق ليفي بروفنسال ، القاهرة ١٩٤٨
- المستطرف للابشيهي ، مصر ، القاهرة ١٩٥٢
- معاهد التنصيص لعبد الرحيم العباسي ، القاهرة ، ١٩٤٧
- معجم الفاظ الحديث لفنسنك وآخرين ، لندن ١٩٣٦ - ١٩٦٩
- مفاتيح العلوم للخوارزمي (ط . مصر)
- المقترح في جوامع الملح (نسخة جامعة برنستون)
- المكتبة الصقلية جمع أماري ، ليبسيا ١٨٥٧
- المنازل والديار لاسامة بن منقذ ، موسكو ١٩٦١
- منتهى الطلب لابن ميون (النسخة الاستنبولية)
- النتف من شعر ابن رشيق وابن شرف لعبد العزيز الميمني ، القاهرة ١٣٤٣
- الهفوات النادرة للصابي تحقيق صالح الاشر ، دمشق ١٩٦٧
- الوحشيات لابي تمام ، تحقيق عبدالعزيز الميمني ، القاهرة ١٩٦٣
- الورقة لابن الجراح تحقيق عبدالوهاب عزام وعبد الستار فراج ، القاهرة ١٩٥٣

محتويات الكتاب

٤٦٥	فصل في ذكر الشريف أبي القاسم المرتضى ذي المجدين علم الهدى
٤٦٦	جملة من شعره - في وصف الطيف
٤٧٥	فصل في ذكر الوزير أبي القاسم الحسين بن علي المغربي
٤٧٩	فصل من رسائله
٤٩٦	فصول من سائر ترسيله
٥٠٧	جملة من شعره في أوصاف شتى
٥١٥	فصل في ذكر الفقيه الحافظ عبد الوهاب بن نصر المالكي
٥٢٩	فصل في ذكر الأديب أبي عبدالله بن قاضي ميلة
٥٣٧	فصل في ذكر أبي الحسن علي بن محمد التهامي
٥٤٧	ومن سائر شعره في أوصاف مختلفة
٥٤٩	فصل في ذكر مهيار الديلمي وذكر جملة من شعره
٥٥٠	جملة من شعره في أوصاف مختلفة
٥٦٠	فصل في ذكر أبي منصور عبد الملك بن اسماعيل الثعالبي
٥٦١	فصول من كلامه في صدر كتابه فقه اللغة
٥٦٨	من كلامه في صدر كتاب اليتيمة
٥٨١	جملة من شعره
٥٨٤	فصل في ذكر الشيخ أبي اسحاق إبراهيم بن علي الحصري
٥٨٥	فصول من كلامه اندرجت في تواليفه
٥٩٣	جملة من شعره
٥٩٧	فصل في ذكر الأديب أبي علي بن رشيق المسيلي
٥٩٩	جملة من أخباره مع ما يتخللها من أشعاره
٦٠٥	ما أخرجه من سائر مقطوعاته
٦١٢	ذكر الخبر عن خراب القيروان

٦١٥	فصل في ذكر الشيخ ابي الفتيان العسقلاني
٦١٨	في ذكر القاضي ابي محمد بن نعمة بن خليل
٦٢٥	القاضي جلال الدولة بن عمار
٦٢٧	[المجيد بن ابي الشخباء العسقلاني]

فهارس الكتاب ٦٦٥ - ٧٠٩

٦٦٥	فهرس الاعلام
٦٧٨	فهرس القبائل والامم والطوائف
٦٨٢	فهرس الاماكن
٦٨٧	فهرس الكتب المذكورة في المتن
٦٨٨	فهرس القوافي
٦٨٨	فهرس القوافي
٧٠٤	مصادر التحقيق
٧٠٨	فهرس المحتويات

بعونه تعالى
نجز طبع هذا الجزء من الذخيرة
على مطابع بيروت كومبيوتر برس
هاتف : ٣١٣٥٣٠ . ص.ب : ٢٠٣
في آذار (مارس) ١٩٧٩